

ISSN : 1818 – 0345

Impact Factor: (506-2018)

Arcif: 0.0118 2021

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة البصرة

كلية التربية للبنات

مجلة دراسات تاريخية

مجلة علمية محكمة فصلية

تصدر عن كلية التربية للبنات

العدد الثالث والثلاثون (كانون الاول ٢٠٢٢)



سعادة أ. د. رئيس تحرير مجلة دراسات تاريخية المحترم
جامعة البصرة، كلية التربية للبنات، البصرة، العراق
تحية طيبة وبعد،،،

يسر معامل التأثير والاستشادات المرجعية للمجلات العلمية العربية (Arcif - ارسيف)، أحد منابر قاعدة بيانات "معرفة" للإنتاج والمحتوى العلمي، إعلامكم بأنه قد أطلق التقرير السنوي السادس للمجلات للعام 2021.

يخضع معامل التأثير "Arcif ارسيف" لإشراف "مجلس الإشراف والتنسيق" الذي يتكون من ممثلين لعدة جهات عربية ودولية: (مكتب اليونيسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية ببيروت، لجنة الأمم المتحدة لغرب اسيا (الإسكوا)، مكتبة الإسكندرية، قاعدة بيانات معرفة، جمعية المكتبات المتخصصة العالمية/ فرع الخليج). بالإضافة للجنة علمية من خبراء وأكاديميين ذوي سمعة علمية رائدة من عدة دول عربية وبريطانيا.

ومن الجدير بالذكر بأن معامل "Arcif ارسيف" قام بالعمل على فحص ودراسة بيانات ما يزيد عن (5100) عنوان مجلة عربية علمية أبحاثية في مختلف التخصصات، والصادرة عن أكثر من (1400) هيئة علمية أو بحثية في (20) دولة عربية (باستثناء دولة جيبوتي وجزر القمر لعدم توفر البيانات). ونجح منها (877) مجلة علمية تخطى لتكون معتمدة ضمن المعايير العالمية لمعامل "Arcif ارسيف" في تقرير عام 2021.

وسرنا نعتزكم وإعلامكم بأن **مجلة دراسات تاريخية** الصادرة عن **جامعة البصرة، كلية التربية للبنات، البصرة، العراق** قد نجحت في تحقيق معايير اعتماد معامل "Arcif ارسيف" المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها (32) معياراً، وللإطلاع على هذه المعايير يمكنكم النول إلى الرابط التالي: <http://e-marefa.net/arcif/criteria>

و كان معامل "Arcif ارسيف" العام لمجلات لسنة 2021 (0.0118).

وقد صنفت مجلاتكم في تخصص تاريخ وجغرافيا ضمن الفئة (الثالثة Q3)، وهي الفئة الوسطى، مع العلم أن متوسط معامل ارسيف في هذا التخصص على المستوى العربي كان (0.058).

وبمكانكم الإعلان عن هذه النتيجة سواء على موقعكم الإلكتروني، أو على مواقع التواصل الاجتماعي، وكذلك الإشارة في الصفحة الترحيبية لمجلاتكم إلى معامل "Arcif ارسيف" الخاص بمجلاتكم.

ختاماً، نرجو في حال رغبتكم الحصول على شهادة رسمية إلكترونية خاصة بمجلاتكم في معامل "Arcif ارسيف"، التواصل معنا مسكوبين. وتفصلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير

أ.د. سامي العزادار
رئيس مبادرة معامل التأثير
"Arcif ارسيف"



رقم الایداع فی دار الکتب والوثائق (٨٧١) بغداد سنة ٢٠٠٥

طبع العدد فی مديرية دار الکتب للطباعة والنشر
جامعة البصرة – مجمع باب الزبير

العدد الثالث والثلاثون (كانون الاول ٢٠٢٢)

رئيس التحرير أ.د. رباب جبار طاهر السوداني
مدير التحرير م.م. عباس قاسم عطية المرياني

الهيئة الاستشارية

١. أ.د. خوان انطونيو ماثيان جامعة غرناطة – اسبانيا
٢. أ.د. حمادي نايت الشريف جامعة بورنماوث – بريطانيا
٣. أ.م.د. علي حسين فرج جامعة ميلان – إيطاليا
٤. أ.د. رشيد محمد كهوس كلية أصول الدين – المغرب
٥. رحيم حلو محمد البهادلي كلية التربية للبنات – جامعة البصرة
٦. أ.د. هاشم داخل الدراجي كلية التربية – جامعة ميسان
٧. أ.د. عصام كاطع داود كلية التربية للبنات – جامعة البصرة
٨. أ.د. صبيح نوري خلف كلية التربية للبنات – جامعة البصرة
٩. أ.د. عمار فاضل حمزة كلية التربية للبنات – جامعة البصرة
١٠. أ.د. حيدر عبدالرضا التميمي كلية الاداب – جامعة البصرة

الخبير اللغوي

أ.م.د. محمد قاسم نعمة

م. هند قصي حسن

مراجعة النصوص الانكليزية

أ.م.د. الاء عبد الامام عبد الزهرة

الإشراف الفني والموقع الالكتروني

م.م. عباس قاسم المرياني

العدد الثالث والثلاثون (كانون الاول ٢٠٢٢)

شروط النشر

- ١- تنشر البحوث على ان تتوافر فيها الجودة والأصالة والمنهج العلمي بما يسهم في الاثراء الفكري في مجال البحث التاريخي .
 ٢. ان لا يكون منشوراً او مقبول للنشر في أية مجلة داخل العراق او خارجه او تلك البحوث التي سبق تقديمها للجامعات او الندوات العلمية .
 ٣. يجب ان يتضمن البحث ملخص باللغة العربية والانجليزية
 ٤. تقدم البحوث بثلاث نسخ ورقية قياس (A4) مع قرص (CD) وبخط (Simplified Arabic) وبحجم (١٤).
 ٥. تخضع البحوث للتقييم السري وترسل إلى ثلاث خبراء متخصصين من ذوي المكانة العلمية على وفق الأعراف الأكاديمية المعتمدة.
 ٦. يرتب البحث على وفق المعايير المتبعة في كتابة البحوث الأكاديمية العلمية وتكون الهوامش وقائمة المصادر في نهاية البحث.
 ٧. تسحب المرفقات مع البحث (خرائط ، رسوم توضيحية ، صور، ...الخ) على جهاز السكندر وتضاف على قرص البحث.
 ٨. يرفق مع البحث مبلغ قدره (١٥٠,٠٠٠) ألف دينار، وفي حال رفض البحث تستقطع فقط (٥٠,٠٠٠) ويعاد المبلغ المتبقي. وفي حال زاد البحث عن (٤٠) ورقة يضاف مبلغ (٢٠٠٠) دينار لكل ورقة.
 ٩. لا يمنح قبول النشر ما لم يسلم الباحث المبلغ المخصص والتعديلات المطلوبة في البحث من قبل المقومين.
 ١٠. تعنون المراسلات إلى رئيس التحرير او مدير التحرير، جامعة البصرة، كلية التربية للبنات - مجلة دراسات تاريخية. او عن طريق البريد الالكتروني ادناه:
info@histstj.edu.iq abbas.alansary@uobasrah.edu.iq
- ملاحظة: ما يرد في المجلة يعبر عن آراء أصحابها، ولا يعكس اراء هيئة التحرير.

المحتويات

١٨- ١	عطايا وهبات النبي محمد (صلى الله عليه وآله) لعامة الناس وخواصهم أ.د. رحيم حلو محمد البهادلي - جامعة البصرة / كلية التربية للبنات أ.د. توفيق دواي الحجاج - جامعة البصرة / كلية الآداب	١
٩٣ - ١٩	نظام التبنّي في بلاد الرافدين ومصر (١٩٣٠-٣٠٠ ق م) دراسة مقارنة ا.م.د. بدرية عبد الله الهزاني/ كلية الآداب - جامعة الملك سعود/ المملكة العربية السعودية	٢
١٣٠-٩٤	أهل البيت (عليهم السلام) في مرويات عكرمة البربري أ.د. جواد كاظم النصر الله الباحث: باسم عبد الزهرة جمعة - جامعة البصرة / كلية الآداب	٣
١٤٦ - ١٣١	طريق حورس ومحطاته العسكرية ا.د. سهيلة مرعي مرزوق م.د. محمد علي عبد الكريم المطوري جامعة البصرة - كلية التربية للبنات	٤
١٨٢ - ١٤٧	السلطة والعنف ورهانات الإصلاح في الأندلس قراءة في عقوبة الصلب (١٢٣٣-٥٦٢٠/٧٤٠-١٢٢٣م) أ.م.د. قاسم عبد سعدون الحسيني جامعة ميسان - كلية التربية	٥
٢٠٨-١٨٣	المؤثرات في صناعة نص السيرة النبوية أ.م.د. انتصار عدنان عبد الواحد - جامعة البصرة / كلية الآداب	٦
٢٤٢ - ٢٠٩	صورة الأقليات الدينية في كتابات الاوربيين ابان العهد العثماني مصر. والعراق إنموذجاً أ.م.د. إطلال سالم حنا جامعة الحمدانية - كلية التربية	٧
٢٦٠-٢٤٣	بروز المذهب الكاثوليكي في البصرة أ.م.د. فارس فرنك نصوري الباحثة: هند عبد المطلب حرب جامعة البصرة - كلية التربية للعلوم الإنسانية	٨
٢٨٢-٢٦١	المسالك التجارية وأثرها في الصراع الفاطمي الأموي خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي م.د. زينب حمزة عباس كلية التربية للعلوم الصرفة	٩

٢٨٣ - ٣٢٣	حامل المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحديثة (١٥٤٩ - ١٠٦٩ ق.م) م. د. علاء راضي فالح جامعة البصرة - كلية التربية للعلوم الإنسانية	١٠
٣٢٤ - ٣٥٣	الرؤية الاستشراقية لكنية الإمام علي (عليه السلام) (أبو تراب) م. د. نزار ناجي محمد المديرية العامة للتربية في محافظة البصرة	١١
٣٥٤ - ٤٢٧	العراق ولجان التفيتيش عن أسلحة الدمار الشامل ١٩٩٧ - ٢٠٠٣ م أ.م.د. عهود عباس أحمد جامعة البصرة - مركز دراسات البصرة والخليج العربي	١٢
٤٢٨ - ٤٤٨	الحياة الاجتماعية في الأندلس عهد مملكة غرناطة (٦٣٥ - ٨٩٧ هـ / ١٢٣٧ - ١٤٩١ م) م. د آفاق لازم عبد اللطيف جامعة البصرة - كلية التربية القرنة	١٣
٤٤٩ - ٤٧٥	أخبار البويهيين من خلال "زين الأخبار" للجريزي "ت: ٥٤٤٣هـ" م. م ابتهاج محمد عبد الكريم جامعة البصرة - مركز دراسات البصرة والخليج العربي	١٤
٤٧٦ - ٥٠٠	الصراع الحسيني - الأموي عام (٦١١ هـ / ٦٨٠ م) في ضوء نظرية العناية الإلهية بين الجبر والتفويض وأثرهما على حركة التاريخ دراسة تاريخية فلسفية م. د. عباس محيسن حريجة اللامي المديرية العامة للتربية في ميسان	١٥

عطايا وهبات النبي محمد (صلى الله عليه وآله) لعامة الناس وخواصهم
أ.و. رحيم حلو محمد البهادلي
أ.و. توفيق دواي الحجاج

عطايا وهبات النبي محمد (صلى الله عليه وآله) لعامة الناس وخواصهم

أ.د. رحيم حلو محمد البهادلي - جامعة البصرة / كلية التربية للبنات

أ.د. توفيق دواي الحجاج - جامعة البصرة / كلية الآداب

الملخص

لقد اتسم المجتمع العربي الإسلامي منذ عصر النبي (صلى الله عليه وآله) بسمات إنسانية كبيرة شكلت معالم حضارية كان من شأنها تنظيم حياة الفرد وتوطيد العلاقات الاجتماعية بين الدولة وأبنائها ، كما شكلت فاصلا كبيرا مع بقية المجتمعات الأخرى ، ولعل مسألة الهبات والعطايا لعموم المسلمين وخواصهم وحتى غيرهم تأتي في مقدمة تلك المفردات الإنسانية التي أكدت عليها الشريعة الإسلامية ، وقد أولى الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) وكبار المسلمين وأغنيائهم اهتماما كبيرا بهذا الجانب ، إذ لا شك أن المجتمع العربي الإسلامي في أيام النبي محمد (صلى الله عليه وآله) كان فيه تفاوت ماثل كبير في درجات الغنى والفقير ، كإرث ورثه ذلك المجتمع من أيام الجاهلية التي كانت من سماتها وجود تفاوت طبقي كبير بين أبنائه لعدم وجود واعز يرشد الجميع إلى مساعدة أهل الفقر والفاقة والمحتاجين من الناس وقتذاك.

عطايا وهبات النبي محمد (صلى الله عليه وآله) لعامة الناس وخواصهم
أ.و. رحيم حلو محمد البهاولي
أ.و. توفيق وولاي الحجاج

Gifts of the Prophet Muhammad (may God bless him and his family and grant them peace) to the common people and their private ones

Prof. Dr. Rahim Helou M. Al-Bahadli - University of Basrah / College of Education for Women

Prof. Dr. Tawfiq Dawai Al-Hajjaj - University of Basrah /College of Arts

Abstract

The Arab-Islamic society has been characterized since the time of the Prophet (may God bless him and his family) with great human features that formed civilizational landmarks that would organize the life of the individual and consolidate social relations between the state and its children. Others come at the forefront of those human vocabulary that Islamic Sharia emphasized, and the Noble Messenger (may God bless him and his family) and the great and rich Muslims paid great attention to this aspect, as there is no doubt that the Arab Islamic society in the days of the Prophet Muhammad (peace and blessings of God be upon him and his family) was in it. There is a huge disparity in the levels of wealth and poverty, such as a legacy inherited by that society from the days of ignorance, which was characterized by the presence of a large class disparity between its children, because there was no facilitator who guides everyone to help the poor and needy and needy people at that time.

المقدمة

لقد اتسم المجتمع العربي الإسلامي منذ عصر النبي (صلى الله عليه وآله) بسمات إنسانية كبيرة شكلت معالم حضارية كان من شأنها تنظيم حياة الفرد وتوطيد العلاقات الاجتماعية بين الدولة وأبنائها ، كما شكلت فاصلا كبيرا مع بقية المجتمعات الأخرى ، ولعل مسألة الهبات والعطايا لعموم المسلمين وخواصهم وحتى غيرهم تأتي في مقدمة تلك المفردات الإنسانية التي أكدت عليها الشريعة الإسلامية ، وقد أولى الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) وكبار المسلمين وأغنيائهم اهتماما كبيرا بهذا الجانب ، إذ لا شك أن المجتمع العربي الإسلامي في أيام النبي محمد (صلى الله عليه وآله) كان فيه تفاوت مائل كبير في درجات الغنى والفقر ، كإرث ورثه ذلك المجتمع من أيام الجاهلية التي كانت من سماتها وجود تفاوت طبقي كبير بين أبنائه لعدم وجود واعز يرشد الجميع إلى مساعدة أهل الفقر والفاقة والمحتاجين من الناس وقتذاك

ولما جاء الإسلام حاول النبي محمد (صلى الله عليه وآله) قدر المستطاع بل انه (صلى الله عليه وآله) بذل جهودا جبارة في سبيل أن يذيب ذلك التفاوت وان يقضي على حالات الفقر المستعصية بالعمل وفق عدة روافد منها: مبدأ التكافل الاجتماعي ، ومنها: الهبات ، ومنها: العطاء ، ومنها: الكرم ، ومنها: الجود ، ومنها: السخاء لرفد الفقراء من الناس والمحتاجين منهم بما يحتاجون إليه من الأموال لغرض تحقيق موازنة فعلية بين أبناء المجتمع العربي الإسلامي ، كي لا يكون هناك تفاوتا كبيرا بين أبناء ذلك المجتمع الذي أراده الله عز وجل أن يكون متوازيا ومتساويا في جميع الحقوق والصفات التي من شأنها خلق جيل جديد لا يؤمن إلا بقضية واحدة وهي الإيمان بالدين الإسلامي .

هذا من جانب ومن جانب آخر كان النبي محمد (صلى الله عليه وآله) طالما يهب الهبات والعطايا لعموم الناس وخواصهم مسلمين كانوا أم غير مسلمين ، من غير المحتاجين وبالذات الوافدين عليه من دول ومدن وقبائل أخرى وقد جاءت له خاضعة أما سياسيا أو معلنة الإسلام ، فأكرمهم الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) لا لفقر أو لحاجة وإنما كنوع من أنواع الصلات وديمومة العلاقة التي كانت ولا تزال معروفة عند أصحاب الشأن والسلطان وبالذات عطايا النبي محمد (صلى الله عليه وآله) للوافدين عليه في عام الوفود (٩ هـ) .

أن الحديث عن هذا الموضوع يفرض علينا منهاجا معيننا نسترعي فيه ان نقسمه إلى قسمين ، الأول منه نتحدث فيه عن عطاء الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) وإكرامه إلى عموم العرب المسلمين من الفقراء والمحتاجين منهم ، كنوع من أنواع المساعدة التي طالما كان الناس وبالذات الفقراء منهم بحاجة ماسة إليها لتحسين الواقع المعيشي ، والقسم الثاني الحديث فيه عن هبات الرسول الكريم وعطاياه وهداياه إلى الشخصيات البارزة في المجتمع العربي الإسلامي والوفود القادمة عليه من مختلف المدن والدول المجاورة والتي جاءت لعقد صفقة سياسية أو جاءت معلنة الدخول في الدين الإسلامي افرادا كانوا أو جماعات ، فكانت تلك الهبات كنوع من أنواع إدامة الصلة والعلاقات الاجتماعية والسياسية وتحسين الوضع المعيشي للبعض الآخر أيضا .

عطايا النبي محمد (صلى الله عليه وآله)

وفيما يخص الحديث عن عطاء النبي (صلى الله عليه وآله) وكرمه لعموم الناس الفقراء منهم والمحتاجين ، وردت في ذلك مجموعة من آيات الذكر الحكيم التي تحت الفرد المسلم وتأمرة على مساعدة أهل الفقر والفاقة وأبناء السبيل ، منها على سبيل المثال قوله تعالى: "يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وأبناء السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم" (١) ، وقوله تعالى أيضا: "وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير" (٢) ، وقوله تعالى أيضا : " قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال" (٣)، وقوله تعالى أيضا: "من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم" (٤) ، وغيرها من الآيات الكثيرة التي تصب في نفس الرافد ، والتي فيها إشارة واضحة من الله عز وجل لنبيه محمد (صلى الله عليه وآله) وعباده على وجه العموم بضرورة مساعدة من لا طاقة له من عباده الصالحين على تحمل أعباء الحياة ونفقات العيش المرهقة ، والتي قد تعي البعض عن توفر أقل متطلبات العيش اليومية في أقل تقدير .

كما نجد في أقوال الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) توجيهات كثيرة مهمة بهذا الصدد ، وهي وان كانت مأخوذة من روح النص القرآني الكريم ، إلا أنها جاءت مكملة من حيث التأكيد والتوجيه ،

عطايا وهبات النبي محمد (صلى الله عليه وآله) لعامة الناس وخواصهم
أ.و. رحيم حلو محمد البهاولي
أ.و. توفيق وولاي الحجاج

وداعية لمن يملك الأموال أن ينفق منها لمستحقيها كنوع من أنواع التكافل الاجتماعي في ظل التشريع السماوي الذي أنزله الله عز وجل رحمة للعالمين ، ومن تلك الأحاديث النبوية الشريفة منها قوله (صلى الله عليه وآله) : " ما من مسلم ينفق من كل مال له زوجين في سبيل الله عز وجل إلا استقبلته حبة الجنة كلهم يدعوه إلى ما عنده " (٥) ، وقوله (صلى الله عليه وآله) : " من أغاث ملهوفاً كتب الله له ثلاثاً وسبعين حسنة واحدة منهن يصلح الله بها له أمر دنياه وأخرته واثنتين وسبعين في الدرجات " (٦) ، وقوله (صلى الله عليه وآله) أيضاً : " لا حسد إلا في اثنتين رجل علمه الله القرآن وهو يقوم به أناء الليل وأناء النهار ، ورجل أعطاه الله مالا فهو ينفقه أناء الليل وأناء النهار " (٧) ، وغيرها من الأحاديث النبوية الشريفة الدالة على نفس المعنى .

وعلى هذا كان لا بد أن يكون الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) على رأس قائمة من تولى العطاء للناس المحتاجين وإكرام الفقراء والمساكين وأبناء السبيل استناداً لما أوردنا في أعلاه من نصوص آي الذكر الحكيم والأحاديث النبوية المطهرة ، فكان الرسول (صلى الله عليه وآله) يكرم كل من يأتيه من عامة الناس أو الفقراء أو من كان طالبا للحاجة مادية كانت أم عينية ، ومن ذلك نذكر شأن بلال الحبشي مؤذن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) بهذا الصدد ، إذ يروى أن بلالا كان في ضيق شديد من أمره وقد أصابه العوز والحاجة ، فلم يجد بلال غير الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) يقصده لقضاء حوائجه ، فذهب إليه وقضى عنه الرسول (صلى الله عليه وآله) جميع حوائجه وديونه وأكرمه خير إكرام (٨) . فقد كان بلال رجلاً فقيراً سواء قبل الإسلام أم بعده ، وكان أمراً طبيعياً لرجل مثل بلال أن يكون فقيراً في ظل المجتمع المكي الذي كان من مقوماته التفاوت الطبقي الكبير بين أبناء المجتمع المكي قبل الإسلام ، فكان هناك الأسياد وكان هناك العبيد وهم من طبقة الفقراء (٩) وبلال الحبشي كان من تلك الطبقة الفقيرة ، وحتى بعد إسلامه فماذا يستطيع الإسلام أن يفعل له في ليلة وضحاها ، فقد ظل فقيراً مادياً حتى بعد الإسلام ، نعم أصبح هو رجلاً حراً في الإسلام ولكن بقي وضعه الاجتماعي والمعيشي لم يتحسن بعد ، وإذا كان لا بد من أن يتحسن فذلك أمراً مرهوناً بعامل الزمن ، فظل الرجل فقير الحال بدليل طلبه للحاجة من الرسول (صلى الله عليه وآله) .

وقد يثار التساؤل هنا من أين كان يعطي الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) تلك المعونات لبلال ، فهل كانت من صلب ماله الخاص ؟ أم هي من أموال عموم المسلمين ؟ إن إلقاء نظرة سريعة على الواقع المعيشي للرسول (صلى الله عليه وآله) نجده كان في وضع لا يحسد عليه فهو لم يكن رجلاً غنيا ولكنه في الوقت نفسه لم يكن فقير الحال ، وما عساه (صلى الله عليه وآله) أن يملك وكان مشغولاً منهمكاً بالنبوة وقيادة المسلمين ، ولذلك يمكن القول بأن شأنه اجتماعياً كان شأن أي شخص من المسلمين ، فكل ما كان يملكه الرسول (صلى الله عليه وآله) هو قوت يومه ، وبديل انه في أثناء زواج الإمام علي (ع) من ابنته فاطمة الزهراء (ع) ، نجد أن كلا منهما تعاوناً على متطلبات الحياة الزوجية الجديدة للإمام علي (ع) ، فباع الإمام درعه بأربعمئة وثمانون درهم مع هدايا بسيطة جداً أهداها له الرسول (صلى الله عليه وآله) من متطلبات منزلية وهي جل ما كان يملك (١٠) ، لذلك لا يبقى أمامنا سوى القول أن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) كان يعطي الفقراء والمحتاجين من ما يقدم إليه من هدايا وما تأتيه من غنائم وفيء وما شاكل ذلك ، بديل قوله (صلى الله عليه وآله) لبلال بعد أيام عدة من طلب الحاجة: "ابشر فقد جائك الله بقضائك، الم تر الركائب المناخات الأربع؟.. أن لك رقابهن وما عليهن"، وكانت عليهن كسوة وطعام من ملك فدك فأخذها بلال جميعها لقضاء حوائجه (١١) .

وعلى هذا المنوال كان الرسول (صلى الله عليه وآله) يكرم كل من يأتيه من الفقراء وأصحابه وعموم الناس المحتاجين طلباً للحاجة والطمع في الحصول على المعونات المادية أو العينية ، حتى أن العرب كانت تسمي الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) (قثم) (١٢) وتعني في العربية الرجل المعطاء (١٣) ، وهي تسمية تتوافق جداً مع صفة الرسول الكريم في هذا الجانب ، لأنه (صلى الله عليه وآله) كان على حد إشارة المجلسي : "أجود بالخير من الريح الهابة ، يعطي فلا يبخل ، ويمنح فلا يمنع" (١٤) ، من ذلك أن رجلاً من عامة العرب من غير المسلمين قصده طالباً الحاجة فوهبه الرسول (صلى الله عليه وآله) غنماً ، وحينما عاد الرجل إلى قومه خطب قائلاً: "يا قوم اسلموا فوالله إن محمداً ليعطي عطاء رجل لا يخاف الفقر" (١٥) .

ومع أن صفة الكرم والسخاء تلك كانت هوية للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) كما أوردنا ، فإن هذه الرواية تحمل بين طياتها إشارة واضحة إلى أن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) كان

عطايا وهبات النبي محمد (صلى الله عليه وآله) لعامة الناس وخواصهم
أ.و. رحيم حلو محمد البهاولي
أ.و. توفيق وولاي الحجاج

يعطي الأموال كنوع من أنواع التشجيع على الدخول في الدين الإسلامي ، لا كهدف أساسي بقدر ما هو إفصاح عن مقررات هذا الدين الذي من أهدافه مساعدة من لا طاقة له على تحمل أعباء الحياة ، بدليل أن الرجل الذي أعطاه الرسول (صلى الله عليه وآله) الغنم قد اسلم ثم ذهب إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام .

فهكذا كان عليه الصلاة والسلام يكرم الفقراء والمحتاجين بل حتى في أثناء مسيره ، من ذلك ما روي انه (صلى الله عليه وآله) ذات مرة كان يمشي وبرفته الصحابي الجليل انس بن مالك فاعترضه إعرابي وقد جذب رداء الرسول (صلى الله عليه وآله) قائلاً له : " يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك " فالتفت إليه الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) وأكرمه مالا (١٦) .

ولم يقتصر عطاء الرسول (صلى الله عليه وآله) لعموم العرب والمسلمين على من يأتيه طالبا للحاجة فقط ، إنما كان عليه الصلاة والسلام يتفقد كل من كان بحاجة إلى مأكّل أو ملبس أو زوجة أو مأوى ، فيعيّنه على توفير متطلبات عيشه كنوع من أنواع سبل التكافل الاجتماع التي كانت ولا زالت من مقررات الإسلام الأساسية ، فحينما بعث المقوقس ملك مصر مع حاطب بن أبي بلتعة الذي أرسله الرسول (صلى الله عليه وآله) إليه يعرض عليه الإسلام ، بعث المقوقس مع حاطب إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) جملة هدايا فيها كسوة وجواري وفيهن مارية القبطية والدة إبراهيم ابن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) وأختها سيرين أو شيرين على اختلاف الروايات ، تزوج الرسول (صلى الله عليه وآله) مارية ووهب أختها لأحد أصحابه وهو شاعره حسان بن ثابت (١٧) ، فكانت سيرين أم ولده عبد الرحمن (١٨) ، وقد كان حسان شاعرا مختصا بالرسول (صلى الله عليه وآله) وفقير الحال (١٩) ، فأكرمه الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) عل هذا الأساس .

وتتركز جل عطايا الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) وهباته في الوفود القادمة عليه من مدن وبلدان وقبائل أخرى جاءت معلنة الدخول الإسلام سواء كان ذلك قبيل فتح مكة أو بعده ، فأكرمهم الرسول (صلى الله عليه وآله) كنوع من أنواع الصلة وإدامة المودة ومد خيوط المحبة والألفة والتعايش السلمي ، وتشجيعا منه عليه الصلاة والسلام في دخول أكبر عدد ممكن في الإسلام ، وكانت للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) بهذا الشأن أحاديث لطيفة منها قوله (صلى الله عليه وآله) " إذا أتاكم كريم قوم فأكرموا " (٢٠) ، وقوله (صلى الله عليه وآله) أيضا : " وأجيزوا الوفد

بنحو ما كنت أجزهم " (٢١) ، في إشارة منه عليه الصلاة والسلام أن لا بد من إكرام من يفد عليه معلنا الإسلام كسنة أرادها الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) أن تكون سارية عند المسلمين بصورة عامة .

هبات النبي محمد (صلى الله عليه وآله)

قبيل فتح مكة كانت تتقاطر على الرسول (صلى الله عليه وآله) بعض الأفراد سواء كانوا من العامة أو من الشخصيات المؤثرة يومذاك من غير المسلمين وقد جاءوا معلنين الدخول في الدين الإسلامي ، فكان الرسول (صلى الله عليه وآله) يقبل إسلامهم ويرحب بهم ويهب لهم الهبات كجائزة وصلة لهم ، ومثال ذلك ما حصل بعد صلح الحديبية (٦ هـ) الذي عقد بين الرسول (صلى الله عليه وآله) ومشركي قريش ، فقد توفر لدى الرسول (صلى الله عليه وآله) مناخا ملائما لدعوة أبناء المدن والأمم المجاورة ورؤساء القبائل العربية إلى الإسلام ، فوجه إليهم كتبه يدعوهم إلى الإسلام وكان فيمن كتب إليهم بني حنيفة في اليمامة داعياً إياهم إلى الإسلام ، فوجه هؤلاء بوفدهم إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) وقد ترأس ذلك الوفد جملة أشخاص مؤثرين ووجهاء من أهل اليمامة فيهم سلمى بن حنظلة ومجاعة بن مرارة الذي أسلم وسأل الرسول (صلى الله عليه وآله) أرضاً مواتاً في اليمامة فأقطعها له ، ومسيلمة الكذاب الذي طلب من الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يجعل الأمر له بعده إن هو أسلم ، فرد عليه الرسول (صلى الله عليه وآله) قائلاً : " لا ولا نعمة عين ولكن الله قاتلك " ، وآخرين غيرهم (٢٢) .

وفضلاً عن ذلك التكريم أجازهم الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) في أثناء عودتهم إلى ديارهم ، فلما أراد هؤلاء الرجوع إلى بلادهم أكرمهم الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) بهبات وجوائز منها (خمسة أوقية) لكل رجل فيهم (٢٣) ، وقيل أن مسيلمة الكذاب لم يدخل معهم فقد خلفوه في عناية رحالهم وركابهم ، فبعث إليه الرسول (صلى الله عليه وآله) أيضاً بنفس الجائزة قائلاً لهم انه: "ليس بشركم مكانا لحفظه ركابكم ورحالكم " (٢٤) .

وورد أن الشاعر المعروف كعب بن زهير (ت ٢٦ هـ) - وهو من فحول الشعراء المخضرمين بين الجاهلية والإسلام - (٢٥) ، كان قد هجى الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) بجملة أبيات من الشعر نال فيها من الإسلام ما نال في شعره وقد كان كافراً آنذاك ، فلما تناهت

تلك الأبيات إلى مسامح الرسول (صلى الله عليه وآله) أهدر دمه وأمر بقتله بقوله : " من لقي كعبا فليقتله"، فلم يجد الرجل مفرا غير التوجه بنفسه إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) وطلب العفو شخصيا منه ، بعد أن أيقن أن صفة العفة والتسامح هي الغالبة على شخص الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) ، فتوجه كعب بنفسه وافدا على الرسول (صلى الله عليه وآله) في السنة السابعة من الهجرة وأعلن إسلامه وندمه على ما بدر منه من استهزائه بمقدرات الدين الإسلامي ومعلنا التوبة ، ثم أصبح كعب شاعرا من شعراء المسلمين يمدح الرسول (صلى الله عليه وآله) في شعره بعد أن كان يهجووه وهو على كفره ، فقبل الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) إسلامه وتوبته ثم أجازه عليه الصلاة والسلام بان كساه بردته (٢٦) ، وهي التي قيل اشترها معاوية بعد ذلك منه بعشرين ألف درهم ، وهي نفسها التي كان يلبسها الخلفاء في العيدين على حد إشارة بعض المصادر (٢٧) .

وبعد عام الفتح وبالتحديد في عام (٩ هـ) تكاثرت على الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) أعداد الوافدين عليه (صلى الله عليه وآله) من مدن وقبائل وبلدان عديدة ، جاءت معلنة الدخول في الدين الإسلامي الجديد بعد أن سقطت مكة بيد الإسلام المسلمين وخضعت تماما لسلطة الرسول (صلى الله عليه وآله) ، فتحول ولاء تلك المدن والقبائل لسلطان الرسول (صلى الله عليه وآله) والإسلام سياسيا ودينيا ، ولكثرة أعداد الوافدين على الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) أطلق على ذلك العام اسم (عام الوفود) (٢٨) ، كما نزلت في تلك المناسبة سورة النصر (٢٩) قال تعالى: "إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره أنه كان توابا" (٣٠) .

وتلك الوفود القادمة على الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) نالت قسطا كبيرا من الجوائز والمكافآت والهبات ، لا لأنهم قد يكونوا من الفقراء ففيهم - إن لم نقل أغلبهم - رؤساء قبائل وملوك ووجهاء وأعيان ومن علية القوم وساداتهم ، هؤلاء أكرمهم الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) بالهدايا والهبات لإدامة الصلة وتشجيعا منه (صلى الله عليه وآله) لاستمالتهم وكسبهم إلى صالح الإسلام والمسلمين ، ففي ذلك إصلاح كبير وميل وخضوع كبيرين يصب في صالح الإسلام ، ومن تلك الوفود التي أكرمها الرسول (صلى الله عليه وآله) هو وفد قبيلة طي والذي كان يتكون من خمسة عشر رجلا بزعامة زيد الخيل بن مهلهل ، وفيهم قبيلة بن الأسود بن عامر ، ووزر بن

جابر بن سدود وآخرين ، فلما دخل هؤلاء النفر على الرسول (صلى الله عليه وآله) عرض عليهم الإسلام فأسلموا جميعا عن أنفسهم وعما ورائهم من قبيلة طي ، ولإدامة الصلة مع هؤلاء أجازهم الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) بجوائز وهبات قيمة كانت فوق ما يتوقعون ويطلبون ، إذ وهب لكل واحد منهم (خمسة أواق) من الفضة في حين وهب لرئيسهم زيد الخيل (اثنتي عشر أوقية) من الفضة ، لا تميزا منه عليه الصلاة والسلام بين فرد وآخر وإنما أعطى (صلى الله عليه وآله) تلك الهبات على قدر منازلهم ، اذ نستشف ذلك كله من قول الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) في أثناء منحهم الجوائز والهبات : " ما ذكر لي رجل من العرب إلا رأيتَه دون ما ذكر لي إلا ما كان من زيد فانه لم يبلغ كل ما فيه " ، فميزه الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) عنهم وسماه (زيد الخير) ، واقطعه أيضا ارضين في منطقة فيد (٣١) - بلدة قريبة من مكة - (٣٢) .

كما أكرم الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) وفد تجيب الذين وفدوا عليه من اليمن في ثلاثة عشر رجلا ، فقد أمر الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) بلال الحبشي أن يحسن ضيافتهم وأن يتابع بنفسه عملية إكرامهم ، ثم اخذ الرسول (صلى الله عليه وآله) يسأل الوفد إن كان أحدا منهم لم يستلم جائزته ، فقبل له أن فتى لهم خلفوه في رحالهم يحفظها لهم ، فأرسل إليه الرسول (صلى الله عليه وآله) وأعطاه من الجوائز مثل الذي أعطي لأصحابه ، ثم سأله الرسول (صلى الله عليه وآله) إن كانت له حاجة أخرى ، فأجاب الفتى عندئذ : " إني امرؤ من بني أبناء الرهط الذين أتوك آنفا فقضيت حوائجهم فاقضي حاجتي " ، فلما سأله الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) عن حاجته قال الفتى : " تسأل الله أن يغفر لي ويرحمني ويجعل غناي في قلبي " ، فوهبه الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) عندئذ أجمل هدية فضلا عن جائزته ، حينما قال له داعيا الله عز وجل بالقول : " اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه " ، فكان الفتى بعد ذلك من أزهد الناس وأغناهم نفسا (٣٣) ، وفي تقديرنا أن هذا الفتى نال من الجوائز والهبات في تلك الوفادة أكثر مما ناله بقية أعضاء الوفد ، فقد فاز بمرضاة الله عز وجل وهي أفضل هبة قدمها له الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) .

ويبدو أن لأهل اليمن خصوصية كبيرة عند الرسول (صلى الله عليه وآله) ، تلك البلاد التي كانت تمثل أصل العرب وان فيها من الملوك ورؤساء القبائل من نقلت موازينه وكثر أتباعه ، فكان الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) يكرم كل من جاء منهم وافدا للدخول في الإسلام تشجيعا منه

ولتوطيد صلة العلاقة الطيبة والمودة الحسنة مع هؤلاء القوم ، فقد أكرم الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) أيضا وفد كندة الذين وفدوا عليه (صلى الله عليه وآله) وكانوا في ستين شخصا (٣٤) وقيل سبعين (٣٥) وقيل ثمانين راكبا (٣٦) ، بزعامة الأشعث بن قيس الكندي - احد ملوك اليمن قبل الإسلام - (٣٧) ، ذلك الرجل الذي كان له ثقلا لا يستهان به ، فقد أكرم الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) كلا من أعضاء الوفد (عشر أواق) من الفضة ، في حين وهب للأشعث بن قيس (اثنتي عشر أوقية) (٣٨) ، ويبدو أن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) أجازهم وميز الأشعث عنهم في الهبة لا لحاجتهم وحاجة الأشعث لتلك الجوائز والهبات ، فقد كان القوم من الأغنياء والملوك الأثرياء وقد جاؤوا أصلا بهيئة الملوك من الجباب المكففة بالحرير وعليهم الديباج المخضوض بالذهب ونحو ذلك (٣٩) ، فجميع ذلك يعطي انطبعا أن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) أجازهم كنوع من أنواع إدامة الصلة وتحسين خاطر وما شابه ذلك .

كما أجاز الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) بقية الوفود ووهب لهم الأموال والهبات على شاكلة ما كان يعطي للوفود في أعلاه ، فقد وهب لأعضاء وفد سعد هذيم اواقا من فضة لكل منهم (٤٠ أوقية) ، ووهب لوفد بلي كما كان يجيز الوفد على حد إشارة ابن سعد (٤١) ، وكذلك فعل أيضا مع وفد عذرة (٤٢) ، ووفد سلامان (٤٣) ، ووفد غسان (٤٤) ، ووفد غامد (٤٥) ، وغيرها من الوفود الأخرى (٤٦) .

كما نجد أن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) طالما يكرم بعض الشخصيات التي أسلمت بعد الفتح من أهل قريش ، حرصا منه عليه الصلاة والسلام على استجابة نفوس هؤلاء وفي محاولة منه عليه الصلاة والسلام أيضا على كسب ولاءهم وودهم أو إذابتهم في المجتمع العربي الإسلامي الجديد على اقل تقدير لما يمثله هؤلاء من ثقل اجتماعي وسياسي في قريش قبل الإسلام ، فقد أعطى الرسول الكريم (ص) ووهب لحويطب بن عبد العزى (مائة من الإبل) من غنائم غزوة حنين (٤٧) ، وحويطب هذا كان سيذا معروفا من سادات قريش قبل الإسلام وكان ممن أوفدته قريش لمفاوضة المسلمين على صلح الحديبية (عام ٦ هـ) (٤٨) ، كما كان الرجل من المعمرين فقد عاش في الجاهلية ستون عاما وفي الإسلام ستون عاما أيضا (٤٩) ، وشخصا بتلك المواصفات لا بد أن يكون محط الأنظار ومحمل الآمال لكل من يريد الخروج والنيل من الإسلام ، مما يعطي انطبعا

عطايا وهبات النبي محمد (صلى الله عليه وآله) لعامة الناس وخوالصهم
أ.و. رحيم حلو محمد البهاولي
أ.و. توفيق وولاي الحجاج

أن الرسول (صلى الله عليه وآله) أكرمه كي ينخرط الرجل في الإسلام ويكسب ولاءه ودينه وألفة لقلوبهم .

وكان لا بد أن ممن أعطاهم الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) من الهبات الكبيرة للشخصيات الكبيرة من قريش التي أسلمت توا في فتح مكة ، كان على هذا المنوال أيضا ولأسباب والدوافع ذاتها التي اتبعها مع حويطب بن عبد العزى ، فقد وهب الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) لأبي سفيان بن حرب (مائة بعير) (٥٠) ، وأبو سفيان كان زعيما لقريش قبل الفتح وكان له سلطانا وتأثيرا كبيرين على أهل مكة خاصة والعرب عامة ، وفي صلاح أبي سفيان صلاحا لعامة العرب ، فمن هذا المنطلق يمكن القول أن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) أكرمه لذلك السبب .

وعلى هذا أعطى الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) رجالا آخرين من قريش فيهم معاوية بن أبي سفيان الذي أعطاه (مائة من الإبل)، وسهيل بن عمرو (مائة بعير) أيضا ، وعيينة بن حصن (مائة بعير) أيضا، وغيرهم الكثير من سادات قريش في الجاهلية ممن اسلم توا بعد فتح مكة (٥١).

الهوامش

- (١)-سورة البقرة ، الآية ٢١٥ .
- (٢)-سورة الحديد ، الآية ١٠ .
- (٣)سورة إبراهيم ، الآية ٣١ .
- (٤)- سورة الحديد ، الآية ١١ .
- (٥)-احمد بن حنبل : مسند احمد بن حنبل ، ٥ / ١٥١ . وينظر النسائي : السنن الكبرى ، ٣ / ٣٢ ؛ الطبراني : المعجم الأوسط ، ٣ / ٣٣٦ .
- (٦)-أبو يعلى الموصلي : مسند أبو يعلى ، ٧ / ٢٥٥ . وينظر الهيثمي : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ٨ / ١٩١ ؛ المتقي الهندي : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، ٦ / ٤٤٥ ، ٤٤٦ .
- (٧)-مسلم: صحيح مسلم، ٢ / ٢٠١؛ ابن ماجة: سنن ابن ماجة، ٢ / ١٤٠٨؛ الطبراني: المعجم الكبير ، ١٢ / ٢٢٩ .
- (٨)-ينظر أبو داود : سنن أبو داود ، ٢ / ٤٦ ؛ الطبراني : الأحاديث الطوال ، ص ١٢٩ ؛ المعجم الأوسط ، ١ / ١٤٨ ؛ البيهقي : السنن الكبرى ، ٦ / ٨١ .
- (٩)-ينظر الدكتور جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ٤ / ٢٥٥ وما بعدها .
- (١٠)-ينظر البلاذري : انساب الأشراف ، ٢ / ٣١ ؛ ابن الجوزي : صفة الصفوة ، ١ / ٣٣٨ - ٣٣٩ .
- (١١)ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤ / ٣١٦-٣١٧؛ الهيثمي: موارد الضمان إلى زوائد ابن حبان، ص ٦٢٩ - ٦٣٠ .
- (١٢)-المجلسي : بحار الأنوار ، ١٦ / ١١٨ .

عطايا وهبات النبي محمد (صلى الله عليه وآله) لعامة الناس وخوالمهم
أ.و. رحيم حلو محمد البهاولي

- (١٣) ينظر الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ٥ / ٢٠٠٥ ؛ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ، ٤ / ١٦ ؛ ابن منظور : لسان العرب ، ١٢ / ٤٣٤ .
- (١٤) -المجلسي : بحار الأنوار ، ١٦ / ١١٨ .
- (١٥) -مسلم : صحيح مسلم ، ٧ / ٧٤ - ٧٥ ؛ ابن بلبان : صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، ١٠ / ٣٥٤ ؛
الدميري : حياة الحيوان الكبرى ، ٢ / ٢٣٢ .
- (١٦) -ينظر البخاري : صحيح البخاري ، ٧ / ٤٠ ؛ الطبرسي : مكارم الأخلاق ، ص ١٧ ؛ المجلسي : بحار الأنوار ،
١٦ / ٢٣٠ .
- (١٧) -ينظر ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ٨ / ٢١٢ ؛ ابن كثير : السيرة النبوية ، ٣ / ٥١٥ ؛ المجلسي : بحار
الأنوار ، ١٦ / ١٢٦ ؛ ٢٠ / ٣٨٣ .
- (١٨) -ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ٥ / ٢٦٦ .
- (١٩) -ينظر ابن عساکر : تاريخ دمشق ، ١٢ / ٣٧٨ وما بعدها ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٢ / ٥١٢ - ٥٢٣ .
- (٢٠) -ابن ماجة : سنن ابن ماجة ، ٢ / ١٢٢٣ ؛ البيهقي : السنن الكبرى ، ٨ / ١٦٨ ؛ الهيثمي : مجمع الزوائد
ومنبع الفوائد ، ١ / ٤٢ .
- (٢١) -الصنعاني : المصنف ، ٦ / ٥٧ ؛ النسائي : السنن الكبرى ، ٣ / ٤٣٤ ؛ أبي يعلي الموصلي : مسند أبي يعلي
، ٤ / ٢٩٨ .
- (٢٢) -ينظر ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ١ / ٣١٦-٣١٧ ؛ البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٩٣ .
- (٢٣) -ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ١ / ٣١٧ .
- (٢٤) -ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ١ / ٣١٧ . وينظر ابن هشام : السيرة النبوية ، ٤ / ٩٩٨ - ٩٩٩ ؛ الطبري : تاريخ ، ٢ /
٣٩٣ ؛ ابن سيد الناس : عيون الأثر ، ٢ / ٢٨٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٥ / ٦١ .
- (٢٥) -ينظر عنه أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، ١٧ / ٦٢ - ٦٩ .
- (٢٦) -ينظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ٤ / ٤٢٣ - ٤٢٩ ؛ السيرة النبوية ، ٣ / ٦٩٩ - ٧٠٩ ؛ الصالح الشامي
: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، ١٢ / ٧٠ - ٧١ .
- (٢٧) -ابن قتيبة الدينوري : الشعر والشعراء ، ١ / ١٥٣ - ١٥٥ ؛ ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، ٥ /
٤٤٤ .
- (٢٨) -ينظر ابن هشام : السيرة النبوية ، ٤ / ٩٨٥ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ١ / ٢٣ .
- (٢٩) -النيسابوري : أسباب نزول الآيات ، ص ٣٠٨ .
- (٣٠) -سورة النصر ، الآيات ١ ، ٢ ، ٣ .
- (٣١) -ينظر ابن هشام : السيرة النبوية ، ٤ / ٩٩٩ ؛ ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ١ / ٣٢١ ؛ الطبري : تاريخ الرسل
والملوك ، ٢ / ٣٩٩ ؛ ابن سيد الناس : عيون الأثر ، ٢ / ٢٨٥ .
- (٣٢) -ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٤ / ٢٨٢ .

عطايا وهبات النبي محمد (صلى الله عليه وآله) لعامة الناس وخوالصهم
أ.و. رحيم حلو محمد البهاولي

- (٣٣)- ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ١ / ٣٢٣ . وينظر ابن سيد الناس : عيون الأثر ، ٢ / ٣٠١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٥ / ١٠٨ .
- (٣٤)- ابن عبد البر النميري : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ١ / ١٣٣ .
- (٣٥)- ابن حبيب البغدادي : المحبر ، ص ٢٩١ ؛ ابن قتيبة : المعارف ، ص ٣٣٣ .
- (٣٦)- ابن هشام : السيرة النبوية ، ٤ / ١٠٠٦ .
- (٣٧)- ينظر عنه ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ٦ / ٢٢ - ٢٣ ؛ خليفة بن خياط : الطبقات ، ص ١٣١ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٢ / ٣٧ - ٤٣ .
- (٣٨)- ينظر ابن هشام : السيرة النبوية ، ٤ / ١٠٠٦ ؛ ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ١ / ٣٢٨ ؛ الصالحي الشامي : سبل الهدى والرشاد ، ٦ / ٢٧٦ .
- (٣٩)- ينظر ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ١ / ٣٢٨ ؛ ابن سيد الناس : عيون الأثر ، ٢ / ٢٩٣ ؛ ابن كثير : السيرة النبوية ، ٤ / ١٤٠ - ١٤١ .
- (٤٠)- ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ١ / ٣٢٩ - ٣٣٠ ؛ الطبري : تاريخ ، ٢ / ٣٨٣ - ٣٨٤ .
- (٤١)- ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ١ / ٣٣٠ . وينظر ابن سيد الناس : عيون الأثر ، ٢ / ٣١٠ .
- (٤٢)- ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ١ / ٣٣١ - ٣٣٢ .
- (٤٣)- ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ١ / ٣٣٢ - ٣٣٣ ؛ ابن سيد الناس : عيون الأثر ، ٢ / ٣١٧ .
- (٤٤)- ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ١ / ٣٣٨ - ٣٣٩ ؛ ابن سيد الناس : عيون الأثر ، ٢ / ٣١٦ ؛ الصالحي الشامي : سبل الهدى ، ٦ / ٣٩١ .
- (٤٥)- ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ١ / ٣٤٥ ؛ ابن سيد الناس : عيون الأثر ، ٢ / ٣١٩ ؛ الصالحي الشامي : سبل الهدى ، ٦ / ٣٩٠ .
- (٤٦)- ينظر مثلاً ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ١ / ٣٢٨ وما بعدها .
- (٤٧)- ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ٥ / ٤٥٤ .
- (٤٨)- ابن هشام : السيرة النبوية ، ٣ / ٨٢٩ .
- (٤٩)- ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ٥ / ٤٥٤ .
- (٥٠)- ابن هشام : السيرة النبوية ، ٣ / ٩٢٩ .
- (٥١)- ينظر ابن هشام : السيرة النبوية ، ٣ / ٩٢٩ - ٩٣٠ .

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

* ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣١ م) :

عطايا وهبات النبي محمد (صلى الله عليه وآله) لعامة الناس وخواصهم
أ.و. رحيم حلو محمد البهاولي
أ.و. توفيق وولاي الحجاج

- ٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، (نشر اسماعيليان . طهران / د.ت) .
- * ابن الأثير ، أبو السعادات المبارك بن محمد الشافعي (ت ٦٠٦ هـ / ١٢١٠ م) :
- ٣- النهاية في غريب الحديث ، (تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي ، ط ٤ ، مؤسسة اسماعيليان . قم / ١٢٦٤ م) .
- * البخاري ، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ / ٨٧١ م) :
- ٤- صحيح البخاري ، (دار الفكر - بيروت ، ١٤٠١ هـ) .
- * البلاذري ، يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٩٠١ م) :
- ٥- انساب الأشراف ، (تحقيق : أ.د. سهيل زكار ، د. رياض زركلي ، ط ١ ، دار الفكر - بيروت ، د . ت)
- ٦- فتوح البلدان ، (تحقيق : د. سهيل زكار ، ط ١ ، دار الفكر - بيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م) .
- * ابن بلبان ، علاء الدين علي بن بلبان (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٥٤ م) :
- ٧- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، (تحقيق : شعيب الارنؤوط ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة - قم ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م) .
- * البيهقي ، أبو بكر احمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م) :
- ٨- السنن الكبرى ، (دار الفكر - بيروت ، د . ت) .
- * جواد علي (الدكتور) :
- ٩- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، (ط ١ ، آوند دانش للطباعة والنشر ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م)
- * ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) :
- ١٠- صفة الصفوة ، (ط ١ ، دار الجيل - بيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م) .
- * الجوهرى ، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣ هـ / ١٠٠٨ م) :
- ١١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، (تحقيق : احمد عبد الغفور عطار ، ط ٤ ، دار العلم للملايين - بيروت ، ١٤٠٧ هـ) .
- * ابن حبيب ، محمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥ هـ / ٨٥٠ م) :

١٢- المحبر ، (تصحيح : د. ايلز ليختن شتيز ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن ، ١٩٤٢ م) .

* ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) :

١٣- الإصابة في تمييز الصحابة ، (تحقيق : الشيخ عادل احمد عبد الموجود ، ط ١ ، دار الكتب العلمية - بيروت / ١٤١٥ هـ) .

* ابن حنبل ، أبو عبد الله احمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م) :

١٤- المسند ، (دار صادر - بيروت / د . ت) .

* ابن خياط ، خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٥ م) :

١٥- طبقات خليفة بن خياط ، (تحقيق : سهيل زكار ، دار الفكر - بيروت / ١٤١٤ هـ) .

* أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ / ٨٩٠ م) :

١٦- سنن أبي داود ، (تحقيق : سعيد محمد اللحام ، ط ١ ، دار الفكر - بيروت ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م)

* الدميري ، محمد بن موسى بن عيسى (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) :

١٧- حياة الحيوان الكبرى ، (ط ١ ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - بيروت ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م)

* الذهبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) :

١٨- سير أعلام النبلاء ، (تحقيق : نخبة من الباحثين ، ط ٩ ، مؤسسة الرسالة. بيروت ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م) .

* ابن سعد ، محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م) :

١٩- الطبقات الكبرى ، (دار صادر . بيروت / د . ت) .

* ابن سيد الناس ، أبو الفتح محمد بن محمد بن احمد اليعمري (ت ٧٣٤ هـ / ١٣٣٤ م) :

٢٠- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، (مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر - بيروت ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م) .

* الصالحي الشامي ، محمد بن يوسف (ت ٩٤٢ هـ / ١٥٣٦ م) :

٢١- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، (تحقيق : الشيخ عادل احمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، ط ١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م) .

- * الصنعاني ، ابي بكر عبد الرزاق (ت ٢١١ هـ / ٨٢٦ م) :
٢٢- المصنف ، (تحقيق : حبيب الرحمن الاعظمي ، المجلس العلمي ، د . ت .) .
* الطبراني ، سليمان بن احمد بن أيوب (ت ٣٦٠ هـ / ٩٧١ م) :
٢٣- الأحاديث الطوال ، (تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط ١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م) .
٢٤- المعجم الأوسط ، (تحقيق : إبراهيم الحسني ، دار الحرمين ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م) .
٢٥- المعجم الكبير ، (تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، ط ٢ ، مكتبة ابن تيمية - القاهرة ، د.ت.) .
* الطبرسي ، أبو نصر الحسن بن الفضل (ت ٥٤٨ هـ / ١١٦٣ م) :
٢٦- مكارم الأخلاق ، (ط ٦ ، منشورات الشريف الرضي ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م) .
* الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) :
٢٧- تاريخ الرسل والملوك ، (تحقيق : نخبة من العلماء الأجلاء ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت / د.ت.) .
* ابن عساكر ، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م) :
٢٨- تاريخ دمشق الكبير ، (تحقيق : علي شيري ، دار الفكر . بيروت ، ١٤١٥ هـ) .
* أبو الفرج الأصفهاني ، علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م) :
٢٩- الأغاني ، (تحقيق : د . يوسف البقاعي ، غريد الشيخ ، ط ١ ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - بيروت ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م) .
* ابن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ / ٨٩٠ م)
٣٠- الشعر والشعراء ، (تحقيق : احمد محمد شاكر ، دار الحديث - القاهرة ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م) .
٣١- المعارف ، (ط ٢ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) .
* ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م) :
٣٢- البداية والنهاية ، (تحقيق : علي شيري ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت / ١٤٠٨ هـ)
٣٣- السيرة النبوية ، (تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، ط ١ ، دار المعرفة - بيروت / ١٣٩٦ هـ) .
* ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ / ٨٩٠ م) :
٣٤- سنن ابن ماجة ، (تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر - بيروت ، د . ت .) .

- * المتقي الهندي ، علاء الدين بن علي (ت ٩٧٥ هـ / ١٥٦٨ م) :
- ٣٥- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، (تحقيق : الشيخ بكري حياني ، والشيخ صفوة السقا ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م) .
- * المجلسي ، محمد باقر (ت ١١١١ هـ / ١٧٠٠ م) :
- ٣٦- بحار الأنوار ، (مؤسسة الوفاء - بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) .
- * مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١ هـ / ٨٧٥ م) :
- ٣٧- صحيح مسلم ، (دار الفكر - بيروت / د . ت) .
- * ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ / ١٣١٢ م) :
- ٣٨- لسان العرب ، (نشر أدب الحوزة . قم / ١٤٠٥ هـ) .
- * النسائي ، أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣ هـ / ٩١٧ م) :
- ٣٩- السنن الكبرى ، (تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن ، ط ١ ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م) .
- * ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك (ت ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م) :
- ٤٠- السيرة النبوية ، (تحقيق : سهيل زكار ، ط ١ ، دار الفكر - بيروت ، ١٩٩٢ م) .
- * الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م) :
- ٤١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، (دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) .
- ٤٢- موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان ، (تحقيق : محمد عبد الرزاق حمزة ، دار الكتب العلمية - بيروت ، د . ت) .
- * الواحدي النيسابوري ، أبو الحسن علي بن احمد (ت ٤٦٨ هـ / ١٠٨٣ م) :
- ٤٣- أسباب نزول الآيات ، (مؤسسة الحلبي - القاهرة ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م) .
- * ياقوت الحموي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) :
- ٤٤- معجم البلدان ، (دار إحياء التراث العربي . بيروت / د . ت) .
- * أبو يعلي الموصلي ، احمد بن علي بن المثنى (ت ٣٠٧ هـ / ٩٢٢ م) :
- ٤٥- مسند أبو يعلي الموصلي (تحقيق : حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث - دمشق ، د . ت)

نظام التبني في بلاد الرافدين ومصر (١٩٣٠-٢٠٠٠ ق م) دراسة مقارنة

ا.م.د. بدرية عبد الله الهزاني

كلية الاداب - جامعة الملك سعود/ المملكة العربية السعودية

الملخص

يقدم البحث دراسة عن نشأة نظام التبني في منطقة الشرق الأدنى القديم وظروف ذلك مع مقارنة لأوضاع التبني في بلاد الرافدين ومصر، وكيف تمكنت مجتمعاتهما من سن تشريعات، وقوانين لتنظيم أوضاعها، وقد سبقت بلاد الرافدين بقية أقاليم الشرق الأدنى في سن القوانين التي تناولت أحوال المجتمع، عامة والاحوال الشخصية على وجه الخصوص فيما يتعلق بالابناء انجابا وتبنايا حيث اتسمت تلك القوانين بالتطور التدريجي منذ عصر الإحياء السومري؛ وبلغت الذروة في قوانين حمورابي، الملك البابلي الشهير، وتوقفت عنده، وفي المقابل لم تقدم مصر قوانين مماثلة بل ان مايرد من تنظيمات حول التبني كانت اشبه بعرف سائد متفق عليه حيث لا تتوفر في مصر قوانين مكتوبة مماثلة خاصة بالتبني التي تأثرت الى حد واضح بقوانين بلاد الرافدين مع بعض الاختلافات، وخاصة في الالف الأول قبل الميلاد نتيجة لحكمها من قبل عناصر أجنبية تمثلت في الفرس والاعريق.

The adoption system in Mesopotamia and Egypt (1930–300 B C)

A comparative Study

Dr.Badrih Abdulah Al Hazani

College of Arts – King Saud University/ Kingdom of Saudi Arabia

Abstract:

The research presents a study on the emergence of the adoption system in the ancient Near East region and the circumstances of that with a comparison of the conditions of adoption in Mesopotamia and Egypt, and how their societies were able to enact legislation and laws to regulate their conditions. Mesopotamia preceded the rest of the Near East regions in enacting laws that dealt with the conditions of society. In general, and personal status in particular, with regard to children, whether they have children or adoption, as these laws have been characterized by a gradual development since the era of the Sumerian revival; It reached its climax in the laws of Hammurabi, the famous Babylonian king, and stopped with him. On the other hand, Egypt did not present similar laws. Rather, the regulations regarding adoption were similar to an agreed upon custom, as there are no similar written laws related to adoption in Egypt, which were clearly affected by the laws of other countries. Mesopotamia with some differences, especially in the first millennium BC as a result of its rule by foreign elements represented in the Persians and Greeks..

مشكلة البحث

تتبدى مشكلة البحث في اكثر من جانب منها: ان القوانين والتشريعات الرافدية التي عنيت بموضوع التبني كجانب من الأحوال الشخصية قد توقفت عند قانون حمورابي، ولم تتطور في العصور التي تلتها، وفي المقابل فان مصر لم تؤسس لقوانين تعنى بالتبني على غرار بلاد الرافدين، وماكان موجودا من حالات لتبني أوردتها بعض البرديات مثل بردية اشموليان كانت ضمن اعراف قائمة، ولم تكن في إطار قوانين مكتوبة ومنظمة.

اهداف البحث

يهدف البحث الى التعرف على بدايات نشأة نظام التبني في منطقة الشرق الأدنى في دراسة مقارنة لهذا النظام في كل من بلاد الرافدين ومصر باعتبار وضوحه فيهما، وكبف اسهم هذا النظام في دعم الحياة الاجتماعية والاقتصادية فيهما، وهل استمدت قوانين التبني العالمية بعض من أنظمتها من تلك القوانين؟.

تساؤلات البحث:

متى نشأ نظام التبني وهل جاء نتيجة لحاجة المجتمع وخاصة بعد العصر السومري الذي ظهرت فيه تشريعات لم تتناول التبني، وهل التبني الذي وضعت قوانينه في العصر البابلي القديم- حمورابي-، وقبله تشريعات اشنونا ولبت عشتار وكلاهما ممالك امورية وليست سومرية كان نتيجة لسيادة الفكر الابوي؟ وهل أنظمة التبني في بلاد الرافدين ومصر كانت عادلة لكلا الطرفين، وهل استقادت مصر من نظام التبني في بلاد الرافدين باعتبار اسبقيتها في وضعه في ظل معرفتنا بالتواصل الحضاري العميق بينهما منذ فترة مبكرة من تاريخهما.

منهجية البحث

يعتمد البحث المنهج التاريخي الاستعراضي القائم على جمع الأدلة، ثم تحليلها للخروج بنتائجها

الكلمات المفتاحية

التبني، القوانين، العقوبات، الإرث، أغراض التبني

المقدمة:

يمثل إنجاب الأطفال والعناية بهم عملا اجتماعيا قائما منذ نشأة البشرية، وهو غريزة إنسانية تسهم في استمرار الحياة على وجه الأرض، وفي حالة الحرمان من الانجاب لاسباب مختلفة سعى الانسان الى إتخاذ أبناء له، ونتوقع ان البداية كانت باحتضان أطفال الأقارب، قبل ان يتحول الى تبني أطفال خارج نطاق الاسرة، على اعتبار ان التبني يدعم امتداد الاسرة، ويضمن لها وريث. وقد زاد الاقبال عليه، واصبح احد الظواهر الاجتماعية التي عرفتها المجتمعات القديمة وتعددت اغراضه مما أدى الى تقنينه، وتنظيم احواله بما يضمن حقوق طرفي الاتفاق. وكانت بلاد الرافدين السبّاقة الى وضع هذا النظام، وسن الشرائع والقوانين التي تكفل تلك الحقوق ويتطور تدريجي، قبل أن يعرف في مصر وبقية مناطق الشرق الأدنى. وهو إن كان ثابتا في جوهره، فإنه كان مختلفا في بعض تفاصيله بينهما وفقا للأعراف السائدة في كل إقليم من جهة، ومن جهة اخرى في بدايات ظهوره، ودخول اطراف، وخروج أخرى ضمن هذا النظام، والاستفادة من منافعه، أو التحايل عليه. ولان القوانين التي نظمت التبني لم تظهر في الشرق- بلاد الرافدين الا في الالف الثاني قبل الميلاد فنتوقع ان الأطفال الايتام، او اللقطاء قد تم استرقاقهم وتحويلهم الى عبيد قبل ان تتغير المفاهيم الاجتماعية الى قبول احتضان طفل غريب عن الاسرة. ولقد كتب سكان بلاد الرافدين قوانينهم وطورها اجتماعيا، وكان التبني احد مظاهرها، وأما في مصر فقد كان تبني طفل غريب ووريث ممارسة تقليدية أوردتها القرآن الكريم { عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا }

المفهوم العام للتبني-Marutum

هناك العديد من الآراء حول مفهوم ومعنى التبني، والتي يمكن اجمالها في تعريف شامل هو: أنه نظام او عقد يقصد به إقامة علاقة بنوة مصطنعة بين شخصين احدهما المتبني والآخر المتبني، من اجل ترتيب علاقة أسرية مماثلة بين المتبني والمتبني، من خلال ادخال شخص او اشخاص غير مرتبطين بالدم الى الاسرة الاصلية^(١) ويتم ذلك من خلال عقد قانوني ينص على اتفاق طرفي العقد على العلاقة الجديدة التي تربطهما وتضمن هذه العلاقة حقوقا وواجبات

لكلا الطرفين. ويترتب على المتبني ان يمنح المتبني الحق في الانتماء الى اسرته ويكتسب ما لأعضاء الاسرة من حقوق، ويتحمل ما عليهم من واجبات والتزامات، وبفرض هذا النظام تنفيذ عدد من الإجراءات القانونية حيث يتم نقل الاطفال من ابائهم الطبيعيين الى آباء آخرين، وذلك لتأسيس عائلة، وقد اسهم هذا بتوفير الأبناء للأسر المحرومة من الانجاب وكان يحق لأي شخص ان يتبنى طفلاً أو أكثر من الاطفال او البالغين ذكورا وإناثا، مع اكتساب المتبني جميع الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها الولد الطبيعي او الحقيقي شريطة ألا يؤدي هذا الى حرمان الاولاد الحقيقيين من حقوقهم الشرعية.

القواعد العامة للتبني :

كان التبني في بداياته يتم وفقا لعقود دون وجود قواعد قانونية تبين شرعية هذا النظام ، إلا أن الوضع تغير في عهد الملك حمورابي(١٧٩٢-١٧٥٠ ق م) الذي وضعه ضمن تشريع قائم بخلاف ما كان سابقا حيث لا يحصل المتبني على حقوق إلا ما نص عليه العقد فقط ،ولكن بوجود النظام في هذا القانون، اصبح هناك قواعد قانونية تنتظم فيه حقوق وواجبات المتبنيين حتى وإن لم يتضمنها العقد الموقع بين الطرفين^(٢)

لم يكن لنظام التبني احكاما ثابتة بل يختلف من حالة الى أخرى، وكان يحق للفرد أن يتبنى عدد غير محدود من الأطفال بموجب عقد مدون يمنح فيه المتبني اسمه للمتبني بإعتباره واحدا من أفراد الاسرة، مع ضمان حقه بالاتفاق مع الوالدين الحقيقيين للمتبني مع ذكر جميع مبالغ الهدايا مقابل التبني، ولم يقتصر التبني على الاحرار وحسب بل شمل العبيد أيضا، حيث لا تختلف الصيغ القانونية لعقد التبني عن الاحرار سوى في إغفال اسم ابوي العبد نظرا لعدم وجودهما، كما شملت هذه العقود اللقطاء أيضا^(٣) مما يرجح معه ان تبني اللقطاء والعبيد كان امرا معروفا.

وتتم إجراءات التبني بين الاهل الجدد- الاب والام- وبين ذوي الطفل المتبني وعادة يكون الاب أو السيد ان لم يكن المتبني حرا، أو الشخص المسؤول في حالة كان الطفل يتيما أو لقيطا، أو مع المتبني ذاته إن لم يكن له اسرة ، ونرى انه هنا كان بالغا وقادرا على اتخاذ

القرار، ويتم تسجيل ذلك في عقد عند كاتب رسمي في لوح اعتماد وعليه شهود، ثم يختم العقد^(٤)، ويتضمن العقد اسم الوالدين الحقيقيين للطفل، واسم المتبني، واسم الطفل منسوبا للمتبني، وخاصة في ظل عدم وجود ابن للمتبني حيث يعتبر هذا الطفل الابن الأكبر أو الوريث الرئيس^(٥)

وتكون للمتبني نفس حقوق الإرث للأولاد الشرعيين حتى لو رزق المتبني اولادا فيما بعد^(٦) وتعادل ثلث حقوق الطفل الطبيعي المنقولة فقط- ولكن لا يحق له الأموال غير المنقولة كالأراضي والممتلكات من منازل وحقول^(٧) وقد يترك المتوفي وثيقة تشبه الوصية يخصص بموجبها جانبا من ممتلكاته لأحدى زوجاته أو لابنه المفضل وربما لابنه بالتبني فيقطع الجزء المذكور في الوثيقة أولا ثم يقسم الباقي بالتساوي بين الورثة^(٨) وفي المقابل يفقد المتبني كل حقوقه المادية في إرث أسرته الأصلية^(٩)

لم يفرق القانون الرافدي على الأقل في قوانين حمورابي ما بين الاولاد الطبيعيين والمتبنيين في احقيتهم في الإرث ضمن حصص متساوية مع وجود حصة إضافية أحيانا للابن البكر- كما هو الوضع في مصر، وقد ورد هذا دائما على شكل هبات ومنح لا تصنف ضمن الحصص عند توزيع الإرث^(١٠) وفي حالة كان المتبني احد أبناء الجارية أو المحظية فالعقد يتضمن عدم منازعة الأبناء الشرعيين له في الإرث^(١١) وهنا تتفق أنظمة التبني بين مصر وبلاد الرافدين حيث يمنح الابن المتبني حصة تعادل اخوته -أبناء المتوفى الشرعيين- بإعتباره الابن الأكبر حيث ورد في احدى الوثائق " يبقى Gimil-ili وريثهم الأكبر مهما حصل أبوه - Samas-Musteser ، و Kinuunitum أمه على عشرة أولاد آخرين"^(١٢) وفي حالة وجود زوجتين يتم تقسيم التركة بالتساوي ويحصل الجيل الأول على الثلثين في حين يتقاسم بقية

الأطفال ممتلكات والدتهم وليس لهم الحق في مشاركة زوجة الاب في مالها^(١٣) وهذا امر مفهوم أما الابن المتبنى والذي يتخلى عنه والده بالتبني بعد انجابه لأطفال فان قانون حمورابي وضع مادة تجبر الاب المتبنى على تعويضه كما ورد في المادة (١٩١) الا انه لا يرث الأموال غير المنقولة^(١٤) لأنها تعتبر من أملاك العائلة وهي ليست عائلته وهذا امر منطقي وعادل فحصوله عليها او على جزء منها يعني حرمان الورثة الأصليين الا حق بها منها، ويستثنى من ذلك في حالة لم يكن للمتوفى أي أبناء او ورثة فيحصل الابن المتبنى على كامل ممتلكات متبنيه رغم ان القوانين لم تشر الى هذه الحالة بوضوح

ولا يمنح القانون البابلي الأبناء المنجبون في هذه الحالة أي شرعية ولا يرثون الا من خلال التبني - فهم لا يحملون اسم والدهم الا بالتبني حتى يستحقون الإرث.؛ فالورثة هم أبناء الزوجة المختارة فقط^(١٥)، وهو قانون غريب يحرم أصحاب الحق الأصليين في الإرث.

ومن المثير للغرابة انه في بعض حالات التبني كانت هناك فترة تجريبية ربما يتراجع بعدها المتبنى عن رغبته بالتبني ، لذلك فإن ابرام العقد بين الطرفين يمثل صيغة قانونية لا يحق بعد ابرامها لاحد منهما الرجوع عنها، والا سيتحمل الطرف البادئ تبعات نقض الاتفاق - وهذا امر مشابه لما تحتويه العقود الحالية بشروط جزائية- كما يحق للابن المقرر تبنيه التحلي عن الذي تبناه اذا تأخر المتبنى عن ابرام العقد أو تردد في اعلان ابوته له والتي تتيح للابن المبني حق الإرث في ممتلكات متبنيه مستقبلا^(١٦) ويستطيع المتبنى ان ينهي عقد التبني حسب رغبته ويعود المتبنى الى عائلته^(١٧) ، وقد يتسبب هذا في اثار نفسية على المتبنى؛ خاصة اذا كانت عملية التبني قديمة أي ان المتبنى قد عاش وفقا لنظام معيشي معين،

ويرتبط بالتبني ضرورة وجود مرضعات أمهات اطفال مع الطفل الرضيع الذي يتم تبنيه، وفي حالة وفاة الام بعد الانجاب تبرز الحاجة الى مرضعة أيضا، لذلك تلزم القوانين - وخاصة قانون حمورابي- المرضعة سلامة صحتها لأنه اذا مات الرضيع على ثديها خلال فترة رضاعتها، وأذا تعاقدت في نفس الوقت على رضاعة طفل آخر دون أن تخبر والديه بوفاة

الطفل السابق يعتبر عملها جرماً تعاقب عليه بقطع ثديها مما يمنعها من الرضاعة مستقبلاً^(١٨) ونستبعد أن يكون المقصود قطع الثدي أو استئصاله، بل ربما قطع جزء منه كالحلمة مثلاً، أو إحداث ضرر يمنعها من الإرضاع مستقبلاً، وأيضاً إذا تبني رجل طفلاً رضيعاً يبقى الطفل تحت التجربة فإن تكيف مع الأسرة الجديدة فسيبقى مع متبنيه، أما إذا أراد أمه فعلى الرجل أن يعيده لأمه، ولا يتحمل الطفل تبعات قانونية^(١٩)

دوافع واغراض التبني:

الواضح انه لا تختلف كثيرا اسباب ودوافع التبني في بلاد الرافدين عنها في مصر وبشكل عام يمكن اجمالها في الاتي:

١- عدم قدرة الزوجين أو أحدهم على الانجاب وقد أتاح التبني لمن كانوا محرومين من الانجاب بشكل طبيعي، الحصول على أطفال. حيث يحمل الطفل المتبنى اسم الرجل والعائلة أيضاً وهذا ما يعرف بمبدأ الاسم، وكان للمصريين نفس المفهوم باعتبار ان الاسم هو شريك للشئ في طبيعته الأساسية، وان لم ينجب طفلاً يتبنى طفل ليوثره املاكه واسمه أيضاً^(٢٠)

٢- بعض الفئات الاجتماعية المحرومة من الانجاب؛ ففي بلاد الرافدين هناك فئتين من الكاهنات هن: أنتو-Entu، ناديتو-Naditu حيث لا يمكن الحق في الانجاب إضافة الى العاملين في القصور الملكية؛ لذا منح قانون حمورابي أولئك العاملين من الاماء والعبيد الحق بتبني أطفال للعناية بهم ومساعدتهم عند شيخوختهم واعطتهم القوانين الحق في عقوبة أبنائهم أولئك بقطع اللسان أو فقئ العين.^(٢١) وتتناسب هذه العقوبة مع مكانتهم الاجتماعية بحكم اطلاعهم على شؤون القصر.

٣- اتخاذ طفل كوريث للأسرة وفي هذه الحالة يقوم الزوجان بشراء طفل من ابويه وتبنيه واعتباره الوريث الشرعي لهما، من خلال تحرير عقد خاص يتم فيه توضيح حقوق الطفل المتبنى. كما أنه يمكن تبني الأطفال اليتام، او ممن لا يزال أحد ابائهم على قيد الحياة ذكورا واناثا، احرارا

كانوا أم عبيدا ، ويحق للرجال والنساء عزاب كانوا أومتزوجين التبني ، ولايشترط وجود اولاد لهما^(٢٢). ذلك أن التبني كان الوسيلة الوحيدة للحصول على وريث، لمن أراد منع حصول اشقائه على ممتلكاته ، او لقطع الطريق على الوريث الوحيد لصاحب التركة، ووفقا لvan Blerk فإن التبني هو وسيلة لتغيير العرف السائد المتمثل في الخلافة دون وصية وإنهاء حق الاخوة في الميراث^(٢٣) - وهو مشابه لماورد في الفقه الإسلامي " لا وصية لوارث" -وهنا يشترك كل من بلاد الرافدين ومصر في هذا الجانب.

٤- الدوافع الدينية للتبني المتمثلة في إكرام الأبناء لوالديهم، وتأدية كافة الطقوس الدينية اللازمة عند وفاتهم^(٢٤) حيث كانت المهمة تقع على عاتق الابن الأكبر، أو أي من الأبناء الآخرين من إقامة مراسيم الدفن، وما يتلوهها من طقوس إذ ورد في أحد النصوص المصرية "ليباني من أجل والدك وامك الذين يستريحون في الوادي ، للطفل الذي دفن حق الإرث"، " انا ابنهم البكر، وريثهم لقد دفنتهم في المقبرة" ^(٢٥) . كما ذكر وجود الوريث الذكر الذي يصب الزيت او يقوم بتقديمه -Aplutum، ، وكذا الوريثة التي تصب الزيت لوالدها أي تقوم بطقوس الدفن لأبيها؛ إذ وردت في السومرية كلمة Dumus-Sal بمعنى بنت، وفي الاكدية--Martum- وفي المادة الثانية من تشريعات الملك أبي- مدار خليفة لبنت عشتار "إذا توفي رجل ولم يخلف اولادا فأبنته العازبة سوف تحصل على ميراثه" وورد أيضا ان هناك بعض الفتيات كن يقمن بهذه الطقوس فقد ورد في نص يعود الى الملك جوديا-Gudea-(٢١٤٤-٢١٢٤ ق م) " أنه في حالة غياب الأولاد فإن بإمكان البنات تأدية الطقوس الدينية عن الاسلاف"^(٢٦)

وهذا الوريث سواء أكان ابنا شرعيا او متبنى يقع عليه عبء القيام بالشعائر الدينية وتقديم القرابين المفروضة على أرواح والديه بعد وفاتهما، وهنا الرغبة في وجود من يتولى تقديم الطعام للميت وإقامة الشعائر الجنائزية لروح الميت^(٢٧) وقد تضمن أحد العقود انه في حالة وفاة الام المتبنية سوف تقدم قربان من اجلها^(٢٨) فبعض العقود اشترطت على الابن المتبنى أن

ينفذ الطقوس والمراسيم الدينية اللازمة على روح متبنيه بعد وفاته^(٢٩) ولقد اشير في احدى نصوص التبني البابلية المتضمنة شرطا من المتبنية على المتبناة بأن تلتزم باحترامها في حياتها وتؤدي شعائر سكب الماء لوحها بعد وفاتها^(٣٠) وفي نقوش لقبور إذا لم يكمل الأبناء واجباتهم فقدوا جميع حقوقهم في الميراث امام القضاء^(٣١)، ويتصل بهذا الجانب عادة تقديم النذور، إذ كان البعض يندرون انفسهم أو احد من أبنائهم أو بناتهم لخدمة الآلهة، أو يتبنوا طفلة من أهلها ويتم الاشتراط في عقد التبني انها ستكون للخدمة في أحد المعابد ، وورد في نص بابلي من سيبار " تم تحرير أمة من قبل سيدتها ثم اهدتها للاله شمش وأيا"^(٣٢)

٥- تبني الأطفال او البالغين لمساعدة أهلهم بالتبني اثناء مرحلة الشيخوخة؛ إذ كان كبار السن أيضا يتبنون رجلا او امرأة لمساعدتهم و تجهيز كل ما يحتاجون اليه^(٣٣) فقد منحهم القانون الحق في الحصول على مساعدين لهم يقومون على خدمتهم، وينجزون لهم أعمالهم خصوص اذا كان بعضهم حرفيا فيتولى ابنه بالتبني تسيير اعماله، إضافة الى السهر على راحتهم وتوفير أسباب المعيشة لهم عند العجز أو الشيخوخة حيث تمثل الاسباب الاقتصادية دافعا مهما للتبني؛ خاصة في مجتمع يقوم على اليد العاملة^(٣٤) ونتوقع أن اغلب الحالات التبني كانت لبالغين مما يوضح رغبة المتبنون في الحصول على ايدي عاملة لمساعدتهم في أعمالهم التجارية والحرفية وخاصة عند بلوغ المتبني الكبر^(٣٥) وهذا مايمكننا أن نسميه بالتبني غير المكتمل- ولقد حرص حمورابي على تنظيم حالة التبني للحرفيين ليضمن الاستقرار للعمل الحرفي كجانب اقتصادي مهم للدولة^(٣٦)

٦-- ويتصل هذا الهدف بما سبقه إذ يتم التبني لمعالجة الفقر لدى عدد من الاسر التي تقوم ببيع أبنائها لعجزهم عن الانفاق عليهم وحتى لا يتم بيعهم كعبيد ونتوقع ان الاهل كانوا يعرضون أبنائهم على الاسر الغنية بغرض تبنيهم افضل من بيعهم ، وذلك للامتيازات التي تمنح

للأطفال المتبنين او حتى البالغين. من قبل الاسر المتبنية، او نظرا لعدم قدرة اسرهم في توفير مستلزمات العيش لجميع الابناء فتضطر الاسرة للموافقة على أي طلب يتقدم به رجل لتبني احد أطفالهم . وهذه الحالات لاتزال موجودة الى اليوم وخاصة في مناطق الحروب او المجاعات- كما ان الطرف المتبني سيستفيد بإضافة ايدي عاملة محترفة الى عمله والى اسرته وهذه منافع متبادلة إذ ستستمر مهنتهم ويحصلون على دعم بشري في شيخوختهم، وقد نص قانون حمورابي (المواد ١٨٨-١٨٩) على حق الابن المتبني بالعودة الى بيت ابويه الحقيقيين إن لم يقم ابوه بالتبني بتعليمه حرفته.^(٣٧)

٧- التبني بغرض بيع وشراء الأراضي التي لا يمكن نقل ملكيتها، وقد عُرف في منطقة نوزي- غرب كركوك- حيث انتشر النظام الاقطاعي، وسُمي هذا النوع بالتبني لغرض البيع- Sale Adoption وهو تحايل على القانون السائد، وظهر في مملكة ماري أيضا؛ إذ ربما انتقل اليها من شمال بلاد الرافدين نظرا لقرب المنطقتين من بعضهما- وكان الهدف منه التحايل على منع البيع في بعض الحالات ومنها املاك الدولة التي يمنع نقل ملكيتها؛ أو لكونها ملكية عائلية يُحرم نقلها خارج الاسرة^(٣٨) إذ يعمد أصحاب تلك الأراضي او المشرفين عليها الى التفاوض مع المشتري حول مساحة الأرض وتحديد سعرها ثم البيع على شكل تبني حيث يذكر البائع أنه قد تبني المشتري مع ذكر تفاصيل حصة المشتري من ميراث البائع وانه - المشتري- قد قدم هدية الى البائع وبهذا الشكل تنتقل الاملاك من عائلة الى أخرى^(٣٩) ولقد مارس عبيد نوزي التبني المزور مثل الاحرار وذلك للحصول على الثروات المحظور بيعها لهم^(٤٠) ورغم الفارق في الهدف الا انا نجد مشابها له في تبني الرجل لزوجته واهدائها املاكه الذي عرف في مصر كنوع من التبني

٨- لم يقتصر التبني على البنين فقط بل شمل البنات أيضا وعرف بالتبني لغاية--ahat tut-kallatu- وذلك لتصبح اختا او كنة وتفسير هذا النوع من التبني الذي ظهر في الوثائق العائدة الى العصر البابلي القديم والاشوري الوسيط بأن يتخذ الاب المتبني له ابنة بقصد

تزوجها لابنه^(٤١) أو أن يتم تبني البنات من أجل رعاية كبار السن، وإذا كن كبارا بما يكفي ليمكنوا من الموافقة على عملية التبني، أو أن والديهم أو الاوصياء عليهم في حالة كونهم أطفال يتولون توقيع عقود التبني نيابة عنهم ويتم تبنيهم بإرادتهم كإبنة وكنة مما يجعلنا نطرح تساؤلا مهما هل تم تبني الذكور في بلاد الرافدين كأزواج للبنات أم أن الأمر قد اقتصر فقط على البنات فقط؟ وهو الواقع كما يظهر من خلال الوثائق المتاحة. وكان للمتبنون الحق في تزويج من تبوهم وخاصة الفتيات بمن يشاؤون حتى وان كانوا ارقاء-^(٤٢) ونفترض هنا أن أولئك الفتيات كن لقيطات أي لا أسر لهن. أو أنهن من الإماء.

٩- هناك عائلات لديها أطفال طبيعيين الا انها تبنت أطفال لأشراكهم في الإرث، وهي حالات استثنائية فقد تبني رجل لديه خمسة أطفال تبني طفلا سادسا^(٤٣) كما يمكن للعبد أن يتبنى زوجة سيده، كما تبني عبد آخر ارملة وأحد أبنائها كإبن أو ابنة له^(٤٤) ويمكن للرجل غير القادر على الانجاب ان يحصل على أطفال من خلال إتخاذ أمة أو جارية تتجب له أطفا ل، أو ان يتبنى له طفل أو أكثر ويحتفظ بزوجه الاولى^(٤٥)

صيغ التبني:

لم تتوفر عقود تبني واضحة في مصر لذا ستكون الصيغ الخاصة بالتبني مقتصرة على بلاد الرافدين، حيث تم ترتيب عقود التبني فيها بصيغ تتضمن جميع اطراف العقد، مع ذكر التاريخ، والعقوبات المفروضة على طرفي العقد الرئيسيين، ونتوقع ان مصر قد استستخت جزءا من هذه الأساليب في مدوناتها القانونية المتأثرة ببلاد الرافدين وخاصة قانون حمورابي ومن تلك الصيغ الواردة في كل العقود تقريبا:

- هوية المتبني: وقد وردت عدة مفردات في تلك العقود كان الغرض منها تحديد هوية وشخصية المتبني (رضيعة، صبية، غلام) حيث تم استخدام مفردات سومرية أو أكديّة ومنها:

مفردة الابنة الصغيرة بالسومرية-Muns. Tur- والآكدية-Sehrtu- Sehrtu- وتعني الصبية
وعبارة أخرى بالسومرية هي الرضيعة-Muns-Ai Turra- وهذا يعني ان هناك عقود تبني
لطفلات في سن الرضاعة أي اقل من ثلاثة أعوام، واما الأولاد او البنين فيرد وصف غلام
اوصبي-Sihiru- Suhāru-

- يتبع اسم المتبنى مفردة -Mu. Ni. In- و يقابلها في الآكدية-Su- Sum-، تتلوا اسم
المتبنى في كل العقود تقريبا وتعني اسمه، ونعتقد ان المقصود بها هو تحديد الاسم الجديد
للمتبنى حيث يتم تغيير اسمه القديم الى اسم يراه المتبني مناسباً، ومرتبياً باسمه.

- ذكر اسم والدي الطفلة المتبنى وذلك من خلال إيراد مفردتي -Abi-Šu\Sa- أي ابوه
وابوها ، كذا مفردة-Ummi-Šu\Sa- الي تعني أمهاه ، ويتلوها اسم الشخص المتبني
واسم زوجته في بعض العقود

-يتم ذكر فعل التبني-I-na. Marutim. Ilqima- تبني ، وفي السومرية بمعنى استلم- Šu.
Ba-An.Ti-^(٤٦)

تتكون شروط التبني البابلي القديم من جانبين : اعلان رسمي بحالة التبني، والتعبير الفعلي
للتبني والمقصود به تغيير الوضع القانوني لشخص المتبني^(٤٧)

كما يرد في عقود التبني نوعين من الصيغ هما ا- صيغة عقد-NAM- DUMU-NI-SU-
ويشير هذا النوع من الصيغ الى إعطاء المتبني الحق باستلام المتبني والاحتفاظ به كإبن في
المنزل مما يعني ان المتبني يحصل على حصة من الارث مماثلة لحصص ابناء المتبني.، ب-
النوع الاخر-NAM-IBILA-NI-SU- والتي تعني حق المتبني في الحصول على بعض الأموال
التي يخصصها له المتبني وفقاً للاتفاق المبرم بينهم، ولا تدخل هذا الأموال ضمن الإرث بل
تكون على سبيل الهدية، او ضمن وصية منصوص عليها^(٤٨)

تضمن عقد التبني صيغ التزام مثل :أن يتعهد المتبني بعدم ترك الطفل أو التخلي عنه لاي
سبب مادام ملتزماً بالاتفاق، وفي حالة اخلاله بأحد بنوده فإنه يتنازل- يتخلى- عن الممتلكات

المنصوص عليها في العقد ويعطي للطفل ضريبته، وفي أحيان قليلة تم دفع مبلغ من المال كتعويض. ومن الصيغ الواردة:

" ريش.... شمش أي كوبرتوم : لست ابنتي قال عن التبني والبيت والحقل يتنازل..."^(٤٩)

" الى لومور- ياني ويلييا- لستم ابنائي أنتم ، قالوا عن التبني والبيت والحقل يتنازل"

ولقد تم وضع صيغة للادعاء متضمنة شرطا جزائيا كان الهدف منه دفع مبلغ من المال ، حيث وضع الملك شرطا للحفاظ على الاتفاق وعدم الاخلال به نظرا لكثرة الشكاوى وخاصة حينما اصبح التبني حرفة، وعلى من يريد إقامة الدعوى أن يدفع مبلغا من المال متفقا عليه سلفا وهو (١ منا الفضة) وهو مبلغ لا يستهان به تجعل المشتكي يتردد في رفع الشكاوى، ولاختبار صدق الشاكي يتم كي اللسان بالنار:

أ-المدعي الذي يدعي يدفع ١ من الفضة سيزن

ب- المشتكي الى رجل المدينة ٢ فضة سيزن

ج- المدعي ٢ سيزن من الفضة ولسانه يلمس"

وان يحلف بحياة الإله أو الملك " باسم الإله تشياك وصلي سين اقسما، -Mu-Tišpak. Ū-silli-šīn-it-mu-u، " بحياة الاله مردوخ والملك حمورابي اقسما" ويتلوا ذلك أسماء الشهود واحيانا مشفوعين او متبوعين بذكر مهتهم وبعض اصنامهم، "بحضور بور- ادد ابن أمكور شمش الاسكافي"، ثم تاريخ كتابة العقد ويعني تدوين اهم حادثة وقعت في تلك السنة^(٥٠) اما صيغة القسم في العقد فهي لاضفاء الشرعية والقداسة على العقود، مع الزام المتعاقدين بشروط العقد امام عدد من الشهود الذين كانوا يضعون اختامهم الخاصة على تلك العقود مع ذكر تاريخ العقد وقد يستغنى عن ذلك، ويكتفى باسم الشهود الذين حضروا توقيع العقد ليصبح العقد بكل هذه الصيغ قانونيا^(٥١)

وهناك صك بدلا عن عقد التبني يترتب عليه حقوق مكتسبة تتضمن تعليم المتبني مهنة أو حرفة بالاتفاق مع والدي المتبني،^(٥٢) مما يوحي بأنه لم يكن يبقى مع متبنيه اي تبني غير مكتمل بل يمكننا ان نسميه عقد منفعة او تبادل منافع وتظهر في عقود التبني الاختلافات بين الحقوق والواجبات لطرفي العقد حسب حالتها الاجتماعية، ولاتذكر العقود المبالغ اتي يتم دفعها عادة الى والدي الأطفال المتبنين^(٥٣)

عقوبات المتبني:

تضمنت عقود التبني شروطا جزائية اضررت غالبا بالجانب الاضعف وهو الاطفال المتبنون حيث تتكون العقوبات غالبا جسدية او فاقدة للحرية، أو خسارة مادية؛ فيما كانت عقوبة المتبنين في صورة غرامات قد تكون كبيرة او صغيرة لكنها لاتمس أجسادهم، أو حرياتهم، ويشترك في تلك العقوبات الأبناء الطبيعيون والمتبنون، وإن كان عقاب الأبناء بالتبني اقسى وهذا امر مفهوم رغم اعتبارهم ابناء لمن تبينهم. ومن تلك العقوبات الحرمان من الإرث:

١- بما أن الابناء الذين تم تبنيهم بوجود آبائهم الحقيقي مستحقين للارث بعد اكتسابهم الشرعية بالتبني إلا انه مقابل ذلك يقطعون صلتهم بأبائهم الطبيعيين، وفي المقابل يعطي القانون الآباء بالتبني الحق في حرمان المتبني من الارث بعد ان يصدر قررا قضائيا بذلك في حالة امتناع المتبني عن أداء ما عليه من التزامات نتوقع انه تم تسجيلها في العقد، وفي حالة كونه بالغا ومدركا يتم إلغاء العقد، كما يتم إعادة العبيد مرة أخرى اذا فشلوا في تحقيق واجبات الأبناء ومن نماذج ذلك ما ورد في وثيقة تعود الى زمن الملك أبي-سين آخر ملوك سلالة أور الثالثة (١٩٦٣-١٩٤٠ ق م)

" إن حاليوم اوصت بتركها الى أمات شمش ابنتها المتبناة على ان تقوم بتقديم ما تحتاجه المتبنية من ملابس وزيت وغير ذلك وحيث ان الابنة عجزت عن الوفاء بما التزمت به فقد صدر قرار قضائي بحرمانها من التركة وفي وثيقة اخرى أن المتبني هجر امه الكاهنة ثلاث سنوات فعاقبته بحرمانه من تركتها بعد أن قاضته امام مجلس قضائي محلي مؤلف من

عشرين عضوا من شيوخ المدينة^(٥٤). وورد ذلك في احد عقود التبني " أن bquša قام بتبني كل من Ea-tairar و Ea-taram وقام بتوزيع كل تركته عليهما مقابل أن يعطياه سنويا ٢،٥ كارا^(٥٥) من الحبوب، ٣ منا^(٥٦) من الصوف، و ٣ قا من الزيت، وفي حالة عدم التزامهما فإنهما سوف يحرمان من الميراث، سوف يدفع كل من Ea-tairar و Ea-taram الى bquša، وان الوريث الذي لا يدفع سوف يحرم من الميراث"، وينكر أحد العقود أيضا أن رجلا ترك لابنته المتبناة كل ممتلكاته مقابل تنفيذها لبعض الواجبات التي نص عليها العقد " في حياتي انت تعطيني الطعام ، وعندما اموت تقدمين قرابين الدفن لأجلي"، وأيضا " عندما تقوم سيدة بتبني فتاة وترفض البنت تقديم الطعام والشراب لها فإن القضاة يقومون باستدعائها الى المعبد الكبير في سيبار، ويجري حرمانها من الميراث وتدمير اللوح المثبت فيه عقد التبني"^(٥٧) ورد في نص بابلي اكلداني يعود الى العام (٥٥٣ ق م) عن قيام" أم غوغوا بتقسيم ميراثها بين أبنائها ، وقد نال النصيب الأكثر من التركة ابنها الأكبر شريطة أن يعطي من تركته لأمه الطعام والمعيشة ، وإذا لم يفعل بالامتثال الى هذه الشروط فإنه لن يرث شيئا^(٥٨)

٢- ارتكاب الأبناء لاثم كبير بحق والديهم، ولا يتم المنع او الحرمان الا بعد عرض ذلك على القضاة الذي لايجد أحيانا أن هذا الحرمان مبررا كما ورد في المادة (١٦٨) من قانون حمورابي ، وفي المقابل فإن المادة (١٦٩) قد منحت القضاة الحق في معاقبة الابن بحرمانه من الإرث اذا رفض اصلاح خطئه او اصلاح نفسه.

٣- طرد الابن من البيت وحرمانه من الإرث في حالة " إذا وجد في حضن مربيته التي ولدت اولادا فيجب طرد هذا الرجل من بيت ابيه" كما نصت المادة (١٥٨) من قانون حمورابي^(٥٩)

٤- حرمان الولد المتبنى من الميراث إذا انكر والديه بالتبني: إذا قال المتبنى لمن تبنيه : انت لست ابي، úl abi atta lqabima-، أنت لست ابي-úl abi ummi attune lqabima- . فعليهم أن يحقوه-- ú-ga- la- bu-Šu-ma\، ويحقوها- Ši -ma^(٦٠) ويعطي منا من

الفضة- هنا عقوبة وغرامة أيضا إضافة الى الحرمان من الميراث، وفي قانون اشنونا اذا تناول الأبناء المتبنون ذكورا كانوا ام اناثا على ابائهم وامهاتهم يتم ضربهم وتقريعهم ، بل وبيعهم كعبيد حيث توسم جباههم كعبيد- أو قد تقص شعورهم وبياعون كعبيد في الأسواق، وهنا لدينا نوعان من العقوبة ففي الأولى: قص الشعر مع الغرامة وهي خاصة بالابناء الأحرار المتبنون فهم هنا لا يباعون كعبيد، أما العقوبة الأخرى التي تقضي بوسم جباههم بوسم نرى انه واضح فهي للعبيد الذين تم تحريرهم بتبنيهم لتكون عقوبة مناسبة لوضعهم الاجتماعي السابق ، وراعاة في الوقت نفسه لانهم لم يحافظوا على مكتسباتهم الجديدة.

٣- اذا كان التبني مرفقا بالتوريث وتكرر الابن المتبني لوالده فتوقع به عقوبة قاسية حيث يخسر المتبني البيت وجميع الأثاث والحقل وكل الثروة التي يتقاسمها مع الورثة الشرعيين ، بل ويدفع منا واحدا من الفضة في حالات أخرى- وهنا نلاحظ تطابق في بعض حالات التبني في مصر وبلاد الرافدين إذ يحصل المتبني على أموال منقولة فقط وليس ممتلكات^(٦١)، وربما كان حصوله عليها في حالة التبني للارث فقط رغم عدم وضوح أسبابه الا ان تكون رغبة من صاحب المال ان لا يرثه اقاربه فيلجا الى تبني طفل يرعاه ويكون وريثا له

٤- يتم تبني ابن البغي شريطة الا يعلم نسبه فإن علم الابن نسبه وطالب بالعودة الى ابيه تتم معاقبته بفقئ عينه^(٦٢) وإن حاول الابن المتبني العودة الى والديه الحقيقيين عند العثور عليهما فتقئ عينه او يقطع لسانه^(٦٣) وهي عقوبات بشعة، وجائرة لا نعلم إن كان تم تطبيقها بشكل كامل ، وهي لصالح المتبني على حساب الابن المتبني.

وفي المقابل يتم حرمان المتبني من ممتلكاته او جزء منها في حالات منها:

١- تخلي المتبني عن الأبناء او البنات المتبنون، حيث يعلن المتبني عن نيته التخلي عن من تبناه فيذكر "انت لست ابني واني متخل عن تبنيك-ú-Marti-atta-lqabima" ، واذا قال انت لست ابنتي ú martim-atti-lqabima ، اما الغرامة التي تقع عليه فيرد: " المدعي الذي يدعي-Ba- qir- l-ba- ga- ru-

عدد منا فضة سيزن -I L-A-E.-Ma. Na. Ku. Babbar. (٦٤)

٢- " الاب الذي يضيع مع ابنته- وهي هنا بالتبني كما نرجح- يحكم عليه بالطرده من المدينة" وبالتالي فقدانه لممتلكاته

٣- إذا فشل الاب المتبني في تعليم ابنه المتبني الحرفة التي تبناه لأجلها يجوز للابن رفع دعوى وإلغاء العقد- ويخسر المتبني ما دفعه من هدايا لوالدي المتبني عند تبنيه -وهو هنا عقد عمل اكثر من كونه عقد تبني

٤- اذا انكر المتبني ابنه بالتبني فيدفع له حصة كحصة واحد من أبنائه، او يدفع له عشرة شيقل من الفضة. (٦٥) و في قانون حمورابي المادة (١٩١) يحصل المتبني على حصة من الإرث تعادل ثلث أموال من تبناه ولا يحصل على أموال المتبني كاملة لأنها أموال عائلية لا يستحقها باعتباره اصبح من خارج العائلة (٦٦)

٥- " اذا قال الاب لابنه " انت لست ابني" فسيخسر البيت والجدار"، إذا قالت أم لابنها " انت لست ابني" فستخسر البيت والاثاث" وهذه من القوانين الاشورية التي تعود الى العصر الاشوري الحديث ، وهي مستنسخة كما يبدو من قوانين قديمة تعود الى العصر البابلي القديم (٦٧)

التبني في بلاد الرافدين:

اعلن الرافديون ان قوانينهم مستمدة من الالهة ومستوحاة منها عن طريق الملوك الذين ادعوا بدورهم انهم كانوا مسيرين بإرادة من الالهة عند اصداقهم لتلك القوانين،- او انهم وضعوها بمباركة منها- ولذا كانت هذه القوانين ملزمة للمواطن وللقضاة أيضا (٦٨) ونظرا لأهمية التبني في بلاد الرافدين فقد تم تنظيمه بوجود عقود تحفظ حقوق كلا الطرفين مع التفاوت فيهما، وهو تنظيم دعم للحياة الاجتماعية في مجتمعات الشرق الأدنى وخاصة لبلاد الرافدين التي عرفت

مثلها مثل سائر المجتمعات الشرق الأدنى الطبقة الاجتماعية التي شملت الأحرار-أوبيلوم،
الموشكينم-Moskinum، والعبيد أو الأرقاء- أردوا وأبیتو - Abitu.

انفردت بلاد الرافدين عن مصر بتقديم بنات الاسر الملكية كزوجات للإله في إطار
تنظيمي واضح- مقسم الى فئات محددة، من الكاهنات ونظرا لمكانتهن الاجتماعية فهن
لايملكن الحق في الانجاب؛ وإن سمح لهن بتبني فتيات يكن وريثات لهن في املاكهن وحسب
بل أيضا في وظائفهن الامر الذي يجعلنا نتساءل هل هاتان الفئتان من الكاهنات (الانتو-Entu
والناديتوم-Naditum يحق لهن توريث مكانتهن العليا مقارنة بغيرهن من الكاهنات لمن
يتبنونهن؟ وهذا ما حصل ذلك ان هذه الوظيفة تتم بالاختيار وتقتصر على بنات الطبقة
الحاكمة، لذا تبنت عدد من هؤلاء الكاهنات فتيات من اقربائهن، وتم تهيئتهن ليكن كاهنات
مثلهن، وتحمل الكاهنة الصغيرة العناية والاهتمام بالكاهنة الكبيرة أيام شيخوختها، كما يجب
عليها ان تقوم بالمراسم الدينية خاصة بعد وفاتها، وتترك الكاهنة الكبيرة للصغيرة مقابل ذلك
معظم ماتملكه^(٦٩) ولم يقتصر تبني الكاهنات على البنات بل شمل الأولاد أيضا في حالة
واحدة مذكورة- حتى الان- ونعتقد ان التبني هنا كان بسبب القرابة وبالتالي لم يحصل توريث
للمهنة؛ ففي وثيقة مكتوبة بالأكدية تمثل محضر قضائي يتعلق برجل اسمه أوموليشي-
Amolichi قد خدم في الجيش وكان لديه طفلان يعانيان من المرض وله اخت كاهنة تدعى
سيمات-Simat-كاهنة للربة عشتار، وقد تم تبني هذان الطفلان من قبل عمتهن كاهنة الناديتوم
حيث كبر احدهما وخدم في الجيش وهو شوروم -surārum^(٧٠)

ولقد عرفت كاهنة الانتو منذ فترة باكرة قبل العصر البابلي فقد ورد المصطلح الدال عليها
في الأكدية-Entu- وتعني الكاهنة العليا، وصنفت بأنها اعلى مراتب السلك الكهنوتي وغالبية
ممن كن كاهنات من هذه الفئة كن من بنات الملوك حيث يتم تنصيبهن من قبلهم فوالدة
سرجون وابنته انخيدونا-Enhedu- Anna كن منهن، وكذا ابنة نايوييد التي نصبها والدها
كاهنة في معبد الإله سين، ويحتمل انها كانت تمثل الزوجة الإنسانية للإله ضمن طقوس
الزواج المقدس ولقد كان مسموحا لهن الزواج في البداية اذ ورد ان والدتي الملكين سرجون

الآكدي (٢٣٥٠-٢٣٠٠ ق م) وجوديا (٢١٤٤-٢١٢٤ ق م) كن من هذه الفئة من الكاهنات، إلا أنه وخلال العصر البابلي القديم تم تحريم الزواج عليهن وانجاب الأطفال، وفرض عليهن حياة العفة لخدمة الآلهة في معبده ومنها احتفالات الزواج المقدس التي تحرمها من الاختلاط بالحياة العامة وتحصل كاهنة الانتو على هبتها من والدها المعروفة ب-Seriktum الوارد في عدد من القوانين التي يمنحها الأهل إلى ابنتهما عند زواجهما، أو عند انتمائها إلى سلك الكهنوت^(٧١) وهذا مشابه للهدايا التي منحها إسماتيك لابنته نيتوكريس بعد تبنيها من قبل الآلهة لتكون زوجة للاله.

أما الفئة الأخرى فهي الناديتوم -Naditum- وتمثل الدرجة الثانية من الأهمية الكهنوتية؛ فيحق لها الزواج، ولكن ليس بمقدورهن الانجاب لذا يعمدن إلى تقديم إمائهن أو جواريهن إلى أزواجهن بغرض الانجاب الأطفال الذين يصبحون ابنائهن فقط وليس لأبائهم علاقة بهم ويرثون أمهاتهم بالتبني^(٧٢).

أما الشاغتوم- فإن وضعها يشابه وضع أمة الناديتوم رغم الفارق في المكانة الاجتماعية، ولذا يحتاج أبنائها إلى إضفاء الشرعية عليهم حتى يحق لهم الإرث^(٧٣)، ويتم ذلك بإعلان والدهم تبنيهم، وقد ورد إعطاء الابن المتبنى نسبة من الإرث، أو بعض الحصص الإضافية - مما نفهم منه أن نصيبه لم يكن كافياً لأن هناك أخوة له هم الورثة الشرعيون للأب، حيث تم الفصل بين ممتلكات الزوجين وتوريثها للأبناء فالأبناء يرثون والدهم حتى وإن كانوا من أمهات مختلفات أما إرث الأم فهي لأبنائها وحدها ولا يشاركون فيها أخوتهم الآخرون^(٧٤)

ورد في نص عرف ب(إنانا شجرة أحولوبو) يعود إلى سلالة أور الثالثة (٢١١١-٢٠٠٦ ق م) يتألف من مقطعين الأول تناول الخلق والتكوين، والثاني إشارات إلى العالم السفلي وفي المقطع الخاص بالآلهة إناما في حديثها مع جلجاميش:

" انتعل في قدميه صندلا. واحدث جلبة في العالم السفلي. قبل زوجته التي يحب...وضرب زوجته التي يكره...قبل ابنه الذي يحب...ضرب ابنه الذي يكره"^(٧٥) كما ورد نص مشابه في اسطورة خلق الكون السومرية مايلي: "لا تقتل زوجتك المحبوبة... لا تقتل ابنك المحبوب، لا تضرب زوجتك التي تكرهها. لا تضرب ولدك المكروه لئلا يشد الصراخ وثاقل في العالم السفلي.."^(٧٦)

ومع ان النسان لا يذكران صراحة ان هذه الزوجة جارية أو محظية، في ظل عدم وجود تعدد للزوجات، ولا أن الابن هو ابنها فإنه يمكننا الاستنتاج عطا على ماورد في عدد من نصوص التبني أن الزوجة الرئيسة لها كامل الحقوق ولايحق للأمة او الجارية أن تقارن نفسها او مقارنة أبنائها بها، وعلى هذا نفترض ان النص يشير الى أبناء من زوجة أخرى... وليس بالضرورة أن يكون قد تم تبنيهما في هذه الفترة البكرة من النظام الاجتماعي.

ولايشير قانون الملك اورنيمو (٢١١١-٢٠٩٤ ق م) الى التبني لكونه لم يكن معروفا في تلك الفترة رغم انه تناول الأحوال الشخصية في عدد من مواده، ربما بسبب كون المجتمع لايزال يتعافى بعد الغزو الجوتي.

قانون اشوننا- أو بيلالاما (١٩٣٠ ق م)

وهو من اقدم القوانين المكتوب باللغة الآكديّة، ومؤرخ بالفترة ما قبل حكم حمورابي ما بين ١٥٠-٢٠٠ سنة-، ولقد ضم اللوح نحو من ستون مادة، وان كان سليمان يعتقد انها نحو من (١٠٠) مادة، مقسمة الى مجموعات تتناول أوضاع المدينة الاقتصادية، والاجتماعية،^(٧٧) ، وتؤلف المواد الخاصة بالأحوال الشخصية واحكامها جزءا كبيرا من المواد القانونية بتسلسل منطقي مقبول ومنها الاحكام الخاصة برضاعة وتربية الطفل (المواد ٣٣-٣٦)، العبيد والإماء (المواد ٢١-٢٤) و المواد المتعلقة بالتبني، ومنها ماورد في المادة (٣٤) " إذا تحالفت أمة

القصر واعطت ابنها الى زوجة رجل حرة ، فإذا كبر الولد ورآه سيده فله الحق في القبض عليه واسترجاعه" ، ويمثل هذا صورة غير مباشرة من صور التبني

ونصت المادة (٣٥) على " إذا أعطت امة القصر ابنها أو ابنتها الى مولى للتربية فللقصر الحق في استرجاع الولد أو البنت التي أعطيت"

وفي المادة (٣٦) " و(إذا)متبني طفل أمة القصر (أراد) الاحتفاظ بالطفل فعليه أن يعوض القصر بطفل مساو له " (٧٨) والذي قد يكون طفل جارية من القصر او إعادة طفل للقصر يعادل الطفل الذي اخذه، أو دفع قيمة الطفل للقصر" (٧٩) والطفل هنا تم التعامل معه كجزء من ممتلكات القصر كوالدته وليس كإنسان.

سلسلة "أنا- إتيشو- Anaitisu -

وهي سلسلة من القوانين التي ظهرت ضمن المعاجم اللغوية القديمة^(٨٠)، وتعود الى القرن الحادي والعشرون، وتتألف من سبعة الواح مع متعلقاتها.^(٨١) ومنها المادة (١) " اذا قال ابن لابييه (أنت لست أبي)عليه (الاب) أن يخلقه ويضع علامة العبودية عليه وبيعه ، وترى المادة (٢) إذا قال ابن لأمه (انت لست أمي) عليهم ان يخلقوا نصف شعر رأسه ويقودوه داخل المدينة ليكون عبرة لغيره ويطرد من البيت^(٨٢) وفي المقابل اذا انكر الابوان الابن يخسران جميع ممتلكاتهم ، أو يعوضانه مبلغا من المال،

ومن نماذج عقود التبني العائدة الى هذه السلسلة عقد تبني "إليوم Aliwum- وسن رميني Sin -Remeni- أبناء اسيروم-Asirum- وأخاتويا-Ahatuia- إليوم الأكبر وسين رميني الأصغر إذا قالوا إليوم الأكبر وسين رميني الأصغر لأبيهم اسيروم، وامهم أخاتويا انت لست أبانا ، أنت لست أمنا فسوف يخلقونهم وبيعونهم" (٨٣)

كان يعهد بالطفل الى مرضعة تتبناه حتى نهاية سن الرضاعة، الذي يتضح من خلال بعض النصوص انه ثلاثة اعوام وهي فترة مماثلة لفترة الرضاعة في مصر، وربما كان الهدف توفير ام بديلة كمرضعة فقط، وقد يعود الطفل الى والديه بعد انتهاء فترة الرضاعة وتناولت المادة (٣٢) واجبات والد الطفل ومسؤوليته في تقديم المأكل والمشرب والملبس وتربية ابنه، فيما نصت المادة (٣٣) على " إذا اعطى رجل ابنه للرضاعة والتربية، لكنه لم يدفع جرايته من الحَبِّ والزيت واللباس طوال ثلاث سنوات فعليه ان يدفع الى المرأة عشر منات من الفضة اجرة تربية ابنه، وعليه ان يستعيد ابنه" ^(٨٤) وفي حالة مماثلة تالية زمنيا وردت وثيقة من مدينة ديلبات في عصر حمورابي تفيد أن اما لم تستطيع أن توفي الاجر والملابس للطفل ووفقا للاتفاق مع مرضعة ابنها؛ فعرضت على المرضعة الاحتفاظ به كانه ابنها فوافقت على ذلك وبرأت المتبنية الام الحقيقية من دينها واعطتها ٣ شيقلات من الفضة ^(٨٥) و قد تخلت الأم هنا عن ابنها نظرا لفقرها في عملية بيع وشراء من قبل المرضعة.

قانون لبيت عشتار (١٩٢٤-١٩٣٣ ق م)

يعود الى بداية العصر البابلي القديم- او فترة ايسين ولارسا (٢٠٠٧-١٧٩٤ ق م) الى الملك لبت عشتار خامس ملوك سلالة ايسين (١٩٣٤-١٩٢٤ ق م) وكان مكتوبا على مسلة حجرية ويتكون من ٢٢ حقا من الكتابة المسمارية تضمنت النص الكامل للقانون، إلا أن ما تبقى منه لايتجاوز ثلث النص. ^(٨٦)

شكلت الأحوال الشخصية المواد من (٢٠-٣٣) ومنها المادة (٢٤) التي تنص على حق الأبناء في اقتسام ثروة الاب المتوفي، أما ممتلكات الزوجة الأولى فتذهب الى أولادها، أما الآخرون فهم أولاد الامة - ويعني هذا تحريم الزاج من امرأتين سويا- وإن كان الاب قد منحهم حريتهم فليس لهم الحق في اقتسام اموال الاب مع أبناء الزوجة الاصلية - الأولى- وهو اقدم قانون أشار الى توريث أبناء المحظية .

أما المادة (٢٤) فتذكر "إذا ولدت له الزوجة الثانية التي تزوجها أطفالا فإن مهرها الذي جلبته من بيت أبيها يكون حصة لأطفالها". ونصت المادة (٢٥) على " إذا تزوج رجل إمراة وانجبت له أطفالا ولازالت على قيد الحياة ، أو أمته قد انجبت لسيدها أطفالا والأب قد اعطى الحرية لأمته وأولادها ، لاتقاسم أولاد الأمة أولاد السيد في العقار" وهذا ما نفهم منه أن من حقهم تقاسم الأموال المنقولة على اعتبار ان العقار او الممتلكات خاص بالاسرة الممتدة فلا يحق لهم الحصول على نصيبهم منه، وتناولت المادة (٢٦) حالة وفاة الزوجة الأولى وتزوج الرجل من أمة وولدت له أولاد واعطاهم حق السكنى في بيت أبيهم غير ان جزء من هذه المادة ناقص.. فالجزء الأول من المادة نص على حق أبناء الزوجة الأولى في الإرث، اما اذا لم تلد الزوجة اولادا لزوجها .

أما المادة (٢٧) "إذا كانت زوجة الرجل لاتحمل له طفل، وكل عاهرة من الشارع تحمل له طفلا، فيزود البغي بحبوب وزيت وثياب الولد الذي ولدته له الزانية، وان لاتسكن البغي في البيت مادامت الزوجة على قيد الحياة" (٨٧). وهنا تم قبول الطفل بل ومنحه الحق في الإرث وربما لان الزوجة كانت عاقرا- وهنا يتضح ان القانون اعطى لأبناء الزنا الحق في الإرث؛ فيما حرم قانون حمورابي أبناء الامة من الإرث الا بشرط اعتراف الاب بهم.

وفي عقد آخر يعود الى عهد ملك لارسا ريم-سين (القرن السابع عشر ق م) يذكر أن "شالورتوم زوجة إينيم -نانار- قد تبنت كابنتها أويرتوم بنت خابوتوم والدها وروباتوم أمها، شالورتوم قد دفعت الى خابوتوم شيقلا واحدا وثلاث شيقل من الفضة كثمن لتبنيها، اويرتوم ستصبح عاهرة مقدسة (Kar- Kid- Harimatu) وبعد ذلك هي ستدع شالورتم أمها تأكل راتبها الكهني، إذا اويرتوم قالت لشويرتوم أمها انت لست أمي هي ستباع بالمال، لكن إذا قالت شالورتوم لإيرتوم انت لست ابنتي هي ستدفع عشر شيقلات من الفضة وسوف تخسر المال لمتبنيها، باسم الملك هي اقسمت" (٨٨)

قوانين حمورابي: (١٧٩٢-١٧٥٠ ق م)

ولعل أشهر القوانين التي تناولت التبني هو قانون حمورابي وقد عثر عليه مكتوبا على مسلة حجرية حمل وجهها نحتا بارزا يمثل المعبود شمش اله الحق والعدالة جالسا على عرشه وهو يسلمها الى حمورابي الواقف امامه في خشوع، ويعتقد سليمان ان حمورابي قام بجمع القوانين السائدة في عصره واصدرها في قانون واحد مقسم الى عدة مجموعات تتضمن موادا قانونية، وتتكون من مجموعتين رئيسيتين الأولى تعالج قضايا الأحوال الشخصية؛ فيما تناولت المجموعة الأخرى موادا عامة. ويتضح من خلال الاحكام الواردة في النصوص القانونية التأكيد على الزواج من امرأة واحدة، مع بعض الاستثناءات الخاصة، إضافة الى عادة اتخاذ الاماء والجواري، ولم يكن زواجهن بأسيادهن امرا شرعيا مالم يعلن الرجل ذلك ويعترف به ، فقد ركزت المواد (١٤٤-١٤٩) على حق الزوج في الزواج من زوجة تتجب له أبناء مع ملاحظة انها تعلقت بفئات من الكاهنات و تناولت المواد (١٥٠-١٥٢) الحقوق المادية بين الأزواج إذ كان من حق الزوجين التمتع بتركة الآخر

وشمل الإرث المواد (١٦٢-١٨٤) حيث يبدو ان حظ الذكور في أموال والدهم افضل من الاناث ، ومع ذلك فقد حدد القانون انصبتهم فيها ، مع إيضاح حقوق الأطفال الشرعيين، واولاد الأمة، والاولاد بالتبني الذي شمل المواد من (١٨٥-١٩٤) ^(٨٩)

المواد المتعلقة بالتبني :

المادة (١٨٥) " إذا تبني سيدا ولدا بإسمه ورباه فإن ذلك الاب المربي لا يطالب به ابدا"

المادة (١٨٦) " إذا شخص يبحث لغرض تبني ولد عن ابيه وذلك عند اخذه فإن ذلك المربي يمكن ان تعود الى بيت ابيه"

(١٨٧) " لا يطالب بإبن خادمة او خادم بلاط أو بإبن منذور"

(١٨٨) " إذا احد من طبقة الصناع تبني ولدا وعلمه مهنته فلا يطالب به مطلقا"

(١٨٩) " فإذا لم يعلمه مهنته فإن ذلك الولد المتبني يمكن ان يرجع الى بيت ابيه"

(١٩٠) " إذا سيد لم يعتبر ضمن أبنائه الولد الذي تبناه ورباه فإن ذلك الولد المتبني يمكن ان يعود الى بيت ابيه"

(١٩١) " إذا السيد الذي تبني ولد ورباه تزوج ثم رزق بعد حين اولادا وعزم التخلي عن الولد المتبني فلا يجوز أن يذهب ذلك الولد خالي اليدين وعلى الاب المتبني ان يعطيه من ماله ثلث ميراثه، وعند ذلك يذهب لحاله ، ولا يعطيه من حقله وبستانه وبيته"

(١٩٢) " إذا الولد المتبني من خادم أو الولد المتبني كان ولدا منذورا فال لابي المتبني او أمه المتبنية (انت لست ابي ، انت لست امي) فعليهم أن يقطعوا لسانه

(١٩٣) " إذا الولد المتبني من خادم أو المتبني من ولد منذور وجد اهله، واخذ يكره أباه المتبني وامه المتبنية ثم راح الى بيت اهله فعليهم ان يقلعوا عينه"

(١٩٤) " إذا سيد اعطى ولده الى مرضعة ثم مات ذلك الولد في يد المرضعة، واذا ما عملت اتفاقية لولد آخر بدون علم ابيه وامه ، فعليهم ان يثبتوا ذلك عليها ، ثم يجب عليهم ان يقطعوا ثديها لأنها عملت اتفاقية لولد آخر بدون علم ابيه أو امه"

(١٩٥) " إذا ضرب ولد والده فعليهم أن يقطعوا يده" (٩٠)

ومن عقود التبني العائدة الى هذا العصر عقد لتبني طفلة من لدن والدتها حيث تم ذكر اسم الوالدة -مما يدل على انها لم تكن طفلة شرعية- حيث من المعتاد ذكر اسم الوالدين في عقد التبني اذا كان المتبني شرعيا،

".... طفلة صغيرة تدعى (١) تبناها (ش) و (ص) زوجته من أمها (ن) (في المستقبل) إذا قالت (أ) الى (ص) " انت لست أمي فسيحلقونها ويبيعونها، وإذا قال (ش) و(ص) أمها الى (ا) ابنتهما " أنت لست ابنتنا" فسيخسرون البيت وبنوتها ، وكل من يطالب (ا) سيدفع منا من الفضة أمام شهود ستة". (٩١)

القوانين في العصر الاشوري:

ركز الآشوريين على توثيق انجازاتهم العسكرية أكثر من الاهتمام بالشؤون الاجتماعية ومع ذلك فقد عثر على بعض من الألواح التي تحمل عدد من النصوص القانونية التي ارتكزت بالدرجة الأولى على قانون حمورابي مع بعض التعديلات البسيطة، ومن ذلك لوح وصف بأنه يعود إلى العصر الآشوري الوسيط تناول الجرائم التي ترتكبها النساء، أو التي ترتكب ضدهن وحقوق الزوجين في تركة بعضهما، وحق الأولاد في تركة والديهم، كما شملت عدد من المواد (٢٥-٤٦) حق الإخوة في تركة أخيهم المتوفي - وهي هنا تتشابه مع مصر - إلا أنها تحتوي ظلماً بيناً ومنه إن الزوج إذا أعطى زوجته حلياً وبعد وفاته فإن لاخته الحق في أخذها، وإن تصرفت في قسم منها فمن حقهم أن يقيموا دعوى عليها (٩٢)

نصت المادة (٢٩) على حق الأبناء في بائنة أهمهم والهدايا التي قدمها لها حموها، وليس لأولاد الحمى الحق بالمطالبة فيها، ولم تحدث القوانين الآشورية التبني ربما لكونها اعتمدت على قانون حمورابي.

ولعل أشهر حالات التبني في العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦٠٩ ق م) هوتبني احيقار وزير الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٤-٦٨١ ق م) لابن اخته نادان، حيث وجدت القصة مكتوبة على ورق بردي مؤرخ بالقرن الخامس ق م، ويعتقد أن هناك نص أقدم منه، وقد تزوج احيقار عدة نساء إلا أنه لم ينجب أطفالاً، وأنه سمع قائلاً يقول له "خذ نادان ابن اختك واجعله وريثك وعلمه علمك" وقد تنازل احيقار عن وظيفته لصالح نادان ابن اخته، وأيضاً عن ثروته وجزءاً كبيراً من ممتلكاته، لم يحتفظ لنفسه إلا بالقليل (٩٣) ونعتقد أنها إحدى الحالات الفريدة في بلاد الرافدين الذي ورث الابن المتبني منصب متبنيه، مقارنة بمصر التي عرفت هذا التقليد فقد ورد في عدد من الوثائق تعيين أبناء المسؤولين في مناصب اقربائهم المتوفين كإرث (٩٤)

" هذه أمثال رجل اسمه احيقار الكاتب اللامع الذي علم ابنه.. انه قال سيصبح ابني، ان احيقار قبل ان يقول هذه الامثال... صار مشيراً لأشور كلها وحاملاً لختم الملك سنحاريب ملك

اشور.... وقال / لن انجب اولادا .اني شيخ ومن سيعتني بغد موتي ... من يكون كاتباً وحاملاً
لختم أسر حدون الملك كما كنت انا لسنحاريب... حينما اخذت انا احيقار ابن اختي نادان
كما كان يسمى واحتضنته وهذبتة....، وواقفته معي في باب البلاط امام الملكيين... أني شيخ
ولايمكنني أن أؤدي خدمتي لك في باب البلاط... دونك ابني نادان كما يسمى... فليتول مكاني
كاتباً ومشيراً لبلاد آتور كلها . لقد علمته همتي ومعرفتي أيضا ..قال لي ملك اتور: ليكن
كما تريد، انه سيضطلع بنفس عملك.... أن الوعد قد صدر. ..عدت حالا الى داري، اخذت
فيها الى الراحة، وهذا هو ابني الذي جئت به واقفته في باب البلاط أما أسر حجون ملك
آتور.... ظننت أنه سيرد لي الجميل بمثله نظرا لما حبوته به... ابن اختي اضمر لي
الشر... لم لفق ابني الذي لم يكن بالحقيقة ابني هذه الأكاذيب ضدي....."، ثم يمضي احيقار
بوصف المؤامرة التي دبرها ابن اخته ضده وكيف حافظ القائد نبوسمسكن على حياته.... "لا
تمنع العمل عن ابنك اذ لا يمكنك ابعاده عن الشر.. اذا ضربتك يا بني فلن تموت، واذا تركتك
تتبع قلبك فلن تحيا..."^(٩٥)

وفي وثيقة آشورية تعود الى العام (١٨٠٠ ق م) الى عهد-شمسي ادد - (١٨١٤-١٧٨٢ ق م
) توضح العلاقة بين السيد والعبد-nadetu-، فقد تم تبني فتى من قبل رجل له أبناء
طبيعيين وبنات، ثم تسمية إحدى بناته من قبله لتتزوج العبد المتبني، وكان العبد المتبني مسؤولاً
عن العناية بالجسد والرفاه المالي للاب، وقد تم اعفاء العبد من مسؤولياته بعد وفاة الأب- هنا
تناقض واضح يمكننا تفسيره ان العقد انتهى بوفاة صاحبه بمعنى ان أبناء المتوفى لم يعودوا
يرغبون في إبقاء العبد كأخ لهم.

وفي وثيقة اخرى مؤرخة بالعام (٦٧٦ ق م) وهو سجل محكمة لوثيقة زواج بين بيل آهي-
Bēl-ahhē - ابنة Arīmtu و تارداتو- Tardttu-aššURT- التي وصفها الباحث بانها عاهرة
لأنه انكر ابنهما الذي لاتشير الوثيقة الى اسمه، وان نارديتو- اشور قد استلم وثيقة بعد قائمة
الشهود والتاريخ وان عائلة الفتاة- قد ارادت حق الطفل في الميراث وهذا مالم يفعله الأخير^(٩٦)

وهناك وثيقة تعود الى عهد الملك الاشوري سين اوباليط (٦١٢-٦٠٩ ق م) تذكر أن المتبني يحق له ان ينقل أمواله الى المتبني في حياته على ان يقوم الأخير بالانفاق عليه مدى حياته او يدفع له سنويا مقادير معينة من اموال ابيه بالتبني- هي أمواله أصلا-، كما ورد أيضا في وثيقة تعود الى نفس الفترة الى أن امراة تبنت عبدتها ونقلت اليها أموالها الحاضرة والمستقبلية شريطة ان تنفق عليها مدى حياتها ، وفي نفس الوقت قامت المتبنية بتزويج رقيقة حررتها مع تكليفها برعايتها خلال حياتها (٩٧)

القوانين البابلية الحديثة:

عثر على لوح أعيد تاريخه الى العصر البابلي الحديث ضم ٦ حقول من الكتابة المسمارية على وجه اللوح وظهره ، وبه نحو ١٥ مادة ،ومنها المادة السادسة التي نصت على بيع الاماء، أما المادتان (٩٨) فقد نصتا على حقوق الزوجين كل منهما في إرث الاخر، وحقوق الأبناء في تركة والديهم أيضا ،مع التمييز في نسبة الإرث اذ ينص على حق أبناء الزوجة الأولى في ثلثي ثروة والدهم ،والثلث الباقي لأبناء الزوجة الثانية او الأخرى (٩٨) مما يجعلنا نرجح ان الزواج بأخرى كان مرفوضا لذا تكون الزوجة الثانية بمرتبة الأمة.

وفي نص للملك الكلداني نابوئيد (٥٥٦-٥٣٩ ق م) وجدت وثيقة تبني مهمة مقدمة الى المحكمة مع الأدلة في حالة الدعوى القضائية مع الحجج لإثبات صحة التبني؛ فإذا فقد سند التبني أو ألغي فإن المتبني سيفقد جميع حقوقه الوراثية ويرد في الوثيقة " أن رجلا اسمه Amm-b-nT - استعاد منزلا وبستانا، وقد تم بيعه من قبل والده بالتبني حيث أدى الرجل اليمين قائلا " أنا اخذني للتبني-Sin-m-gir- أنا ابن للتبني " فمنحه القضاة البيت والحديقة (٩٩).

وقد ورد في عقد تبني " ان امراة تبنت طفلة من ابيها ودفعت مقدار من المال تعويضا له عن فترة تربيتها فقط قبل تبنيها لها .ولم يتضمن العقد أي إشارة الى حقها في الإرث (١٠٠)

ورود أيضا " إن ياچاتي ايل - Yahatti-il - هو ابن حيلالوم -Hillalum- ممن السيدة التوم - Alitum - وهو سوف يتمتع ويستفيد من ابويه في حالة اليسر ، ويقاسي معهما في حالة العسر ، فإذا قال حيلالوم الاب لابنه ياچاتي ايل انت لست ابني ، وقالت السيدة ألتوم لابنها : ياچاتي ايل انت لست ولدي ؛ فأنهما سوف يعاقبان بمصادرة بيتهما مع الأثاث والمفروشات ، ولكن اذا قال ياچاتي ايل لحيلالوم ابيه والسيدة ألتوم امه : انت لست ابني ، وأنت لست أمي ، لأنه سوف يعاقب ببيعه كعبد وقبض ثمنه بالفضة ، وبالنسبة لحيلتوم والسيدة ألتوم مهما اصبح لهم ممن أولاد فإن ياچاتي إل يظل وريثهما ، وعند توزيع الميراث سوف يصيبه حصة مزدوجة ونصيب الاخوة الصغار بقية الإرث بالتساوي - (١٠١)

وفي نص لعقد تبني " جاء إينين شوم ابني -Einin Shum- بن نابو -لأهي - شولليم --Nabo-Lahi-Shulim الى اخته يالتا - Yalta- ابنة نابو -أهي -شولليم قائلا: " اعطني ابنك دانو. - أهى -أبي البالغ من العمر سبعة عشر يوما بهدف التبني فأريبه ويكن لي ابنا" ، وقد وافقت يالتا واعطته ابنها دانو -أهي -Dano-Ahi أبني البالغ مم العمر سبعة عشر يوما ليتبناه ، ثم قام اينين بتسجيل الطفل وريثا ثالث لابنه الشرعي لاينثي -Layanthi- ، وطالما تمارس ياليتا البغاء سيكبر دانو -آخي - ابني في رعايتها ، لكن ان دخلت بيت مواطن محترم ، فعلى اينين -شوم - ايبي -أن يدفع لها ثلث شيكل من الفضة ، إضافة الى الخبز والجعة ، والملح والجرجير وثياب لإطعام دانو -أهي -شولليم ، وتربيته" - وهنا تمت إضافة اسم المتبني الى اسم الطفل المتبني - ، وقد اقسام إينين -شوم - ابني بأنو واشتار -Ano-Ashtar قائلا " بإيماني ويقيني وكأخ لك اقسام اني لن اتخلى عن دانو -أهي - ابني - ولتياشس لنخدم الملك سيدة اوروك" - التاريخ التاسع من تموز ، السنة الثانية والثلاثون من حكم نبوخذ نصر. الا فليحل الخراب ولعنة أنو واشتار قسم نبوخذ نصر المقدس -ملك بابل على كل من يغير هذا الاتفاق." (١٠٢)

ورود في عقد تبني آخر (KAJ 1-101)

"هكذا تحت بيل كاجير ، ابن نادينو ، Bell Kajer ابن ساجيلاي -Sajlai- ، الى نادينو -Nadinu والده ، ابن زيري يا ، -Zeri- ابن ساجيلاي أن زوجتي Zunna ولم تتجب إبنني أو ابنتي ، لقد

ارسلتموني الى بيل أوكين - Okin - Bell ابن زونة زوجتي، واخذت بت - تورني - Bit- Turni التي انجبتها لزوجها السابق نيكيدو ابن نورسن ،دعنا ،أنا ابنتي ، واسمح له ان يكون ابني"، على لوح يسجل بنوته ،ويختم ويورث له منا الإيرادات والممتلكات بقدر ما هو موجود ، وليكون الابن الذي يمسه بادينا... فكلما ابنه كتب في المستقبل هي شخص آخر لا يأخذ عائداته وممتلكاته .. ولقد قيدت أيدي بيل كاجير ..وفي اليوم الذي يذهب فيه نادينو الى مصيره.. من بعده... يرث ابنه غلاته وممتلكات نادينو ابوه ، اذا لم يولد الابن من حقوي بيل كاجير ، يتبنى بيل كاجير اخاه وزميله وريثه ، ويورث ايراداته واموال نادينو ابيه، ولا يجوز لبيل كاجير أن يتبنى شخصا آخر، ولكن يجب أن يأخذ أخاه ورفيقه في البنوة على حساب الإيرادات والممتلكات التي ورثها نادينو" في بابل في التاسعة من سنة نابونيديس^(١٠٣) ومن الواضح من خلال نص التبني ان نادينو هذا قد تزوج من سيدة قد انجبت ابنا وابنة من زواج سابق ، ألا انها لم تتجب منه أي أطفال ،لذا تبني اطفالها مع ابن لديه هو بيل كاجير الذي نعتقد من سياق النص انه ايضا كان ابنا بالتبني لنادينو، وانه كان الوريث الأول بحكم كونه الأكبر، بل أن العقد حمل اسمه وليس اسم الاب صاحب الممتلكات، ويتبنى بيل كاجير بدوره اخاه وزميله في البنوة، ولم يذكر اخاه فقط كدليل يؤكد ما ذهبنا اليه من كونه متبنى مثله.

الورثة:

ثروة بيت الاب - Mskkur bit abim - مصطلح ورد في النصوص البابلية يوازي مصطلح ارث او تركة، ويرتبط بها مصطلح الوريث المعروف في السومرية-اببلا--BI-I -LA- والتي تعني مشعل الزيت ، وبالتالي فهي مرتبطة بالواجب الديني للابن تجاه والده حيث كان الزيت يشعل عند تقديم القرابين^(١٠٤) ، وفي الآكديّة APLU - التي تعني الوريث او الابن الأكبر او الابنة الكبرى او الوريثة^(١٠٥) والورثة هم الأبناء المتبنون والطبيعيون وجميعهم يستحقون الإرث أيا كانت حالتهم بالتبني أو طبيعي فهم يرثون والدهم بحصص متساوية ،وورد في بعض العقود ذكر حصص إضافية تسجل دائما في مقدمة تحديد حصة الابن البكر من وثيقة الإرث ، واهيانا يعطى للابن الاصغر اذا كان مفضلا عند الاب ويجب ان

تكون هذه الأفضلية مسجلة في عقد خاص ينص عليها ، او في بداية وثيقة حصة الابن الأكبر الذي يكون مسؤولا عن حمل السلاح للدفاع عن الاسرة، او الاشراف على شؤونها أو القيام بالنفقات حيث يرث الابن الأكبر مركز اياه، وقد يهب الرجل جزءا من ثروته الى ابنه بالتبني مع تسجيل ذلك بشكل رسمي حتى لا يرد أي اعتراض عليها عند تقسيم التركة بين الورثة الشرعيين، وتختلف عملية الإرث بالنسبة للأبناء فلا يكفي ان الابن من صلب والده لإضفاء الشرعية عليه وبالتالي استحقاقه للإرث بل تقتصر الشرعية والأرث على أبناء الزوجة الشرعية المختارة -Hirtu- أما الأبناء المنجبون من بقية أنواع الزيجات مثل: الناديتوم والشوكتيم، والإماء فعلى الرغم من كونهم أبناء من صلبه إلا ان القوانين لاتعتبرهم أبناء الشرعيين المستحقين للإرث، ولا يحملون اسم والدهم الا بالتبني واضفاء الشرعية عليهم، ولدينا هنا نوع مختلف من التبني وهو ان يتبنى الرجل أبنائه الطبيعيين نظرا لاختلاف وضعية امهاتهم الاجتماعية- ويتم التبني من خلال اجراء عقد خاص بتبني جميع أبناء الزوجة او احدهم حسب مشيئة الزوج ، وفهم بالتالي لا يختلفون في الحقوق عن الأبناء المتبنين الذين هم من صلب رجل آخر ، ويجب على الاب ان يقر بحق أبنائه من الأمة أي الاعتراف بهم وبالتالي تتحدد حقوقهم في الارث^(١٠٦) وفي حالة كانت الزوجة من طبقة الناديتوم أو امته التي وهبتها الى زوجها، فإنهم لا يصبحون أبناء لأبيهم الا في حالة بقاء الزوجة معه، أما إذا طلقت أو ماتت فلا يعتبرون أبناء وهذا قانون لا يمكن فهم ابعاده الإنسانية او الاجتماعية سوى أنه يمثل حالة من التناقض، ونرى أن التفسير الوحيد ان الأبناء هنا رغم كون الرجل أبايهم فإنهم يعدون من أملاك الزوجة الكاهنة نظرا لمكانتها الاجتماعية الرفيعة؛ فإن طلقها الزوج وقد يكون ادنى منها في السلم الاجتماعي فهو إساءة لها لذا تتم معاقبته بحرمانه من ابنائه؛ ولذا قد يسعى الرجل الى أن يتبنى الابن الأكبر- غالبا- أو احد الأبناء- الذي قد يكون مفضلا عنده- حتى يضيفي الشرعية عليه ويصبح من حقه الإرث في تركة والده، وهنا لاتشير النصوص الى حقوق بقية الأبناء.

وقد وردت مادة في تشريع حمورابي تتعلق بحقوق أبناء المحظية " الزوجة الأولى للرجل تحمل له الأطفال ، والمرأة الجارية تلد له الأولاد" ، ويعلن الاب في حينه ان أولاده الذين ولدتهم

له امته هم " اطفالي" ويحتسبون مع اطفال الزوجة الأولى ، وبعد ان يذهب الاب الى مصيره فإن ابناء الزوجة الأولى واولاد الأمة متساوون في الارث ويجب على الزوجة الأولى ان تختار ابنا مفضلا ليأخذ نصيبه-ويتضح ان أبناء الامة لا يرثون جميعهم فإن لم يختار الاب ابنا مفضلا تتولى زوجته الشرعية اختيار الابن- وقد ورد من مدينة سيبان نص(CT0037d) " إن الذي انجبت له أزاتو-Azātum، وإن -Ihuz- وانه تزوج وانجب خمسة أطفال ذكور ومن هؤلاء قرر ان يكون ياكوم هو الابن البكر -Yakunum-" فالأب هنا اسبغ الشرعية على واحد من أبنائه فقط، ونفهم من هذا ان اخوته الباقين لم يرثوا والدهم لأنه لم يتم تبنيهم-(١٠٧)

ومن العصر الاشوري الوسيط (١٥٢١-٩١١ ق م) مجموعة (MAL)

" ان الرجل يجمع خمسة او ستة من رفاقه، ويحضر محظيته-Esirtu- فإنه سيحبها في حضورهم ويعلن انها خاصتي محظية غير محببة-assurtu-wife) فإذا مات الرجل فإن أبنائه منها هم أبناء السراري ويجب ان يأخذ كل منهم حقه ممن الميراث ، ولكن بشرط ان تكون الزوجة الأولى عاقرا، أما اذا انجبت أطفالا ففي هذه الحالة يجب على الاب ان يعترف بهم - أي يتبناهم- حتى يصبحوا ابناء شرعيين ويرثونه (١٠٨)

وجدت اتفاقيات تسمى باتفاقيات شبه التبني كان من دوافعها اعتماد المستفيد المستقبلي وفقا لشروط التبني على ملكية الوالدين عند تقسيم الممتلكات حيث يتم تقسيم عقارات المتوفي بشكل يضمن حقوق الاخوة جميعهم ، مع وجود جملة "القسم بالملك أو الإله" إضافة الى أسماء الشهود ووظائفهم، وقد ورد في لوح حجري ينتمي الى مجموعة النصوص (n1) Classens (RTO'Callaghan) - قد قسم في هذا العقد الإرث بين ثلاثة اخوة (دسان-إمغوراني- Eimugrani الابن الأكبر- تاريوم -Tarium، وأنو-بو،دايليبيرات Anu-Dylibrat) وقد تم تسجيل الاتفاقية في السنة السادسة والخمسون للملك D SĪN -RIŠ (١٠٩) حيث يتم توريث ممتلكات الوالدين لأبنائهم الطبيعيين أو من تم تبنيهم.

وهناك نص بين الوالد الذي لازال على قيد الحياة أون-Owen- وبين ابنه بالتبني أور-دكوها-Ur Dokoha والذي تضمن حق الانتفاع لابن المتبنى وذلك في حالة عدم الحصول على الممتلكات أي الأصول التي ستضمونها اتفاقية الإرث، وترى Wyk أن هذا النوع من الاتفاقيات كان أمرا معروفا في تاريخ بلاد الرافدين وتسميه "عقود شبه الاعتماد للتبني"^(١١٠)

وفي العصر البابلي كانت هاك ثلاث طرق رئيسة لإلغاء الملكية المشتركة وهي : البيع ، التبرع ، التبادل النموذجي وهذا مايمكننا ان نفسره بالمقايضة- وذلك بدلا من تقاسم الأصول شريطة موافقة المستفيدين المالكين أو المشتركين في تلك الأصول على نقل الأصول الى مستفيد واحد فقط حيث يتم التنازل عن نصيبهم في ملكية مشتركة معينة يتمتع هذا المستفيد بثمار لكية الأصول لوحده^(١١١) ، الا انه فيه حالات استثنائية يلجأ فيها الورثة الى المحاكم لتسوية القضايا بينهم حيث تنتهي فيها وعلى سبيل المثال وجدت دعوى قضائية في نيبور تقدم بها احدهم مدعيا ان smas- nasir ليس اخاه وأن اباه لم يتبناه ، وقد استدعت المحكمة الشاهدين على عقد التبني الذين أيدا حصول التبني، وبالتالي حق smas- nasir- في الإرث ورد الدعوى- وهي إجراءات مشابهة لما هو موجود حاليا.

ومن عقود التبني في نيبور (Iddinya Illum) ان " جميل الشقيق الأكبر ابن داميق-اليسو Damiq-Ilisu-تتيت، اخيه، وألشوباني اخوه ورثة له، سوف يقسمون بالتساوي، بالقرعة، المنزل الحقل، البستان ، وكل مايوجد من أملاك داميق إليشو...وإذا داميق قال لأبنائه " إنكم لستم ابنائي". فإنه It Šu ، و Š جميل سيصادر ممتلكات والده {.....أما اذا قال: " أنت لست أبي" {سيدفعون} نصف منا من الفضة في {والدهم} في اتفاق متبادل واقسموا باسم الملك^(١١٢)

وتشير وثيقة الى حقوق الابن المتبنى في الميراث " إن Ili-idinnam الأخ الأكبر قد اعطى اخوه Ea-idnnam ابن Ibqu-Istar الاب وزوجته- الام- Kuritum وزوجته كأولاد تبنا جعلوهم كورثة لهم سوف يتقاسمون البيت، الحقل، والممتلكات^(١١٣)، وهناك حالة لرجل تبني ربيته أي

ابنة زوجته بعد وفاة أمها حيث اتفق معها على أن تكون وريثته^(١١٤) ويبدو انه قام بهذا العمل حتى لا يرث اخوته ممتلكاته حيث كان الاعمام طرفا في ذلك الإرث..

وقد ورد في وثيقة أخرى أن الاب قد قام بتقسيم ثروته على ولدين تبناهما " ان Ea-turam ابن زوجته وEa-tiia ابن سوتير الذي تبناه Ea-ibku ابن Anazagas"، وتمضي الوصية في ذكر تفاصيل حصصهم من البيت والحقل^(١١٥)

وجاء في احد عقود التبني ضرورة إعطاء الابن الأكبر حصة مضاعفة بالنسبة لخصص اخوته " بقدر ما هو موجود من أولاد كثار فإن Lahatti-il هو الابن البكر سوف يأخذ مرتين من بيت Hilalim ابيه يتقاسم اخوته الاصغر اخ مثل اخ" ويعزو البعض من الباحثين الاختلاف في توزيع الحصص بتفضيل الابن الأكبر ومنحه زيادة عن اخوته أو تساوي الاخوة في الحصص الى اختلاف المفاهيم الثقافية بين مدن شمال بلاد الرافدين حيث تساوي حصص الورثة وجنوبه حيث تزيد حصة الأخ الأكبر^(١١٦)

وورد في قانون حمورابي عبارة " لن يذهب ذلك الولد خالي"، وأيضا " يعطيه الاب مربيه من ممتلكاته ثلث ميراثه، ولكن لا يعطيه من الحقل (و) والبستان، والبيت"^(١١٧)

تبني العبيد:

مثل العبيد أدنى فئة من طبقات المجتمعات في اقاليم الشرق الأدنى، وكان يتم وسمهم بعلامة تميزهم عن الاحرار. وقد وجدت إشارات في نصوص مسمارية الى عملية تبني للعبيد او الارقاء ويعتبرها الأسود عملية تلطيف لقسوة العبودية، وعادة تستوجب عملية تبني الرقيق عليهم الوفاء لوالديهم الكهول الذين تبنوهم وذلك للقيام على دفنهم بشكل ملائم مما يدل على علاقة تبادل منافع او تبادل التزامات بين الرقيق وسادتهم وانه كان يتم عتق الرقيق او العبيد ويتم تبنيهم من قبل سادتهم باعتبارها ارقى أنواع التبني وكانت المنفعة أن يحصل العبيد على الجنسية البابلية التي لا تمنح للغرباء الا في حالة التبني مما نفهم معه ان

هؤلاء العبيد غرباء أو أجنب ، ويلتزم العبد المتبني بتقديم ضروريات الحياة لمن تبناه ويعيله طالما بقي على قيد الحياة، وتبقى حريته مشروطة بمدى التزامه بتنفيذ مآتم الاتفاق تجاه من يتبناه ويعود الى حياة العبودية في حالة الاخلال بتلك الشروط^(١١٨)

ولا يبدو أنه كانت هناك تفرقة بين العبيد على أساس العمر، إذ يظهر الأطفال في السجلات الإدارية العائدة الى العصر الآكدي إذ تم إحصاء عدد من العمال القتلى (اوشي-Ochi)- خمسة منهم شبه مفطومين ووصفوا بانهم كانوا أطفالا دوموجايا-Domoguia، وهناك نص آكدي آخر يشير الى وجود أطفال صغار وصفا بأنهما رضيع " طفل اللبن"، وفي نص يعود الى سلالة أور الثالثة (٢١١١-٢٠٠٦ ق م) عمل بعض الأطفال كعمال في بناء المعابد مع امهاتهم منذ سن الخامسة والسادسة من العمر^(١١٩) وأشارت عدد من القوانين البابلية الجديدة الى أن الأزواج الذين ليس لهم أطفال أو النساء قد تبنا عبيدا ذكورا وإناثا ولقد وجدت حالات تبني لبعض العبيد المفضلين كوسيلة قانونية لتحريرهم من العبودية بعد وفاة والديهم بالتبني^(١٢٠) - وهنا لدينا اختلاف عن التبني للعبيد كأطفال ويتم تحريرهم وفقا لذلك كنتيجة لكونهم اصبحوا أبناء لمتبنيهم الحر، أو ان التبني هو لتحريرهم من العبودية كسبب رئيس.

وتتضمن تقاليد تبني العبيد بعد اعتاقهم مراسيم دينية - هي مهمة لأنها تمثل تحول اجتماعي وديني في حالة المتبني- ابرزها تطهير العبد -لكون العبودية من وجهة نظرهم من الادران التي تصيب الانسان - وقد ورد في نص مدينة نمر - " أن سيدا تبني عبده وتطهر جبينه"^(١٢١) والهدف هو تطهيره من رجس العبودية حتى يغدو ملائما ليكون ابنا متبنا لسيدة- والده- الحر

و من وثائق تبني العبيد وثيقة تعرف بالعقد البابلي القديم (Eduba'a Epi i.1-27)

" أنشأت بن (عمورو) = من ايلي إيمني، حرة {دوم} (اشعلت عودته الى والدته) فقد خلعه من عبوديته واعطاه قرصه المختوم ، إذ قال إيلي- غيمتي في المستقبل لابنه ابن عمورو " أنت لست أبي " فسيعود الى منزل العبودية {وإذا قال عمورو} والده لإيلي- إيمني-إبنة أنت

لست إبني" فسوف يزن منا من الفضة، لقد اقساموا بالتبادل باسم الملك^(١٢٢) ونلاحظ في البرديات المصرية والقوانين الرافدية الحرص على ذكر الملك إما بالاسم أو بالإشارة اليه وكأنهم يهدفون الى أن تكون الدولة ممثلة بأعلى سلطة فيها شاهدة على هذه العقود، إضافة الى الشهود المعتادين.

في السنة التاسعة من حكم قورش () أعلنت السيدة هيبتا-Hibtā- امام المعبود شانجو- سيبار اعترافها اعلان عبدها بازوزو-Bazouzou ولدا لها شرط أن يوفر لها ما يكفي معيشتها وما تتطلبه من زيت وطعام وكساء، وقد حدد المشرف على المعبد كميات الطعام والتوابل والاقمشة، وباقي الاتاوات المفروضة على المتبني^(١٢٣)

وكان يتم تبني أبناء العاهرات أيضا ولا يتم استثنائهم فلم يتحملون وزر امهاتهم وابائهم ففي الوثيقة (Eduba'a EP i l 14)، 34 "من S'u-Es'tan S'u-Es" طفل (تم إلقاءه) في فرن اسمه أوتي، ابن؟ تبناه الاب إيلانوم واقامه وريثا له، ودفع ١٠١ شواقل من الفضة للمصاريف المتكبدة (في) (تربية الطفل (=بيلاتوم) لديه (عبد له) بيلاتوم سوف اطلق عليه لقب " طفلي ولن يقول له بعد الآن عبدي". اقسام بالنا { أنا من أقاربه } وفقا لذلك.^(١٢٤)

وهنا حالات معاكسة للوضع السابق وهو تحويل الابن الحر أو المحرر الى عبد فقد ورد في قانون اشنونا "أن الابن الذي ينكر اياه يخلق رأسه وتوضع عليه علامة العبودية ويباع وهذا مايعرف بنكران أبناء التبني لمن يتبناهم " إذا قال الابن المتبني لأبيه انن لست ابي فيقص شعر ناصيته ويضع علامة العبودية، وبيعه بالفضة " وبالتالي يمكننا ان نتوقع ان العبيد كان يتم وسمهم بوسم قابل للإزالة، وحينما يتحول العبد الى حر تتم إزالتها بالتطهير- الغسل- وقد ورد في قانون اشنونا المادة(٥١) " منع الرقيق التابعين لاشنونا، والمعلمين بعلامات العبودية -وهي ثلاث كما ذكرها القانون من الخروج من أبواب اشنونا دون موافقة مالكيهم، بينما نصت المادة التالية لها (٥٢) "على ضرورة وسم الرقيق القادمين الى اشنونا مع مالكيهم بالعلامة نفسها"^(١٢٥) ولا نعرف ماهية هذه العلامة التي وردت في العديد من النصوص القانونية الرافدية

، فقد ورد في بعض المعاجم اللغوية السومرية والاكادية إشارة الى وسم العبودية ونصت احد مواد القانون على حق الاب المتبني ان هو انكره بوسم ابنه المتبني بوسم العبودية

على انه هناك حالات تبني لا يتم تحويل المتبني الحر الى عبد بل يتم تغريمه ماليا وذلك ضمن اتفاق مسبق بين الجانبين- ونعتقد ان هذه الحالة مقتصرة على حالة كون المتبني بالغا وليس طفلا بمعنى لم يكلف والديه بالتبني عبء التربية والنفقة -

أما عن استقلال الابن أو العبد المتبني بعد وفاة متبنيه فهي مثبتة ولا يمكن لأقارب المتوفى استرقاق العبد المعنق فهو يبقى حر مع وجود فارق بين العبد المتبني، والعبد المشتري^(١٢٦) رغم أن الابن المتبني له حق في الميراث ، والعبد ليس بالضرورة أن يرث الممتلكات -وهذه طبقية رغم التبني- وتعتبر حرته التي حصل عليها من العبودية هي أكبر تركة يحصل عليها وهو هنا يشابه أبناء الرجل من المحظية أو الجارية

لم يكن الزواج من الاماء بحاجة الى عقد يجريه الرجل لزوجته الامة فهي ملك لسيدها، وتقال الامة حررتها بعد وفاة مالکها إذا كانت قد انجبت أطفالا، كما ان الرجل يمنح أبناء امته الحقوق الشرعية والقانونية ، ويعدم مع أولاده من زوجته المختارة^(١٢٧) وفي قانون اورنيمو (٢١١١-٢٠٩٤ ق م) المادة (٢٨) " إذا تزوج عبد ذكر من امرأة محررة ، وقدمت السيدة وريثا واحدا وهو الابن الذي سيعرض على سيده (سيقسم نصف سلع منزل والده ، ولن يصبح عبدا دون موافقة الملك"^(١٢٨) والنص هنا يذكر سيدة محررة، وليست حرة والفرق بينهما واضح؛ ولذا فإن الحكم يتفق مع الوضع الاجتماعي لكلا الزوجين.

وقد منح قانون حمورابي في المادتان (١٧٠-١٧١) أبناء الامة الحق في إرث ابئهم - زوجها- على الرغم من كونهم غير شرعيين من وجهة نظر القانون، إلا إذ اعترف بهم قبل وفاته "إذا ولدت له امته أولادا وقال الاب في حياته الى الأولاد الذين ولدتهم له الأمة (يااولادي) فإن هذا يعطيهم حقا كاملا في الإرث"، و" يتقاسم أولاد الزوجة الأولى واولاد الامة ممتلكات بيت الاب بالتساوي" ، أما اذا لم يعترف بهم الاب عند وفاته فإن ارثهم فقط أن يمنحوا حرته

مع امهم ولا يجوز لآخوتهم استعبادهم بل يذهبوا في حال سبيلهم^(١٢٩) ومنح الام الحرية هنا حتى لا يتم استرقاقهم باعتبارهم أبناء امة سواء من آخوتهم او من غيرهم.

ورد في بعض الوثائق الاشورية ان الرجل كان يتزوج من الكاهنة التي تحتم عليها وظيفتها الدينية عدم الانجاب ، ثم يتزوج من كاهنة أخرى اقل مرتبة او مكانة ومسموح لها الانجاب بمعنى انها لم تكن أمة للكاهنة، بل قد تكون اختا لها الا انه تبني بعض أبنائه -وليس كلهم- لاضفاء الشرعية عليهم- ونفترض من خلال تكرار هذه الحالات ان هاك عرفا وليس قانونا، وهذا العرف يقلل من مكانة ابناء الجارية مهما اعترف بهم والدهم ، لذا يقتصر الاعتراف من قبل الاب على ابن واحد فقط.

وقد وجدت وثيقة في تل براك- شمال شرقي سوريا في بداية العصر البرونزي مؤرخة بعصر الملك الميتاني نوسترانا-Tusratta- (١٣٤٠ ق م) تذكر ان شابا منح الجنسية الميتانية لابن خليلته-Esirtu- وانه منح سلسلة من العقارات لامرأة اسمها بوراما-Purame- وأولادها كما تزوج من امرأة أخرى-Tilunaye- ويرى الباحث انه مواطن حر قد قرر اعتناق العبد واعطائه الجنسية وتوريثه^(١٣٠) وهذا يعني انه تم تبنيه- وان بورامي هي محظية وقد قرر إضفاء الشرعية على أبنائها بمنحهم الجنسية وبالتالي منحهم حقهم في الإرث.

التبني في مصر:

عُد الدين في مصر القديمة عاملا مهما في تنظيم العلاقات القائمة بين الناس، وكان ينظر للإلهة على انها مصدر للأوامر والتشريعات داعمة للإجراءات القضائية ، وقد ظهر القانون كآلية للحفاظ على إرادة ماعت-Matt ربة العدالة- على الأرض، ولعب الملك دورا مهما من خلال وضع القانون والسلطة الممنوحة له لتنفيذه، وهو وضع مماثل لما في بلاد الرافدين، كما كان من واجب الملك المحافظة على النظام واستعادته، وكان الوزير هو مندوب الملك وكاهن لماعت- ورئيسا للمحاكم ايضا^(١٣١) . ووفقا لبروير فإنه لم يكن هناك سوى عدد قليل من القوانين المقننة لأن الملك كان هو القاضي الأعلى الذي انبثقت منه القوانين^(١٣٢) والملاحظ ان

القوانين المصرية لا تقارن في عددها أو تنظيمها بالقوانين الراقدية الا انه يمكننا ان نرجح انه كان هناك حالات تبني قبل هذه الفترة ربما لم يتم توثيقها.

بحلول الالف الثالث قبل الميلاد - الدولة القديمة- كان النظام الاجتماعي والإداري في مصر قائما على إحصاء الحقول والماشية، ومنذ عصر الاسرة الثانية اتضحت ملامح المجتمع المصري القائم أساسا على الاسرة حيث وضعت القوانين الإدارية ومنها إحصاء الحقول أو الأراضي الزراعية، الإحصاء السنوي للسكان^(١٣٣) ونتوقع أنه بناء على ذلك تم الاهتمام بتوضيح حالات التبني للأطفال من اجل حصر ممتلكات الاسرة، وقد تألف نظام القرابة المصري من عدة اسس يعبر عنها بالزواج، الانجاب، والنسب^(١٣٤)

وفي عصر الدولة الوسطى كانت مصادر القانون مستمدة من النقوش الملكية، والبرديات، والمراسلات والوثائق، والادب، أما وثائق الدولة الحديثة فتشمل المراسيم الملكية، بعض النصوص في مدونات قانونية تناولت الزواج، التبني، البيوع، التبرعات، الميراث، والمنازعات امام المحاكم، و يعود اكتشاف أول مدونة قانونية في مصر الى القرن الثامن قبل الميلاد (٧٤٧ ق م) حيث تمت معرفة العديد من القضايا في الأحوال الشخصية كجزء من مدونات قانونية عرفت باسم Codex Hermopolis- شملت إرشادات للقضايا القانونية الصعبة على وجه الخصوص^(١٣٥)، وقد اعيد صياغتها من قبل مجموعة من الفقهاء في أوائل القرن الثالث قبل الميلاد^(١٣٦)

وكان النسب دائما الى الاب في النصوص المصرية منذ عهد الدولة القديمة، أو الاب و الام معا مع ذكر الجد للاب فقط، مع وجود حالات قليلة ذكر فيها النسب الى الام إذ كانت من الاسر النبيلة وذلك لتوريث اللقب لابنها، اوان تكون ثرية ذات مكانة اجتماعية، او ان يكون الابن غير شرعي فلا ينسب الى والده- كما في العادات العربية التي ابطها الإسلام { إدعوهم لإبائهم ذلك اقسط عند الله... } وظهر هذا واضحا في الدولة الوسطى تحديدا^(١٣٧) ونرى هنا ان الدافع وراء ذلك هو ان مصر حكمت من قبل عناصر اجنبية هم الهكسوس

لم يختلف المجتمع المصري عن بقية المجتمعات في التشجيع على الزواج بإعتباره وسيلة للحصول على الأطفال، وقد ورد في نص يعود الى الدولة الحديثة (١٥٧٠-١٠٧٧ ق م) على لسان الحكيم أني - Anii لابنه خنيسو حتب - Khinsu - Hatab يحثه فيها على الزواج " يا بني اتخذ لنفسك زوجا وانت صغير حتى تنجب طفلا لك فإن انجبته لك في شبابك امكنك ان تقوم على تنشئته حتى يغدو رجلا" (١٣٨)

ذكر الادب المصري انه اكبر نكبة يتعرض لها الفرد هو فقد الأبناء، ولم يعرف سبيل السعادة من حرم من الأبناء، إذ مثل الاهتمام بالأبناء جزء من حاجة المجتمع لهم حيث يعتمد الآباء على الأبناء عند الكبر فقد وجد على كسرة فخارية من دير المدينة يرجح انها تعود الى الاسرة التاسعة عشرة (١٢٩٢-١١٨٠ ق م) رسالة موجهة الى رجل اسمه نخم موت - Nakh mutt "الى نخم موت، أطل الاله بقاءك في صحة وسعادة في ظل إلهك العظيم آمون-رع ملك الإلهة -معبودك دائما، ماذا يعني هذا، الوضع البائس الذي وضعت نفسك فيه فأصبحت وليس هناك من يحثك رغم علو قدرك...ورغم كونك ثريا فإنك لاتعطي احد شيئا، ومن كان بلا ولد فعليه تبني يتيم يربيه فيجد من يصب الماء على يديه مثل الابن الأكبر الحقيقي" (١٣٩) وهنا يظهر اختلاف في المسمى عن نصوص التبني في بلاد الرافدين التي تذكر أسماء والدي الطفل المتبنى غالبا حيث يتم الاتفاق معهم، فالحال هنا التشجيع على تبني طفل يتيم. مما يرجح معه ان التبني في مصر كان مقتصرًا على الأطفال الأيتام فقط.

ورد في النصوص المصرية ان الابن هو " المعين على الشيخوخة" كما ورد في سيرة كبير الكهنة امنيمحات - Ammneimhat - فالولد الأكبر هو المسؤول عن دفن والديه ويتكفل بمصاريف ذلك كله ويصبح مسؤولا عن تقديم القرابين، فقد وردت عبارة وصفت أهمية الأبناء مثل: "السبب في احياء اسم الاب" حيث يجب على الابن ان يردد ذكر اسم الاب كلما مر على اثره، وان هذا يعدل خدمة الاب اثناء حياته إن لم يكن أكثر، وأيضا ورد في نص منقوش على احد الجعارين " يخلد اسمك، وورقت بالولد"، (١٤٠) وكان عدم انجاب الأبناء قاسيا على الزوجين خاصة المرأة التي تفرح بكونها أصبحت اما فقد وجد تمثال لإمرأة

تمت إعادة تاريخه الى عصر الدولة الوسطى مكتوب على الساق الأيمن عبارة" تأمل أن تلد ابنتك ساح" (١٤١)

وردت بعض الامثلة عن وجود صيغ شبيهة بالتبني منذ عصر الدولة القديمة رغم ان شواهد التبني الكتابية لا تظهر الا خلال الالف الثاني قبل الميلاد، إذ تذكر فورمانس - Vormance انه لا يوجد عمل يوثق التبني قبل الاسرة التاسعة عشر المصرية، (١٤٢) على أننا نفهم من وجود بعض العبارات مثل: "ولده رضيعه"، أو " ولده ربيبه" انها تعني تبني أطفال، وتبدوا عبارة" أبناءه من صلبه" المكتوبة على منظر عائد الى عصر الدولة القديمة مرسوما على جدران مقبرة يمثل رجلا ويصطف حوله سبعة عشر من الأبناء والبنات (١٤٣) دليلا محتملا الى ان الرجل يفتخر بأبنائه الطبيعيين ربما مقارنة بمن ليس لديه أبناء، أو ممن تبني أطفالا ايتاما.

يمكن للازواج المحرومين من الإنجاب ان يتبنوا افرادا غير مرتبطين معهم بروابط الدم، كما كان يمكن للزوج أن يتبنى أحد الاطفال في حال كانت زوجته لم تتجب أطفالا، أو يأخذ احد الإماء لتلد له طفلا، وهذا تقليد مشترك مع بلاد الرافدين. وهو كما يبدو الوسيلة الافضل للحصول على الأبناء. كما يمكن للرجال والنساء من غير المتزوجين، والأرامل المتقدمات في العمر تبني الأطفال؛ وقد قامت السيدة- نانفر- Nanfer بعق ثلاثة من أبناء خدمها وتبنيهم ووهبتهم جزء مهما من ممتلكاتها، وتم تدوين ذلك في عقد مكتوب، كما يجوز للرجل العقيم أن يتبنى زوجته صوريا ليؤمن لها نقل املاكه لها من بعده-بالإضافة الى الميراث من الحقول والممتلكات (١٤٤) مما يوحي أن الزوجة ستواجه منافسة من الورثة في الإرث لذا تمت حمايتها- وبذلك تكون زوجته هي وريثته الرئيسة؛ إذ كان للمرأة مستقلة حق التبني وامتلاك الأرقاء وتحريرهم، كالرجل تماما (١٤٥).

منح القانون في مصر الطفل المتبنى نفس حقوق الميراث التي يتمتع بها الطفل الطبيعي ، وهذا يعني انه بمجرد تبني الطفل فإنه سيكون مستحقا للارث وفقا لمبادئ العرف دون وصية

(١٤٦)، وبالتالي فإن جملة التبني هي جملة واضحة الى حد ما كما وردت في بردية التبني "جعلني (لنفسه ابنة) (١٤٧) لذا كان التبني هو الوسيلة الافضل ليرث الابن ممتلكات والده المتوفى وليس اخوته او اخوتها كعرف متبع دون وصية، حيث ارتبط قانون الوراثة بالدين، ولذا كان على الوالدين اتخاذ ترتيبات معينة للخلافة مسبقا (١٤٨) من أجل نقل الممتلكات خارج خط الخلافة او الوصية العرفية وبالتالي فإن تبني طفل في حالة عدم وجود أطفال طبيعيين كان وسيلة لانهاء حق الاشقاء في الميراث .

كان من المتعارف عليه ان يعلم الاب ابنه واحيانا أبناء غيره فيصبح أبا لهم اجلالاً له وصارت هذه من العادات المعروفة في مصر اذ يصبح للرجل ابوان وتفرق وصية بتاح حيث- Bttah Hyt - الاسرة الخامسة (٢٤٩٤-٢٣٤٥ ق م) من "الابن بنعمة الاله وفضله والابن الحقيقي العاصي لابه" وقد اطلق على هذا الابن بالتبني لقب "عكاز الشيخوخة" وهو المتكفل بمعلمه عند شيخوخته (١٤٩)

وكان يعهد لأبناء الفراعنة بالمربيات والمرضعات وهن من الاسر النبيلة وبعضهن كن أمهات او زوجات لكبار موظفي الدولة وحملن لقب " المربية الملكية " او "كبيرة المربيات الملكيات"، وفي جانب اخر حمل المربي ايميحتب-Amihutub بصفته وزيرا لقب " الاب المربي لاولاد الملك"، وكان سننموت-Sannimut "الاب المربي" للاميرة نفرورع - Nfrorae ابنة الملكة حتشبسوت وكان وصيفا للأميرة، حيث تمثل وظيفة الاب المربي مكانة اعلى من المعلم المربي (١٥٠)

وهناك أبناء تربوا مع أبناء الفراعنة في قصورهم واصبحوا رفقاء لهم ومن هؤلاء إيقار نفرت- Eiqir-Nfret الذي علت مكانته وحمل لقب "ابن الملك بالتبني" حيث تربى بين أولاده وكان هذا في عهد الدولة الوسطى (٢٠٦٠-١٧١٠ ق م) (١٥١) وهناك طائفة أخرى من الرفقاء الملكيين وهم أولاد مرضعات الفراعنة وبالتالي هم اخوتهم من الرضاعة، وحظي هؤلاء بمكانة

عالية في القصور الملكية وتولوا مناصب رفيعة في الدولة، ومن هؤلاء كبير كهنة معبد الكرنك مري-Meri وهو اخو الفرعون من الرضاعة وكان والده كبير كهنة الاله آمون في فقط ، مما يدل على أنه يتم توارث المناصب الدينية كمثل المناصب الدنيوية^(١٥٢) ولم تعرف بلاد الرافدين مثل هذا النوع من الابوة ، ولاحتى الاخوة من الرضاعة كما عرفتھا مصر مما وسّع من نطاق الأبوة غير الحقيقية الشبيهة بالتبني إن جاز لنا التعبير.

كان للتبني في مصر غرضاً آخر وهو وراثة المناصب كما ورد في وصف ابن الملك - SA nsw بالتعبير عن المرتبة من حيث القرابة المتصلة بالملك^(١٥٣) حيث تبدو أهمية القرابة في سياقات النخبة الحاكمة وهي سلطة لممارسة احتكار القصر للمناصب من خلال وراثة العرش من الاب الى الابن، ونعتقد ان هذا التقليد انتقل الى بقية المناصب. الدينية والسياسية أيضاً. وتفوقت فيه مصر على بلاد الرافدين

وورد في لوحة تعود الى عصر الملك سنوسرت الثالث (١٨٧٨-١٨٣٩ ق م) تعاليم بتاح حتب- "الا يعترف بالابن على انه ابنه أن يتخلى عن الحدود التي وضعها بدون قتال، ولكن من تخلى عنها، ولم يقاتل من اجلها.. انه ليس ابني، لم يولد لي " كما ورد أيضاً في نص آخر " الأطفال من يستحق الحياة هو ابن غيره خير من الابن الجاهل الرحيم"^(١٥٤). وفي هذا إشارة الى تبني طفل جيد يمكن الاعتماد عليه بدلا من ابنه الطبيعي الجاهل، ففي بردية كاهون (73023-PR-IMYPapyrus) يقول الاب " اعطي مركزي كرئيس للطائفة ابني... لدعم تقدمي في السن لاني تقدمت في السن "^(١٥٥) والحالة هنا تمثل توريث الاب منصبه لابنه كنتقليد معروف في مصر القديمة

وقد زار ديودوروس-Diodorus مصر وذكر في كتابه-Magnus Opus- "يلتزم الإباء المصريون بتربية أبنائهم جميعا لزيادة اعداد السكان ، فقد راوا ان ذلك يزيد عمران البلاد والمدن، ولم يتعودوا ان يعتبروا أي ولد ابنا غير شرعي، ولو كان ابن جارية مشتراة"^(١٥٦)

وقد اشتملت وثائق الدولة الحديثة على الكثير من البرديات ومعظمها مستمدة من طيبة - جنوب مصر- ومن خلال القوانين يتبين أن الزوج الباقي على قيد الحياة ليس وريثا بشكل تلقائي، إلا أنه يرث بموجب الوصية، وبناءا على هذا يمكننا فهم وصية نينوفر وتبنيه لزوجته- سيتم ذكرها لاحقا- وقد وجدت بردية تعود الى عصر الدولة الحديثة- الاسرة السابعة عشرة وهي ((UC 32055) ويذكر فيها أن الزوج قد ورث زوجته أمواله وكذا أولاده شريطة أن تحتفظ الزوجة به في حياتها ، وأن يتم تقسيمها بين الأطفال بعد وفاتها - بعد شيخوختها-(١٥٧)

في وثيقة التبني-Papyrus Ashmolean- التي تعود الى الدولة الحديثة- الاسرة العشرون- في عهد الملك رمسيس الحادي عشر (١١٠٥-١٠٧٠ ق م) يرث إسم السيدة اسمها نانفر-Nanfer- وزوجها-نينوفر Nunever - رغم انها مكتوبة بالنيابة عنها، وكان الهدف منها هو ضمان حق السيدة التي لم تنجب اطفال في إرث زوجها، ومثلت هذه الوصية وثيقة خاصة تم حفظها في محفوظات الاسرة ، وليس في سجلات المحكمة . والوثيقة مكتوبة بالهيراطيقية وهي طويلة يمكن تلخيصها على النحو التالي:

" السنة الأولى - الشهر الثالث من الصيف- اليوم ٢٠ من عهد جلالة ملك العليا والسفلى مصر خيموس مريمون- الإله حاكم هليوبوليس ، اعطى الحياة للجميع خلود في مثل هذا اليوم... وتقدم تقديما لأمون عندها نينوفر يايلاي وجعلني طفلة . .زوجي كتب لي كل ماله ، وليس له ابن أو ابنة على حدة ،" كل الأرباح التي جنيتها معها سأورثها لنينوفر يايلاي الزوجة، وإذا قام أحد من اخوتي ،أو اخواتي بمواجهة موتي غدا أو بعد ذلك ويقولون " ليأخذ نصيب اخي (لي) قبل كثير- و نينوفر بن أنروكيه، سيد الاسطبل، والعديد من الشهود، امام شيردين ساتامينو وزوجته اديبو .. هو هذا لقد أصدرت وصية لزوجتي نينوفر هذا اليوم..."

وتستمر الوصية لتذكر حالة أخرى للتبني تتمثل في تبني نينوفر بدورها اخاها الأصغر، وتزوجه من ابنة امته، وتبني اطفاله الثلاثة:

" السنة ١٨ الشهر الأول للفيضان اليوم العاشر من عهد جلالة ملك الأعلى ومصر السفلى رب الارضين منمراسنتيتاح بن رع الرب من الاكليل رمسيس خيموس- مري امون الاله

حاكم هليوبوليس-". في مثل هذا اليوم (١٥) نينوفر تقول " اشترينا الانثى " زوجة العبد دننتيري-
Dinteri، انجبت هؤلاء الأطفال الثلاثة ذكر وامرأتان، الثلاثة جميعهم واخذتهم وربيتهم ودربتهم
،وقد وصلت هذا اليوم معهم دون أن يفعلوا شرا نحوي، لكنهم تعاملوا جيدا معي انا ليس
لدي ابن أو بنت غيرهم، ودخل سيد الاسطبل باديو منزلي وأخذ تاميني-Tamini- اختهم
الكبرى أي زوجته فهو قريب مني وكونه اصغر مني شقيق وقد قبلته لها وهو معها، وهأنذا
اجعلها حرة من ارض فرعون، والان ولدت أبنا أو بنتا كن احرار في ارض فرعون.. كونهم
مع سيد الاسطبل باديو اخي الأصغر، واليوم اجعله ابني مثلهم تماما...،أذا كان أي ابنة أو
ابن أو اخت أو اخ لامهم، ويجب أن يناع والدهم حقوقهم باستثناء باديو هذا ابني، لأنهم بالفعل
لم يعودوا معه عبيدا، بل معه كأخوة واولاد كونهم أحرارا في الأرض من فرعون... وإذا كان لدي
حقول في البلد ، أو كان لدي أي ممتلكات في العالم .. سيتم تقسيمها على اطفالي الأربعة
باديو واحدا منهم.. أبني الذي تعامل معي بشكل جيد عندما كنت ارملة .. وعندما كان زوجي
يفعل ذلك.."^(١٥٨) ومن خلال تحليل هاتان الوثيقتان يتبين لنا ان هناك ثلاث أنواع من
التبني: الأول تبني الزوج- نينوفر لزوجته، تبني الزوجة نانوفر لأخيها الأصغر باديو ، وتبنيها
لأطفال الخادمة الثلاثة وانتشالهم من العبودية. ليصبحوا أحرارا. وقد ذكرت يرديية تورين حالة
تبني أخرى " ان رجلا جعل زوجته الثانية ابنة له مثل أطفال زوجته الأولى^(١٥٩)

وتمثل البردية الثانية للتبني أهمية خاصة لانها تتعلق بتبني الأميرة نيتوكريس-Nitocris ابنة
الملك ايسماتيك الأول- Psmatic-1 (٦٦٤-٦١٠ ق م) انها الأقرب نموذجا يتبين منه التأثير
الرافدي الواضح فيما يتعلق باعتبار بنات الاسر الملكية زوجات للآلهة حيث يتم تجهيزهن بهدايا
ثمينة من قبل آبائهن تليق بمكانتهن الاجتماعية أولا ثم الدينية، مع اختلاف بسيط بين
اوضاعهن تبعا للأعراف السائدة فيما يتعلق بترسخ تقليد نذر بنات الاسر الملكية الرافدية
السامية- لخدمة المعبد عنها في مصر. إلا أنه تضمن اختلافات واضحة فليس هناك فئات من
الكاهنات (الانتو والناديتو) خصصن لخدمة المعبودات ، واللاتي كن يبدأن صغارا وللابد ؛
فيما كانت نيتوكريس اكبر في العمر. وقد وصلت نيتوكريس الى حكم مصر بعد والدها، كما أنها

تبنت ابنة هي انخسفيربري - Inkhsfirberi^(١٦٠) لان التبني في مصر مشابه لما هو موجود في بلاد الرافدين حيث لا يستطيع الكهنة ولا الكاهنات الانجاب- وإن لم تحدد مصر فئة الكاهنات كما في بلاد الرافدين- وقد حدد تاريخ البردية للعام (٦٤٧ ق م) وتذكر البردية:^(١٦١)

"في السنة التاسعة، الشهر الأول من الموسم الأول في اليوم (٢٨) خرجت ابنته الكبرى من بيت عائلة الملك ، مرتدية الكتان الفاخر ومترينة بالملاكية ، يحيط بها عدد من الحاضرين، ولقد استغرقت الرحلة نحو ١٦ يوما حتى طيبة، وكان قائد الرحلة رفيق الاميرة نجل هيراكليوبوليس،... وفي السنة التاسعة الشهر الثاني من الموسم الأول ، اليوم الرابع عشر وصلوا الى مدينة الالهة طيبة حيث استقبلها جميع سكان طيبة رجالا ونساء.....فقالوا " جاءت ابنة ملك الصعيد نيتوكريس الى بيت آمون فيقبلها وجاءت ابنة ملك مصر السفلى شنوبيت-Shepmupet-الى الكرنك... وانها كانت راضية عنها واحبتها أكثر من كل الذي والدها ووالدتها.... وأنها " الابنة العظمى" ، وقالت انها نقلت اليها ثروة الملك منتصرا، ثم وضعه في كتابه قائلا " لقد قدمنا لك كل ممتلكاتنا في الميدان .. والشهود هم الأبناء والكهنة وجميع اتباع الهيكل ..والالتزام الى أبد الابدين"^(١٦٢)

" انا ابنة، اتقدم للاله الذي انجبه لنفسه، لإرضاء قلبه ، اعطيته ابنتي لتكون رفيقة آلهة لكي، {تستدعي حماية الملك} أكثر من أولئك الذين كانوا قبلها حتى تكون راضيا عن صلاتها..... وهناك طهراقا، هأنا قد سمعت الان قائلا " أرضه أعطاها له، وانه " قدم ابنته الكبرى " الذي هو هناك باسم الإله شخصا يطرد وريثا من مكانه ، فانا ملك يحب الحقيقة، ورجسي الخاص هو الكذب، أنا ابن يحمي والده، ويأخذ الميراث...وبالتالي اعطى لها ليكون له " ابنة كبرى" كما والدها(مرة واحدة)، تقبل بسماتيك، وهيري سجدوا على الأرض وقدم الشكر للملك العليا ومصر السفلى... ما اجمل هذا الذي يصنعه الملك للإله ..كل وصيتك ستبقى وستدوم....يعيش الى الابد، ويفرح بذكر اسمك يا حورس العظيم باسمك الخاص يجب ان

يذكر..ما اجمل ان يصنعه ابوك لك، لقد فعل هذا كنتكار لأبيه آمون سيد السماء، أعيش الى الابد (أنا) ملك مصر العليا و السفلى ابسماتيك ، لتكون.t. Jqr.nt- الجميلة رفيقة للآلهة (١٦٣) .

ولم تكن نيتوكريس حالة استثنائية فهناك بعض السيدات كن زوجات المعبود آمون لكنهن كن أمهات وزوجات، وان هذا المنصب كان مقدسا وبالتالي كان السبب للتبني في هذه الحالة دينيا ، وإن لم يتم استبعاد الأسباب السياسية أيضا (١٦٤) ونفترض أنهم كن من بنات الأسر الحاكمة أو كبار رجال الدولة فأهمية المعبود تستوجب ان تكون خدمته قاصرة على بنات الاسر النبيلة.

أما وثيقة التبني الأخرى فهي الوثيقة المعروفة بوثيقة الفانتين- Elephantine و- جزيرة جنوب مصر على الحدود مع بلاد النوبة-(١٦٥) وتوصف هذه الوثيقة بأنها تعبر عن من المجتمع الآرامي في مصر والذي رغم احتفاظه بعاداته، الا انه كان متأثرا بالعادات المصرية، ويرد في هذه الوثيقة (TAD B39) والمؤرخة ب٢٢سمبتمبر العام (٤١٦ ق م) وفيها " اسم المتبني أوريا بن معسيا- Uria -Musia الذي تبني عبدا اسمه يدينا بن تاخوي -Takhoi أمة زكور بن مشلام " في السادس من تشرين أي اليوم الثاني والعشرين من بايني السنة الثامنة لداريوس الملك ،ثم في سبنيSyene- القلعة أمام الوصي فيدرانجا-Virdranga- قال أوريا بن معسيا: أربي قائد اسوان قائلا: الذي اعطيتي ووثيقة{د}rla {انت}Takhoi بالاسم ابن جدينا- Jedaniah- ولقد كتب لي عنه ولكي أكون قادرا، أنا أو أوريا أو ابن أو ابنة لي او أخي أو اخت لي، أو رجل، (لن أكون قادرا) على الضغط عليه، سيكون إبني أنا، أو إبني أو أبنتي أو رجل لي (إلى) أو أي شخص آخر ، ليس له الحق على الوقوف في وجه يدينا ليوسمه أو يجعله عبدا...وأن يكون يدينا إبني كذلك، والفرد ليس لديه الحق في وصفه أو جعله عبدا ، ولكي يكون إبني كتب روخشانه بن نركال شزيب بأمر من أوريا...." ،ثم تمضي الوثيقة في ذكر أسماء الشهود (١٦٦)

أما الوثيقة (TADB 3.6.427) فهي استكمال لوثيقة الفانتين، ووصفت بأنها تبني ثانوي، وتخص ميشلام-Mishlam الذي وعد خادمته المصرية تاميت -Tapemet وابنتها يهوشما- Jeh (o) ishma بالحرية بمقابل كبنات له بالتبني وبالتالي كان الوصف في الوصية "عتق" اليوم ٢٠ من سيفان وهو اليوم السابع من العام العشرون لإرتحشتا الملك، وقال مشلام بن زاكور بالإسم لخادمته Tapemet للسيدة أيدينبو -Iddinnabu- من ميشلام قائلة: فكرت فيك، في حياتي (لكي أكون) حررتك عند موتي، وأنا بالإسم ابنتك التي انت يوصيه لي-يهوشما-، اطلق سراح ابني او ابنتي، أو أخي، أو أختي، قريب أو بعيد، شريك في المتاع، أو الشريك في الأرض، ليس له حق... (س) أبنتك من ولديتيني... أنت بوصيه لي، سوف تعطيك جزء الفضة، و٥٠ كرش بحجر الملك،.... وأنت تحررت من الظل الى الشمس، وكذلك (يشماك) Jeh(0)ishmal ابنتك،....وقالت تيامت، ويهوشما ابنتها نحن سنخدمك (ا) ابن وابنة يعيل والده في حياتك وعند موتك، سندعم زكور ابنك الوحيد مثل الإبن الذي يعيله ابوه، كما كنا نفعل لك في حياتك، نحن إذا نقف قائلين: لن ندعمك كما يعيل الإبن والده ولا زكور ابنك بعد موتك سنكون ملزمين تجاهك ولذا زكور ابنك بغرامة قدرها ١٥ فضة، و٥٠ كرش بحجر الملك من الفضة النقية...، كتب هذه الوثيقة في الفانتين بتعليمات من ابن ميشلام زكور. كما تورد الوثيقة بعد ذلك أسماء الشهود^(١٦٧)، وترى Vormance ان يهوشما ابنة تامبيت قد ورثت مهنة والدتها حيث يتم اسقاط مهنة الام على الابنة كعادة مصرية، رغم أن يهوشما هي ابنة لعنينا- Ananiah - بيولوجيا والذي تزوج من تامبيت، هذا العقد اقرب الى عقد عمل- خدمة- أكثر من كونه عقد تبني خالص بالمعنى المعروف للتبني، بل مشابه لعقود العمل الحالية فالام وابنتها تلتزمان بخدمة ميشلام وابنه زكور مقابل انتشالهم من العبودية من خلال عبارة "أنتم مطلقون للإله" وهي عبارة ترى Vormance انها شائعة في المجتمعين البابلي، واليهودي الذي نعتقد أنه نقل الكثير من التقاليد البابلية بعد السبي البابلي، وأن حريتهم مرتبطة بمدى تنفيذهم للاتفاقية الموقعة بين الطرفين حتى بعد وفاة صاحب الاتفاقية ميشلام، بل ورعاية ابنه زكور الذي زوج اخته يهوشما للرجل الذي تقدم لها الذي كان ابنا لشقيق زكور حيث تم اختياره بمعنى انه لم يكن صدفة،^(١٦٨) أما عبارة "لن ندعمك كإبن يدعم

والده" فهي في ظني كافية لإلغاء أو فسخ التعاقد بينهم خاصة انه مقترن بدفع غرامات ربما لن تستطيع جارية وابنتها دفعها، وهذا يقودنا بالتالي للعودة الى العبارات الواردة في نصوص عقود التبني الرافدية التي يرد فيها " عبارة انت لست أبي ، أنت لست أمي" وما يترتب عليها من عقوبات أهمها إعادة الأبناء العاقين الى حالة العبودية السابقة وبيعهم في الأسواق.

وفي حالة تبني اخرى تبنت نونخت - Nunakht اوريو واطفالها، رغم وجود أطفال لديها^(١٦٩) فقد ذهبت الى المحكمة المحلية من اجل توثيق حرمان بعض من أبنائها الثمانية من الإرث كسيدة حرة تملك قرارها " انظر أي إمراة عجوز الآن وهم يرعونني ..أما هؤلاء الذين كانوا يسألون عني ،فأني اترك لهم من ممتلكاتي ، أما الذي لم يسأل عني فسوف احرمه من هذه التركة..". ثم توضح أسماء من سيرث من ثلثها الخاص، ومن سيرثون من الثلثين الباقين، ومن سيحرم تماما^(١٧٠). وهذه من الشواهد القليلة في مصر التي تبين عقوبات الأبناء الرافضين رعاية والدتهم..

ولعل ابرز شخصيتين تم تبنيهما في مصر هما النبيان يوسف وموسى عليهما السلام ولن نجد افضل من القرآن الكريم لمعرفة قصص تبنيهم، والمعروف انه لم يتم تحديد تاريخ وجودهم او تبنيهم ولأي عصر كان ذلك رغم وجود العديد من النظريات حول ذلك. ولقد ذكر القرآن الكريم قصة النبي يوسف عليه السلام بعد إنقاذه من الجب ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ومن خلال السياق القرآني نفهم ان يوسف عمل في بيت من اشتراه كخادم، ولم يتم تبنيه لأن التبني في مصر كما يبدو مختلفا عن بلاد الرافدين فهو لا يتضمن شراء للأطفال من ذويهم، عدا أن يوسف قد تخطى سن الطفولة، كما أن زوجة العزيز قد حاولت إغوائه وهذا لن يتم في حالة كونه طفلا متبنى وهي بمثابة والدته، و من خلال دراسة تحليلية حدد جويلي ان الوزير رخمى رع وزير الملك تحوتمس الثالث(١٤٨٢-١٤٢٦ ق م) وابنه امنحتب الثاني(١٤٢٦-١٤٠١ ق م) هو النبي يوسف^(١٧١) - وهذه وجهة نظر للباحث تطرح كمحاولة لتحديد عصر هذا النبي ؛ فيما يرى

الكافوري ان فترة ملك يوسف لمصر تعود الى عصر الهكسوس ، ويشاركه البعض في هذا الرأي على اعتبار أن الهكسوس كانوا رعاة أو بدوا، وأن موسى عليه السلام جاء تاليا له بنحو ١٠٠ عام (١٧٢)

اما النبي موسى عليه السلام فقد وردت قصته في القرآن في العديد من السور الكريمة منها سورة القصص التي أوردت القصة منذ بدايتها ﴿أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) فَأَلْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨) وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قَرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقُولُوه عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَقَالَتِ لِأُخْتِهِ قُصِّيه فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢)﴾

وفقا للنص القرآن فقد ألتقط موسى من النهر من قبل احد رجال قصر فرعون حيث تم احضاره اليه وزوجته التي علمت انه من بني إسرائيل، ونفترض انهم كانوا يقيمون في مناطق منفصلة لهم بحيث امكن معرفة المكان الذي وصل منه موسى الطفل بدليل أن زوجة فرعون طلبت منه الا يقتله، وأنه سيكون قرة عين لهما، وعرضت عليه خياران هما: ان ينفعنا كخادم تتم تربيته بأعبينا، او ان نتخذه ولدا مما يؤكد كونهما غير قادرين على الإنجاب، ويؤخذ هذا دليلا كاف على وجود التبني حتى بالنسبة للملوك، ونفترض في هذه الحالة ان التبني كان بهدف التوريث- توريث الحكم-

أما عن الفترة الزمنية المحددة لفرعون موسى -أو فرعون الخروج فلا زال محل جدل بين الباحثين. ويرى الكافوري أن الإسرائيليين اندمجوا مع المجتمع المصري وتكاثروا فيه منذ هجرة النبي يعقوب وأولاده اليها في فترة سابقة على مولد النبي موسى عليه السلام ،و تعود الى زمن الهكسوس على اعتبار أن هجرة النبي يعقوب واسرته الى مصر تمت اثناء حكمهم وإن فرعون موسى هو أحد ملوكهم^(١٧٣) وقد اتخذ الفرعون- لم يتم التعرف اليه او عصره بشكل دقيق رغم كثرة

الآراء - قراره باستعباد نساء بني إسرائيل وقتل ابناءهم، وحينما ولد موسى وهو احد أبناء الطائفة اليهودية امر الله والدته التي لم يذكر القرآن اسمها ان ترضعه ، فإذا خافت عليه من الذبح عليها ان تضعه في سلة وتتركه في النهر - او اليم كما ذكر القرآن - وطمأنها بانه مردود اليها

يذكر Rendsburg أن موسى تمكن من قيادة شعب إسرائيل الى جبل حوريب (١٧٤) ، بعد تحريرهم من بطش فرعون- كما ذكر القرآن الكريم- حيث تاه بني إسرائيل لمدة أربعين عاما، وبقي موسى بينهم حتى توفي بعد ان بلغ ثمانين عاما (١٧٥)

ويتصل بالتبني عملية الارضاع التي هي في الاسلام امومة تحرم بها ما يحرم بالولادة ، ولم تختلف مصر عن بلاد الرافدين في الاهتمام بضرورة وجود مرضعات للأطفال، وإن كانت مصر قد اولت هذا الجانب اهتماما أكبر ؛ فيما ركزت قوانين بلاد الرافدين على العقوبة الشديدة للرضعة حماية للطفل ، مع ضرورة توفير مؤونه محددة لها يقدمها والد الطفل الرضيع .

وقد عرفت مصر المرضع في القصور الملكية كما ذكر القرآن الكريم في قصة النبي موسى عليه السلام { وحرمنا عليه المرضع } وكذا في بيوت الأثرياء خاصة منذ عصر الدولة القديمة، فقد اتخذ من يدعى كابوبتاح- Kabo-btah لقب مدير دار الرضاعة، وضم اليه مهمة الاشراف على المربين أبناء الملك، وان يعين رئيس لمقر الرضاعة، ووجد نقش يعود للأسرة السادسة- يمثل " كاو حمو" وعدد أبنائه وخلفهم المرضعة متعت- Mattat ذات الوقار. (١٧٦)

وفي عهد الدولة الوسطى عرف المقر باسم "بيت المرضعات، وكان يتم تخصيص موارد لنفقات المرضعة والحاضنة والمربية مما يدل على أهمية مكانتهن (١٧٧) ويتم الاتفاق معهن من خلال عقود ففي عقد يعود الى القرن الثالث قبل الميلاد تعاقد فيه الاب مع مرضعة لترضع طفله وان تقطمه وتربيته وترعاه لثلاث سنوات مقابل اقامتها واطعامها وصرف راتب سنوي لها من الزيت والفضة مقابل ان ترد جزء منه في حالة قل لبنها- (١٧٨) وهي هنا تشبه بلاد الرافدين في تحديد ثلاثة أعوام كمدة للرضاعة إضافة الى الأجر أو المكافأة ؛ الا النص لا يظهر عقوبة

المرضعة إذا اخلت بجزء من الاتفاق ولربما تطورت عقود الاتفاق في ضوء فهم افراد الطبقات الوسطى او الدنيا لحقوقهم واوزاعهم الاجتماعية..

الوراثة:

يرتبط هذا النظام ببعضهما في مصر كما هو في بلاد الرافدين، وبما أن القانون المصري مرتبط بالدين في الكثير من جوانبه فقد كانت مواده مرتبطة بالدين سببا ونتيجة، وتوصف الأوقاف الجنائزية-Jasnow- التابعة لمؤسسة التقوى كما يصفها Van Blerk بأنها اجراء لنقل الملكية من شخص الى آخر ، وقد احتوت هذه الوثائق او الوصايا على عناصر قانونية تسوغ قبولها مثل حق الإنتفاع للورثة، كما واستخدمت في حالات "البيع الوهمي" ، والتبني، ونقل الملكية الى شخص آخر خارج اطار الخلافة العرفية- وكانت هذه المؤسسة في بدايتها تحت اشراف الملك الذي كان يقدم لها الهدايا والتبرعات من اجل توفير القوات للحياة الاخرة ، واقتصرت الاستفادة منها على الملك والحاشية ، حيث أنشئت المؤسسات الوقفية منذ الالف الثالث قبل الميلاد من اجل توفير الخدمة للمتوفي، ويشرف عليها الاتقياء باعتبارهم اعضاء في المؤسسة الدينية ، حيث يعتمد الميت على نسله للحصول على القوات في الحياة الاخرة ، الا انه بمرور الوقت أصبحت هناك إجراءات تتخذ قبل الموت للحصول على القوات والخدمات الأخرى.

لم يكن هناك نظاما صارما للميراث بل هو محاولة لنقل وظيفة الاب الى أبنائه ، ويشار عادة الى الابن على انه "موظف الشيخوخة لوالده" ، وكانت الحاجة الى الدعم في مرحلة الشيخوخة ، وضمان الميراث هي ماجعلت من التبني امرا شائعا بين الأزواج الذين ليس لديهم أطفال " أما بالنسبة لمن ليس لديهم أطفال فإنه يتبنى يتيما بدلا من ذلك لتربيته"،^(١٧٩)

يمكن التمييز بين نوعين من اشكال الميراث وهما الميراث المباشر-my-pr وقانون الخلافة العرفي-او الميراث غير المباشر-rdi m-my-pr ، وهذا يعني ان الأشخاص الغير قادرين على الحصول على الإرث بشكل عرفي يحصلون عليها من خلال الوصية او الوثيقة حيث يتم استخدام مستند لنقل الأصول الشخصية من فرد الى آخر وبشكل عام كان هناك

وصية تستخدم حينما يرغب شخص ما في نقل حقوق ملكية الى شخص آخر، ولكن أيضا في حالة بيع عقار لمشتري إذا رغب أحد في التخلص من ممتلكاته الى شخص آخر من غير الورثة المتوقعين الذين كانوا قادرين على الحصول على الممتلكات المنقولة وغير المنقولة من الورثة الأصليين^(١٨٠)، ويشبه هذا قانون البيع الوهمي المعروف في نوزي-

يتم تمييز توزيع الإرث عند الوفاة بوضوح من خلال نقل الملكية من الأموات الى الاحياء وفقا لصلة القرابة ، وقد نص التشريع المصري على نقل الإرث الى اخوة المتوفي الاشقاء اذا لم يكن له أبناء ، ولذا كان يتم استبعاد اخوة المتوفي من خلال كتابة الوصية حيث مثل التبني الخيار الأفضل لمنع اخوة المتوفي، او اخوتها-المتوفاة- من الإرث بموجب مفهوم الخلافة العرفي حيث يعلن الشخص عن تبنيه لطفل ليكون بمثابة الابن الأكبر له، وبناءا على مالدى المصريين من التزام تام وراسخ بالايمان بالحياة الأخرى بعد الموت وضرورة توفير القوت للموتى، والقيام بكل الطقوس الجنائزية الى الابد للموتى لذا فإن الإرث أي الحصول على ممتلكات الميت هو مقابل تلك الرعاية للموتى في حياتهم الأخرى حيث يقع على عاتق الابن الأكبر بمشاركة الكهنة بالنسبة للثرياء في تقديم تلك الطقوس فيما تبقى المسؤولية على الاسرة بالنسبة للأسر الفقيرة^(١٨١)، ولذا نعتقد ان تمكين الاحفاد من الإرث اذا لم يكن فيه أبناء يصب في هذا الاتجاه أي ضمان حق الموتى في الحصول على تلك الطقوس والى الابد. وهنا تتفق مصر مع بلاد الرافدين لان الميراث مشروطا بتنفيذ الابن لواجبات تلك العبادات الجنائزية تجاه المتوفى ولذا يحصل الابن الأكبر على حصة إضافية اكبر من اخوته لانه يفترض ان تستمر تلك العبادة او الطقوس الجنائزية الى الابد^(١٨٢)

و بالنسبة للزوجين كانت ممتلكاتهما منفصلة، ولم تكن أملاك الزوجة تحت وصاية زوجها او تختلط بأملكه^(١٨٣) وكان لها الحق في إدارة أموالها بكل حرية^(١٨٤) كما كان من حقها الطلاق والحصول على حقوقها المادية وفي حالة الزنا أيضا، وترث زوجها بعد وفاته أو

طلاقها منه حيث تحصل على هدايا خاصة من خلال عقد أو وصية مكتوبة^(١٨٥)، مع الإشارة الى ان الزوج- او الزوجة الباقيين على قيد الحياة ليس وريثا تلقائيا، وكان هذا قاعدة عامة؛ ولذا يمكن للزوج ان يتبنى زوجته لتصبح وريثة بلا وصية باعتبارها طفلة- كما ورد في بردية اشموليان- وإذا لم يكن هناك أطفال للميت -ولم يشأ ان ترث زوجته او انها توفيت- فالإرث يذهب الى والدي الزوج واخوته ولذا تقسم الملكية الى قسمين في حالة وفاة احد الزوجين فالثلاثان للزوجة وورثتهما والثالث من الممتلكات الجديدة المكتسبة للزوجة وورثتها ويرث اطفالها مهرها فان لم يكن لها أطفال بذهب الى والديها^(١٨٦) والوضع هنا مشابه لبلاد الرافدين .

تشير وثيقة لاحد الوزراء في عهد الملك خوفو(٢٥٧٤-٢٥٥٠ ق م) الى حق الاناث والذكور في أملاك والديهم وهي وصية الامير والوزير ني كا رع Ni- Ka- Reae ابن الملك خوفو فقد أوصى بعقار لزوجته، وقسم عقاراته بين أبنائه وبناته في وصيته بالتساوي تقريبا، واتضح ذلك في عقد تقسيم لاملاك الزوجين كل على حدة، مع إمكانية أن يعطي الزوج زوجته شيئا من ممتلكاته يفوق غالبا نصيب احد أبنائه فقد أعطى هذا الأمير لزوجته اربع ضياع، ولأكبر أبنائه ثلاث فقط وفي عصر الملك اوسركاف(٢٤٩٨-٢٤٩١ ق م) قام احد كبار رجال الدولة وهو كعننخ- Kaein-nanihk بمنح زوجته حق مشاطرتها جزءا من دخل اقطاعاته الجنائزية وكذلك أوصى الكاهن إدو- Edu في عهد الملكين بيببي الأول والثاني لزوجته شتمك- Shtmek بضيعة كاملة^(١٨٧) وبالتالي يمكننا ان نفهم ان الزوجة ومنذ عصر الدولة القديمة لاترث بشكل تلقائي ، بل يجب أن يكون إرثها محددًا وموثقا في وصية

استمر الوضع في العصور التالية؛ لذا لم يتضمن عقد الزواج في العصر الديموطيقي- البطلمي- أي إشارة لتقسيم الممتلكات او وراثتها بين الزوجين، وفي حالة زواج الرجل بسيدة أخرى بعد طلاق الأولى او وفاتها يمكن اجراء تسوية زواج يوافق عليها الابن الأكبر كتابة لان هذه الممتلكات تمثل ضمانا لحق الزوجة الأولى بالميراث او أبنائها - في حالة وفاتها-

وقد اتضح ذلك في وثيقة قانونية اسمها محاكمة سيوت بردية (Suit.- Papyrus BM- 10591) استشهد بها قضاة المحكمة العليا وقد تم تنفيذ وصية الميت بعد وفاته^(١٨٨)

ولقد اشارت المجموعة القانونية CH- العائدة الى القرن الثالث قبل الميلاد في العصر البطلمي الى بردية تمت فيها مناقشة تسوية الزواج، وهي حالة تنازل المرأة عن جزء كبير من رأس المال لزوجها مع التزامه بدوره أن يضمن لها الوقف، مع ضمان تسوية المنازعات التي قد تنشأ بين الزوج والأب في حالة عدم الوفاء بالعقد المبرم او الاتفاقية^(١٨٩). اما في حالة الطلاق فتحصل الزوجة على ثلث الممتلكات المشتركة بينها وبين زوجها اما الثلثان الآخران فمن حقها ان تنتفع بهما مدى حياتها فقط^(١٩٠) وهنا يبدوا حق الزوجة في الممتلكات في حالة الطلاق فقط وربما كان الهدف هو الانفاق على الأطفال حينما يكونون في رعايتها. كان على الام في حالة زواجها من آخر بعد وفاة زوجها ان تقدم أمام القضاء تعهد خطيا على رعاية اطفالها، ومعاملتهم معاملة حسنة وحفظ أموالهم الموروثة عن والدهم حتى يكبروا^(١٩١)

كان هناك إمكانية تغيير الوصية أو مسارها من خلال "مستند نقل" الموصوف بأنه وثيقة لنقل الملكية من شخص الى آخر وبشكل دائم، حيث أن المستفيدين هم اصدقاء المتوفى بشكل رئيس ثم أطفال المتوفى أيضا، وتذكر بردية (Stela Cairo CG34016) "ان الزوج قد ورث أمواله الى زوجته وأولاده شريطة ان تحتفظ بها في حياتها، و ان تنقسم بين الأطفال عند وفاتها "بعد شيخوختها" أما البردية المعروفة بوثيقة فيينا (KH.M dem 9479) والتي تعود الى القرن الأول قبل الميلاد فهي تمثل نوع خاص من المبيعات الوهمية في صورة مستند أوعقد للتأمين مع التنازل عن الملكية فقد اعطى الزوج كل ممتلكاته لزوجته مقابل الاعتناء به في الحياة وتكون مسؤولة عن دفنه وطقوس الدفن-حيث كتب الزوج الوصية ولم يعتمد على قانون الخلافة العرفي، وهذا يعني انه لم يتبنى طفل- ويبدو هنا ان الزوجة هي المستفيد الوحيد من تركة الزوج والوريثة الوحيدة له وصفت هذه الوثيقة وغيرها بأنها وثائق اعتماد للزوجات اللاتي اخذن مسؤولية الابن الأكبر. وقد شهد العصر البطلمي الروماني- الثلث الأخير من الالف

الأول قبل الميلاد- ظهور ما يعرف بالبيع الوهمي حيث توضع بنود خاصة في وثائق الزواج من أجل اثبات ان الزوجة وريثة لزوجها، وأوضحت تسوية الزواج حق الزوجة في التملك في التركة المشتركة ، ولكن ذلك لم يكن يتضمن بالضرورة توزيعا فعليا للموارد، إذ قد بفسخ الزوج الزواج بالطلاق او الوفاة (١٩٢)

ضمن التبني في مصر الأطفال المتبنون الحق في ان يكونوا جزءا من الاسرة النواة التي تشكل جوهر المجتمع المصري ، مع وجود تقليد يتمثل في عدم تقسيم الممتلكات غير المنقولة بل يتم توريثها بشكل مشترك ، ويتولى الابن الأكبر مسؤولية تقسيم الأرباح بين الورثة وهذا مماثل لقانون حق الانتفاع من موارد الأصل او عين الإرث في بلاد الرافدين- ويبدو ان السبب في عدم تقسيم هذه الممتلكات هو لكونها ملكية عائلية من جهة ومن جهة أخرى حتى يضمن الموتى استمرارية الانفاق عليهم من عائداتها خاصة ان حرمان الوريث مرتبط بمدى تنفيذه للوصية من عدمها سواء اكان ابنا طبيعيا ، او متبنى او حتى زوجة المتوفى كما ورد في بعض البرديات.

و لم يكن توزيع الميراث عادلا فقد كان الإبن الأكبر يتلقى ضعف الميراث الذي حصل عليه اخوته لأنه كان مسؤولا عن والديه (١٩٣) فقد ناقشت المدونة C H قانون الإرث وخاصة ميراث الابن الأكبر في القضايا المتنازع عليها مع اخوته (١٩٤) ، مع ضرورة تقديم نسخة شفوية امام المحكمة، والشهود والتي يتم تدوينها من قبل الكتبة المحترفين وهي تقليد عام قائمة في مصر القديمة حيث يتم تدوين اخر الرغبات الشفوية للموتى، إضافة الى شهادة الشهود (١٩٥) وقد وجد في مدونة C H العمود الثامن (٣٠-٣١-٤٤): " إذا مات رجل ولديه أراضٍ وحدائق واسهم معبد وعبيد. ابنه الأكبر هو الذي يستحوذ على ممتلكاته" وبرد أيضا (١٤-١٦×١) "ويتلقى الأكبر سنا المزيد من الفوائد" (١٩٦)

لم تمثل الابنة الكبرى في مصر نفس دور الابن الأكبر حتى لو كانت اكبر منه سنا، ولقد ذكر "كارا بيبي نفر" امير مقاطعة ادفو " اني انا المحبوب من والده والممدوح من الدته، والذي

يحبه اخوته" (١٩٧)، على انه يحق للابنة الكبرى ان تقدم القرابين ، وتشارك في إقامة الشعائر لوالدتها، (١٩٨) ويمكن للابنة ان تتولى مسؤولية الابن الأكبر في حالة عدم وجود أبناء ذكور، ويمكن لابن آخر غير الأكبر ان يتولى المسؤولية في حالة عدم رغبة الابن الأكبر او عجزه عن ذلك حيث تنتقل الحصة الإضافية الى الابن البديل، وحتى الاخوة الاشقاء يتولون ذلك أيضا في حالة عدم وجود أبناء للميت (١٩٩)

وجد نقش يعود الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد في قبر الكاتب موسى في سقارة ورد فيه ذكر إمارة هي-أورنيو-Urneo- تم تعيينها من قبل المجلس الأعلى لتتولى مسؤولية الوصي (rwd) نيابة عن اخوتها واخواتها حيث يتم الاشراف على تنفيذ الوصية وتقسيم الإرث بين الورثة تحت اشراف من المجلس الأعلى او المحكمة العليا (٢٠٠)

وفي بردية (BM 10073) العائدة الى نفس الفترة وصفت بأنها تمثل "بيعا وهميا " حيث قامت إمارة بإصدار وصية ببيع جزء من ممتلكاتها التي رغبت في تركها لابنتها" ولم تذكر أثمان تلك الممتلكات أو قيمة بيعها، ولم يذكر موت الام-البائعة- أو بعد دفنها وما نفهمه من هذه الوصية انها منحتها إياها قبل وفاتها خوفا من أن ينتزعها الورثة منها الذين نتوقع انهم اخوتها واخواتها. واحيانا كان يتم تحويل قيمة بعض الممتلكات الى الابنة عند زواجها- (٢٠١) وهي هنا تختلف عن بلاد الرافدين حيث للإبنة الحق في الحصول على المهر أو البائنة من اسرتها عند زواجها.

وهناك بردية أخرى هي بردية موسكو (KH.M dem 9479-123) التي يعود تاريخها الى العام (٦٨ ق م) وتشير الى ان التقسيم يصبح ساريا "متى ما مات" (٢٠٢)

كما وجدت وثيقة هي بردية فيل تم فيها تنفيذ عملية البيع الوهمي او التنازل في حياة الموصي بخلاف وثيقتي موسكو وفيينا اللتان نصتا على حصول الوريث على الإرث بعد وفاة الموصي ، وهذ الوثيقة العائدة الى العام (٢٩٢ ق م) تخص إمارة تدعى -Osoroëris-

قامت بنقل املاكها الى ابنها-Taminis-، ليكون مسؤولاً عن الجنازة وطقوس الدفن، وأعلنت في وثيقة أخرى لاحقة (٢٩٣ ق م) انه ليس لها حقوق في الممتلكات المباعة سابقاً (٢٠٣) كما وجدت وثيقة أخرى (P-BN 10827) وصفت بأنها وثيقة التبرع البطلمي ذكر فيها أن المتوفى قد تبرع لأبنة اخته بثروته وانتقلت ملكيتها اليها، وهي مستمدة من ممتلكات جدّها (٢٠٤) ما يعني أنه كان للاحفاد حق في ممتلكات اجدادهم-

كان يسمح بتعدد الزوجات منذ عصر الاسرة السادسة في الدولة القديمة ويوصقن بأنهن زوجات شرعيات فاحد كبار رجال الدولة "مري رع-Mre-Rea" كانت له حريم على غرار حريم الملك مع بقاء الزوجة الرئيسة الشريفة "سيشت ينسوت-Sishit- Yansut- شريفة ملكية- حيث يتم رسمها بحجم مساوٍ لزوجها (٢٠٥) مقارنة ببقية الزوجات، حيث لم تعرف بلاد الرافدين هذا التقليد. ومنذ عصر الاسرة الخامسة- عصر اسرة الكهنة- اصبح هناك تغيير في مركز الزوجة الشرعية اذ بدأت المحظيات يظهرن مرسومات على مصاطب الاشراف، وكبار رجال الدولة ومن هؤلاء تي-Tei زوج الاميرة نفر حتبس- Never-Hatbes، وهؤلاء المحظيات تم تصويرهن وهن يرقصن على جدران مقبرته، وظهرت رسومات مماثلة على جدران مقابر الوزير مرء وزير الملك تيتي-Teiti وفي مقبرة دواكا وفي مقبرة فتاح نفر شم - Ftah- Never Shim وغيرها، ولم تؤلف المحظية جزء من الاسرة لانها لم تكن زوجة شرعية ، ولم يكن اولادهن بالتالي شرعيون ولا ينسبون الى آبائهم بل ينسبون الى امهاتهم (٢٠٦)

ولا تذكر النقوش وجود اولاد غير شرعيين رغم وجودهم الفعلي ولا يتم الاعتراف بأولادهم وورد مثال على ذلك " أرتي- Arti خلية س عنخ إن قتاح- In-Qtah - Einhk - Is التي خاطبت حبيبها لتشرح له وضع ابنهما والمطالبة بحقه ، وقد أوصى الاب ابنه الأكبر يحتسي- Jetsi بأن يمنح أخاه جزء من املاكه ويحافظ عليها حتى يكبر الا ان الأخير نقض العهد ، وقسمت الاملاك بين الورثة الشرعيين، وعلى هذا فإن الأبناء غير الشرعيين لا يتم الاعتراف بهم ولا يرثون الا بموجب وصية رغم انها مقيدة، وكان الهدف المحافظة على ممتلكات الاسرة

(٢٠٧) ومن وجهة نظرنا فإن عدم منحهم حقوقهم كورثة ليس هذا السبب وحسب بل لانه لا يتم الاعتراف بأمهاتهم كزوجات لديهم نفس الحقوق كتعبير عن تَدني منزلتهن ، فيسري الامر بالتالي على ابنائهن ، ويشبه هذا الوضع في بلاد الرافدين وإن كان افضل اذ تتوفر إمكانية حصولهم على الإرث باعتراف والدهم بهم بقوله "أولادي او اطفالي" في وصية قبل موته، ورغم انها ليست تلقائية الا انه يمثل اعترافا موثقا قانونيا مقارنة باوضاع الأبناء غير الشرعيين في مصر، وبمرور الوقت اصبح الاعتراف بالابناء غير الشرعيين امرا قائما حيث حملوا اسم والدهم ، ولهم الحق في الإرث بشرط عدم وجود اخوة لهم من الزوجة الاصلية^(١) - وبهذا فهو اعتراف ناقص وغير مكتمل، ويختلف عن بلاد الرافدين بأنه يشمل جميع الابناء وليس ابنا واحدا.

اما العبودية وما يتصل بها من تبني فقد عرفت مصر مثلها مثل باقي مناطق الشرق الأدنى القديم العبودية حيث أوردت النصوص الهيروغليفية هذا المصطلح منذ عصر الدولة القديمة عبد-Hm- Hmit كخادمة . واستمر ذلك حتى العصرين اليوناني والروماني،^(٢٠٨) وكان لهؤلاء الرقيق املاكا يمكنهم التصرف بها، وعادة كان هؤلاء الارقاء يتزوجون من الاماء، على انه وجدت حالات لزواج من سيدات من الحرائر كان تكون ابنة سيده، او يتزوج الفتى ابنة خادمة اسرته، ومنها على سبيل المثال تم اعتاق حلاق بقصر الملك تحوتمس الثالث شابا رقيقا عنده ثم زوجه من بنت اخته، واشركه في المعيشة - التركية- مما نفهم معه أنه قد تم تبنيه. وفي عهد رمسيس الثاني تزوجت أمة من رجل حر بموافقة سيدتها التي اعتقتها ، ولما انجبت اصبح أولادها احرار كأهمهم ، وذكرت ذلك السيدة في وصيتها^(٢٠٩) ولم تشر النقوش أو الوثائق المصرية الأخرى الى وجود وسوم للعبودية كما هو الحال في بلاد الرافدين.

الخاتمة

ظهرت قوانين التبني في بلاد الرافدين أولا ومنذ العصر السومري الحديث كما في قانون اشنونا رغم اسبقية ظهور القوانين السومرية الإصلاحية، الا انها لم تتطرق الى التبني نظرا

لكون تلك المجتمعات كانت لاتزال في مرحلة التطور الاجتماعي، ونظرا لسيادة الفكر الابوي عند العناصر الامورية؛ فقد أدى ذلك كما يبدو في ظهور نظام التبني، إضافة الى حاجة الأسر التي فقدت أبنائها في الحروب الى تبني أو شراء أطفال وبالغين لأغراض مختلفة يأتي على رأسها الحاجة الى الدعم في الشيخوخة، والتوريث بمقابل هو إقامة الطقوس عند الوفاة، إضافة الى تبني ايدي عاملة تضمن استمرارا لمهنة المتبني؛ لذا كان التبني في بلاد الرافدين رغم مقاصده النبيلة في معظم جوانبه هو عملية بيع وشراء أطفال من والديهم ، او شراء خدم وعبيد في عقد يتضمن شروطا جزائية، وهو يختلف عن التبني في مصر الذي اقتصر - وفقا لما هو متاح من شواهد- على الاطفال أو البالغين الأيتام فقط ودون عقود مشروطة مما يجعله أكثر إنسانية، وربما كان هذا هو السبب في عدم وجود قوانين خاصة بالتبني الا في فترة متأخرة لأن التبني في تاريخ مصر القديم كان أشبه بالأعراف القائمة، المطبقة في المجتمع؛ لذا كان الوصف القرآني لعملية التبني ﴿عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا﴾ وعلى لسانين مختلفين الأول العزيز الذي اشترى يوسف، والثاني زوجة فرعون مما يوحي أنهما كانا في فترة متقاربة بدليل وحدة الألفاظ، والمختلفة عن بلاد الرافدين التي تذكر فعل التبني، كما كانت المرضعات أمرا معروفا ومقننا في بلاد الرافدين ، ومقدرا بشكل كبير في مصر، حيث اتفق الاقليمان على أن تكون سنوات الرضاعة ثلاث سنوات، مع تقسيم الإرث الى ثلاثة اقسام وفقا لعلاقة الورثة الاجتماعية مع الميت. ولقد تأثرت أنظمة التبني في دول العالم بما ورد في القوانين القديمة وخاصة بلاد الرافدين واستلهمت جانبا كبيرا منها لعل ابرزها هو ضرورة توفر اسرة بديلة للمتبنى تقوم على رعايته كما تنص عليه المادة (٢٠) من نظام حقوق الطفل لميثاق الأمم المتحدة.

الهوامش

- ١- --شناؤة، مهند عاشور، حيدر عقيل عبد، (ديسمبر ٢٠١٨) "الأحوال الاجتماعية للأسرة في العراق القديم"، مجلة الآداب، كلية الآداب جامعة بغداد، (١٢٢٤)، ص-١٣٢-١٣٣
- ٢- --شناؤة، الأحوال الاجتماعية للأسرة"، ص-١٣٣
- ٣- الأسود، حكمت، "مبدأ التبني في العراق القديم"، سومر(ج٢١١)، (مج٤٤)، ١٩٨٥-١٩٨٦م، ص-٧٠

نظام التبني في بلاد الرافدين ومصر (١٩٣٠-٢٠٠٠ ق م) ودراسة مقارنة
ل.م.و. بررية عبر الله الهزاني

- ٤- سعيدي، سليم، القانون والاحوال الشخصية في كل من العراق ومصر (٢٠٥٠-٣٣٢ ق م) - دراسة تاريخية مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر- قسنطينة، جامعة منتوري، ٢٠٠٩-٢٠١٠ م، ص-١٠١-١٠٢
- ٥- الهاشمي، رضا، نظام العائلة البابلية، البصرة، جامعة البصرة، ١٩٧٠م، دط، ص-١٨٨
- 6- Serajadeen, Hassan, Dr. V., Shobah, "Adoption in Mesopotamia and Levant Between the Third and First Millennia B CE" Journal of History Art and Archaeology, Vol:1, 2021, India, p -84
- ٧- الأسود، "مبدأ التبني"، ص-٧٠
- ٨- المشعل، احمد، العبودية في العصر البابلي القديم، (٢٠٢٠م)، سوريا، دار ريف دمشق، دط، ص-٤٥
- ٩- سعيدي، القانون والاحوال الشخصية، ص-١٠١-١٠٢
- ١٠- الأسود، "مبدأ التبني"، ص-٧٧
- ١١- الأسود، "مبدأ التبني"، ص-٧٠
- ١٢- عيسى، لقاء جليل، نظام الإرث، في العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، ص-٣٣-٣٤
- ١٣- الهاشمي، نظام العائلة، ص-١٥٠-١٥٢
- ١٤- سليمان، عامر، القانون في العراق القديم- دراسة تاريخية قانونية مقارنة (١٩٨٧م)، بغداد، مكتبة المجمع العلمي، دط ص-٣٠١
- ١٥- عيسى، نظام الإرث، ص-٣٢
- ١٦- الهاشمي، نظام العائلة، ص-١٥٠-١٥٢
- ١٧- الهاشمي، نظام العائلة، ص-١٩٠؛ المشعل، العبودية، ص-٤٧
- ١٨- Sera aldeen, "Adoption in Mesopotamia", p- 85-86
- ١٩- الأسود، "مبدأ التبني"، ص-٧٩
- ٢٠- الأمين، محمود، شريعة حمورابي، ترجمة، محمود الأمين، لندن، دار الوراق للنشر المحدودة، ٢٠٠٧م، ص-٥٦
- ٢١- المشعل، العبودية، ص-٤٧
- ٢٢- كونتينو، جورج، الحياة اليومية في بابل واشور (١٩٨٦م)، ترجمة: سليم التكريتي، العراق، زارة الثقافة والاعلام، دائرة الشؤون الثقافية العامة ط٢، ص-٢٧٦-٢٧٧،
- ٢٣- سعيدي، القانون و الاحوال الشخصية، ص-٩٧؛ الأمين، شريعة حمورابي، ص-٥٦
- ٢٤- الهاشمي، نظام العائلة، ص-١٧٨

25- Van Belk, N. J., "An Ancient Egyptian Testamentary Disposition", *Fundamina*, Vol:26,(112),2021, p-25 -218 -

26- Serajadeen, "Adoption in Mesopotamia", ، p -85

-27 Feuch, Erika, "Juvenile Misbehaviour in Ancient Egypt", *History of Juvenile Delinquency Aalen*, 1990, s, Originalveröffentlichung : in Albert, G. Hess\Priscilla. F.clemens(Hg), p-67

٢٨- عيسى، نظام الإرث، ص-٤١

٢٩- الأسود، "مبدأ التبني"، ص-٧٦

٣٠- سعدي، القانون والاحوال الشخصية، ص-٩٧-٩٨

٣١- الهاشمي، نظام العائلة، ص-٩٩

٣٢- حنون، نائل، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة (١٩٨٦م)، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ص-١١٢

33- Feuch, "Juvenile Misbehaviour in Ancient Egypt", p-67

٣٤- الأسود، "مبدأ التبني" ، ص-٧٦

٣٥- سليمان، القانون في العراق، ص-٢٦٣

٣٦- سعدي، القانون والاحوال الشخصية ، ص-١٢٦

٣٧- شناؤة، "الأحوال الاجتماعية للأسرة"، ص٣٣١-٣٣٢

٣٨- عيسى، نظام الإرث، ص-١٦

٣٩- الأمين، شريعة حمورابي، ص-٥٥

٤٠- سليمان، القانون في العراق، ص-٢٦٢

٤١- سعدي، القانون والأحوال الشخصية ، ص-٩٩

٤٢- الأسود، "مبدأ التبني"، ص-٧٧

٤٣- سليمان، القانون في العراق، ص-٢٦٢

٤٤- الأسود، "مبدأ التبني"، ص-٧٩

٤٥- بورت، ل، ديلا، (١٩٩٧م)، بلاد ما بين النهرين- الحضارتان البابلية والآشورية، ترجمة، محرم كمال، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ص-٨٤

٤٦- ميخائيل، نجيب، مصر والشرق الأدنى القديم- حضارة الشرق القديم، ج٦، مصر، دار المعارف، ص-٧-٦

٤٧- شناؤة، "الأحوال الاجتماعية للأسرة"، ص٣٣١-٣٣٢

نظام التبني في بلاد الرافدين ومصر (١٩٣٠-٢٠٠٠ ق م) ودراسة مقارنة
ل.م.و. بريرة عبر الله الهزاني

- ٤٨- إسماعيل، خالد، "صيغ عقود التبني في العصر البابلي القديم"، بغداد، جامعة بغداد، كلية الآداب، الندوة العلمية الثانية لقسم الآثار، يناير ١٩٩٣م، ص-٢-٦
- ٤٩- عيسى، نظام الإرث، ص-٢٩-٣١
- ٥٠- Partial Fulfilment of the "And He Shall Be My Son"، Annelore، Vormance-، Requirements for the Master in Classical and Ancient Civilizations: Hebrew and Aramaic Studie، -، p-35-37
- ٥١- الماجدي، خزل، الحضارة البابلية، دمشق، دار تكوين للنشر والترجمة، ٢٠٢٠م، ط ٣٧٩-ص
- ٥٢- إسماعيل، "صيغ عقود التبني"، بغداد، ص-٧
- ٥٣- إسماعيل، "صيغ عقود التبني"، ص-٧-٩
- ٥٤- Adoption in Mesopotamia:، Serajadaaen، "، p-84
- ٥٥- المشعل، العبودية، ص-٤٧
- ٥٦- سليمان، القانون في العراق، ص-٢٣٢ الأسود، "مبدأ التبني"، ص-٧٨
- ٥٧- كارا: أو الكور وهي نوع من المكابيل السومرية تعادل ٣٠ ليترًا: التيجاني، مياطة "التنظيمات القانونية ودورها في الحياة الاجتماعية لحضارة بلاد الرافدين"، قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، (مج٥)، (١٤)، ٢٠٠٢م، ص-٩٢
- ٥٨- منا: وحدة وزن رافدية مثل الشيقل، وتزن ٥٠٠ غرام: التيجاني، "التنظيمات القانونية"، ص-٩٢
- ٥٩- عيسى، نظام الإرث، ص-٧٧
- ٦٠- And He Shall Be My Son، Vormance، p-26
- ٦١- الأمين، شريعة حمورابي، ص-٤٦
- ٦٢- الهاشمي، نظام العائلة، ص-١٩١-١٩٢
- ٦٣- ميخائيل، مصر والشرق الأدنى، ج٦، ص-٦-٧
- ٦٤- رشيد، فوزي، (١٩٧٣م)، الشرائع العراقية القديمة، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٣م، ص-١٢٥-١٢٦
- ٦٥- إسماعيل، "صيغ عقود التبني"، ص-٢-٦
- ٦٦- الأمين، شريعة حمورابي، ص-٥٥-٥٦
- ٦٧- الأسود، "مبدأ التبني"، ص-٧٩-٨٠؛ الأمين، شريعة حمورابي، ص-٥٥-٥٦
- ٦٨- سليمان، القانون في العراق، ص-١١٦-١١٧
- ٦٩- سليمان، القانون في العراق، ص-١٥٩-١٦٦
- ٧٠- الزبيدي، مها حسن، "الإنتمو في العصر البابلي الوسيط"، مداد الآداب، (٢٣ع)، كلية الآداب، الجامعة العراقية، ص-٢٣٢-

- p-19-21-71، " Right of Concubine's، Justal
- ٧٢- الزبيدي، " الانتو في العصر اليايلي"، ص-٤٣٦-٤٣٨
- ٧٣- عيسى، نظام الارث، ص-٤٦-٤٩
- ٧٤- الهاشمي، نظام العائلة، ص-٥٨-٥٩
- ٧٥- الهاشمي، نظام العائلة، ص-١٥٠-١٥١
- ٧٦- الأسود، " مبدأ التبني"، ص-٦٩
- ٧٧- السواح، فراس، (٢٠١٩م)مدخل الى نصوص الشرق القديم، دمشق، دار تكوين، للتأليف والنشر والترجمة، ط٤، ص-٣١٤
- ٧٨- كرايمر، صموئيل، الاساطير السومرية- دراسة في المنجزات الروحية والأدبية في الالف الثالث قبل الميلاد، تر: يوسف داوود، بغداد، دار ومكتبة عدنان- جمعية المترجمين العراقيين، ط٢، ص-٧٩-٨٠
- ٧٩- سليمان، القانون، في العراق، ص-٢٠٩-٢١٢
- ٨٠- رشيد، الشرائع العراقية، ص-٦٧
- ٨١- Reid، "The Children"، p-14-15
- ٨٢- Vormans I، " And He Shall be My Son"، p-14-15
- ٨٣- المشعل، العبودية، ص-١٢١
- ٨٤- رشيد، الشرائع العراقية، ص-١٤٣
- ٨٥- المشعل، العبودية، ص-١٢٢
- ٨٦- رشيد، الشرائع العراقية، ص-٦٧
- ٨٧- سليمان، القانون في العراق، ص-٢٢٨
- ٨٨- سليمان، القانون في العراق، ص-١٩٩-٢٠٠
- ٨٩- رشيد، الشرائع العراقية، ص-٤٤
- ٩٠- المشعل، العبودية، ص-١٢٤
- ٩١- سليمان، القانون في العراق، ص-٢٤٩-٢٥٨-٢٦٥
- ٩٢- الأمين، -شريعة حمورابي، ص-٥٤-٥٦
- ٩٣- سليمان، القانون في العراق، ص-١٢٥
- ٩٤- سليمان، القانون في العراق، ص-٢٨٠-٢٨٥
- ٩٥- قاشا، سهيل، احيقار - حكيم من نينوى وأثره في الادب العالمية، بيروت، دار بيسان للنشر والتوزيع والاعلام، ٢٠٠٥م، ط١، ص-٣٢-٣٣
- ٩٦- p-42، " And He Shall Be My Son، Vormance،

- ٩٧- قاشا، احيقار ، ص-٥٩-٦٤
- ٩٨- Justal، " Right of Concubine's، 30-31، p-
- ٩٩- سليمان، القانون في العراق ، ص-٢٣٣
- ١٠٠- سليمان، القانون في العراق، ص-٢٩٠-٣٠١
- ١٠١- Seraj aldeen، "Adoption in Mesopotamia"، 85-86، p-
- ١٠٢- الهاشمي، نظام العائلة ، ص-١٨٦
- ١٠٣- الماجدي، الحضارة البابلية، ص-٣٧٨
- ١٠٤- الماجدي، الحضارة البابلية، ص-٣٧٩-٣٨٠
- ١٠٥- Vormance، " And He Shall Be My Son ، 51-52، p-
- ١٠٦- Justal، " Right of Concubine's، 27، p-
- ١٠٧- عيسى،، نظام الإرث، ص-٦
- ١٠٨- الهاشمي، نظام العائلة ، ص-١٤٥-١٥٠
- ١٠٩- Joeue، Justel، "The Right of Concubine's Descendants in the Ancient Near ، ، 13-14، ، 2013، LX، Revue internationale des droits de 'j Antiquite، East"
- ١ - للمزيد من التفاصيل حول هذه البردية: Recardo، Caminos: "The Nitocris Adoption Stela"، London ، Sage Publication Inc، Dec 1964، vol:50، The Journal of Egyptian Archaeology
- "The Right of Concubine's ، ، Justel-p-16-17 - 110
- " Content Analysis Anew Apportion in the Study of ، J.van، Susandra، Wyrk-١١١ ، Fundamina، The Old Babylonian Family Division Agreement in Deceased Estate"
- University of South ، Department of Biblical and Ancient Studies ، 2013، (2)، vol: 19 p-419، Africa
- ١١٢- Wyk " Old Bybylonian Family" ، p-157-158 ،
- ١١٣- Wyrk، " Content Analysis Anew Approation " ، ، p-435،
- ١١٤- Wyk، " Old Bybylonian Family Division Agreement from ، J .van ، Susandra، Wyrk-١١٤ ، Decedsed Eastate" Analysis of its Practical and Theoretical Mechanisms" Unica
- ، 2013، No:19(1) ، South Africa Unevirity، ، p-147-152
- ١١٥- عيسى، " نظام الإرث"، ص-٦-٨
- ١١٦- Wyrk، " Content Analysis Anew Apporation"، p-421-425،
- ١١٧- عيسى،، نظام الإرث، ص-١٣

- ١١٨- عيسى ، نظام الإرث، ص-٢٢
- ١١٩- الأمين، شريعة حمورابي، ص-٥٥
- ١٢٠- سليمان، القانون في العراق، ص-٥٤-٥٥؛ الأسود، "مبدأ التبني"، ص-٧٠
- ١٢١- John. Nicholas, Reid، "The Childern of Slaves in Early Mesopotamia Laws and ، p10-11، 2017، issue 1، vol: 111، 'Revue d 'assyriologie et d'archéologie orientale
- ١٢٢- Serajadeen --، "Adoption in Mesopotamia"، p- 85-86،
- ١٢٣- الاسود، " مبدأ التبني " ، ص-٧٥
- ١٢٤- Serajadaaen، "Adoption in Mesopotamia"، p-85،
- ١٢٥- بورت، بلاد ما بين النهرين، ص-٩١
- ١٢٦- Vormance، " And He Shall Be My Son " ، p - 50
- ١٢٧- سليمان، القانون في العراق، ص-٥٣
- ١٢٨- الأسود، " مبدأ التبني"، ص-٧٥
- ١٢٩- الهاشمي، نظام العائلة، ص-٦٣-٦٥
- ١٣٠- سليمان، القانون في العراق، ص-٦٠-٦١
- ١٣١- عيسى ، نظام الإرث، ص-٣٥؛ الأمين، شريعة حمورابي، ص-٤٩-٥٠
- ١٣٢- Justal، " Right of Concubine' p- 27 ،
- ١٣٣- J، N، Van Blyrk، "The Emergence of Law in Ancient Egypt The Role of Matt" ، p-71-74، vol:((24) no: (1))، Faundamina
- ١٣٣- Emily Teeter، Douglas، Brewer -، "Ancient Egyptian Society and Family Life "، Fathom Archive
- 2001، University of Chicago Library، Digital Collection
- ١٣٤- Van Blyrk، " The Emergence of Law " ، p-71-74،
- ١٣٥- Marcelo، Campagno، " Kinship and Family Relation"، Encyclopedia of Egyptology ، p-3-6 ، California، 2009، Vol:1، UCLA
- ١٣٦- Van Blerk، " The Emergance of Law"، p-76،
- ١٣٧- N، Van Blerk، "The Basic Tenets of Intestate (Customary) Succession of Law in ، p-172 ، 2019، No: 1، (25)، Fundamina، Ancient Egypt"
- ١٣٨- صالح، عبد العزيز، (٢٠٢٠م)، التربية والتعليم في مصر القديمة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص-١٣

نظام التبني في بلاو (الرافدين) ومصر (١٩٣٠-٢٠٠٠ ق م) ودراسة مقارنة
ل.م.و. بدرية عبد الله الهزاني

- ١٣٩- باشا، عبد القادر، (١٩٤١م)، على هامش التاريخ المصري القديم، ج٢، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ص-١١١
- ١٤٠- جاك، روزاليندا، جاك يانسن، (١٩٩٧)، الطفل المصري القديم، ترجمة، احمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ، ص-١٥٣
- ١٤١- جاك، الطفل المصري، ص-١٥٣
- ١٤٢- جاك، الطفل المصري، ص-١٤
- ١٤٣- Vormans، "And He Shall Be My Son"، ، p-37
- ١٤٤- Vormans، "And He Shall Be My Son"، ، p-37
- ١٤٥- Campagno، "Kinship and Family"، ، p-3-5
- ١٤٦- Campagno، "Kinship and Family"، ، p-3-5
- ١٤٧- صالح، عبد العزيز، (٢٠٢١م)، الاسرة المصرية في عصورها القديمة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص-١٢٩
- ١٤٨- Van Blerk، "The Ancient Egyption Testamentary Disposition"، Fundamina، ، p-205-206 ، 2020، Issue (1\2)، vol: (26)
- ١٤٩- Van Blerk، "And He Shall Be My Son"، Vormance، p-35-37، "The Basic ، Fundamina(25)،Tentes of Intestate(Customary) Succession Law in Ancient Egypt" ، 2019،No:1 -، p-182
- ١٥٠- Van Blerk، "An Ancient Egyption"، ، p-205
- ١٥١- جاك، الطفل المصري، ص-٧١
- ١٥٢- جاك، الطفل المصري، ص-١٢٠
- ١٥٣- جاك، الطفل المصري، ص-١٣٣
- ١٥٤- جاك، الطفل المصري، ص-١٤١
- ١- Campagno، "Kinship and family" ، p-7- 155
- ١٥٦- Erika،Feuch، "Juvenile Misbehaviour in Ancient Egypt"، History of Juvenile ،
- G. Hess\Priscilla. ، Originalveröffentlichung : in Albert، s، 1990،Delinquency Aalen p-62-64،F.clemens(Hg)
- ١٥٧- Van Blerk، "An Ancient"، ، p-213

- by ، With an English Trans، The Leob Classical Library، -Diodorus of Sicily-١٥٨
، Volumes 1984، Harvard University Press، Massachusettes، Cambridge، Oldfather، H، C
X1111 ، X111، 77
- p-215-216 ، " The Ancient Egyption"، Van Blerk-١٥٩
" The Contribution Of Papyrus Ashmolean Museum 1945-، j، N، 160--Van Blerk
96(Adoption Papyrus)160 too our Understanding of The Ancient Egyptian
، Septemper، Journal of Semitics، "Testamentary Dispositon" and Succession Law"،
p-5-7، 2020، Vol: 29٧2
- p -27، And He Shall Be My Son ،Vormance -١٦١
p-17، ، And He Shall Be My Son ،Vormance-١٦٢
Adoption Stela of Nitocris ، Ancient Egyption Text 8.2، J.H، Beasted-١٦٣
Breasted Ancient ،Doughter of Psantik1. Text (Cairo JE36327. Date. 6568c
942، part four، Record of Egypt
p-17، And He Shall Be My Son ،Vormance -١٦٤
p- 17 ، And He Shall Be My Son،Vormance -١٦٥
p 19-20 ، And He Shall Be My Son ،Vormance-١٦٦
p- 23 ، ، And He Shall Be My Son ،Vormance-١٦٧
p -24-25، And He Shall Be My Son ،Vormance -١٦٨
p-205-206، " An Ancient Egyption" ،، Van Blerk -١٦٩
- ١٧٠-فياض، محمد، (١٤١٦هـ)، المرأة المصرية القديمة، القاهرة، دار الشروق، ط ١، ص-٢٠
١٧١- جويلي، محمد عبد الرزاق، يوسف ابها الصديق هل انت الزير رخي رغ، دمشق، دار الكتاب
العربي، دت، د ط، ص-٩٤-١٠٠
١٧٢- الكافوري، جلال زكي، (٢٠٠٧م)، موسى على ارض مصر، فرعون وجنده الذين طاردوا موسى عليه
السلام-الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، د ط، ص-٦٠-٦١
١٧٣- الكافوري، موسى على ارض مصر، ص-٥٠
Brown Judaic Studies\ Txt ، 2006، " Moses as Equal to Pharaoh"، Gary، Rendsburg-١٧٤
p-207-209، .Artifact and image
١٧٥- الكتاب المقدس- العهد العتيق، سفر الخروج، الاصحاح الثاني (الآيات ٢٥-٢٨)
١٧٦- صالح، التربية والتعليم، ص-٢٤-٢٥

- ١٧٧-صالح، التربية والتعليم، ص-٢٧-٢٩
- ١٧٨-صالح، التربية والتعليم، ص-٣٠
- ١٧٩-جاك، الطفل المصري، ص-١٥٣
- ١٨٠- Van Blerk - p 206-210، "The Ancient Egyptian"
- ١٨١- Van Blerk، "The Basic Tenets of Intestate (Customary)" ، p-172 ،
p-174-182، "The Basic Tenets of Intestate (Customary) "
- ١٨٣-صالح، عبد العزيز، (٢٠٢١م)، الاسرة المصرية في عصورها القديمة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة
للكتاب، د ط، ص-١٢٩
- ١٨٤- Egiziomondiin Citta ، Collaborazione Musco، Lavita Quotidiana Nell'Antico Egitto.
p-40-43، Roma، 2016-2017، onlus
- ١٨٥- (Mona Ezz، Ali ، "Marrige and Divorce in Ancient Egypt and Ancient Iraq (،
Tourism& ، International Journal of Heritage، Mesopotamia) A comparative Study"
، London، Sage Publications، Inc 2020? p114-115، vol:14، iss:1، Hospitality
p-182 ، "The Basic Tenets of Intestate (Customary) "، Van Blerk-١٨٦
- ١٨٧-حسن، سليم، (٢٠١٣م)، موسوعة مصر القديمة- في مدنية مصر وثقافتها في الدولة القديمة والعصر
الانهاسي، الجزء الثاني، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص-٣٨٨
- ١٨٨- N.J. Van Blerk ، " An Ancient Egyptian Testamentary Disposition" ، Fundamina ،
vol: ، p- 218-223، 2021-18 ، (1\2)، 26
- ١٨٩- Van Blyrk ، " The Emergance of Law in Ancient Egypt " ، ، p-75-78،
- ١٩٠- نور الدين، عبد الحليم، الزواج والطلاق في مصر القديمة، مكتبة الإسكندرية، الموسم الثالث، ص-٤٣
- ١٩١- Ali-، "Marriage and Divorce" ، p-118-120،
- ١٩٢- Van Blerk، "The Ancient Egyptian Testamentary Disposition"، p-206 ، -192،
p-3-6، " Kinship and Family Relation" ، ، Campagno -١٩٣
- ١٩٤- Van Blerk، " The Emergance of Law"، p-78-79-،
- ١٩٥- Van Blerk، "The Ancient Egyptian Testamentary"، p-201-202 ،
- ١٩٦- Van Blerk ، "The Basic Tenets of Intestate (Customary) "، p-178،
- ١٩٧- حسن، موسوعة مصر، ص-٤٠٦
- ١٩٨- حسن، موسوعة مصر، ص-٤١٦-٤١٨
- ١٩٩- Van Blerk، "The Basic Tenets of Intestate (Customary) "، p-178،

- ٢٠٠- Van Blerk "The Basic Tenets of Intestate (Customary)", p-180
- ٢٠١- Van Blerk - p-214-218, "An Ancient Egyptian"
- ٢٠٢- Van Blerk "The Ancient Egyptian Testamentry", p-220
- ٢٠٣- Van Blerk "An Ancient Egyptian", p218 -222
- ٢٠٤- Van Blerk "An Ancient Egyptian", p-216-217
- ٢٠٥- حسن، موسوعة مصر، ص-٤١٦-٤١٨
- ٢٠٦- حسن، موسوعة مصر، ص-٤٠٢
- ٢٠٧- حسن، موسوعة مصر، ص-٤١٣
- ٢٠٨- باظة، رحاب، عبد المنعم، (٢٠٢٠م)، "دراسة حول مفهوم الخدم والعبيد في مصر القديمة والتشريع الإسلامي"، دراسات في آثار الوطن العربي، (ع ٢٣)، مصر، اتحاد الجامعات العربية، ص-١٨٢-١٨٣
- ٢٠٩- باظة، "دراسة حول مفهوم الخدم والعبيد"، ص-١٥٥-١٦٠
- ٢١٠- باظة، "دراسة حول مفهوم"، ص-١٧٩-١٨١

قائمة المصادر والمراجع

الكتب المقدسة:

١- الكتاب المقدس - العهد العتيق، سفر الخروج، الاصحاح الثاني

٢- القرآن الكريم

المراجع العربية:

- ١- إسماعيل، خالد، (١٩٩٣م) "صيغ عقود التبني في العصر البابلي القديم"، بغداد، جامعة بغداد، كلية الآداب، الندوة العلمية الثانية لقسم الآثار.
- ٢- الأسود، حكمت بشير، (١٩٨٥-١٩٨٦م) "مبدأ التبني في العراق القديم"، سومر، مج (٤٤)، (٢-١)، بغداد، وزارة الثقافة والاعلام، المؤسسة العامة للآثار والتراث
- ٣- الأمين، محمد، (٢٠٠٧م)، شريعة حمورابي، لندن، دار الوراق للنشر المحدودة، د ط
- ٤- باشا، عبد القادر، (١٩٤١م)، على هامش التاريخ المصري القديم، ج ٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، د ط.
- ٥- باظة، رحاب عبد المنعم، (٢٠٢٠م)، "دراسة حول مفهوم الخدم والعبيد في مصر القديمة والتشريع الإسلامي"، دراسات في آثار الوطن العربي، (ع ٢٣)، مصر، اتحاد الجامعات العربية، ٢٠٢٠م
- ٦- بورت، ل، ديلا، (١٩٩٧م)، بلاد ما بين النهرين - الحضارتان البابلية والآشورية، ترجمة، محرم كمال، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢

- ٧- جاك، روزاليندا، جاك يانسن، (١٩٩٧م) الطفل المصري القديم، ترجمة، أحمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب. د ط .
- ٨- جويلي، محمد، يوسف أيها الصديق - هل أنت الوزير رخي-رع، دمشق، دار الكتاب العربي، دت، د ط.
- ٩- حسن، سليم، (٢٠١٣م)، موسوعة مصر القديمة- مصر وثقافتها في الدولة القديمة والعصر الإهناسي، ج ٢، القاهرة، مؤسسة هنداوي للعلم والثقافة.
- ١٠- حنون، نائل، (١٩٨٦م)، عقائد مابعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، وزارة الإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ٢
- ١١- رشيد، فوزي، (١٩٧٣م)، الشرائع العراقية القديمة، بغداد، دار الحرية للطباعة، ط ١
- ١٢- الزبيدي، مها حسن، (٢٠١٤)، " الإنتو في العصر البابلي الوسيط"، مجلة مداد الاداب، (٢٣ع)، الجامعة العراقية، كلية الآداب
- ١٣- سليم، احمد أمين، العراق ومصر- دراسة حضارية
- ١٤- سليمان، عامر (١٩٨٧م)، القانون في العراق القديم- دراسة تاريخية قانونية مقارنة، بغداد، مكتبة المجمع العلمي. د ط
- ١٥- سعدي، سليم، (٢٠٠٩-٢٠١٠م)، القانون والاحوال الشخصية في كل من العراق ومصر (٢٠٥٠-٢٣٢ ق م) - دراسة تاريخية مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر جامعة منتوري، قسنطينة.
- ١٦- السواح، فراس، مدخل الى نصوص الشرق القديم، دمشق، دار تكوين للتأليف والنشر، ٢٠١٩م، ط ٤.
- ١٧- شناؤة، مهند عاشور، حيدر عقيل عيد، (٢٠١٧م)، " الأحوال الاجتماعية للاسرة في العراق القديم"، مجلة كلية الاداب، جامعة بغداد، (١٢٢ع)
- ١٨- صالح، عبد العزيز، (٢٠٢١م)، التربية والتعليم في مصر القديمة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
- ١٩- صالح، (٢٠٢١م)، الاسرة المصرية في عصورها القديمة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط
- ٢٠- عيسى، لقاء جليل، (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، نظام الإرث في العصر البابلي القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب، جامعة الموصل.
- ٢١- فياض، محمد، (١٤١٦هـ-١٩٩٥م)، المرأة المصرية القديمة، القاهرة، دار الشروق، ط ١

- ٢٢- قاشا، سهيل، (٢٠٠٥م)، احيقار- حكيم من نينوى وأثره في الآداب العالمية، بيروت، دار بيسان للنشر والتوزيع والاعلام. د ط
- ٢٣- الكافوري، جلال زكي، موسى على أرض مصر- فرعون وجنده الذين طاردوا موسى عليه السلام، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب. د ط
- ٢٤- كرايمر، الاساطير السومرية- دراسة في المنجزات الروحية والأدبية في الالف الثالث قبل الميلاد، ترجمة: يوسف داوود، بغداد، دا ومكتبة عدنان- جمعية المترجمين العراقيين ، ط٢.
- ٢٥- كوينتينو، جورج، (١٩٨٦م)، الحياة اليومية في بابل وأشور، ترجمة، سليم التكريتي، بغداد، وزارة الثقافة والاعلام- دائرة الشؤون الثقافية العامة، ط٢
- ٢٦-- الماجدي، خزعل، (٢٠٢٠م)، الحضارة البابلية، الكويت، منشورات دار تكوين، د ط.
- ٢٧- المشعل، احمد، (٢٠٢٠م)، العبودية في العصر البابلي القديم، دمشق، دار آرام، د ط
- ٢٨- مياطة، التيجاني، سليم، حلج سعد، "التنظيمات القانونية ودورها في الحياة الاجتماعية لحضارة بلاد الرافدين"، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، (مج٥)، (١ع)، ٢٠٢١
- ٢٩- ميخائيل، نجيب، (١٩٦٥م)، مصر والشرق الأدنى القديم- حضارة الشرق القديم، ج٥، القاهرة، دار المعارف.
- ٣٠- نور الدين، عبد الحليم، الزواج والطلاق في مصر القديمة، الموسم الثقافي الثالث، مكتبة الإسكندرية.
- ٣١- الهاشمي، رضا جواد، (١٩٧١م)، نظام العائلة في العهد البابلي القديم، البصرة، جامعة البصرة، د ط.
- المراجع الأجنبية:

- 1-Serajadeen ،Hassan، dr.v.،Shobah،(2021)، "Adoption in Mesopotamia and Levant between the Third and First Millennia B C E"، Journal of History Art and Archaeology، vol:1،2021، india
- 2-Feuch، Erika،(1990) "Juvenile Misbehaviour in Ancient Egypt "History of Juvenile Delinquency Aalen، s، Originalveröffentlichung Albert،G. Hess\Priscilla، FClemens،(Hg)
- 3-Reid، John. Nicholas،(2017)، The Children of Slaves in Early Mesopotamia Laws and Edicts، ، Revue de Assyriologie et d' archéologie Orientale، vol:111، issue;1، 2017

4-Vormance, Annelore,(2016-2017), And He Shall Be My Son- Adoption in the Aramaic Papyrus from Elephantine in Partial Fulfilment of the Requirements for the Master in Classical and Ancient Civilization: Hebrew and Aramaic Studies , Universiteit Leiden,

5- Justal, Joeue, (2013),"The Right of concubienes Descendants in the Ancient Near East", Revue International des Droits De' j Antiquite, LX,

6-Wyrk, Susandra, J., Van,(2013), " Content Analysis Anew Apporation in the Study of the Old Babylonian Family Division Agreement in Deceased Estate", FUNDAMINA, vol: 19(2), 2013, Department of Biblical and Ancient Studies, University of South Africa

7-Wyrk, S,(2013) " Old Babylonian Family Division Agreement from Decedsed Eastate Analysis of its Practical and Theoretical Mechanisms ,no:19(1), 2013, Unica , South Africa

8-Blerk, N.J,Van,(2009) "The Emergance of Law in Ancient Egypt-The Role Of Matt", FUNDAMINA, Vol(24) no:1, 2009

-Blerk, Van, N.J,(2020) " The Contribution of Papyrus Ashmolean Museum 1945-96(Adoption Papyrus)To Our Understanding of The Ancient Egyptian ', Testamentary Disposition", and Succession Law", Journal for Semitics, Septemper Vol:29, no:2,

9.Van Blerk, (2019)," The Basic Tenets of intestate(customary) Succession of Law in Ancient Egypt y60,Fundamina(25), No: 1

Campagno, Marceio,(2009), "Kinship and Family Relation", Encyclopedia of Egyptology , UCLA,vol:1, 2009, California

-Ali, Mona, Ezz,(2020), "Marrige and Divorce in Ancient Iraq(Mesopotamia). Acompative Study", International Journal of Heritage , Tourism& Hospitality, vol:14, Issu:1,

Van Blyrk, (2012), "The Ancient Egyptian Testamentary Disoposition ", FUNDAMINA, vol: 26(1\2),

-Breasted, J, H,(1942), Ancient Egypt Text 8-2 Adoption Stela Of Nitocris Daughter of Psamitik 1.(Tex Cairo JE 36327. Date 6568 C) ، Breasted Ancient Record of Egypt Part Four .

-Brewer, Douglas, Emily Teeter,(2001), " Ancient Egyptian Society and Family Life", Fathom- Archive- Digital Collection, University of Chicago Library

-Rendsburg, Gary, (2006)" Moses as Equal to Pharaoh", Brown Judaic Studies\Text .Artifact and Image

أهل البيت (عليهم السلام) في مرويات عكرمة البربري

أ.د. جواد كاظم النصر الله

الباحث: باسم عبد الزهرة جمعة - جامعة البصرة / كلية الآداب

الملخص :

لقد تناول بحثنا هذا أهل البيت (عليهم السلام) في مرويات عكرمة البربري ، ويعد عكرمة من التابعين ولكن الغموض يكتنف جميع مفاصل حياته ، ولقد كان له دور في العلوم التي تدور حول كتاب الله القرآن الكريم ، وكان يُرجع إليه في هذا العلم إذ كان من علماء الناس في زمانه ومن أهم العلوم التي تميز بها هو (علم تفسير القرآن الكريم) ، وقد شملت مروياته تفسير عدد كبير من السور والآيات القرآنية ولكن من أهم المؤاخذات على تفسيره لآيات القرآن الكريم هو محاولاته وبشتى الطرق صرف تفسير الآيات القرآنية التي تخص أهل البيت (عليهم السلام) عنهم وخاصةً في آية المودة، وآية التطهير ، وعلى الرغم من اتفاق الأمة على أن مصطلح أهل البيت (عليهم السلام) بأصحاب الكساء الخمسة (محمد ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين) ، إلا إنه حاول صرف هذا المصطلح عنهم الى غيرهم ، لذلك تناول هذا البحث مصطلح أهل البيت (عليهم السلام) في مرويات عكرمة لتوضيح وتأكيد هذا المصطلح بأصحاب الكساء الخمسة ، وكذلك تبيان ما جاء في مرويات عكرمة عن أهل البيت (عليهم السلام).

Ahl al-Bayt (peace be upon them) in the narrations of Ikrima al-Barbari

Prof. Dr. Jawad K. Al-Nasr Allah

Researcher: Basem A. Juma - University of Basra / College of Arts

Abstract

Our research dealt with this Ahl al-Bayt (peace be upon them) in the narrations of Ikrimah the Barbarian, and Ikrimah is one of the followers, but all aspects of his life are ambiguous. And he had a role in the sciences that revolve around the Book of God, the Noble Qur'an, He was referred to in this science, as he was one of the people's scholars in his time, and one of the most important sciences with which he distinguished is (the science of interpretation of the Noble Qur'an). and his narrations included the interpretation of a large number of surahs and Qur'anic verses, But one of the most important complaints about his interpretation of the verses of the Noble Qur'an is his attempts, in various ways, to deflect the interpretation of Qur'anic verses that pertain to the Ahl al-Bayt (peace be upon them) from them., especially in the verse of affection, and the verse of purification, and despite the nation's agreement that the term Ahl al-Bayt (peace be upon them) refers to the five companions of the cloak (Muhammad, Ali, Fatimah, al-Hasan, and al-Husayn), he tried to divert this term from them to others. Therefore, this research dealt with the term Ahl al-Bayt (peace be upon them) in the narrations of Ikrima to clarify and confirm this term with the five companions of the cloak, as well as to clarify what was stated in the narrations of Ikrima about the people of the House (peace be upon them).

أهل البيت (عليهم السلام) في مرويات عكرمة البربري

يعد مصطلح أهل البيت (ع) من المصطلحات القرآنية الذي ترك أثرا في مختلف علوم الفكر الإسلامي، منذ عصر النبي (ص) والصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم إلى يومنا هذا.

لقد اتفقت الأمة على اختصاص المصطلح بأصحاب الكساء الخمسة، حتى ظهر أحد التابعين وهو عكرمة البربري فحاول صرف هذا المصطلح عن أصحاب الكساء إلى غيرهم. فمن هو عكرمة هذا؟ وما الذي دعاه إلى ذلك؟ وما هي أدلته في صرف المصطلح إلى غير أصحاب الكساء؟

إن الغموض يكتنف سيرة عكرمة هذا، والإشكالات تحوم حول جميع مفاصل حياته، فكل الذي نعرفه عنه أنه أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله البربري، كان للحصين بن أبي الحرّ العنبري، فوهبه لابن عباس حين ولي البصرة^(١). ولم يعرف من أي البربر يرجع عكرمة؟ وكيف كان مملوكا للحصين العنبري؟ هل عن طريق الأسر أم البيع؟ ولماذا وهبه لابن عباس؟ وفي أي سنة؟ ثم متى ولد عكرمة وأين؟ هل في بلاد البربر أم في البصرة؟ أم في المدينة حيث يلقب بالمدني؟ ذكر الزركلي^(٢) أنه ولد سنة ٢٥ هـ، والمعروف أن ابن عباس تولى البصرة بين ٣٦. ٤٠ هـ، فيكون عمر عكرمة ما بين ١٢-١٦ سنة، ولكن لم يذكر الزركلي مستنده في مولد عكرمة. ثم إن المكانة العلمية التي تبوّأها عكرمة تتناقض مع سلسلة نسبه المجهولة؟

ومع تلمذة عكرمة على عدد من الصحابة والتابعين، لكن يمكن القول أن المصدر المعرفي لعكرمة يكمن في طريقتين: الأولى: ابن عباس، إذ أنه أصبح مولى له، حتى عرف بمولى ابن عباس، وأصبح وريث ابن عباس العلمي، وقد نسب عكرمة مئات الروايات وفي مختلف العلوم لابن عباس، والثاني: هو نجدة الحروري (ت ٧٠هـ)، أحد كبار رجالات ومفكري الخوارج، وهو من تنتسب له فرقة النجدات من الخوارج. من هنا غدا عكرمة لينشر العلم في صفوف الخوارج في المغرب، وتبنى آراء الخوارج المعادية لأهل البيت (عليهم السلام) وتركت فيه أثر في تحريف فضائل أهل البيت (عليهم السلام) ونسبتها لغيرهم، وكذلك عداؤه للأمويين حتى مات متخفيا في المدينة سنة ١٠٧هـ^(٣).

يعد عكرمة البربري من رجالات التابعين، وكان له دور في الحركة الفكرية، في عدة علوم ومنها دوره في علوم القرآن^(٤)، حيث ورد عنه الكثير من الروايات التي تفسر الآيات القرآنية، حتى قيل أن له كتابا في التفسير، وكان عكرمة يزعم أنه فسر كل القرآن، لكن ما توفر من روايات عنه ينقصه الكثير، وكذلك كان له دور كبير في رواية الحديث النبوي^(٥)، فضلا عن رواياته الفقهية التي تارة ينسبها لشيوخه سيما ابن عباس، وتارة يفتي من تلقاء نفسه، إذ كان يدعي أن ابن عباس أجاز له الفتيا في أيام ابن عباس^(٦)، فضلا عن رواياته التاريخية حول الأمم القديمة وتاريخ العرب قبل الإسلام، ثم السيرة النبوية. ولم تخلُ رواياته من الأثر الإسرائيلي^(٧).

ولقد اختلف علماء الرجال في عكرمة فقد وثقه البعض، فيما طعن فيه آخرون، وقد تمثل ذلك الطعن باتهامه بالكذب حتى ربطه علي بن عبد الله بن عباس متهما إياه بالكذب على أبيه، وقد حاول عكرمة نفي التهمة بادعائه أن ربطه كان من قبل ابن عباس نفسه ليفرض عليه التعلم، ومن الطعون التي وجهت إليه ميله للخوارج، وأنه لا يحسن الصلاة، ويحدث برأيه، وكان مضطرب الحديث، ويسمع الغناء، فضلا عن إن الإمام الباقر (عليه السلام) أوضح أن عكرمة لم يمت على ولاية أهل البيت (عليهم السلام)^(٨).

مفهوم أهل البيت (عليهم السلام) :-

في اللغة: آل: أصلها أهل ثم أبدلت الهاء همزة، فصارت في التقدير (آل)، فلما توالى الهمزتان استبدلت ألفاً. والآل هم أهل الرجل، وآل رسول الله (ص) هم أخص الناس به^(٩).

أما في الاصطلاح فقد أطلقت تسمية أهل البيت على أسرة النبي محمد (ص) التي تكونت من الإمام علي والسيدة فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ووصفوا بأنهم عترة النبي (ص) أي أهله الأذنين ونسله ولا تشمل رهطه وإن بعدوا^(١٠).

وجاء ذكر أهل البيت في القرآن الكريم بآيات عدة منها (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً^(١١)) ، فقال النبي (ص) : (اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب الرجس عنهم)، وهم علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)^(١٢).

إن من أهم مميزات أهل البيت (عليهم السلام) إن الصلة وصدقة التطوع والزكاة الواجبة محرمة عليهم وهم : محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) ، أما غيرهم فتحرم عليهم الزكاة الواجبة ولا تحرم صدقة التطوع ولا الصلة^(١٣) .

ومما جاء عن عكرمة في سيرة أهل البيت (عليهم السلام) عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١٤) ، قال: قال النبي (ص): (إلا أن تحفظوني في قرابتي ، ألا تكذبوني ولا تؤذونني) ، وقال (إن الصدقة لا تحل لنا ولا لموالينا)^(١٥) .

في الرواية السابقة أراد عكرمة القول بأنه من أهل البيت (عليهم السلام) فأضاف من عنده كلمة الموالي ليكون مشمولاً بأهل البيت (ع) وبذلك لا تحل له الصدقة وفق قول النبي (ص) : بأن الصدقة لا تحل لهم ولا لمواليهم ، وبذلك يجعل نفسه بمصاف أهل البيت (عليهم السلام) وأنه منهم .

ولكن الرقيق من مستحقي الصدقة^(١٦) كما هو صريح القرآن ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^(١٧) فقوله (وفي الرقاب) هم الرقيق الذين يتم شرائهم من أموال الزكاة (الصدقة) كما ورد في الآية^(١٨) . وفي هذا دلالة واضحة على أن الإسلام قد أوجد سبلاً شتى للقضاء على فكرة الرقيق .

كما أضاف عكرمة أن نوفل بن الحارث^(١٩) بعث ابنه الى الرسول (ص) وقال لهما : لعن النبي (ص) يستعين بكما على الصدقات لعلكما تصيبان شيئاً فتتزوجان ، فلقيا الإمام علي (عليه السلام) وحدثاه بحاجتهما فقال لهما : انطلقا الى رسول الله (ص) ، فقال لهم النبي (ص) : لا يحل لكما أهل البيت من الصدقات شيء ولا غسالة الأيدي إن لكم في خمس الخمس لما يغنيكم أو يكفيكم^(٢٠) .

إن الرواية السابقة عدت نوفل بن الحارث وابنائه من أهل البيت وهذا من باب إعطاء منقبة لنوفل بن الحارث ، كذلك أن عكرمة يريد القول بأن لفظة أهل البيت تشمل كل قریش وليست خاصة بأصحاب الكساء الخمسة (عليهم السلام) .

كذلك فقد تحدثت مغنية عن الخمس حيث قال^(٢١): يقسم الخمس الى خمسة أسهم ، واحد منها سهم الرسول (ص) ، ويصرف على مصالح المسلمين ، وواحد يعطى لذوي القربى ، وهم من انتسب الى هاشم بالأبوة من غير فرق بين الأغنياء والفقراء ، والثلاثة الباقية تنفق على اليتامى والمساكين وأبناء السبيل سواء أكانوا من بني هاشم أو من غيرهم وهذا رأي الشافعية والحنابلة ، أما الحنفية فقالوا : أن سهم الرسول (ص) سقط بموته ، وذوو القربى فهم كغيرهم من الفقراء يعطون لفقرهم لا لقربتهم من رسول الله (ص) ، وقال المالكية: يرجع أمر الخمس الى الإمام يصرفه حسبما يراه من المصلحة ، أما الإمامية فقد قالوا: أن سهم الله وسهم الرسول وسهم ذوي القربى يفوض أمرها الى الإمام أو نائبه يضعها في مصالح المسلمين ، والأسهم الثلاثة الباقية تعطى لأيتام بني هاشم ومساكينهم وأبناء سبيلهم لا يشاركون فيها غيرهم.

إن من أهم المؤاخذات على عكرمة وجد الباحث أنه يحاول وبشتى الطرق صرف تفسير الآيات القرآنية التي تخص أهل البيت عليهم السلام عنهم وخاصة في آية التطهير^(٢٢)، وآية المودة^(٢٣).

لقد تبين من خلال البحث أنّ هناك اختلاف في تفسير عكرمة لآيتي التطهير والمودة عن بقية المفسرين، محاولاً صرفها عن أهل البيت عليهم السلام، ويعد الطبري من أقدم وأكبر المفسرين في الإسلام فقد ذكر قولين في المقصود من آية التطهير، الرأي الأول: أن المقصود من الآية هم (أصحاب الكساء الخمسة) وقد أورد ١٦ رواية عن أهل البيت عليهم السلام، ونساء النبي (ص) ، والصحابة، والتي يمكن إدراجها بالشكل التالي:-

١- حدثنا محمد بن المثني قال: ثنا بكر بن يحيى بن زبان العنزي قال: ثنا مندل، عن الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري^(٢٤) قال: قال رسول الله (ص) : نزلت هذه الآية في خمسة: فيّ، وفي علي، وحسن، وحسين، وفاطمة [عليهم السلام] ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(٢٥).

٢- حدثنا ابن وكيع قال: ثنا محمد بن بشر، عن زكريا، عن مصعب بن شيبة، عن صفية بنت شيبة. قالت: قالت عائشة: خرج النبي (ص) ذات غداة، وعليه كساء من شعر أسود، فجاء الحسن

[الطبري] فأدخله معه، ثم جاء علي [الطبري] فأدخله معه، ثم قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (٢٦) .

٣- حدثنا ابن وكيع قال: ثنا محمد بن بكر، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أنس بن مالك: أَنَّ النَّبِيَّ (ص) كَانَ يَمُرُ بِبَيْتِ فَاطِمَةَ [عليها السلام] سِتَّةَ أَشْهُرٍ كَلَّمَا خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَيَقُولُ: الصَّلَاةُ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (٢٧) .

٤- حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال: ثنا يحيى بن إبراهيم بن سويد النخعي، عن هلال، عن زبيد، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة قالت: كان النبي (ص) عندي، وعلي وفاطمة والحسن والحسين [عليهم السلام] فجعلت لهم خزيرة^(٢٨)، فأكلوا وناموا، وغطى عليهم عباءة أو قطيفة، ثم قال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)^(٢٩) .

٥- حدثنا ابن وكيع قال: ثنا أبو نعيم قال: ثنا يونس بن أبي إسحاق قال: أخبرني أبو داود، عن أبي الحمراء^(٣٠) قال: رابطة المدينة سبعة أشهر على عهد النبي (ص) ، قال: رأيت النبي (ص) إذا طلع الفجر، جاء إلى باب علي وفاطمة [عليهما السلام]، فقال: الصلاة الصلاة ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (٣١) .

٦- حدثني عبد الأعلى بن واصل قال: ثنا الفضل بن دكين قال: ثنا يونس بن أبي إسحاق قال: أخبرني أبو داود، عن أبي الحمراء قال: رابطة المدينة سبعة أشهر على عهد النبي (ص) ، قال: رأيت النبي (ص) إذا طلع الفجر، جاء إلى باب علي وفاطمة [عليهما السلام]، فقال: الصلاة الصلاة ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (٣٢) .

٧- حدثني عبد الأعلى بن واصل قال: ثنا الفضل بن دكين قال: ثنا عبد السلام بن حرب، عن كلثوم المحاربي، عن أبي عمار^(٣٣) قال: إني لجالس عند وائلة بن الأسقع^(٣٤) إذ ذكروا علياً [الطبري]، فشموه، فلما قاموا، قال: اجلس حتى أخبرك عن هذا الذي شتموه، إني عند رسول الله (ص) ، إذ جاءه علي وفاطمة وحسن وحسين [عليهم السلام] فألقى عليهم كساءً له، ثم قال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) ، قلت: يا رسول الله وأنا؟ قال: وأنت، قال: فوالله إنها لأوثق عمل عندي^(٣٥) .

٨- حدثني عبد الكريم بن أبي عمير قال: ثنا الوليد بن مسلم قال: ثنا أبو عمرو قال: ثنا شداد أبو عمار قال: سمعت وائلة بن الأسقع يحدث قال: سألت عن علي بن أبي طالب [عليه السلام] في منزله، فقالت فاطمة: قد ذهب يأتي برسول الله (ص) ، إذ جاء، فدخل رسول الله (ص) ودخلت، فجلس رسول الله (ص) على الفراش، وأجلس فاطمة عن يمين، وعلياً عن يساره، وحسناً وحسيناً بين يديه، فرفع^[٣٦] عليهم بثوبه، وقال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ، (اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أهلي أحق)، قال وائلة: فقلت من ناحية البيت: وأنا يا رسول الله (ص) من أهلك؟ قال: (وأنت من أهلي)، قال وائلة: إنها لمن أرجى ما أرجى^(٣٧) .

لا بد لنا من الوقوف على الروایتين السابقتين لأن وائلة يقول: قلت يا رسول الله (ص) وأنا؟ قال: وأنت.

إن الروایتين غريبتين في نهايتهما وذلك لأن وائلة ليس له علاقة بأهل البيت عليهم السلام لا من قريب ولا من بعيد، ويبدو إن نهاية الروایتين هي زيادة من وائلة وليس قول النبي (ص) ، إذن الروایتين فيهما افتراء على النبي (ص) !!!

٩- حدثنا أبو كريب قال، ثنا وكيع، عن عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، عن أم سلمة، قالت: لما نزلت هذه الآية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ، دعا رسول الله (ص) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً [عليهم السلام] فجلل عليهم كساءً خبيرياً، فقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)، قالت أم سلمة: ألسنت منهم؟ قال: أنتِ الى خير^(٣٨) .

١٠- حدثنا أبو كريب قال: ثنا مصعب بن المقدم قال: ثنا سعيد بن زربي، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن أم سلمة، قالت: جاءت فاطمة [عليها السلام] الى رسول الله (ص) ببرمة^(٣٩) لها قد صنعت فيها عصيدة تحملها على طبق، فوضعت بين يديه، فقال (ص) : أين ابن عمك وابناك؟ ، فقالت: في البيت، فقال: ادعهم، فجاءت الى علي [عليه السلام]، فقالت: أجب النبي (ص) أنت وابناك، قالت أم سلمة: فلما رآهم مقبلين مد يده الى كساء كان على المنامة^(٤٠)، فمده وبسطه، وأجلسهم عليه، ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله، فضمه فوق رءوسهم، وأوماً بيده اليمنى الى ربه، فقال: (هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)^(٤١) .

١١- حدثنا أبو كريب قال: ثنا حسن بن عطية قال: ثنا فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد، عن أم سلمة زوج النبي (ص): أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي بَيْتِهَا: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، قالت: وأنا جالسة على باب البيت، فقلت: أنا يا رسول الله [ﷺ]، ألسْتُ من أهل البيت؟ قال: (إنك إلى خير، أنت من أزواج النبي (ص))، قالت: وفي البيت رسول الله (ص)، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين [عليهم السلام] (٤٢).

١٢- حدثنا أبو كريب قال: ثنا خالد بن مخلد قال: ثنا موسى بن يعقوب قال: ثنا هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، عن عبد الله بن وهب بن زمعة قال: أخبرتني أم سلمة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) جَمَعَ عَلِيًّا وَالْحَسَنِينَ، ثُمَّ أَدْخَلَهُمْ تَحْتَ ثَوْبِهِ، ثُمَّ جَارَ إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: (هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي)، قَالَتْ أُمُّ سَلْمَةَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ [ص] أَدْخَلَنِي مَعَهُمْ، قَالَ: (إِنَّكَ مِنْ أَهْلِي) (٤٣).

١٣- حدثني أحمد بن محمد الطوسي قال: ثنا عبد الرحمن بن صالح قال: ثنا محمد بن سليمان الأصبهاني، عن يحيى بن عبيد المكي، عن عطاء، عن عمر بن أبي سلمة (٤٤)، قال: نزلت هذه الآية على النبي (ص) وهو في بيت أم سلمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، دعا حسناً وحسيناً وفاطمة [عليهم السلام] وأجلسهم بين يديه، ودعا علياً [عليه السلام] فأجلسه خلفه، فتجلل هو وهم بالكساء، ثم قال: (هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، فَأَذْهَبَ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً)، قَالَتْ أُمُّ سَلْمَةَ: أَنَا مَعَهُمْ؟ قَالَ: مَكَانَكَ وَأَنْتِ عَلَى خَيْرٍ (٤٥).

١٤- حدثني محمد بن عمار قال: ثنا إسماعيل بن أبان قال: ثنا الصباح بن يحيى المرّي، عن السدي، عن أبي الديلم قال: قال علي بن الحسين لرجل من أهل الشام: أما قرأت في الأحزاب ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾؟ قال: ولأنتم هم؟ قال: نعم (٤٦).

١٥- حدثنا ابن المثنى قال: ثنا أبو بكر الحنفي قال: ثنا بكير بن مسمار قال: سمعت عامر بن سعد قال: قال سعد بن أبي وقاص: قال رسول الله (ص) حين نزل عليه الوحي، فأخذ علياً وابنيه وفاطمة وأدخلهم تحت ثوبه، ثم قال: (رَبِّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي وَأَهْلُ بَيْتِي) (٤٧).

١٦- حدثنا ابن حميد قال: ثنا عبد الله بن عبد القدوس، عن الأعمش، عن حكيم بن سعد، قال: ذكرنا علي بن أبي طالب [عليه السلام] عند أم سلمة، قالت: فيه نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ

أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴿٤٨﴾ ، قالت أم سلمة: جاء النبي (ص) الى بيتي، فقال: (لا تأذني لأحد)، فجاءت فاطمة [عليها السلام] فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها، ثم جاء الحسن [عليه السلام]، فلم أستطع أن أمنعه أن يدخل على جده وأمه، وجاء الحسين [عليه السلام]، فلم أستطع أن أحجبه، فاجتمعوا حول النبي (ص) على بساط، فجللهم نبي الله بكساء كان عليه، ثم قال: (هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) فنزلت الآية حين اجتمعوا على البساط، قالت: فقلت يا رسول الله [ص] وأنا؟ قال: (إنك الى خير) (٤٨) .

أما الرأي الثاني: إنها خاصة بنساء النبي (ص) ، وهو قول انفرد به عكرمة ومنه استقى المتأخرون وأكثروا القول بذلك، فقد ذكر الطبري (٤٩): حدثنا ابن حميد قال: ثنا يحيى بن واضح قال: ثنا الأصبع بن علقمة قال: كان عكرمة ينادي في السوق: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ، قال: نزلت في نساء النبي (ص) خاصة .

أما الواحدي النيسابوري (٥٠)، فقد ذكر قولان أيضاً، الأول: عن أبي سعيد الخدري وأم سلمة والذي يقول: بأنها خاصة بأصحاب الكساء الخمسة، أما القول الثاني: فيذكر النيسابوري: (أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج قال: أخبرنا محمد بن يعقوب قال: أخبرنا الحسن بن علي بن عفان قال: أخبرنا أبو يحيى الحماني، عن صالح بن موسى القرشي، عن خصيف، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: إِنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي نِسَاءِ النَّبِيِّ (ص) ، ثم يذكر في الهامش بأن سند الرواية ضعيف جداً وذلك لوجود صالح بن موسى الذي وصفه ابن حجر (٥١) بأنه متروك الحديث.

كذلك ذكر الواحدي النيسابوري (٥٢): (أخبرنا عقيل بن محمد الجرجاني قال: أخبرنا المعافى بن زكريا القاضي قال: أخبرنا محمد بن جرير قال: أخبرنا ابن حميد قال: أخبرنا يحيى بن واضح قال: أخبرنا الأصبع بن علقمة، عن عكرمة في الآية قال: ليس الذي تذهبون إليه إنما هي في أزواج النبي (ص) ، قال: وكان عكرمة ينادي بهذا في السوق.

إن الرواية السابقة لم ينسبها عكرمة الى أحد شيوخه من الصحابة وهذا دليل على أنها اجتهاد شخصي منه.

أما الطبرسي^(٥٣) ، فإنه قال: اتفقت الأمة بأجمعها على أن المراد بأهل البيت في آية التطهير، هم أهل بيت النبي (ص) ثم اختلفوا فقال عكرمة: إنها خاصة بنساء النبي (ص) وذلك لأن أول الآية متوجهة إليهن، وقال أبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وواثلة بن الأسقع، وعائشة، وأم سلمة، أنها مختصة بالنبي (ص) ، وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وقال: نزلت على النبي (ص) وليس في البيت إلا الإمام علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وقال إن لفظة إنما هي محققة لما أثبت بعدها، نافية لما يثبت، فإن قول القائل: إنما لك عندي درهم، وإنما في الدار زيد، يقتضي أنه ليس عنده سوى الدرهم، وليس في الدار سوى زيد، وإذا تقرر هذا فلا تخلو الإرادة في الآية هي الإرادة المحضة أو الإرادة التي يتبعها التطهير وإذهاب الرجس، ولا يجوز الوجه الأول، لأن الله تعالى قد أراد من كل مكلف هذه الإرادة المطلقة، فلا اختصاص لها بأهل البيت عليهم السلام دون سائر الخلق، ولأن هذا القول يقتضي المدح والتعظيم لهم بغير شك وشبهة، ولا مدح في الإرادة المجردة فثبت الوجه الثاني، وفي ثبوته ثبوت عصمة المعنيين بالآية من جميع القبائح، وقد علمنا أن من عدا ما ذكرناه من أهل البيت عليهم السلام غير مقطوع على عصمته، فثبت أن الآية مختصة بهم عليهم السلام لبطلان تعلقها بغيرهم، ثم عاد الله سبحانه وتعالى الى ذكر الأزواج فقال ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾^(٥٤) ، معناه اشكرن الله إذ صيركن في بيوت يتلى فيها القرآن والسنة.

أما الفخر الرازي^(٥٥) فإنه يقول في تفسير الآية: إن الله تعالى ترك خطاب المؤنثات وخاطب بخطاب المذكرين بقوله ﴿لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ﴾، وذلك ليدخل فيه نساء أهل بيت النبي (ص) ورجالهم، واختلفت الأقوال في أهل البيت، و ١ أن يقال هم أولاده وأزواجه وعلي والحسن والحسين (عليهم السلام) منهم، وذلك لأن علي كان من أهل بيته بسبب معاشرته بنت النبي (ص) وملازمته له.

إن من المعروف في منهج الفخر الرازي هو الإطالة في هكذا موضوعات ولكنه هنا غادر سريعاً، وإذا كان تفسيراً صحيحاً فمن المنطق إضافة أبو العاص بن الربيع، زوج زينب بنت رسول الله (ص) ، كذلك عثمان بن عفان، زوج رقية بنت رسول الله (ص) الى أهل البيت.

أما القرطبي^(٥٦) فقد ذكر في تفسير الآية قال: قال الزجاج: قيل يراد به نساء النبي (ص) ،
وقيل: يراد بها نساؤه وأهله الذين هم أهل بيته.

إن الرواية السابقة التي رواها القرطبي عن الزجاج فيها كلمة قيل، وهذه الكلمة تؤدي الى
تضعيف الرواية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى بعد الرجوع الى الزجاج^(٥٧)، فقد وجدنا أنه يقول:
قيل إن أهل البيت هنا يقصد به نساء النبي (ص) ، وقيل نساء النبي (ص) والرجال الذين هم آله،
واللغة تدل على أنه للنساء والرجال جميعاً لقوله (عنكم) بالميم، (وليطهركم) ولو كان للنساء لم يجز
إلا عنكن ويظهركن والدليل على هذا قوله تعالى ﴿ وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾، حين أفرد
النساء بالخطاب، وهذا يعني أن الزجاج تحدث من تلقاء نفسه في تفسير الآية ولم يرجع لأحد من
المفسرين.

أما أبي حيان الأندلسي^(٥٨) فإنه قال: إن قول عكرمة ومقاتل وابن السائب في إن أهل البيت
في آية التطهير مختص بزوجات النبي (ص) ، ليس بجيد، إذ لو كان كما قالوا لكان التركيب
(عنكن) و(يطهركن)، وإن كان هذا القول مروياً عن ابن عباس فلعله لا يصح عنه، وقال: إن أبا
سعيد الخدري هو خاص بالنبي (ص) ، وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وروى نحوه
أنس بن مالك وعائشة وأم سلمة، أن الآية خاصة بأصحاب الكساء الخمسة.

من خلال البحث لم نتمكن من العثور على شيء يدل على أن مقاتل وابن السائب يقولون
بنزولها في نساء النبي (ص) ، وقد تفرد عكرمة بذلك، ولو كانت الآية في نساء النبي (ص) إذن
لماذا لم يشير الخطاب بتاء التأنيث كما جاء في ما قبل الآية ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ
النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقَلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾^(٥٩) ، وما
بعد الآية ﴿ وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾^(٦٠) !!

أما دروزة^(٦١) فإنه ذكر القولان، أي قال بأن الآية تشمل نساء النبي (ص) وهذا الرأي مأخوذ
من عكرمة، كذلك ذكر القول الآخر المأخوذ من أم سلمة وعائشة وأنس بن مالك، والذي يخصص
الآية بالخمس أصحاب الكساء عليهم السلام، وقال: إن الملاحظ من الحديث الصحيح المروي عن
أم سلمة أن الآية نزلت في بيتها، ومما يتمسك به الشيعة في سبيل تدعيم تأويلهم هو استعمال
ضمير المخاطب لجمع المذكر في الجملة مع إن الجملة التي قبلها وبعدها استعمل فيها ضمير

الجمع المخاطب للمؤنث وليس في هذا حجة ما، فضمير الجمع المخاطب المذكور استعمل أيضاً في حكاية الخطاب الموجه الى زوجة إبراهيم عليه السلام، وزوجة موسى عليه السلام في سورتي هود^(٦٢) والنمل^(٦٣)، ولسنا بسبيل نفي أقرب الناس الى النبي (ص) من معنى أهل بيته أو الانتقاص منهم، ولكن من الحق أن يقال إن هذا الشمول أو الحصر لا يكون مستقيماً إذا أُريد الاستناد فيه الى هذه الجملة القرآنية وسيادتها وظروف نزولها، وكل ما يسوغ قوله إن الأحاديث المنسوبة الى النبي (ص) إذا صحت قد قصدت تعميم مدلول الجملة القرآنية لتشمل الأربعة المطهرين، علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام بالإضافة الى نساء النبي (ص).

نستنتج مما تقدم أن عكرمة أراد حرف آية التطهير عن أهل البيت عليهم السلام وهم علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، وخرج برأي لم يرجع به الى النبي (ص) ولا لأي أحد من الصحابة وقد اتبعه الكثير من بعده فقالوا في هذا الرأي استناداً لرأي عكرمة، ولو كان المخاطب هن نساء النبي (ص) ! لماذا لم تذكر الآية نساء النبي، أو لماذا لم يقل الله تعالى عنكن وقال عنكم، وإن من الغريب أن يحدث عكرمة من تلقاء نفسه دون الرجوع لأحد من الصحابة!! والأغرب أن هناك من يتبع هذا الرأي الذي جاء به عكرمة، ولكن الشمس لا تغطي بغربال، وأن الحقيقة واضحة وضوح الشمس.

أما الآية الأخرى التي يجب الوقوف عندها هي آية المودة ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾^(٦٤)، فقد ذكر إبراهيم بن مرزوق، ثنا الحجاج بن نصير، عن عمرو بن فروخ، عن حبيب بن الزبير قال: أتى رجل عكرمة فقال: يا أبا عبد الله، وذكر الآية، فقال عكرمة: أسبئي أنت؟ أي نسبه الى عبد الله بن سبأ^(٦٥)، فقال الرجل: لست بسبئي ولكني أريد أن أعلم، فقال عكرمة: لم يكن حي من أحياء قريش إلا وقد عرق فيهم رسول الله (ص)، وكان قريش يصلون أرحامهم من قبله فما عدا إذا جاء النبي (ص) فدعاهم الى الإسلام فقطعوه ومنعوه وحرموه، فنزلت الآية أن تصلون لما كنتم تصلون به قرابتي قبلكم .

لقد ذكر الطبري^(٦٦): ((حدثنا أبو كريب قال: ثنا مالك بن إسماعيل قال: ثنا عبد السلام قال: ثنا يزيد بن أبي زياد، عن مقسم، عن ابن عباس قال: قالت الأنصار: فعلنا وفعلنا، فكأنهم فخرُوا، فقال ابن عباس أو العباس: لنا الفضل عليكم، فبلغ ذلك رسول الله (ص)، فأتاهم في مجالسهم

فقال: يا معشر الأنصار ألم تكونوا أدلة فأعزكم الله بي؟ قالوا: بلى يا رسول الله (ص) ، قال: ألم تكونوا ضلالاً فهداكم الله بي؟ قالوا: بلى يا رسول الله (ص) ، قال: أفلا تجيبوني؟ قالوا: ما نقول يا رسول الله؟ قال: ألا تقولون: ألم يخرجك قومك فأويناك؟ أولم يكذبوك فصدقناك؟ أولم يخذلوك فنصرناك؟ قال: فما زال يقول حتى جثوا على الركب، وقالوا: أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله، قال: فنزلت الآية (آية المودة)، كما نقل عن سعيد بن جبيرة بأن القريبى هم قريبي رسول الله (ص) ، وقال آخرون: هو أن تتوددوا الى الله وتتقربوا بالعمل الصالح والطاعة، وقالوا أن تصلوا قرابتكم، ولكن دخول (في) في الكلام هي أوضح دليل على أن معناه: إلا مودتي في قرابتي منكم وتصلوا رحمي، كما جاء عن الإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) لما جيء به أسيراً الى دمشق بعد واقعة الطف، فقام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم، فقال له الإمام السجاد (عليه السلام): أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أقرأت آل حم؟ قال: قرأت القرآن ولم أقرئها، قال: ألم تقرأ ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾؟ قال: وأنكم لأنتم هم؟ قال: نعم.

أما الطبرسي^(٦٧) فإنه قال: إن معنى الآية هي أن تودون قرابتي من بعدي، كما قال: (ذكر أبو حمزة الثمالي، عن السدي قال: إن اقرار الحسن المودة لآل محمد (ص) ، وصح عن الحسن بن علي (عليهم السلام) أنه خطب بالناس فقال: إنّا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم، ثم قال ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴾^(٦٨)، فاقرار الحسن مودتنا أهل البيت، وروى إسماعيل بن عبد الخالق، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: أنها نزلت فينا أهل البيت (أصحاب الكساء).

كما ذكر الحاكم الحسكاني^(٦٩): (حدثني القاضي أبو بكر الحيري، أخبرنا أبو العباس الصبغي حدثنا الحسن بن علي بن زياد السري، حدثنا يحمص بن عبد الحميد الحماني، حدثنا حسين الأشقر قال: حدثنا قيس، عن الأعمش، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس قال: لما نزلت آية المودة قالوا: يا رسول الله [ص] من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودتهم؟ قال: علي وفاطمة وولدهما [عليهم السلام] .

نستخلص مما تقدم أن عكرمة حاول أيضاً صرف آية المودة عن أهل البيت عليهم السلام، واعتبر كل قريش هم قرابة النبي (ص) ، وقال: لم يكن حي من أحياء قريش إلا وقد عرق فيهم

رسول الله (ص) ، وذلك محاولةً منه بالقول: أن كل قريش هم قرابة النبي (ص) ، وأنهم كلهم قد شملتهم الآية، إلا أن الباحث وجد من خلال ما تقدم أنها تخص أصحاب الكساء الأربعة وهم، علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام .

في الواقع أن عكرمة لم يقتصر على صرف الآيات القرآنية النازلة في حق أهل البيت (عليهم السلام)، لكنه روج لروايات تسيء إلى مقام أهل البيت (عليهم السلام)، ولا يبعد أثر ميوله نحو الخوارج في ذلك.

أما فيما يتعلق بالإمام علي (عليه السلام) فقد روج عكرمة لهذه الرواية التي تدعي أن الإمام علي (عليه السلام) قال: يا رسول الله (ص) إن القرآن ينفلت من صدري. فقال النبي (ص) : أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وينفع من علمته؟ قال: نعم، فقال النبي (ص) : صلّ ليلة الجمعة أربع ركعات، اقرأ في الأولى فاتحة الكتاب ويس، وفي الثانية فاتحة الكتاب والدخان، وفي الثالثة فاتحة الكتاب والسجدة، والرابعة فاتحة الكتاب وتبارك، فإذا فرغت فاحمد الله واثن عليه وصلّ على النبيين واستغفر للمؤمنين ثم قل: اللهم ارحمني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني، وارحمني من أن أتكلف ما لا يعينني، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني، اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تلتزم قلبي حب كتابك كما علمتني وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك مني، وأسألك أن تنور بالكتاب بصري وتطلق به لساني وتفرج به عن قلبي وتشرح به صدري وتستعمل به بدني وتقويني على ذلك وتعينني عليه فإنه لا يعينني على الخير غيرك ولا يوفق له إلا أنت، فافعل ذلك ثلاث جمع أو خمساً أو سبعاً تحفظه بإذن الله وما أخطأ مؤمناً قط، فأتى النبي (ص) بعد ذلك بسبع جمع فأخبره بحفظ القرآن والحديث، فقال النبي (ص) : مؤمن ورب الكعبة، علم أبا الحسن، علم أبا الحسن (٧٠).

إن الرواية السابقة فيها افتراء كبير على الإمام علي (عليه السلام) وتريد القول بأن الإمام علي (عليه السلام) لم يكن حافظاً للقرآن ولا للحديث، مع أنه (عليه السلام) باب علم مدينة رسول الله (ص) فهو الذي قال عنه النبي (ص) : (أنا مدينة العلم وعليّ بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها) (٧١) ، وقال: علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقان حتى يردا عليّ الحوض (٧٢) ، كذلك قول الإمام علي (عليه السلام): سلوني قبل أن تفقدوني (٧٣) ، وقوله: لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم،

وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل القرآن بقرآنهم^(٧٤)، فضلا عن الخصائص الخلقية، والسجايا النفسية التي ميزت الإمام علي (عليه السلام) على سائر الأمة وجعلته أفضل شخصية بعد الرسول (ص)^(٧٥).

ومما جاء عن عكرمة في حادثة الإسراء أنه قال: قالت أم هانئ: قال النبي (ص) لما أسري به: إني أريد أن أخرج إلى قريش فأخبرهم فكذبوه وصدقه أبو بكر فسمي يومئذ الصديق^(٧٦).

يذكر عكرمة في الرواية السابقة بأن أبا بكر سمي الصديق، ألا إن المصادر تذكر أن هذا النعت هو لقب خاص بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقد جاء عنه (عليه السلام) وهو يخطب من على منبر البصرة قوله: (أنا الصديق الأكبر)^(٧٧).

وفي رواية (أنا الصديق الأكبر، آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، وأسلمت قبل أن يسلم)^(٧٨)، وفي رواية أخرى (أنا الصديق الأكبر، آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، وأسلمت قبل أن يسلم عمر)^(٧٩).

ومن الروايات التي حاول عكرمة صرف فضيلة للسيدة فاطمة (عليها السلام) ما روج له: أن الفقراء أتوا النبي (ص) فقالوا: إن الأغنياء يصومون كما نصوم، ويصلون كما نصلي، ولهم أموال فيتصدقون منها ويعتقون، فقال لهم النبي (ص): إذا صليتم فقولوا: سبحان الله ٣٣ والحمد لله ٣٣ والله أكبر ٣٤^(٨٠).

لقد كان هذا التسبيح الذي تحدث عنه عكرمة في الرواية أعلاه هو تسبيح السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام الذي التزم به طائفة من المسلمين، فقد علمه جبرائيل (عليه السلام) للنبي (ص)، ثم علمه النبي (ص) للإمام علي والسيدة فاطمة الزهراء (عليهما السلام)^(٨١).

ومن المفتريات التي روج لها عكرمة: أن الإمام علي (عليه السلام) خطب ابنة أبي جهل، فقال له النبي (ص) إن تزوجتها فرد علينا ابنتنا، لا تجتمع بنت رسول الله (ص) وبنت عدو الله تحت رجل^(٨٢).

ذكرت الرواية السابقة أن الإمام علي (عليه السلام) خطب ابنة أبي جهل في حياة النبي (ص) فأسخطه هذا الفعل، وقال (ص) لا تجتمع ابنة رسول الله (ص) وابنة عدو الله أبي جهل!! فاطمة

بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ويبغضني ما يبغضها^(٨٣)، إذن كيف يقدم الإمام علي (عليه السلام) على هكذا فعل، وإن لم يكن قد ارتكب محرم، وهو الذي يعرف السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) معرفة تامة أحاطت بكل خصائصها ومناقبها وصفاتها التي ارتقت بها لتكون سيدة نساء العالمين، نعتقد أنها تهمة نسبت للإمام علي (عليه السلام) أن يفكر بالزواج من غير السيدة فاطمة (عليها السلام) في حياتها.

لقد رد الشريف المرتضى^(٨٤) على ذلك بقوله: أن الطعن على النبي (ص) بما تضمنه هذا الخبر الخبيث، أعظم من الطعن على أمير المؤمنين (عليه السلام)، وما صنع هذا الخبر إلا قاصد للطعن عليهما، ووصف من وضع هكذا خبر بأنه ناصب معاند لا يبالي أن يشفي غيظه بما يرجع على أصوله بالفدح والهدم، على أنه لا خلاف بين أهل النقل أن الله سبحانه وتعالى هو الذي اختار أمير المؤمنين (عليه السلام) لنكاح سيدة نساء العالمين (عليها السلام)، وأن النبي (ص) ردَّ عنها جلة أصحابه الذين خطبوها، وقال: إني لم أزوج فاطمة علياً عليهما السلام حتى زوجها الله إياه في سمائه، ونحن نعلم أن الله سبحانه وتعالى لا يختار لها من بين الخلائق من غيرها ويؤذيها ويغمها، فإن ذلك من أدل دليل على كذب الراوي لهذا الخبر.

أما الطباطبائي^(٨٥)، فقد ردَّ على ذلك بقوله: إن في ذلك طعنًا للرسول (ص) واعتبر أن السخطة من النبي (ص) نزعة جاهلية وحاشا للنبي (ص) أن يخالف قول الله تعالى ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾^(٨٦)، وهو عام لم يخص ولم ينسخ بأية أخرى خاصة بها أم بشيء من السنة يخصص الآية بالسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ويشترط فيها خاصة حكماً شخصياً بالتحريم فلم يثبت ولم يبلغ قبل ذلك، فما معنى سخطه (ص) على من لم يأت بمعصية ولا عزم عليها وساحته منزهة من هذه الشيم الجاهلية، كذلك أرادوا بالرواية الطعن بالإمام علي (عليه السلام) وطعن بالنبي (ص) من حيث لا يشعر، تنزهت ساحة الإمام علي (عليه السلام) عن ذلك.

الغريب في الأمر أن أكثر المؤرخين يذهبون الى أن خطبة جويرية كانت في السنة الثانية من زواج الإمام علي والسيدة فاطمة (عليهما السلام)، وقبل أن يأتي زواجهما بأولى ثمراته!! والغريب إن أبا جهل وبني المغيرة كانوا في مكة، وأبو جهل كان من كبار المشركين، وألذ أعداء الإسلام وأكثرهم تحريصاً وإساءة للنبي (ص) والمسلمين، وهو صاحب فكرة اغتيال النبي (ص) ليلة

الهجرة، ثم كان أساس البلاء على قريش يوم بدر حتى أوردتها المهالك، وقد قتل أبو جهل في بدر ولاقى مقتله سروراً لدى النبي (ص) وأصحابه، وظل أبناءه على شركهم في مكة الى السنة ٨ هـ بعد فتح مكة، ثم أسلموا، فكيف يجتمع هذا مع قول النبي (ص) في بداية السنة ٣ هـ، وقبل ولادة الإمام الحسن (عليه السلام): إلا أن بني المغيرة قد استأذنوني أن يزوجوا ابنتهم علياً، وخلص للقول (ومهما كان الحال فلو افترضنا أن علياً فكر في غير فاطمة، وإن فاطمة لم تكن طيبة النفس بهذا التفكير، فلذلك لا يوجب تجريحاً، ولا يبيح لأحد أن ينال من قداستها شيئاً)^(٨٧) .

أما عن موقف السيدة فاطمة (عليها السلام) فالرواية تصور السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وكأنها امرأة ضعيفة قليلة الحنكة شأنها شأن سائر النساء، فتتفعل وتستغل سلطة أبيها (ص) فتذهب إليه شاكية، إن المرأة الأصلية هي من تعالج مشاكلها الزوجية دون تدخل أهلها، أما إذا لجأت الى الآخرين فهذا دليل على عدم أصالتها، وهذا لا ينطبق على السيدة فاطمة (عليها السلام) سيدة نساء الأمة^(٨٨)، وسيدة نساء الجنة^(٨٩)، وسيدة نساء العالمين^(٩٠)، إننا لم نقرأ في بطون الكتب ولم نسمع أن الله سبحانه وتعالى يغضب لغضب امرأة ويرضى لرضاها سوى فاطمة (عليها السلام) فهل التي تتوصل الى هكذا مرتبة تقف هكذا موقف^(٩١) .

أما عن موقف الإمام علي (عليه السلام) فكأن الراوي يريد القول أن النبي (ص) تناسى من هو علي (عليه السلام)؟ وأين تربي؟ ومتى أسلم؟ ومن هو الذي بات في فراش النبي (ص) ليلة الهجرة؟ ومن هو صاحب السيف في سائر الغزوات؟ وهو الذي لم يجد لفاطمة عليها السلام نداءً سواه؟ والذي جاء التشريف من السماء بتزويجه إياها؟ وهو الذي حفظ نسل النبي (ص) فلا نسل للنبي (ص) إلا منه (عليه السلام)، هذا كله وأن الراوي يريد أن يسدل الستار عنه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى من هي تلك المرأة التي أختارها لتكون ضرراً للسيدة فاطمة عليها السلام، أليست ابنة أبي جهل؟ المعروف بعدائه للرسول (ص) والإسلام، وفاطمة عليها السلام بنت رسول الله (ص) ، وتلك عاشت مشرقة بعد الإسلام لإحدى وعشرين سنة، أما فاطمة الزهراء عليها السلام هي التي فتحت عينها على الإسلام، ولم تعرف للشرك معنى بل كانت نطفتها من تفاحة من الجنة، وتلك من الطلقاء، وفاطمة عليها السلام سيدة نساء العالمين، وتلك نهايتها مجهولة، وفاطمة (عليها السلام) لما توفيت نديتها الرجال قبل النساء، إذ لا توجد درجة مقارنة بين الشخصيتين^(٩٢) .

ومع هذا الموقف السلبي الذي يتخذه عكرمة من أهل البيت (عليهم السلام)، لكنه لم يستطع أن يكتف كل فضائلهم، فقد روى روايات في فضلهم، فقد روى أن الإمام علي (عليه السلام) كان حامل لواء النبي (ص) في حروبه. وكان أبيضاً^(٩٣).

كما روى أن النبي (ص) قال للإمام علي (عليه السلام): ناولني كفاً من حصباء^(٩٤)، فناوله فرمى به وجوه القوم فنزلت ﴿وَمَا رَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(٩٥)، فما بقي أحد من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء^(٩٦) وكان ذلك في معركة بدر سنة ٢هـ بأمر من جبريل (عليه السلام)^(٩٧).

وروى عكرمة: أن الإمام علي (عليه السلام) قال: يا رسول الله (ص) إنك قلت لي يوم أحد حين أخرجت عن الشهادة، واستشهد من استشهد، إن الشهادة من ورائك، قال (ص): كيف صبرك إذا خُصبت هذه من هذه، وأهوى بيده إلى لحيته ورأسه، فقال الإمام علي (عليه السلام): أما بينت ما بينت فليس ذلك من مواطن الصبر، ولكن هو موطن البشري والكرامة^(٩٨).

وروى أيضاً: صاح صائح يوم أحد من السماء:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي بن أبي طالب^(٩٩).

كذلك روى عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص): ما في يوم القيامة راكب غيرنا نحن أربعة، فقام إليه عمه العباس فقال: ومن هم يا رسول الله (ص)، قال: أما أنا فعلى البراق، وأخي صالح على ناقة الله وسقياها التي عقرها قومه، وعمي حمزة أسد الله وأسود رسوله وسيد الشهداء على ناقتي العضباء^(١٠٠)، وأخي علي على ناقة من نوق الجنة، زمامها من لؤلؤ رطب، عليها محمل من ياقوت أحمر، قضبانها من الدر الأبيض، على رأسه تاج من نور، لذلك التاج ٧٠ ركناً، ما من ركن إلا وفيه ياقوته حمراء تضيء للراكب، وعليه حلقتان خضراوتان، وبيده لواء الحمد وهو ينادي: أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فتقول الخلائق: ما هذا إلا نبي مرسل أو ملك مقرب، فينادي منادٍ من بطنان العرش: هذا علي بن أبي طالب وصي رسول رب العالمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين^(١٠١).

الرواية تريد إعطاء دور للعباس بن عبد المطلب لا أكثر، في حين أن وقتها كان حمزة قد أستشهد والعباس لم يسلم بعد وكان إسلامه بعد فتح مكة سنة ٨هـ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى

فإن مكانة الإمام علي (عليه السلام) معروفة عند الله وعند رسوله وهو الذي قال عنه الرسول (ص) : (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) (١٠٢) .

أما عن إمامة الإمام علي (عليه السلام) وأولاده من بعده، فقد ذكر عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص) : (من سره أن يحيا حياتي ويموت ميتتي، ويدخل جنة عدن منزلي، ويمسك قضيباً غرسه ربي عز وجل، ثم قال له: كن فيكون فليتول علي بن أبي طالب، وليأتم بالأوصياء من ولده، فإنهم عترتي، خلقوا من طينتي، الى الله أشكو أعدائهم من أمتي، المنكرين لفضلهم، القاطعين فيهم صلتي، وأيم الله ليقتلن بعدي ابني الحسين، لا أنالهم الله شفاعتي) (١٠٣).

لقد أكد عكرمة في الرواية أعلاه على ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) وولده من بعده وذكر وصايا الرسول (ص) بحقهم كما أكد أن أهل البيت (ع) هم عترة رسول الله (ص) الحقيقيون، ولكن هل التزمت الأمة بتلك الوصايا!!! وهل صانوا النبي (ص) في عترته! تلك العترة الذين قال فيهم النبي (ص) : (إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض) (١٠٤).

أما عن السيدة فاطمة (عليها السلام) فقد ذكر عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص) للسيدة فاطمة (عليها السلام) : إن الله عز وجل غير معذبك ولا ولدك، وقال عكرمة: خط رسول الله (ص) في الأرض أربع خطط ثم قال: تدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أفضل نساء أهل الجنة، خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون، وكان (ص) إذا قدم من سفر قبل ابنته فاطمة (عليها السلام) ، وكان يدعو لها ويقول: اللهم يا مشبع الجوعى، وقاضي الحاجة، ورافع الوضعة، لا تجع فاطمة بنت محمد) (١٠٥) .

أما عن زواج الإمام علي والسيدة فاطمة (عليهما السلام)، فقد روى عكرمة عن ابن عباس: أن رسول الله (ص) قال: إن الله تبارك وتعالى آخى بيني وبين علي بن أبي طالب، وزوجه ابنتي من فوق سبع سماواته، وأشهد على ذلك مقربي ملائكته، وجعله لي وصياً وخليفة، فعلي مني وأنا منه، محبه محبي، ومبغضه مبغضي، وإن الملائكة لتتقرب إلى الله بمحبته (١٠٦) .

نستدل من خلال الرواية السابقة أن الله سبحانه وتعالى هو الذي آخى بين النبي (ص) والإمام علي (عليه السلام)، وهي إشارة إلى النبوة والإمامة، كما فيها تأكيد على أن الخليفة من بعد رسول الله (ص) هو الإمام علي (عليه السلام) أي اثبات لحق الإمام علي (عليه السلام) بالخلافة.

كما أضاف عكرمة إنه لما تزوج الإمام علي من السيدة فاطمة (عليهما السلام) قال النبي (ص): يا علي لا تدخل على أهلك حتى تقدم لهم شيئاً، فقال: مالي شيئاً يا رسول الله، قال: أعطها درعك الحطيمة^(١٠٧)، وقال عكرمة: استحل علي (عليه السلام) فاطمة (عليها السلام) ببين^(١٠٨) من حديد^(١٠٩).

وروى عكرمة: لما تزوج الإمام علي والسيدة فاطمة (عليهما السلام) جاؤوا ببطحاء الرمل فبسطوه في البيت، فقال النبي (ص) للإمام علي (عليه السلام): لا تقربها حتى آتيك، فجاء النبي (ص) فدق الباب، فخرجت إليه أم أيمن^(١١٠)، فقال لها: أتم أخي، فقالت: كيف يكون أخاك وقد زوجته ابنتك، فقال: نعم أخي، ثم قال: جننت تكرمين ابنة رسول الله؟ قالت: نعم، فدعا لها ثم دخل، ودعا بتور^(١١١) من ماء فتقل فيه وعود فيه ثم دعا علياً (عليه السلام) فرش من ذلك الماء على وجهه وصدره وذراعيه، ثم دعا فاطمة عليها السلام فأقبلت تعثر في ثوبها حياءً ففعل بها مثل ذلك وقال لها: أني والله ما آلوت^(١١٢) أن أزوجك خير أهلي ثم خرج^(١١٣). يبدو أن قصد النبي (ص) بالأخوة في الرواية السابقة هي النبوة والإمامة.

وعن الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام الذين هما من فضائل الإمام علي (عليه السلام) أنه رزق بهما من السيدة فاطمة عليها السلام، وهما اللذان كان لهما الأثر الكبير في تاريخ الأمة الإسلامية، واللذين قال فيهما النبي (ص): الحسن والحسين سيديا شباب أهل الجنة^(١١٤)، وقال أيضاً (ص): إن الله تعالى جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب^(١١٥).

ومما جاء عن عكرمة فيهما: أن النبي (ص) خرج يوماً وهو حامل الإمام الحسن (عليه السلام) على عاتقه فقال رجل: يا غلام نعم المركب ركبت، فقال النبي (ص): ونعم الراكب هو، وقال عكرمة: عَقَّ النبي (ص) عن الحسن والحسين عليهما السلام^(١١٦).

وختاماً يمكن القول أن عكرمة البربري يعد ممن ساهم في صرف فضائل أهل البيت (عليهم السلام) إلى غيرهم بل هو صاحب الريادة في صرف نزول آية التطهير فيهم، ولم يقتصر على ذلك بل روى وروج لروايات تسيء إلى أهل البيت (عليهم السلام) سيما أمير المؤمنين والصديقة فاطمة وولديهما الحسن والحسين (عليهم السلام)، كما ساهم أيضاً في ذكر بعض فضائل أهل البيت (ع).

الهوامش

- (١) ينظر: البخاري، التاريخ الكبير ٤٩/٧، العجلي، معرفة الثقات ١٤٥/٢، ابن حبان، الثقات ٢٩٩/٥، مشاهير علماء الأمصار/١٣٤، ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال ٢٦٦/٥، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٢٦٣/٧.
- (٢) الأعلام ٢٤٤/٤.
- (٣) ينظر: ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال ٢٦٦/٥، الذهبي، تذكرة الحفاظ ٩٥-٩٦، ميزان الاعتدال ٩٥-٩٦/٣، الصفدي، الوافي بالوفيات ٢٠/٢٦٠، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٧/٢٣٤-٢٣٥.
- (٤) ابن حبان، الثقات ٢٢٩/٥، مشاهير علماء الأمصار/١٣٤.
- (٥) الباجي، التعديل والتجريح ٣/١١٥١.
- (٦) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ٨/٧، ابن خلكان، وفيات الأعيان ٣/٢٦٥، ابن كثير، البداية والنهاية ٩/٢٧٣، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٧/٢٣٥.
- (٧) ينظر: البخاري، خلق أفعال العباد ٨١/١، الطبري، جامع البيان ١٤/٤٢، الطبراني، المعجم الكبير ١١/٢٨٧، ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال ٧/٢٢، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٣/٤٠٣، ٧/٣٧٦، ابن كثير، البداية والنهاية ١/٢٦٢، الهيثمي، بغية الباحث عن زوائد مسند الباحث/٢٢٤، المقرئ، إمتاع الأسماع ٤/٥٥-٥٦.
- (٨) ينظر: ابن قتيبة، المعارف/٤٥٦، الكليني، الكافي ٣/١٢٢، الطوسي، تهذيب الأحكام ١/٢٨٧-٢٨٨، الباجي، التعديل والتجريح ٣/١١٥٠، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٤١/١٠٧، المزي، تهذيب الكمال ٢٠/٢٨٦، الذهبي، سير أعلام النبلاء ٥/٢٩، ميزان الاعتدال ٣/٩٤-٩٥، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٧/٢٣٧-٢٤٠، مقدمة فتح الباري ٤٢٥-٤٢٧.
- (٩) ابن منظور، لسان العرب ١/١٦٣-١٦٤.
- (١٠) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٥/٢٤٧، النصر الله، الإمام علي في فكر معتزلة بغداد ص ٢٤٣.
- (١١) سورة الأحزاب / ٣٣.

- (١٢) الترمذي ، سنن الترمذي ٣١/٥ ، الحاكم النيسابوري ، المستدرک ٤١٦/٢ ، ١٠٨/٣ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٣٧٦/٦ ، السيوطي ، الاتقان ٥٢٤/٢ .
- (١٣) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٢٤٩/١١ .
- (١٤) سورة الشورى / ٢٣ .
- (١٥) الطبراني ، المعجم الأوسط ١٧٩/٢-١٨٠ ، ٢٩٢-٢٩٣ .
- (١٦) مغنية ، الفقه على المذاهب الخمسة/ ١٨٠ .
- (١٧) سورة التوبة الآية ٦٠ .
- (١٨) الطوسي: التبيان ٢٤٤/٥ ، الفخر الرازي: مفاتيح الغيب ١١٢/١٦ .
- (١٩) هو أبو الحارث نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، ابن عم الرسول (ص) ، أسر يوم بدر كافراً وفداه عمه العباس ، وقيل هو فدى نفسه برماح كانت له ، وقيل أسلم وهاجر يوم الخندق ، شهد فتح مكة وحنين والطائف ، مات بالمدينة سنة ١٥ هـ ، ينظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ٤٦/٥ .
- (٢٠) الطبراني ، المعجم الكبير ١٧٣/١١-١٧٤ .
- (٢١) الفقه على المذاهب الخمسة/ ١٨٨ .
- (٢٢) وهي قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ، سورة الأحزاب/ ٣٣ .
- (٢٣) وهي قوله تعالى ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ ، سورة الشورى / ٢٣ .
- (٢٤) هو سعد بن مالك بن سنان الخزرجي الأنصاري الخدي ، أمه أنيسة بنت أبي حارثة من بني عدي بن النجار ، شهد الخندق ، مات سنة ٧٤ هـ ، ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢٦٧/٥ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ٦٠٢/٢ ، ١٦٧١/٤ .
- (٢٥) الطبري: جامع البيان ٩/ ٢٢ .
- (٢٦) الطبري: جامع البيان ٩/ ٢٢ .
- (٢٧) الطبري: جامع البيان ٩/ ٢٢ .
- (٢٨) هي لحم يقطع صغار ويصب عليه ماء كثير ، فإذا نضج ذر عليه الدقيق ، فإذا لم يكن فيها لحم فهي عصيدة ، ينظر : ابن قتيبة ، غريب الحديث ١٤٠/٢ .

(٢٩) الطبري: جامع البيان ٩/٢٢ ، ١٠.

(٣٠) هو هلال بن الحارث ، ويقال هلال بن ظفر ، مولى النبي (ص) سكن حمص ، وسكن المدينة سبعة أشهر الى جنب النبي (ص) ، روى عن النبي (ص) ، روى عنه سعيد بن جبير ونفيع أبو داود الأعمى ، ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ٤/١٦٣٣ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ٥/٦٦ ، ابن حجر الإصابة ٦/٤٢٩.

(٣١) الطبري: جامع البيان ١٠/٢٢ .

(٣٢) الطبري: جامع البيان ١٠/٢٢ .

(٣٣) هو شداد بن عبد الله الشامي الدمشقي ، مولى معاوية بن أبي سفيان ، روى عن أبي أمامة ، وواثلة بن الأسقع ، روى عنه الأوزاعي وعكرمة بن عمار ، ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير ٤/٢٢٦ ، العجلي ، معرفة الثقات ١/٤٥٠ ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ٤/٣٢٩ ، ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ١٨٧.

(٣٤) هو أبو الأسقع واثلة بن الأسقع بن عبد العزى الكنانى الليثي ، أسلم قبل تبوك سنة ٩هـ ، خدم النبي (ص) مدة ثلاث سنوات ، سكن البصرة وله بها دار ، ثم سكن الشام ، وشهد فتح دمشق ، ثم تحول الى فلسطين ونزل بيت المقدس وقيل جبران ، وكان قد أصابه العمى ، مات ببيت المقدس وقيل بدمشق سنة ٨٣هـ وله من العمر ١٠٥ سنوات ، ينظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ٥/٧٧.

(٣٥) الطبري: جامع البيان ١٠/٢٢ .

(٣٦) هي بمعنى غطى ، مثل لفع الشيب الرأس ، أي غطى المشيب الرأس ، كأنه غطى على سواد الرأس ، ينظر : الفراهيدي ، العين ٢/١٤٥ .

(٣٧) الطبري: جامع البيان ١٠/٢٢ . ١١ .

(٣٨) الطبري: جامع البيان ١١/٢٢ .

(٣٩) هي القدر المصنوع من الحجر المعروف في الحجاز واليمن ، وجمعها برام ، ينظر : ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ١/١٢١ .

(٤٠) هي المكان الذي ينام فيه ، أو هي القطيفة التي ينام فيها ، ينظر : الجوهري ، الصحاح ٥/٢٠٤٧ ، الزبيدي ، تاج العروس ٦/٢٨ .

(٤١) الطبري: جامع البيان ١١/٢٢ .

(٤٢) الطبري: جامع البيان ١١/٢٢ .

(٤٣) الطبري: جامع البيان ١٢/٢٢ .

(٤٤) هو أبو حفص عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسود بن هلال القرشي المخزومي ، أمه أم المؤمنين أم سلمة المخزومية ، ولد في الحبشة سنة ٢ هـ ، وهو ربيب رسول الله (ص) ، شهد الجمل مع الإمام علي (عليه السلام) الذي كان قد استعمله على فارس والبحرين ، روى عن النبي (ص) ، روى عنه سعيد بن المسيب ، وأبو أمامة ، وعروة بن الزبير ، مات بالمدينة سنة ٨٣ هـ أيام حكم عبد الملك بن مروان ، ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ٣/١١٥٩ .

(٤٥) الطبري: جامع البيان ١٢/٢٢ .

(٤٦) الطبري: جامع البيان ١٢/٢٢ .

(٤٧) الطبري ، جامع البيان ١٢/٢٢ .

(٤٨) الطبري: جامع البيان ١٢/٢٢ . ١٣ .

(٤٩) جامع البيان ١٢ / ٢٢ .

(٥٠) أسباب النزول/٢٣٩ .

(٥١) تقريب التهذيب/١/٤٣٣ .

(٥٢) أسباب النزول/٢٤٠-٢٤١ .

(٥٣) مجمع البيان ٨/١٥٦-١٥٨ .

(٥٤) سورة الأحزاب / ٣٤ .

(٥٥) التفسير الكبير/٢١٠ .

(٥٦) الجامع لأحكام القرآن ١٤/١٨٢ .

(٥٧) معاني القرآن وعرابه ٤/٢٢٦-٢٢٧ .

(٥٨) تفسير البحر المحیط ٧/٢٢٤ ، وينظر : الآلوسي ، روح المعاني ١٢/٢٢-١٥ .

(٥٩) سورة الأحزاب / ٣٢ .

(٦٠) سورة الأحزاب / ٣٤ .

(٦١) التفسير الحديث ٧/٣٧٩-٣٨٢ .

(٦٢) ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ الآية ٧٣ .

(٦٣) ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نَارًا سَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبْرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ الآية .٧

(٦٤) سورة الشورى / ٢٣.

(٦٥) هو شخصية أسطورية مضطربة ، اختلفت الأقوال في حقيقتها ، وقد اعتمد عليها كل من نسب الى الشيعة ما ليس بهم من علم وتكلم عنهم جهلاً وخطأً ، وكان عبد الله يهودياً يتستر بالإسلام ، أظهر حركته بعد وفاة أمير المؤمنين (عليه السلام) واتبعه قوم سمو بالسبئية. ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١٢٠/٨، مرتضى العسكري، عبد الله بن سبأ / الصفحات جميعها.

(٦٦) جامع البيان ٣٢٥-٣٢٢/٢٥.

(٦٧) مجمع البيان ٤٩/٩-٥٠.

(٦٨) سورة الشورى / ٢٣.

(٦٩) شواهد التنزيل ١٨٩/٢ ، وينظر : السيوطي ، الدر المنثور ٧/٦.

(٧٠) الطبراني، المعجم الكبير ١١/٢٩٠-٢٩٢.

(٧١) الطبراني، المعجم الكبير ١١/٥٥، الذهبي، تاريخ الإسلام ١٨/٣٦٨، ابن كثير، البداية والنهاية ٧/٣٩٥، المتقي الهندي، كنز العمال ١٣/١٤٨.

(٧٢) الطبراني، المعجم الصغير ١/٢٥٥، السيوطي، الجامع الصغير ٢/١٧٧.

(٧٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ٢/١٩٣، الكوفي، تفسير فرات ص ٦٨، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١٢/١٩٧، المتقي الهندي، كنز العمال ١٣/١٦٥.

(٧٤) الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل ١/٣٦٦، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٦/١٣٦.

(٧٥) للمزيد ينظر: النصر الله، الإمام علي في فكر معتزلة بغداد ص ٢٥٣-٣٠٣.

(٧٦) الطبراني ، المعجم الكبير ١/٥٥.

(٧٧) ينظر : الكراكي ، التعجب/٩٨.

(٧٨) ينظر: ابن قتيبة، المعارف/١٦٩، المفيد، الإرشاد/١/٣١، الفصول المختارة/٢٦١، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٤٢/٣٢، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١٣/٢٢٨، المجلسي ، بحار الأنوار ٣٨/٢٢٦.

(٧٩) ينظر: ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ١/٢٨٩، للمزيد ينظر: النصر الله، دور المرأة البصرية في الحركة الفكرية معاذة العدوية أنموذجاً، مجلة تراث البصرة، العدد: الأول، السنة: ١، ٢٠١٧م/١٨٧-١٩١.

- (٨٠) الطبراني، المعجم الكبير ٢٨٩/١١.
- (٨١) المفيد، المقنعة / ١٠٩، الطوسي، الاقتصاد / ٢٦٤، ابن إدريس الحلبي، السرائر ٢٣٣/١، العاملي، الانتصار ٤١٦/٧.
- (٨٢) الطبراني ، المعجم الصغير ١٦/٢.
- (٨٣) الطبراني، المعجم الكبير ٤٠٥/٢٢، الطبرسي، إعلام الوري ٢٩٤/١، ابن حجر، الإصابة ٢٦٥/٨.
- (٨٤) تنزيه الأنبياء/ ٢٢٠.
- (٨٥) الميزان في تفسير القرآن ٢٢٩/١٤، وينظر: النصر الله، وانتصار العواد، صاحبة التسبيح المقدس / ٩٦.
- (٨٦) سورة النساء / ٣.
- (٨٧) النصر الله: الإمام علي في فكر معتزلة بغداد ص ١٨١-٢٠٥.
- (٨٨) الطبراني، المعجم الكبير ٤١٩/٢٢ ، الطبرسي، إعلام الوري ٢٩٨/١، البجراني، غاية المرام ١٢٣/٥.
- (٨٩) أبو يعلى، مسند أبي يعلى ٣١٣/١٢، المفيد، الأمالي ص ١١٦، ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ١٠٥/٣، المجلسي، بحار الأنوار ٢٠٤/٢٧.
- (٩٠) ابن أبي شيبعة، المصنف ٥٢٧/٧، النسائي، سنن النسائي ٢٥٢/٤، الحاكم النيسابوري، المستدرک ١٥٦/٣، الهيتمي، مجمع الزوائد ٧٦/٧.
- (٩١) النصر الله ، الإمام علي في فكر معتزلة بغداد ص ٢١٧.
- (٩٢) النصر الله: الإمام علي في فكر معتزلة بغداد ص ٢١٨-٢٢٠.
- (٩٣) الطبراني، المعجم الأوسط ٦٧/٦.
- (٩٤) هو الحصى. ينظر: الجوهري، الصحاح ١١٢/١.
- (٩٥) سورة الأنفال ، الآية ١٧.
- (٩٦) الطبراني، المعجم الكبير ٢٢٧/١١.
- (٩٧) العاملي، الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) ٥١/٥-٥٢.
- (٩٨) الطبراني، المعجم الكبير ٢٩٥/١١، الهيتمي: مجمع الزوائد ١٣٨/٩.
- (٩٩) ابن مردويه، مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام) / ١٥١، وينظر: النصر الله، الإمام علي في فكر معتزلة بغداد ص ٢٧٣.

- (١٠٠) هي الناقة مشقوقة الإذن. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٢٥١/٣.
- (١٠١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٣٢٦/٤٢-٣٢٧.
- (١٠٢) ابن أبي شيبة، المصنف ٧/٤٩٦، النسائي، فضائل الصحابة ١٣/، الهيثمي، مجمع الزوائد ٩/١٠٩.
- (١٠٣) الصدوق، الأمالي ٨٨-٨٩.
- (١٠٤) ابن أبي شيبة، المصنف ٧/٤١٨، الترمذي، سنن الترمذي ٥/٣٢٨، النسائي، فضائل الصحابة ١٥/.
- (١٠٥) الطبراني، المعجم الأوسط ٤/٢١٠-٢١١، ٢٤٨، المعجم الكبير ١١/٢٦٦. (١٠٦) الصدوق، الأمالي ١٨٧.
- (١٠٧) مأخوذة من الحطمة وهي النار التي تحطم كل شيء وتجعله حطاماً أي متحطماً متكسراً. ينظر: ابن منظور، لسان العرب ١٢/١٣٨.
- (١٠٨) هو شبه درع قصير قدر ما يكون على الجسد، قصير الكمين، يجمع على أبدان. ينظر: الفراهيدي، العين ٥١/٨.
- (١٠٩) الطبراني، المعجم الأوسط ٣/١٨٤، ٦٧/٨، المعجم الكبير ١/١٠٦-١٠٧، ١٥٠/٥، ١٩٨/١١.
- (١١٠) هي بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن الحبشية، غلبت عليها كنيته بابنها أيمن بن عبيد، تزوجها زيد بن حارثة بعد عبيد الحبشي فولدت له أسامة، دخلت الإسلام في بداية الدعوة الإسلامية، هاجرت الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة، وشاركت في أحد وخيبر حيث كانت تسقي الجرحى وتداويهم، وكانت مولاة لرسول الله (ص) أعتقها بعد زواجه من السيدة خديجة الكبرى، ماتت في خلافة عثمان بن عفان. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب ٤/١٧٩٣، ابن حجر، الإصابة ٨/٣٥٨-٣٦١.
- (١١١) هو إناء يشرب فيه الماء، ينظر: الجوهرى، الصحاح ٢/٦٠٢.
- (١١٢) أي لم أذع جهداً، ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ١/١٢٨.
- (١١٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٨/٢٣-٢٤، النسائي، السنن الكبرى ٥/١٤٤.
- (١١٤) ابن حنبل، مسند ابن حنبل ٣/٣، ابن ماجه، سنن ابن ماجه ١/٤٤، الترمذي، سنن الترمذي ٥/٣٢١، النسائي، فضائل الصحابة ٢٠/، القاضي النعمان، شرح الأخبار ١/١٤٣، المفيد، أوائل المقالات ١٧٨/، الفتحال النيسابوري، روضة الواعظين ١٢٣/، الراوندي، الخرائج والجرائح ١/٢٣٧، ابن البطريق، العمدة ٣٢٠/.
- (١١٥) الطبراني، المعجم الكبير ٣/٤٤، الهيثمي، مجمع الزوائد ٩/١٧٢، السيوطي، الجامع الصغير ١/٢٦٢، المتقي الهندي، كنز العمال ١١/٦٠٠.

(١١٦) الطبراني، المعجم الأوسط ٧٨/٨، المعجم الكبير ٢٨/٣، ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق ٢١٧/١٣.

المصادر والمراجع :

١- القرآن الكريم .

✽ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي كرم (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢ م) .

٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، بلا تح ، بلا ط ، (طهران ، بلا ت) .

✽ ابن الأثير ، مجد الدين أبي السعادات المبارك (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) .

٣- النهاية في غريب الحديث والأثر ، تح : محمود محمد الطناجي وطاهر أحمد الزاوي ، بلا ،

مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر ، (قم ، بلا ت) .

✽ ابن إدريس الحلبي، أبي جعفر محمد بن منصور بن أحمد (ت ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م)

٤- السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي ، تح : لجنة من المحققين ، ط : ٢ ، مؤسسة النشر

الإسلامي ، (قم ، ١٩٩٠ م) .

✽ الباجي ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد المالكي (ت ٤٧٤ هـ / ١٠٨٢ م) .

٥- التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح ، تح : أحمد البزاز ، بلا ط ،

بلا مكا ، بلا ت .

✽ البحراني ، السيد هاشم الحسيني الموسوي (ت ١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ م) .

٦- غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام ، تح : السيد علي عاشور

، بلا ط ، بلا مكا ، بلا ت) .

✽ البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الجعفي (ت ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م) .

٧- التاريخ الكبير ، تح : محمد عبد المعيد خان ، بلا ط ، بلا مكا ، بلا ت .

٨- خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل ، بلا تح ، ط : ١ ، مؤسسة الرسالة

، (بيروت ١٩٨٤ م) .

✽ ابن البطريق ، شمس الدين يحيى بن الحسن (ت ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م) .

٩- عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار، بلا تح ، بلا ط ، (قم ، ١٩٨٦ م).

- ✽ الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٣ م) .
١٠- سنن الترمذي ، تح : عبد الرحمن محمد عثمان ، ط : ٢ ، دار الفكر للطباعة ، (بيروت
١٩٨٣ م) .
- ✽ الجوهرى ، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م) .
١١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح : أحمد عبد الغفور عطار ، ط : ١ / دار العلم
للملايين ، (بيروت ، ١٩٥٦ م) .
- ✽ ابن أبي حاتم ، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد الرازي (ت ٣٢٧ هـ / ٩٣٨ م) .
١٢- الجرح والتعديل ، بلا تح ، ط : ١ ، دار أحياء التراث العربي ، (بيروت ، ١٩٥٢ م) .
- ✽ الحاكم الحسكاني ، الحافظ عبيد الله بن أحمد الحنفي (القرن الخامس الهجري) .
١٣- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ، تح : محمد باقر المحمودي ، ط : ١ ، مجمع أحياء الثقافة
الإسلامية ، (طهران ، ١٩٩٠ م) .
- ✽ الحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م) .
١٤- المستدرک على الصحيحين ، تح : يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي ، بلا ط ، دار المعرفة
(بيروت ، بلا ت) .
- ✽ ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن أبي حاتم السبتي (ت ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م) .
١٥- الثقات ، تح : محمد عبد المعيد خان ، ط : ١ ، دار المعارف العثمانية ، (الهند ، ١٩٧٣)
- ١٦- مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار ، تح : مرزوق علي إبراهيم ، ط : ١ ، دار
الوفاء للطباعة ، (المنصورة ، ١٩٩١ م) .
- ✽ ابن حجر ، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) .
١٧- الإصابة في تمييز الصحابة ، تح : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض ، ط : ١ ،
دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٩٥ م) .
- ١٨- تقريب التهذيب ، تح : مصطفى عبد القادر عطا ، ط : ٢ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت
، ١٩٩٥ م) .
- ١٩- تهذيب التهذيب ، بلا تح ، ط : ١ ، دار الفكر للطباعة ، (بيروت ١٩٨٤ م) .
- ✽ ابن أبي الحديد ، عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م)

- ٢٠- شرح نهج البلاغة ، تح :محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط : ١ ، دار أحياء الكتب العربية ، (بلا
مكا ١٩٥٩م) .
- ✽ ابن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م) .
- ٢١- المسند ، بلا تح ، بلا ط ، دار صادر ، (بيروت ، بلا ت) .
- ✽ ابن حيان ، أبو عبد الله محمد بن يوسف (ت ٧٥٤هـ / ٣٥٤م) .
- ٢٢- تفسير ابن حيان المعروف بـ (البحر المحيط) ، تح : عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ، ط
: ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٩٣م) .
- ✽ ابن خلكان ، أحمد بن محمد أبي بكر (ت ٦٨١هـ / ٢٨٢م) .
- ٢٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح : إحسان عباس ، بلا ط ، دار الثقافة ، (لبنان ،
بلا ت) .
- ✽ الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ٣٧٤م) .
- ٢٤- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام ، تح : د . عمر عبد السلام تدمري ، ط : ١ ،
دار الكتاب العربي ، (بيروت ، ١٩٩٠م) .
- ٢٥- تذكرة الحفاظ، بلا تح ، ط : ١ ، دار أحياء التراث العربي ، (بيروت ، بلا ت) .
- ٢٦- سير أعلام النبلاء ، تح : شعيب الأرنؤوط ، ط : التاسعة ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ،
١٩٩٣م) .
- ٢٧- ميزان الاعتدال ، تح : علي محمد البجاوي ، بلا ط ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، (بيروت ،
بلا ت) .
- ✽ الراوندي ، قطب الدين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣هـ / ١١٧٧م) .
- ٢٨- الخرائج والجرائح ، تح : مؤسسة الإمام الهادي (عليه السلام) ، بلا ط ، (قم بلا ت) .
- ✽ الزبيدي ، محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م) . ٢٩-
- تاج العروس من جواهر القاموس ، تح : علي شيري ، بلا ط ، دار الفكر للطباعة ، (بلا مكا ،
١٩٩٤م) .
- ✽ ابن سعد ، محمد بن سعيد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٥م) .
- ٣٠- الطبقات الكبرى ، تح : د . علي محمد عمر ، بلا ط ، (القاهرة ، بلا ت) .

- ❖ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) .
- ٣١- الإتيان في علوم القرآن ، تح : شعيب الأرنؤوط ، ط : ١ ، مؤسسة الرسالة للنشر ، بيروت ، ٢٠٠٨ م) .
- ٣٢- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، بلا تح ، بلا ط ، دار الفكر للطباعة ، (بيروت ، ١٩٨١ م) .
- ❖ الشريف المرتضى ، أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م) .
- ٣٣- تنزيه الأنبياء ، بلا تح ، ط : ٢ ، دار الأضواء للطباعة والنشر ، (بلا مكا ، ١٩٨٨) ❖ ابن شهر آشوب ، محمد بن علي المازندراني (ت ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م) .
- ٣٤- مناقب آل أبي طالب ، تح : لجنة من الأساتذة ، بلا ط ، المطبعة الحيدرية ، (النجف ، ١٩٥٦ م) .
- ❖ ابن أبي شيبه ، عبد الله بن محمد الكوفي (ت ٢٣٥ هـ / ٨٤٩ م) .
- ٣٥- مصنف ابن أبي شيبه في الأحاديث والآثار ، تح : سعيد محمد اللحام ، ط : ١ ، دار الفكر للطباعة ، (بيروت ، ١٩٨٩ م) .
- ❖ الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت ٣٨١ هـ / ٩٩١ م) .
- ٣٦- الأمالي ، تح : قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة ، ط : ١ ، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة ، (قم ، ١٩٩٦ م) .
- ❖ الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) .
- ٣٧- الوافي بالوفيات ، تح : أحمد الأرنؤوط ، بلا ط ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠٠ م) .
- ❖ الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي (ت ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م) .
- ٣٨- المعجم الأوسط ، تح : أبو المعاذ طارق بن عوض و عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، بلا ط ، دار الحرمين للطباعة والنشر ، (بلا مكا ، ١٩٩٥ م) .
- ٣٩- المعجم الصغير ، بلا تح ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، بلا ت) .
- ٤٠- المعجم الكبير ، تح : حمدي عبد المجيد السلفي ، ط : ٢ ، (بلا مكا ، بلا ت) .
- ❖ الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسين (ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م) .

- ٤١- أعلام الوري بأعلام الهدى ، تح : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ، ط : ١ ، مطبعة ستارة ، (قم ، بلا ت) .
- ٤٢- مجمع البيان في تفسير القرآن ، تح : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، ط : ١ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، (بيروت ، ١٩٩٥ م) .
- ✽ الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) .
- ٤٣- جامع البيان عن تأويل القرآن ، تح : صدقي جميل العطار ، بلا ط ، دار الفكر للطباعة والنشر ، (بيروت ، ١٩٩٥ م) .
- ✽ الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م) .
- ٤٤- الاقتصاد الهادي الى طريق الرشاد ، بلا تح ، بلا ط ، مطبعة الخيام ، (قم ، ١٩٨٠ م) .
- ٤٥- تهذيب الأحكام ، تح : السيد حسن الخرسان وآخرين ، ط : ٤ ، دار الكتب الإسلامية (بلا مكا ، بلا ت) .
- ✽ ابن عبد البر ، أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م) . ٤٦- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تح : علي محمد السخاوي ، ط : ١ ، دار الجيل للطباعة ، (بيروت ، ١٩٩٢ م) .
- ✽ العجلي ، أبو الحسن أحمد بن علي بن عبد الله الكوفي (ت ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م) . ٤٧- معرفة النقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم ، تح : عبد العليم عبد العظيم البستوي ، ط : ١ ، مكتبة الدار ، (المدينة المنورة ، ١٩٨٥ م) .
- ✽ ابن عدي ، الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥ هـ / ٩٧٦ م) . ٤٨- الكامل في ضعفاء الرجال ، تح : سهيل زكار ، ط : ١ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، (بيروت ، ١٩٨٤ م) .
- ✽ ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) .
- ٤٩- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل واجتاز بنواحيها من إرديها وأهلها ، تح : علي شيري ، بلا ط ، دار الفكر للطباعة ، (بيروت ، ١٩٩٥ م) .
- ✽ ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م) .
- ٥٠- معجم مقاييس اللغة ، تح : عبد السلام محمد هارون ، بلا ط ، مكتب الإعلام الإسلامي ، (بلا مكا ، ١٩٨٤ م) .

- ❁ ابن القتال النيسابوري ، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٥٠٨ هـ / ١١١٥ م) .
- ٥١- روضة الواعظين ، تح : السيد مهدي السيد حسن الخرسان ، بلاط ، منشورات الرضي ، قم ، بلاط) .
- ❁ الفخر الرازي ، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين (ت ٦٠٤ هـ / ١٢٠٨ م) .
- ٥٢- مفاتيح الغيب المعروف بـ (تفسير الرازي) ، بلاط تح ، ط : ١ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ م) .
- ❁ الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ / ٧٩١ م) .
- ٥٣- العين ، تح : د . مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي ، ط : ٢ ، مؤسسة دار الهجرة ، إيران ، ١٩٨٩ م) .
- ❁ القاضي النعمان ، أبو حنيفة النعمان بن محمد المغربي (ت ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م) .
- ٥٤- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ، تح : محمد الحسيني الجلاي ، بلاط ، مؤسسة النشر الإسلامي ، بلاط ، بلاط) .
- ❁ ابن قتيبة ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) .
- ٥٦- غريب الحديث ، تح : نعيم زرزور ، ط : ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٨ م) .
- ٥٥- المعارف ، تح : ثروت عكاشة ، بلاط ، القاهرة ، ١٩٨١ م) .
- ❁ القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١ هـ / ١٢٧١ م) .
- ٥٧- الجامع لأحكام القرآن ، بلاط تح ، ط : ٢ ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٥ م) .
- ❁ ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م) .
- ٥٨- البداية والنهاية ، تح : علي شيري ، ط : ١ ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٨ م) .
- ❁ الكراكي ، أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان (ت ٤٤٩ هـ / ١٠٥٨ م) .
- ٥٩- التعجب من أغلاط العامة في مسألة الإمامة ، تح : فارس حسون كريم ، بلاط ، بلاط ، بلاط) .
- ❁ الكليني ، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م) .
- ٦٠- الكافي ، تح : علي أكبر غفاري ، بلاط ، دار الكتب الإسلامية ، بلاط ، بلاط) .

- ❖ ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م) .
- ٦١- سنن ابن ماجة ، تح : محمود فؤاد عبد الباقي ، بلا ط ، دار الفكر للطباعة والنشر ، (بيروت ، بلا ت) .
- ❖ المتقي الهندي ، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥ هـ / ١٥٦٧ م)
- ٦٢- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، تح : بكري حيائي ، بلا ط ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، ١٩٨٩ م) .
- ❖ المجلسي ، محمد باقر (ت ١١١١ هـ / ١٧٠٠ م) .
- ٦٣- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، بلا تح ، ط : ٢ ، مؤسسة الوفاء ، (بيروت ، ١٩٨٣ م) .
- ❖ ابن مردويه ، أبو بكر أحمد بن موسى الأصفهاني (٤١٠ هـ / ١٠١٩ م) .
- ٦٤- مناقب علي بن أبي طالب ، تح : عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين ، بلا ط ، مؤسسة دار الحديث الثقافية ، (قم ، ٢٠٠١ م) .
- ❖ المزي ، جمال الدين أبي الحجاج يوسف (ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م) .
- ٦٥- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تح : بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، (بلا مكا ، بلا ت) .
- ❖ المفيد ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان (ت ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م) .
- ٦٦- الإرشاد ، تح : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) ، ط : ٢ ، دار المفيد للطباعة ، (بيروت ، ١٩٩٣ م) .
- ٦٧- أوائل المقالات ، بلا تح ، ط : ٢ ، دار المفيد للطباعة، (بيروت، ١٩٩٣ م) .
- ٦٨- الفصول المختارة ، تح : السيد مير علي شريفي ، ط : ٢ ، دار المفيد للطباعة ، (بيروت ، ١٩٩٣ م) .
- ٦٩- المقنعة ، تح : مؤسسة النشر الإسلامي ، ط : ٢ ، (قم ، ١٩٨٩ م) .
- ❖ المقرئ ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) .
- ٧٠- إمتاع الأسماع بما للنبي (ص) من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، تح : محمد عبد الحميد النميسي ، بلا ط ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، بلا ت) .

- ❁ ابن منظور، أبو الفضل محمد جمال الدين بن مكرم الأفرريقي (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) .
- ٧١- لسان العرب ، بلا تح ، بلا ط ، (قم ، ١٩٨٤ م) .
- ❁ النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر (ت ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م) .
- ٧٢- السنن الكبرى ، تح : عبد الغفار سليمان البنداري و سيد كسروي حسن ، ط : ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٩١ م) .
- ٧٣- فضائل الصحابة ، بلا تح ، بلا ط ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، بلا ت) .
- ❁ الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر (٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م) .
- ٧٤- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، تح : مسعد عبد الحميد السعدني ، بلا ط ، دار الطلائع للنشر ، (القاهرة ، بلا ت) .
- ٧٥- مجمع الزوائد ، بلا تح ، بلا ط ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، بلا ت) .
- ❁ الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٦ م) .
- ٧٦- أسباب النزول ، بلا تح ، بلا ط ، دار الباز للنشر ، (بلا مكا ، ١٩٦٨ م) .
- ❁ اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٩٣ هـ / ٨٩٧ م) .
- ٧٧- تاريخ اليعقوبي ، بلا تح ، بلا ط ، مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام) دار صادر للطباعة والنشر ، (بيروت ، بلا ت) .
- ❁ أبو يعلى ، أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلية (ت ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م) .
- ٧٨- مسند أبي يعلى ، تح : حسين سليم أسد ، ط : ١ ، دار المأمون للتراث ، (دمشق ، ١٩٩٢ م) .
- ثانياً : المراجع الثانوية :
- ❁ دروزة ، محمد عزة (ت ١٣٠٥ هـ / ١٩٨٤ م) .
- ٧٩- التفسير الحديث ، بلا تح ، ط : ٢ ، دار الغرب الإسلامي ، (بيروت ٢٠٠٠ م) .
- ❁ الديراوي ، هادي عبد الزهرة .
- ٨٠- الإمام علي (عليه السلام) في كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد البصري ، سلسلة الرسائل والأطاريح الجامعية ، جامعة البصرة ، ط : ١ ، مؤسسة نهج البلاغة (كربلاء ، ٢٠١٩ م)

- ❖ الزركلي ، خير الدين (ت ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) .
- ٨١- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، بلا تح ، ط : ٥ ، دار العلم للملايين ، (بيروت ، ١٩٨٠ م) .
- ❖ الطباطبائي ، محمد حسين (ت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م) .
- ٨٢- الميزان في تفسير القرآن ، بلا تح ، بلا ط ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، (قم ، بلا ت) .
- ❖ العاملي ، جعفر مرتضى .
- ٨٣- الانتصار ، بلا تح ، ط : ١ ، دار السيرة ، (بيروت ، ٢٠٠١ م) .
- ٨٤- الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) ، بلا تح ، ط : الرابعة ، دار الهادي للطباعة والنشر ، (بيروت ، ١٩٩٥ م) .
- ❖ مغنية ، محمد جواد .
- ٨٥- الفقه على المذاهب الخمسة ، بلا تح ، ط : الأخيرة ، دار التيار الجديد ، (بيروت ، ٢٠٠٠ م) .
- ❖ النصر الله ، جواد كاظم .
- ٨٦- الإمام علي في فكر معتزلة بغداد ، تح : السيد نبيل الحسيني الكربلائي ، ط : ١ ، مؤسسة علوم نهج البلاغة ، مكتبة العتبة الحسينية ، (كربلاء ، ٢٠١٧) .
- ٨٧- دور المرأة البصرية في الحركة الفكرية (معاذة العدوية) أنموذجاً ، مجلة تراث البصرة ، العدد / الأول ، ٢٠١٧ م .

طريق حورس ومحطاته العسكرية

ا.د. سهيلة مرعي مرزوق

م.د. محمد علي عبد الكريم المطوري

جامعة البصرة - كلية التربية للبنات

الملخص

أن أهمية موقع شبه جزيرة سيناء جعلها محط اهتمام ملوك مصر على مر العصور، وكانت سيناء منطقة تخوم تفصل مصر عن جيرانها في بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية، وهذه الأهمية جعلت حكام مصر يتسابقون لأظهار قوتهم ونفوذهم على هذه المنطقة المهمة وكانت سيناء منطقة عبور مصرية الى الشرق منذ اقدم العصور واهم اجزائها الشمالية هو الطريق الحربي المعروف باسم طريق حورس الذي يضم محطات للاستراحة وآبار للتزود بالمياه.

Horus road and military station

Prof. Dr. Suhaila M. Marzouk

Dr. Mohamed Ali. AL-Motori

University of Basrah - College Education for Women

Abstract

The significant location of Sinai peninsula made it preferred area to Egyption kings throughout centurie, Sinai was a bordering area dividing Egypt from its neighbors in the Levant and Arabian peninsula, given this importance, Egyptian rulers competed to impose their power and influence on this important area, Since the ancient centuries, Sinai has been an Egyption crossing area to the east, and the most important northern parts of which is the war road, dubbed Howrus Road, which has rest stations and water wells.

أن أهمية موقع شبه جزيرة سيناء جعلها محط اهتمام ملوك مصر المتعاقبين على مر العصور، حيث احتوت جبالها واوديتها على العديد من المناجم والمناجر^(١). حيث كانت سيناء منجماً للمواد الخام كالنحاس والفيروز^(٢).

وبالإضافة الى ذلك كانت شبه جزيرة سيناء منطقة تخوم تفصل مصر عن جيرانها في بلاد الشام، هذه الأهمية جعلت حكام مصر يتسابقون لاطهار قوتهم ونفوذهم على هذه المنطقة المهمة من خلال الآثار التي تركوها في مناطقها المختلفة فقد عثر في المنطقة المحصورة ما بين السويس ومدينة رفح على الطريق البري الذي يربط مصر بفلسطين عثر على كسرات من الفخار والأدوات الحجرية بالإضافة الى انه تم العثور على بقايا من النحاس الخام وأدوات مصنوعة من النحاس في تلك المنطقة، ومما يدل على أهميتها بالنسبة للمصريين هو ترك علامات السرخ الملكي على العديد من كسرات الفخار وتؤرخ هذه الكسرات الفخارية الى عصر ما قبل الاسرات او ما يعرف بعصر الاسرة صفر، كذلك عُثر في موقع البيضة شمال سيناء على اواني فخارية تحمل نقش السرخ الملكي ومجموعة من الاشكال الحيوانية تصور الثور المهاجم بقرنين المنحنيين ومناظر تعود للملك نعرمر (مينا ٣١٠٠ ق.م) أو ما يعرف بصلاية نعرمر عليها رسوم تشير الى انتصاره على اعداءه^(٣).

وكانت منطقة شمال شبه جزيرة سيناء منطقة عبور مصرية الى الشرق منذ اقدم العصور وعُرف هذا الطريق الشمالي باسم طريق حورس ويحتوي هذا الطريق على عدة محطات وآبار للاستراحة والتزود بالمؤن^(٤).

طريق حورس:-

وهو الطريق الشمالي القديم المعروف باسم طريق حورس الحربي الذي استخدم لأغراض عديدة كالهجرات من والى مصر كذلك للتجارة ومرور الجيوش المصرية نحو الشرق منذ عصور مبكرة لمد النفوذ المصري في بلاد الشام حيث عُثر في أبيدوس على مناظر تعود الى فترة حكم الاسرة الأولى (٣١٠٠-٢٨٩٠ ق.م) يظهر فيها حصن وقلاع يرجح انها كانت في جنوب فلسطين^(٥). وعُثر ايضاً على امتداد هذا الطريق على آثار تعود الى فترة حكم الاسرة الأولى وهي عبارة عن صور تمثل الثور المهاجم بقرنيه المنحنيين الأسفل نحو الأسير، وكذلك آثار تعود الى الملك (مينا) ربما تشير الى نشاط عسكري كان يقوم به هذا الملك^(٦).

ويصل طريق حورس الحربي القديم بين القنطرة شرق والعريش ورفح، ويبلغ طوله من القنطرة شرق حتى العريش حوالي ١٦٠ كم، ومن العريش الى رفح حوالي ٤٥ كم ونقطة بداية هذا الطريق من بلدة القنطرة ثم تسير بعد ذلك على مقربة من تل الحير وبير رمانة ثم قطية ومنها الى العريش جنوبي بحيرة البردويل ماراً بمنطقة بئر العبد مصنف والمزار والمساعد ويمر بمنطقة شيخ زويد ثم رفح^(٧). الجدير بالذكر انه عند منطقة بير رمانة يتفرع طريق جانبي من الطريق الرئيسي يتجه شمالاً حتى ساحل البحر الأبيض المتوسط ثم يميل شرقاً بامتداد بحيرة البردويل حتى يصل الى العريش ليعود للالتحام بالطريق الرئيسي^(٨).

تم ذكر اسم طريق حورس الحربي منذ عصر الدولة القديمة (٢٦٨٦_٢١٨١ ق.م) على نقوش تابوت المدعو (حقنى غنمو) من عصر الاسرة الخامسة (٢٤٩٤_٢٣٤٥ ق.م) والمكتشف بالمصطبة الخاصة به في جبانة في الجيزة، ومن الواضح ان هذا الشخص تقلد العديد من المناصب منها المشرف على طريق حورس، والمشرف على الصحاري وقائد الجيش^(٩).

كما تم ذكر طريق حورس خلال عصر الدولة الوسطى (٢٠٥٥_١٧٩٥ ق.م) في مصدرين مهمين، الأول قصة من الادب المصري وهي قصة (سنوهي) اذ جاء فيها .. (ثم سار هذا الخادم المتواضع نحو الجنوب ووقف عند - ممرات حور - وأرسل القائد الذي كان مكلفاً لحراسة الحدود هناك رسالة الى مقر الملك تحمل الاخبار بوصولي فارسل جلالته أحد رؤساء الصيد في القصر ممن يثق بهم ومعه سفن محملة بالهدايا من الفيض الملكي للبدو الذين أتوا معي ليقودوني في ممرات -حور-) ^(١٠).

اما المصدر الثاني فهو المعروف باسم لوحة منف، وهي عبارة عن كتلة من الجرانيت الوردي تم الكشف عنها بمنف داخل معبد من عصر الرعامسة (عصر الاسرة التاسعة عشرة ١٢٩٥_ ١١٨٦ ق.م) النصوص المنقوشة عليها تمثل تسلسل تاريخي للاحداث في عهد الملك امنمحات الثاني (١٩٢٢_١٨٧٨ ق.م) ورد فيها اسم طريق حورس عند ذكر خبر احد المعابد الذي يقع في مدينة (سنوسرت) .. (معبد ملك مصر العليا والسفلى (خبر كارع) الموجود بمدينة سنوسرت على طريق حورس) ^(١١).

وايضاً في عصر الدولة الوسطى تم ذكر تحصينات عُرفت باسم أسوار الوالي او اسوار الحاكم وهي عبارة عن منظومة دفاعية هدفها الحفاظ على امن الحدود المصرية الشرقية من غزو

الاسيويين كانت قد أنشأت في عهد الملك امنمحات الأول، وقد وردت أشارات عن هذه الاسوار في بردية نفرتي (نفرهو) وفيها بعد ان ذكر المدعو نفرتي حكيم الشرق الفوضى والانفلات الأمني الذي سوف يصيب البلاد في المستقبل، أشار الى ان الملك (امنمحات الأول ١٩٨٥_١٩٥٥ ق.م) سوف يُشيد ما أسماه باسوار الحاكم ويكون حائط صد لمنع الاسيويين من التعرض للحدود الشرقية للبلاد^(١٢).

وذكرت هذه البردية ان تشييد هذه الحصون والاسوار سوف يخلص مصر من دخول الاسيويين عنوة وانهم سوف يستجدون الماء من مصر مرة ثانية لتشرب انعامهم^(١٣).

كذلك ورد في قصة هروب سنوهي انه مر بأسوار الحاكم حيث قال (... ثم أسلمت الطريق الى قدمي متجهاً نحو الشمال ووصلت جدار الأمير الذي قد أقيم لصد الاسيويين والقضاء على سكان الصحراء وقد اخبأت نفسي في خميلة خوفاً من ان يراني الحارس الذي كان رابضاً فوق الجدار ليل نهار)^(١٤).

ويبدو ان هذه الاسوار تمثل بداية الطريق الحربي القديم في عصر الدولة الوسطى الذي يبدأ من بداية الحدود الشمالية الغربية لشبه جزيرة سيناء خصوصاً اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان نهاية فرع النيل البيلوزي يصب في هذه المنطقة وان هذه الاسوار كانت قد منعت المياه عن الاسيويين كما ورد في قصة هروب سنوهي وبردية نفرتي، لذا نرى ان مكان هذه الاسوار قرب مصب فرع النيل البيلوزي الذي تمثل بيئته مرعى خصب لأولئك الاسيويين وربما من خلاله كان الأسوييون يطمعون بالدخول الى شمال مصر عند منطقة الدلتا الغنية بالمياه والمراعي.

عند نهاية الدولة الوسطى وظهر الهكسوس في مصر فيما يُعرف بعصر الانتقال الثاني (١٦٥٠_١٥٥٠ ق.م)، منذ ذلك الحين ظهرت وازدادت أهمية هذا الطريق عند المصريين بعد ان طردهم الملك احمس (١٥٥٠_١٥٢٥ ق.م) كنهاية للصراع الذي بدأه أبوه سقن رع واخوه كامس اللذان قتلا اثناء الحرب، لهذا أولى حكام مصر أهمية قصوى لهذا الطريق خصوصاً بعد ان قضى احمس حوالي ثلاث سنوات وهو يحاصر اخر قلاع الهكسوس جنوب فلسطين، لذلك كان لا بد ان يكون هذا الطريق هو المنفذ الذي يصل الجيش المحاصر بالمؤن والسلاح، وقد اطلق على هذا الطريق اسم حورس لان الفرعون هنا هو الذي يمثل حورس نفسه وكان نتيجة ذلك قيام المزيد من الحصون والقلاع على امتداد هذا الطريق^(١٥).

اما في عصر الدولة الحديثة (١٥٥٠-١٠٦٩ ق.م) فهناك وثيقتان هامتان تتحدثان عن طريق حورس الأولى هي الوثيقة التي تركها سيتي الأول (١٢٩٤-١٢٧٩ ق.م) على جدران معبد الكرنك يصور فيها الاسرى والطريق الذي سلكه في حملته الحربية التي وصل فيها الى الحدود الفلسطينية ويُعتقد انه وصل فيها الى لبنان^(١٦).

اما الوثيقة الثانية هي بردية انستاس الأولى من عهد الملك (رئيس الثاني ١٢٧٩-١٢١٣ ق.م) اذ ذكر موضعاً لصديق له مواقع هذا الطريق لاحتمال تكليفه بحملة الى هذه الأماكن يُبصره بها^(١٧).

اهتم عالم الاثار الانكليزي جاردر بدراسة نقش سيتي الأول الذي تركه على جدران معبد الكرنك، وحسب ما جاء في هذا النقش كان طريق حورس يبدأ من قلعة ثارو، ويظهر هذا المكان مرسوماً على الجدران على هيئة مكان محصن يقع على ضفتي قناة تنمو على ضفتيها الأعشاب وتصبح فيها التماسيح^(١٨).

ومن المعلوم في هذا المكان كان هناك حامية كبيرة تولى رئاستها العديد من القادة العسكريين أمثال رئيس الأول (١٢٩٥-١١٨٦ ق.م) وابنه ستي الأول، وكان على رئيس هذه الحامية الا يسمح لاحد بالمرور دون تصريح، وكان يرسل تقارير مفصلة الى رؤساءه بالعاصمة، وكانت الإقامة في هذه المنطقة لم تكن محببة الى قلوب القادة وغيرهم من الموظفين لدرجة انهم جعلوها منفى يرسلون اليه المحكومين والمبغدين، فقد كان الملك حور محب الذي أراد تنظيم أمور البلاد بعد ثورة اخناتون الدينية وما رافقها من فوضى يُرسل الموظفين المرتشين الذين كان يحكم عليهم بقطع انوفهم وارسالهم بسفن الى ثارو وأشارت بعض أوراق البردي التي عُثِر عليها في ثارو ان الموظفين كانوا يشكون من الوحدة ويعبرون عن شوقهم لوطنهم، وكانوا ينتظرون قدوم أي سفينة من منف ليتحدثوا الى من يأتي على متنها ليقفوا منه على اخبار العاصمة^(١٩).

ويلى حصن ثارو على نقش الكرنك موقع آخر عُرف باسم مسكن الأسد، وورد هذا الموقع في بردية انستاس باسم (رئيس مري آمون) أي (رئيس محبوب آمون)، وبعد هذا الموقع حصن صغير عرف باسم (المجدول من ماعت رع) ومجدول كلمة سامية تطلق على القلعة^(٢٠). ومعناها قلعة سيتي وأجريت حفائر في هذا الموقع وتبين انه نهاية الفرع البيلوزي للنيل، والذي يصب في هذا الموقع بالقرب من البحر المتوسط، كما كشفت الحفائر بالقرب منه على مجموعة من الجدران مشيدة

على شكل سور وهي تشكل السور الخارجي الذي يحيط بالحصن، كما كشفت في الطبقة العليا عن مجموعة من المباني عبارة عن جدران حجرات بنيت من الطوب، وعثر في هذا الموقع على العديد من الاواني واللقى الاثرية في محيط يبلغ ٥٠ × ٥٠ م تقريباً^(٢١).

يلي (مجدول من ماعت رع) حصن آخر يرد في نقش الكرنك تحت اسم بوتو واجيت سيتي، وربما انه منطقة قطية الحالية ويظهر هذا الحصن مظللاً بأشجار كبيرة، ويلي هذا الحصن رسم القلعة الى جوارها بركت ماء اسمها حصن من ماعت رع المسمى (في حمايته)، وكذلك ورد اسم لحصن صغير اسمه (البلد الذي شيده جلالته حديثاً والى جواره بئر يسمى (إب سقب) وهو مذكور ايضاً في برديته انستاس والى جواره بئر ماء ورسم لقلعة كبيرة يعتقد جارندر انها قلعة (عيانا) التي وردت في بردية انستاس^(٢٢).

وهناك بئر ماء ايضاً حفرت في عهد الملك سيتي الأول وجاءت باسم بئر من ماعت رع عظيم الانتصارات، وبئر آخر باسم البئر المسمى الحلو وبئر آخر باسم من ماعت رع، ويلي بئر باسم بئر الأمير، وآخر محطة هي مدينة رفح وهي آخر الحصون على طريق حورس الحربي بن في سيناء^(٢٣).

ولا يدل تكرار اسم (من ماعت رع) وهو سيتي الأول على انه هو الذي انشأ كل تلك الحصون بل ان بعضها كان قائماً منذ عصور مبكرة اقدم من عصور سيتي الأول بكثير، وانه ربما قام بترميم القلاع والحصون وإعادة حفر الابار واطلق اسمه عليها اذ جرت العادة في مصر القديمة على اطلاق اسم الملك الحاكم على بعض المنشآت مثال ذلك ان الملك رمسيس الثاني ابن سيتي الأول كان يطلق اسمه على تلك الحصون نفسها^(٢٤).

المحطات الاثرية المكتشفة على امتداد الطريق الحربي القديم

١ - موقع تلال حبوة (قلعة ثارو)

وتقع هذه التلال شمال شرق مدينة القنطرة شرق، وعلى مسافة ٣ كم شرق قناة السويس، وقد ورد ذكر هذا الموقع للمرة الأولى في الدراسة التي قام بها العالم الاثري الإنكليزي Gardiner والتي درس فيها الطريق الحربي القديم بين مصر وفلسطين^(٢٥).

وكانت منطقة تلال حبوة بمثابة ميناء هام في سلسلة الموانئ البحرية التي تربط مصر بلاد الشام والتي تم انشائها خلال الاسرة الثانية عشرة (١٩٨٥-١٧٩٥ ق.م)، وتشير اللقى الاثرية الخاصة

بالاسرة الرابعة عشرة (١٧٥٠_١٦٥٠ ق.م) والتي تم الكشف عنها في هذه المنطقة الى مدى الاهتمام بمدخل مصر الشرقية، اذ كانت تنتشر نقاط المراقبة لتأمين هذه الحدود وتم العثور على اثارية ترجع الى عصر الملك نحسي احد ملوك الهكسوس وهي عبارة عن لوحتان من الحجر الجيري نقش عليها اسم الملك نحسي بالنقش الغائر، وعُثر كذلك على تماثيل تعود لعصر هذا الملك لكن تم إعادة استخدامها من قبل شقيقه الملك أبو فيس من الاسرة الخامسة عشرة، وطبقاً لتصنيف اللقي الاثرية المكتشفه انها تبرهن على وجود منظومة إدارية متكاملة تحديداً بمنطقة تل حبوة واحد ويرجع السبب لاختيار هذا المكان لموقعه الاستراتيجي كونه يمثل نقطة البداية لطريق حورس الحربي^(٢٦).

وتميزت منطقة تلال حبوة بوجود قلعة ثارو التي كانت نقطة الانطلاق للحملات الحربية على آسيا في الدولة الحديثة وكان رمسيس الأول يتولى قيادة حصن ثارو في عهد الملك(حورمحب ١٣٢٣_١٢٩٥ ق.م)^(٢٧). وأشتهرت ثارو بحصنها المعروف باسم حصن الختم، اذ اظهر نقش الكرنك الذي يعود الى الملك سيتي الأول ان مدينة تحتوي على مجموعة من المباني تفصلها قناة مائية محددة الجوانب وشيد الحصن على اطراف المدينة يليه بوابة ضخمة على ضفة القناة المائية، وتم الكشف خلال الحفائر بمنطقة شمال سيناء عن العديد من الكتل المنقوشة التي تذكر قلعة ثارو^(٢٨).

ومن اهم الاكتشافات الاثرية في حبوة هي اكتشاف اكبر القلاع القديمة في شمال سيناء وتبلغ ابعادها ٨ × ٣٥٠م ويحيط بالقلعة اسوار مزدوجة او ذات جدارين اذ بني الجدار الأول بسمك ١٨٠م والجدار الثاني بسمك ٤م، وكشف عن مسافة فارغة بين الجداريين بمسافة ٩م^(٢٩). وهذه القلعة تعود الى فترة حكم الملك سيتي الأول وكان قد شيدها على اطلال قلعة أخرى تعود الى فترة حكم الهكسوس، كذلك عثر في هذه القلعة على مجموعة من المخازن والصوامع للغلال واسطبلات للخيول كما عثر فيها على اختام تحمل أسم الملك (تحتس الثالث ١٤٧٩_١٤٢٥ ق.م)^(٣٠).

وايضاً تم العثور على قلعة عسكرية في منطقة تل حبوة٢ الذي يبعد بنحو ٧٥٠ متر عن تل حبوة ١، تبلغ مساحة هذه القلعة نحو ٦٠٠ × ٢٥٠ متراً وبداخلها كُشف عن مبنى ملكي ضخم، يتكون من قصور ملكية ترجع لعصر الملك تحتس الثالث والملك رمسيس الثاني بالإضافة الى سلسلة من المخازن الملكية التي كانت تُصدر فيها المنتجات لباقي انحاء البلاد، وتم الكشف عن قلعة أخرى امكن تحديد ١٥٠ متراً عن الضلع الشرقي منها وهي مبنية من الطوب اللبن، ويشكل كل

من منطقة حبوة ١ ومنطقة حبوة ٢ منطقة ثارو القديمة التي صورها الفنان المصري القديم على النقش الشهير الخاص بالملك سيتي الأول بمعبد الكرنك^(٣١).

تتميز تلال حبوة على الرغم من تعددها واختلافها في المساحة بأنها تقع في نطاق واحد وتغطي فترة زمنية محددة بالإضافة الى ان نتائج اعمال المسح أشارت الى ان تلال حبوة تنوعت وظائفها طبقاً لموقعها منها ما كان يمثل الحصن العسكري ومنها منطقة سكنية ومقابر ومواقع استخدمت كاستراحات ومعسكرات للجنود ومواقع لتربية الحيوانات^(٣٢).

٣- تل البرج

يقع تل البرج على بعد ١٠ كم شرق قناة السويس وعلى بعد ٥ كم من تلال حبوة^(٣٣). وهو المنشأة او المنطقة الثانية بعد حبوة على طريق حورس الحربي، اذ احتوى الموقع بالإضافة الى المستوطنات المدنية مواقع عسكرية^(٣٤).

من الواضح ان تل البرج كان من المواقع العسكرية المهمة على طريق حورس الحربي اذ عثر فيه على بقايا أسلحة مثل الرماح والحراب وغيرها^(٣٥). وتم العثور فيه أيضاً على كتلة حجرية منحوتة يعتقد أنها للاله آمون رع يمد ذراعه ويقدم خنجر للملك لحنه على الحرب وتوسيع حدود مملكته^(٣٦). ويرجح بعض الاثاريين ان موقع تل البرج هو نفس الموقع المذكور في نقش سيتي الأول والمعروف باسم (عرين الأسد او مسكن الأسد) وعرف أيضاً باسم مسكن او عرين سيبي أي رمسيس الثاني^(٣٧).

وكشف في موقع تل البرج عن آثار حصن يعود لفترة حكم الاسرة الثامنة عشرة اذ كشف عن بقايا خندق يحيط بهذا الحصن ويرجح ان هذا الحصن يعود الى فترة حكم الملك تحتمس الثالث او امنحتب الثاني^(٣٨). ويبلغ طول الخندق الذي يحيط بهذا الحصن حوالي ١٢٠م^(٣٩).

كما تم العثور على آثار لحصن يعود الى فترة الاسرة التاسعة (١٢٩٥_١١٨٦ ق.م) ويرجح انه أقيم على انقاض حصن آخر يعود لفترة حكم الاسرة الثامنة عشرة (١٥٥٠_١٠٦٩ ق.م)، وعثر على بقايا رماد وحجر جيرى تحيط بالخندق الذي يسور هذا الحصن، وتم تحديد مكان بوابة الحصن حيث بلغ عرضها متر واحد فقط^(٤٠).

ان تل البرج كان يمثل موقعاً هاماً خلال حكم الاسرة الثامنة عشرة والاسرة التاسعة عشرة اذ عثر على الكثير من الاواني الملونة وقطع من احجار الجرانيت التي كانت تجلب من أسواق الى

هذا الموقع وكذلك خراطيش وآثار تعود الى الملك رمسيس الثاني وأرخت معظم اللقى الاثرية التي عُثِر عليها في هذا الموقع ما بين الفترة المتأخرة من فترة حكم الاسرة الثامنة عشرة وبداية فترة حكم الاسرة التاسعة عشرة^(٤١).

٣ - التل الأبيض:

يقع التل الأبيض ضمن نطاق قرية جلبانة على بعد نحو ١٥ كيلو متر شرق قناة السويس والى الشرق من منطقة القنطرة شرق^(٤٢). وعلى بعد ١٢ كيلو متراً الى الشرق من تلال حبة، وهو من ابرز التلال الاثرية التي تم العثور عليها في شمال سيناء على طريق حورس الحربي يرجع سبب تسميته بالتل الأبيض بسبب انتشار كمية كبيرة من الفواقع البيضاء على سطح هذا التل، ومن اهم الاكتشافات التي كشفت عنها بعثة الاثار الفرنسية التي اجرت الحفائر بهذا التل قلعة محصنة بداخلها مبنى ملكي محصن مشيد من الطوب اللبن مكون من عدد من الغرف وتبين من خلال اعمال الحفائر ان الجزء الشمالي من الحصن قد تم تدميره خلال حريق كثيف^(٤٣).

كما تم الكشف في هذا الموقع عن سور خارجي يحيط بالمبنى يمتد من الشرق الى الغرب بطول ٣٥م تقريباً وبعرض ١.٥٠م والى الشمال بطول ٤٠م، وتشير نتائج الحفائر الى ان هذا المكان محصن يرجع الى فترة حكم الملك سيتي الأول او بداية فترة حكم رمسيس الثاني وتدل روعة بناء هذا الحصن والالوان الزاهية الى ان المبنى ربما يمثل مكان استراحة ملكية على طريق حورس استخدمت كمقر ملكي خلال حملة الملك على بلاد الشام، او ربما يكون استراحة على الطريق القديم للزيجات الملكية القادمة من الشرق^(٤٤).

٤ - منطقة بئر العبد

الموقع يعتبر احد مواقع الحراسة على طريق حورس الحربي القديم بين مصر وفلسطين، ويبعد ٣٠ كم عن مصب الفرع البيلوزي^(٤٥). وقد سجلت عدة اكتشافات اثرية هامة في هذا الموقع اذ عُثِر على بقايا حصن حربي من الاسرة الثامنة عشرة المصرية، كما عُثِر على صوامع للجلال وعلى اثار نقشت عليها اسم الملك سيتي الأول والتل الاثري محاط على شكل نصف قطر ٣-٤ كم بمجموعة كبيرة من المخيمات او المعسكرات الصغيرة، والاكتشافات في مركز الموقع تحتوي بقايا لجدران بنيت من الطوب اللبن وهي تمثل بقايا لقلعة صغيرة تمتد على مساحة ١٦٠٠م^٢ والغناء الواسع يحتوي على موقع تجهيزات من الطوب للطهي وعمل الخبز والتخزين ومواقد وكمية من

عظام حيوانات وأسماك والقسم الجنوبي يحتوي بقايا مخزن قمح والى الغرب منه مجمع مكون من اربع مواقع دائرية مبنية من الطوب اللبن محيطها ٤م مع جدران سمكها ٥٠سم^(٤٦).

٥- تل الشيخ زويد

تقع المنطقة على ساحل البحر المتوسط شمال مدينة الشيخ زويد وعلى مسافة ٢٥ كم شمال شرق مدينة العريش والموقع عبارة عن تل مرتفع حوالي ٩ امتار عن مستوى سطح الارض^(٤٧) وكانت الشيخ زويد احدى المحطات الهامة على طريق حورس القديم بين القنطرة وغزة، وعُثر على آثار تعود الى فترة حكم الدولة الحديثة^(٤٨). ويؤكد العالم الفرنسي (كليدا) انها هي المكان الذي ورد في نقش الكرنك باسم (بئر من - ماعت - رع) بينما يرى (جوتيه) ان المدينة هي مدينة (ناخسو) وان المنطقة كلها كانت تسمى (عيانا)، ولم تخلو منطقة الشيخ زويد من بعض بقايا المباني القديمة التي تعود الى العصور الفرعونية^(٤٩).

٦- تل الخروبة

وموقعه شمال قرية الخروبة على بعد ١٥ كم من مدينة العريش، عثر في هذا الموقع على اطلال قصره ترجع الى فترة حكم الدولة الحديثة وهو احد المواقع المهمة على طريق حورس الحربي القديم، وكانت القلعة احد المراكز المهمة في هذا الطريق لامداد الجيوش بالمؤن^(٥٠). أُجريت في تل الخروبة عدة حفائر ركزت على موقعين يمثلان العمارة الحربية والمدنية على طريق حورس حيث عثر على بقايا قلعة تبلغ مساحتها الاجمالية ٥٠ × ٥٠ م وعرض الاسوار المكتشفة حوالي ٤م ويقع مدخل القلعة في الجهة الشرقية يحيط به أبراج مستطيلة الشكل ويبلغ طويل ممر مدخل القلعة ١٦م وعرضه ٣.٧٠ م وقد انشأ ليمح تماماً بمرور العربات الحربية وخصص الجانب الشرقي من القلعة كمخيمات للعسكر وأماكن وقوف للعربات، وفي الركن الشمالي الغربي من القلعة عثر على مساحة بنيت من الطوب اللبن بمقياس ٣ × ٦م، وفي الشمال عثر على مجموعة حجرات وصوامع ومخازن وفناء صغير متاخم للسور استخدم كمطبخ اذ عثر فيه عن بقايا سبعة افران كل فرن ٧٠ سم وهذه الافران محفورة ومبنية في الأرض اما الجناح الغربي للقلعة فقد بني مجموعة الحجرات استخدمت كمكان للإقامة وتراوحت مساحتها بين ١٢م^٢ الى ٢٥م^٢^(٥١).

والجدير بالذكر ان حصن تل الخروبة يبلغ نصف حجم نظيره الذي عثر عليه في تل البرج والذي يعود الى فترة حكم الاسرة التاسعة عشر وعلى ما يبدو انه يشد بنفس فترة تشييد حصن البرج^(٥٢).

اما الموقع الثاني يبعد حوالي ٢٠٠م شمال القلعة او الحصن الحربي وقريباً من خط الساحل ويقع في وسط الكتبان الرملية الساحلية وتم الكشف فيه عن العديد من المخازن وكانت المباني الواقعة في الجانب الغربي تستخدم كمقرات للإدارة ومناطق سكنية اما المنطقة الصناعية تقع على الحافة الشرقية من المخازن ويفصلها عن المخازن سور^(٥٣) ومن الاثار المهمة التي عثر عليها في موقع تل الخروبة بقايا اواني فخارية أهمها صومعة فخارية عليها خرطوش كبير باسم الملك سيتي الثاني (١٢٠٠_١٩٤٤ ق.م)^(٥٤).

نرى ان هناك فارق في عدد الحصون والقلاع الاثرية المكتشفة على امتداد طريق حورس الحربي والتي تعود الى فترات حكم الاسرات الدولة الوسطى والحديثة مع ما وجد على نقش سيتي الأول وعلى جدران معبد الكرنك، حيث ان المواقع الاثرية المكتشفة والتي تعود الى فترة الدولة الوسطى والحديثة اقل مما هو موجود على نقش سيتي الأول وربما سبب هذا التمايز ان مناطق شمال سيناء هي مناطق كتبان رملية قد تكون اخفت معالم العديد من هذه المحطات الاثرية ناهيك عن ان الطريق الشمالي هو طريق حربي على مر العصور حيث تعرضت العديد من الحصون والمدن والابار الى التخريب والطمر.

لكن هذا لا يمنع وجود قلاع وحصون اثرية ربما شيدت على انقاض المدن التي سبقتها مثل موقع تل الكدوة الذي لم يُعثر فيه أثر يعود لفترة الدولة الحديثة بل عُثر فيه على آثار تعود لعصور متأخرة لكن قرب تل الكدوة من تل حبة جعل الباحثين يعدونه امتداد لهذه المناطق الاثرية^(٥٥).

٧- رافيا (رفح)

تقع على شاطئ البحر المتوسط على الحدود بين مصر وفلسطين ورد ذكرها في نصوص الدولة الحديثة باسم (ريج) ثم أصبحت العربية (رفح)^(٥٦). وهي من المدن المهمة على طريق حورس لحربي في العصور الفرعونية، وامتدت أهميتها حتى الفترة الرومانية^(٥٧) اذ أشار اليها المؤرخ يوسفوس على انها مدينة (رافيا) وهي اول محطة اسراح فيها الامبراطور الروماني تيتوس وهو في طريقه الى القدس للاستيلاء عليها عام ٧٠م^(٥٨).

النتائج

١- تكمن أهمية شبه جزيرة سيناء في موقعها الذي يتوسط مناطق الحضارات القديمة في الشرق الأدنى القديم حيث كانت حلقة وصل انتقلت منها التأثيرات الحضارية بين بلاد الشام ووادي النيل عن طريق الهجرات المتبادلة بالإضافة الى كون الطريق الشمالي الساحلي معبراً لقوافل التجارة.

٢- كان الطريق الشمالي في سيناء معبراً للحملات العسكرية المصرية على مدن بلاد الشام منذ عصر الدولة القديمة الا ان اهتمام المصريين بهذا الطريق ازداد بعد غزو الهكسوس فأقاموا العديد من المراكز والمحطات العسكرية على امتداد هذا الطريق لتكون بمثابة القواعد التي تنطلق منها الجيوش المصرية لتأديب المدن التي تخرج عن السيطرة المصرية في بلاد الشام واهم هذه المراكز هي قلعة ثارو.

٣- أعتبر الجزء الشمالي الغربي من شبه جزيرة سيناء جزءاً من حوض وادي النيل وهو ما يُعرف باسم الفرع البيلوزي وهو أحد فروع نهر النيل المندثرة وكان يستخدم للملاحة حتى عصر الدولة الحديثة.

٤. على الرغم من تكرار أسم الملك سيتي الاول على أغلب محطات طريق حورس الواردة على جدران معبد الكرنك الا ان اغلبها تعود لفترات قديمة تسبق فترة حكم سيتي الاول وربما يكون هو قد قام بتجديدها ووضع أسمه عليها بمثابة توقيع.

٥. أن أقتصار أنشاء هذه المحطات على أمتداد الساحل الشمالي في شبه جزيرة سيناء بسبب عدم امكانية تشييدها في وسط وجنوب سيناء وذلك لوعورة المنطقة حيث تتكون من سلاسل جبلية وهضاب وعرة ووديان عميقة تصعب مهمة مرور الجيوش لذلك شكلت هذه المناطق فواصل طبيعية تمنع الوصول من خلالها الى مصر .

٦. زاد أهتمام المصريين بهذا الطريق بعد أن تم طرد الهكسوس في عهد الملك أحمس الاول لأنه الثغرة التي تسلل من خلالها الغزاة الى مصر لذلك كان لابد من تحصين هذه الثغرة ووضع الحاميات العسكرية فيها بل كانت فيما بعد القواعد التي انطلق منها الجيش المصري للسيطرة على بلاد الشام خصوصاً في عهد خلفاء الملك أحمس الأول.

الهوامش

- 1) (Cerny, jaroslav , the inscription of Sinai, part II, London, 1955, p. 1 .
- (٢) علي، سعيد رمضان، سيناء الأهمية والمعنى، وزارة الثقافة الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ص ٣٩.
- (٣) حسين، هشام محمد ، الحدود المصرية الشرقية خلال عصر بداية الاسرات، مجلة كلية الاداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس، ٤٤، ٢٠١٣م، ص ١٥٥ - ١٥٦.
- (4) Morenz, Ludwig, Das. Hochplateau von serabit el – chadim, studia sinatica 1, p.23.
- (٥) نور الدين، عبد الحليم ، سيناء في العصر القديم ، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ١٣.
- (٦) حسين، هشام محمد، الحدود المصرية الشرقية خلال بداية عصر الاسرات، ص ١٥٦.
- (٧) عمار، عباس مصطفى، سيناء المدخل الشرقي لمصر، المركز العربي للأبحاث، بيروت، ط ٢، ٢٠١٧م، ص ٣٢ - ٣٣.
- (٨) مباشر، عبده، سيناء الموقع والتاريخ، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، القاهرة، ص ٧٤.
- (٩) حسين، هشام محمد، الحدود المصرية الشرقية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس، ٢٠١٣م، ص ٨٨ - ٨٩.
- (١٠) حسين، سليم، موسوعة مصر القديمة، ج ١٧، مكتبة الاسرة، ٢٠٠١م، ج ١٧، ص ٤٤.
- (١١) حسين، هشام محمد، الحدود المصرية الشرقية خلال بداية عصر الاسرات، ص ١٢٢.
- (١٢) حسن، المصدر السابق، ص ٣٢٢.
- (١٣) شاهين، علاء الدين عبدالمحسن، التاريخ السياسي والحضاري لمصر الفرعونية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧، ص ٧٦.
- (١٤) حسن، المصدر السابق، ج ١٧، ص ٣٥.
- (١٥) عوض، محمود عبدالرزاق، سيناء في مختلف العصور، الجاسر للطباعة، ط ٢، ١٩٩٩م، ص ١٢ - ١٣.
- (١٦) جارندر، أن، مصر الفراعنة، ترجمة نجيب ميخائيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م، ص ٢٨١.
- (١٧) نور الدين ، المصدر السابق، ص ١٤.
- (١٨) عوض، المصدر السابق، ص ١٤.
- (١٩) فخري، احمد، تاريخ شبه جزيرة سيناء، موسوعة سيناء، المجلس الأعلى للعلوم، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٧٨.
- (٢٠) نور الدين ، المصدر السابق، ص ٣٢.
- (٢١) عوض، المصدر السابق، ص ١٤ - ١٥.
- (٢٢) فخري، المصدر السابق، ص ٧٧.
- (٢٣) نور الدين ، المصدر السابق، ص ٣٢ - ٣٣.
- (٢٤) فخري، احمد، المصدر السابق، ص ٧٧.
- (٢٥) حسني، يسرية عبد العزيز، المدخل الشرقي لمصر، هلا للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ٢٠٤.
- (٢٦) حسين، هشام محمد، هيئة الحدود المصرية الشرقية خلال عصر الانتقال الثاني، مجلة كلية الاداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس، العدد ٤، ٢٠١٢م، ص ١٨٣ - ١٨٥.
- (٢٧) حسين، هشام محمد، هيئة الحدود المصرية الشرقية خلال عصر الانتقال الثاني، ص ١٨٧.

- (٢٨) حسين، هشام محمد، هيئة الحدود المصرية الشرقية خلال عصر الانتقال الثاني، ص ١٧٦ - ١٧٧.
- (٢٩) حسني، المصدر السابق، ص ٢٠٥ - ٢٠٦.
- (٣٠) نورالدين، المصدر السابق، ص ٣٩.
- (٣١) عبدالمقصود، محمد، ثلاثون عاماً من الحفائر في مدخل مصر الشرقي لمصر، مجلة ذاكرة مصر، العدد ٣١، ٢٠١٧م، ص ٦٨.
- (٣٢) عوض، المصدر السابق، ص ٨٧ - ٩٠.
- (33) Hoffmeier, introduction to the work to tell el – borg, excavations in north Sinai , chapter 1, 2019, p. 11.
- (34) Moshier ,stphan , late bronz age paleogeography along the oncient ways of horus in north west Sinai Egypt, international journal, vol. 23, p. 170.
- (35)neska,mike, the spear / lance (Tbo 0177) from field IV, excavation in north Sinai , chapter 12, 2014, p. 510.
- (36) Hoffmeier, James, Anew military site on the ways of Horus tell el–Borg 1999 – 2001: apreliminary report, JEA. Vol 9. 2003, p. 179 – 180.
- (٣٧) للمزيد عن هذه الدراسة ينظر:
- Dijkstra, meindert Dijkstra, Achief the bowmen the bowmen the foregn lands at serabit el–khadim and the dwelling, of sesu Tell el–borg , Egypt and the levant 19, 2009, p. 123; Hoffmeier, james, the gate of the Ramesside fort teel el–borg, north sinai, Bolton Rutherford press 2011, p. 209.
- (38) Hoffmeier, james, tell el–borg on egypt's eastern frontier: Apriliminary report, on the 2002 and 2004seasons, JARCE 41, 2004, p. 91.
- (39) Duff, Catherin, Levantine – Egyptian interconnections at teel el borg, north Sinai, Excavation in north Sinai tell el–borg chapter 8, 2014, p. 438.
- (40) Hoffmeierer, the Gate of Ramesside fort... , p. 208.
- (41) Hoffmeir, intruduction to the work at tell el–borg, p. 15 ; Mumford, Gregory, report on the 2004 excavations in the northern area of field V, tell el–Borg reports 2004, P.1.
- (٤٢) عبدالمقصود، محمد، ثلاثون عاماً من الحفائر في المدخل الشرقي لمصر، مجلة ذاكرة مصر، ع ٣١، ٢٠١٧م، ص ٧٢.
- (٤٣) حسين، الحدود المصرية الشرقية، ص ٢٠٢.
- (44) Gote, Anne minault, tell Abyad , paris – Sorbonner, 2012, p. 30.
- (٤٥) نورالدين، المصدر السابق، ص ٣٨.
- (٤٦) حسني، ص ٢٢٨ - ٢٢٩.
- (٤٧) حسني، المصدر السابق، ص ٤٠٦.
- (٤٨) نورالدين، المصدر السابق، ص ٣٦.

-
-
- (٤٩) رستم، سهيل، سيناء الوصف العام، دار مشرق مغرب للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م، ص٤٤ - ٤٥.
- (٥٠) نورالدين، المصدر السابق، ص٣٦.
- (٥١) حسني، المصدر السابق، ص٢٣٧ - ٢٣٨.
- (52) Hoffmeier, the gate of Ramimesid fort tell, el-brg, P. 214.
- (٥٣) حسين، الحدود المصرية الشرقية، ص٢٠٧.
- (٥٤) حسني، المصدر السابق، ص٢٤٣.
- (55) Hussin, Hesham, tell el-kedwa: sait fortresses on Egypt estren frontier, British council, cairo, 2013, p1-7; Hussein, Hisham., the ways of horus in the saite period: tell el-kedwa and its key location guarding egypt's northern frontier, JAEi7, 2001, p1-13.
- (٥٦) نورالدين، المصدر السابق، ص٣٩.
- (٥٧) رستم، المصدر السابق، ص٤٤.
- (٥٨) نورالدين، المصدر السابق، ص٣٩.

السلطة والعنف ورهانات الإصلاح في الأندلس قراءة في عقوبة الصلب

(١٢٣-١٥٦٢٠هـ/٧٤٠-١٢٢٣م)

أ.م.د. قاسم عبد سعدون الحسيني

جامعة ميسان - كلية التربية

الملخص

لا يخفى على الجميع أنّ الخوض في جرائم الحكام وسلطين المسلمين يُعد من المواضيع التاريخية التي لا يستسيغها البعض ويتحاشاها الباحث الإسلامي، ولا يجذب البحث فيها لأنها من الأمور الحساسة التي تخدم المعتقد والدين والفكر والعقيدة، وأطلق على هذا النوع من الدراسات بالمسكوت عنه في التاريخ الإسلامي، لأنّ الخوض فيها ودراستها تُعد مغامرة قد تعرض الباحث للنقد ألدّ الذي يحط من مكانته العلمية في أوساط البحث التاريخي لاسيما أنّ بعض الكتاب انبروا وسخروا أقلامهم لخدمة السلاطين والحكام فابتعدوا عن قول الحق وشوهوا الأحداث.

انبثقت فكرة هذه الدراسة التي تحمل عنوان ((السلطة والعنف ورهانات الإصلاح في الأندلس قراءة في عقوبة الصلب ١٢٣-١٥٦٢٠هـ/٧٤٠-١٢٢٣م))، التي سنوضح خلالها ممارسات السلطة الحاكمة في الأندلس واستخدامها لعقوبة الصلب كوسيلة للإصلاح ونقطة ارتكاز للمحافظة على الحكم ومكتسباته. معتمدين على ما عثرنا عليه من روايات وشواهد تاريخية ذُكرت في مصادر تاريخ الأندلس.

Power, violence, and the stakes of reform in Andalusia, a reading of the punishment of crucifixion (132-620AH/ 740-122AD)

Assist Prof. Dr. Qassem Abd S. Al-Husseini

University of Maysan - College of Education

Abstract

It is no secret to everyone that delving into the crimes of Muslim rulers and sultans is one of the historical topics that some do not like and that the Islamic researcher avoids, and it is not desirable to search in it because it is one of the sensitive matters that scratches belief, religion, thought and creed. Because delving into it and studying it is an adventure that may expose the researcher to harsh criticism that degrades his scientific position in the historical research circles, especially since some writers rose up and used their pens to serve the sultans and rulers, so they moved away from telling the truth and distorted the events, and from here the idea of this study emerged, which bears the title ((Power and Violence And the stakes of reform in Andalusia, a reading in the punishment of crucifixion)), during which we will explain the practices of the ruling authority in Andalusia and its use of the punishment of crucifixion as a means of reform and a fulcrum to preserve the rule and its gains. Relying on what we have found of narrations and historical evidence mentioned in the sources of the history of Andalusia..

المقدمة

انبرى حكام الأندلس استخدام أقسى الأساليب القمعية والقسرية لأجل المحافظة على عروشهم غير آبهين لأجساد الناس ودمائهم ، ظناً منهم أنّ يتحقق الإصلاح المزعوم . إذ لم يكتفِ الحكام في التخلص من خصومهم بعقوبة القتل بل لجأ بعضهم إلى أساليب قمعية وعقابية تُنافي الدين والشرع والعقيدة الإسلامية الأمر الذي يدل على أنّ ثمة تحول حصل في الفكر العقابي السلطوي ، الذي عبر عنه بطريقة وحشية تتم عن حالة نفسية مضطربة تستمتع برؤية مشاهدة الدماء ، وتقطع الأجساد فتشعر بالرضا والارتياح.

وعلى الرغم من قلة المعلومات التاريخية التي تناولت عقوبة الصلب في الأندلس ، إلا أن هذه الدراسة ستكشف النقاب عن الأسباب التي أدت إلى استخدام هذه العقوبة ، مستعرضين الحوادث التاريخية التي شهدتها تاريخ الأندلس إذ تعرض بعض الأفراد لهذه العقوبة فُصّلت أجسادهم بمنظرٍ مروعة . ذلك لقيامهم بأفعالٍ وممارساتٍ تُهدد سلطة العرش ، وأمن المجتمع وتحط من هيبة الدولة ، فأعتبروا مذنبين يجب معاقبتهم ، ولضرورة تقتضيها طبيعة الموضوع فُسمت الدراسة إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة ، تطرق المبحث الأول إلى معرفة المصطلحات الواردة في الدراسة مع التركيز على الأسباب والدوافع التي دفعت الحاكم الأندلسي لاستخدام العنف لا سيما عقوبة الصلب ، وتطرق المبحث الثاني إلى شواهد تاريخية أُستخدمت فيها عقوبة الصلب كأجراء يُراد منه إصلاح المجتمع الأندلسي وإما الخاتمة فقد تجسدت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة بالاعتماد على المنهج التاريخي القائم على ربط الأحداث مع بعضها البعض للوصول إلى الحقائق التاريخية . قبل الخوض في هذا الموضوع لأبد من الإشارة إلى أنّ الروايات التاريخية التي عثرتُ عليها ربما كانت ذات علاقة ببعض الرموز المعروفة في المجتمعات الإسلامية كرجال دين أو سياسة ، لذلك حاولت قدر الإمكان أنّ أنقل النص التاريخي دون الإساءة إلى الشخص المعني، تاركاً الكلام لما قيل عنه في المصدر الأصلي الناقل للنص التاريخي . إذ لا يخفى على الجميع أنّ هناك الكثير من المواضيع التاريخية التي لا يستسيغها البعض ، ولا يحبذ البحث فيها ، ويعتبرها مواضيع حساسة قد تחדش المعتقد والدين والفكر والعقيدة ، وقد أُطلق على هذه المواضيع بالمسكوت عنه في التاريخ الإسلامي ، ذلك لأنّ الخوض في جرائم الحكام والسلاطين المسلمين يُعد من الأمور التي يتحاشاها

الباحث الإسلامي ، لأنّ في ذلك مغامرة قد تعرض الباحث للنقد ألدّاذع الذي يحط من مكانته في أوساط البحث التاريخي لاسيما أنّ بعض الكتاب انبروا وسخروا أقلامهم لخدمة السلاطين والحكام فابتعدوا عن قول الحق ، وشوهوا الأحداث وتناسوا أنّ السلطة والعنف مظهران متلازمان يصعب الفصل بينهما ، فكل سياسة إنما هي صراع من أجل السلطة ، والعنف إنما هو أقصى درجات السلطة إذ من خلاله يسعى الحكام لفرض هيبة الدولة وسطوة الحاكم المتسلط الذي يسعى من وجهة نظره إلى فرض القانون^(١) ، وعدم زعزعة الأمن وتخريبه ، لكن في الحقيقة أنّ هذه الممارسات لا تتم إلا على نزوات نفسية تشتعل غضباً لتسفك الدماء وتتشفى بالضحية ، وتستمتع في إراقة الدماء ومنظر الأجساد المقطعة وكل ذلك يحدث باسم الإسلام .وهنا علينا أنّ نميز بين الإسلام الحق الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وبين الإسلام التاريخي الذي صنعه رجال السياسة الذين ظلموا الرعية وشوهوا معالم الإسلام الحقيقي ليثبتوا مجدهم السياسي والتاريخي على حساب دماء الأبرياء ، وأجساد الضحايا فحكام بنو أمية في الأندلس لم يكونوا بعيدين عن صفات أجدادهم في بلاد الشام الذين كانوا يتصفون بالقسوة والغلظة والتسلط والعنف^(٢) ، والانهماك في المعاصي والالتباس بالريب والعبث في الرعايا والاستكثار بالذات، والمبالغة في العقوبات وتغليظها ، وتهوين دماء الرعية^(٣) .

المبحث الأول: السلطة والعنف ورهانات الإصلاح في الأندلس

السلطة والعنف المصطلح والمضمون

لم تكتفِ السلطة السياسية في الأندلس في التخلص من خصومها بعقوبة القتل بل لجأت إلى أساليب قمعية وعقابية أخرى منها :حز الرؤوس والمثلة بالأجساد ، وتقطيعها وصلبها والعبث فيها ، ناهيك عن أساليب التعذيب القسري التي عادةً ما تسبق هذه العقوبات ، الأمر الذي يكشف عن حدوث انتقال في الفكر العقابي السلطوي الذي أضحي يعتمد مثل هذه الأساليب العقابية ظناً أنّ السلطة والعنف يعملان على إعادة هيبة الدولة والتأكيد على فرض قوتها وسلطتها على الجميع كونها سلطة لا تقهر. ولضرورة تقتضيها طبيعة الدراسة لابد لنا أنّ نعرف ماذا يقصد بالسلطة والعنف والصلب لغة واصطلاحاً .

المبنى اللغوي لمفهوم السلطة / (السلطة) السيطرة والسيادة والتحكم وجمعها سلطات ،والسلطان هو الملك أو الوالي^(٤) .

المبنى الاصطلاحي لمفهوم السلطة / يُقصد بالسلطة هو كل ما يحدد سلوكاً ، أو رأياً لاعتبارات خارجة عن القيمة الذاتية للأمر ، أو للقضية المعروضة ، وتطلق أيضاً على الشخص الحجة وهو كل من يصبح مصدراً يعول عليه في رأي وعلم معين^(٥) . ويقال أيضاً أن السلطة هي المرجع الأعلى المسلم له بالنفوذ ، أو الهيئة القادرة على فرض إرادتها على الإرادات الأخرى بحيث تعترف الإرادات الأخرى لها بالقيادة والفصل بقدراتها وبحقها في المحاكمة ، وإنزال العقوبات لذلك يوجب احترامها والالتزام بقراراتها^(٦) .

المبنى اللغوي لمفهوم العنف / العنف كلمة مأخوذة من عنف يُعنف تعنيفاً فهو مُعنف والمفعول مُعنف ، والعنف بالضم يعني الشدة والمشقة والخرق بالأمر وقلة الرفق وهو ضد الرفق^(٧) .

المبنى الاصطلاحي لمفهوم العنف/ العنف هو كل سلوك يتضمن معاني الشدة والقسوة والظلم والطغيان ، وعلى هذا الأساس فإنّ العنف يكون سلوكاً فعلياً أو قولياً^(٨) . كذلك يُعرف على أنّه ممارسة القوة البدنية لإنزال الأذى بالأشخاص والممتلكات أو هو الفعل أو المعاملة التي تحدث ضرراً جسمانياً أو التدخل في الحرية الشخصية^(٩) . وقد تمخض عن الاستخدام المفرط للسلطة والعنف ظهور بعض العقوبات ومنها عقوبة الصلب التي هي محور دراستنا ، لذلك علينا أن نعرف ماذا يُقصد بالصلب لغة واصطلاحاً .

المبنى اللغوي للصلب / صَلَبٌ يَصْلَبُ صَلْباً ، وَالصَّلْبُ ما صَلَبَ من الأَرْضِ ودك العظام والأصطلاب استخراج الودك من العظام وصلبه صلباً^(١٠) كما في قوله تعالى ﴿ وَأَصْلَبْتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ﴾^(١١) .

المبنى الاصطلاحي للصلب/ الصلب هو تعليق الإنسان منتصب القامة ممدود اليدين منصوباً على خشبة كبيرة أو جذع نخلة أو شجرة لأجل تعذيبه وصلبه وقتله طعناً بالحرايب حتى يموت مصلوباً^(١٢) عقوبة الصلب في القرآن الكريم .

وردت كلمة صلب في القرآن الكريم في أربعة مواضع مختلفة منها :-

١- قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا

وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾. ورد في تفاسير القرآن أنّ سبب نزول هذه الآية المباركة أنها نزلت بحق المشركين الذين لم يؤمنوا برسالة الإسلام وتعاليمه ويقاوتون الله ورسوله ، وكذلك قيل أنها نزلت بحق المفسدين الذين يسعون لنشر الفاحشة والفساد وترويع الناس وإخافتهم وهؤلاء هم اللصوص قطاع الطرق، الذين يعرضون للناس في القرى والبوادي، فيغصبونهم أموالهم، ويقتلونهم ويخيفونهم، فيمتنع الناس من سلوك الطرق التي هم بها فتقطع بذلك^(١٤) . وهذه الجرائم تُعتبر من الحرابة ومرتكبها يُعتبر مذنب يجب معاقبته قتلاً وصلباً إذا ارتكب جريمة سرقة المال والقتل معاً ، وتقطع أيدي وأرجل المذنب أنّ سرق المال لا غير، أو يُنفى المذنب من مكان إقامته إذا أخاف الناس وأرهبهم^(١٥) .

٢- قال الله سبحانه وتعالى : ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾^(١٦)، أنّ سبب نزول هذه الآية المباركة أنّ صاحبي النبي يوسف عليه السلام أرادا أنّ يختبرا علمه فقصا عليه رؤيتهما في المنام فقال لهما أنّ من رأى أنه يسقي ربه خمرًا يعني أنه يسقي سيده وهو ملكهم ويكون صاحب شرابه ، وأما الآخر وهو الذي رأى أنّ على رأسه خبزاً تأكل الطير منه فيصلب فتأكل الطير من رأسه ، مؤكداً أنّ حكم الله نافذاً بهم لا محال^(١٧).

٣- قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ أَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَأُصْلَبْكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾^(١٨). ورد في تفاسير القرآن أنّ سبب نزول هذه الآية المباركة أنها نزلت لتهديد فرعون إلى السحرة بعد إيمانهم إذ قال فرعون للسحرة: أصدّقتم بموسى، واتبعتموه، وأقررتم له قبل أنّ آدن لكم بذلك إنّ موسى لكبيركم الذي علّمكم السحر فلذلك تابعتموه، فلأقطعنّ أيديكم وأرجلكم مخالفاً بينها، يداً من جهة ورجلا من الجهة الأخرى، ولأصلبكنم بربط أجسادكم على جذوع النخل، ولتعلمنّ أيها السحرة أيّنا أنا أو رب موسى أشدّ عذاباً من الآخر، وأدوم له^(١٩) .

٤- قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾^(٢٠). من المعلوم أنّ هذه الآية المباركة نزلت بحق نبي الله عيسى عليه السلام ، إذ ظن

اليهود أنه قُتل و صُلب ، لكنه لم يُقتل ولم يُصلب بل صلبوا رجلاً شبيهاً به ظناً منهم أنه النبي عيسى عليه السلام . ومن ادعى قتلَهُ من اليهود، ومن أسلمه إليهم من النصارى، كلهم واقعون في شك وحيرة، لا علم لديهم إلا إتباع الظن، وما قتلوه متيقنين بل شاكين متوهمين^(٢١) .

استناداً لما سبق يتضح من الآيات القرآنية المباركة التي ورد ذكرها أن الصلب لا يعني الموت فقط بل الطريقة التي من خلالها يموت المذنب أي أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل عقوبة الصلب هي جزاء لكل من يرتكب ذنب ، بل أنه حدد الجرائم التي تكون فيها عقوبة المذنب هي الصلب . كذلك يبدو من خلال ما عرضه القرآن الكريم من آيات قرآنية تخص عقوبة الصلب ، أن هذه العقوبة تعود إلى فترة زمنية موعلة في القدم أي إلى عصر فراعنة مصر القديمة ، وأن الأمم الأخرى قد اقتبست هذا النوع من العقوبات ونفذته ضد المخالفين والمعارضين لها إلى جانب تطبيقها على المتهمين جنائياً .

من خلال ما تقدم يُلاحظ أن القرآن الكريم حدد اتجاهين في تطبيق عقوبة الصلب هما :-
الاتجاه الأول يمثله التشريع أو القانون الإلهي الذي خص عقوبة الصلب بمن يحارب الله ورسوله وهؤلاء هم المفسدون في الأرض ، وأن كانوا مسلمين ، ذلك أن الانتماء إلى الإسلام لا يشفع لمن يسعى للإضرار بقيمه فلا يجتمع الإيمان وظلم العباد في قلب مؤمن ولهذا كان العقاب مما يستقيم به أمر الناس وينال منه استقرار المجتمع وصلاحه . ويتجسد ذلك بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢٢) .

الاتجاه الثاني يمثله القانون الوضعي البشري ، إذ قدم القرآن الكريم ثلاث نماذج لتطبيق عقوبة الصلب اثنتين منها تتعلق بمخالفة عقيدة السلطة والاختلاف معها في الرأي ، أما الثالثة فلم يُحدد القرآن الكريم أسبابها إلا أن السياق القرآني يُبين أن سبب اتهام صاحبي سجن يوسف عليه السلام لم يكن سبباً عقائدياً إذ كانوا على دين عامة المصريين بدليل أن النبي يوسف عليه السلام دعاهما إلى التوحيد ونبذ عقيدة تعدد الآلهة ، وربما كانت الأسباب التي سُجنا لأجلها الرجلان والتي صُلب أحدهما بسببها لثبوت التهمة عليه لأسباب جنائية .

عقوبة الصلب في الأندلس قراءة في الأسباب والدوافع .

مما لاشكَّ فيه أنَّ حكام الأندلس كانَ لهم دورٌ كبيرٌ في بناء الحضارة الإسلامية في الأندلس ، الأمر الذي لا يمكن أن ينكره أي باحث منصف أو يغفل عنه ، لكن في الوقت نفسه ساهمت النخبة الحاكمة في الأندلس وبأسلوب عدواني بسلب إرادة الناس وسجنهم والسعي نحو إذلالهم والتتكيل بهم ، ونزع أرواحهم بأبشع صورة ، والاستمتاع بالأمهم بحيث أضحى العنف في الأندلس مظهر من مظاهر التعبير عن قوة السلطة والغطرسة السياسية التي تجعل الحاكم الأندلسي يحس بالعظمة والاستعلاء على الرعية^(٢٣) .

أنَّ الباحث في موضوع السلطة والعنف في الأندلس يجد ثمة مقارنة تاريخية تتقاطع فيها تحليلات: اجتماعية، نفسية ، دينية وسياسية ، وتناقضاً بين : المشروع واللامشروع ، الحلال والحرام ، الأخلاق والأخلاق، ناهيك عن تواطؤ الكتابات التاريخية وابتعادها عن تناول هكذا دراسات أو قضايا والاكتفاء بذكر إشارات مقتضبة الأمر الذي أدى إلى اندثار الأحداث التاريخية التي تخص الموضوع وطمس معالمه الحقيقية^(٢٤) ، وهنا تكمن صعوبة الخوض في هكذا مواضيع فأغلب من تعرض لعقوبة الصلب ذُكر في روايات تاريخية مقتضبة دون الإسهاب في ذكر الحدث التاريخي ، إذ لم تسعنا المادة الخبرية بمعلومات كافية وذكر ما ارتكبه من مخالفات أدت بهم إلى هذا المصير المروع . وهنا علينا أن نعرف ماهي الأسباب والدوافع التي دفعت حكام الأندلس لاستخدام السلطة والعنف وتطبيق عقوبة الصلب ، وفق نظرة تاريخية وتحليلية مستنبطة من الحوادث التاريخية التي أُخذت عقوبة الصلب فيها كأجراء عقابي ضد من يُخالف تطلعات الحاكم ويهدد عرشه .

١- ذكر أحد الباحثين أنَّ هذا النوع من العقوبات (الصلب) والاستخدام المفرط للعنف يصدر من شخصيات سادية تُعاني من اضطرابات نفسية أو عقلية تتحول في لحظة ما إلى شخصية عدوانية تمتاز بالشراسة وظلم الآخرين ، غير آبهة أو مكترثة لحياة الناس^(٢٥) ، مخالفاً بذلك رأي ابن خلدون الذي يعتقد أنَّ العنف نزعة طبيعية إذ قال : ((... ، ومن أخلاق البشر فيها الظلم والعدوان بعضٍ على بعض فمن امتدت عينه إلى متاع أخيه فقد امتدت يده إلى أخذه إلا أن يصده وازع ، كما قال : ((والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعله لا يظلم))^(٢٦) .

وفي هذا الإطار أكد ابن خلدون أنَّ العدوان الذي يحدث في المدن تدفعه الحكام والدولة بما قبضوا على أيدي من تحتهم من الكافة أن يمتد بعضهم على بعض أو يعدو عليه فهم مكبوحون بحكمة القهر والسلطان عن التظالم إلا إذا كان من الحاكم بنفسه^(٢٧) . وهنا يتضح وبما لا يدع مجالاً

للشك أنّ ممارسات الحكام هي من تدفع الرعية للتمرد والخروج ضد الطبقة الحاكمة التي سلبت حقوق الناس فأجبرتهم على رفض الظلم والطغيان الذي ألمّ بهم من خلال ممارسات السلطة الحاكمة فتلجأ هذه السلطة لكبح جماح كل من يخرج عليها أو يهدد وجودها أو كيانها السياسي ، مستخدمة السلطة والعنف لتثبيت أركانها بحجة الإصلاح والمحافظة على هيبة الدولة .

٢- انطلقت السلطة الحاكمة في الأندلس لاستخدام العنف واتخاذ عقوبة الصلب أو غيرها من العقوبات بحق كل من يحاول النيل من هيبة الدولة من مبدأ كلما اشتدت العقوبة وطُبق بحق المخالفين ، أبتعد الناس عن الجريمة وعمّ الأمن والأمان ، وكلما خفت العقوبة زاد الإقبال عليها وانتشرت الجريمة وضعف الأمن وقلت هيبة الدولة ، لذلك نجد حكام الأندلس قد بالغوا في تطبيق السلطة والعنف وأصدروا العقوبات بحق من يخالفهم في الفكر والعقيدة ، أو بحق من يتجرأ أنّ يهدد كيانهم السياسي .

٣- لجأ بعض حكام الأندلس إلى ظلم الرعية والفتك بهم قاطعين الطريق على كل من يحاول النهوض عليهم أو النيل منهم ، تدفعهم عقليتهم وسلوكياتهم التي هدفت إلى تحقيق مصالحهم وطموحاتهم وغاياتهم الشخصية ، غير مباليين للمنطق الإنساني والعقلاني . وخير مثال على ذلك ما قام به الأمير الحكم بن هشام الملقب بالحكم الربيضي (١٨٠- ٢٠٦هـ / ٧٩٦-٨٢١م) ^(٢٨) ، بظلم الرعية والفتك بهم لا سيما ثوار هيجة الربيض التي سنتطرق لها في قادم الكلام .

٤- ابتعاد بعض حكام الأندلس عن تعاليم الإسلام ، وقيم التسامح واللجوء إلى العنف واستخدام عقوبة الصلب كوسيلة لإرهاب الناس وتجسيد قوة السلطة. الأمر الذي أشار إليه الفقيه أبو بكر الطرطوشي ^(٢٩) قائلاً : ((العجب من الملك الذي يغضب على عامله إذا خالف أمره ، ثم لا يخاف هو من غضب ربه عند مخالفته إياه)) ^(٣٠) .

٥- تأثر حكام بني أمية في الأندلس بالقيم البدوية التي تركز على الكبرياء والعصبية القبلية والاعتداد بالنسب ، واللجوء إلى منطق القوة ، والابتعاد عن قوة المنطق ، الأمر الذي ساعد على انتشار المظاهر السلبية كالعنف والتسلط والطغيان الذي طال الرعية وألمّ بهم فطُبق الحدود ، وقُطعت الرؤوس وصُلبت الأجساد كمحاولة منهم لتدعيم سلطانهم والحفاظ على كُرسي الحكم ^(٣١) .

٦- أحياناً يشعر الحاكم المستبد في لحظة ما أنه أكثر من مجرد إنسان حين يتمكن من فرض نفسه ، ومن جعل الآخرين أدوات طبيعة تطيع رغباته وتطلعاته الأمر الذي يُعطيه شعوراً عالياً في

الغطرسة والتكبر ويجعله يشعر بنشوة السلطة وأبهة الملك^(٣٢) ، وينطبق ذلك على حكام الأندلس لاسيما من اشتهر منهم بالقوة والجرأة والحزم .

٧- لعل المتأمل في موضوع السلطة والعنف في الأندلس يجد ثمة بونٍ شاسع بين مؤسسة السلطة القمعية التي يتحلى بها الحاكم الظالم المستبد ، وبين مؤسسة القضاء التي تحكم بالعدل الإلهي بعيداً عن ظلم الإنسان والإجحاف به .

المبحث الثاني: عقوبة الصلب في الأندلس بين الإصلاح المزعوم والتوظيف السياسي المنشود

تُعد خطة القضاء من أعظم الخطط في الأندلس وأجلها ، نظراً لارتباطها بأمور الدين إذ من خلالها تتجسد قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فضلاً عن كونها تمثل مرجعاً هاماً لمختلف الأحكام الشرعية المتعلقة بأمور الحياة ، لذلك احتلت هذه الخطة مكانة هامة في المتخيل الأندلسي ونالت احترامه^(٣٣) .

أنَّ الهدف من مشروعية العقوبة في الفكر السلطوي جاء من منطلق تأديبي وإصلاحية ، ذلك لأنَّ الحكمة من وراء مشروعيتها تتمثل في إقامة الحدود ، وزجر الناس وردعهم عن اقتراف الجرائم وإذا كان فقه التشريع أو الأحكام في الأندلس يختلف بحسب الأوقات والنظر إلى السلاطين فإنَّ الغالب عليها إقامتهم للحدود ، وإنكار التهاون بتعطيلها^(٣٤) ، ولا نريد نُسهب في الحديث عن مؤسسة القضاء في الأندلس ، لأنَّ ما يخص دراستنا هو الصلب الذي أُستخدم كعقوبة رادعة ضدَّ كل من يهدد كيان الحاكم الأندلسي ويعبث في هيبة الدولة ، لذلك سنتحدث عن من أطلت هذه العقوبة وراح ضحية لإحكام صادرة من السلطة الحاكمة .

من خلال سياق الحوادث التاريخية التي تخص عقوبة الصلب في الأندلس يتضح أنَّ هذه العقوبة استخدمت كرادعٍ تأديبي لأسبابٍ سياسية ، وفكرية وعقدية ، أو كعقوبة لجريمة الحرابة .

١- الصلب لأسباب سياسية .

شهدت بلاد الأندلس أحكاماً قسرية عنيفة ومنها تطبيق عقوبة الصلب إذ وظفت هذه العقوبة على أنها وسيلة لإصلاح الرعية بهدف المحافظة على هيبة الدولة، حيث قُتل زياد بن عمرو اللخمي^(٣٥)، بالصلب وذلك لتقديمه المساعدة والعون للقوات العسكرية التي كانت تُحاصر مدينة سبته^(٣٦)، بقيادة بلج بن بشر القشيري^(٣٧) ، لغرض الإطاحة ببربر المغرب إذ انقطعت المؤن

والأقوات عن جيش بلج ومن معه فاستغاث بعرب الأندلس ، وتقاعس صاحب الأندلس عبد الملك بن قطن^(٣٨)، لخوفه على سلطانه من قوات بلج ، فلما شاع خبر الاستغاثة فأغاثهم زياد بن عمرو اللخمي بمركبين مشحونين بالمؤن والعدد الحربية ، فلما بلغ ذلك عبد الملك قبض على زياد وأتهمه بتحريض الجند عليه فضربه سبعمائة سوط ، وقطع عنقه وصلبه وصلب على يساره كلب^(٣٩) .

كما قُتل عبد الملك بن قطن من قبل الوالي بلج بن بشر إذ اشتكت الرعية من ظلمه وجوره فقبض عليه وهو شيخٌ كبير ، وقد بلغ التسعين من العمر فقتل وصلب سنة ١٢٣هـ/٧٤٠م، بصحراء ربض قرطبة^(٤٠)، وصلبوا عن يمينه خنزيراً وعن يساره كلب وأقام شلوه على جذعه إلى أن سرقه مواليه في الليل وغيبوه وأطلق على المكان مصلب ابن قطن ولما وليّ ابن عمه يوسف بن عبد الرحمن الفهري أستاذنه ابنه أمية بن عبد الملك وبنا فيه مسجداً نسب إليه وسُمي مسجداً أمية وانقطعت عنه تسمية المصلب^(٤١). وفي هذا الإطار علينا أن لانغفل الصراع الدائر بين البلديين الذين يمثلهم عبد الملك، والشاميين الذين يمثلهم بلج وما لهذا الصراع من دور كبير في إنكفاء العداوة بين عبد الملك بن قطن وبلج بن بشر .

ثار هشام بن عروة الفهري^(٤٢) في طليطلة^(٤٣) سنة ١٤٤هـ/٧٦١م ، ضد الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨ - ١٧١ هـ / ٧٥٥-٧٨٧ م)^(٤٤)، فأراد الأمير إنهاء هذه الثورة وجهاز جيشاً كبيراً وحاصر فيه الثائر هشام بن عروة وضيق الخناق عليه فمال هشام إلى الصلح وأعطاه ابنه أفلح رهينة فأصطحبه الأمير ورجع إلى قرطبة ، ثم عاد هشام وخلع الأمير الداخل فعاد إليه الأمير وشدد الحصار ، ثم قام بقتل ابنه أفلح ورمى برأسه إلى أبيه هشام بواسطة المنجنيق ، ورحل إلى قرطبة دون الظفر بهشام ، واستمر بمطاردته إلى سنة ١٤٧هـ/٧٦٤م ، إلى أن أُلقي القبض عليه وعلى أتباعه فجيء بهم بالسلاسل فأمر الداخل بقطع رؤوسهم وصلب أجسادهم^(٤٥) . وتجدر الإشارة أن الأمير عبد الرحمن الداخل لم يكتف بقطع رؤوس الثوار وإنهاء حياتهم ، وإنما أراد التشفي بهم والاستمتاع بمنظر الأجساد المصلوبة ، ليحذر كل من تسول له نفسه بالخروج عليه ، أو الإطاحة به فإن مصيره سيكون كهذه الأجساد . وهذه شدة متناهية لا يقرها الإسلام ، إذ كان بإمكان الأمير أن يعاقبهم عقوبة أقل من ذلك، أو يعاملهم بالرفق ويصفح عنهم ويكسب ودهم ولكنه لم يفعل .

جاء في الرواية التاريخية أنّ سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية ، عذب وقتل وصلب والي طليطلة المدعو غالب بن تمام^(٤٦) ، بسبب أنتزائه على أخيه هشام بن عبد الرحمن^(٤٧) .
تعرض سكان قرطبة خلال حكم الأمير الحكم بن هشام (١٨٠- ٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢١م) ، إلى إبادة جماعية بسبب قيامهم بثورة عارمة عُرفت بثورة الربض سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م ، وقد سبق قيام هذه الثورة وتحديداً سنة ١٨٩هـ/٨٠٤م أنّ قام مجموعة من الناقلين على الأمير الحكم بمحاولة للإطاحة به ، تزعمهم كل من : أبو كعب بن عبد البر ، يحيى بن مضر ومسرور الخادم ، وأتفق الجميع على أن يثوروا على الأمير ويستبدلونه فوق اختيارهم على شخص يُدعى محمد بن القاسم وقرروا أنّ يكون زعيماً لهم فعرضوا الأمر عليه فتظاهر بالقبول ، ثم غدر بهم وأفشى سرهم وتقرب إلى الأمير بدمائهم فأمر الحكم بالتصدي لهم وإنهاء خطرهم فألقى القبض عليهم وعذبوا عذاباً شديداً وقتل الأمير اثنين وسبعين رجلاً منهم علماء وفقهاء ووجهاء وصلبهم على باب قصره^(٤٨) .

كذلك قبض رجال الأمير الحكم على ستة من أعلام قرطبة فقتلوا جميعاً وصلب كل من : يحيى بن نصر اليحصبي وموسى بن سالم الخولاني وولده^(٤٩) ، فثار أهل الربض وشهروا السلاح بوجه الأمير ودارت الحرب بينهم وبين جند الأمير وانتهت بإطاعتهم وخضوعهم للأمير الحكم^(٥٠) .
لم يسلم سكان طليطلة من بطش الأمير الحكم وظلمه ففي سنة ١٩١هـ/٨٠٦م ، أوقع الأمير الحكم بأهل طليطلة وقبعة كبرى بعد أن أعد لهم وليمة وأدخلهم في قصره عشرة بعد عشرة وضرب رقابهم حتى ملأ بهم حفرة عظيمة كانت داخل القصر ، حيث قُتل سبعمائة رجل وقيل ألف ومائتي رجل حتى أنّ رجلاً أتى فرأى بخار الدم يصعد من القصر فقال : ((هذا والله بخار الدم لا بخار الطعام يا أهل طليطلة قُتل والله أشرافكم وخياركم وفقهاؤكم))^(٥١) وقد ذكر ابن الخطيب هذه الحادثة مؤكداً أنّ عدد القتلى خمسة آلاف وثلاثمائة رجل فلانت بعد ذلك صولت طليطلة^(٥٢) . مما لاشك فيه أنّ هذا الرقم مبالغ فيه لأن لو كان فعلاً هؤلاء من الثوار لكانوا قد أوقعوا بالأمير الحكم وتخلصوا منه .

واجه سكان قرطبة المصير نفسه الذي ألمَّ بسكان طليطلة إذ عمد الأمير الحكم بالإيقاع بأهل قرطبة فقطع رؤوس المناوئين له ، وصلب منهم ثلاثمائة رجل وهم منكسين ، إذ يُذكر أنّ جذوع الصلب امتدت من باب القنطرة^(٥٣) إلى آخر الرصيف مع ضفة النهر^(٥٤) .

تزايد ظلم الأمير الحكم للرعية وساءت أحوال الناس جراء المعاملة السيئة التي كان يُعاني منها سكان قرطبة ، حيث خرج الناس سنة ٢٠٢هـ/١١٧م بثورة عارمة ضد الأمير الحكم ، فتصدى لها الأمير بكل جرأة وحزم وتعامل مع الثوار بقسوة متناهية فقمع الثوار بوسائل وحشية حتى تمكن رجال الحكم من إنهاء الثورة والقضاء على الثوار فألقي القبض عليهم وجيء بهم إلى الأمير الحكم فأمر باصطفاؤهم وصلب منهم ثلاثة آلاف رجل من أشرف المدينة فهاجر عدد كبير من سكان قرطبة فراراً بحياتهم^(٥٥) .

تأسيساً على ما تقدم أن الأمير الحكم وظف سلطته وأجاز لنفسه استخدام العنف والشدة لمواجهة الرعية والقضاء على أي محاولة تهدف النيل منه ، أو الإطاحة به فبدلاً من أن يستمع لمشاكل الرعية وينظر في قضاياهم ويحل مشاكلهم بهدوءٍ وتعقل ، لجأ إلى استخدام السلطة والعنف ظناً منه أنّ القمع وإنزال العقوبة وصلب الأجساد هو الحل الأمثل للمحافظة على هيبة الدولة ، وإصلاح الوضع .

في سنة ٢٧٤هـ/ ٨٨٧م ، واجه الأمير المنذر بن محمد بن عبد الرحمن (٢٧٣-٢٧٥هـ / ٨٨٦-٨٨٨م)^(٥٦) ، تهديداً لحكمه قام به بعض المناوئين ومنهم عمر بن حفصون^(٥٧) ، وشخص يُدعى عيشون ، فأما ابن حفصون فقد خرج الأمير بجيش كبير حاصره وضيق الخناق عليه ، ثم أنتقل عنه إلى أرجذونة^(٥٨) ، وبها عيشون فأقام عليها محاصراً لها ومضيها على أهلها ، إلى أن نبذوا عيشوناً وأهله ، وسلموه لجيش الأمير ، الذي قبض على عيشون وأصحابه وظفر أيضاً بمجموعة تُقدر باثنين وعشرون رجلاً منهم : حرب ، وعون ، وطالوت ، وجيء بهم إلى الأمير أسارى ، فبعثهم إلى قرطبة ، وأمر بقتلهم وصلبهم جميعاً ، وصلب مع عيشون في الخشبة خنزيراً عن يمينه وكتلاً عن يساره . وكان السبب في ذلك أن عيشوناً كان يقول : ((إذا ظفر بي الأمير فليصلبني وليصلب عن يميني خنزيراً وعن يساري كتلاً))^(٥٩) ، أي أنه كان يثق بنفسه في القتال معتمداً على إمكانياته العسكرية ، فلما يأس الأمير المنذر من الإمساك به ، دس إلى بعض أهل أرجذونة بأن يتحيل في

أخذ عيشون فأجابه البعض ووعده بأخذه. فلما كان في بعض الأيام دخل بيت أحدهم بغير سلاح، وقد استعد له بكبل فأوثق به وبعث به إلى الأمير المنذر^(٦٠).

في سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م قُتلَ شخص يُدعى إسحاق كان من رجال الثائر عمر بن حفصون وُصِّبَ هو وصاحبه وفيهما جرى المثل في الناس : غررتني يا إسحاق حيث قال له صاحبه هذه العبارة وهو يرفع في الخشبة^(٦١) .

وبالعودة إلى الثائر عمر بن حفصون الذي هدد حكم الأمويين في الأندلس حيث استمرت ثورته هو وأولاده اثنان وخمسون سنة ، إذ لم يتمكن الأمير المنذر ولا الأمير عبد الله النليل منه وإنهاء ثورته ، لذلك تحمل عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م)^(٦٢)، مسؤولية القضاء على هذه الثورة بالكامل^(٦٣)، بعد أن خاض سلسلة من المعارك والحروب الطاحنة مع ابن حفصون وأولاده انتهت بعد ثلاثين سنة بعقد صلح بين الطرفين ، إذ عهدَ الناصر بأن تكون الحصون التي بحوزة ابن حفصون والبالغ عددها اثنان وستين حصناً ملكاً له وتحت سيطرته شرط أن يحكمها باسم الأمير عبد الرحمن الناصر لذلك ساد الهدوء بين الطرفين ، وألتزم ابن حفصون بهذا الصلح حتى وفاته سنة ٣٠٥هـ/ ٩١٧م^(٦٤) .

تأسيساً على ذلك يبقى التساؤل المطروح هل أن بموت عمر بن حفصون أنتهى خطر ثورته على حكم الأمويين في الأندلس؟ للإجابة على ذلك فإن لا مناص من القول بالرغم من موت عمر بن حفصون إلا أن خطر ثورته ظل مستمراً ، وقد حكمَ أولاده مدناً وحصوناً بتقويض من والدهم ، وبإقرارٍ لهم من الأمير عبد الرحمن الناصر على تلك المناطق^(٦٥)، فكان جعفر يحكم في قلعة بريشتر^(٦٦) ، وعبد الرحمن في حصن طرش^(٦٧) ، وسليمان في مدينة أبذة^(٦٨) ، التي حكمها بقوة. وتجدر الإشارة أن سليمان أشتهر بالبسالة وثار على أبيه عمر وحاربه وسلط عليه سيفه وجرحه في إحدى المواجهات التي جرت بينهما^(٦٩) .

لم يطل العهد بأبناء عمر بن حفصون إذ قُتل جعفر على يد جماعة من أنصار والده ، وولوا أخوه سليمان مكانه سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م ، وتزعم الثورة معتمداً على قوتهم وعلى حصانة بريشتر^(٧٠)، ودخل في حرب مع قوات الأمير عبد الرحمن الناصر الذي تمكن من القضاء عليه سنة ٣١٤هـ/ ٩٢٦م ، وأستسلم أخوه حفص في سنة ٣١٥هـ/ ٩٢٧م، بعد أن استطاعت قوات الناصر

تضييق الخناق عليه وإجباره على الاستسلام سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م^(٧١)، ومما لا شك فيه أننا لسنا بصدد الكتابة عن ثورة عمر بن حفصون وأولاده بقدر ما يهمننا مصيرهم ، إذ أكدت الروايات التاريخية أنّ سليمان بن عمر بن حفصون أُلقي القبض عليه سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م ، ومثّل بجثته بعد مقتله وطُعن بجسده وقُطعت يده ورجلاه ورُفعت جثته على خشبة كبيرة وعُلقت في باب السدة بقرطبة^(٧٢) .

في سنة ٣١٣هـ/ ٩٢٥م أُلقي القبض على الرامي المعروف أبي نصر الذي ذاعت شهرته في الحرب الدائرة بين عمر بن حفصون وجيش الأمير عبد الرحمن الناصر فأُمسك به وُصَلب ، ثم رمي بالنبل حتى أصيبت جوارحه وبقي مصلوباً على الجذع أياماً ثم أُحرق^(٧٣) . ونستدل من ذلك أنّ انتهاك حصل على حرمة الميت من خلال التمثيل بجثة أبي نصر والتعدي عليها الأمر الذي يخالف ما أقره الإسلام وجاء به من تعاليم تؤكد على حرمة الميت وعدم المساس به .

في سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر بنبش قبري عمر بن حفصون وأبنة حكم فكشفت قبورهما وأشهدَ الفقهاء ومن معه كيف تم دفنهما على المسيحية فألقيا مدفونين على ظهورهما فاستخرجا من لحودهما وأُتيّ بهما إلى باب السدة في قرطبة فرفعت في جذوع عالية إلى جنب سليمان بن عمر وظلت الأجساد معلقة لمدة خمسة عشر سنة وبعدها فاضّ النهر وذهبت الجذوع^(٧٤) . من هذا المنطلق يتضح أنّ الخليفة عبد الرحمن الناصر ، تعامل مع هذه الثورة بمنتهى القسوة والشدة وأنّه لم يراعي حرمة الموتى ، ويعمله هذا خالف الدين الإسلامي ، وتعاليمه التي توصي بحرمة الموتى وعدم التعرض لأجسادهم ، ولعلّي لم أجد مبرراً أو عذراً للقيام بمثل هذا العمل إلا الاستئناس بمنظر الأجساد المصلوبة والتشفي بها لتقر بها العيون ، ولتكون عظة للناظرين .

لم يتوان الخليفة عبد الرحمن الناصر بمعاينة جنوده الذين أتهمهم بالتخاذل يوم الخندق سنة ٣٢٧هـ/٩٤٨م ، حيث طبق بحقهم عقوبة القتل والصلب ناكراً سابق انتصاراتهم وصولاتهم في ميادين الحرب غير أبهاً لتوسلهم متجاهلاً استعطافهم إياه حيث صبّ نار غضبه عليهم ، وأمر بالقبض على عشرة من وجوه فرسان الجند الذين سارعوا الانهزام يوم الخندق سماهم ، وأمر بإعلائهم فوق الخشب بعينها ، فتولاهم الأشرار لحينهم وشدهم مصليين بأعاليها فمئلوا للحين بدارها يستغيثونه ويسترحمونه ويستقبلونه ، وهو يزداد عليهم غيظاً وسباً لهم وتعريفاً بحيدتهم عنه يوم

حاجته إليهم^(٧٥) . وقد عذب الخليفة عبد الرحمن الناصر هؤلاء الجند ومثل بهم وشهرهم أمام العامة ليدخل الرهبة في نفوس الرعية لاسيما في نفس كل من تسول له نفسه القيام بمثل هذا العمل متناسياً نهي الشريعة الإسلامية عن التمثيل بجثث الموتى .

كذلك أمر الخليفة الناصر بقتل وصلب شخص يدعى فرتون بن محمد الطويل^(٧٦) الذي رُفع على جذع ، وقطع لسانه ووقف الناصر عليه قبل أن يُطعن ممعن النظر إليه شامتاً به ، ساباً له ، وفرتون يفهم ذلك ويتمتم بكلام من غير لسان يؤديه ، ثم جمع ما في فيه من بصاقٍ ودمٍ فبصقه على الناصر فعجب الناس على شجاعته وقوة نفسه الأمر الذي أغضب الخليفة الناصر وجعله يصب نار غضبه عليه فأشار بيده ليُطعن^(٧٧) .

شهدت بلاد الأندلس تدهوراً كبيراً في الأحوال الداخلية وتحديداً بعد سيطرة الحاجب عبد الرحمن شنجول^(٧٨) على مقاليد الخلافة ، ونقم الناس من سياسته واضطهاده لهم فكثُر مناوئيه وثاروا عليه بثورة كبرى، وألقوا القبض عليه وعذبوه عذاباً شديداً ثم صُلبوه تشفياً به^(٧٩) . وهنا نجد ثمة تحول واضح في السلطة العقابية فبعد أن كانت مؤسسة السلطة هي من تعاقب الرعية ، أصبح العكس الرعية هي من تعاقب أصحاب السلطة والقرار حيث أن الثائر محمد بن هشام بن عبد الجبار^(٨٠) كان من الرعية قاد ثورة كبرى ضد الخلافة الأموية في الأندلس وتمكن من السيطرة على مقاليد الأمور ومعاقبة عبد الرحمن شنجول وإنهاء تسلط العامريين على مقاليد الحكم في الأندلس .

كذلك قُتل أحمد بن محمد بن وسيم سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م ، وكان فقيهاً متقناً ورعاً ، يُقرأ عليه الحديث فإذا مر القارئ بذكر الجنة والنار بكى . ظفر به أهل طليطلة وعذبوه وحينما أرادوا صلبه قال : ((كان ذلك في الكتاب مسطوراً)) ، وجعل يقرأ سورة يس وهو على خشبة الصلب ويقول لرامي النبل : ((نكب عن وجهي)) حتى سقط من الخشبة ووافق دماغه حجر فمات^(٨١) .

كذلك تعرض القاضي أبو بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن وافد^(٨٢) لعقوبة القتل والصلب ، رغم توليه مهمة القضاء والصلاة في عهد حكم الخليفة هشام المؤيد ، فأحتل مكانة مهمة فلما تغلب البربر وسليمان بن الحكم الملقب بالمستعين^(٨٣) ، على هشام المؤيد اختفى ابن وافد مدة من الزمن ، لكن البربر ظفروا به وأمسكوه فطرحوه على الأرض وعنفوه وتلوه على وجهه وجروه إلى باب القصر راجلاً حافياً مكشوف الرأس بادئ الصلعة ، وما عليه إلا قميصه وعمامته في رقبته يقتادونه

بها مخترقين به الشوارع والناس تتقطع قلوبهم عليه ، ولا يغنون عنه شيئاً والبربر ينادون عليه هذا جزاء قاضي النصارى مُسبب الفتنة ومعطي المشركين حصون المسلمين على ذلك رشوة ، وهو لا يترك الرد عليهم والتكذيب لهم ، فأدخل على المستعين وهو بهذه الحالة فأكثر في توبيخه وأمر بصلبه وهم بذلك فأحضر للصلب والبربر ينتظرون تنفيذ العقوبة ، فترادفت الشفاعات فيه من قبل بعض الفقهاء والعلماء فشفعوا له ورفَع الصلب عنه والمثلة فيه ، فمكث في سجنه إلى أن مات سنة ٤٠٤هـ / ١٠١٤م^(٨٤) .

تدهورت أحوال الأندلس وساء وضعها ، وضعفت مؤسسة الخلافة، وكثرت المؤامرات والفتن والاغتيالات فقد أُغتيل علي بن حمود^(٨٥) سنة ٤٠٧هـ / ١٠١٦م ، على يد صبيين من الصقالبة^(٨٦) ، وأن كان ابن بسام يذكر أن ثلاثة من الصقالبة هم من أغتالوا علي بن حمود ونفذوا القتل به بعد أن أغلقوا الحمام عليه وقتل داخل الحمام ، وقبض عليهم وعذبوا عذاباً شديداً ثم قُتلوا صلباً^(٨٧) .

وقد تُدبر بعض المؤامرات للإطاحة بالحاكم للسيطرة على مقاليد الحكم ، لكن قد تفشل هذه المؤامرات وينجو الحاكم ويقع المتآمرون في قبضة الحاكم فينتقم منهم ويفتك بهم فيعذبوا ويصلبوا ، وخير مثال على ذلك أن مؤامرة دبّرت لقتل عبد الملك بن هذيل بن رزين^(٨٨) سنة ٤٩٣هـ / ١٠٩٩م ، لكنها فشلت وقُبض على المتآمرين وهم صهره عبيد الله القائم ، وأبنة وعذبوا عذاباً شديداً فقطعت يدي ورجلي عبيد الله وسُملت عيناه وُصَلب ، أما أبنة فاكتفى بقطع رجله وأُخلى سبيله^(٨٩) .

سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٣م أفضى الأمر إلى الأمير تاشفين بن علي (٥٣٧-٥٣٩هـ / ١١٤٣-١١٤٥م)^(٩٠) ، وتقلد أمره جيش المرابطين ، فواجه خطر دعوة الموحدين وأشتبك معهم في معاركٍ وحروبٍ هُزم فيها جيش تاشفين ، إذ سيطر الموحدون على أرجاء كبيرة من بلاد المغرب الأمر الذي دفع تاشفين للهروب إلى بلاد الأندلس وبصحبتِه نفرٌ من خاصته فخرجوا ليلاً وأضلهم الورع وبددتهم الأوعار فمنهم من قُتل ، ومنهم من لحق بالقطائع البحرية فتدهور حال تاشفين إلى أن وجد ميتاً وجاء به الموحدين ومثلوا بجنته وصلبوه رغم موته ، وكان ذلك سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م^(٩١) . وهنا نجد ثمة مفارقة كبيرة على المستوى التطبيقي بين شعار الموحدين الذين جاءوا به وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبين هذا الفعل المخالف للشرع وأخلاق الإسلام، متجاوزين حدود الله وتعاليم

الإسلام الأمر الذي يدل على أنهم جاءوا بفكر عقابي وسلطوي لأجل تخويف الناس ، وبث روح الرعب والفرع بين بقايا المرابطين وفرض سلطانهم بمبدأ القوة والتسلط .

تدهورت أحوال دولة المرابطين وساء وضع فقهاء الأندلس وعلمائها حيث توفي القاضي حمدين بن حمدين وكان من فقهاء الأندلس وقضاتها المشهورين ، وكان ذا رواية ودراية وعناية بالعلم سطع نجمه بعد اختلال أمر المرابطين وتدهور أحوالهم فتقلد مناصب في القضاء وتوفي سنة ١١٥٢ هـ / ١١٥٢ م ، وبعد وفاته نُبش قبره وأُخرج ومثل بجثته وُصَلب في اثني عشر رجلاً من أصحابه^(٩٢). وهنا يتضح مدى الإسراف في العقوبة والحقد الدفين الذي دفع أصحاب القرار ، بالتجاوز على حرمة القبور والتعدي على الموتى مخالفين حدود الشرع والدين الإسلامي .

وفي حادثة مشابهة لما ذُكر أمر الخليفة المستنصر الموحي (٦١١-٦٢٠هـ/١٣١٣-١٢٢٤م)^(٩٣)، بضرب المدعو ابن غالب الداني^(٩٤) ألف سوط وصلبه، فُضِرَب بأشبيلية وفاضت روحه إلا أن الخليفة أصر على إتمام العقوبة وتطبيقها، فُضِرَب خمسمائة سوطٍ أخرى فتناثر لحمه وهو ميت ثم صُلب^(٩٥). ولعل ذلك خير دليل على معالم الوحشية وروح الحقد والانتقام على الضحية.

٢- الصلب لأسباب فكرية وعقدية .

لم تكن بلاد الأندلس بعيدة عن شيوع ظاهرة الزندقة وانتشارها في أوساط المجتمع الأندلسي إذ تجدر الإشارة أن أغلب الحركات الدينية كانت تهدف للخروج عن عقيدة المذهب المالكي ، وتحويل هذه الحركات إلى تكتلات سياسية استهدفت نظام الحكم في الأندلس . فالأندلس كما هو معروف عنها تعتبر من أهم مراكز المذهب المالكي وأهلها لا يعرفون إلا كتاب الله وموطأ مالك فإن ظفروا بحنفي أو شافعي نفوه ، وأن عثروا على معتزلي أو شيعي ربما قتلوه^(٩٦) . لذلك شاع المذهب المالكي وانتشر في أوساط المجتمع الأندلسي ، ومن يُتهم بمخالفة آراءه وتعاليمه (المذهب المالكي) ، يُتهم بالزندقة ويُعاقب أحياناً بالإعدام صلباً إذ لم تسلم أي فئة من فئات المجتمع من عقوبة الصلب ، ونال الفقهاء وعلماء الأندلس وعامة الناس نصيبهم من هذه العقوبة نتيجة لأرائهم ومبنياتهم الفكرية والعقدية .

لقد كان الاتهام بالزندقة وجهاً من وجوه الصراع الفكري والعقدي في الأندلس لاسيما بين الحركات الدينية وسلطة الدولة ، إذ كثيراً ما كانت السلطة تلجأ إلى اتخاذ أقسى العقوبات ضد كل من يُتهم بالزندقة ليُشاع بين الناس أنّ السلطة تُدافع عن الدين ظاهراً ، ولتضمن بقاءها وسيطرتها في الحكم باطناً تدعمها سلطة فقهاء المالكية الذين اشتهروا بتشددهم الكبير إزاء مظاهر الزندقة والاعتزال والاشتغال بعلم الكلام . وقد سجلت حوادث الأندلس تنفيذ عقوبة الصلب ضد من أُتهموا بالزندقة ففي سنة ٢٠٦هـ / ٨٢١م قُتل يحيى بن زكريا الخشاب^(٩٧)، وُصِّلَ على خشبة كبيرة بعد أنّ أقر بعض الفقهاء عليه حكماً بالقتل نتيجة لاتهامه بالزندقة فدون هذا الحكم وأوصلوه إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ / ٨٢١-٨٥٢م)^(٩٨) فأمر بتنفيذ الحكم . فقتل يحيى بن زكريا وُصِّلَ على خشبة كبيرة وقبل تنفيذ الحكم كان يحيى يصرخ ويقول : ((أتقوا الله عز وجل في دمي فأني أشهد أنّ لا إله إلا الله وأنّ محمد رسول الله))^(٩٩) . ولعلّ يحيى لم يكن زنديقاً بل أُتهم بها لتصفيته سياسياً وفكرياً، لأنّ أفكاره كانت تشكل مصدر تهديد على سلطة الأمير فأراد تصفيته وإنهاء خطره .

في سنة ٢٣٧هـ / ٨٥١م ، ظهر رجل متدين يعمل مؤذن ومعلم في تعليم الدين والشريعة ، ينحدر من شرق الأندلس فأدعى النبوة وطرح نفسه كنبى مرسل ، وكان شعاره لاتغيير لخلق الله ، وقدم تأويلاً للقرآن فأمنت به جماعة من الناس ، وأخذ يشرع الشرائع فهى عن قص شعر الرأس وتقليم الأظافر ، وإزالة الشعر عن الجسم ، فبعث إليه الإمام يحيى بن خالد^(١٠٠) ، فجيء به فلما دخل عليه كان أول ما خاطبه به أنّ دعاه إلى إتباعه والأخذ بشرائعه فشاور فيه أهل العلم فأشاروا عليه بأنّ يتوب ، وأنّ رفض فمصيره القتل فأجابهم قائلاً : كيف أتوب من الحق الصحيح ؟ فأمر الإمام بصلبه فلما جيء به لتنفيذ الحكم أخذ يقول : أقتلون رجلاً أنّ يقول ربي الله ، فُصِّلَ وانتهت دعوته^(١٠١) . ولعلّ هذا الرجل كان يدعو إلى الزهد والتصوف ، وأنّه ظهر في وقت انتشرت فيه البدع في المعتقدات الدينية التي غذتها المذاهب والفرق الإسلامية المختلفة التي كانت منتشرة في المجتمع الأندلسي لا سيما التصوف . إذ أخذ إتباعه يبتعدون عن بهرج الحياة وزينتها وآثروا العزلة والاعتكاف لعبادة الله ، ويؤسفنا أنّ المصادر التاريخية لم تمدنا بمعلومات كافية عن ديانة هذا

الرجل أو عن تأويلاته وتفسيره للآيات القرآنية ، وأنَّ أول من ذكره المؤرخ ابن حيان بسطورٍ مقتضبة ولم يستطع من جاء بعده من المؤرخين أن يذكروا معلومات تزيد عن ما ذكره ابن حيان .

سيطرَ محمد بن أبي عامر^(١٠٢) على مقاليد الحكم في الأندلس وبسط نفوذه على مفاصل الدولة كافة فحارب الزندقة والمتزندقين وكان عبد الملك بن منذر بن سعيد البلوطي^(١٠٣) ، ممن أتهم بالزندقة والاعتزال فقُبضَ عليه وسيقَ إلى المحكمة فحكم عليه بالقتل والصلب ، فُصلبَ على باب السدة سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م، وقيل سنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م^(١٠٤) . استناداً لما سبق قد يخضع الكل لعقوبة القتل والصلب مهما كانت مكانة الفرد الأمر الذي يدل على ظلم السلطة وتعسفها اتجاه الرعية وتعيدها لحدود الشرع ومبادئ الإسلام .

كذلك ظهر في الأندلس شخص يدعى أبي الخير الأشبيلي أتهم بالزندقة والإلحاد ، وأنه كان يسب النبي محمد (ص) وأصحابه ، ويقول أنَّ علي بن أبي طالب عليه السلام كان أحق بالنبوة من النبي محمد (ص)^(١٠٥) ، وسمع يقول أنَّ الخمر حلال ، وما كان أملي من الدنيا إلا خمسة آلاف فارس أدخل بهم الزهراء^(١٠٦) ، وأقتل من بها وأقوم فيها وقد ثبتت عليه شهادات عدة بما نُسب إليه من أقوال فأجمع القضاة على أنه مُلحد كافر وجب قتله ، ورفع حكمهم إلى الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م)^(١٠٧) ، فأمر بقتله وصلبه^(١٠٨) . وفيما يتعلق بتاريخ إعدام وصلب أبا الخير لم تُحدد المصادر التاريخية تاريخ إعدامه لكن من خلال الرجوع إلى سيرة الفقهاء الذين أصدروا حكمهم فيه يمكن القول أنَّ تنفيذ حكم الإعدام والصلب تم ما بين سنتي (٣٥٠-٣٥٢هـ/٩٦٠-٩٦٢م) أي بداية حكم الخليفة الحكم المستنصر .

ولعلَّه من المفيد أن نؤكد أنَّ المتأمل في قضية أبا الخير الأشبيلي يجد أنَّ الاتهام الموجه له هو الخروج عن الدين بأفعال توصف بالزندقة ، إلا أنَّ حقيقة الواقع تخفي وراء ذلك أمور أشد خطورة تستهدف نظام الحكم وإنهاءه .

واصلت السلطات الإسلامية في الأندلس تشدها في موضوع الزندقة والإلحاد ففي سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م ، طبقت عقوبة القتل والصلب ضد أحد الفقهاء يدعى عبد الله بن حاتم الأزدي الطليطلي فبعد أن كان مقبول الشهادة^(١٠٩) ، عالي القدر شهد عليه ستين شاهداً على أنه كان يقوه بعبارات التهكم والسخرية بحق الصحابة وأمّهات المؤمنين ، والاستخفاف بالنبي محمد (ص) ، وكان

ينكر وجوب الغسل من الجنابة ، وينكر الإيمان بالقضاء والقدر ، وقد أحدثت آراءه ضجة كبيرة بين أوساط المجتمع الأندلسي لذلك أجمع قضاة طليطلة على قتله وصلبه وكتبوا بذلك إلى قضاة الأندلس كافة ، فألقي القبض عليه وسيق إلى السجن ثم أخرج وصلب وطعن بالرمح^(١١٠) .

٣- الصلب كعقوبة لجريمة الحرابة .

لم تزودنا المصادر التاريخية التي عُنيت بتدوين تاريخ الأندلس بمعلومات كافية حول استخدام عقوبة الصلب كرادع لمن يرتكب جريمة الحرابة في الأندلس ، إذ لم نعثر على شواهد تاريخية تُمدنا بمعلومات للكتابة في هذا الأمر ، وكل ما وقع بأيدينا هو حادثة واحدة أُستخدمت فيها عقوبة الصلب ضد شخص أُتهم بالحرابة . وهذا ليس دليلًا كافٍ على أن اللصوصية والحرابة لم تكن منتشرة في المجتمع الأندلسي. إذ تجدر الإشارة أن قضاة الأندلس كانوا يحكمون على اللصوص بإحكام أقل من عقوبة الصلب .

في سنة ٣٣٧هـ / ٩٤٨م وتحديداً في حكومة الخليفة عبد الرحمن الناصر ، أُلقي القبض على شخص يُدعى علي بن عشرة وهو من أهل أشبونة^(١١١) ، وكان من المفسدين في الأندلس ، وأنهم بقطع السبل فأمسك به وعُذب عذاباً شديداً إذ قُطعت يده ورجلاه ثم صُلب وانتهى أمره^(١١٢) . ولا بد من التأكيد على أن الحكومات الإسلامية في الأندلس لم تتهاون في معاقبة المذنبين الذين يعملون على نشر الفساد في الأرض بسفك الدماء أو سلب الأموال أو هتك الإعراض ، أو نشر الرعب في قلوب الأمنيين فهذه الجرائم تُعد من جرائم الحرابة التي حاربتها الحكومات الإسلامية في الأندلس وعاقبت من يقوم بارتكابها بالصلب ، أو بعقوبة أقل من ذلك كمحاولة منها للكف عن الجريمة والإفساد في الأرض وإصلاح المجتمع .

الخاتمة

١- لا يوجد مبرراً للقيام بهذه العقوبات سوى أن الحاكم الأندلسي يُعاني من حالة نفسية مضطربة ذو نزعة سادية موهلة بروح الجريمة ينتعش بالتشفي بالضحية والارتياح بمشاهدة المناظر الدموية والإجرامية .

٢- ارتبطت شخصية الحاكم الأندلسي بالسلطة والعنف الجسدي فتمخض عن ذلك الإيقاع بالرعية ومحاكمتهم لاسيما أولئك الذين يسعون للإطاحة بالحاكم أو النيل منه .

- ٣- يتضح أنّ ثمة انتقال قد حصل في الفكر العقابي السلطوي في الأندلس ، وأصبحت العقوبة تعتمد كإجراءٍ تأديبي ، ووسيلة لفرض هيبة الدولة وتأكيد قوتها .
- ٤- أغلب حكام الأندلس الذين لجئوا إلى إصدار عقوبة الصلب كانوا قد ابتعدوا عن تعاليم الدين الإسلامي ، فتأصلت فيهم روح الجريمة المروعة والحقد على الضحية .
- ٥- كلما اشتدت العقوبة أبتعد الناس عن الجريمة ، وكلما خفت العقوبة كلما ازداد الإقبال عليها الأمر الذي ألقى بضلاله على وضع المجتمع الأندلسي وأمانه .
- ٦- لم يكثر حكام الأندلس لحياة المناوئين أو المعارضين لهم إذ أنّهم بالغوا في تطبيق العقوبات التي طالت كل من يُعارض أفكارهم أو تطلعاتهم أو يهدد سلطانهم وأنّ تطلب الأمر قطع رؤوس فلذات أكبادهم وصلبهم فأنهم لم يتوانوا عن ذلك فأصبح ذلك أمراً مألوفاً شهده البلاط الأندلسي ، وحفلت به الروايات التاريخية .
- ٧- لم تراعى تعاليم الإسلام وتشريعاته العادلة في تطبيق العقوبات لا سيما عقوبة الصلب في الأندلس . إذ كيف تُترك جثة ميت مصلوباً على خشبة لعدة شهور أو سنين دون أن يُدفن ؟ ولعلّ القصد من ذلك ليكون المصلوب عبرة للآخرين، أو لكل من تسول له نفسه بمعارضة السلطان، أو الخروج عن طاعته .
- ٨- تشددت السلطات الإسلامية في الأندلس بمعاينة اللصوص وقطاع الطرق وشذاذ الآفاق ، واعتبرت جرائمهم من الحرابة ووقفت بكل حزم وجرأة ضد من يقوم بهذه الجرائم ، لذلك لا مناص من القول أنّ هذه السلطات حرصت على معاقبة كل من يرتكب هذه الأفعال بعقوبات صارمة قد تكون أقل من عقوبة الصلب .

الهوامش

- (١) الوردي ، وعاظ السلاطين ، ص ٣٠ .
- (٢) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ١٣٧ ؛ بوباية ، التنفيذ القسري ، ص ١٢٢ .
- (٣) ابن حيان ، المقتبس (تحقيق شالميتا) ، ٣٧ / ٥ ؛ ابن حزم ، رسائل ابن حزم ، ٧٦/٢ .
- (٤) مصطفى ، المعجم الوسيط ، ٩١٨/١ .
- (٥) مذکور ، المعجم الفلسفي ، ص ٩٨ .
- (٦) الكيالي ، موسوعة السياسة ، ٢١٥/٣ .

- (٧) ابن الأثير ، النهاية ، ٥٨٩/٣ .
- (٨) ابن منظور ، لسان العرب ، ٤ / ٣١٣٢ - ٣١٣٣ .
- (٩) الأتروشي ، العنف أسبابه وعلاجه ، ص ٢٦٢ .
- (١٠) الراغب الأصفهاني ، مفردات غريب القرآن ، ٢٨٤/١ .
- (١١) طه ، الآية / ٧١ .
- (١٢) علي ، المفصل ، ٢٥٧/١ .
- (١٣) المائدة / الآية ٣٣ .
- (١٤) السعدي ، تيسير الكريم ، ٢٢٩/١ .
- (١٥) الكاساني ، بدائع الصنائع ، ١٥٠/٤ .
- (١٦) يوسف ، الآية / ٤١ .
- (١٧) الطبري ، جامع البيان ، ١٠٧/١٦ .
- (١٨) طه / الآية ، ٧١ .
- (١٩) الطبري ، جامع البيان ، ٣٣٨/١٨ .
- (٢٠) النساء ، الآية / ١٥٧ .
- (٢١) البغوي ، معالم التنزيل ، ٣٠٦/٢ ؛ السعدي ، تيسير الكريم ، ٢١٣/١ .
- (٢٢) البقرة / ١٧٩ .
- (٢٣) بوالدية ، البيئة في بلاد الأندلس ، ص ١١٥ .
- (٢٤) بوباية ، التنفيذ القسري ، ص ١١٣ .
- (٢٥) بوباية ، التنفيذ القسري ، ص ١١٦ .
- (٢٦) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ١٥٩/١ .
- (٢٧) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ١٥٩/١ .
- (٢٨) الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان يكنى أبا العاص أمه أم ولد اسمها زخرف وكان طاغياً مسرفاً وله آثار سوءٍ قبيحة وهو الذي أوقع بأهل الريض الواقعة المشهورة الواقعة الريض فقتلهم وهدم دورهم ومساجدهم فسمي بالحكم الربضي. توفي سنة ٢٠٦ هـ . ينظر: الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ١٠؛ ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ٤٣-٤٤ .
- (٢٩) أبو بكر الطرطوشي : محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري ، فقيه وإمام محدث ثقة زاهد فاضل عالم ، عامل رحل إلى العراق وقد تفقه بالأندلس وصحب أبا الوليد الباجي ، رحل إلى المشرق فحج ودخل الى بغداد والبصرة وسكن الشام ، له مؤلفات كثيرة منها سراج الملوك الفه في مجلس كان بينه وبين صاحب مصر ، كذلك يذكر أنه كان اوحد زمانه علماً وورعاً وزهداً لم يتشبه في الدنيا بشيء إلى أن توفي سنة ٥٢٥ هـ . ينظر . الضبي ، بغية الملتبس، ترجمة رقم (٢٩٥)، ص ١٣٥-١٣٨؛ ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ٢/ترجمة رقم (٦١٣) ، ص ٤٢٤ .
- (٣٠) سراج الملوك ، ٩٧/١ .

- (٣١) ابن حيان ، المقتبس (تحقيق شالميتا) ، ٥ / ٣٧ ؛ ابن حزم ، رسائل ابن حزم ، ٧٦/٢ .
- (٣٢) حنه ، في العنف ، ص ٣٢ ؛ بويابه ، التنفيذ القسري ، ص ١١٧ .
- (٣٣) رقية ، الآفات الاجتماعية ، ص ٢٧١ .
- (٣٤) المقرئ ، نفح الطيب ، ٢١٩/١ - ٢٢٠ .
- (٣٥) زياد بن عمرو اللخمي لم أجد تعريفاً له في كتب التراجم .
- (٣٦) سبته : مدينة عظيمة على الخليج الرومي المعروف بالزقاق، وهو أول البحر الشامي المنتهي إلى مدينة صور من أرض الشام، وهي تقابل الجزيرة الخضراء ، وليس لها إلى البر غير طريق واحدة من ناحية الغرب لو شاء أهلها أن يقطعوه قطعه، ولها بابان أحدهما محدث، ولها من جهات البحر أبواب كثيرة . ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص ٣٠٣ .
- (٣٧) بلج بن بشر القشيري: احد القادة الذين أرسلهم الخليفة هشام بن عبد الملك للقضاء على ثورة البربر في بلاد المغرب عام ١٢٢هـ، وكان هشام قد عين كلثوم بن عياض القيسي وهو عم بلج بن بشر قائداً أعلى لذلك الجيش، وأوصى بان يكون بلج خليفة لعمه أن هو قُتل في المعركة، وقد كان ذلك إذ استطاع البربر هزيمة ذلك الجيش وإلجأوه الى مدينة سبته ومحاصرته هناك، إلا أن بلج ومن معه استطاعوا العبور إلى الأندلس والخلص من أيدي البربر . ينظر : ابن القوطية، تاريخ أفتتاح الأندلس، ص ٣٩ وما بعدها؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣١/٢ وما بعدها .
- (٣٨) عبد الملك بن قطن بن عصمة بن أنيس بن عبد الله بن جحوان بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر الفهري، أمير الأندلس، ولها سنة خمس عشرة ومائة بعد عبد الرحمن العكي من قبل عبيدة بن عبد الرحمن القيسي الأمير بإفريقية، وقتل بالأندلس سنة ١٢٥هـ . ينظر . الحميدي ، جذوة المقتبس ، ترجمة رقم (٦٣٨) ، ص ٢٨٧ . الضبي ، بغية الملتبس ، ترجمة رقم (١٠٧٨) ، ص ٣٨٢ .
- (٣٩) المقرئ ، نفح الطيب ، ٢٠/٣ .
- (٤٠) قرطبة : قاعدة الأندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها وآثارهم بها ظاهرة، وفضائل قرطبة ومناقب خلفائها أشهر من أن تذكر، وهم أعلام البلاد وأعيان الناس، اشتهروا بصحة المذهب وطيب المكسب وحسن الزي وعلو الهمة وجميل الأخلاق، وكان فيها أعلام العلماء وسادات الفضلاء، وتجارها مياسير وأحوالهم واسعة، وهي في ذاتها مدن خمس يتلو بعضها بعضاً، وبين المدينة والمدينة سور حاجز، وفي كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات . ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص ٤٥٦ .
- (٤١) مجهول . أخبار مجموعة ، ص ٤٥ ؛ مجهول ، فتح الأندلس ، ص ٥٦-٥٧ ؛ المقرئ ، نفح الطيب ، ٢٠/٣ .
- (٤٢) هشام بن عذرة الفهري : ثائر أندلسي وهو من بني عم يوسف بن عبد الرحمن الفهري ثار بطليطلة فحاصره الأمير عبد الرحمن وشدّد عليه الحصار وأنهى ثورته سنة ١٤٧هـ . ينظر : النويري ، نهاية الإرب ، ١٩٩ / ٢٣ .
- (٤٣) طليطلة : مدينة بالأندلس بينها وبين البرج المعروف بوادي الحجارة خمسة وستون ميلاً ، وهي مركز لجميع بلاد الأندلس لأن منها إلى قرطبة تسع مراحل، ومنها إلى بلنسية تسع مراحل أيضاً ومنها إلى المرية في البحر الشامي تسع مراحل أيضاً . ينظر الحميري ، الروض المعطار ، ص ٣٩٣ .
- (٤٤) عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، أول من دخل الأندلس من بني أمية بعد أن هرب من جيوش بني العباس إلى المغرب وتردد بنواحي إفريقية وأقام دهرًا في أخواله بني نفرة ، ثم عبر إلى الأندلس في

ربيع الأول سنة ١٣٨ هـ ، وهزم أميرها يوسف الفهري ، وأقام الإمارة الأموية في الأندلس ، لقب بألقاب منها : الداخل ، صقر قریش ، أبو زيد وقيل أبو سليمان وكنيته الأشهر أبو المطرف ، توفي سنة ١٧١ هـ . ينظر ، ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ١/٣٥-٤٢ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ١/٢٨٢ .

(٤٥) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٩٢-٩٣ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢/٥٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٥/١٤٦ ؛ النويري ، نهاية الإرب ، ٢٣/١٩٩ .

(٤٦) غالب بن تمام : لم أجد تعريفاً له سوا ما ذكره ابن الفرضي بالقول أنه من أهل البيرة: سَمِعَ بِرُطْبَةَ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ خَالِدٍ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ قَاسِمٍ . وَسَمِعَ مِنْ مُحَمَّدَ بْنَ فُطَيْسٍ . يَنْظُرُ : ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ترجمة رقم (١٠١٩) ، ص ٢٧٣ .

(٤٧) ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ١/١٤٣ - ١٤٤ .

(٤٨) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٦٨ ؛ ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص ٤٢٩ ؛ مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٣١ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢/٧١ ؛ طقوش ، تاريخ المسلمين في الأندلس ، ص ١٨٩-١٩٠ ؛ نعنعي ، تاريخ الدولة الأموية ، ص ١٩٢-١٩٣ .

(٤٩) لم أجد لهما تعريفاً في كتب التراجم .

(٥٠) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٦٩ .

(٥١) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٦٧ ؛ مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٣٢ .

(٥٢) أعمال الأعلام ، ص ١٥ .

(٥٣) باب القنطرة: باب من أبواب سور قرطبة، وكان قريباً من القنطرة والمراد قنطرة الوادي، وهي القنطرة التي كانت تصل قرطبة بربضها الواقع على الضفة الأخرى للنهر. ينظر ابن الأبار، الحلة السيرة، ١/ هامش رقم (١)، ص ٤٤

(٥٤) ابن الأبار، الحلة السيرة، ١/٤٤؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص ٢٢٤؛ العلي، الاغتيالات السياسية، ص ١١٤ .

(٥٥) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٣٣ ؛ العلي ، الاغتيالات السياسية ، ص ١١٤-١١٥ .

(٥٦) الأمير المنذر بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، وهو الوارث لسلطان أبيه بعده ، أشتهر بزده وولعه في الأدب وعطوله من حليته، يعجب بالشعر ويفضل أهله، ويرغب في المديح ، لم تطل مدة حكمه سوا سنتين فقط (٢٧٣-٢٧٥ هـ) . ينظر . المقري ، نفح الطيب ، ١/٣٥٢ .

(٥٧) عمر بن حفصون: أحد أشهر معارضي سلطة الأمويين في الأندلس عاصر ابن حفصون في ثورته أربعة من الأمراء الأمويين، بدءاً من سنة ٢٦٧ هـ، في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن وحتى عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر وسيطر خلالها على مناطق كبيرة في جنوب الأندلس، ولاقت حركته ترحيب من أعداد كبيرة من سكان تلك المناطق من المولدين والمستعربين، وقاومتها سلطات الدولة بجزم إلى أن أنهى عبد الرحمن الناصر حركة ابن حفصون وخلفائه تماماً سنة ٣١٦ هـ، بعد عشر سنوات على وفاة عمر بن حفصون نفسه. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص ٤٧٦؛ الضبي، بغية الملتبس، ص ٤٠؛ ابن الخطيب، إعمال الأعلام، ص ٣١-٣٣؛ الحريري، حركات المولدين، ص ٨٥ .

(٥٨) أرجذونة: مدينة بالأندلس وهي قاعدة كورة ريه ومنزل الولاية والعمال، وهي بقلي قرطبة تسقي أرضها وتطرد في نواحيها عيون غزار وأنهار كبار وهي برية بحرية، سهلها واسع وجبلها مانع وسورها الآن مهدوم، ولها حصن فوق المدينة ولها مدن كثيرة وبها آثار قديمة، ومن مدنها مالقة بينهما ثمانية وعشرون ميلاً. الحميري، الروض المعطار، ص ٢٥ .

(٥٩) البيان المغرب ، ٢ / ١١٧ .

(٦٠) البيان المغرب ، ٢ / ١١٦-١١٧ .

(٦١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢ / ١٣٩ .

(٦٢) عبد الرحمن الناصر : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، أمه أم ولد رومية تسمى مزنة ، ولد في سنة ٢٧٧هـ ، كنيته أبو المطرف ، لقبه الناصر لدين الله ، نقش خاتمه عبد الرحمن بقضاء الله راضي ، ولي بعد وفاة جده الأمير عبد الله ، وكان والده قد قتله أخوه المطرف بن عبد الله ، وكان عبد الرحمن شهماً جواداً كريماً فصيح اللسان قاهر اللغات خطيباً بليغاً شاعراً مجيداً صارماً ، وهو أول من تسمى بأمرير المؤمنين من بني أمية في الأندلس ، بايعه أهل قرطبة وأعلن الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٣١٦هـ . وتوفي سنة ٣٥٠هـ . ينظر: ابن حيان، المقتبس (تحقيق شالميتا) ٥ / ١٣ وما بعدها؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص ١٢؛ الضبي، بغية الملتمس، ص ١٧؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٥٩-١٦٠ .

(٦٣) مكّي ، تاريخ الأندلس ، ص ٨٣ .

(٦٤) ابن حيان ، المقتبس (تحقيق شالميتا) ، ٥ / ١١٥-١٣٨ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢ / ١٧١ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٣٠-٣٤ ؛ السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم ، ص ١٥٤ .

(٦٥) ابن حيان ، المقتبس (تحقيق شالميتا) ، ٥ / ١٣٠ ؛ السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم ، ص ١٥٥ .

(٦٦) بريشتر : مدينة من بلاد بريطانيا بالأندلس، وهي حصن على نهر مخرجه من عين قريبة منها، تُعد من أمهات مدن الثغر الفاتحة في الحصانة والامتاع وقد غزاها على غرة وقلعة عدد من أهلها وعدة، أهل غاليش والروذمانون وكان عليهم رئيس يسمى ألبيطش، وكان في عسكره نحو أربعين ألف فارس فحصرها أربعين يوماً حتى افتتحها وذلك في سنة ٤٥٦هـ فقتلوا ستة آلاف من رجالها وسبوا فيها من ذراري المسلمين ونسائهم ما لا يحصى كثرة، ويذكر أنهم اختاروا من أبنائك جوارى المسلمين وأهل الحسن منهن خمسة آلاف جارية فأهدوهن إلى صاحب القسطنطينية، وأصابوا فيها من الأموال ما يعجز عن الوصف . ينظر : ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثالث ، المجلد الأول، ص ١٧٩ وما بعدها؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ٩٠ .

(٦٧) حصن طرش : لم أجد تعريفاً لها سوا ما ذكره الحموي بالقول ناحية بالأندلس تشتمل على ولاية وقرى كثيرة . الحموي ، معجم البلدان ، ٤ / ٢٩ .

(٦٨) أبذة : مدينة بالأندلس، وهي حصن على واد بقرب أقليش، وعلى وادي أبذة عدة كثيرة من الأجزاء، ويجري هذا النهر على عدة كثيرة من القرى فيسقيها، ويقرب وبذة قرية يقال لها بنتيج أهلها نصارى ينعقد ماؤها في الإناء فيصير حجراً أصفر، وكذلك أين ما جرى، وينعقد على أسنان أهلها. ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص ٦٠٧ .

(٦٨) المقرئ ، نفع الطيب ، ٣ / ٢١٧ .

- (٦٩) ابن حيان، المقتبس، (تحقيق شالميتا)، ٥ / ١٣٢-١٣٣؛ ابن حزم، رسائل ابن حزم، ٢ / هامش رقم (٣)، ص ٨٩
- (٧٠) ابن حيان، (تحقيق شالميتا)، ٥ / ١٦٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢ / ١٨٠؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٣٣
- (٧١) بدر، تاريخ الأندلس عصر الخلافة، ص ١٠؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم، ص ١٥٥ .
- (٧٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٢٤-١٢٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢ / ١٩٢؛ بدر، تاريخ الأندلس عصر الخلافة، ص ١٠ .
- (٧٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢ / ١٩١ .
- (٧٤) ابن حيان، المقتبس (تحقيق شالميتا)، ٥ / ٢٣٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢ / ١٩٦؛ بدر، تاريخ الأندلس عصر الخلافة، ص ١٠-١١؛ مجهول، تاريخ عبد الرحمن الناصر، ص ٥٤ .
- (٧٥) ابن حيان، المقتبس (تحقيق شالميتا)، ٥ / ٤٥٦ .
- (٧٦) لم أجد تعريفاً له في كتب التراجم .
- (٧٧) ابن حيان، المقتبس، (تحقيق شالميتا)، ٥ / ٤٤٥ .
- (٧٨) عبد الرحمن شنجول: قام بالأمر بعده أخيه المظفر، وتلقب بالناصر لدين الله، وقيل: بالمأمون، وجرى على سنن أبيه وأخيه في الحجر على الخليفة هشام، والاستبداد عليه والاستقلال بالملك دونه، ثم ثاب له رأي في الاستئثار بما بقي من رسوم الخلافة، فطلب من هشام المؤيد أن يوليئه عهده فأجاب، وأحضر لذلك أرباب الشورى وأهل الحل والعقد، فكان يوماً مشهوداً، فكتب عهده من إنشاء أبي حفص بن برد . ينظر: المقري، فنج الطيب، ١ / ٤٢٤ .
- (٧٩) الحميدي، جذوة المقتبس، ص ١٧؛ الضبي، بغية الملتمس، ص ٢١؛ ابن الأبار، الحلة السرياء، ٢ / ٥-٦؛ المقري، فنج الطيب، ١ / ٥٧٦ .
- (٨٠) محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ثار على الخليفة هشام المؤيد سنة ٣٩٩هـ، فخلعه وتسمى بالمهدي، وبقي كذلك إلى أن ثار عليه هشام بن سليمان مع البربر، فحاربه المهدي مع عامة أهل قرطبة فانهمز البربر، وأسر هشام بن سليمان، فأتى إلى المهدي فضرب عنقه، ينظر . الضبي، بغية الملتمس، ص ٢٢؛ المقري، فنج الطيب، ١ / ٤٢٦ .
- (٨١) ابن بشكوال، الصلة، ١ / ترجمه رقم (٤٠)، ص ٢٥ .
- (٨٢) أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن بن وافد اللخمي. ولي القضاء سنة ٤٠١هـ فاستقل به خير استقلال، على ما كان بذلك الزمان من فتن واعتلال. وكان آخر كملاء القضاة بالأندلس علماء، وهدياً، ورجاحة، ودينياً جامعاً لخلال الفضل تقلد الشورى بعهد العامرية، فكان ميرزاً في أهلها، وتقلد الصلاة بالزهراء مدة، وكان ضحية للفتنة القرطبية وتوفي سنة ٤٠٤هـ. ينظر: ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ١ / ١٥٥-١٥٧؛ النباهي، المرقبة العليا، ص ٨٨-٨٩ .
- (٨٣) سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، ابن أخو هشام المؤيد، قام سليمان بثورة كبرى سنة ٣٩٩هـ، وتلقب بالمستعين بالله، ثم دخل قرطبة سنة ٤٠٠هـ، وتلقب حينئذ بالظافر بحول الله مضافاً إلى المستعين، ثم خرج عنها يجول بعساكر البربر في بلاد الأندلس، يفسد وينهب، ويقفر المدائن والقرى بالسيف والغارة، قُتل علي

السلطة والعنف ورهانات الإصلاح في الأندلس قرابة في عقوبة الصلب

(١٢٣-١٥٦٢٠/٧٤-١٢٢٣م)

أ.م.م. و قاسم عبد سعرون الحسيني

- بن حمود سنة ٤٠٧ هـ ، وكان في جملة جنده ، فقتله بيده وقتل معه أباه حكم بن سليمان وأخاه عبد الرحمن. ينظر الحميدي، جذوة المقتبس ، ص ٧؛ الضبي ، بغية الملتبس، ص ٢٤-٢٥ ؛ ابن الأبار، الحلة السيرة ، ٧-٥ .
- (٨٤) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ٢٢ ؛ ابن سعيد ، المغرب في حلي المغرب ، ١٥٧-١٥٥/١ ؛ النباهي ، المرقبة العليا ، ص ٨٨-٨٩ ؛ أبو زيد ، سببية الموت ، ص ٢٥٥ .
- (٨٥) علي بن حمود علي بن حمود الناصر تسمى بالخلافة، وتلقب بالناصر، ثم اختلف عليه العبيد الذين كانوا بايعوه وقدموا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك، بن عبد الرحمن الناصر، وسموه المرتضى، وزحفوا إلى غرناطة ثم ندموا على إقامته لما رأوا من صرامته، وخافوا عواقب تمكنه وقدرته، فانهزموا عنه، وديروا مؤامرة لقتله على يد الصقالبة سنة ٤٠٨ هـ. ينظر : الضبي ، بغية الملتبس، ص ٢٧ ؛ المقري ، نفع الطيب ، ٤٣١/١ .
- (٨٦) المراكشي ، المعجب ، ص ٩٨ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ١٢٩ ؛
- (٨٧) الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الأول ، ص ١٠١ .
- (٨٨) عبد الملك بن هذيل بن رزين عبد الملك بن هذيل بن رزين ذو الرياستين حسام الدولة أبو مروان ولي بعد أبيه الحاجب عز الدولة أبي محمد هذيل بن عبد الملك بن خلف ابن لب بن رزين شنتمرية الشرق موضع إمارة سلفه، وكان ظهورهم في سنة إحدى وأربعمئة، أول افتراق الجماعة وانبعاث الفتنة، ويعرفون ببني الأصلح، وانتمأؤهم في هواره . ينظر . ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ١٠٨ / ٢ .
- (٨٩) ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ١١٤-١١٥ / ٢ .
- (٩٠) تاشفين بن علي بن يوسفين تاشفين أمير المسلمين تولى أمرة جيش المرابطين بتكليف من أبيه علي، وأوكل إليه مهمة التصدي للموحدين والقضاء عليهم ، لكنه لم يفلح في ذلك ، إذ وقعت الكثير من المعارك بينهم كانت الغلبة في معظمها للموحدين إذ لم يكن الأمير تاشفين بالقيادي المحنك الذي يستطيع تحقيق الانتصار على الموحدية أو القضاء عليهم حتى تمكن الموحدية من الإمساك به وقتله سنة ٥٣٩ هـ. ينظر : البيهقي ، أخبار المهدي ، ص ٥٦ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب (قسم الموحدية) ، ص ١٥ ؛ ١٠٠/٤ .
- (٩١) ابن عذاري ، البيان المغرب (قسم الموحدية) ، ص ١٩-٢٠ ؛ ابن الخطيب ، الإحاطة ، ٤٥٣ - ٤٥٤ ؛ الناصري ، الاستقصا ، ٩٤-٩٥ / ٢ .
- (٩٢) النباهي ، المرقبة العليا ، ص ١٠٣-١٠٤ .
- (٩٣) المستنصر الموحدية : أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق، الملقب بالمنصور، وكان حاكماً صالحاً، سليم الصدر ، ظاهر السذاجة مخفوض الجناح، شارعاً أبواب الدالة عليه منهم، أشبه بالشيوخ منه بالملوك، وهو الذي استولى على ملك الموحدية، واجتث وجودهم، وورث سلطانهم، واجتاز إلى الأندلس، أكثر من ثلاث مرات . ينظر: ابن الخطيب ، الإحاطة ، ٥٦٢/١ .
- (٩٤) ابن غالب الداني : لم أجد تعريفاً له في كتب التراجم . لكن يبدو من سياق الأحداث أنه شخصية ذو تأثير سياسي أضر بسطان الموحدية فكانت خاتمة حياته الموت جلدًا وصلباً .
- (٩٥) المقري ، نفع الطيب ، ٣١٠/٣ ؛ دندش ، من مظاهر الحياة الاجتماعية ، ص ١١٠ .
- (٩٦) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٢٣١ .
- (٩٧) لم أجد تعريفاً له في كتب التراجم .

(٩٨) عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ، المكنى بأبي المطرف ، ويسمى بالأوسط ، أمه تسمى حلاوة ، نقش خاتمه عبد الرحمن بقضاء الله راضٍ ، ببيع بعد موت أبيه بيوم واحد وذلك يوم الخميس لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٢٠٦هـ/٨٢١م، استمر حكمه ثلاث وعشرين سنة وتسعة أشهر وتوفي يوم الخميس لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة ٢٣٨هـ / ٨٥٢م. ينظر : المراكشي ، المعجب ، ص٤٨ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢/٨٠-٨١ (٩٩) الخشني، قضاة قرطبة، ص١٣٣؛ النباهي، المرعبة العليا، ص٥٥-٥٦؛ العلي، الاغتيالات السياسية، ص١١٥.

(١٠٠) لم أجد تعريفاً له في كتب التراجم .

(١٠١) ابن حيان . المقتبس تحقيق محمود علي مكي ، ص١٥٧ ؛ ابن سعيد ، المغرب في حلي المغرب ، ١/٥٠ ؛ مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص١٤٥ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢/٩٠ .

(١٠٢) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافيري، أمير الأندلس في دولة المؤيد بالله هشام بن الحكم المستنصر بالله، والغالب عليه. أصله من الجزيرة الخضراء، ولسلفه بها قدر ونباهة، وقدم قرطبة شاباً، فطلب بها العلم والأدب وسمع الحديث... وكانت للمنصور همة ترمى به المرامي، ويحدث نفسه بإدراك معالي الأمور، ويزيد في ذلك حتى كان يحدث من يختص به بما يقع له من ذلك، فتم له مراده. ينظر: ابن بسام، الذخيرة، القسم الرابع، المجلد الأول، ص٥٦-٥٧؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١١٥؛ المراكشي، المعجب، ص٣٦.

(١٠٣) عبد الملك بن منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم ابن عبد الله بن نجیح: من أهل قرطبة؛ يكتى: أبا مروان ولد سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة، سمع من أبيه ومن غيره وولّي خُطّة الرّد، وأمّثجن بالذي عُرّي إليه: من النكتُ فضلب على باب سُدة السلطان يوم الخُميس للنصف من جمادي الآخرة سنة ٣٦٨هـ. ينظر: ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ترجمة رقم (٨٢٣) ، ص٣١٧ .

(١٠٤) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ١/ ترجمة رقم (٨٢٣) ، ص٢٢٤ ؛ ابن حزم ، رسائل ابن حزم ، ١/١٥٧ ؛ ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ١/٢٧٩-٢٨٠ .

(١٠٥) ابن سهل ، ديوان الأحكام ، ص٧١٦ .

(١٠٦) الزهراء: مدينة في غربي قرطبة بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر، بينها وبين قرطبة خمسة أميال وكانت قائمة الذات بأسوارها ورسوم قصورها، وفيها قوم سكان بأهاليهم وذريتهم، وكانت في ذاتها عظيمة. ينظر. الحميري، الروض المعطار ، ص٢٩٥ .

(١٠٧) الحكم المستنصر : هو الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الأموي كنيته ابو المطرف او ابو العاص لقبه المستنصر بالله وقيل ان الخليفة الناصر هو الذي لقبه بهذا اللقب منذ صغره . ولد في الرابع والعشرين من شهر جمادي الآخرة سنة ٣٠٢هـ/التاسع من كانون الثاني سنة ٩٢٤م . ابن حيان ، المقتبس (تحقيق شالميتا) ، ١/٥٠١ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص١٣-١٧ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ص٣٥٨ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص١٤ .

(١٠٨) ابن سهل، ديوان الأحكام، ص٧٢٠؛ خلاف، ثلاث وثائق، ص٥٧ وما بعدها؛ محمد، تاريخ الدعوة ، ص١٤٧-

(١٠٩) ابن سهل ، ديوان الأحكام ، ص ٧١٠ .

(١١٠) ابن سهل، ديوان الأحكام، ص ٧١٤-٧٢٣؛ خلاف، ثلاث وثائق، ص ٩؛ عمرون، الآفات الاجتماعية، ص ٧١.

(١١١) أشبونة: مدينة بالأندلس قديمة على سيف البحر تتكسر أمواجه تتصل بأحواز مدينة شنترين في سورها واسمها قودية، وسورها رائق البنيان بديع الشأن، وبابها الغربي قد عقدت عليه حنايا فوق حنايا على عمد من رخام مثبتة على حجارة من رخام، وهو أكبر أبوابها. ينظر : ابن غالب، فرحة الأنفس ، ص ٢٢؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ٦١ .

(١١٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢/٢١٥.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر

القرآن الكريم .

ابن الأبار ، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي ، (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م) .

١- الحلة السيرة ، حققه وضبط حواشيه ، حسين مؤنس ، ط ٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥

أبن الأثير ، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، (ت ٦٠٦ هـ ، ١٢٠٩ م) .

٢- النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٩٧٩ .

ابن الأثير ، أبي الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ، (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) .

٣- الكامل في التاريخ ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٥
أبن بسام ، أبي الحسن علي بن بسام ، (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م) .

٤- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة، بيروت ، ١٩٩٧ .

ابن بشكوال ، أبي القاسم خلف بن عبد الملك ، (ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٣ م) .

٥- كتاب الصلة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٨ .

البيغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود ، (ت ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م) .

٦- معالم التنزيل ، ط ٤ ، تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٩٧ .

البيدق ، أبي بكر بن علي الصنهاجي ، في حدود (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) .

- ٧- أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، نشر دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧١ .
- ابن حزم ، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد ، (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م) .
- ٨- رسائل أبين حزم (طوق الحمامة في الألفة والآلاف) ، ط ٢ ، تحقيق إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٧ .
- الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) .
- ٩- معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٧ .
- الحميدي ، أبي محمد عبد الله بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي ، (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م) .
- ١٠- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ .
- الحميري ، محمد بن عبد المنعم ، (ت حوالي ٧١٠هـ / ١٣١٠م) .
- ١١- الروض المعطار في خبر الأقطار ، ط ٢ ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٨٤ .
- ابن حيان القرطبي ، أبي مروان حيان بن خلف ، (ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م) .
- ١٢- المقتبس في أخبار بلد الأندلس، نشر ب. شالميتا بالتعاون لضبطه وتحقيقه مع ف. كورنيطي وم. صبح وغيرهما، المعهد الأسباني العربي للثقافة العربية ، كلية الآداب ، مدريد ، ١٩٧٩ .
- الخشني ، أبو عبد الله محمد بن حارث ، (ت ٦٦١هـ / ١٢٦٢م) .
- ١٣- قضاة قرطبة ، ط ٢ ، تحقيق إبراهيم اليباري ، دار الكتاب المصري القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٩ .
- ابن الخطيب ، لسان الدين أبي عبد الله محمد بن الخطيب السلماي ، (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م)
- ١٤- الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، ط ٢ ، الناشر مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٣ .
- ١٥- تاريخ اسبانيا النصرانية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق وتعليق إ. ليفي بروفنسال ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ٢٠٠٦ .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) .
- ١٦- تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس ، خليل شحادة ، راجعه سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، ٢٠٠٠ .
- الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد ، (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)

- ١٧- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٩ .
- الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد ، (١١٠٨/هـ / ١٥٠٢ م) .
- ١٨- المفردات في غريب القرآن ، ط٢ ، الناشر دفتر الكتاب ، ١٩٨٣ .
- ابن سعيد ، أبي الحسن علي بن موسى ، (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) .
- ١٩- المغرب في حلى المغرب، حققه وعلق عليه شوقي ضيف، ط٤، دار المعارف ، القاهرة، د.ت
- أبن سهل ، أبي الأصمغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي ، (ت ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م) .
- ٢٠- ديوان الأحكام الكبرى أو الأعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام ، تحقيق يحيى مراد ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٧ .
- الضبي ، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ، (ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م) .
- ٢١- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٨
- الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي ، (٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) .
- ٢٢- جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، الناشر مؤسسة الرسالة ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٠ .
- الطرطوشي ، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري ، (ت ٥٢٠ هـ / ١٢٦ م) .
- ٢٣- سراج الملوك، ط١، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، تقديم، شوقي ضيف، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٤ .
- ابن عذاري ، أبي العباس أحمد بن محمد المراكشي ، (ت بعد سنة ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م) .
- ٢٤- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج٢ و ج٣ ، تحقيق ج.س كولان وإليني بروفنسال ، ط٢ . بيروت ، دار الثقافة . ١٩٨٠ م .
- ٢٥- ____ ، البيان المغرب (قسم الموحدين) ، تحقيق ، محمد الكتاني وآخرون ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٥ .
- ابن غالب ، محمد بن أيوب الغرناطي ، (من أهل القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) .
- ٢٦- قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس ، تحقيق لطفي عبد البديع ، فصل من مجلة معهد المخطوطات ، المجلد ٢ ، مصر ، ١٩٥٦ م .
- أبن الفرضي ، أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي ، (٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م) .

- ٢٧- تاريخ علماء الأندلس (تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس) ، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧ .
ابن القوطية ، أبي بكر محمد بن عمر القرطبي ، (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م) .
- ٢٨- تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق ، إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٩م الكاساني ، أبي بكر علاء الدين بن مسعود الكاساني ، (ت ٥٨٧هـ / ١١٨٢م) .
- ٢٩- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، ط٢ ، بيروت، ١٩٨٦م .
مجهول ، مؤلف (من أهل القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي) .
- ٣٠- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم ، تحقيق إبراهيم الإبياري ، ط٢، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٨٩ .
مجهول ، مؤلف ، (كان حياً في القرن الرابع الهجري / العشر الميلادي)
- ٣١- تاريخ عبد الرحمن الناصر، قدم له عدنان محمد آل طعمة ، دار سعد الدين، دمشق، ١٩٩٢
مجهول ، مؤلف (كان حياً أواخر القرن الخامس الهجري /أواخر القرن الحادي عشر الميلادي)
- ٣٢- نكر بلاد الأندلس ، تحقيق وترجمة لويس مولينا ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية المعهد ميغيل آسين ، مدريد ، ١٩٨٣ .
المراكشي ، عبد الواحد ، (ت٦٤٧هـ / ١٢٤٩م) .
- ٣٣- المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، الجمهورية العربية المتحدة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، د.ت .
المقري ، أحمد بن محمد المقري التلمساني ، (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م) .
- ٣٤- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨ .
المقدسي ، أحمد بن محمد المقدسي البشاري ، (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) .
- ٣٥- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط٢ ، مطبعة ليدن ، ١٩٠٦ .
النباهي ، أبي الحسن بن الفقيه أبي محمد بن عبدالله بن الحسين ، (ت ٧٩٣هـ / ١٣٩٠م) .
- ٣٦- تاريخ قضاة الأندلس المسمى كتاب المرقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، ط٥، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٣ .
ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ، (ت ٧١١هـ / ١٣١١م)
- ٣٧- لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٧ .
النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ، (٧٣٣هـ / ١٣٣٢م)

٣٨- نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤ .

قائمة المراجع .

بدر ، أحمد .

٣٩- تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري عصر الخلافة ، دمشق ، ١٩٧٤ .
بروفنسال ، ليفي .

٤٠- تاريخ اسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (٧١١-١٠٣١م)، ترجمة علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢ .
الحريري ، محمد عيسى .

٤١- حركات المولدين في الجنوب الأندلسي في عصر الإمارة الأموية بالأندلس ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، ١٩٨٥ .
حنه ، أرندت .

٤٢- في العنف ، ترجمة إبراهيم العريس ، دار الساقى ، بيروت ، ١٩٩٣ .
خلاف ، محمد عبد الوهاب .

٤٣- ثلاث وثائق في محاربة البدع والأهواء في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الاصبع عيسى بن سهل الأندلسي ، مراجعة وتقديم محمود علي مكي ، المركز العربي الدولي للإعلام ، القاهرة ، ١٩٨١ .
سالم ، السيد عبد العزيز .

٤٤- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، ط٢ ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٦ .
السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر .

٤٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٠ .
السامرائي ، خليل إبراهيم وآخرون .

٤٦- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، المؤسسة اللبنانية للكتاب الأكاديمي ، بيروت، ٢٠١٤ .
طقوش ، محمد سهيل .

٤٧- تاريخ المسلمين في الأندلس ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، ٢٠١٠ .

- علي ، جواد .
- ٤٨- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط٢ ، جامعة بغداد ، ١٩٩٣ .
- الكيالي ، عبد الوهاب .
- ٤٩- موسوعة السياسة المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٩٣ .
- مدكور ، إبراهيم .
- ٥٠- المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٩٨٣ .
- مصطفى ، إبراهيم وآخرون .
- ٥١- المعجم الوسيط ، تحقيق مجمع اللغة العربية ، الناشر دار الدعوة ، د.ت .
- نعني ، عبد المجيد .
- ٥٢- تاريخ الدولة الأموية في الأندلس التاريخ السياسي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، د.ت
- الناصري ، أبو العباس أحمد بن خالد
- ٥٣- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (الدولتان المرابطية والموحدية) تحقيق وتعليق ولدي المؤلف جعفر ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ .
- الوردي ، علي .
- ٥٤- وعاظ السلاطين ، ط٢ ، دار كوفان للنشر ، لندن ، ١٩٩٥ .
- الأطاريح والرسائل والبحوث المنشورة .
- أبو زيد ، سعيد سيد أحمد .
- ٥٥- سببية الموت والقتل عند الأندلسيين ، بحث منشور في مجلة بحوث كلية الآداب ، جامعة المنوفية ، العدد ٥٦ ، ٢٠٠٤ .
- الأتروشي ، شوكت عارف محمد .
- ٥٦- العنف أسبابه وعلاجه في فكر بديع الزمان النورسي من خلال رسائل النور ، بحث منشور في الشبكة الدولية العالمية للإنترنت .
- بودالية ، تواتيه .
- ٥٧- البيئة في بلاد الأندلس عصري الخلافة وملوك الطوائف، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط والإسلامي ، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، ٢٠١٤ .
- دندش ، عصمت عبد المجيد .

- ٥٨- من مظاهر الحياة الاجتماعية بالاندلس (طقوس الجنائز) ، بحث منشور في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، العدد ١٩ ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، ١٩٩٤ .
رقية ، بن خيرة .
- ٥٩- الآفات الاجتماعية في الأندلس ما بين القرنين الخامس والسادس الهجريين (ق ١١-١٢) ، أطروحة دكتوراه كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة مصطفى أسطمبولي معسكر ، الجزائر ، ٢٠١٧ .
- علي . حيدر عبد الرزاق جعفر .
- ٦٠- الاغتيالات السياسية في الأندلس حتى نهاية دولة الموحدين (٩٧- ٦٢٠هـ / ٧١٥ - ١٢٢٣م) ، رسالة ماجستير كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ٢٠١٥ .
عمرون ، بلال .
- ٦١- الآفات الاجتماعية في المجتمع الأندلسي من خلال كتب النوازل ورسائل الحسبة منتصف القرن ال ١١هـ / ١١م إلى منتصف القرن ال ١٢هـ / ١٢م ، رسالة ماجستير كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة لونيبي علي ، الجزائر ، ٢٠١٦ .
محمد ، صالح أدريس .
- ٦٢- تاريخ الدعوة الإسلامية في الأندلس من بداية الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، رسالة ماجستير كلية الدعوة والأعلام ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٩٩٣ .
مكي ، محمود علي .
- ٦٣- تاريخ الأندلس السياسي (٩٢-٨٩٧هـ / ٧١١-١٤٩٢م) دراسة شاملة ، بحث منشور في كتاب الحضارة العربية في الأندلس ، ج ١ ، تحرير سلمى الخضراء الجبوسي ، بيروت ، ١٩٩٩ .

المؤثرات في صناعة نص السيرة النبوية

د.م. د. انتصار عدنان عبد الواحد

جامعة البصرة - كلية الآداب

الملخص

كان النص التاريخي ولا يزال أسيراً لأيديولوجية مؤرخه وناقله ؛ يوجهه حيث يشاء ، فالمؤرخ هو اللاعب الأساس في ميدان "صناعة النص" وتسويقه، فتارة ينتج لنا تنصيماً ذاتياً يهدف من خلاله الى منح قيمة اعلى لذاته او لأسرته او لقبيلته، وتارة يكون داعماً لمعتقده ومذهبه من خلال ما يكتب او يبتقي، اما النص السياسي فهو ناتج عن تأييد لسلطة حاكمة تزلفاً لها وتقرباً منها ،طمعاً في اعطياتها او خوفاً و إتقاءً لبطشها .

هذه وغيرها من المؤثرات كانت هي الفاعلة في انتاج نصوص صنعت بعيداً عن الموضوعية، مما يتطلب من الباحثين وقفة تشخيصية ناقدة للوقوف على خلفيات كل نص والبيئة الفكرية التي اسهمت في انتاجه.

ويتركز بحثنا هنا على "نص السيرة النبوية" بوصفه ميداناً خصباً - بوصفه نصاً تأسيسياً - لتشخيص المؤثرات التي فعلت فعلها في ادلجته وإعادة تصنيعه بالشكل الذي هو عليه الان في مظان المدونات . وسيرتكز عملنا على ثلاث جوانب هامة من تلك المؤثرات وهي العقائدية والسياسية والنسبية مُعززة بالشواهد التاريخية.

Effects In the manufacture of the text of the Prophet's biography

Assist Prof. Dr.Intisar Adnan Abdel Wahed
University of Basra - College of Arts

Abstract

The historical text was and still is captive to the ideology of its historian and transmitter. He directs it wherever he wants, as the historian is the main player in the field of "text making" and marketing it. Sometimes he produces a self-quotation for us through which he aims to give a higher value to himself, his family or his tribe, and sometimes he is supportive of his belief and doctrine through what he writes or selects. As for the political text, it is Resulting from support for a ruling authority, ingratiating itself with it and drawing near to it, in the hope of its gifts or out of fear and in order to avoid its tyranny.

These and other influences were effective in producing texts that were made away from objectivity, which requires researchers to take a critical diagnostic pause to find out the backgrounds of each text and the intellectual environment that contributed to its production.

Our research here focuses on the "text of the Prophet's biography" as a fertile field - as a foundational text - for diagnosing the influences that did its work in its ideology and remaking it in the way it is now in the perspective of blogs.

Our work will focus on three important aspects of these influences, which are ideological, political and relativistic, supported by historical evidence.

المقدمة

كان النص التاريخي ولا يزال أسيراً لأيديولوجية مؤرخه وناقله ؛ يوجهه حيث يشاء ، فالمؤرخ هو اللاعب الاساس في ميدان "صناعة النص" وتسويقه، فتارة ينتج لنا تنصيماً ذاتياً يهدف من

خلاله الى منح قيمة اعلى لذاته او لأسرته او لقبيلته، وتارة يكون داعما لمعتقده ومذهبه من خلال ما يكتب او يبتقي، اما النص السياسي فهو ناتج عن تأييد لسلطة حاكمة تزلفاً لها وتقرباً منها، طمعا في أعطياتها او خوفاً و إبقاءً لبطشها .

هذه وغيرها من المؤثرات كانت هي الفاعلة في انتاج نصوص صنعت بعيدا عن الموضوعية، مما يتطلب من الباحثين وقفة تشخيصية ناقدة للوقوف على خلفيات كل نص والبيئة الفكرية التي اسهمت في انتاجه.

ويُركز بحثنا هنا على "نص السيرة النبوية" بوصفه ميدانا خصباً - بوصفه نصاً تأسيسياً - لتشخيص المؤثرات التي فعلت فعلها في ادلجته وإعادة تصنيعه بالشكل الذي هو عليه الان في مظان المدونات . وسيرتكز عملنا على ثلاث جوانب هامة من تلك المؤثرات وهي العقائدية والسياسية والنسبية مُعززة بالشواهد التاريخية.

المؤثرات

تحظى سيرة النبي الاعظم (صلى الله عليه واله وسلم) باهتمام منقطع النظير على بُعدي الزمان والمكان، لما لهذه الشخصية العظيمة من اثر فاعل بوصفه نبيا مرسلا بل خاتماً للأنبياء والرسل، وبوصفه انساناً عظيماً شكل علامة فارقة في تاريخ البشرية.

فكانت سيرته محل استقطاب اقلام المؤرخين والباحثين منذ ازمنة بعيدة، لذا شملت مؤلفات السيرة الكثير من التفاصيل بأدقها عن حياته الشريفة الى الحد الذي يثير الجدل؛ إذ كيف تم ذلك رغم الفاصل الزمني الكبير بين وقوع الحدث وتدوينه؛ فالسيرة النبوية لم تدون إلا بعد مرور قرن ونصف من الزمان على ايدي مؤرخي السير والمغازي الذين يتزعمهم ابن اسحاق ت ١٥١ هـ والواقدي ت ٢٠٧ هـ وغيرهما ممن اهتم بتدوين مفاصل سيرته (صلى الله عليه واله وسلم) رغم ان الاهتمام قد سبق ذلك بزمن^١، لكنه لم يصلنا إلا كروايات متصلة السند بزمن الحدث. وهذا هو موضع الاشكال؛ فتلك الروايات المنقولة شفاهاً حتى استقرارها في بطون المدونات كانت طوع مدارك الرواة وأهوائهم، وثمة مؤثرات تحكمت في تدوين النصوص التاريخية عن تلك الحقبة الزمنية الهامة، فكان الرواة يجتزئون النصوص او يضيفون عليها او يغيبون جزءا منها او يصطنعونها وفقاً لميولهم، مكرسين نمطا تاريخيا لازال يعاد انتاجه بالصورة نفسها، وبما يُثقله من مغالطات وتشوهات طالبت شخص النبي الاعظم (صلى الله عليه واله وسلم) ومن هم حوله، ومع ذلك لازال كثير من هذه النصوص قد ادخلت حيز القداسة فلا يسمح بنقدتها او مناقشتها.

اذن ثمة روايات خضعت للصنعة على حساب الموضوعية والأمانة العلمية. ولو حاولنا تشخيص مكامن الخلل في كل نص سيبري نتعبه تاريخيا نلاحظ أن هذه السيرة اثقلت بكثير من التناقضات والمغالطات التاريخية التي لم يخل منها جانب من جوانب حياة النبي (صلى الله عليه

واله وسلم)، ورغم حُب المسلمين لنبيهم وحرصهم على تقفي أثره ، ونقل التفاصيل المتناهية الدقة عن حياته إلا أن الكثير منهم وقع في فخ الصنعة التي شوهدت أو غيرت الحقيقة حتى وإن كان مقصد الراوي حسناً إلا أنه ربما كان ساذجاً أو جاهلاً وتقبل نقل هكذا أحداث اساءت لنبيه، أما لقصور في فهمه وإدراكه أو لأنه لم يفهم اصلاً معنى النبوة أو لغيرها من الاسباب.

أما ما نُقل عمداً وعن قصد من قِبَل بعض الرواة وكان بقصد الاساءة فهذا لا كلام فيه، وهذا الانموذج قد اتخمت السيرة بنصوص مُسيئة كالإسرائيليات^٢ وغيرها.

فكل راوٍ صاحب ايديولوجية فيما نقل أو كتب أو فسّر، وهو يعتمد معطيات منهجه المستند لتلك الايديولوجية فيه ، وهذا لا يقتصر على الرواة والمؤرخين بل حتى الناقلين عنهم ممن يحاول فهم وفحص النص فإنه لا يستطيع مجانبة أيديولوجيته الذاتية فنجدته يفسّر بما يوافقها ويحلل وفق منهجه وفهمه، ويصب قناعاته المسبقة في قالب تحليله للنص لتكون رؤيته هي السائدة داعماً ايها بالدلائل والحجج التي يراها.

وقبل الخوض في تلك المؤثرات التي صنعت نصوص السيرة بشكلها الحالي في مظان المصادر الاولية المعتمدة وحتى المتأخرة منها، يجب علينا اولاً ان نقف على اسباب الاستحداث والصنعة في نص السيرة بشكل مركز ومكثف قياساً بغيرها.

وعلى الرغم مما تشكله السيرة من موقعية هامة في تاريخ الفكر الاسلامي، إلا ان الاهتمام بتدوينها انما جاء في عصر متأخر جداً عن عصر وقوع أحداثها، وفي ظل بيئة فكرية وسلطوية واجتماعية مغايرة، والمؤرخ في ظلها يواجه تحديات تاريخية حينما يصطدم الماضي مع عصره، فيحتاج الى اعادة بناء الذاكرة التاريخية وتقويتها بالتدوين، كي يكون مستعداً لمواجهة الذاكرة الحاضرة بوصفها نتاجاً لوعي الحاضر، فأحياناً تغيب هذه الذاكرة وتتحوّل الى ذاكرة انتقائية تحفظ شيئاً وتنسى شيئاً آخر " فالماضي لا يحضر إلا باستدعاء الحاضر له، هذا الاستدعاء الذي يشكل اطاراً فكرياً تتواجه داخله القيم وتتنازع الدلالات " ^٣.

ومن اجل انعاش هذه الذاكرة وجب تغذيتها بمحركات سردية اذ " من الصعب الحفاظ على حماس الجذور " لا سيما وان السيرة النبوية هي واحدة من اهم النصوص المرجعية التأسيسية التي شكلت الهوية الاسلامية، الهوية التي يقول عنها ادورد سعيد متورطة باستمرار في السرد، سرد ماضي الامة، وسرد اجدادها المؤسسين، وسرد الوثائق والوقائع الاصلية بما حملت تلك السيرة من صورة لثقافة عصر النبي وطبيعته الدينية والاجتماعية، الامر الذي دعا الى أهمية التعالق معها بإيجاد صلات ثقافية عبر تنقيتها وتهذيبها من التراكمات التي لحقت بها. ^٤

تحتل السيرة النبوية موقعا مركزيا في التراث الاسلامي اذ تشكل نصا مرجعيا مؤسسا في الحضارة العربية الاسلامية، تلك الحضارة التي وُصفت بأنها " حضارة النص " بمعنى أنها انبنت

اسسها وأقامت علومها وثقافتها على اساس لا يمكن تجاهل مركز النص فيه^٥ . وحضور النص السيري النبوي في المرويات يمنح الامة هويتها، ويؤكد وجودها، فقد " تماهت السيرة النبوية الشريفة مع الرسالة المحمدية، مما جعل اخبارها تعكس تمثل الامة مسار الرسالة ذاتها الامر الذي دفع السيرة الى رواية اخبار النبي الاعظم، بهدف احياء العصر النبوي الشريف"^٦ ، وهذا الاحياء ينهض على سرد وقائعه واعادة انتاجها نصياً، ورتق فجواتها بالتحبيك السردى، فالتاريخ يستعين بالسرد لتحسين نفسه^٧.

وان النص كبناء لغوي هو معبر عن رؤية المؤرخ واسلوبه ، وروحه من خلال ما يكتبه في أي حقبة زمنية، لكن يبدو النص كوحدة اشمل و اعم من مجرد تركيب لغوي، سهل ام معقد، ويظهر امامنا بنية متماسكة تحوي بداخلها مكوناته ومشمولاته، اي بناء لغوي مُعبر عن واقع مليء بالتناقضات في حالة جدلية دائمة من حيث هو مصدر للاخبار عن ذلك الواقع؛ لذلك يعد المؤرخ الفرنسي هنري مارو: " ان النص التاريخي هو كل مصدر للاخبار، يتمكن من خلاله المؤرخ من استخلاص شيء ما من اجل معرفة الماضي البشري، فهو وثيقة مكتوبة تساعد على قراءة وفهم الظروف التاريخية التي افرزتها وتعبّر عن نتاج فكري اصيل شاهد على فترة من فترات الماضي " ؛ لذا فكان على المؤرخ ليس فقط كتابته وطرح رؤيته بل تلك الرؤية تستلزم الولوج داخل واقع هذا النص وسبر اغوار مكوناته وهي البناء الاقتصادي والاجتماعي وآثاره السياسية والثقافية والمعرفية لكي يتمكن من حقيقة عمله وهي النفاذ ما وراء النص.^٨

فعلى الباحث أن يكون متنبها للبيئة الحاضنة للنص والوقوف على الظروف التاريخية - السياق التاريخي - لهذا النص عن طريق تحديد الفارق الزمني بين تدوين النص ووقت وقوع الحادثة، فضلا عن التعرف على صاحب النص واستحضار خلفياته الفكرية وانتائه المذهبي و مقدار اتصاله بموضوع النص والمؤثرات في تبنيه للنسق الثقافي الذي في ظله انتج النص بصورته الحالية المدونة عليها .

ان الاستحداث والصناعة في نص السيرة مرجعه الى عوامل كثيرة يقف في مقدمتها ما للسيرة النبوية وما يتصل بها من شخوص واحداث من اثر ذا طابع قدسي على مر الاجيال ، ففي الجانب السياسي والاجتماعي وحتى الثقافي والعقائدي يتصدر المشهد معيار "السابقة في الاسلام" ، فكلّ يبحث عن سبب او نسب يوصله الى ذلك العصر من الاجيال اللاحقة .

هذا المعيار كان سببا في اثاره الجدل والحجاج بين المسلمين بعد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ومن ثم اتخذ طريقه في التدوين التاريخي والحديثي والفقهي وفي تسجيل وكتابة السيرة النبوية. وكان للسياسة اثر فاعل في التشديد على فاعلية هذا المعيار وإعمامه، وهو امر في غاية الاهمية من جانب، وفي غاية الخطورة من الجانب الاخر سيما وانه صار وسيلة في تشجيع

المدلسين والكذابين والمزورين لادخال او زج من يريدونه ان يكون في هذه السابقة والأفضلية، او ابعاد وإقصاء من لا يريدونه ان يكون في لائحة الأسبقية^١.

هذه الاسبقية هي التي جعلت شيخا عالما بمغازي رسول الله اعتمادا على رواية سفيان بن عيينة^١ يقدم على عملية الدس والتخريب^{١١}، إذ اقدم شرحبيل بن سعد^{١٢}. على التزوير في هذا الباب فجعل من لا سابقة له في احداث السيرة النبوية له هذه السابقة^{١٣} سواء كان ذلك في ادخال اسماء ممن لم يشهدوا فعلا معركة بدر، او احد، او الهجرة الى ارض الحبشة، او الى المدينة مقابل منفعة مادية شخصية^{١٤}.

وخطورة هذا التزوير وغيره من اعمال الدس والتشويه الكثيرة في الربع الاول من القرن الثاني الهجري/ الثامن للميلاد لا تتدرج فقط تحت باب المنفعة المادية فحسب بمعنى اننا اذا سحبنا هذه العملية الى الايام التي كان يوزع فيها العطاء على وفق هذه السابقة والأفضلية بين العوائل والعشائر القرشية ذكورا وإناثا انما الخطورة الاشد اثراً تلك الخطورة التي افضت الى استحداث احداث ومناسبات ووقائع دخلت التدوين التاريخي في كتابة السيرة النبوية ومن ثم ترسخت وتثبتت وخطورتها الاخرى الاكثر وقعا هي ادخال مرويات لعلها تعكر سمو الصفوة المؤمنة لمجتمع الصحابة اولئك الذين قدموا ارواحهم على الاكف بدافع صيانة العقيدة الاسلامية الحقة والدفاع عنها وفي بناء مجتمع امة مجاهدة وعاملة في الميادين كافة. وخطورتها المهمة الاخرى هي ما تضفي على تلك زعامات الاسر والدولة التي توارثت الحكم في العهدين الاموي والعباسي، اذ استخدم الحكام الامويين والعباسيين شتى الاساليب للاستحواذ على السلطة ما بين ترغيب وترهيب^{١٥}، والاهم من تلك الاساليب التعسفية انهم راحو يزيغون الكتابة التاريخية وصناعة رواية اموية وعباسية ترفع من مكانة اجدادهم وتطمس من دور ومكانه الذين يبغضونهم حقدا وحسدا، وبذلوا جهودا كبيرة في تقريب واحتضان الرواة والمؤرخين والعلماء في الرواية والأخبار مشجعين اياهم في هذه العملية التي شوهدت من تاريخ السيرة النبوية^{١٦}.

أولاً: المؤثرات العقائدية :

ان للجانب العقائدي اثره الكبير في توجيه الكتابة التاريخية ، حتى أنه عد الدافع الاول والعماد الاخير، إذ أن اخبار النبوة وإسلام كبار الصحابة، تم تأليفها بهذا الدافع دون سواه، بل أن تكامل المنطق لهذه الاخبار وغياب الخلل في الصورة العامة انما يعود لتأثير او فعل هذا الدافع، وليس الى الجهد العلمي في التاريخ^{١٧}.

وان اهم ما يميز الاتجاه العقدي واثره على المؤرخ ، انه يمتاز بالشمولية لمعظم من كتب في مجال التاريخ، فلا يكاد ينفك عن اثره مؤرخ او باحث، وايضا في مدى قوة تأثيره على المؤرخ وما يعتمده او ينقله من نصوص، وان كانت الاتجاهات الاخرى السياسية والعلمية وحتى الاجتماعية

قابلة للتغيير والتبدل بمرور الزمن تبعاً لتغير الظروف، فإن الاتجاه العقدي يمتاز بالثبات إن لم نقل بالجمود^{١٨}.

ولعل المسلمين كانوا ينظرون للتاريخ كساحة من ساحات الصراع الديني بين الفرق، لاسيما في المواد الخلافية وهي أكثر المواد في التاريخ الإسلامي عموماً، فالمعتقدات الشخصية للمؤرخ لا تتجلى برأيه في نوع المادة التي يطرحها، بل في المواد التي يغيبها أو يمارس كامل حريته في حذفها وإسقاطها. إن هذه الحرية التي كانت تسعفه في اختيار مصادره الخاصة لمجرد كونها متسقة مع الصورة العامة التي رسمها للقضية التاريخية التي يروي عنها، هذه الصورة التي من الصعوبة وصفها بالتاريخية^{١٩}، لكثرة ما تعرضت لضغوط العقيدة ونماذجها الجاهزة^{٢٠}.

والإشكالية لا تتعلق بصدق المؤرخ ولا حتى بمضامين المادة التي يعرضها، فهناك بعض الأدلة على صحتها وسلامتها، لكن الإشكالية تكمن في الخيط الذي اراده المؤرخ ناظماً لكل الأخبار والوقائع التي ساقها وألفها. إن هذا الخيط هو صناعة شخصية، والشخصية هنا هي التعبير الخارجي للعقيدة التي يحملها كل مؤرخ^{٢١}.

وترتبط قضية اصطناع النصوص ذات البعد العقدي بأول بؤادر عملية الوضع والتزوير في التاريخ الإسلامي متمثلة بالوضع في الحديث النبوي الشريف والذي كان في عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ روي عنه الحديث الشهير "من كذب علي متعمداً فليتبؤ مقعده من النار..."^{٢٢}، وفيه دلالة واضحة على وقوع هذا الفعل في زمنه (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ تطلب منه قولاً رادعاً ممتداً عبر الزمن بعقوبة من يتجرأ على الكذب عليه ونسبة أحاديث له لم يقلها، لأهداف وغايات شتى^{٢٣}. وبما إن الحديث النبوي يشكل حيزاً كبيراً من سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وجزءاً هاماً ذا بُعد تشريعي باعتبار السنة النبوية تعد المصدر الثاني للتشريع في الفكر الإسلامي. وازداد الأمر سوءاً في مسألة الوضع والكذب في الحديث بل وأحداث السيرة بعد رحيله (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك مع بروز الخلاف بين المسلمين حول قضية الخلافة - الإمامة السياسية^{٢٤} - وهنا بدء كل اتجاه سياسي يتشبث بالعقيدة انتصاراً لرؤاه من أجل شرعنه ادعائه الحق في خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك بالاتكاء على أحاديث تُسبب للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ف"الواقع إن النزاعات السياسية التي حدثت بعد الصدر الأول من الإسلام أدت إلى اختلاق كثير من الروايات والأحاديث تأييداً لها"^{٢٥}.

وعلى أثر ذلك الخصام السياسي المؤثر دينياً ابتدئ نشوء الفرق الإسلامية التي كانت تتصارع فيما بينها إلى حد وقوع السيف وتشريع قتل الخصم كلٌّ يريد إثبات أحقيته فكرياً وعقيدةً وكلٌّ يتكئ على الحديث المنسوب للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والذي كان ولا زال يمثل محل افتراق واحتراب بين المسلمين وهو الحديث المعروف بـ"حديث الفرقة الناجية"^{٢٦} والغريب إن كل فرقة قد

أحدثت في نص الحديث نفسه الفاظ تدل دلالة بيّنة على الصنعة فيه إذ كانت تلك الالفاظ تتماشى مع رؤية وادعاء كل فرقة حتى اختلفت وتباينت الفاظه كما اشار الباحثون لذلك^{٢٧} .

لقد كان السعي الدؤوب عند اصحاب الفرق لتعيين الفرقة الناجية، او الطائفة المحقة، او المذهب الصحيح، بالغ التأثير على الجميع. فمن جهة كان المؤمنون بفرقتهم او طائفتهم، او مذهبهم، يُسجلون الوقائع الخاصة على حساب الوقائع العامة، ويشكلون المسارات الخاصة على حساب المسارات العامة، ثم يصنّفون الرجال وفق معاييرهم في التصحيح والتسويق والتكفير^{٢٨}

وان هذا الامر قد طال كبار الصحابة قبل ائمة الفرق؛ ومثال ذلك موقف النظام المعتزلي من الامام علي (ع) والخلفاء ابي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان^{٢٩} . كما ووضع الاحناف حديثا نسبوه للنبي (صلى الله عليه واله وسلم) في ذم الشافعي نصه: "يكون في امتي رجل يقال له محمد بن ادريس اضر على امتي من ابليس"^{٣٠} . فيما روجوا لحديث نسبوه للنبي (صلى الله عليه واله وسلم) ايضا في مدح امامهم ابو حنيفة اذ روي: "يكون في امتي رجل يقال له ابو حنيفة هو سراج امتي"^{٣١} .

ولا ننسى ان هناك بُعدا اخر في توظيف الحديث النبوي لإغراض فقهية تحت مظلة الخلاف العقائدي بين الفرق، اذ كان للفقهاء دورا في توجيه الحديث النبوي من خلال الوضع فيه بما يتناغم ومصالحة من ينتمون له عقائدياً.^{٣٢}

ويرى باحثون ان من الاسباب التي دعت الى استنباط وضع الاحاديث ونسبتها الى النبي (صلى الله عليه واله وسلم) لكي تتفق وآراء العصر التالي ان المذاهب اخذت تستفرغ كل وسعها لإثبات صحة مواقفها لاسيما بعد فتح باب المجادلة والمناظرة^{٣٣} .

ومن امثلة ذلك ما قاله احد قادة الخوارج "ان هذه الاحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم فانا كنا اذا هويانا امرأ صيرناه حديثا"^{٣٤} .

ومع ان عدد من المسلمين قد ترك عقيدته السابقة (الإسرائيليات) واعتنق الاسلام، لكن رجالاتهم لم يتخلصوا من رواسب عقائدهم، وانعكس ذلك في رؤيتهم للنبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) لذا خلطوا ما بين عقائدهم والاسلام.

فكان اثر العقيدة اليهودية في اصطناع النصوص التي اعطت لليهود واحبارهم دورا فاعلا بل وفضلا ملحوظا على الاسلام ونبيه (صلى الله عليه واله وسلم)، امثال كعب الاحبار^{٣٥} وعبد الله بن سلام^{٣٦} ودورهم الكبير في افتعال احاديث وأحداث سيرية لا تمت للواقع بصلة تم صنّعها بدافع عقدي حقوق على الاسلام ونبيه العظيم (صلى الله عليه واله وسلم)^{٣٧} . بل ونسبة مقتريات للنبي (صلى الله عليه واله وسلم) من قبيل حادثة القتل الجمعي المزعوم لأسرى بني قريظة^{٣٨} والتي بحسب نص الموروث تمت بأمر النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، وقد تم حبك النص بأسلوب قصصي تقبله اغلب المسلمون بقبول حسن إلا من تنبه وأعمل عقله واثبت بطلان نسبتها للنبي (صلى الله

عليه واله وسلم) لما فيها من مخالفة للنص القرآني فضلا عن روايتها من قبل راويين يهوديين تخفيا بإسلامهما الظاهري^{٣٩}

أما عن النصارى فنجد دورهم في إعطائهم دور الفضل على النبي (صلى الله عليه واله وسلم) كما في حادثة لقاء النبي (صلى الله عليه واله وسلم) في بدايات حياته ببحيرا الراهب والذي عرّف النبي (صلى الله عليه واله وسلم) بنبوته^{٤٠}، وكذلك دعوى أن ورقة بن نوفل هو من أنقذ النبي (صلى الله عليه واله وسلم) من حيرته في لقاءه الأول بالوحي.^{٤١}

وثمة مرويات في السيرة تعكس عقيدة الرواة بعدم عصمة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) من قبيل توصيف النبي (صلى الله عليه واله وسلم) انه كان يخطئ ويسهو وبعض الصحابة يصح له^{٤٢} بل انه تصدر منه افعال منافية لمقام نبوته^{٤٣}، فضلا عن التعارض في افعال نسبوها له بزعم انه قد فعلها مرتين وعلى وجهين لتبرير الاختلاف والتناقض^{٤٤}. ولكن هذا التحريف في سيرته يقف ورائه دعم معتقد مذهب ما على حساب الواقع والحقيقة التاريخية بل وعلى حساب مقام النبوة.

ثانيا: المؤثرات السياسية:

اما عن المؤثرات السياسية فانها تحتل المساحة الاكبر في هذا المجال بل وتتداخل مع باقي المؤثرات كعنصر فاعل في صناعة النصوص، وتسويقها لصالح السلطات الحاكمة، وكما لا يخفى على المختصين ان ذلك تزامن مع بداية الصراع السياسي بعد رحيل النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، يقول هيكل^{٤٥}: ومن الحق ان المسلمين بلغ اختلافهم بعد وفاة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) دعا الدعاة الى اختلاق الالاف المؤلفة من الاحاديث والروايات.

اذ اقدمت السلطات من اجل تحصيل الدعم والمشروعية لها على تصنيع وتركيب نصوص تتكئ عليها بجعلها تتوافق مع احداث التنافس السياسي بما يضمن لها الغلبة على الخصم في ميدان الصراعات السياسية فباتت اغلب النصوص تضم تاريخا سياسيا متخفيا، وسخرت آليات الدعم من جانب الفقه والحديث، حتى غدا هذين الميدانين جزءا لا يتجزأ من جسد المنظومة الفكرية التي تستظل بها كل فرقة بل كل حكومة تعتلي منصة الحكم. وفي ظل هذا الجو المشحون بالعداء اعتمدت كل جهة على مخرجات توظيف التنصيص السياسي بضم احاديث سياسية بعد ان تم تغطيتها سندياً.

وهنا قد انتج لنا التنصيص السياسي المدعم فقها الكثير من الروايات المرتبطة بعصر النبي (صلى الله عليه واله وسلم).

فالسياسة قد دخلت في هذا الامر وأثرت فيه تأثيرا بالغا فسخرته ليؤيدها في حكمها، وجعلته من اقوى الدعائم لإقامة بنائها، وقد علا موج هذا الوضع السياسي وطغى ماؤه في عهد معاوية الذي اعان عليه وساعده بنفوذته وماله.^{٤٦}

فلم تشأ السياسة انذاك ان تدع الثقافة تجري بعيدا عن سلطانها، بل بسطت عليها سلطانها كما بسطته على شؤون الادارة والاجناد، فرسمت لها مسارا لا تتعداه وقد تمت معالم هذا المسار مبكرا على يد معاوية بن ابي سفيان، الذي كان قد انجز منها شوطا مهما في حدود سلطانه ايام ولايته على الشام^{٤٧}.

ومن خلال متابعة فاحصة لرواة السيرة النبوية نجد ان بعضا من الرواة الاوائل كانوا ذا ولاء سياسي ترك اثره الفاعل في رواياتهم عن سيرة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وكذلك الاحاديث التي نسبوها له (صلى الله عليه واله وسلم)، بدءا من عصر الصحابة والتابعين كروايات وأحاديث شغوية تتناقلها الالسن اعتمادا على ذاكرتهم، وحتى استقرار هذه النصوص في المدونات في اوائل العصر العباسي او قبل ذلك. بل ان بعضهم قد حاز مناصبا سياسية وإدارية مهمة في الدولة، ومن امثال ذلك الصحابي ابي هريرة الذي كان والياً لبني امية^{٤٨}، وكانت رواياته في خدمة الامويين بدءا من معاوية الذي جعله احد الاعضاء الذين انتخبهم لمهمة تزييف الحقائق والتلاعب بالنصوص^{٤٩}. ومن اللافت اننا نجد في مرويات ابي هريرة ما يدعم حكم العباسيين من قبيل روايته حديثا عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) انه قال للعباس: "فيكم النبوة والمملكة"^{٥٠} رغم انه لم يعاصرهم! فكيف يمكن تفسير نسبة هذا الحديث ذو الصنعة السياسية؟

وهنا يأتينا احمد امين بجواب يبدو منطقيا لأمثال هذه الاحاديث بقوله: حينما يرد جزءا من هذه الروايات والأحاديث التي اسندت الى ابي هريرة الى عمل الوضاع الذين انتهزوا فرصة اكثاره فزوروا عليه احاديث لا تُعد^{٥١}.

ومن اهم رواة السيرة ايضا عروة^{٥٢} بن الزبير ت ٩٣ هـ الذي كان ذا علاقة وطيدة بالدولة الاموية وهو من فقهاء البلاط الاموي، ومروياته في دعم واسناد الامويين ونقد خصومهم من الكثرة في هذا الجانب^{٥٣}.

واما ابان بن عثمان^{٥٤} ت ١٠٥ هـ والذي حاز منصب ولاية المدينة لعبد الملك بن مروان سبع سنين^{٥٥}، فان له حادثة واضحة البصمات في هذا المجال، اذ روي انه لما قدم سليمان بن عبد الملك أميرا للحج سنة ٨٢ هـ، امر ابان بن عثمان ان يكتب له سيرة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ومغازيه، فقال له ابان: هي عندي قد اخذتها مصححة ممن اثق به. فأمر سليمان عشرة من الكتاب بنسخها، فكتبوها في رق، فلما صارت اليه نظر فإذا فيها ذكر الانصار في العقبين وفي بدر، فقال: ما كنت اري لهؤلاء القوم هذا الفضل، فإما ان يكون اهل بيتي غمصوا عليهم، وإما ان يكونوا ليس هكذا!

فقال ابان: ايها الأمير لا يمنعا ما صنعوا بالشهيد المظلوم من خذلانه ان نقول بالحق ، هم على ما وصفنا في كتابنا هذا.

فقال سليمان: ما حاجتي الى ان انسخ ذلك حتى اذكره لأمير المؤمنين، لعله يخالفه، ثم امر بالكتاب فخرق، ورجع فأخبر ابا عبد الملك بن مروان بذلك الكتاب، فقال عبد الملك: وما حاجتك ان تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل، تُعرّف اهل الشام امورا لا نريد ان يعرفوها؟! قال سليمان: لذلك امرت بتخريق ما نسخته^{٥٦}.

ويتضح من الحادثة اعلاه المنهج الذي دأب عليه الامويون في عزل بيئة الشام فكريا وأنهم في سبيل الحكم لا يتورعون عن تزوير وطمس الحقائق، والاهم من ذلك اخفاء مناقب ودور الانصار في اهم احداث السيرة النبوية.

وممن عمل للدولة الاموية وهب بن منبه^{٥٧} ت ١١٠ او ١١٤ هـ وهو الذي عمل قاضيا للأمويين في صنعاء^{٥٨}. وكان دوره واضحا في رواية الاسرائيليات^{٥٩}.

وكان عاصم بن عمر بن قتادة ت ١٢٠ هـ^{٦٠} امره عمر بن عبد العزيز ان يجلس في المسجد الاموي بدمشق فيحدث الناس بالمغازي ومناقب الصحابة^{٦١}.

اما ابن شهاب الزهري^{٦٢} ت ١٢٤ هـ كان له كتابا بالمغازي وكان صاحب شرطة بني امية، ولم يزل مع عبد الملك واولاده ثم استعمله يزيد بن عبد الملك على القضاء^{٦٣} ورواية له ذات مغزى واضح اذ يقول: قال لي خالد القسري^{٦٤}: اكتب لي السيرة، فقلت له: يمر بي الشيء من سير علي بن ابي طالب فأذكره؟ قال: لا إلا ان تراه في قعر الجحيم^{٦٥}. وفي نص آخر وقد سئل الزهري عن كاتب الكتاب يوم الحديبية؟ فضحك، وقال: هو علي بن ابي طالب، ولو سألت هؤلاء -يعني بني أمية - لقالوا عثمان^{٦٦}.

وهذه الرواية كاشفة عن اثر الموقف العقائدي و السياسي من الامام علي (ع) بوصفه خصماً لهم، اذ لم يكتفوا بكتمان فضائله بل وسلبها منه ونسبتها لغيره.

ولتلازمة عروة والزهري ممن اهتم بالمغازي والسير نصيب في التنصيص السياسي نذكر مثلا يزيد بن رومان^{٦٧} والذي يروي عن عروة في قصة مهاجري الحبشة وحديث النجاشي معهم، فقال: انما كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان. قال ابن اسحاق: وليس كذلك انما كان يكلمه جعفر بن ابي طالب^{٦٨}. والذي ذكره ابن اسحاق هو الذي عليه سائر اصحاب السيرة^{٦٩}، اما رواية يزيد بن رومان عن عروة فهي من جنس ما ذكره الزهري عن بني امية في حديث الكتاب يوم الحديبية^{٧٠}.

ان أحاديث و روايات تدعيم سلطة الامويين كثيرة جدا ، فروايات المدح واستشراف المستقبل وشرعة حكمهم والتي نسبوها للنبي (صلى الله عليه واله وسلم) قد غيرت كثير من الحقائق واستبدلت فصولا وحرّفت مسارات في تدوين السيرة النبوية وآثار الوضع والصناعة السياسية واضحة فيها . وقد تناولها الباحثون كاشفين نقاط الضعف والزيغ فيها وبينوا كيف ولماذا صنعت^{٧١}.

وعلى ذات المنوال سار خلفاء بني العباس في توظيف افواه وأقلام المحدثين والفقهاء والمؤرخين لدعم مشروعية سلطانهم بدءا بنسبة الاحاديث كحديث ابي هريرة الذي مر انفا. وأحاديث ابن عباس، ولابد من الاشارة هنا الى رأي يطرحه المستشرقون بأن التركيز السياسي على شخصيته ونسبة الاحاديث اليه وإبراز علميته، راجع الى ان علماء الرجال والطبقات كانوا واقعين تحت تأثير سياسي ذلك لأنه ابو الخلافة العباسية وعليهم ان يصورونه تصويرا بطوليا وان يظهره ليس بمظهر العالم والحبر فحسب انما بمظهر القائد العسكري الذي اسهم في ميادين القتال والمستشار الامين في زمن الخلفاء عمر وعثمان والإمام علي، بل ان بعض المستشرقين قد اتهموه بالوضع في الحديث والسيرة النبوية لإبراز دور ابيه العباس بن عبد المطلب.^{٧٢}

وقد تكون رؤية المستشرقين صحيحة اذ ان التدوين قد كان تحت مظلة بني العباس من الخلفاء وهم المسؤولين عن التزييف وإبراز دور العباس الجد الاكبر لهم ، وليس ببعيد ان يكونوا قد وضعوا تلك الاحاديث والروايات على لسان ابن عباس لمكانته الكبيرة في الفكر الاسلامي ، وفي كلا الحالين هم المستفيدون فان ابراز دور العباس الايجابي من احداث السيرة النبوية من جانب وإبراز دور ابن عباس على مستوى المكانة العلمية والقرب من النبي وكثرة مروياته عنه (صلى الله عليه واله وسلم)، يدعم الموقف السياسي للعباسيين على حساب خصومهم من العلويين .

ويمكننا التوقف عند ما فعله ابن اسحاق في سيرته والتي قدمها للمنصور بعد ان غيب الحقيقة بما يخص اسر العباس في معركة بدر^{٧٣} ، وقد شخص احد الباحثين ذلك بقوله : "يجب ان نعلم ان ابن اسحاق كان يكتب السيرة في زمن بني العباس وبطلب من الخليفة العباسي، ذلك هو (المنصور) مؤسس الدولة العباسية لهدف مرسوم بدقة، ذلك ان تكون السيرة نديم قوة، وحافز اعتزاز ومنبع دليل لابنه المهدي، بل للدولة العباسية بالذات. وفي الحقيقة هي اشارة من (المنصور) ذات نزعة باطنية، ولا يخف جوهرها على ابن اسحاق الذكي الفطن، اذن يجب معالجه صدى الاسر هذا، معالجة مستحقاته، مهماته في داخل المجتمع، وقد كان العباسيون يعملون على تأسيس ملكهم او اعطاء ملكهم صفة شرعية مستمدة من علاقة مميزة بين محمد وعمه (العم صنو الاب)^{٧٤} ، بين النبي الكريم وعمه، وذلك عبر روايات مختلفة، ومواقف تعالج كل ما سجله التاريخ في حق العباس^{٧٥} .

ومن امثلة ذلك ان التنصيص السياسي انتج رواية حولت حتى قضية اسر العباس الى كرامة له، فلم يأسر العباس رجل عادي ، بل أسره ملك من الملائكة ، اذ نسبوا للنبي "قد آزرك الله بملك كريم"^{٧٦} . ورواية اخرى بررت مشاركته بالحرب ونسبوا للنبي شهادة بحقه انه انما شارك مستكرها^{٧٧} .

ان العباسيين امام خصومهم سياسيا بحاجة الى معالجات لوقائع تاريخية مضت يبدو فيها الخصم اقوى حجة منهم كما هو الحال مع العلويين الذين نافسهم على السلطة^{٧٨} ، اما خصومهم من الامويين فقد تمت ايضا معالجة سياسية للنصوص من قبيل ما رواه المعتصم عن آبائه عن ابن

عباس عن ابيه ان النبي نظر الى قوم من بني فلان يتبخثون في مشيهم فغرف الغضب في وجهه ثم قرأ (والشجرة ملعونة في القرآن)^{٧٩} فقيل له اي الشجر هي يا رسول الله حتى نتجنبها فقال هي ليست شجرة نبات ، انما هم بنو فلان ، اذا ملكوا جاروا واذا اتئمنوا خانوا، ثم ضرب بيده على ظهر العباس، فقال: يخرج من ظهرك يا عم رجلا يكون هلاكهم على يديه^{٨٠}. وفي هذا نقد وتجريم لخصومهم الامويين وان نهايتهم كانت على يد العباسيين بمباركة نبوية.

وفي نص آخر "الخلافة في ولد عمي وصنو ابي حتى يسلموها الى المسيح"^{٨١} . ان معظم المؤرخين الذين صاغوا هذا التاريخ هم من الموالين للسلطات سياسيا، في عهود تأجج فيها النزاع السياسي وازدادت حدته حتى امتد الى كل ميادين الحياة، فكان اقل ما يفعله المؤرخون هو تبرير اعمال الخلفاء والأمراء أياً كانوا، ومهما كانت اعمالهم، والكف عن ذكر ما يزعجهم من حقائق التاريخ، وما لا يأذنون بكتابته، كما ان معظم المؤرخين كانوا ايضا موالين للسلطات مذهبية في عهود كان فيها النزاع المذهبي على اشده.^{٨٢}

وهنا لا بأس من ذكر اصطناع يتكرر في النصوص يقف ورائه دافع سياسي مرة وعقائدي مرة اخرى، وهنا يمتزج الدافعان لان الحكم بعد النبي (صلى الله عليه واله وسلم) تم تأطيره دينياً ليكتسب شرعية وحصانة، ففي رواية تأسيسية ان النبي ص لما شرع ببناء المسجد وضع لبنة ثم دعا ابا بكر فوضع لبنة بجانب لبنته ص ثم دعا عمر فوضع لبنته بجانب لبنة ابي بكر ثم جاء عثمان فوضع لبنته بجانب لبنة عمر^{٨٣} .

وفي رواية اخرى لما بنى رسول الله المسجد وضع البناء حجرا وقال لابي بكر : ضع حجرك الى جانب حجري ثم قال لعمر ضع حجرك الى جانب حجر ابي بكر ، ثم قال لعثمان ضع حجرك بجانب حجر عمر، ثم قال: هؤلاء الخلفاء من بعدي^{٨٤} .

هذه التراتبية المتكررة في مرويات السيرة^{٨٥} وبشكل لافت هل كانت محض صدفة ام انها وضعت بقصد ان النبي (صلى الله عليه واله وسلم) اقرهم بعده بالشكل الذي تم عليه الامر فيما بعد! ولكن اين الامام الخليفة الرابع هل وضع هذا النص في زمن الخليفة الثالث^{٨٦}؟! ام انه استُبعد عمداً لان هناك من لم يقر بشرعية خلافته!^{٨٧}

ثالثا: المؤثرات النسبية

كانت المؤثرات النسبية ذات الحضور الفاعل في تصنيع الروايات وادلجتها، وقد حدد باحث معاصر^{٨٨} الخصائص والمحددات المشتركة التي تساعد في توجيه منهج المتتبع الى رصد المشترك من الروايات والأسانيد ثم موضّعته في اطار هذا المفهوم ، ومن بين هذه المحددات المشتركة :

١- الكثرة العددية للاسماء الواردة ضمن سلاسل الاسناد والتي ترجع انتماءاتها الاجتماعية والعائلية وولاءاتها الى هذه العشيرة او تلك بضمنهم الموالي بمعنى مولى الزبير، او مولى عروة وغير ذلك .

٢- تردد اسماء هذه الاعلام، او الشخصيات في سلاسل اسانيد ومرويات يجمعها بالفعل ميدان، او موضوع واحد متشابه، او مترابط في احداثه .

٣- والملاحظ وجود اسماء لرواة آخرين يُعتقد لاول وهلة انهم بعيدون عن هذا التوصيف وعن هذه الاسرة او تلك، الا انه وبعد دراسة تراجم هذه الاعلام يتكشف من خلالها ان لها علاقة وطيدة بهذه الاسرة او العائلة او العشيرة. كأن يكون هذا العلم او هذا الراوي من الاقارب. ولنكن اكثر مباشرة فالاكثريّة العظمى مثلا في سند رواية عروة بن الزبير من العائلة الزبيرية وتنتهي حلقتها الرئيسية بخالته ام المؤمنين السيدة عائشة. وكان عروة يطلق عليها تعبير (امي)، وهي دلالة روحانية، او لكونه احد المؤمنين بالسيدة عائشة امه، او في احيان يكون وهب بن كيسان حلقة الاساس وهو مولى آل الزبير يصل سنده الى ام المؤمنين، او ان يكون اسناده عن افراد آل الزبير ثم عن اسماء بنت ابي بكر.

٤- هناك اتفاق ان لم يكن اجماع لرواة اسانيد هذه الروايات في المنبع ، او المورد الاساسي بمعنى المصدر المباشر للحلقة الموصلة الى حديث رسول الامة ، فضلا عن اجماعها واتفاقها في الوقت نفسه على النسيج الداخلي والنواة المركزية لمتن الرواية ، او لأحداث هذه الرواية او تلك .

٥- ويفهم المنتبِع في اكثر من مناسبة بأن الرواية المتفق على اسنادها تميل ، او تناصر هذه العائلة اما بصيغة من صيغ الدعم ، او امتداح موقف ، او مواقف ادتها عناصر هذه الاسرة ، او القبيلة التي تنتمي اليها .

وكمثال واقعي في مصادر التراث وبالأخص روايات السيرة النبوية قدم باحث معاصر^{٨٩} ما اسماه بالرواية الزبيرية بعد ان احصى الحضور العددي الكبير لعناصر هذه الاسرة ومواليهم وأثرهم الواضح في تحريك مسار النص السيرى وفق رؤية زبيرية خاصة بحسب ولاءات وقناعات واعتقادات هذه الاسرة مما انتج نصوصا واضحة الاهداف في دعم السلطات والمعتقدات بحسب الولاء لهؤلاء الرواة فاجادوا التلاعب بالنصوص باصطناع المواقف الايجابية لمن يوالون والسلبية لمن يبغضون وايضا خلق الاعذار ومبادلة الادوار والتي تعد بحق جنائية واضحة المقاصد.

ونقف عند مثال اخر للمؤثر النسبي في صناعة النصوص رواية تظهر دور عبد الله بن جحش^{٩٠} في تقسيم الغنائم في تلك السرية قبل ان تُشرع من قبل السماء وجاء فعله مطابق لما نزل به الوحي بعد ذلك^{٩١}، فان نظرة فاحصة للاسناد الواردة في المصادر الاولى التي نقلت الحادثة من قبيل رواية الواقدي: جاء في السند "حدثني عمر بن عثمان الجحشي، عن ابيه، عن محمد بن عبد الله

بن جحش...^{٩٢}، وعند ابن هشام^{٩٣} بروايته عن ابن اسحاق نجدها وردت بصيغة اخرى: " وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش ان عبد الله..."، فالواضح ان رواة الرواية هم بنو جحش مما يشير الشك فيها، فقد تكون سيقنت لمدح وتعظيم الجد، خاصة وهو قد أخل بوصية النبي الكريم، ومن الواضح ان الرواية تنتج تطابقا بين موقف الجد عبد الله بن جحش وبين الوحي فيما بعد، وهنا نقطة تزيد من الشك! وهو ما كان يشير اليه آل جحش فعلا على نحو الافتخار، ففي سيرة ابن هشام: " قال ابن اسحاق: وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش ان الله عز وجل قسم الفيء حين احله، فجعل اربعة اخماس لمن افاءه وخمسا الى الله ورسوله، فوقع على ما كان عبد الله بن جحش صنع في تلك العير"^{٩٤}، وبالتالي يجعلنا هذا نشك في ملابسات توزيع الغنيمة، من الصعب هنا تكوين نتيجة تاريخية في هذا الخصوص.^{٩٥}

وفي روايات اسلام عبد الله بن سلام مثال واضح عن بصمة التمجيد الواضحة من خلال السند: " روى محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن ابيه عن جده..."^{٩٦} ويسوق لنا نصا في قصة اسلامه المليئة بالصنعة والمبالغات والتمجيد لشخص الجد^{٩٧}. وبصيغة اخرى جاء التعبير عن سند الرواية ذاتها: "وكان من حديث عبد الله بن سلام كما حدثني بعض اهله عنه وعن اسلامه..."^{٩٨}.

وكذلك رواية ارضاع النبي من قبل حليلة السعدية نجد حضورا واضحا لراوٍ من بني سعد هو زكريا بن يحيى السعدي عن ابيه^{٩٩} وربما يعود افتعال هذه الرواية من باب رفع شأن قبيلة بني سعد بعد ان تنافست القبائل على فضيلة القرب من رسول الله بشتى الوسائل والصلوات^{١٠٠}. ويواجهنا تنصيص أسري اخر في قصة الارضاع من قبل امرأة اخرى هي ثوية مولاة ابو لهب عم النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وملخص القصة ان بعض اهل ابي لهب راه في المنام بعد موته وقد خفف عنه العذاب وذلك اكراما لعنته لثوية التي ارضعت النبي (صلى الله عليه واله وسلم). وهذا النص يصطدم بالحقيقة التي اثبتها القرآن الكريم عن وصف حال ابي لهب {سيصلى نارا ذات لهب}^{١٠١} أما مسألة تخفيف العذاب فهي مرفوضة بالنص القرآني وبلا استثناء، وفي أكثر من آية، قال تعالى {والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضي عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور}^{١٠٢}. وقال أيضا: {وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون}^{١٠٣}، وقال تعالى: {خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون}^{١٠٤}، وقال تعالى: {ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا، لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا}^{١٠٥}، والعهد هنا شهادة لا اله إلا الله والقيام بحقها.^{١٠٦}

وعند ملاحظة سند الرواية نجد حضورا لاحد احفاد ابي لهب وهو القاسم بن العباس بن محمد بن متعب بن ابي لهب اللهبي^{١٠٧} وهذا ما يفسر الهدف من وضع الرواية؟^{١٠٨}

وفي حدث آخر مرتبط بحادثة بئر معونة^{١١٩} اذ نجد ان احد روايتها أنس بن مالك^{١٢٠} يؤسس لتاريخ مرتبط بشخص مقرب له وهو خاله حرام بن ملحان" فهو عصب الرواية وقلبها وصلبها، يشخص شهيدا متميزا طاغيا على الحدث التراجيدي بكل تفاصيله المرعبة. لقد غاب الجميع وذوى صيتهم سوى حرام بن ملحان الذي تحير به العقول وسط هذا الكم الهائل من المفارقات بسرد راو واحد، ذلك هو ابن اخته انس بن مالك^{١٢١}

لقد غيبت رواية انس بن مالك السبعون من الصحابة القراء فلم يكن لهم ذكر او موقف سوى انهم قتلوا جميعا ، وبرزت بشكل ملحوظ دور خاله الذي تبني الموقف وكان سيده " ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث خاله وكان اسمه حرام اخا ام سليم في سبعين رجلا فقتلوا يوم بئر معونة ... فانطلق حرام اخو ام سليم ورجلان معه رجل اعرج ورجل من بني فلان ، فقال كونا قريبا مني حتى اتيهم فأن أمنوني كنت كذا وان قتلوني اتيتم اصحابكم، فأتاهم حرام فقال اتؤمنوني ابلغكم رسالة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قالوا نعم، فجعل يحدثهم، واوموا الى رجل فأتاه من خلفه فطعنه، قال همام: واحسبه قال: فانفذه بالرمح فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة"^{١٢٢}، فلا تصريح بأسم احد غيره فالكل مجهولة هويته! ولم يكتفِ انس بذلك بل نسب قول الامام علي ع يوم ضربه ابن ملجم الى خاله! والمعروف ان لأنس موقفا سلبيا من الامام علي (ع)^{١٢٣}، بل حتى الرمح الذي طعن به خاله يدخل عالم الالغاز^{١٢٤}، فمالك تارة يقول: " اتى رجل خالي من خلفه فطعنه بالرمح..."^{١٢٥} وفي رواية اخرى:"فاستقبله رجل منهم برمح فانفذه به"^{١٢٦}، ولا يفوتنا حضور القربى في السند: محمد بن عبد الله بن حفص بن هاشم بن زيد بن انس بن مالك الانصاري في الروايات اعلاه .

وختاما يتبين أن نص السيرة على الرغم من أهميته لم يسلم من المؤثرات العقائدية والسياسية والنسبية التي تركت أثرا واضحا في صياغة مروياته.

الهوامش

^١ لمزيد من التفاصيل ينظر : عبد العزيز الدوري : نشأة علم التاريخ عند العرب ص ١٨-٢٤ . صائب عبد الحميد : علم التاريخ ومناهج المؤرخين : ص ٧٥-٨٦ .

^٢ الاسرائيليات: هي تلك الرؤى والافكار والمرويات التي تناقلها رجالات اليهود والنصارى نتيجة فهمهم الخاطئ لنصوص التوراة والانجيل او سير الانبياء والصالحين، ولما اعتنقوا الاسلام نقلوها الى الفكر الاسلامي فرددتها الرواة المسلمين وغدت فكرا يعتقد به عند بعض المسلمين . ينظر لمزيد من التفاصيل: ابو رية: اضواء على السنة المحمدية ص ١٤٩ . ١٥٢، الاطير: المواجهة بين القران والاسرائيليات ص ٣١٨ . ٥ .

^٣ لؤي حمزة عباس: بلاغة التزوير ، ص ٥٧ .

- ^٤ ينظر: بول ريكور: من النص الى الفعل اباحث التأويل، ص ٣٠٤. الزبيدي: سردية النص السيري، سيرة ابن هشام: بناء الاخبار الموقع الثقافي، ص ٢٨.
- ^٥ نصر حامد ابو زيد: مفهوم النص: ص ٩.
- ^٦ د رضوان سليم: نظام الزمان العربي: ص ٥٢.
- ^٧ الزبيدي: سردية النص السيري، سيرة ابن هشام: بناء الاخبار الموقع الثقافي ص ٢٨.
- ^٨ ايهاب نبيل: النص التاريخي بين التنظير وسطوة الايديولوجيا. <https://m.ahewar.org/s.asp?aid=622424&r=0>
- ^٩ عبد الجبار ناجي: نقد الرواية التاريخية، عصر الرسالة انموذجا: ص ١٠٥-١٠٦.
- ^{١٠} هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن عمران، ولد سنة ١٠٧هـ في الكوفة، وسكن في بغداد، سمع منم الزهري والسبيعي وغيرهما وروى عنه الأعمش والثوري وغيرهما، كان من كبار المحدثين في زمانه، ومات بمكة سنة ١٩٨هـ، تنظر ترجمته: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٧٣/٩. ١٨٣، الباجي: التعديل والتجريح ١٢٨٥/٣.
- ^{١١} قال علي بن المدني قلت لسفيان بن عيينة: كان شرحبيل بن سعد يفتي؟ قال: نعم، ولم يكن احد اعلم بالمغازي والبدرين منه، فاحتاج، فكأنهم اتهموه، وكانوا يخافون اذا جاء الرجل يطلب منه شيئاً، فلم يعطه ان يقول له: لم يشهد ابوك بدرا. ينظر: المزي: تهذيب الكمال: ٤١٦/١٢. الذهبي: تاريخ الاسلام: ١٢٩/٨، ميزان الاعتدال: ٢٦٦/٢، الصفدي: الوافي بالوفيات: ٧٦/١٦.
- ^{١٢} شرحبيل بن سعد المدني مولى الانصار، قيل انه كان من اعلم الناس بالمغازي ولكنه احتاج فاتهموه وكان يجعل من لا سابقة له سابقة فاسقطوا مغازيه وعلمه، توفي ١٢٣ هـ، ينظر ترجمته: المزي: تهذيب الكمال: ٤١٣/١٢-٤١٧. الصفدي: الوافي بالوفيات: ٧٦/١٦.
- ^{١٣} المزي: تهذيب الكمال: ٤١٦/١٢، الذهبي: سير اعلام النبلاء: ١١٥/٦.
- ^{١٤} ناجي: نقد الرواية التاريخية: ص ١٠٦.
- ^{١٥} ينظر: نوري جعفر: الصراع بين الامويين ومبديء الاسلام: ص ٥٤-٦٣. حيدر لفته مال الله: اساليب الدولة الاموية في تثبيت السلطة دراسة تاريخية: ص ١٣-٥٨٦، علاء ترف: اساليب الدولة العباسية في تثبيت السلطة حتى نهاية عصر المتوكل (١٣٢-٢٤٧هـ)، ص ٢٠-٢١٠.
- ^{١٦} ناجي: نقد الرواية التاريخية: ص ١٠٦-١٠٨.
- ^{١٧} عبد الله العروي: العرب والفكر التاريخي: ص ٨١-٨٢.
- ^{١٨} حسن سلهب: علم الكلام والتاريخ: ص ١٦، ص ٧١-٧٢.
- ^{١٩} روزنتال: علم التاريخ عند المسلمين: ص ٩١.
- ^{٢٠} سلهب: علم الكلام والتاريخ: ص ٦٤.
- ^{٢١} سلهب: علم الكلام والتاريخ: ص ٦٤.
- ^{٢٢} ابن حنبل: المسند: ٧٨/١، ٤١٣/٢، البخاري: الصحيح: ٨١/٢، مسلم: الصحيح: ٨/١، الدارمي: السنن: ٧٦-٧٧، الطبراني: المعجم الكبير: ٣٥/٨.
- ^{٢٣} احمد امين: فجر الاسلام ص ٢٣٣-٢٤٣، محمود ابو رية: اضواء على السنة المحمدية: ص ١٢١-٢٥٢.

- ^{٢٤} اذ قال ابو الحسن الاشعري مؤسس الاشاعرة : ما سل سيف في الاسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الامامة. ينظر: الشهرستاني: الملل والنحل ١/٢٤.
- ^{٢٥} محمد حسين هيكل : حياة محمد :ص ٦٦ .
- ^{٢٦} روي عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) قوله: ستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة . والحديث ورد بالفاظ مختلفة، ابن حنبل: المسند ٣/١٢٠، ابن ماجه : السنن ٢/١٣٢١-١٣٢٢، الترمذي : السنن ٤/١٣٤.
- ^{٢٧} الكليني :الكافي : ٢٢٤/٨، الطبراني :المعجم الكبير : ٥١/١٨، الصدوق :الخصال: ٥٨٤-٥٨٥، الحاكم: المستدرک ١/٦، ١٢٨، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ٣/١٣٠٩، ابن الجوزي: الموضوعات ١/٢٦٧-٣٦٨، المتقي الهندي :كنز العمال : ١/٢١. ولمزيد من التحليل ينظر: سليم: نظام الزمان العربي: ص١٤٢، سلهب :علم الكلام والتاريخ : ص ٧٠، الشريفين :حديث الفرقة الناجية سنة ام سياسة <https://alghad.com> .
- ^{٢٨} سلهب : علم الكلام والتاريخ : ص ص ٤١ .
- ^{٢٩} ينظر: الشهرستاني: الملل والنحل ١/٥٣ . ٥٩، النصر الله: الامام علي (ع) في فكر معتزلة البصرة ص٥٣، ٦١، الجياشي: الإمام علي (ع) في فكر النظام ص٩١ . ١٢٦.
- ^{٣٠} ابو نعيم الاصبهاني: كتاب الضعفاء ص١٥٠، ابن الجوزي: الموضوعات ١/٤٣، الذهبي: تاريخ الاسلام ٢٣/٥٧١.
- ^{٣١} الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٣/٣٣٦، ابن الجوزي: الموضوعات ١/٤٣، الذهبي: تاريخ الاسلام ٢٣/٥٧١.
- ^{٣٢} صبحي الصالح: علوم الحديث ص٢٦٧، محمد حمزة: الحديث ومكانته في الفكر الاسلامي ص١٦٤.
- ^{٣٣} حمزة : الحديث ومكانته : ص ١٦٢ - ١٦٣
- ^{٣٤} القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١/٧٨، ابن حجر:لسان الميزان : ١/١٠ ،
- ^{٣٥} هو أبو إسحاق كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أحد رجالات اليهود من اليمن، قيل أسلم في أيام الخليفة عمر واستوطن المدينة وفي أيام عثمان ذهب إلى الشام، تنسب إليه كثير من الأحاديث والأقوال التي مصدرها عن أهل الكتاب. توفي أيام عثمان في الشام سنة ٣٢هـ . ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار ص ١٩١، ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق ٥٠/١٥١. ١٧٦، الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/٥٢. لمزيد من التفاصيل ينظر: ولفنسون: كعب الاحبار ص٥٣ . ٣٠٧، ابو ريه: اضواء على السنة المحمدية ص١٥٢ . ١٥٤، السلطان: كعب الاحبار ص١٥ وما بعدها.
- ^{٣٦} هو عبد الله بن سلام بن الحارث الاسرائيلي من بني قينقاع، من يهود المدينة، اختلف في اسلامه هل في السنة الأولى بعد الهجرة، أم السنة الثامنة، روي عنه الكثير من الروايات التي تعود إلى فكر أهل الكتاب توفي أيام معاوية سنة ٤٣هـ. ينظر: البخاري: التاريخ الكبير ٥/١٨، ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/٩٢١، ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق ٢٩/٩٧. لمزيد من التفاصيل ينظر: ابو ريه: اضواء على السنة المحمدية ص١٥٥ . ١٥٧، علي مصطفى كامل: عبد الله بن سلام ودوره في الحركة الفكرية ص١٨ . ١٩٥.
- ^{٣٧} عن ذلك ينظر: ولفنسون: كعب الاحبار ص١١٥، ١٢٣، ابو ريه: اضواء على السنة المحمدية ص١٤٩ .
- ^{٣٨} الاطير: المواجهة بين القران والاسرائيليات ص١٣ . ٣١٨
- ^{٣٨} الواقدي:المغازي :٣٦٥-٣٧٣، الطبري:تاريخ :٣/١٠٦-١١١، الشابندر:نقد اخبار السيرة :ص ٢٥٧-٢٩٤.

- ^{٣٩} وهما كل من محمد بن كعب القرظي وعطية القرظي، ينظر: الملاح: الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة: ص ٢٨٢.
- ^{٤٠} ينظر: ابن هشام: السيرة: ١١٦/١-١١٨. الطبري: تاريخ: ٣٢/٢-٣٤، ابن سيد الناس: عيون الأثر: ١٠٥/١-١١١، ولمزيد من التحليل والنقد ينظر: الشابندر: نقد اخبار السيرة: ١١٥/١-١٣٠.
- ^{٤١} ينظر: البخاري: الصحيح: ٢/١-٧، ابن هشام: السيرة: ١٥٣/١-١٥٧. الطبري: تاريخ: ٤٦/٢-٥٠، ولمزيد من الدراسة والتحليل ينظر: النصرالله: إقرأ ما أنا بقارئ وحي أم كابوس؟ ص ١٩٣. ٢٣٠.
- ^{٤٢} صالح الورداني: دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين: ص ٢٦٧-٣٠٢.
- ^{٤٣} الورداني: دفاع عن الرسول ص ٦١-١٢٢، ٣٠٣-٣٤٣.
- ^{٤٤} حمزة: الحديث النبوي ومكانته: ص ١٦٤.
- ^{٤٥} هيكل: حياة محمد، ص ٦٧-٦٨.
- ^{٤٦} ابو ريه: اضواء على السنة النبوية: ص ١٣٠.
- ^{٤٧} عبد الحميد: تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي: ص ١٠٩.
- ^{٤٨} ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة ٤/٦٩.
- ^{٤٩} ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة ٤/٦٣. النصر الله: فضائل امير المؤمنين علي المنسوبة لغيره ص ١٣٢-١٤٤، هيئة كتابة التاريخ برئاسة معاوية ص ٨٩. ١١٧.
- ^{٥٠} ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٢٦/٣٤٧، الهيثمي: مجمع الزوائد ٥/١٩٢. وقد عد ابن عدي الحديث في الضعفاء. ينظر: الكامل في الضعفاء ٤/٢٦٢.
- ^{٥١} فجر الاسلام ص ٢٤٠.
- ^{٥٢} هو عروة بن الزبير بن العوام، يعد من فقهاء التابعين، لم يشهد معركة الجمل مع ابيه لصغره، كان نديما للخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في الوقت التي كانت جيوش عبد الملك بقيادة الحجاج تحاصر أخوه عبد الله في مكة وتذبحه في جوف الكعبة، ويلاحظ إن هناك نسبة كبيرة من الأحاديث المنسوبة لام المؤمنين عائشة تمر عن طريقه. عرف ببغضه للإمام علي (ع)، وقد افتعل خبر ولادة حكيم بن حزام في الكعبة مقابل ولادة الإمام علي (ع). ينظر: ابن قتيبة: المعارف ص ١٣٠. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٤/٦٣-٦٤، ٦٩، ١٠٢. ناجي: نقد الرواية التاريخية ص ١٥٥-١٩٨، النصرالله: فضائل أمير المؤمنين المنسوبة لغيره. ص ١٣٩. ١٤٠.
- ^{٥٣} ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٤/٦٣-٦٤، ٦٩، ١٠٢. النصرالله: فضائل أمير المؤمنين المنسوبة لغيره، ص ١٣٩، ١٤٠، ٢٨٤. الفارس: السيرة النبوية في مرويات ومدونات عروة بن الزبير التاريخية: ص ٤٠-٥٤.
- ^{٥٤} هو ابو سعيد ابان بن الخليفة عثمان بن عفان من كبار تابعي وفقهاء المدينة، و يقال انه اول من حدث في السيرة النبوية ولكن ليس في صورة سردية وانما في صورة احاديث تتناول سيرة النبي ص، شارك الى جانب اصحاب الجمل، تولى امانة المدينة سنة ٧٥ هـ وتوفي عام ١٠٥ هـ. ابن سعد: الطبقات الكبرى: ١١٦/٥، ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ١٧/٢٩٧.
- ^{٥٥} ابن سعد: الطبقات الكبرى: ١١٦/٥، ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ١٧/٢٩٧.
- ^{٥٦} الزبير بن بكار: الأخبار الموقفات: ص ٢٧٥-٢٧٦.

^{٥٧} ابو عبد الله وهب بن منبه الصنعاني، كان كثير النقل من كتب الاسرائيليات متأثراً بها، ولد في اخر خلافة عثمان وتوفي سنة ١١٢ هـ ، وقد وُضِعَ فيه حديث نُسب للنبي (صلى الله عليه واله وسلم) " يكون في امتي رجلان احبهما وهب يهب الله له الحكمة والآخر غيلان ففتته على الامة اشد من فتته الشيطان "، ينظر: ابن سعد الطبقات: ٥٤٣/٥، المزي: تهذيب الكمال ١٤٠-١٦٢ .

^{٥٨} العجلي: معرفة الثقات: ٣٤٥/٢ .

^{٥٩} ابو ربه: اضواء على السنة النبوية ص ١٥٤ . ١٥٥ .

^{٦٠} هو ابو عمر عاصم بن عمر حفيد الصحابي قتادة بن النعمان بن زيد الاوسي الانصاري تابعي سكن المدينة كان عالماً بالسيرة والمغازي ، وقد على عمر بن عبد العزيز في خلافته في دين لزمه ،فضاه عنه ،وامر له بمعونه ، له روايات في تمجيد جده قتادة ونسبة مناقب له ،ينظر ترجمته :ابن حبان :الثقات :٥/٢٣٤-٢٣٥ ،ابن ابي حاتم الجرح والتعديل :٦/٣٤٦ ،ابن عساكر :تاريخ مدينه دمشق :٢٥/٢٧٤-٢٨٢ .

^{٦١} ابن عساكر :تاريخ مدينه دمشق :٢٥/٢٧٧ .

^{٦٢} هو ابو بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري القرشي المدني نزيل الشام ،ولد في اخر خلافة معاوية،له كتاب في المغازي كتبها بأمر الوالي الاموي، كان ذا حظوة في البلاط الاموي مقرباً من الخلفاء مؤيداً لهم، لم يدخر جهداً في نصرتهم،توفي ١٢٤ هـ ،ينظر : ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٥٥ / ٢٩٤ . ٣٨٧ ،الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٠٨ . ١١٢ ،سير اعلام النبلاء ٥/ ٣٢٦ . ٣٥٠ .

^{٦٣} ابن خلكان: وفيات الاعيان ٤/ ١٧٨ ،الذهبي: ميزان الاعتدال ١/ ٦٢٥ .

^{٦٤} هو أبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد القسري، ولد سنة ٦٦ هـ، يعد من أمراء وولاة الدولة الأموية في العراق أيام هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ . ١٢٠ هـ، وولى مكانه يوسف بن عمرو الذي سجنه وعذبه بأمر هشام حتى مات سنة ١٢٦ هـ، وقيل كان يرمى بالزندقة. ينظر: ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ١٦/ ١٣٥ ،المزي: تهذيب الكمال ١٠٧/٨ .

^{٦٥} ابو الفرج الاصفهاني :الاعاني :٢٢/ ٢٨١ .

^{٦٦} الصنعاني : المصنف :٥/ ٣٤٣ .

^{٦٧} ابن اسحاق :السيرة والمغازي :ص ٢١٧-٢١٨ . الذهبي: تاريخ الاسلام ١/ ١٩٥ ،ابن كثير: البداية والنهاية ٣/ ٩٧ ،السيرة النبوية :٢/ ٢٧ .

^{٦٨} ابن اسحاق :السيرة والمغازي :ص ٢١٧-٢١٨ .ابن كثير : البداية والنهاية :٣/ ٩٧ ،السيرة النبوية :٢/ ٢٧ .

^{٦٩} ابن هشام: السيرة النبوية ١/ ٢٢٢ ،البيهقي: دلائل النبوة ٢/ ٢٩٩ ،ابن كثير: السيرة النبوية ٢/ ١٢ .

^{٧٠} عبد الحميد : تاريخ الاسلام الثقافي والسياسي ص ٨٨-٨٩ .

^{٧١} لمزيد من التحليل ينظر : الكناني :البناء الفكري والسياسي الاموي في بلاد الشام، ص ١٣٦-١٩٣ .

^{٧٢} لمزيد من التفاصيل ينظر: ناجي: نقد الرواية التاريخية ص ٩٠ . ٩٧ .

^{٧٣} في نسخة ابن اسحاق التي اعتمدها ابن هشام لا نجد ذكر اسم العباس ضمن قائمة اسرى بدر من بني هاشم، السيرة النبوية ٢/ ٥٣٢ .

^{٧٤} اشارة الى حديث النبي (صلى الله عليه واله وسلم) في حق العباس: "ان عم الرجل صنو ابيه" ،مسلم :الصحيح ٣/ ٦٨ ،الدار قطني :السنن :٢/ ١٠٧ ،البيهقي : السنن الكبرى: ٦/ ١٦٤ . المتقي الهندي :كنز العمال :٦/ ٣٠٣ .

- ^{٧٥} الشابندر: نقد اخبار السيرة : ص ٤٢٨ .
- ^{٧٦} ابن حنبل : المسند : ٢٨٣/٤ ، الذهبي : سير اعلام النبلاء : ٨١/٢ ، الهيثمي : مجمع الزوائد : ٨٥/٦ ،
- ^{٧٧} ابن حبيب : المنق : ص ٣٨٩ ، الذهبي : سير اعلام النبلاء : ٢١٨/١ ، ٩٦/٢ ، ابن حجر : الاصابة : ٥١١/٣ ،
- ^{٧٨} ينظر مراسلات محمد ذو النفس الزكية مع المنصور . البلاذري : انساب الاشراف ٧٥/٢ ، ١٣٥ ، مؤلف مجهول : اخبار العباس وولده ص ٣٨٥ ، ٣٨٩ ، ابو الفرج : مقاتل الطالبين ص ١٥٧ . ٢٠٠ . ولمزيد من التحليل : النصرالله : الامام علي (ع) في فكر معتزلة بغداد ص ١٣١ . ١٣٦ .
- ^{٧٩} سورة لاسراء : ٦٠ .
- ^{٨٠} الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد : ١١٣/٤ .
- ^{٨١} المتقي الهندي : كنز العمال : ١١ / ٧٠٦ .
- ^{٨٢} عبد الحميد : تاريخ الاسلام ص ١٢١-١٢٢ .
- ^{٨٣} الطبراني : المعجم الكبير : ١٩٦/١ . ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ١٧٢/٣٩ .
- ^{٨٤} العقيلي : الضعفاء : ٢٩٧/١ ، الذهبي : تاريخ الاسلام : ١٤١/١٠ . الحلبي : السيرة : ٢٥٣/٢ .
- ^{٨٥} ينظر : ابو داود : السنن ٢٠٩/٢ ، الطبراني : المعجم الاوسط ١١/٣ ، ٢٠٣/١٦٤ ، الحاكم : المستدرک : ٢٨٦/٣ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق : ٣٥٧-٣٥٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ١٤٦/٦ ، ٢٢٢/٦ ، الهيثمي : مجمع الزوائد : ٥٣/٢ ، ٩٦/٩ ، المقرئ : امتاع الاسماع : ٧٨/٥ . المتقي الهندي : كنز العمال : ٣٨٦/١٢ .
- ^{٨٦} رجح ذلك الشابندر ، وله مؤاخذات على سند الحديث : نقد اخبار السيرة : ص ٣٥٧-٣٦٠ .
- ^{٨٧} كما ذهب الى ذلك الاصم من معتزلة البصرة . ينظر : الناشئ الاكبر : مسائل الامامة ص ٥٩ ، ٦٠ ، النصرالله : الامام علي (ع) في فكر معتزلة البصرة ص ٨٧ ، ٩١ .
- ^{٨٨} ناجي : نقد الرواية التاريخية : ص ١١٧-١١٨ .
- ^{٨٩} ناجي : نقد الرواية التاريخية : ص ١٠٣-١٥٤ .
- ^{٩٠} هو عبد الله بن جحش بن رباب بن يعمر الأسدي ، من المهاجرين إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، استشهد يوم أحد سنة ٣ هـ . ينظر : ابن الأثير : أسد الغابة ١٣١/٣ ، ابن حجر : الإصابة ٣١/٤ .
- ^{٩١} عن تفاصيل السرية ينظر : الواقدي : المغازي : ص ٤٦-٥٠ ، ابن شبه : تاريخ المدينة : ٤٧٢/٢-٤٧٨ ، الطبري : تاريخ : ١٢٤/٢-١٢٧ . ابن كثير : البداية والنهاية : ٣٠٤/٣-٣٠٨ .
- ^{٩٢} المغازي : ص ٤٩ .
- ^{٩٣} السيرة : ٤٣٩/٢ ، الطبري : تاريخ : ١٢٦/٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ٣٠٥/٣ ،
- ^{٩٤} ٤٣٩/٢ .
- ^{٩٥} الشابندر : نقد اخبار السيرة : ٣٠٦ / ١ ،
- ^{٩٦} ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٥٤٠/٢ - ٥٤١ .
- ^{٩٧} ينظر لمزيد من التحليل : النصرالله وكامل : عبد الله بن سلام ت ٤٣ هـ قراءة نقدية لروايات إسلامه ص ٢-٥ .
- ^{٩٨} ابن هشام : السيرة النبوية ٩٥/٢ - ٩٦ .
- ^{٩٩} ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥٢/١ .

- ١٠٠ لمزيد من التفاصيل عن هذه الروايات والمؤاخذات عليها سندا ومتنا ينظر النصر الله: قصة رضاعة النبي بين خيال الراوي والواقع التاريخي ٣٠-١١٧ .
- ١٠١ سورة المسد آية ٣ .
- ١٠٢ سورة فاطر : ٣٦ .
- ١٠٣ سورة النحل: ٨٥ .
- ١٠٤ سورة البقرة ١٦٢، سورة آل عمران ٨٨ .
- ١٠٥ سورة مريم ٨٦-٨٧ .
- ١٠٦ القرطبي: الجامع ١١/١٥٤. البيضاوي: تفسير البيضاوي ٢/٤٠. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٣/١٣٨ .
- ١٠٧ ابن سعد: الطبقات الكبرى ١/٥١. البيهقي: السنن الكبرى ٧/١٦٢ .
- ١٠٨ لمزيد من التفاصيل ينظر النصر الله: قصة رضاعة النبي ص ٢١-٢٩ .
- ١٠٩ البخاري : الصحيح : ٥/٤٠-٤٣ ، اليعقوبي : تاريخ : ٢/٧٢-٧٣، الطبري : تاريخ : ٢/٢١٩-٢٢٣ ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ : ٢/١٧١-١٧٣ ، ابن كثير : السيرة النبوية : ٣/١٣٩-١٤٠ ،
- ١١٠ هو الصحابي أنس بن مالك الأنصاري، كان خادما لرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ويعد وفاته سكن البصرة حتى مات فيها سنة ٩٣ هـ. ينظر: ابن الأثير: أسد الغابة ١/١٣١، المزي: تهذيب الكمال ٣/٣٥٣ .
- ١١١ الشابندر : نقد اخبار السيرة : ١/٥٦٩ .
- ١١٢ البيهقي : السنن الكبرى : ٩/٢٢٥، وينظر : ابن سعد: الطبقات الكبرى : ٣/٥١٥، البخاري : الصحيح : ٥/٤٢ ، مسلم : الصحيح : ٦/٤٥، الطبري: تاريخ : ٢/٢٢٢-٢٢٣ ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ : ٢/١٧١، الذهبي : تاريخ الاسلام : ٢/٢٣٨-٢٤٠ ،
- ١١٣ الجاحظ: العثمانية ص ١٥٠، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة ٤/٧٤ .
- ١١٤ الشابندر : نقد اخبار السيرة : ١/٥٦٩ .
- ١١٥ الذهبي : تاريخ الاسلام : ٢/٢٣٨ .
- ١١٦ الطبراني: المعجم الكبير ٤/٥٢ .

المصادر والمراجع

. القرآن الكريم

- . ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد ت ٦٣٠ هـ .
- . الكامل في التاريخ : دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦ .
- . ابن إسحاق : محمد ت ١٥١ هـ .

- . السير والمغازي ، تح : سهيل زكار ، ط ١ ، دار الفكر ، ب.مكا ، ١٩٧٨ م .
. الاطير : حسني يوسف .
. المواجهة بين القران والاسرائيليات، مكتبة النافذة، ط ٢ ، الجيزة، ٢٠٠٤ م.
. أمين : احمد .
. فجر الاسلام، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١١ م.
. الباجي : أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب ت ٤٧٤ .
. التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري، تح: احمد البزاز، ب.ط، ب.مط، ب.ت.
. البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (١٩٤-٢٥٦ هـ) .
. التاريخ الكبير ، ب . محق ، ب.ط ، المكتبة الإسلامية ، ديار بكر ، ب.ت .
. الصحيح ، مط : دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١ .
. ابن بكار : الزبير (١٧٢-٢٥٦ هـ) .
. الأخبار الموفقيات ، تح : سامي مكي العاني ، بغداد ، ١٩٧٢ .
. البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩ هـ .
. أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار - رياض زر كلي ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٦ م .
. البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر ت ٦٨٥ هـ
تفسير البيضاوي، تح: محمد محيي الدين، دار الفكر، بيروت، ب.ت.
. البيهقي : أبو بكر احمد بن الحسين بن علي ت ٤٥٨ هـ .
. السنن الكبرى ، ب.ط ، دار الفكر ، بيروت ، ب.ت .
. ترف: علاء .
. اساليب الدولة العباسية في تثبيت السلطة حتى نهاية عصر المتوكل (١٣٢-٢٤٧ هـ) ، أطروحة
دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠١٥ .
. الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى (٢٠٩-٢٧٩ هـ) .
. سنن الترمذي، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، ب.ط، دار الفكر، بيروت ، ١٤٠٣ هـ .
. الجاحظ: ابو عثمان عمرو بن بحر (١٥٠-٢٥٥ هـ)
. العثمانية: تح : عبد السلام محمد هارون ، مط دار الكتب العربي ، مصر ، ب . ت .
. جعفر : نوري .
. الصراع بين الامويين ومبديء الاسلام، القاهرة، ١٩٧٨ م.
. ابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (٥١٠-٥٩٧ هـ) .

- . الموضوعات، تح: عبد الرحمن محمد عثمان، ط ١، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٩٦٦م.
- . الجياشي: أكرم حاتم.
- . الإمام علي (ع) في فكر النظام المعتزلي، رسالة ماجستير قدمت إلى كلية الآداب . جامعة ذي قار، ٢٠٢٢.
- . ابن أبي حاتم : أبو محمد عبد الرحمن الرازي ت ٣٢٧ هـ .
- . كتاب الجرح والتعديل، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٢م.
- . الحاكم النيسابوري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله (٣٢١-٤٠٥ هـ) .
- . المستدرک علی الصحیحین، تح: يوسف المرعشلي، بيروت، ١٤٠٦هـ.
- . ابن حبان : أبي حاتم محمد ت ٣٥٤ .
- . الثقات ، ط ١ ، مط دائرة المعارف العثمانية ، نشر مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٩٧٣م.
- . مشاهير علماء الأمصار ، تح : مرزوق علي ، ط ١ ، دار الوفاء ، ب.مكا ، ١٩٩١م.
- . ابن حبيب: محمد البغدادي ت ما بعد ٢٧٩ هـ .
- . المنمق في أخبار قريش، تح: خورشيد احمد، ط ١، الهند، ١٩٦٤م .
- . ابن حجر : أبو الفضل احمد بن علي بن محمد (٧٧٣-٨٥٢ هـ) .
- . الإصابة في تمييز الصحابة ، ب.ط ، دار الفكر ، ب.مكا ، ب.ت .
- . لسان الميزان ، ط ٢ ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ١٩٧١م .
- . ابن أبي الحديد : عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني (٥٨٦-٦٥٦ هـ) .
- . شرح نهج البلاغة ، تح : محمد أبو الفضل ، ط ١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٧.
- . الحلبي: علي بن بهاء الدين الشافعي (٩٧٥-١٠٤٤هـ / ١٥٦٧-١٦٣٥م) .
- . السيرة الحلبية، تصحيح : عبد الله الخليلي ، ط ٢ ، بيروت ، ٢٠٠٦ .
- . حمزة: محمد.
- . الحديث ومكانته في الفكر الاسلامي الحديث، المؤسسة العربية، ط ١، بيروت، ٢٠٠٥م.
- . ابن حنبل : أبو عبد الله احمد بن محمد (١٦٤-٢٤١ هـ) .
- . المسند ، ب.محق ، دار صادر ، بيروت ، ب.ت .
- . الخطيب البغدادي : أبو بكر احمد بن علي ت ٤٦٣ هـ .
- . تاريخ بغداد، تح : مصطفى عبد القادر، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧م.
- . ابن خلكان: شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد ت ٦٨١ هـ
- . وفيات الأعيان ، تح : إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ب.ت.

- . الدارقطني : أبو الحسن علي بن عمر ت ٣٨٥ .
- . سنن الدار قطني، تح : مجدي بن منصور ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٦م .
- . الدارمي : أبو محمد عبد الله بن بهرام (ت ٢٥٥) .
- . السنن ، ب.محق ، ب.ط ، الناشر : مطبعة الاعتدال ، دمشق ، ب.ت .
- . ابو داود : سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٢٧٥هـ .
- . سنن أبي داود، تح: سعيد محمد، ط١، دار الفكر، ١٩٩٠م.
- . الدوري: عبد العزيز .
- . نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت، ٢٠٠٧م..
- . الذهبي: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد (٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) .
- . تاريخ الاسلام : تح عمر عبد السلام ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٧ .
- . تذكرة الحفاظ ، ب.محق ، ب.ط ، الناشر : مكتبة الحرم المكي ، ب.مكا ، ب.ت .
- . سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الارنؤوط، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.
- . ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح: علي محمد البجاوي، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٢هـ .
- . روزنثال: فرانز .
- . علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: صالح احمد العلي، مؤسسة الرسالة، ب.ت .
- . ريكور: بول .
- . من النص الى الفعل ابحاث التأويل، ترجمة: محمد برادة، حسان بورقية، ط١، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ٢٠٠١م .
- . ابو رية: محمود .
- . اضواء على السنة المحمدية، ط٢، قم، ١٩٩٩م .
- . الزبيدي : غانم حميد .
- . سردية النص السيري، سيرة ابن هشام انموذجا ، ط١، دار الرسول الاعظم، كربلاء، ٢٠٢٠م .
- . أبو زيد: نصر حامد:
- . مفهوم النص : المركز الثقافي العربي، ط٦، بيروت، ٢٠٠٥م .
- . ابن سعد : محدث ٢٣٠هـ .
- . الطبقات الكبرى ، ب.ط ، دار صادر ، بيروت ، ب.مكا .
- . السلطان: عقيل يوسف .
- . كعب الأحبار واثر مروياته اليهودية في الفكر الاسلامي، ط١، كربلاء، ٢٠١٨

- . سلهب : حسن .
- . علم الكلام والتاريخ، ط١، بيروت، ٢٠١١م.
- . سليم: رضوان.
- . نظام الزمان العربي دراسة في التاريخيات العربية الإسلامية، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦م. .
- . ابن سيد الناس : محمد بن عبد الله بن يحيى (٦٧١-٧٣٤هـ) .
- . عيون الأثر ، مؤسسة عز الدين ، ب.ط ، بيروت ، ١٩٨٦ .
- . الشابندر: غالب حسن.
- . نقد أخبار السيرة النبوية، ط١، دار الرسالة، بيروت، ٢٠١٧م.
- . ابن شبة : أبو زيد عمر (١٧٣-٢٦٢هـ) .
- . تاريخ المدينة المنورة، تح: فهيم محمد شلتوت، مط: قدس، دار الفكر، قم، ١٤١٠هـ .
- . الشريفين : محمد
- . حديث الفرقة الناجية سنة ام سياسة ، جريدة الغد ، ٢٠١٨ ، <https://alghad.com> .
- . الشهرستاني : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨هـ .
- . الملل والنحل، قدم له :صدقي العطار ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ٢٠٠٢م .
- . الصالح: صبحي.
- . علوم الحديث، ط١، ذوي القربى، قم، ١٤٢٨هـ.
- . الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي ت ٣٨١هـ .
- . الخصال، تح: علي اكبر الغفاري، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٤٠٣هـ.
- . الصفدي: خليل أيبك ت ٧٦٤ .
- . الوافي بالوفيات: تح: احمد الارناؤوط. تركي مصطفى، دار احياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م.
- . الصنعاني: أبو بكر عبد الرزاق بن همام ت ٢١١هـ / ٨٢٧م .
- . المصنف، تح: حبيب الرحمن الاعظمي، الناشر : المجلس العلمي ، ب.مكا ، ب.ت .
- . الطبراني : أبو القاسم سليمان بن احمد (٢٦٠-٣٦٠هـ) .
- . المعجم الاوسط، تح: قسم التحقيق بدار الحرمين، دار الحرمين، ١٩٩٥م.
- . المعجم الكبير، تح: حمدي عبد المجيد، ط٢، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ب.ت.
- . الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ .
- . تاريخ الرسل والملوك، راجعه: صدقي جميل العطار، ط٢، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢م.

- . عباس: لؤي حمزة.
- . بلاغة التزوير، دراسة في اخبار التزوير، كما وردت في كتاب (نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة) للفاضل التنوخي ت ٣٨٤ ، مجلة المورد العراقية ، مجلد ٣٦ ، العدد ٤ ، ٢٠٠٩ .
- . ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي ت ٤٦٣ .
- . الاستيعاب في أسماء الأصحاب، بهامش كتاب الإصابة، ب.ط، دار الفكر، ب.ت .
- . عبد الحميد: صائب.
- . تاريخ الاسلام الثقافي والسياسي، مؤسسة دار المعارف، قم، ٢٠٠٥م.
- . علم التاريخ ومناهج المؤرخين، المركز العلمي العراقي، بيروت، ٢٠١٠م.
- . العجلي : الحافظ احمد بن عبد الله ت ٢٦١ هـ .
- . معرفة الثقات ، ط ١ ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، ١٤٠٥ هـ .
- . ابن عدي: أبو احمد عبد الله الجرجاني ٣٦٥ هـ .
- . الكامل في ضعفاء الرجال ، تح:سهيل زكار ، ط ٣ ، دار الفكر، بيروت ، ١٩٩٨ .
- . العروي : عبد الله.
- . العرب والفكر التاريخي، ط ٥، بيروت، ٢٠٠٦م.
- . ابن عساكر : أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله الشافعي (٤٩٩-٥٧١ هـ) .
- . تاريخ مدينة دمشق ، تح : علي شيري ، ب.ط ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٥ م .
- . العقيلي : أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد المكي ت ٣٢٢ .
- . الضعفاء الكبير ، تح : عبد المعطي أمين ، ط ٢ ، بيروت ، ١٤١٨ هـ .
- . الفارس: محمد خضير.
- . السيرة النبوية في مرويات ومدونات عروة بن الزبير التاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة في كلية الآداب، البصرة، ٢٠١٠.
- . أبو الفرج الاصفهاني : علي بن الحسين ت ٣٥٦ هـ .
- . الأغاني، ب.محق، دار إحياء التراث العربي، ب.مكا، ب.ت.
- . مقاتل الطالبين ، تح: احمد صقر، ط ١، مط شريعت ، المكتبة الحيدرية، ١٤٢٣ هـ
- . ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦ هـ .
- . المعارف، ط ٢ ، بيروت، ٢٠٠٣م.
- . القرطبي: أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري ت ٦٧١ هـ / ١٢٧٣ م .
- . الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ .

- . كامل: علي مصطفى.
- . عبد الله بن سلام ت ٤٣ هـ ودوره في الحركة الفكرية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٢٢ م.
- . ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي ت ٧٧٤ هـ .
- . البداية والنهاية ، تح : علي شيري ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٨ م .
- . تفسير القرآن العظيم، ب.ط ، مط : دار المعرفة ، بيروت ، ١٤١٢ هـ .
- . السيرة النبوية ، تح : مصطفى عبد الواحد ، ط ١ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧١ .
- . الكليني : أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي ت ٣٢٩ هـ .
- . الكافي، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، ط ٣، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨ هـ.
- . الكناني: مصطفى سالم حازم .
- . البناء السياسي والفكري الأموي في بلاد الشام (٤١-١٣٢ هـ/٦٦١-٧٤٩ م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١٩ .
- . ابن ماجة : محمد بن يزيد القزويني ، (٢٧٥ هـ - ٢٧٠ هـ) .
- . سنن بن ماجة ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، ب.ط ، دار الفكر ، بيروت ، ب.ت .
- . مال الله: حيدر لفتة.
- . اساليب الدولة الاموية في تثبيت السلطة دراسة تاريخية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١١ م.
- . المتقي الهندي : علاء الدين بن علي ت ٩٧٥ هـ .
- . كنز العمال، تح : بكري حياني - صفوة السقا ، ب.ط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٩ م .
- . المزني : ابو الحجاج يوسف ت ٧٤٢ هـ .
- . تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، ط ١، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٠ م .
- . مسلم بن الحجاج النيسابوري ت ٢٦١ هـ .
- . الجامع الصحيح، ب.تح، ب.ط ، دار الفكر ، بيروت ، ب.ت .
- . المقرئ: أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٤٥ هـ.
- . إمتاع الأسماع ، تح: محمد عبد الحميد، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩ م.
- . الملاح: هاشم يحيى.
- . الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، ط ١، الموصل، ١٩٩١ م.
- . مؤلف مجهول: (القرن الثالث الهجري).

- . أخبار العباس وولده (أخبار الدولة العباسية)، تح: عبد العزيز الدوري . عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧١ .
- . ناجي: عبد الجبار .
- . نقد الرواية التاريخية، عصر الرسالة انموذجا، ط١، دار المحجة البيضاء، ٢٠١١م .
- . الناشئ الأكبر: ابو العباس عبد الله بن محمد ت ٢٩٣هـ / ٩٠٦م .
- . مسائل الإمامة، تح: يوسف فان أس، بيروت، ١٩٧١م .
- . نبيل: ايهاب .
- . النص التاريخي بين التنظير وسطوة الايديولوجيا، الحوار المتمدن، ٢٠١٨ .
- <https://m.ahewar.org/s.asp?aid=622424&r=0>
- . النصر الله: جواد كاظم .
- . إقرأ ما أنا بقارئ وحي أم كابوس، مجلة العقيدة، ع ٢٢، ٢٠٢١ .
- . الإمام علي في فكر معتزلة البصرة، ط١، دار الفيحاء، بيروت، ٢٠١٣م .
- . الإمام علي (ع) في فكر معتزلة بغداد، ط١، كربلاء، ٢٠١٧م .
- . فضائل أمير المؤمنين المنسوبة لغيره، ح ١، مركز الأبحاث العقائدية، النجف، ٢٠٠٩ .
- . قصة رضاعة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) بين خيال الراوي والواقع التاريخي، ط١، دار أمل الجديدة، دمشق، ٢٠٢٠ .
- . هيئة كتابة التاريخ برئاسة معاوية، مجلة رسالة الرافدين، العدد الخامس، ٢٠٠٨م .
- . النصر الله: جواد كاظم وكامل : علي مصطفى .
- . عبد الله بن سلام ت ٤٣هـ قراءة نقدية لروايات إسلامه، مجلة دراسات تاريخية ، ٢٠٢٢م .
- . أبو نعيم : احمد بن عبد الله الاصبهاني ت ٤٣٠هـ .
- . كتاب الضعفاء ، تح : فاروق حمادة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ب.ت .
- . ابن هشام : عبد الملك ت ٢١٨هـ .
- . السيرة النبوية ، ط٢ ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، ٢٠٠٤م .
- . الهيثمي : نور الدين علي بن أبي بكر ت ٨٠٧هـ .
- . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ب.ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٨م .
- . هيكل : محمد حسين .
- . حياة محمد، ط١٤، دار المعارف، القاهرة، ب.ت .
- الواقدي : محمد بن عمر بن واقد ت ٢٠٧هـ .

- . المغازي، تح : مارسدن جونز، ط١، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٦م.
. الورداني: صالح.
. دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين، ط١، ١٤٣٢هـ..
. ولفنسون: اسرائيل بن زئيف.
كعب الاحبار ، مراجعة : لويس صليبا، ط٢، دار ومكتبة بيبيلون ، جبيل، لبنان، ٢٠١١م.
-اليقوبي : احمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح ت بعد ٢٩٢ هـ .
. التاريخ، علق عليه: خليل المنصور، ط١ ، مط : مهر ، الناشر : دار الاعتصام ، ١٤٢٥ هـ .

صورة الأقليات الدينية في كتابات الاوربيين ابان العهد العثماني مصر والعراق نموذجا

أ.م.د. إطلال سالم حنا

جامعة الحمدانية - كلية التربية

الملخص

شكّلت الاقليات الدينية جزءاً مهماً من المجتمعات العربية، عاشت جنباً الى جنب مع مواطنيهم المسلمين الذين شكلوا الاغلبية لينتج بذلك مجتمعاً متماسكاً. ومن هنا نهدف الى دراسة صورة الاقليات الدينية في كتابات الاوربيين في العهد العثماني في كل من العراق ومصر . ان اهمية الدراسة تنبثق من كون السلطة العثمانية الحاكمة بقيت سلطة سياسية بحتة فالسلطين العثمانيين ظلوا بعيدين عن احداث تغييرات حقيقية في بُنية المجتمع العثماني والعربي، مما ولد تباعدا اجتماعيا ادى بالتالي الى النفور والعداء، نتج عنه ازدياد الهوة بين الحاكم والمحكوم، واقتصر دور الدولة العثمانية بوصفها اعلى سلطة حاكمة على حماية ممتلكاتها من اعدائها لاسيما اوربا التي بدأت تظهر كقوة تززع الامن في جميع ولاياتها منها العراق ومصر، ظهر ذلك جليا في كتاباتهم الرسمية وغير الرسمية لإثارة الخصومات والازمات، وظلت تلك العلاقة قائمة على الروابط الدينية لتتحول الى جزء من الموروث الاوربي تناقله الدبلوماسيون والرحالة والسياسيون الأوربيون استمر حتى نهاية العهد العثماني عام ١٩١٨ .

الكلمات المفتاحية: الاقليات الدينية- المسيحيون- اليهود- الصابئة- الاوربيون

**The image of religious minorities in European Writings during the
Ottoman period Iraq and Egypt as a Modle**

Assist. Prof.Dr.Etlal Salim Hanna

University of AL-Hamdaniya - College of Education

Abstract

Religious minorities formed an important part of Arab societies, living side by side with their Muslim compatriots who made up the majority to produce a cohesive society. Hence, we aim to study the image of religious minorities in the writings of Europeans in the Ottoman era in both Iraq and Egypt.

The importance of the study stems from the fact that the ruling Ottoman authority remained a purely political authority. The Ottoman sultans remained far from bringing about real changes in the structure of the Ottoman and Arab society, which generated social divergence that consequently led to alienation and hostility, which resulted in an increase in the gap between the ruler and the ruled, and the role of the Ottoman state was limited as The highest ruling authority to protect its property from its enemies, especially Europe, which began to appear as a destabilizing force in all its states, including Iraq and Egypt. European travelers and politicians continued until the end of the Ottoman era in 1918.

Keywords (religious minorities, Christians, Jews, Sabeans, Europeans)

المقدمة

ان الحديث عن مسألة الاقليات الدينية من الامور المهمة التي تدعونا لدراستها، اذ تظهر لنا من الوهلة الاولى بان المسألة جزء من الجماعة الوطنية التي تبدو وكأنها مسألة ثانوية لا تحتاج الى البحث او دراستها، وهي عند دراستنا لها كما صورتها المدونات الاوربية والتي سناتي على ذكرها بصورة اكثر تفصيلا ستظهر لنا بأن أحوالهم كالمسيحيين واليهود والصابئة والايديوية هي جزء خاص بهم كاقلية، ولكن الحقيقة التاريخية توضح لنا بانها ليست شأنًا خاصًا بهم فقط ، بل هي شأنٌ يهمّ مواطنهم المسلمين أيضًا، لان مسألة الحفاظ على وجودهم وحقوقهم يصب في مصلحة المجتمع ككل (1) .

توجد في المشرق العربي اقلية دينية سكنته منذ القدم ويعد سكانها اصليين في البلاد التي تواجدوا فيها، شكلت مجموعات اثنية- دينية، احتفظت تلك المجموعات بطقوسها الدينية ولغتها الخاصة المختلفة عن اللغة الوطنية الرسمية، الا انها اصبحت بفعل الهجرات او التهجير القسري قليلة العدد (2) .

اعتمد التدوين الاوربي عن الاقليات الدينية في المشرق العربي ومنذ عهد بعيدة على الاحكام المسبقة والافكار وازدادت تلك لتتحول جزء من ثقافة الغرب ونظرتهم الى الاقليات الدينية في العراق ومصر تحديدا عن طريق عدد كبير من الدراسات والرحلات والزيارات الميدانية التي قاموا بها اليه والتي تحولت الى خبرات طويلة ليحددوا بها ملامح الشرق، اذ قسموا تلك الخبرة الى جغرافية موروثية عن علماء الاغريق اليونانيين الى قارات ثلاث وهي القارات المعروفة آنذاك اسيا وافريقيا واوروبا، ليضيفوا اليها فيما بعد قارة امريكا بعد اكتشافها، ومن هنا بدأوا بتحديد الوحدات الاقليمية التي تُعبر عن اسلوبهم في تعاملاتهم اليومية او الرسمية والتي بدأ العثمانيون بتبنيها لا بل باعتمادها ايضا (3) .

ان الاوربيون الذين كتبوا عن الشرق عامة او عن الاقليات الدينية خاصة كانوا عموما موظفين رسميين سواء في الهيئات القنصلية او في السفارات الدبلوماسية او المقيميات الرسمية الذين سكنوا مصر او العراق، بحكم عملهم وتكليفهم الرسمي، وبغير رغبة حقيقية مكثوا فيها لأجل الوظيفة او طمعا بالمال، لانهم اناس كانوا يشعرون بالملل وتظاهروا على حد قول الرحالة الالماني- الهولندي ليونهارت راوولف Rauwolf Leonhard في رحلته للعراق مثلا للأعوام

١٨٦٦-١٨٦٨ بانهم كانوا" يتظاهرون بمظهر الأرواح الشقية التي تقضي أيامها في المطهر
انتظاراً لفردوسٍ خيالي ليست أهلاً لتفاهتها وخستها"⁽⁴⁾. او كانوا رحالة استهواهم الشرق وسحره
لاسيما فيما كتب عنه في القصص والروايات للإحساس والشعور بذلك السحر فقدموا الى الشرق
وكتبوا عنه ان سبب رحلاتهم هو"لقضاء الشتاء الجميل في القاهرة الى اجواء بغداد التي سحرتهم
برومانيتها وشرقيتها لاسيما ما كتب عنها في قصص الف ليلة وليلة"⁽⁵⁾. في اشارة الى سحر
القصص والحكايات التي جسدها كتاب الف ليلة وليلة بحالته الادبية الشرقية الفريدة من نوعها والتي
جذبت الأوربيين، وقصصه المتنوعة والمتعددة، والتي فتحت ما يمكن ان نسميه ابواب المغامرة وحب
الاستطلاع بعد ان تم ترجمتها لعدة لغات اوربية أبان القرن الثامن عشر .

جاءت كتابات الأوربيين بانهم قسموا الاجناس البشرية ومن ضمنها البلاد العربية التي ركزوا
عليها فكتبوا عنها بان الشرق مسلم بغالبيته وظهروا بان الاسلام معاد للأديان السماوية الاخرى
فقسموا المشرق العربي من وجهة نظرهم الى قسمين"حسب الرؤية الاسلامية للعالم الى قسمين هما
دار الاسلام الذي يمثل الاقاليم والدول والولايات الاسلامية التي تحكم بموجب الاسلام والقسم الثاني
هو العالم الذي هو دار الحرب، وبما انه يوجد له واحد فيجب ان يكون لديهم قانون واحد وسلطة
سياسية واحدة ورعية واحد ويجب عليها حمايتهم كونهم اميين لحين اهتدائهم الى الاسلام بموجب
القانون الذي اقره منذ الفتوحات الاسلامية باستخدام وسيلة مهمة الا وهي الجهاد"⁽⁶⁾.

- العوامل التي ادت الى تدوين الأوربيين عن الاقليات الدينية

لم تظهر صورة الاقليات على المسرح السياسي او الحديث عنها مثل الحد الذي بلغته في
العهد العثماني، فقبل الحديث عن تلك الصورة التي نقلها الأوربيون عنهم لا بد لنا من التطرق الى
الاسباب التي دفعتهم الى تدوين الكتب، اذ ان كتاباتهم اخذت حيزا كبيرا من الاهتمام الدولي
تجاوزت تلك الحدود الى المخاطبات الرسمية في سجلات الشؤون الخارجية للدول الاوربية التي
تغلغت في جميع ارجاء الدولة العثمانية، ومن هنا نجد بانه كان لديهم العديد من الاسباب التي
دفعتهم للتركيز والتدوين عنهم منها:

١- عهد السيطرة العثمانية وفرض سلطة الدولة

سيطرت الدولة العثمانية على البلاد العربية منذ القرن السادس عشر الميلادي ، ونُظِر إليها على ان سيطرتها بانها زمن النعمة والبركة، اذ مرت قرون عديدة رزخت فيه البلاد العربية تحت حكم الامبراطوريات والدول الجائرة، ورحبت شعوبها بالحكم العثماني ونظرت اليه نظرة المنقذ والمحرر من استبداد الحكام المحليين، وعولمت الاقليات الدينية بنوع من التسامح وفق ما اقترته الدولة العثمانية فجاءت كتابة الاوربيين عن سيطرة الدولة العثمانية نتج عنها الى التخفيف من ماسموه بحدّة "التعصب الديني" لاتباع الديانات غير المسلمة والتي حكمت وفق نظام الملة - الملل - ملت The Millets system (7)، والذي أُقرّ منذ عهد السلطان العثماني محمد الثاني ١٤٥١-١٤٨١م (8)، كان الهدف منه احتواء المسيحيون واليهود تحت حكمها (9).

اخذت اوضاع الاقليات الدينية منحاً جديداً بموجب النظام، وسمح لهم بموجبه انتخاب الرؤساء الدينيين من قبل افراد الملة نفسها واقترن تعيينهم بصدور فرمان سلطاني (10)، واصبحت ترد كلمة الملة في السجلات العثمانية الرسمية من خلال الاشارة الى ما أُطلقت عليه فخر الملة المسيحية-فخر الملة اليهودية (11).

جاء استحداث نظام الملة لتنظيم شؤون غير المسلمين في الدولة العثمانية ومنحهم الحرية والاستقلال التام، ليصبح جزءاً من بنية الدولة (12)، لأنها كانت دولة ضد القومية قائمة على اساس الدين او الملة (13).

تطور مصطلح الملة في القرن التاسع عشر الميلادي يشير الى طائفة دينية محددة (14)، بينما نجد البعض يعده نوعاً من الاستقلال او الحكم الذاتي، لأنه يتولى سلطات الحكم على افراد ملته، ويقتصر دور الحكومة المركزية على ارسال الموظف المسؤول عن جباية الضرائب بزيارة الملة مرة واحدة فقط كل عام لاستحصال الجزية (15).

أصبح نظام الملة جزءاً من الحياة الاجتماعية في المجتمع العثماني، لتتهيأ له الظروف لينمو ويصبح هيئة مستقلة في الشرق الاوسط تفي بحاجات الشعوب التي كانت تضيي الانسجام مع المصالح المتضاربة (16). ويشكل نقصاً كبيراً في الاهتمام بالمجتمعات الدينية في الدولة كونه قائم على فكرة النظام الاجتماعي المستند على افكار سُنت في العصور الوسطى ووقفت على احكام القوانين والعادات المسبقة التي لم تعد صالحة لان تُحكم بموجبها الشعوب العربية (17).

٢- الترويج لمبدأ حماية الاقليات الدينية

مرّ مسيحيو المشرق العربي بأصعب الظروف منذ القرن الثالث عشر الميلادي الى عصر النهضة العربية، لاسيما بعد سقوط بغداد على يد المغول عام ١٢٥٨م ومن ثم السيطرة العثمانية على البلاد العربية وانتشار الفساد الاداري والتمييز، لذلك انكمش رجال الدين في كنائسهم القليلة او اديرتهم البعيدة يسجلون ملاحظاتهم وتاريخهم بخوف ورهبة معتمدين في العراق على مساعدة الاهالي وتعاون القرى المسيحية في شمال العراق وسوريا وجبل لبنان ومصر حتى بداية دعوتهم للنهضة العربية⁽¹⁸⁾ في القرن التاسع عشر⁽¹⁹⁾. فعانت البلاد العربية من الجهل، واستمرت مرحلة الجهل لمدة طويلة ، اذ كان وضع المسيحيون والمسلمين واليهود سيئاً جداً كونها بمرحلة الجمود والانحطاط⁽²⁰⁾.

عاشت البلاد العربية حالة من الجهل عهد السيطرة العثمانية، ولم يعد الشرق الاوسط مركز العالم في العلم والفن، وساهمت الضرائب الباهضة المفروضة من قبل الولاة العثمانيون عليها في استمرارية مرحلة الجهل وكان وضع المسيحيون واليهود اكثر سوءا من مواطنيهم المسلمين⁽²¹⁾.

وعلى اساس ذلك نجد بان الاوربيين كتبوا من وجهة نظرهم بانه يجب ان تخضع الاقلية في الشرق للاغلبية هدفوا منها بث الكراهية والحقد عند الشعوب الاوربية (الرأي العام الأوروبي) ضد المسلمين وحكامهم اي الدولة العثمانية ، فجاءت كتاباتهم "بان المسلم متعصب بالنسبة الى المسيحي فهو لا يأكل معه... والمسلمون يحملون كراهية كبيرة للمسيحيين واليهود معاً... يحملون البغضاء تجاه الاخر وهم متدمرون، مخادعون غير مؤمنون يسعون كذلك للملذات الدنيوية وجاهلون بشكل عام"⁽²²⁾.

وهذا الامر ينطبق على اليهود ايضا اذ نقلوا لنا بانه طرأت تغييرات كبيرة على اوضاع اليهود منذ منتصف القرن التاسع عشر عندما بدأت فرنسا وبريطانيا تبرزان الحقوق المسلوبة لهما ومن هنا ظهر مبدا حماية الاقليات الدينية من قبل اوربا في المشرق العربي على اساس منح المساواة للجميع في الحقوق والواجبات، لاسيما ان ليهود بلدان الشرق مصالح مشتركة مع الدول الاوربية تربطها مع بعضها البعض على اساس المساواة للأقليات خدمة لمصالحها السياسية والاقتصادية والدينية وان كانت مصالح الاخيرة اقل اهمية، لاسيما بعد ان اقدمت الدولة العثمانية

على الإصلاحات في محاولة منها لوقف تدخل تلك الدول في شؤونها الداخلية والتوقف عن إثارة المشاكل الطائفية⁽²³⁾.

جاءت كتابات الأوربيين متناقضة الى حد كبير اذ ان ما كتبوه اعلاه عكست مخططاتهم ومصالحهم في المشرق العربي، فهم من جهة يذكرون بان الاقلية يجب ان تخضع للغالبية ومن جهة اخرى يذكرون بان المسلمون واليهود والمسيحيون يتشاركون بالسمات ذاتها مع مواطنيهم المسلمين الساكنين في الولاية ذاتها.

بدأ الأوربيون العمل فعليا بجمع المعلومات وكتابة التقارير اللازمة وظهر ذلك جليا اذ كتبوا بانه "علينا ان نحصل على المعلومات الكافية لإصلاح الدين الاسلامي ... بسبب وجود رئيس حكومة⁽²⁴⁾ (في مصر) متطرف عام ١٨٨٠"⁽²⁵⁾.

ولتحقيق مبتغاهم في زرع التفرقة بين شعوب المشرق العربي جاءت كتاباتهم تتمحور حول الصراعات والحروب وكيفية اثارها وهذا ما كتبه المس بيل في احدى رسائلها لوالدها اذ قالت: "علينا ان نوطن انفسنا لنرى عقارب الساعة تدار كثيرا الى الوراء... عزيزي الوالد... الا تعتقد بان الحروب والثورات يمكن ان تعتبر من الاشياء الاعتيادية"⁽²⁶⁾. لذلك "استخدمت قوات الليفي الاشورية⁽²⁷⁾ لتأديب العشائر الكردية"⁽²⁸⁾. فالعراق هو ضمن المجموعات القبلية الكبرى تمتلك عددا من المسلحين والسيطرة في المدن لكبار الملاك العقاريين والتجار يوجد بينهم من اليهود والمسيحيين"⁽²⁹⁾. ولم يكن بين السكان (فلسطين - القاهرة - بغداد) وحكامهم الجدد ما يجمعهم في صعيد واحد... فقد كشف الاختلاط بينهم عن اعظم الاختلافات في العقلية العربية"⁽³⁰⁾.

٣- انتهاء السيطرة العثمانية على البلاد العربية

بدأت كتابات الأوربيين نحو تحقيق اهدافهم العديدة للقضاء على الدولة العثمانية بصورة علنية لاسيما بعد ان اثيرت المسالة الشرقية Eastern Question⁽³¹⁾. وظهرت على المسرح السياسي اذ كتب الأوربيون بان العثمانيين اصبحوا عامل هدم للمجتمعات المشرقية وللعالم بأجمعه قائلين "ان الدولة العثمانية اصبحت تشكل تهديدا للعالم... الحقيقة ان الحكم العثماني اتى الى العالم ليهدم لا ليبنى" ويظهر ذلك من كل المدن التي زاروها ومن ضمنها الموصل⁽³²⁾.

كان الأوربيون بارعين في نقل الاحداث وفبركتها حسب اهوائهم للضغط على السلطات الحاكمة أي الدولة العثمانية لغرض استخدام الاقليات كورقة ضغط لانهم كتبوا بانه "يجب اقتسام املاك الرجل الضعيف للذين يعانون من الفساد وعيوبه لأنه موجود حيث توجد الاضطرابات"⁽³³⁾. مشيرين بذلك الى الدولة العثمانية وليصبح اللقب الذي اشتهرت به منذ منتصف القرن التاسع عشر. ويرجع سبب ذلك إلى الهزائم التي تكبدتها على يد الدول الأوروبية وفقدت بموجبها الكثير من أراضيها، فذهبت هيبتها ومكانتها بين دول العالم وأخذت الدول الأوروبية تخطط لاقتسام أملاكها الواسعة.

ركزت مدونات الأوربيين بالدرجة الاساس وبصورة اكبر منذ بداية القرن العشرين للقضاء على الاسلام من خلال اثاره المشاكل الطائفية بينه وتحديدًا على الدولة العثمانية كونها تدعي بانها حامية السنة لانهم يشكلون الخطر الاكبر في الشرق العربي "الخطر العظيم يكمن في قوة الدولة العثمانية بصفتها الدولة الاسلامية الاولى"⁽³⁴⁾.

كانت كتابات الأوربيين تركز دائما على التاكيد على وجود خلافات جوهرية في الدين الاسلامي بمذهبيه السني والشيعي، ولكن طبيعة الخلاف بين المذهبين كانت قد غذته كل من الدولة العثمانية التي تدعي بانها حامية السنة وبين الدولة الصفوية التي ادعت بانها حامية الشيعة لكنه في عمقه صراع على المصالح لأن كلتا القوتين اردتا أن تظهر بمظهر زعيمة العالم الإسلامي، وإقليمي لأن لكل منهما مصالحها الإقليمية الحيوية التي تسعى للحفاظ عليها وتتميتها، ومحاولة كل منهما تقديم الاعراض الكبيرة لكسب المؤيدين لها من البلاد العربية "شارك كبار اعيان المسلمين بإدارة الدولة العثمانية وكانوا من المسلمين السنة وقد راوا في تلك الدولة الوسيلة الوحيدة للدفاع عن الاسلام في وجه التهديد الأوربي"⁽³⁵⁾.

ان الذي اظهرته الكتابات الأوربية ومن وجهة نظرهم بان الاسلوب الذي اتخذته الدول الأوربية فيما يتعلق بإثارتها للمسألة الشرقية ضد العثمانيين لم يكن سوى وسيلة لطريقة التفكير في كيفية ايجاد المسكنات العاملة"، اذ ان طريقة التفكير تلك قصدوا منها بان الانسان يمر بمرحلة في حياته يشعر فيها بعدم قدرته على التفكير او الإبداع ويكون محاصراً بأفكار محددة وهي هنا

بالتأكيد تلك الأفكار المفروضة من قبل الدولة العثمانية، مما يضطره الى اللجوء الى الاقوى لغرض حمايته وكيفية الحصول على حقوقه⁽³⁶⁾.

ان مدونات الاوربيين جاءت لتسلط الضوء على الخلافات في المذاهب بالمجتمع الشرقي عامة بما معناه استحالة التعايش وحتمية التنافر والقطيعة بين المسلمين بمختلف مذاهبهم والاديان الاخرى من جانب اخر، مع اظهارها بمظهر عدم امكانية التعايش والتواصل والوحدة في ظل المجتمع المدني، الا ان الذي لا يستطيع احد نكرانه بان ابناء المذاهب وبناء الديانات الاخرى شهدا قروناً من التعايش السلمي، أنتج حضارات وثقافات تحولت إلى إرث إنساني، وليس فقط إرثاً إسلامياً، وان الصراع الذي كان يغذيه المحتل او الحكومات لم يحدث أن تحول إلى مواجهة مباشرة بينهما⁽³⁷⁾.

من ذلك يظهر جلياً بان ردود افعال الدولتين (العثمانية والفوية) وصراعهما على المصالح جاءت في كتابات الاوربيين الذين قدموا او عاشوا في الشرق وصورتها على ان الاقليات الدينية تعيش في "مجتمع متنافر تماماً" انعكست بالتالي على اوضاعهم الاجتماعية والسياسية بشكل يظهرها للعيان بانه اقضاء الاخر وتثبيتاً لهيمنة الفكر الواحد المنتصر، والقضاء على التنوع والاختلاف والثراء الذي يحمله فكر الانسان الآخر، ومحاولة لحبس الفكر في مآسي الماضي وحروبه المدمرة ، فضلا عن القضاء على كل ما من شأنه الخروج على ما هو مألوف ونبذ التقليد⁽³⁸⁾.

عموما صور الاوربيين الشرقيين وهم كمن القاهرة لا يمكن السيطرة عليهم الا تحت "اسلوب التهديد وبالغضب لانهم غليظين، واذا لم يتم التعامل معهم بهذا الاسلوب فان السفر او الامور الاخرى ستتأخران وسيعيقون المصالح الاوربية في الولايات العربية"⁽³⁹⁾.

اما الشرقيين عموما فهم يعانون من عقدة العزوف من الحاكم وهذا واضح جدا من خوفهم من تقديم التظلم او الشكوى وهذا حال الشرقيين وحال حكامهم ومنها مصر⁽⁴⁰⁾. وفي حال تهديدهم من قبل الاوربيين فان المسلمين يجتمعون "كلهم على تحدي قوات الدول المسيحية-الاوربية"⁽⁴¹⁾.

رابعاً: اسباباً اخرى

هناك اسباباً اخرى دفعت الاوربيين للكتابة ونقل صورة عن الاقليات في الشرق الاوسط وعلاقتهم بمواطنيهم المسلمين بصورة مغايرة عن الواقع ، اذ بدا واضحاً بان كتاباتهم جاءت لاثارة

التفرقة الدينية والمذهبية في المجتمعات الشرقية تنفيذاً لسياسة الكيان الصهيوني لتحقيق اهداف الصهيونية العالمية واثارة التفرقة بين المسيحيين انفسهم من خلال مايعرف "بالمسيحية الصهيونية" ومجئ السيد المسيح(ع) ليحكم الف عام على الارض لينشئ حكم الالفية من خلال التطرق الى المواضيع الدينية واثارة الاسئلة المهمة منها "هل سيظهر المسيح...ومتى؟"(42). وهل "سينشر سلطانه على الارض او هل سيظهر يوم الحساب فقط...متى سيجئ الدجال"(43).

يعد الاحتلال الفرنسي لمصر ١٧٨٩-١٨٠١م احد الدوافع التي ادت الى تدوين كتاباتهم اتضحت اهمية الموقع الاستراتيجي للبلاد العربية واتضح الضعف العسكري للدولة العثمانية، فضلا عن تغلغل الافكار الاوروبية اليها لاسيما افكار الثورة الفرنسية بما رفعته من شعارات الحرية والاخاء والمساواة، التي كانت الحدود الاولى للتقريب بين افكار ما بدأوا يثيروها في اشارة الى ان الاسلام يكفر الاخر وهذا الامر عار عن الصحة فكتبوا عن "الكفار وعقل المسلمين...بدات افكار عصر النهضة والتوير والثورة الصناعية تتغلغل بصورة كبيرة والتي كانت افكارا مسيحية بوسائل دفاعية عقلية اسلامية دون ان يلاحظوا ذلك"(44).

كان القرن التاسع عشر بداية لانتشار الافكار الاوروبية كانتشار مفهوم المواطنة كاساس للتعددية في البلاد العربية التي بدات الدولة العثمانية سياستها تلك باستخدام نظام الاصلاحات لاسيما حَظِّي شريف كولخانة Tanzimatm Fermani وهمايون hümayun Fermani(45)، للوقوف بوجه التحديات الاوروبية التي بدأت تتغلغل فيها وفيها بدات فكرة القومية تظهر الى الوجود في البلاد العربية(46). متناسين بان مفاهيم التعددية متواجدة منذ القدم وهي سُنة كونية خلقها الله سبحانه وتعالى لإقامة العلاقات الانسانية.

ان ما نتج عنه فيما ذكرناه ميل الاقليات لدعم الدولة العلمانية بعيدا عن الدين الذي التقت دعواتهم مع دعوة النخبة الراغبين بإبعاد الجمهور عن السلطة السياسية، وهو بالتأكيد لا يتناقض ابدا مع هويتها الدينية ويظهر كضامن لحقوقهم، بينما في المقابل نجد الاغلبية يشعرون بانهم سيفقدون الكثير زمن هنا يتم اتهامهم بكونهم متحالفين مع الخارج(47).

يتضح من ذلك بان ميل الاقليات الدينية للبحث عن الذات في المجتمع الذي يتمايزون فيه دينيا، نظر اليه مواطنيهم المسلمون بانه خروج على حكم الدولة وذاتها السياسية الا وهي السلطة

صورة الأقليات الدينية في كتابات الأوربيين (ابان العهد العثماني مصر والعراق) نموذجا أ.م.و. إطلال سالم حنا

السياسية الاسلامية كونها تشكل الاغلبية، لتظهر العلمانية بمظهر الراغبة بالقضاء على الهوية الاسلامية للدولية، بينما في حقيقة الامر بان تلك الذاتية التقت مع دعوات النخبة السياسية من الجيل الاول التي تشكلت افكارها مع نهاية القرن التاسع عشر، وبدأت تدعو بقوة الى فكرة القومية العربية واستخدام اللغة العربية ورات بان ذلك لا يتناقض مع الاسلام ايضا باعتباره دين الاغلبية. ولتحقيق ذلك فان الاوربيين في كتاباتهم دائما ما وضعوا امام اعينهم خيارات متعددة حتى وان جلبت الدمار والموت للشعوب منها خيارات افتعال الازمات والاضطرابات وابرزها خيار الحرب الذي سيبقى دائما في الحسبان وقائم في كل زمان واي مكان لاسيما العراق ومصر ذات المجتمعات المتعددة الاديان والمذاهب والطوائف والقوميات فكانت مدوناتهم تعتمد على انه " يجب ان نقوم به للحيلولة دون حصول اتحاد عربي تركي اذ لا يخفى ان الدولة العثمانية كانت تدس يميننا وشمالا من اجل ان تكسب العرب الى جانبها حتى انه قد قيل بان ابن سعود اقدم الرؤساء العرب قد اقع للانضمام الى الترك فان صح ذلك يجب ان نتوقع نشوء اضطرابات خطيرة فيما بين النهرين ومصر" (48).

جاءت كتابات الاوربيين للتركيز اكثر على ما يمكن ان نسميه سياسة العزلة العثمانية التي فرضت لاربع قرون نتيجة السيطرة العثمانية على البلاد العربية فتوقعوا "ان تغييرا ما سوف يطرا حتما في هذه الاراضي التي تعيش في عزلة طويلة مع تغيير الازمنة والاحوال والظروف كما ان اختمار الافكار والممارسات الغربية سوف يخلق رؤية جديدة اكثر شمولية عن الناس والامور في هذه الاراضي المحافظة منذ زمن بعيد التي يقطنها احفاد اسماعيل المنعزلين والوهابيين المتشددون والتي ظلت تعيش على مدى قرون عديدة وراء الكواليس معزولة عن بقية انحاء العالم... هل ستبقى زاوية الرؤية الجديدة وراء التغيير الحتمي الذي يلوح في الافق على الدوام ام لا بقي ان نرقب ذلك ونرى ماسيحدث" (49).

صورة مسيحيو ويهود مصر والعراق في كتابات الاوربيين ابان العهد العثماني

ان كتابات الاوربيين عن الاقليات الدينية المتواجدة في المشرق العربي في العراق ومصر جاءت وبصورة ظاهرة للعيان كجزء مهم من الموروث الاوربي والتي يمكننا ان نقسمها كالتالي:

١- المسيحيون

إن الحديث عن مسيحيي المشرق عامة في العهد العثماني يستدعي توضيح العلاقة بين المسيحية وأرض الشرق التي فيها نشأت وانطلقت منها، وتسليط الضوء على الأصول المشرقية للمسيحية، سيما وأن التراكمات التاريخية أدت إلى التباس الصورة في أعين العديد من الغربيين، فأصبح بعضهم يتشكك عجباً إذا عرف أنك "مسيحي - عربي" لأنهم يخلطون بين العروبة والإسلام، ويعتبرون أنّ مفهوم الإسلام ملازم للشرق، بينما مفهوم المسيحية ملازم للغرب، بالرغم من أنّ الشرق هو مهد الديانتين معاً والحاضن لأراضيها المقدسة فالمسيحية متأصلة في الشرق، رغم الاضطهادات التي واجهتها ومازالت، وذلك بحكم نشأتها المشرقية : فمن الشرق إنطلقت، وفيه ترسخت قبل أن تنتشر في أرجاء العالم⁽⁵⁰⁾.

ومن هنا دون الأوربيون عن الأقليات الدينية ومذاهبهم وطوائفهم في الشرق الأوسط التي لا تخلو تلك الكتابات من التقليل من شأن الأديان السماوية ، لاسيما وأن الأديان عامة تدعو الى العمل للحياة الآخرة ولا تدعو الى حب المال فكتبوا "إذا كنت تاجراً ولا تريد الإفلاس فلا يسعك ان تسير تجارتك طبقاً لتعاليم المسيحية الأولى، وليست بريطانيا وحدها هي التي تعمل بهذا المبدأ"⁽⁵¹⁾.
أما عن العلاقات الاجتماعية بين اتباع الديانات السماوية الثلاث والأديان الأخرى فنجد بان كتاباتهم لم تخلو من نقل بعض الحقائق كما هي فكتب القائد البريطاني جيمس فيلكس جونز James Felix Jones الذي قدم الى بغداد عام ١٨٤٦ وقبلها كان متواجداً فيها كونه المسؤول عن سفينة المقيمة البريطانية، في مذكراته عن الحرية الدينية القائمة بين الأديان في ولاية بغداد، بان اليهود والمسيحيون والمسلمين الساكنون في بغداد يعيشون في جو من التسامح الديني وأضاف "من المحتمل الا نستطيع نحن ان نشاهد مثل هذا التسامح الديني بين هذه المجموعات كما يظهر في بغداد .فمن الممكن ان يشاهد اليهود والمسيحيون دائماً على ظهر الخيل .بينما يجبر اخوانهم في أماكن أخرى (يقصد مصر) اما على السير على الاقدام او ان يمتطوا الحمير كدلالة على حالة الوضاعة او الدونية"⁽⁵²⁾.

جاءت في كتابات الأوربيين بان مجتمع البصرة يمثل متحفاً شاملاً للأعراق والاجناس المتنوعة ففيها تجد المسيحيون وبطاركتهم واليهود وحاخاماتهم... الخ⁽⁵³⁾. وهذا ما أشاروا اليهم ايضاً في مجتمع الموصل اذ ذكروا بان المدينة مكتظة بالسكان وتحتوي كل الأديان والطوائف وان مجتمع

الموصل اقل محافظة من مجتمعات الولايات الاخرى لان النساء غير محجبات وطريقة لباسهم تشبه الملابس الاوربية⁽⁵⁴⁾.

نقل الاوربيون صورة عن الاقليات في الشرق التي من ابرزها "الاقباط والاراميين-السرمان" والتي جاءت الى حد كبير مطابقة لمواطنيهم المسلمون، فكتبوا عنهم مثلاً بانهم محافظين "مسيحييتهم محافظة جدا مثل اسلامية المسلم" لا يلتقي الدين والمجتمع هنا فاتباع الديانة المسيحية يتفخرون على غيرهم، والمسيحي مرن اكثر من المسلم اذ لا يستطيع الاخير التكيف مع التغيير، فالقبطي مثلا من الصعب ان يتحول الى غير مذهب او ان يطور ذاته ليس لأنه قبطي بل لأنه شرقي، فضلا عن انه محاط بأناس معاديين للتقدم (يقصد مواطنه المسلم)، والمسيحي عموما قابل للتحويل ويتقبل التقدم والتطور في الجوانب الحياة الاجتماعية والارتقاء بها اكثر من المسلم لأنه الاخير متعصب⁽⁵⁵⁾. في اشارة منهم الى ان المسلم تكون مواقفه او تصرفاته ثابتة لا تتغير، ويفقد الكثير من الجهد ولا يصل الى هدفه كونه ينسأه لاسيما فيما يتعلق بالرأي والفكر المعارض لأفكاره التي ورثها، وهذا امر ايضا يتناقض مع ما كتبه للأسباب التي ذكرناها مسبقا لاسيما بعد ان بدأت فكرة القومية العربية تنتشر والتي تبناها المثقفون المسلمون والمسيحيون معا.

كتب الحاكم المساعد لمدينة القدس هاري لوقا Sir Hary Lukach فدون اثناء رحلته الى الموصل عام ١٩٠٧ انه من بين الاقليات الدينية التي تسكن العراق المسيحيون النساطرة الذين يطلق عليهم الاشوريون واليعاقبة من الكلدان والكاثوليك السريان، الارمن، فضلا عن اليهود، ونجد بينهم "اناسا دمئي الاخلاق عانوا منذ فترة طويلة من الاضطهاد يسمون الايزيدية⁽⁵⁶⁾. الذين الههم الاساسي هو الشيطان فقط"، والصابئة المندائيين اتباع يوحنا المعمدان ووصفهم بانهم فرقة من صائغي الفضة ومعتقداتهم تعود الى اشخاص يعبدون القمر⁽⁵⁷⁾.

وهنا نود الاشارة الى ان كتابات هاري لوقا عن مسيحيي العراق لم تكن دقيقة الى حد كبير ن لابل فيها معلومات خاطئة، فالمعروف بان التقسيمات تأتي على اساس الاجناس ثم المذاهب الدينية فعندما نقسم الاجناس التي يتكون منها المسيحيون الاشوريون - الكلدان - ثم الاراميون - السريان - والموارنة نسبة الى مار مارون الانطاكي حاليا - الارمن، ثم تاتي تقسيماتهم المذهبية فقد يكونوا سريان كاثوليك او سريان ارثوذكس او ارمن ارثوذكس او ارمن كاثوليك وهكذا⁽⁵⁸⁾.

بينما ذكر رحالة اخرون بانه في الموصل اربع فرق مذهبية وهم الموارنة والروم والنساطرة والارمن، فضلا عن تواجد مقر للاباء الكبوشيين⁽⁵⁹⁾. والسريان المشاركة من اتباع نسطور، هؤلاء لا يفقهون شئياً عن اصولهم التاريخية واكبر ضلال بينهم هو الجهل⁽⁶⁰⁾. وانه لا توجد في بغداد كنائس للمسيحيين ووفدوا اليها منذ سنوات قليلة هربا من الحروب والقتال، ولا يسمح لهم بإقامة شعائرهم الدينية وعندما يريدون اقامة القداس فانهم يجتمعون في بيت ويقومونه سرا⁽⁶¹⁾.

ونتيجة للأسباب اعلاه نجد الاوربيين في رحلاتهم وكتاباتهم ومخاطباتهم الرسمية يركزون مثلا على ابراز الخلافات المذهبية وبالتأكيد هذا يعود لاستخدامها لاحقا وتوظيفها خدمة لمصالحهم الخاصة بمحاولة كل كنيسة كسب اتباع الكنيسة الاخرى من جهة والضغط على الدولة العثمانية من جهة اخرى، فقد اشارت كتاباتهم في وثيقة رسمية تعود لعام ١٨٨١ الى الخلافات بين الكنيستين السريانية والكلدانية بسبب اراضي الاوقاف التابعة لهم وركزت بشكل اكبر على التأكيد على عدم اهتمام السلطات العثمانية بواقع الاقليات في الموصل، في محاولة من بريطانيا لكسب مسيحيي العراق وضمهم الى المذهب البروتستانتي⁽⁶²⁾.

ومن رحم تلك المخاطبات الاوربية بداوا برسم سياستهم الا وهي استخدامهم لسياسة فرق تسد فنراهم تارة يركزون على الخلافات الدينية بين المذاهب المسيحية، فيشكرون المتعاونين معهم على المعلومات المهمة التي كانوا ينقلوها لهم موظفيهم في الموصل، ويصفونهم بعبارات تلائم مستوى تفكيرهم، وهنا يركزون على ادق التفاصيل من انفصال الكنيسة الكلدانية عن الكنيسة النسطورية الشرقية القديمة عام ١٦٨١م، والتي اصبحت بطيريكية مستقلة عام ١٧٧٨، واصبحت تابعة لكنيسة روما الكاثوليكية في عهد المطران هرمزد يوحنا، وظلت كرسيا رسوليا قائم بذاته بلا منازع، ومما جاء فيها "يؤسس الكلدان المتشددون معارضتهم لعقيدتهم المعصومة... فهي سخيفة وطفولية، الحق معهم ولكن لا سبب لندعمهم" التي يتضح فيها محاولة البروتستانت استقطاب الكاثوليك الى صفوفهم⁽⁶³⁾.

وفي الوقت نفسه يشيرون الى مشاعر الاحتقار التي تحملها السلطات العثمانية ضد رؤساء الكنيسة وتهميشهم وحرمانهم من تولي الوزارات، لا بل استخدام اسلوب النفي ومنع دخولهم الى مدنهم، مما يعيق اجتيازهم للالزامات والكوارث⁽⁶⁴⁾. في اشارة الى ضرورة تدخل الدول الاوربية لاسيما

بريطانيا وفرنسا لحمايةهم واسترجاع حقوقهم من السلطات العثمانية في تناقض واضح لكتابات الاوربيين اذ كان نظام الملة معمولاً به حتى نهاية العهد العثماني.

ان الخلاف بين الكلدان انفسهم سببه كما كتب الاوربيون كانت بسبب السيادة، اي قبولهم سيادة البابا عليهم فهي ليس من حقهم الاعتراض فالاعتراضات ضد سلطة البابا كانت عبثية حسب وجهة نظرهم، لان القبول بسيادة البابا يعني الاعتراف بسلطته المطلقة لوضع مؤسساتهم "القديمة والعزيزة تحت رعايته... لان السيادة بدون ممارسة السلطة الدينية لا يمكن ان تتواجد بشكل جيد... وليس من العبث الاعتراف بالواحد ورفض الاخر" على حد تعبيرهم⁽⁶⁵⁾.

عندما كتبوا عن استجابة كنيسة روما لمطالب الكلدان والمسيحيين عموماً فيما يتعلق بشؤونهم الدينية وبعبارتهم اتباع المذهب الكاثوليكي انعشت قلوب الاوربيين وأفرحتهم بعد الالام التي تعرض لها اتباع هذا المذهب، ونجد هنا استجابة تامة للبطيريك الذي اثبت حكمة وبذل جهوداً كبيرة لخدمة رعيته⁽⁶⁶⁾.

يصف الاوربيون رجال الدين المسيحيين الذين يرفضون التعامل مع الدول الاوربية بانهم غير مرغوبين يرفضون التعاون معهم بانه لهم "عقولهم اصبحت ضعيفة جداً وغلبت عليهم الشيخوخة، في المقابل فقد واجه ازدياد والاهانة من قبل السلطات.. بالتالي ان جميع ما فعله هو لحماية حقوقنا"⁽⁶⁷⁾.

وعن التجار العاملين في مجال التجارة فنجد الرحالة والصحفي البريطاني جيمس بنكهام James Silk Buckingham اثناء زيارته للعراق في عام ١٨١٦م ، اذ نجده ينقل لنا صورة عن التجار المسيحيين بالموصل فيكتب عنهم "بانهم متحررين ومتعاطفين مع بعضهم البعض اكثر من مسيحيي الشرق الاخرين، ويبدو عليهم الانسجام"⁽⁶⁸⁾.

كتب عنهم الرحالة ليونهارت ايضاً بانهم مشهورون بالأمانة فاذا غش احدهم زملائهم في التجارة فان الاخر يبلغ عنه وهم قليلو الحديث واذا سعدوا للتجارة مع سفن الهند ومما جاء في وصفهم اثناء رحلته للعراق بانهم "هم قليلو الكلام لا يتحدثون الا قليلاً ولا يكشفون عن هويتهم وهذا عائد ربما الى الخوف من السلطات العثمانية الحاكمة وتلافياً لحدوث المشاكل مع البحارة الاخرون"⁽⁶⁹⁾.

وهذه الاوصاف مقارنة الى الصورة التي نقلها لنا الرحالة هنري كاوبر Henry Swainson Cowper في رحلته الى العراق عام ١٨٩٣ لنجدته يكتب "البحارة المسيحيون الكلدان الساكنون بقري الموصل ماهرين قريبون من الهيئة الاوربية منها الى الشرقيين، ورغم ملامحهم التي تدل على النبل والاصالة الا انك تجد البساطة في تعاملهم، وهم بعيدون عن التملق والتكلف، ويعملون بنشاط وجد على غير عادة الرجال الشرقيين، وهم يبتعدون عن المشاجرات والمشاحنات وفي اعتقادي انهم يطبقون المثل القائل الهروب افضل من القتال، وزيمهم يشبه ايضا زي المسلمين المتكون من الجبة الزرقاء والعمامة ولا يتكلمون بلغتهم (اي اللغة السريانية) بل يتكلمون باللغة العربية"⁽⁷⁰⁾.

فمن جانب نجد بأن الاوربيون بدأوا ينقلون صورة الواقع الذي شاهده كشهود عيان ايضا لا في رحلاتهم فقط بل حتى في مخاطباتهم الرسمية فكتبوا عن حجم الاضطهادات التي كانت تمارس ضد المسيحيين في الموصل من قبل السلطات العثمانية والتي ازدادت مع بداية القرن العشرين⁽⁷¹⁾. ومن جانب اخر اوضحوا في الصورة التي نقلوها لنا حجم الفظائع والاضطهادات التي كانت ترتكبها العشائر الكردية بالتعاون مع السلطات العثمانية في عام ١٩١٥ من القتل والاعتداءات وحرق المحاصيل ضد المسيحيين المسالمين وسلب الاغنام ومصادرة لمحاصيلهم الزراعية بأكمله وسرقة اثاثهم المنزلية، واستخدام اسلوب التعنيف من خلال استخدام الضرب المبرح وهذا يبين لنا زخم الفظائع التي ارتكبتها السلطات العثمانية ضدهم من خلال قواتها قوات الجندرية والدرك، فضلا عن الانتهاكات التي كانت تمارس ضد المرأة وقتل الابرياء التي وصفوها بالهمجية "فهذه الهمجية والوحشية من قبل الحكومة التركية (العثمانية) مستمرة التي تتطوي على اهانة امة"⁽⁷²⁾. في اشارة الى ان هذه الاعتداءات من قبل قوات الدرك والجندرية التي تمارس ضد المسيحيين تقف الى النزعة الانسانية، وهي في الوقت نفسه تعبير عن حجم الازلال المستخدم من قبل الدولة العثمانية ككل ضدهم، لنجد ظاهرة الاعتداءات على املاك المسيحيين وعلى ارواحهم ونسائهم تظهر للعيان بشكل غير قابل للشك.

قدم الاوربيون وصفا للعشائر المسيحية الساكنة في عقرة من اشد الناس وابرز من كتب عنهم المقيم البريطاني والمستشرق وعالم الاثار ريج Claudius James Rich ١٧٨٧ - ١٨٢١م الذي قدم الى العراق عام ١٨٢٠ بانهم قساة" واكثرهم حقدا ومن المتقلبين في مزاجهم وانفعاليين

وكثيري الصراخ، وان أي تعرض لهم تعرض فان حياة الشخص معرضة للخطر لاسيما اذا كان غريبا ما قد يؤدي الى هلاكك" (73).

كتب فرانسيس همفريز Sir Francis Humphrys اخر مندوب بريطاني في بغداد في ستينات القرن التاسع عشر مانصه " نحن هنا بتفوق اخلاقنا بالقوة الالهية وبحكم الظروف، وهي ميثاقنا ، ونحن نعمل افضل ما بوسعنا للمواطنين تحكنا ضمائرنا وليست ضمائرهم (أي العثمانيين) محاولين بذلك جاهدين لإيصال الفكر الاوربي الذي هو وبحسب ادعائهم مدركين بأهمية الضمير ومراعيين الاخلاق ومحاسبين انفسهم في الحياة اليومية التي يعيشونها معتمدين في ذلك على القوة الالهية (74).

اما كتابات الأوربيين عن مصر جاءت لتقدم وصفا لها منذ انتشار المسيحية فكتبوا بان "المسيحية اسست لها في الاسكندرية كرسي القديس مرقس واصبحت في السنة السابعة لحكم الامبراطور نيرون كرسي بطيركي ويتكون منها المسيحيون الاقباط ذات الغالبية المسيحية في مصر" (75).

جاءت كتابات الاوربيين من كون الاقباط يشكلون الغالبية العظمى متقاربة الى حد ما مع بعضها البعض من مسيحيو مصر عامة كونها اكبر طائفة دينية في الشرق الاوسط عامة، فكتب علماء الحملة الفرنسية اثناء تواجدهم في مصر ١٧٩٨-١٨٠١ بان الاقباط بينهم الارثوذكس ومنهم الكاثوليك الذين يتبعون كنيسة روما ومنهم وبحسب كتابات الاوربيين "الهرطقة"، فضلا عن الروم والارمن والموارنة، وهم أي -الاقباط- يعتبرون انفسهم احفادا للفراعنة -المصريين القدماء- وملامحهم تشبه الملامح الافريقية، ولذلك ظل جنسهم نقياً عن الاغريق، ومنذ عهد الاسكندر المقدوني اصبحوا طائفة منعزلة تحمي حالها من الغزوات (أي في فترة حكم المماليك)، وماتزال متواجدة الى اليوم التي تشكل فيه الجزء الاكبر من السكان في مصر (76).

كتب الاوربيون عن التحسن الذي طرأ على اوضاعهم في عهد الوالي محمد علي باشا ١٨٠٥-١٨٤٨ وعهد اسرته من بعده فيذكر المؤرخ كاميرون عاشت "الجالية القبطية في ظل التسامح الذي اشاعه محمد علي .. رغم انف الطرف المسلم القديم...بطل الاسلام" مع التركيز على وصف الاقباط بالجالية وان التحسن جرى رغم عدم قبول الاخر وهو المسلم وهذا امر واضح بان الغرض منه اثاره

التفرقة بين المواطنين المصريين الذين عاشوا اخوة في الوطن⁽⁷⁷⁾. وهذا ظهر جليا عندما اتحت لهم الفرصة لإقامة العلاقات الحسنة بين علماء الازهر والرهبان، ومحاولاتهم الجادة لإقامة جسر للعلاقات الانسانية بين الطرفين وهذا بالتأكيد الامر الذي لا يرغب بحدوثه الاوربيين لانه يهدد مصالحهم المباشرة⁽⁷⁸⁾.

كتب الاوربيون بأن رهبان الاديرة من الاقباط كانوا يعاملون السياح والحجاج منهم بالأخص معاملة ودية، فيها عبارات الترحيب الا انه مع ذلك فان لغتهم ركيكة ولم يصادف ان كانت هنالك اية نظرة عدائية منهم⁽⁷⁹⁾.

بينما كتب البعض الاخر من الاوربيين بان "الاقباط كانوا يعيشون في الظل، فضلا عن تعرضهم للمضايقات والاهانات، وكانوا يتولون جميع الوظائف لدى البكوات والواجقات وكبار الجيش"⁽⁸⁰⁾.

وبعد مراجعة لسجلات التسجيل العقاري يتضح فيها ان الاقباط كانوا هم المسيطرون على البعض الوظائف الادارية فيها منذ بداية عهد المماليك ١٢٥٠م وحتى الاحتلال الفرنسي لمصر ١٨٠١-١٧٩٨، كانت هذه من ضمن وصف الكتابات الاوربية عنهم هذا من جانب، ومن جانب اخر كتبوا بان الاقباط "ولا يخلون من بعض العيوب التي هي نتيجة حتمية لحالات الازلال التي تعرضوا لها بسبب الحكم العثماني، فعاليبتهم يتصفون بالجشع وباخلاق المرتزقة... وهذه بالتأكيد هي مسيرة الشعوب المقهورة على مدار التاريخ، فالتقاعس هو النتيجة الطبيعية للعبودية والازلال"⁽⁸¹⁾.

ركز الاوربيون في كتاباتهم على الاقباط منذ بداية القرن العشرين للمطالبة بحقوق اكثر، لاسيما بعد حادثة الاغتيال لرئيس الحكومة المصري بطرس غالي⁽⁸²⁾، اذ عقدوا مؤتمراً في أسيوط سنة ١٩١١، وعرضوا مطالبهم على الحكومة المصرية وإلى الحاكم البريطاني في مصر، تضمنت إغلاق المدارس ودوائر الدولة أيام الأحاد، وتعيين الأقباط في المناصب السيادية، فضلاً عن تخصيص مبالغ من الحكومة للمدارس القبطية، وقد استجابوا لذلك وتمكنوا في المؤتمر من إنهاء تلك الأزمة⁽⁸³⁾.

ان تركيز الأوربيين بصورة اكبر كان بخصوص امر مهم وقاعدة مهمة استندت عليها الدول الأوربية الا وهي ضرورة ان تخضع الاقلية في الشرق الى الاغلبية هذا من جهة التي سبق الحديث عنها، ومن جهة اخرى فقد كتبوا عن معاناة الاقباط في ظل الاحتلال البريطاني لمصر ١٨٨٢-١٩١٤م فكتبوا "لقد عانى الاقباط من التعميم الذي استمر الى حد ما خلال سنوات الاحتلال البريطاني، ولكن ابرز سماتهم التعصب ويحملون كراهية كبيرة للمسيحيين الاخرين لاسيما البروتستانت، يحملون البغضاء تجاه الاخر متذمرون، مخادعون غير مؤمنون وهم يسعون للمذاق الدنيوية وجاهلون بشكل عام"⁽⁸⁴⁾.

وفيما يتعلق بطبقة الاقباط التجارية فلم تكن كتاباتهم منصفة ايضا فنقلوا لنا صورة بانهم "واسوة بمواطنيهم المسلمين وقعت طبقة الملاكين المتوسطة والصغار من الاقباط فريسة سهلة لدين ملاكي الأراضي الكبار والذين تجاوزت ملكياتهم على ٥٠ فدان، مما أدى الى تدهور حالتهم الاقتصادية تدريجياً، على عكس الملاكين الكبار والذين ازدادوا ثراء"⁽⁸⁵⁾. مستخدمين بذلك أقصى صور الوحشية في معاملة الفلاح خاصة وأنهم كانوا يستعملون السوط لجباية الضرائب من الفلاحين، أو لإجبارهم على دفعها، وقد قدم الفلاحون عدة شكاوي ولكن لم يكن هناك آذانا صاغية لهم⁽⁸⁶⁾. الا في حالات استثنائية، اذ استطاعت الحكومة المصرية من تقليص جزء من نفوذ العمد المسيطرين عما كانت عليه سنة ١٨٨٢ وتم إبعاد المسيئين عن السلطة⁽⁸⁷⁾.

٢- اليهود

يعد اليهود ايضا من ضمن الاقليات المهمة في المشرق العربي وكان لهم وجود وحضور كبير لاسيما في المجال التجاري والمالي الامر الذي ادى الى تركيز الأوربيين عليهم في كتاباتهم وذلك لاختلاطهم وتعاملهم المباشر معهم فكتبوا بان لليهود ماضي ومستقبل مختلف جدا ، وحتى بداية العشرين كانوا الطائفة الاكبر واكثر تقدما من الطوائف الدينية الاخرى في العراق ويتميزون بالتدين وتمسكهم بالعادات والتقاليد تمايزا واضحا عن الغالبية المسلمة لاسيما في نطاق مهنتهم الحضرية ، فضلا عن لباسهم ومناطق سكناهم، ويكتسب اليهود العراقيون مكانة مهمة بسبب ثرائهم ونفوذهم الاقتصادي، وفي اوقات معينة تحررهم من الاضطهاد، مع ان الامر لا يخلو قط من مظاهر النقص او الدونية فيما يتعلق بالناحية الاجتماعية فكتب الدبلوماسي البريطاني ستيفن

همسلي لونكريك وفرانك شتوكس Frank Stokes و Stephen Hemsley Longrigg في وصفهما للمكون اليهودي في وتواجهه العراق قائلاً "بغداد في عام ١٩١٤ كانت مدينة يهودية اكثر من كونها عربية، وما من بلدة في العرق لا توجد فيها افراد من هذه الطائفة المثابرة المطيعة للقانون" (88).

جاءت كتابات الاوربيين عن اليهود لتظهر عليها خصوصية الدين والانغلاق على المجتمع ، فكتبوا عنهم بان تاريخهم امتاز بالطابع التقليدي اذ كانوا يميلون الى التجمع وفق التجمعات الاثنية والاجتماعية الخاصة بهم، لكن الامر اختلف منذ القرن التاسع عشر واخذ يأخذ منحاً اخر، واثّر عليهم من جميع النواحي الثقافية والاقتصادية لا بل حتى السياسية (89).

ذكر الاوربيون بانهم "أي اليهود" كانوا متمركزون في قلب المدينة جنباً الى جنب الجاليات الاوربية كونها تسيطر على التجارة وبطريقة كما وصفوها بـ "شاذة جدا"، اذ ان وصفهم بالشاذة جدا الا هو تعبير للابتعاد عن الوضع الطبيعي المتعارف عليه في المجتمعات التي عاشوا فيها وخرجوا عن القاعدة لاسيما بعد ان خرجوا عن الحارات التي عاشوا فيها الى المدن والاحياء التي انشئت بعد ادخال الاصلاحات من قبل الدولة العثمانية والتي انعكست على ولاياتها العربية، ومن وجهة نظر الاوربيين فان هذا الامر غير مقبول بينما في الحقيقة ان اختياراتهم تلك كانت وفق الاصلاحات والتطورات التي حدثت في الدولة العثمانية عامة (90).

كتب عنهم البحارة والمغامر البريطاني جيمس ريموند ولستيد James Raymond Wellsted اثناء رحلته للعراق " من المتعارف عليه بان اليهود اشتهروا بحرفة الصياغة واطلقوا عليهم الجوهريون الوحيدون في بغداد هم اما من اليهود او من المسيحيين، وكانوا يستعملون انواعاً من الذهب النقي وهم يطورونه باستمرار بالاعتماد على الطرق الاوربية الحديثة (91). فضلاً عن مهنتهم التقليدية الا وهي الصرافة التي كانوا يمارسونها بحرية تامة في القاهرة في حارة خاصة بهم اطلق عليها حارة اليهود التي يتواجد فيها سوق خاص بهم وهو سوق الصاغة، كما انهم عملوا في دار سك النقود، وقاموا بدور الوسيط في التجارة الخارجية في البيوتات الاجنبية، لاسيما اولئك الذين هجروا من اسبانيا، وعملوا بالرعي واقرض العثمانيون وبذلك توثقت علاقتهم مع قوات الانكشارية، وعملوا في كملترمين وموظفين رسميين للدولة وسيطروا بذلك على ادارة الجمارك، وبذلك

نافسوا مواطنيهم المسيحيين بذلك، فمثلاً نجد التنافس التجاري بينهم عكسي فأى تحسن اقتصادي للمسيحيين كان يرافقه تدهور في الأحوال الاقتصادية لليهود والعكس صحيح ، مما كان يؤدي بهم بالنتيجة الى الركود الاقتصادي في المجتمع بأكمله ويؤثر على الاقتصاد المحلي للولاية⁽⁹²⁾ .

ونتيجة لعملهم كوكلاء للبيوتات التجارية الاجنبية فان الاوربيون من خلال كتاباتهم راوا بان "الحكومة القوية التي تعمل الى جانب الحق يسهل عليهم اظهارها بمظهر الحكومة المستبدة والظالمة ، لان العالم لا يصدق بان الحكومة الضعيفة هي التي تسيء استخدام السلطة باستخدام لغة الفصاحة والعبارات المنمقة، ان تلك سياسة مرسومة ويجب ان تنفذ بحذافيرها عن طريق اثاره الازمات المستمرة" ، ويجب ان تبقى بريطانيا هي صاحبة السلطة في البلاد⁽⁹³⁾ .

ففي بغداد نجد بانها كانت مأهولة بسكانها ولكن بسبب حكم العرب والأتراك والفرس قلت أعدادهم بسبب الاستبداد وسوء ادارة الحكام واصبح سكانها يعيشون في "حالة مزرية" في اشارة الى الاضطهادات التي بدأت تلاحقهم بداية القرن العشرين⁽⁹⁴⁾ .

اشتهر اليهود بعلم الطلاسم والذي كان جزء من طقوسهم الدينية، ومن اشهر الطلاسم الموجودين حكاية تداولها الموروث بان أي شخص يمتلكه يسيطر على العالم، وتواجد اليهود بغالبيتهم في بغداد⁽⁹⁵⁾ .

نذكر لرحالة ولستد بان المسلمون ينظرون اليهم نظرة ازدراء نظرة تفوق نظرة المسيحيين اليهم بريطانيا فأحوالهم سيئة نسبياً ويعيشون في حي خاص بهم، وهم منكمشون على أنفسهم ولا يوجد منهم شحاذون في بغداد واذا اصابته احدهم مصيبة سارع اثرياًؤهم لنجدته وهم مترابطون وتجمعهم اواصر الاخوة ، اذ يستخدمون عبارات الاخوة وانباء البلد لمخاطبة بعضهم البعض⁽⁹⁶⁾ . كما اكدت المس بيل الامر ذاته وأشارت الى ان العرب المسلمين ينظرون اليهم ايضاً نظرة الازدراء واحتقار⁽⁹⁷⁾ .

شهدت بعض الولايات بعد اصدار التنظيمات الى المضايقات لاسيما في بغداد وشمال العراق وصلت الى اعدام احد اليهود في بغداد عام ١٨٧٦ بسبب اشاعة ظاهرة اتهام اليهود للاساءة الى الاسلام مادي بالكثير منهم الى الهجرة⁽⁹⁸⁾ .

قدموا وصفا دقيقا للمرأة عامة فكتبوا بان النساء في الموصل عامة ومن بينها النساء المسيحيات واليهوديات فكتبوا بانهم كن يلبسن رداءا واقيا باللون الازرق وهو يشابه ماترتديه النساء في مصر وسوريا، ويرتدين حجابا مصنوعا من شعر الخيل ذي اللون الاسود⁽⁹⁹⁾. وازياء بغداد اقل رونقا وبهاء مما هي عليه في مصر او في استانبول⁽¹⁰⁰⁾.

٣- اقلية اخرى

والى جانب تلك الاقليات وجدت اقلية اخرى جاءت في كتابات الاوربيين لاسيما الرحالة الذين مروا عبر بلداتهم ومناطق سكناهم منهم الصابئة المندائيين فقد وصفتهم السيدة ديولافوا اثار رحلتها للبصرة عام ١٨٨١ بان الصابئة طائفة لها عادات مذهبية عجيبة جدا وتقاليدهم، وهم يقتربون من المسيحيين ويؤمنون بالنبي يوحنا المعمدان واعتقاداتهم بان المسيح خلفه، وهم لا يتزوجون اكثر من مرة فكتبت " ان حب المحافظة على الطهر وتجنب الاقدار عند هذه الطائفة تكاد تبلغ الهوس والوسواس...ينبغي على القسوس نفسهم ان يقوموا بالأعمال المنزلية كلها من طبخ وغسل وتدبير واغرب من ذلك انه يحظر لديهم اكل لحم البقر والجاموس والضان والجمال" لانهم يعتبرون هذه المخلوقات نجسة⁽¹⁰¹⁾.

يذكر حاكم القدس لوقا ايضا بأن الصابئة المندائيين هم ايضا اتباع النبي يوحنا المعمدان وجاء وصفه لهم مقارب لما ذكر بانهم "فرقة من صائغي الفضة ومعتقداتهم تعود الى اشخاص يعبدون القمر"⁽¹⁰²⁾.

عموما يمتاز الصابئة بسمو الاخلاق والكرم ولأمانتهم وصدقهم يضرب بهم المثل كما نقلها لنا الاوربيون، ويكاد عملهم وحرفتهم الوحيدة ينحصر بصياغة حلي الفضة وهم بارعون فيها، وبالرغم من وصفها تلك الا انها عادت لتصف مزاولتهم طقوس دفن الموتى عنهم "بالعمل الوحشي" بان من ضمن عاداتهم عادة دفن الميت الذي يستمر لأربعين يوما وسمته بالعمل الوحشي بسبب بكائهم عليه...الخ، فضلا عن انهم متعصبون لمحافظتهم ومذهبهم، وهم يسكنون الاهوار ومستقعاتها⁽¹⁰³⁾.

والشيء الذي يثير الاستغراب انهم وصفوا الصابئة بالمسيحيين الجدد او بفرقة نصرانية جديدة وعندما يشيرون اليهم فانهم يشيرون الى اتباع القديس يوحنا المعمدان، ملات الاساطير والخرافات عقولهم، وليس لديهم شريعة يستندون عليها، بل يعيشون على الفطرة⁽¹⁰⁴⁾.

والى جانب تلك الاقليات الدينية نجد ان الاوربيين في كتاباتهم يذكرون تواجد الاقلية الايزيدية في العراق والتي تُعد من الاقليات المهمة سكنت في العراق وسوريا تحديدا، اذ يذكر لونكريك بان الايزيديين يشاركون الاكراد في الاصول العريقة فانهم يشبهونهم تماما في العادة وفي طراز الحياة ذلك انهم كانوا قد تركزوا في جبل سنجار على بعد ٥ ميل غربي مدينة الموصل ، في حين ان المكان المقدس لديهم وهو مزار الشيخ عدي بن مسافر الذي يقع في سهل الموصل سهل نينوى حالياً⁽¹⁰⁵⁾ . لا بل يصفهم ب"الغلاظ" الذين يعارضون بوجه اي انسان او يعارضون السلطات الحاكمة في الدولة العثمانية⁽¹⁰⁶⁾ .

اعتمد الاوربيون في كتاباتهم عن الايزيدية ايضا عن ماكتبه المؤرخون المحليون اذ كتبوا نقلاً عن المؤرخ الكردي البدليسي في مخطوطه الشر فنامه ١٥٩٦ اسم الايزيدية " الطائفة الايزيدية ، وتعني داسن) من يسكن مدينة داسن قرب منطقة الهكاري وانهم كرد"⁽¹⁰⁷⁾،

كتب الاوربيون عن الايزيدية بانهم عانوا من الاضطهادات المستمرة ضدهم من قبل الدولة العثمانية لاسيما حاكم القدس لوقا الذي زار الموصل بداية القرن العشرين انهم "اناسا دمئي الاخلاق عانوا منذ فترة طويلة من الاضطهاد يسمون الايزيدية"⁽¹⁰⁸⁾... إلههم الاساسي هو الشيطان فقط"⁽¹⁰⁹⁾.

وبالعودة الى مدوناتهم فاننا ما نجده في كتاباتهم يمكن ان نعتبرها المحاولات الاولى لبث مشاعر الكراهية بين صفوف مكونات و فئات المجتمع العراقي وان كانت بصورة غير مباشرة فكتبوا عن المكون الايزيدي بانهم "عبدة الشيطان" وان المسلمون من الشيعة يكرهونهم بسبب معتقداتهم وشعائهم تلك، والذي يوجب هذه المشاعر "انتسابهم الى يزيد بن معاوية ٦٤٧-٦٨٣ م قاتل البطل الشيعي الحسين (ع)"⁽¹¹⁰⁾ . كما تشير المس بيل الى نفس عبادتهم وتزيد بانهم اناس طيبون ويتوقون الى بريطانيا لمساعدتهم⁽¹¹¹⁾.

ذكر الرحالة كرايفيث بانهم كانوا يمقتون العيش في المدن ويفضلون الحياة القروية برغم الماسي التي حلت بهم ، وهم يعيشون بقرى متباعدة ومنعزلة بين القرى التي يسكنها المسيحيون او المسلمون⁽¹¹²⁾ .

بينما يذكر الرحالة الفرنسي اوليفيه بانهم لا يسكنون المدن لان الناس تنفر منهم لانه لا يسمح لهم بممارسة طقوسهم الدينية بحرية لذلك يفضلون العيش في الجبل⁽¹¹³⁾ .

ومما يذكره المستشرق الفرنسي توماس بوا بان تاريخ الايزيديين في القرنين السابع عشر والثامن عشر لم يكن سوى قائمة فاتحة من النهب والمذابح ومزيذا من الضحايا استخدمت ضدهم⁽¹¹⁴⁾ . لقد وصفوهم بقطاع الطرق ومما كتبوه "انهم لديهم اجسام قوية ونظرات عيون ثاقبة ويثيرون الرعب في نفوس القضاة والملالي ويقطعون الطريق عليهم عند عودتهم من السفر من استانبول... لا ارى انهم يعبدون الشيطان بل يبتعدون عنه لكي لا يؤذيهم" لانهم يعلمون بانهم يملكون الكثير من المال بسبب انتهاء خدمتهم، كلهم اقوياء يتسلحون بالرماح، يبلغ عددهم حوالي اربعة الاف نسمة⁽¹¹⁵⁾ . فمن وجهة نظرهم كان الشائع الايزيدية كانوا يسكنون في القرى والجبال والمدن، وكان يزيدية الجبل اكثر وحشية وقساوة من باقي المكونات ، وهم لا يقصون شعورهم ولا يحلقون لحاهم وشواربهم... الخ⁽¹¹⁶⁾ .

اما عن الصورة التي نقلوها الاوربيين في كتاباتهم عن علاقة الايزيدية بمواطنيهم المسلمون نجد ان كتاباتهم ذكرت بأن "المسلمون كانوا يتعاملون مع المسيحيين واليهود وقيمين السلام معهم بصورة طبيعية ويعيشون جنبا الى جنب ولكن مع اولئك من الدرجة الثانية (أي الايزيدية) لا يتعاملون معهم وكان يُترك لهم حرية الاختيار بين التحويل للإسلام او قتالهم، ومن غير القانوني اخذ الجزية منهم لانهم ينظرون اليهم على انهم ليسوا من اهل الكتاب"، مما ادى الى تعرضهم للاضطهادات المستمرة ومما ذكره عن الايزيدية ايضا بانه "يتم ذبح نسائهم ورجالهم دون رحمة (أي من قبل الدولة العثمانية)، ويتم بيع اطفالهم في اسواق النخاسة... هذه الطائفة سيئة الحظ... وانه من الطبيعي ان ينتقم الايزيديون لأنفسهم كلما توفرت الفرصة ضد مضطهديهم"⁽¹¹⁷⁾ .

ومن هنا بدأت المشكلة اليزيدية حالة تاريخية معقدة تقامت كثيرا في القرن الثامن عشر، ويكتب العالم الأثاري السير هنري لايارد الذي عاش في الموصل معلومات موسعة ووافرة عن علاقة

باشوات الموصل (يقصد ولاتها) باليزيدية في جبل سنجار وكان الرجل شاهد عيان للأحداث الدموية" لم تكن الاحقاد كامنة بين الدولة وبينهم منذ عهد طويل هذا هو الصحيح ، بل كانت قوية بين الايزيدية وبين البوتان الاكراد، وعلى الرغم من بقاء الموصل قاعدة لانطلاق الحملات الى الاقاليم المجاورة فإنها لم تكن في حقيقة الامر وراء الاحداث الدموية التي بقيت مستمرة بين ولاتها وبين العشائر في جبل سنجار، بل كانت سياسة الدولة العثمانية وراء الحملات القاسية لقطع جذور بعض العشائر عن معتقداتهم، ولم يتورع العثمانيون عن استخدام المدفعية للذين كانت تطلق عليهم المتمردين الايزيدية⁽¹¹⁸⁾.

الخاتمة

- تمثل هذه الدراسة نظرة متعددة الجوانب للتصورات الاوربية التي دونوها عن البلاد التي اقاموا فيها او زاروها، وشعوبها ومكوناتها من بينها المكونات الدينية التي تُعد من الاقليات (بحكم عددها القليل) المهمة والاصيلة في مشرقنا العربي لاسيما في العراق ومصر، فالتصورات الاوربية التي نُقلت عن تلك الاقليات هي نظرة سلبية ولا تختلف كتاباتهم كثيراً عن تلك التي وصفوها عن مواطنيهم المسلمين كشرقيين.

- جاءت كتابات الاوربيين عن نظرة المسلمين للعالم والتي فيها عرض لفكرتهم الاساسية عن "دار الاسلام ودار الحرب"، لطمس الحقيقة التاريخية والعلاقات الانسانية المتينة القائمة بين المسلمين وبين مواطنيهم من الاقليات الدينية الاخرى كافة، فمن خلال ما عرضناه نفهم ان نظرتهم السلبية من خلال تشويه تلك الصورة في كتاباتهم التي اظهرتهم بمظهر "الجهلة والمتخلفين" هي لتنفيذ غايات ووسائل الدول الاوربية في تحقيق اطماعها التوسعية والاستعمارية في البلدين، واتخذت من "تخلف العرب" ذريعة لئُنصب الاوربيون انفسهم اسياداً على المنطقة برمتها والتخطيط لتقسيمه مذهبياً وطائفياً.

- ان الاوضاع الداخلية للدولة العثمانية كالفساد وطغيان الاسر الحاكمة وظهور تيار العلمانية، ساهمت مساهمة كبيرة في تنوع الرؤى لتحديد اهمية المنطقة بالنسبة للعالم، وكان لها اثر كبير في التأثير على صناع القرار السياسي في الدول الاوربية ولان الأخيرين يعتمدون في رسم سياسات

الدولة على المعلومات والتقارير وعلى مجموعة افتراضات ترد اليهم ، كل ذلك مكنها من تحديد اتجاهاتها في السيطرة والتوسع بعد فشل الدولة العثمانية في مجازاة الدول الأوروبية او في التصدي لها.

- ما ان بدأ اتصال الأوربيين على المستوى الشخصي مع شعوب ومكونات البلدين عامة حتى نجد بان اغلب كتاباتهم تفتقر الى الحيادية فعندما كتبوا عن الخلافات المذهبية بين الدولتين العثمانية والصفوية او عن العلاقات الاسلامية مع باقي الأديان بانها علاقات تتسم بالتوتر والتصعيد، كتبوا ذلك ليُمكنوا حكوماتهم الأوروبية لأخذ كل الاجراءات لينظموا انفسهم تحت مسميات علاقات "التنافر والتوتر" المستمرين ويستغلوا نقاط الضعف عند المسلمين عامة ليوجهوا لهم ضربات متتالية، فكان مبدأ حماية الاقليات وظهور المسألة الشرقية السبب المباشر للتوسع الأوربي في البلاد العربية وبالتالي استخدم ذلك لغرض التدخل المباشر في شؤون تلك الدول لا بل توجيه ضربات وخلق ازمات لازالت مستمرة الى يومنا هذا.

-ومن خلال كتابات الأوربيين يتضح لنا ان المصالح الأوروبية تتم خدمتها بشكل افضل من خلال المحافظة على الوضع القائم، والتركيز اكثر على اثاره الفتن الطائفية والاضطرابات بين شعوب المنطقة مما يقوي من نفوذها وسيطرتها ، واطهار العرب بمظهر انهم على خلاف دائم مع باقي الاقليات الدينية واستحالة الوصول الى تسوية مع باقي المكونات الدينية، لذا يتحتم عليها ابقاء نفوذها العسكري في المشرق العربي.

الهوامش

- (1) برهان غليون، المسألة الطائفية ومشكلة الاقليات، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص ص 5-6.
- (2) برنارد لويس، الهويات المتعددة للشرق الاوسط، ترجمة حسن البحري، دار الينايبع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2006، ص 6.
- (3) حيدر جاسم الرويعي، إطلال سالم حنا، اثر مدونات الأوربيين في تحديد ملامح التعددية في المشرق العربي قراءة جديدة وفقاً للمعطيات الراهنة، في: كتاب المؤتمر الدولي الثاني التراث العربي والاسلامي الرصيد والعمل والثقافة والحضور 21-22 فبراير 2018، القاهرة، 2018، ص ص 478-479.
- (4) رولف اينهولت، رحلة اينهولت الهولندي الى العراق سنة 1866-1868، ترجمة مير بصري، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، 2021، ص 166.

صورة الأقليات الدينية في كتابات الأوروبيين (إبان العهد العثماني مصر والعراق) نموذجا أ.م.و.إطلال سالم حنا

- (5) هنري سواينسون كاوبر، رحلة عبر الجزيرة الفراتية الى الخليج العربي ١٨٩٣، ترجمة رنا إيبش، دار الكتب الوطنية، ابو ظبي، ٢٠١٢، ص ٣٥.
- (6) برنارد لويس، اكتشاف المسلمين لاوريا، ترجمة ماهر عبد القادر، المكتبة الاكاديمية، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٧١.
- (7) ستيفن همسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة سليم طه التكريتي، ط٤، بغداد، ١٩٦٨، ص ٤٢.
- (8) ولد السلطان محمد الثاني في مدينة ادرنة عام ٨٣٣هـ اي ما بين الاعوام ١٤٢٩-١٤٣٠م، قام بالكثير من الفتوحات على الجبهة الاوربية وصل عددها الى ٢٠٠ مدينة منها اثينا والبوسنة وبلغاريا واهمها فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م، ومن هنا لقب بالفتح، توفي عام ١٤٨٢م، ينظر: يوسف بك اصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من اول نشاتهم الى الان، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥، ص ص ٤٩-٥٢.
- (9) Stanford Shaw and Ezel Kural Shaw, History of Ottoman Empire and Modern Turkey, New York, 1978, p13.
- (10) Benjamin Braude, Christians and Jews in the Ottoman Empire: The Abridged Edition , 2014,P15. www.rienner.com.
- (11) Emrah Sahin, Ottoman Institutions, Millet System: 1250 to 1920: Middle East, May,2012, <https://www.researchgate.net/publication/311680222>
- (12) محمد علي بيود، "وضع وحقوق الاقليات في الدولة العثمانية: دراسة وثائقية تاريخية نموذجية"، مجلة دراسات بيت المقدس، ٢٠١٦، ص ٢١ www.isravakfi.org
- (13) Khaled Abdelkader El-Jundi1 , CHRISTIANS IN THE OTTOMAN PERIOD, Route Educational and Social Science Journal, Volume 4(6), October ,2017, p 420.
- (14) عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفتري عليها، مكتبة الانجلو المصرية، ج١، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٦٨.
- (15) عبد المحيد حسيب القيسي، التاريخ السياسي والعسكري للأثوريين في العراق ١٩٢١-١٩٩٩، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٤، ص ١٠.
- (16) احمد عبد الرحيم مصطفى، في اصول التاريخ العثماني، ط٢، دار الشروق، القاهرة، ١٩٦٨، ص ١٠٩.
- (17) Sara Barbierim, Ottoman Millet System and National-Cultural Autonomy. A Distance Dialogue, European Consortium for Political Research 41st Joint Sessions, University of Mainz, 11-16 March, 2013,p6.
- (18) ابتدا عصر النهضة العربية الحديثة باضطلاع المفكرون والأدباء المسيحيون والمسلمون بدور متميز في الثقافة العربية الإسلامية ، كان البداية الحقيقية لمرحلة وعي سياسي لتاريخ ومصير جماعة ثقافية لغوية هي الامة العربية والتي ابتدأت مع ازمة العرب والعثمانيين، احتضنتها المدارس التابعة للإرساليات التبشيرية في مصر والعراق وبلاد الشام، للمزيد من التفاصيل، ينظر: إطلال سالم حنا، المدارس الفكرية المسيحية واثرها في الفكر التاريخي العربي

صورة الأقليات الدينية في كتابات (الاوربيين) (ابان) العهر العثماني مصر والعراق إيموجاً أ.م.و.إطلال سالم حنا

قراءة جديدة في منهج المؤرخين الرواد السريان، قراءات في المدارس الفكرية التاريخية العالمية دراسات فكرية وتحليلية مقارنة، الاتحاد الدولي للمؤرخين، انقره، ٢٠١٩، ص ص ٢٧٦-٢٧٧.

(19) فؤاد يوسف قزانجي، اصول الثقافة السريانية في بلاد ما بين النهرين، دار دجلة، بغداد، ص ١٤٢.

(20) توما جليك وصبحي إكسوي، تاريخ السريان في بلاد النهرين، ترجمة احمد سليمان الابراهيم ومحمد يوفاء، مطبعة سيماق، القامشلي- سوريا، د.ت، ص ٣٠٢.

(21) المصدر نفسه، ص ٣٠٢.

(22) F.O 633: from draft of Chapter XXXIV "the native Christians, Minorities in the Middle East" from situation in Egypt : Lord Cromers Account, undated, 1917.

(23) صموئيل اتينجر، اليهود في البلدان الاسلامية ١٨٥٠-١٩٥٠، ترجمة جمال احمد الرفاعي، عالم المعرفة، ص ص ٤٥-٤٦.

(24) كان مصطفى رياض باشا هو رئيس الحكومة المصرية انذاك، وهو من اصول تركية ولد عام ١٨٣٣، تدرج في المناصب، اصبح رئيساً للديوان الخديوي، وعين رئيساً للجنة التحقيق المالية التي أرسلت للنظر في أمور المالية الى مصر عام ١٨٧٨، أصبح رئيساً للوزراء لثلاث دورات توفي عام ١٩١١، ينظر: "رياض باشا"، مجلة المقتطف، ج ٢، مج ٣٩، القاهرة، آب، ١٩١١، ص ص ١٠٥-١٠٦.

(25) الفريد سكاون بلنت، التاريخ السري لاحتلال بريطانيا، راجعه محمد عبده، مكتبة الاداب القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٧٤.

(26) العراق في رسائل المس بل ١٩١٧/١٩٢٦، ترجمة جعفر الخياط، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٣، ص ١٩١.

(27) بعد ان بدأت القوات البريطانية أولى مراحل احتلالها العراق منذ عام ١٩١٤ عمدت الى تشكيل قوات الليفي في عام ١٩١٥ من قبل الميجر ايدي Eadie وتعني كلمة Levy-Levies المجندين او الجنود المرتزقة، كان الغرض من تشكيلها لتلك القوات استخدامها للأغراض العسكرية، وتم تدريب وتنظيم قوات الليفي فاصبحوا قوة عسكرية منظمة، ينظر: رياض رشيد ناجي الحيدري، الأثوريون في العراق ١٩١٨-١٩٣٦، مطبعة الجيلاوي، القاهرة، ١٩٧٧، ص ص ١٣١-١٣٢.

(28) جي. كيلبرت براون، قوات الليفي العراقية ١٩١٥-١٩٣٢، ترجمة مؤيد ابراهيم الوندوي، المؤسسة الملكية للخدمة المشتركة وايت هول. اس. دبليو، السليمانية، ٢٠٠٦، ص ٤٨.

(29) هنري لورنس، اللعبة الكبرى الشرق العربي المعاصر والصراعات الدولية، ترجمة محمد مخلوف، دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث، د.م، ١٩٩٢، ص ٣٨.

(30) ستيفن همسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ص ٤٣.

(31) فسر البعض الى ان جذور المسالة الشرقية تعود الى فترة الحروب والنزاعات بين اوربا والشرق أي فترة الحروب الصليبية وفيها ظهر الصراع على انه بين الديانتين السماويتين الاسلام والمسيحية، بينما اعادها البعض الى انه نزاع ذاتي قائم بين الدولة العثمانية والدول الاوربية منذ فتح العثمانيين للقسطنطينية وسيطرتهم على العديد من الدول الاوربية منها صربيا وبلغاريا واليونان، وبدأت تلك الدول بطرد العثمانيين منذ القرن التاسع عشر الميلادي بعد ان خاضت سلسلة حروب معها، لا بل بدأ الاستعمار الاوربي للولايات العربية التابعة للسيطرة العثمانية منها احتلال

صورة الأُقليات الدينية في كتابات (الأوربيين) (إبان العهد العثماني مصر والعراق) إنموذجاً
أ.م.و.إ. طلال سالم حنا

- بريطانيا لمصر عام ١٨٨٢، للمزيد من التفاصيل، ينظر: مصطفى كامل، المسألة الشرقية، مطبعة الآداب، القاهرة، ١٨٩٨، ص ص ٥-٦.
- (32) جوزيه دي سانتا ماريا الكرمل، رحلة سباستيانى الى العراق سنة ١٦٦٦، ترجمة بطرس حداد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٢٣.
- (33) F.O,4849/2 Political.Bull of 3Lst August,1869.
- (34) فيليب إيرلاند، العراق دراسة في تطوره السياسي، ترجمة جعفر خياط، ط ٢، دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٣، ص ٣١.
- (35) لورنس، المصدر السابق، ص ٣٠.
- (36) أوستن هنري لايارد، نينوى واثارها، ترجمة خضر علي سويد، مج ١، دار الرافدين، بيروت، ٢٠١٨، ص ١٩٥.
- (37) الرويعي وحنا، المصدر السابق، ص ٤٨٠.
- (38) لورنس، المصدر السابق، ص ص ٤٠-٤١.
- (39) أ.و.كينغك، رحلة الى المشرق ١٨٣٤-١٨٣٥، ترجمة محمود العابدي، دار السويدي للنشر والتوزيع، دبي، ٢٠٠٥، ص ٨٩.
- (40) تقرير عن مالية مصر وادارتها وحالتها وتقدم الاصلاح فيها سنة ١٨٩٩ رفعه جناب الفوكونت كرومر قنصل جنرال دولة انكلترا ووكيلها السياسي في مصر الى جناب المركزي سالسبري ناظر خارجيتها، ترجمة ادارة المقطم، ١٩٠١، ص ٤٥.
- (41) تقرير عن الادارة والحالة العمومية في مصر والسودان سنة ١٩٠٦ رفعه جناب الفوكونت كرومر قنصل جنرال دولة انكلترا ووكيلها السياسي في مصر الى جناب المركزي سالسبري ناظر خارجيتها، ترجمة ادارة المقطم، ١٩٠٧، ص ١٠.
- (42) يذكر البروتستانت بان تعبير الملك الالفى يشير الى ملك السيد المسيح(ع) على الارض الذي يدوم الف عام للمزيد من التفاصيل ينظر: ب.ك. نلسون، تعاليم الكتاب المقدس، ترجمة عياد خليل شنودة واسكندر سمعان، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٨٤، ص ١٥٠.
- (43) كلوديو جيمس ريج، رحلة ريج المقيم البريطاني في العراق عام ١٨٢٠ الى بغداد- كردستان- ايران، ترجمة بهاء الدين نوري، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٢٩٥.
- (44) لويس، اكتشاف المسلمين لاوروبا، ص ٦٠.
- (45) قام السلطان العثماني عبد المجيد الاول ١٨٣٩-١٨٦١ باجراء اصلاحات عديدة في الدولة العثمانية محاولاً بذلك تقوية سلطة الدولة المركزية للحد من التدخلات الاوربية، فقام بإصدار خط شريف كولخانة عام ١٨٩٣ الضمان حقوق افراد الدولة العثمانية بغض النظر عن دينهم او معتقدتهم، فضلا عن اصداره خط شريف همايون في عان ١٨٥٦ وفيه اقر المساواة بين جميع المواطنين في الحقوق والواجبات دون تمييز في الدين او العرق، ينظر: هيثم محي طالب الجبوري و زينب حسن عبد الجبوري، "اثر حركة الاصلاح العثمانية في تطور الحركة الفكرية في الوطن العربي في العهد العثماني المتأخر، مجلة جامعة بابل، العراق، ع ٣، مج ٢٣، ٢٠١٥، ص ص ١٤٦٣-١٤٦٤.

صورة الأقليات الدينية في كتابات (الأوربيين) (إبان العهد العثماني مصر والعراق) إنموذجاً
أ.م.و.إ. طلال سالم حنا

- (46) يوجين روجان، العرب من الفتوحات العثمانية الى الوقت الحاضر، ترجمة مجد الجندي، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠١١، ص ١٩.
- (47) غليون، المصدر السابق، ص ١٣.
- (48) ايرلاندا، المصدر السابق، ص ٣٣.
- (49) ستيفن لونكريك وفرانك ستوكس، احداث العراق السياسية ١٩٣٣-١٩٥٨، بحث مستل من كتابهما Iraq، ترجمة مصطفى نعمان احمد، كلية الاداب، الجامعة المستنصرية، د.ت، ص ٩٦.
- (50) جوزيف ابو نهرا، المسيحيون وهاجس الحرية في العهد العثماني، المؤتمر الدولي خطاب الجماعات المسيحية في الشرق الادنى في زمن التحولات، مركز الشرق المسيحي للبحوث والمنشورات، جامعة القديس يوسف، بيروت، ٢٠١٣، ص ١.

<http://cerpoc.blogs.usj.edu.lb/files201302abounohra.pdf>

- (51) تيودور رودستين، تاريخ مصر قبل الاحتلال البريطاني وبعده، ترجمة احمد علي شكري، مكتبة الهلال، القاهرة، ١٩٢٧، ص ٢١٥.
- (52) جيمس فيلكس جونز، مذكرات القائد جيمس فيلكس جونز، بغداد في منتصف القرن التاسع عشر، ترجمة عبد الهادي فنجان الساعدي، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٤، ص ص ٩٤-٩٥.
- (53) سي أم كرستجي، ارض النخيل رحلة من مومباي الى البصرة والعودة اليها ١٩١٦-١٩١٧، ترجمة منذر الخور، مطبوعات بانوراما الخليج، البحرين، ١٩٨٩، ص ١٧٠.
- (54) جاكسون، مشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٧٩٧م، ترجمة خالد فاروق عمر، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٠، ص ١٢٠.

(55) F.O 633: from draft of Chapter XXXIV "the native Christians, Minorities in the Middle East" from situation in Egypt : Lord Cromers Account, undated, 1917.

- (56) تضاربت اراء الباحثين والكتاب في تحديد تسمية "الايديية" وظهر ذلك جليا في اختلافهم في بيان منشأ ديانتهم، فحاول بعضهم ارجاعهم الى اصول قديمة مجوسية وغير مجوسية، مما كان شائعا في بعض انحاء الشرق الاوسط قبل الاسلام، ومنهم من عزا بعض معتقداتهم الى اصول مسيحية، ومنهم من يرى انهم لا يعدون الا فرقة اسلامية... زاعت عن اصلها القديم وتمادت في الابتعاد حتى انتهى امرها الى ماهي علي اليوم"، ينظر: عماد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني في فترة الحكم المحلي ١١٣٩-١٢٤٩ هـ ١٧٢٦-١٨٣٤م، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، ١٩٧٥، ص ١٧٢؛ وقد انفرد المستشرق الفرنسي ليسكو في تقديم الدراسات العلمية عنهم للتفاصيل: ينظر، روجيه ليسكو، اليزيدية في سوريا وجبل لبنان، ترجمة احمد حسن، دار المدى للثقافة والنشر، ٢٠٠٧.

(57) لوقا، المصدر السابق، ص ص ٢٣-٢٤.

(58) تعليق الباحثة.

- (59) جان باتريست تافرنبيه، رحلة الفرنسي تافرنبيه الى العراق، ترجمة كوركيس عواد وبشير فرنسيس، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ص ٤١.

صورة الأقليات الدينية في كتابات اللوريين (إبان العهد العثماني مصر والعراق) إنموذجاً
أ.م.و.إ. طلال سالم حنا

- (60) بيترو ديلافاليه، رحلة ديلافاليه الى العراق مطلع القرن السابع عشر، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٧٠.
- (61) المصدر نفسه، ص ٤٦.
- (62) F.O,4849/2 Political. Consul- General Miles to her Majesty's Principal Secretary of state for Foreign Affairs, Bagdad ,May 26, 1880.
- (63) F.O,4849/2 Political. Consul- General Miles to Sir A.H.Layard Mosul, March 31, 1880.
- (64) F.O,4849/2 Political.Petition from the Old Chaldean Community of Mosul to Miles,Her Majesty's- Consul- General,Mosul,December 27,1879.
- (65) F.O,4849/2 Political. Consul- General Miles to Sir A.H.Layard Mousl, March 31, 1880.
- (66) F.O,4849/2 Political.Bull of 3Lst August,1869.
- (67) F.O,4849/2 Political.Petition from the Old Chaldean Community of Mosul to Miles,Her Majesty's- Consul- General,Mosul,December 27,1879.
- (68) جمس بنكهام، رحلتي الى العراق سنة ١٨١٦، ترجمة سليم طه التكريتي، مطبعة اسد، ج١، بغداد، ١٩٦٨، ص 53.
- (69) ليونهارت ، المصدر السابق، ص ٢٠٢.
- (70) هنري سواينسون كاوبر، رحلة عبر الجزيرة الفراتية الى الخليج العربي عام ١٨٩٣، ترجمة رنا ايش، دار الكتب الوطنية، ابو ظبي، ٢٠١٢، ص 261.
- (71) F.O,4849/2 Political.Petition from the Old Chaldean Party residing at Teleskof to Her Britannic Majesty's- Consul- General Dated Teleskof- Mosul, February 14,1880.
- (72) F.O,30457/135: forward herewith for yor information a copy of the paper noted in the Margin, office of the Civil Commissioner-Gertrude Bill, Baghdad, 10 January, 1919.
- (73) ريج، المصدر السابق، ص ٢٦٢.
- (74) Peter Sluglette, Britain in Iraq,Tauris &Co Ltd,London,2007,PP46-47.+
- (75) جان باتيست طولو، رحلة جديدة الى ارض المشرق، ترجمة عبد الهادي الادريسي، دار الكتب الوطنية، ابو ظبي، ٢٠١٣، ص ٤٤.
- (76) علماء الحملة الفرنسية، وصف مصر، ترجمة زهير الشايب، ط٣، صندوق التنمية الثقافية، مج١، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٢٨-٢٩.
- (77) إيه. كامبيرون، مصر في القرن التاسع عشر او محمد علي ومن خلفوه الى الاحتلال البريطاني في العام ١٨٨٢، ترجمة صبري محمد حسن، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٩، ص ٨٥.
- (78) كليليا سارتلي تشيركوا، زيارة الرحالة الاندلسي لمدينة القاهرة في القرن السابع عشر، في اجاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، مطبعة دار الكتب ، ج٢، د.م، ١٩٧١، ص ٨٧٦.

صورة الأقليات الدينية في كتابات اللاوريين (إبان العصر العثماني مصر والعراق) نموذجا
أ.م.و.إ. طلال سالم حنا

- (79) فلاديمير بيلياكوف، رحلة الى ضفاف النيل المقدسة، ترجمة انور محمد ابراهيم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٣٦.
- (80) اندريه ريمون، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١، ص ٨٣.
- (81) علماء الحملة الفرنسية، المصدر السابق، ص ٣١.
- (82) ولد بطرس غالي في مدينة القاهرة عام ١٨٤٦. تلقى تعليمه في مدرسة حارة السقائين، ثم في مدرسة الأقباط الكبرى، اجاد اللغتين العربية والفرنسية الى جانب لغته الام القبطية، عمل مدرسا في مدرسة حارة السقائين بعد تخرجه، اصبح مترجماً في مجلس التجارة في مدينة الإسكندرية عام ١٨٦٧، وأصبح عام ١٨٧٣ كاتب لوزارة العدل، تدرج في المناصب ، أصبح وزيراً للمالية ، فوزيراً للخارجية، ورئيساً للوزراء. للمزيد من التفاصيل، ينظر: "بطرس باشا غالي"، مجلة المقتطف، ج٤، مج٣٦، القاهرة، نيسان، ١٩١٠، ص ص ٤٠ - ٤١.
- (83) J. D. Pennington "The Copts in Modern Egypt" Middle Eastern Studies, No2, Vol 19, London, April, 1982, P 160.
- (84) F.O 633: from draft of Chapter XXXIV "the native Christians, Minorities in the Middle East" from situation in Egypt : Lord Cromers Account, undated, 1917.
- (85) F.O, 633/7. Lord Gromer to the Earl Of Kimberley- Cairo, February 22, 1895, R.M. A.C.G.F.A.C.E.S.
- (86) John Marlowe , Cromer in Egypt , Elek Books , London , 1970, P 57.
- (87) Rapport De Lord Cromer L'e Egypte et Le Soudan, Le Caire Imprimerie Nationale , Française, 1907, P 93.
- (88) ستيفن همسلي لونكريك، فرانك شتوكس، العراق منذ فجر التاريخ حتى تموز ١٩٥٨، ترجمة مصطفى نعمان احمد، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ٢٠٢١. ص ٣٧.
- (89) جوردون كرامر والفريد مورابيا، في مواجهة الحداثة اليهود في القرنين التاسع عشر والعشرين، في: جاك حاسون، تاريخ يهود النيل، ترجمة يوسف درويش، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٨٣.
- (90) ديزموند ستيورات، القاهرة، ترجمة يحيى حقي، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص ١٠٦.
- (91) جيمس ريموند ولستيد، رحلة الى بغداد في عهد الوالي داود باشا، ترجمة سليم طه التكريتي، مطبعة ثويني، بغداد، ١٩٨٤، ص ٨٠.
- (92) ريمون، المصدر السابق، ص ٨٣.
- (93) لورد كرومر، عباس الثاني، ترجمة فؤاد، مطبعة محمد مطر، القاهرة، د.ت، ص ٣.
- (94) ولستيد، المصدر السابق، ص ٦٢.
- (95) بنكهام، المصدر السابق، ص ٦٩-٧٠.
- (96) ولستيد، المصدر السابق ، ص ص ٩٤-٩٥.
- (97) العراق في رسائل المس بل ١٩١٧/١٩٢٦، ترجمة جعفر الخياط، الدار العربية، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٧١.

صورة الأقليات الدينية في كتابات اللاوريين (إبان العهد العثماني مصر والعراق) نموذجا أ.م.و.إ. طلال سالم حنا

- (98) اتينجر، المصدر السابق، ص ٥٥.
- (99) بنكهام، المصدر السابق، ص ٦٦.
- (100) جيمس بيلي فريزر، رحلة فريزر الى العراق سنة ١٨٣٤م، ترجمة جعفر الخياط، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٨٨.
- (101) ديولافوا، رحلة مدام ديولافوا من المحمرة الى البصرة وبغداد ١٢٩٩هـ-١٨٨١م، ترجمة علي البصري، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٣٠.
- (102) لوقا، المصدر السابق، ص ص ٢٣-٢٤.
- (103) ديولافوا، المصدر السابق، ص ص ٣١-٣٢.
- (104) جوزيه دي سانتا ماريا الكرملية، رحلة سباستيان الى العراق سنة ١٦٦٦، ترجمة بطرس حداد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٤٥.
- (105) ستيفن همسلي لونكريك، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠، ترجمة سليم طه التكريتي، مطبعة حسام، ج ١، بغداد، ١٩٨٨، ص ٣٠.
- (106) لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ص ٢١.
- (107) توماس بوا، اليزيديون واصولهم الدينية و معابدهم، والاديرة المسيحية في كردستان العراق، ترجمة سعاد محمد خضر، مركز الاكاديمي للابحاث، بيروت، ٢٠١٣، ص ٤٧.
- (108) تضاربت اراء الباحثين والكتاب في تحديد تسمية "الايضية" وظهر ذلك جليا في اختلافهم في بيان منشأ ديانتهم، فحاول بعضهم ارجاعهم الى اصول قديمة مجوسية وغير مجوسية، مما كان شائعا في بعض انحاء الشرق الاوسط قبل الاسلام، ومنهم من عزا بعض معتقداتهم الى اصول مسيحية، ومنهم من يرى انهم لا يعدون الا فرقة اسلامية دخلت غلت فضلت وزاغت عن اصلها القديم وتمادت في الابتعاد حتى انتهى امرها الى ماهي علي اليوم"، ينظر: عماد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني في فترة الحكم المحلي ١١٣٩-١٢٤٩ هـ ١٧٢٦-١٨٣٤م، مطبعة الآداب، النجف الاشراف، ١٩٧٥، ص ١٧٢؛ وقد انفرد المستشرق الفرنسي ليسكو في تقديم الدراسات العلمية عنهم للتفاصيل: ينظر، روجيه ليسكو، اليزيدية في سوريا وجبل لبنان، ترجمة احمد حسن، دار المدى للثقافة والنشر، ٢٠٠٧.
- (109) لوقا، المصدر السابق، ص ص ٢٣-٢٤.
- (110) المصدر نفسه، ص ١٠٩.
- (111) العراق في رسائل المس بل ١٩١٧/١٩٢٦، ص ٩٤.
- (112) نقلا عن: ارشد حمو محو، اليزيديون في كتب الرحالة البريطانيين من مطلع القرن التاسع عشر الى نهاية الحرب العالمية الاولى، مطبعة خاني، دهوك، ٢٠١٢، ص ١١٩.
- (113) اوليفيه، رحلة اوليفيه الى العراق، ترجمة يوسف حبي، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، ١٩٨٨، ص ٤٤.
- (114) بوا، المصدر السابق، ص ص ١٢٧-١٢٨.
- (115) الرحالة الايطالي سيستيني، رحلة من استانبول الى البصرة سنة ١٧٨١، ترجمة بطرس حداد، دار العلم والايمان للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٤، ص ٢٥-٢٦.

صورة الأقليات الدينية في كتابات اللاوريين (إبان العهد العثماني مصر والعراق) نموذجا
أ.م.و.إ.طلال سالم حنا

(116) بنكهام، المصدر السابق، ص ٢١.

(117) ليسكو، المصدر السابق، ص ص ٢١٢-٢١٣.

(118) نقلا عن: سيار كوكب علي الجميل، الموصل في نهاية الحكم الجليلي الى الادارة المباشرة (١٢٤٩-
١٢٨٦هـ ١٨٣٤م - ١٨٦٩م)، في: موسوعة الموصل الحضارية، دار الكتب للطباعة والنشر، مج ٤، جامعة الموصل،
١٩٩٢، ص ٤٢- ص ٨٢.

بروز المذهب الكاثوليكي في البصرة

أ.م.د. فارس فرنك نصوري

الباحثة: هند عبد المطلب حرب

جامعة البصرة - كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص

يستعرض البحث احد مذاهب الديانة المسيحية الا وهو المذهب الكاثوليكي الذي برز في القرن الثاني الميلادي، وتعد الطائفة الكاثوليكية من أكبر الطوائف المسيحية في العالم واكثرها تغلغلاً وقدماً، ويعود مؤسسها الى أحد تلاميذ السيد المسيح الا وهو بطرس، ويقود تلك الطائفة اسقف روما وهو البابا الذي مقره في الفاتيكان في ايطاليا، لذا تعد نفسها أقوى مؤسسة دينية وجدت في العالم كونها أصبحت مسؤولة عن تنظيم أحوال الكاثوليك في العالم من أمور دينية واخلاقية .
الكلمات الافتتاحية : الكاثوليكية _ البصرة _ المسيحية _ الطوائف _ تأسيسه .

The emergence of the Catholic faith in Basra

Assist.Prof. Fares Frank Nassori

Researcher: Hind Abdul Muttalib Harb

University of Basrah – College of Education for Human Science

Abstract

The research reviews one of the Christian sects, namely the Catholic sect, which emerged in the second century AD. The Catholic sect is considered one of the largest and most penetrating and ancient Christian sects in the world. Its founder goes back to one of the disciples of Christ, Peter, and this sect is led by the Bishop of Rome, the Pope, whose headquarters are in The Vatican is in Italy, so it considers itself the most powerful religious institution in the world, as it has become responsible for regulating the conditions of Catholics in the world in terms of religious and moral matters.

Keywords : Catholic _ Basra _ Christianity _ sects _ founding

المقدمة :

تعد الطائفة الكاثوليكية من أكبر الطوائف المسيحية في العالم إذ تقدر بـ ١.٣ مليار كاثوليكي في جميع انحاء العالم ، ويرأسها البابا اسقف روما حسب التقليد الرسولي الذي يدعى بطرس أحد تلاميذ السيد المسيح ومؤسس المذهب الكاثوليكي والذي يعد أيضاً أول باباوات روما، وتلقب الكنيسة الكاثوليكية بالكنيسة الرسولية الجامعة بوصفها اقدم مؤسسة دينية مما ادته من دور بارز في تاريخ وتطور الحضارة، ويقع الكرسي الرسولي في مدينة الفاتيكان في روما في ايطاليا . ويستند اللاهوت الكاثوليكي على قانون الايمان النيقوي . ولقد برز المذهب الكاثوليكي في العراق وتحديد في البصرة عن طريق الهجرة والارساليات التبشيرية التي وفدت الى البصرة في أوائل القرن السادس عشر ميلادي وأصبحت لها كنائس هناك .

وقد طرح البحث مجموعة من الاسئلة حاولنا الاجابة عليها في طيات صفحاته المختلفة جاء في مقدمتها متى ظهر المذهب الكاثوليكي؟ ومتى تم الاتحاد الرسمي بين الكلدان والكاثوليك؟ ولماذا اطلق عليه الكنيسة الجامعة ؟ اين تركز الكلدان في البصرة في منطقة، وفي أي سنة تم بناء كنيسة لهم ؟ من هم الكرملين ؟ ومتى انشأت كنيستهم؟

من اجل الاجابة على كل تلك الاسئلة كان لابد لنا من البحث الدؤوب عن المعلومات اللازمة لتغطيتها والحمد لله فقد وفقنا في مسعانا من خلال اعتمادنا على مصادر متنوعة جاء في مقدمتها المقابلات الشخصية التي اجريت مع من هم مسؤولين عن ادارة شؤون الكنيسة الكاثوليكية في البصرة، فضلا عن استخدام الكتب العربية والمعربة والاجنبية وعدد من البحوث، والتي اسهمت بشكل فاعل في اغناء هذا البحث بالمعلومات المستفيضة.

ولقد تمحور البحث في اتجاهين الاول تمثل في الجذور التاريخية للمذهب الكاثوليكي اما الاتجاه الاخر فكان حول بروزه في البصرة .
اولا_ الجذور التاريخية للمذهب الكاثوليكي .

مع بداية القرن الرابع الميلادي، تنفست المسيحية الصعداء وذلك في عهد الإمبراطور قسطنطين (١) (٣٠٦_٣٣٧)م، من خلال إصداره مرسوم ميلانو ٣١٣م^(٢)، والذي جاء فيه ((نحن قسطنطين

أوغسطس وليسينيوس أوغسطس، بعد تداول الرأي في ميلانو تبين أنّ مصلحة الدولة تقتضي منح المسيحيين وجميع الرومانيين حق إتباع الدين الذي يختارونه^(٣).

وبهذا المرسوم انتقلت المسيحية إلى مرحلة جديدة متمثلة بالحرية والتحرر وذلك من خلال اعتراف السلطات الرومانية بشرعية وجود الديانة بشكل علني إذ ألغى مرسوم ميلانو جميع مراسيم الاضطهاد التي صدرت بحق المسيحيين، الأمر الذي مكّنهم من الحصول على الاحترام والمساواة مع الآخرين إذ ارتقى المعترفون بالمسيحية المراكز العالية والمرتبات السامية ذات النفوذ والسلطة في الحكومة وبهذا تكون مدة حكم الإمبراطور قسطنطين أهم مرحلة في تاريخ الكنيسة، لأنها شكلت القاعدة الأساسية لانطلاق التبشير بالدين المسيحي بكل حرية ، ودون قيد أو خوف في كافة أرجاء الإمبراطورية الرومانية إلى حد الذي جعل المسيحية إن تكون الديانة الرسمية للدولة عام ٣٨٠م بموجب المرسوم الذي أصدره الإمبراطور ثيودوسيوس (٣٧٨_٣٩٥م)^(٤).

فبموجب قرار ميلانو وجدت المسيحية نفسها فجأة في حالة جديدة ومغايرة بعد ما كانت مضطهدة ، فقد أصبح لها الحرية الدينية مثل بقية الأديان الوثنية الأخرى ، خاصة بعد تشييد الكنائس التي سمحت السلطات الرومانية بأقامتها واعطائها حق التملك إضافة إلى منح المسيحيين الحماية الكاملة لأرواحهم وممتلكاتهم^(٥).

وبناءً على ذلك وبهدف نشر المسيحية وتأسيس الكنائس توجه الرسل إلى الأقاليم المختلفة بما فيها من كانت خارج سيطرة الحكم الروماني^(٦). فقد توجه الرسول توما^(٧) إلى العراق وبلاد فارس إذ وجدت كنيسة كوخا في حين توجه كل من الرسولين فليبيس ويوحنا، إلى آسيا الصغرى (تركيا واليونان) إذ أسست كنيسة افسس في حين توجه الرسول مرقس، إلى مصر وأوجد كنيسة الإسكندرية^(٨)، كما توجه الرسولان بطرس . وبولس إلى سوريا وأوجد كنيسة أنطاكية ثم توجها إلى روما إذ أسست الكنيسة التي عرفت تاريخياً فيما بعد بالكنيسة الكاثوليكية^(٩)

تعود الجذور التاريخية للمذهب الكاثوليكي^(١٠) ، الى بطرس أول تلاميذ السيد المسيح ، حيث تعترف الكنيسة الكاثوليكية والمتمثلة بكنيسة روما القائمة في دولة الفاتيكان الحالية والتي يرأسها البابا^(١١) ، بأن بطرس هو مؤسسها الحقيقي واسقفها الاول بسبب اجابته للسؤال الذي طرحه السيد المسيح على تلاميذه حينما قال: ((انت هو المسيح ابن الله الحي ، فرد عليه المسيح قائلاً ، طوبى

لك يا سمعان بن يونا ان لحماً ودماً لم يعلن لك لكن ابي الذي في السموات وانا اقول لك ، انت بطرس ، اي الصخرة باللغة الارمية ، وعلى هذه الصخرة ابني كنيسة وأبواب الجحيم لن تقوى عليها . واعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات ، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات))^(١٢) ولقد جسد بولس الرسول النموذج الأمثل للمبشرين^(١٣)، فهو رسول الجهاد وصاحب الفضل الكبير في وضع أركان المسيحية الأولى^(١٤)، إضافة إلى انه وضع قواعد اللاهوت ، وما يتضمن من الفلسفة المسيحية المتعلقة بالأخلاق والآخرة، كالموت والبعث والحساب والخلود فضلاً عن جهوده في وضع دعائم الكنيسة الكاثوليكية العالمية^(١٥).

وبهذا نشأت فكرة الخلافة الرسولية التي تشبثت بها الكنيسة الكاثوليكية^(١٦) ، واعدت نفسها الوريث الشرعي الوحيد عبر سلسلة أسقفية متواصلة تبدأ من بطرس الرسول التلميذ الأول وخليفة السيد المسيح وتستمر عبر خلفائه من الأباء بلا انقطاع حتى يومنا هذا^(١٧). ويساعد البابا في تصريف شؤون الكنيسة وإدارتها في العالم بعض الهيئات الإدارية والقضائية واللاهوتية من خلال تعيينه لبعض المستشارين والمعاونين الذين يعرفون بالكرادلة^(١٨) الترتيب الهرمي لرجال الدين في الكنيسة الكاثوليكية يبدأ بالشماس (المساعد)، ورئيس الشماسية، إضافة إلى القس ثم الأسقف أو المطران^(١٩)، يليها البطاركة (إباء ورؤساء) ثم الكرادلة وعلى رأسهم جميعاً البابا^(٢٠).

وهكذا فالكنيسة الكاثوليكية تركز في تكوينها على شخص السيد المسيح ورسالته وخليفته المتمثلة بشخص البابا أسقف روما ، فضلاً عن التراث والتقليد الكنسي، وينتمي جميع الناس إلى هذا المذهب وفقاً لما ورد في أنظمتها الدينية متحدتين جميعاً رجال دين ومؤمنون تحت إدارة مركزية واحدة يخضع لها أتباع الكنيسة أينما وجدوا في أنحاء العالم كافة^(٢١).

ثانياً_ بروز المذهب الكاثوليكي في البصرة .

انتشرت المسيحية في العراق على يد تلاميذ السيد المسيح في أواسط القرن الأول للميلاد^(٢٢) في معظم محافظات العراق منها نينوى ودهوك وأربيل، وبغداد وكركوك والبصرة وقد رافق هذا الانتشار تأسيس العديد من الكنائس^(٢٣)، وعلى الرغم من الوحدة التي تمتعت بها المسيحية في العراق خلال القرون الأولى من انتشارها فيه،^(٢٤) إلا أنها تأثرت بالاجتهادات اللاهوتية لبعض رجال الدين

والمعلقة بطبيعة السيد المسيح لاسيما في النصف الاول من القرن الخامس الميلادي^(٢٥) ، حين برز نسطوريوس^(٢٦) وأوضح تعاليمه الخاصة بتلك الطبيعة والتي تمت إدانتها في مجمع أفسس الذي عقدته الكنيسة عام ٤٣١م إذ اعتبرت تلك التعاليم مخالفة لما تعلم به الكنيسة ، الامر الذي اسفر عن وجود ما عرف تاريخياً بالكنيسة النسطورية التي كان مقرها بلاد فارس . وسميت فيما بعد بكنيسة المشرق^(٢٧) واستمر مسيحيو العراق تابعون الى كنيسة المشرق النسطورية حيث لا وجود للمذهب الكاثوليكي حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي .

وتمثل تواجد الكاثوليك في البصرة خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي والقرون اللاحقة وباتجاهيين :الاتجاه الأول داخلياً تمثل بتحول اتباع كنيسة المشرق اليه، في حين الاتجاه والثاني خارجي إذ تجسد في الارساليات التبشيرية التي قدمت الى العراق في القرن السابع عشر الميلادي .

فيما يتعلق بالأول حيث وقع انشقاق في كنيسة المشرق عندما قررت الأخيرة حصر منصب البطريرك في عائلة أبونا وجعله وراثياً بعد أن كان انتخابياً ابتداءً من فترة البطريرك مار شمعون الرابع ١٤٣٨_١٤٩٦ م التي ينتمي إليها، واستمر الحال على ما هو عليه حتى وفاة مار شمعون السادس في عام ١٥٣٩ م ومجيئ ابن أخيه شمعون السابع إلى المنصب وهو لازال صبياً لم يتجاوز الثالثة عشر من العمر، حينها قامت مجموعة من رجال الدين بانتخاب يوحنا سولاقا لمنصب البطريرك^(٢٨). الذي انشق عن كنيسته وقرر الدخول في اتحاد مع الكنيسة الكاثوليكية ولذلك رافقه سبعين عضواً وتوجهوا إلى روما من أجل الحصول على بركة وموافقة البابا حيث وصلوا إلى روما في أواخر عام ١٥٥٢م، ومكثوا فيها مدة حتى انعقاد مجمع الكرادلة في الثامن والعشرين من شهر نيسان عام ١٥٥٣م حيث تم تعيين يوحنا سولاقا بطريركا على الكلدان وتم الاتحاد مع الكرسي البابوي^(٢٩) وقد اطلق بابا روما يوليوس الثالث لقب الكلدان^(٣٠) تمييزاً لهم عن كنيسة المشرق النسطورية والمعروفة بالكنيسة الاشورية لاحقاً ، وبهذا أصبحت رسمياً وتاريخياً كنيسة الكلدان الكاثوليكية^(٣١).

ومن الجدير بالذكر ان الاتحاد الرسمي مع الكنيسة الكاثوليكية قد تم عام ١٨٣٠م عندما قام البابا بيوس الثامن بالتصديق والتأكيد على تسمية مار يوحنا الثامن هرماً رئيساً للكنيسة الكلدانية الكاثوليكية حاملاً لقب بطريرك بابل للكلدان ومقره في بغداد^(٣٢).

تركز معظم الكاثوليك الكلدانيين في مدينة البصرة وتحديدًا في منطقة العشار إذ بنوا لهم كنيسة صغيرة ثم توسعت بعد أن حصلت تلك الكنيسة في ١٨٤٣م من الباب العالي على فرمان يتعلق باستقلالها وبمساعدة السفارة في استانبول^(٣٣) ولكن الاعتراف الرسمي لبطريرك الكلدان كان في عام ١٩٠١م عندما حصلوا على براءة سلطانية أو اعتراف رسمي في عهد السلطان عبد الحميد الثاني وتتصيب البطريرك يوسف عمانوئيل الثاني توما (١٩٠٠ - ١٩٤٧) م^(٣٤)، ولقد حصلت الطائفة الكلدانية على امتيازات لم تختلف عن غيرها إضافة إلى منح البطريرك السلطة المطلقة على جميع شؤون الكنيسة وأدارتها وقضايا الزواج، فضلاً عن مجلس في البصرة يدير شؤونها^(٣٥)، ولقد قدرت إحصائيات ((مجمع انتشار الإيمان))^(٣٦) في ١٩٠١م أن عدد الكلدان في البصرة قد بلغ ١٦٠٠ شخصاً^(٣٧).

أما الاتجاه الخارجي فينقسم بدوره إلى قسمين غربي وشرقي، الغربي تمثل بالدومنيكان^(٣٨) أو الكرملين (اللاتين) الذين جاءوا إلى العراق وقطنوا البصرة في ١٦٢٣^(٣٩)، بعد ان كانت لهم ارسالية تبشيرية في مدينة تهران الفارسية إذ تركوها واستقروا في البصرة^(٤٠) وهم أول دعاة الكاثوليك الغربي في العراق^(٤١).

وقد ذكر رفائيل بابو اسحق في كتابه تاريخ النصارى في العراق أن الآباء الكرمليون قد جاءوا إلى بغداد عام ١٦٢٢م^(٤٢)، كما عينت فرنسا رئيس دير الكرملين بتي دولا كروا *pett de la croix* قنصلاً لها في البصرة عام ١٦٧٤م وقد بقيت الإدارة الفرنسية في البصرة تدار من رجال الدين حتى عام ١٧٣٩م ويعود احد الأهداف الفرنسية بتعيين رجال الدين قناصل في البصرة هو حماية للطائفة الكرملية من ملاحقات السلطات العثمانية وجعلها في مأمن من الدسائس والمتغيرات داخل البصرة^(٤٣)، كما اشار أيضاً الرحالة بتروديلافاليه أثناء رحلته إلى العراق ((في السادس والعشرين من شهر أيار عام ١٦٢٤)) (عندما زرت دير الأدباء الكرملين في غوا ... فقد علمت انهم قد افتتحوا لهم مبعثاً في البصرة))^(٤٤). وأتموا بناء كنيستهم في البصرة عام ١٦٢٥م^(٤٥)، و

في عام ١٦٣٨م تم تعيين أول مطران لهم على بابل وأصفهان، وفي عام ١٦٥٢م عين اغناطيوس النائب الرسولي^(٤٦).

كما ذكر أيضاً سيستيني في رحلته من إسطنبول إلى العراق ((إن دير الآباء الكرملين هو من اجمل المباني في البصرة ، فضلاً عن معرفة الآباء الكرملين باللغة الآرامية واللغة العربية))^(٤٧). ولقد بلغ عدد الرهبان الكرملين القناصل حتى عام ١٨٦٩ في البصرة أحد عشر قنصلاً^(٤٨).

ومع بداية النصف الثاني من القرن الثامن عشر ازداد عدد السكان الكاثوليك في البصرة بشكل ملحوظ ، وكان ذلك بسبب التبشير وبمساعدة الوكلاء الفرنسيين السياسيين الذين قدموا المساعدة للحركات التبشيرية الكاثوليكية في البصرة ناهيك عن الامتيازات وصلاحيات التي تمتعوا بها^(٤٩)، وقد اعترفت الدولة العثمانية في عهد السلطان محمود الثاني بعد إصداره فرمان في عام ١٨٣٦ م بوجود (اللاتين ملتي) أي الطائفة اللاتينية وتم تأسيس ((الديوان اللاتيني العثماني)) والتي اقتصرت مهمته على إدارة شؤون اللاتين^(٥٠).

أما الاتجاه الخارجي الشرقي فتمثل بالسريان^(٥١) الكاثوليك القادمون من سوريا وبلاد الشام إلى العراق حيث استوطنوا شماله أولاً ومن ثم بدأوا بالانتشار في وسطه وجنوبه في البصرة حيث انشقوا عن اليعاقبة^(٥٢) ودخلوا في اتحاد مع كنيسة روما من خلال الرسالة التي بعثها البطريرك بهنام الحدلي إلى البابا اوجين الرابع التي تضمنت خضوعه للإيمان الكاثوليكي ومطالبته بالاتحاد مع الكنيسة الكاثوليكية ، ولقد وافق البابا على مطلبه ومنحه لقب البطريرك وفي العشرين من شهر آب عام ١٦٦٢ أقيم ديونوسيوس اخيجان بطريركيا على السريان الكاثوليك باسم اغناطيوس تميزاً عن السريان اليعاقبة^(٥٣). وقد منحت الحكومة العثمانية بطريرك السريان الكاثوليك نفس الامتيازات والحقوق الممنوحة لأقرانه من الطوائف الأخرى^(٥٤). ولقد تمثل وجود السريان الكاثوليك في البصرة بعد حصد الإحصائيات في ((مجمع انتشار الأيمان)) في أواخر القرن التاسع عشر بـ ٢٢.٧٠٠ نسمة، الأمر الذي يدل على وجودهم الفاعل في هذه الولاية^(٥٥). وقد ذكر في كتاب تاريخ المسيحية في جنوب وادي الرافدين للمطران حبيب هرمز أن تاريخ الكنيسة السريانية الكاثوليكية في البصرة خلال القرن العشرين ، قد بدأت بأعمال الخوري يوسف جرجي (١٨٩٧ _ ١٩٤٢) حين حول دارين وخان إلى كنيسة عام ١٩٠٠م وقد تم تكريسها إلى العائلة المقدسة، غير أن الخدمة قد توقفت

في عام ١٩٣٦م^(٥٦) وهو العام ذاته الذي بدا فيه تشييد كنيسة في البصرة سميت (بكنيسة القلب الأقدس للسريان الكاثوليك) في العشار في محلة الكزارة إذ اكتمل بناءها عام ١٩٤٠م وقد تم تعيين أول قس لها سنة ١٩٤٠م وهو القس لويس نقاشة، وإن عدد الكهنة الذين خدموا في الكنيسة وبصورة ثابتة اثنا عشر قساً وإن عدد الرعية تراوح ما بين خمسة وسبعون عائلة إلى مئة عائلة ، وقد استمرت الكنيسة بانشطتها رغم الحروب والحصار غير أنها أغلقت بسبب نزوح عوائلها وهجرة الكثير منهم إلى خارج العراق^(٥٧)، وهكذا نرى أن المذهب الكاثوليكي له وجود تاريخي في البصرة يعود إلى القرون السابقة، ذلك الوجود الذي برز من الداخل أو ذاك الذي قدم من الخارج بفرعيه الشرقي والغربي. ومهما يكن من امر فان كنيسة السريان الكاثوليك مغلقة حالياً لخلوها من رجال الدين وقلة رعيتهما فضلاً عن كنيسة ترازيا لللاتين حيث ينطبق الحال عليها أيضاً .

الخاتمة :

وهكذا يتضح لنا في ختام ، أن الجذور التاريخية للمذهب الكاثوليكي تعود الى القرن الثالث الميلادي وهو من اوائل المذاهب التي ظهرت في الديانة المسيحية ، وحسب التقليد الكاثوليكي والمذهب الكاثوليكي فقد تأسست الكنيسة الكاثوليكية من قبل السيد المسيح في القرن الأول ، وأن وجوده في العراق بشكل عام والبصرة بشكل خاص لم يكن قبل القرن السادس عشر الميلادي ، ذلك الوجود الذي تجسد باتجاهين والتي تمثل بانشقاق مجموعة من اتباع كنيسة المشرق النسطورية واتحادهم مع روما ، وخارجي غربي من خلال قدوم الارساليات التبشيرية في منتصف القرن السابع عشر وخارجي شرقي عن طريق السريان الكاثوليك القادمين من سوريا وبلاد الشام .

بأضافة الى أنه أكبر المذاهب المسيحية وأكثرها انتشاراً في العالم وذلك حسب احصائيات ديوان الاوقاف المسيحية لسنة ٢٠٠٥ ان عدد اتباعه قدر بأكثر من مليار وثلاثمائة مليون شخص وهو يكاد ان يكون حوالي نصف أعداد اتباع الديانة المسيحية والبالغ عددهم ما يقارب مليارين وسبعمائة مليون نسمة وفق آخر احصائيات . كما انه يعد المذهب الأم باعتبار كان مؤسسه هو احد تلاميذ السيد المسيح وهو بطرس كبير الحواريين . ولقد تمثل أنتشاره في البصرة عبر الهجرات والارساليات التبشيرية التي وفدت الى البصرة في اوائل القرن السادس عشر ميلادي .

الهوامش

(^١) وهو ابن الإمبراطور قسطنطينوس كلورس، ولد سنة ٢٨٠م في نيس (كرواتيا وصربيا حالياً) وامه هيلانة كانت مسيحية، انتهج قسطنطين سياسة متسامحة اتجاه المسيحية وذلك من خلال إعلانه لمرسوم ميلانو ٣١٣ م. أما ظروف اهتداه للمسيحية ومضمون إيمانه فليست واضحة حتى اليوم لكن أكثر الروايات المتداولة حول اعتناقه للمسيحية تعود إلى حلمه الذي رأى فيه رسم صليب لامع في السماء وعلى راس الصليب مكتوب بحروف بارزة ((بهذا تنتصر)) وكانت تلك العلامة دليل واضح اعتناقه لمسيحية وخاصة أنه كان يتجهز لخوض معركة الجسر ملفيوس milvions وبهذه العلامة اعتبر الإمبراطور نفسه مسيحياً وبالفعل حارب الإمبراطور قسطنطين إمبراطور الشرق ليكنيوس وانتصر عليه فاصبح بذلك الحاكم والإمبراطور الأوحد للإمبراطورية الرومانية الغربية والشرقية. للمزيد من التفاصيل انظر في: جان كمبي، دليل القراءة تاريخ الكنيسة، الطبعة الثانية، (بيروت، ٢٠٠٢)، ص ٩٤؛ اندروملر، مختصر تاريخ الكنيسة، الطبعة الرابعة (القاهرة، ٢٠٠٣)، ص ١٤٦؛ منصور مخلصي، الكنيسة عبر التاريخ، (بغداد، ١٩٩٧)، ص ٥٤.

(^٢) زينب مطشر خضير، المسيحية ودورها الثقافي والعمراني في بغداد (١٢٥٨-١٩٥٨)، رسالة ماجستير، غير منشورة، (جامعة واسط، كلية تربية، ٢٠١٧)، ص ١٥.

(^٣) مقتبس في: فارس فرنك، حركة الإصلاح الديني والانشقاق عن الكنيسة الكاثوليكية (١٥١٧-١٥٣٤)، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، (جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠٠٧)، ص ٢١.

(^٤) جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، الجزء الثالث، ترجمة عزرا مرجان، (القاهرة، ١٩٨٨)، ص ١١٠.

(^٥) منصور المخلصي، المصدر السابق، ص ٥٦؛ فارس فرنك، المصدر السابق، ص ٢١.

(^٦) كرستيان الحلو، موجز تاريخ الكنيسة، (بيروت، ٢٠٠٩)، ص ١٥.

(^٧) توما: وهو احد تلاميذ السيد المسيح الاثنى عشر، ولد في الجليل بفلسطين، توجه الى العراق وبلاد فارس لنشر الديانة المسيحية ثم بعدها سافر الى الهند للعرض ذاته إذ استشهد ودفن هناك. وبجهد التثويرية، كانت المسيحية منتشرة في العراق خلال القرن الاول الميلادي. للمزيد من التفاصيل انظر في: البير أبونا، تاريخ الكنيسة الشرقية، الجزء الأول، من انتشار المسيحية حتى مجيء الإسلام، (الموصل، ١٩٧٣)، ص ٨؛ يوسف حبي، كنيسة المشرق، (بغداد، ١٩٨٩)، ص ٦٤؛ اندروملر، المصدر السابق، ص ٥١-٥٢؛ رشيد الخيون، الاديان والمذاهب بالعراق ماضيها وحاضرها، الجزء الاول، الطبعة الاولى، (الرياض، ٢٠١٦)، ص ٣٧٨.

(^٨) فارس فرنك، المصدر السابق، ص ١٧.

(^٩) ايبرهارد ارنولد، شهادة الكنيسة الأولى، ترجمة انطونيوس مرقس، (د.م. د. ت)، ص ٢٥؛ منصور المخلصي، المصدر السابق، ص ١١؛ فارس فرنك، المصدر السابق، ص ١٧.

(^{١٠}) وهي لفظة يونانية Katholikos وتعني العالمي Universal، حيث تمثل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية اكبر تجمع مسيحي في العالم إذ يقدر عدد اتباعها بنحو مليار وثلاثمائة مليون مسيحي يمثلون حوالي خمس سكان العالم وينتشرون في جميع أرجاء العالم المعمورة، حسب إحصائية الفاتيكان لعام ٢٠١٥، ولقد استخدمت الكلمة لأول مرة

من قبل القديس اغناطيوس الأنطاكي المولود في النصف الأول من القرن الأول ورئيس كنيسة أنطاكيا. ولقد تم اعتقاله وإرساله إلى روما أسيراً بسبب إيمانه ونشاطه التبشيري في رسالته إلى السمرانيين Smyranacans عام ١١٠م، كما استخدمها اللاهوتي الإغريقي كليمنت الإسكندراني (١٥٠-٢١٥)م والذي يعد من اعظم الإباء العظام اليونانيين للكنيسة الكاثوليكية. غير إن الاستخدام الرسمي لها في التعبير عن الكنيسة المسيحية التي كانت الوحيدة في ذلك الوقت لم يحدث قبل القرن الثالث للميلاد. للمزيد من التفاصيل انظر في : لويس ساكو ، الكنيسة الأولى (مسيرة أيمان وبدايات لاهوت) ، (الموصل ، ١٩٩٠) ، ص ٧٨ ؛ فارس فرنك ، المصدر السابق ، ص ٢٩ ؛ الإباء الرسولين، رسائل أغناطيوس الأنطاكي ، الكتابات المسيحية الأصلية في السنوات المائة الأولى بعد العهد الجديد باللغة اليونانية واللغة العربية ، الجزء الثاني، ترجمة جرجس كامل يوسف، الطبعة الأولى ، (القاهرة ، ٢٠١٢) ، ص ٩٠ ؛ سالم ساكا، البطريريكيات الشرقية الكاثوليكية ، (أربيل، ٢٠١٨) ، ص ١٠ .

(١١) البابا : لفظة يونانية ومأخوذة من كلمة بابايس ومعناها الأب كما أنها أيضاً مأخوذة من الكلمة القبطية بي بابا ، أي الأب . اطلقت على خليفة بطرس الرسول في روما . والبابوية رتبة اسقفية وسلطوية يتقلدها اسقف روما في المذهب الكاثوليكي بصفته المسؤول الأول عنه فهو يمثل الهيكل الإداري والروحي للمذهب وينتخب البابا من بين اعلى درجات رجال الدين مدى الحياة ويمكنه أن يستقيل ولكنه لا يمكن أن يقال. ويعيش البابا في قصره في الفاتيكان معظم أيام السنة. للمزيد من التفاصيل انظر : محمد بن علي ، الطائفة الكاثوليكية وفرقها وعقائدها واثرها على العالم الاسلامي ، اطروحة دكتوراه ، (جامعة ام القرى ، كلية الدعوى ، ٢٠٠٧) ، ص ٧٢ .

(١٢) العهد الجديد ، انجيل متى ، الاصحاح السادس عشر ، الايات ١٦-٢٠ ؛ محمد بن علي بن محمد ال عمر ، المصدر السابق ، ص ٦٥ ؛ محمد الخطيب ، حضارة اوربا في العصور الوسطى ، الطبعة الثانية ، (سوريا ، ٢٠٠٩) ، ص ١٠٧ .

(١٣) اندروملر ، المصدر السابق ، ص ٤٠ .

(١٤) حبيب سعد ، تاريخ المسيحية - فجر المسيحية ، (القاهرة ، ١٩٨٧) ، ص ٤٥ .

(١٥) سعيد عبد الفتاح عاشور ، اوربا العصور الوسطى، الجزء الأول، التاريخ السياسي، ط ٥ ، (القاهرة ، ١٩٧٢) ، ص ٤٨ .

(١٦) جاد المغلوطي ، تاريخ المسيحية (المسيحية في العصور الوسطى) ، (القاهرة ، د.ت) ، ص ١٦٨ .

(١٧) فرنسيس يوسف ، تلاميذ المسيح ، (بغداد ، ١٩٨٧) ، ص ١٣؛ سعد رستم ، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية ، الطبعة الثانية ، (سوريا ، ٢٠٠٥) ، ص ٦٩ .

(١٨) الكاردينال : وهو مركز رسمي لاسقف مسؤول في الكنيسة الكاثوليكية . ويتم تعيين الكاردينال من قبل البابا . ويتولى الكرادلة مهمة انتخاب البابا القادم في حالة وفاة البابا . www.wikipedia.com.

(١٩) سعد رستم ، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية ، الطبعة الثانية ، (سوريا ، ٢٠٠٥) ، ص ٧٩ .

(٢٠) ايبرهارد أرنولد، المصدر السابق ، ص ١٠١ .

(٢١) صموئيل حبيب ، الكنيسة والدولة ، الطبعة الأولى ، (القاهرة ، ١٩٩٠) ، ص ٥٥ .

- (٢٢) بحسب ما تذكره المصادر المسيحية فأن الذين بشروا بالمسيحية في العراق هم أربعة (توما الرسول ثم ادي وتلميذاه اجاي وماري) ، ويذكر ان ماري هو احد رسل المسيح السبعين ، قد بشر بالإنجيل في المدائن (سلمان باك) ، وكسكر (واسط) وأربيل ونيوى . للمزيد من التفاصيل انظر في : ادي شير ، تاريخ كلدوا واشور ، المجلد الثاني ، (د. م ، ٢٠٠٧)، ص ٢٨ ؛ دهام محمد العزاوي، مسيحيو العراق محنة الحاضر وقلق المستقبل ، الطبعة الأولى ، (بيروت ، ٢٠١٢) ، ص ٢٤ ؛ هيثم محي طالب الجبوري ، مسيحيو العراق ودورهم في تاريخ العراق المعاصر (١٩٥٨_١٩٢١) ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، (جامعة بابل ، كلية تربية ، ٢٠١٢) ، ص ٢ .
- (٢٣) بهاء حسين ، مسيحيو العراق (١٩٥٨_١٩٦٨) دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، (جامعة القادسية ، كلية التربية ، ٢٠١٧) ، ص ١٢ .
- (٢٤) هيثم محي طالب ، المصدر السابق ، ص ٤ .
- (٢٥) عصام إبراهيم محمد ، طائفة الكلدان في العراق دراسة انثروبولوجية ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، (جامعة بغداد ، كلية الاداب ، ٢٠٠٧) ، ص ٣١ .
- (٢٦) كان فارسي الأصل من مواليد القرن الرابع ، إذ ولد في مدينة جرمانيقه (مرعش في سوريا)، ولقد درس في مدارس مرعش السورية ثم تم التحاقه بمدينة انطاكية بدير يدعى دير ابريوس، وعندما تم تعينه اسقفا على القسطنطينية في ٤٢٨ أو ٤٢٩ بدأ يظهر اراءه الدينية في طبيعة السيد المسيح وذلك حين قال أن للمسيح شخصيين (الالهى والإنسانى) ولكنهما منفصلان: لم يدرك الفرق بين الطبيعة والشخص. وبالنتيجة لم يكن من الممكن أن نسمي مريم أم الله بل أم المسيح ، ولقد استفاد نسطور من النفوذ الذي كان يملكه في البلاط الملكي فقد استطاع أن يبيث تعاليمه المضلة بين طبقات الشعب، لكن تعاليمه قد اعتبرت هرطقة باعتبار أن العقيدة الصحيحة هي وجود طبيعتين كاملتين في اقنوم واحد ألا وهو الابن. للمزيد من التفاصيل انظر في: بطرس فهد، الكنائس الشرقية عبر التاريخ، (بيروت، ١٩٩٤)، ص ١٨١؛ فارس فرنك، المصدر السابق، ص ٣٠؛ البير ابونا، الكنائس الشرقية في العالم العربي ، (أربيل ، ٢٠١٧) ، ص ٤٥ .
- (٢٧) كنيسة المشرق والتي نمت وازدهرت خارج أسوار الإمبراطورية الرومانية، وذلك خلال القرون المسيحية الأولى، والتي امتدت إلى المدن المحيطة بنصيبين والى المناطق ما بين النهرين، فضلاً عن مواصلتها بالقدس في القرن الخامس الميلادي ، وتعتبر كنيسة المشرق هي الكنيسة الأم على الرغم الصعوبات التي واجهتها لكنها استطاعت بجهود رجال الدين أن تكون كنيسة جزءاً من الكنيسة الجامعة ، رغم ذلك أنها لم تستطيع إن تكون لها علاقات مع الكنيسة الغربية رغم أنها قد تكونت خارج المملكة الرومانية ، والتي كانت خاضعة للكنيسة الفارسية. وقد انتشرت انتشاراً واسعاً خلال القرن الخامس الميلادي في كل من بلاد ما بين النهرين وبلاد فارس وبين القبائل. لقد سميت كنيسة المشرق بعدة تسميات منها كنيسة المشاركة . للمزيد من التفاصيل انظر: يوسف حبي، كنيسة المشرق، (بغداد، ١٩٨٩)، ص ٥٣-٥٤؛ لويس ساكو، الكنيسة الكلدانية خلاصة تاريخية ، (بغداد ، ٢٠١٥) ، ص ٧ .
- (٢٨) الكسندر اداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة هاشم صالح التكريتي، الجزء الأول، (بغداد، د. ت) ، ص ٢٩٦ .
- (٢٩) اوجين نسران ، خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية ، ترجمة سليمان صائغ ، (موصل ، ١٩٣٩) ، ص ١٠٩ .

(٣٠) الكلدانية : يعود اصل التسمية والتي لها عدة أشكال مختلفة ومتنوعة فبعض يعرج على إن كلمة كلدان هو مشتق من الاسم كلدو (تسمية اطلقت على شعب سكن في جنوب العراق وتحديداً منطقة الأهوار)، فيما وصف البعض الآخر إن الكلمة مأخوذة من كلمة كلوذاي نسبة إلى موقع شمال بابل. غير إن اقدم تسمية للكلدان والتي جاءت في التوراة وعلى أشكال مختلفة فمنها كلديين ، كلدو ، كلدان والتي فسرها بعض الباحثين والمؤرخين على أنها تعني الفاتحين، غير إن جميع الباحثين اتفقوا على إن اصل التسمية الكلدان قد اطلقت على أقوام كانوا يشكلون جزءاً من المملكة البابلية ويسكنون في منطقة جنوب بغداد الحالية سميت بكلدو، كلدي وعاشوا فيها فترة زمنية محددة. أما التسمية الأخرى فهي تطلق على فئة من المسيحيين الذين عرفوا باسم الكلدان والذين انضموا إلى كنيسة روما في القرن الخامس عشر حيث اطلق بابا روما التسمية عليهم حتى يميزهم عن فئة النساطرة حيث ظل اسم الكلداني محفوظاً لتمييز الكلدان الكاثوليك من غيرهم ولهم بطريركيهم وأساقفتهم وطقوسهم باللغة السريانية الكلدانية وهم خاضعون للكرسي الرسولي الروماني في كل أحوالهم. للمزيد من التفاصيل انظر في: بطرس فهد ، الكنائس الشرقية عبر التاريخ ، (بيروت ، ١٩٩٤)، ص ١٨٤؛ جي، سي، جي، ساندرس، المسيحيون الاشوريون (الكلدان في تركيا الشرقية وايران والعراق)، ترجمة نافع توما، (بغداد، ٢٠٠٧)، ص ٣١؛ عصام إبراهيم محمد ، طائفة الكلدان في العراق دراسة انثروبولوجية ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، (جامعة بغداد ، كلية الاداب ، ٢٠٠٧) ، ص ٣٧ .

(٣١) جرجس جبرائيل هومي وعبد العزيز هاشم، القوميات العراقية ماضيها وحاضرها، (بغداد ، ١٩٥٩)، ص ٧٩.

(٣٢) الكسندر اداموف، المصدر السابق ، ص ٢٩٨ ؛ زينب مطشر ، المصدر السابق ، ص ١٣٧.

(٣٣) منيب جمعة يوسف مرة ، تاريخ الحياة الاجتماعية في لواء البصرة (١٨٣١_١٩١٤) ، رسالة ماجستير ، (جامعة مؤتة ، ١٩٩٦) ، ص ٤٥.

(٣٤) زينب مطشر ، المصدر السابق ، ص ١٣٩.

(٣٥) منيب جمعة ، المصدر السابق ، ص ٤٥.

(٣٦) أسس الفاتيكان مجمع انتشار الإيمان في ١٦٢٢م ، ولقد كان الهدف منه نشر المذهب الكاثوليكي في العراق تحديداً فقد انطلقت منه عدة ارساليات تبشيرية وبأسماء مختلفة (الكبوشين، الاوغسطين، الكرملين، والكبوشين، والدومنيكان). للمزيد من التفاصيل انظر في: وليد خالد يوسف، نشاطات الإرساليات التبشيرية الكاثوليكية الفرنسية في العراق في ظل الحكم العثماني (١٥٣٤_١٩١٨)، مجلة جامعة تكريت ، العدد ٥ لسنة ٢٠٠٨ ، ص ٣٧٧.

(٣٧) الكسندر اداموف ، المصدر السابق ، ص ٣٠٠.

(٣٨) الدومنيكان : وهي طائفة تنسب إلى الإسباني القديس دومنيك (١١٧٠_ ١٢٢١) م، ولقد كان دومنيك تقليدي العقيدة ومولعاً بمجادلة الهرطقة، وعند لقاءه بالقديس فرنسيس في إيطاليا تأثر بأسلوبه فقرّر على تأسيس هيئة للوعظ والإرشاد. ولقد انتشر المذهب الدومنيكاني انتشاراً واسعاً وبعد وفاة دومنيك تسلل هذا النظام إلى باقي المدن ولقد كانت وسيلة الدومنيكان هي الأقتناع ومخاطبة العقل. للمزيد من التفاصيل انظر في : طارق عبد الحميد عبد الرؤف عبد الوهاب ، حركات الاصلاح بين المسيحية والاسلام دراسة مقارنة ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، (كلية الدعوة ، قسم الاديان والمذاهب ، ١٩٩٩) ، ص ٤٤.

(٣٩) عماد عبد السلام رؤوف العطار ، الحياة الاجتماعية في العراق ابان العهد المالك ١٧٤٩_١٨٣١، اطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، (القاهرة ، كلية الاداب ، قسم التاريخ ، ١٩٧٦) ، ص ٣٥٨

(٤٠). www.Wikipedia.com

(٤١) لقد شهدت مدينة البصرة بدايات القرن السابع عشر النشاطات التبشيرية الفرنسية وذلك على يد المبشرين الفرنسيين من الآباء الكرملين والذين جاءوا سنة ١٦٢٣م ، ولقد ذكر إن الإرساليات التبشيرية الكاثوليكية كانت محدودة العدد ويعود ذلك إلى محدودية نشاطات فرنسا التجارية وقلة رعاياها الموجودين داخل البصرة ، كما قامت بأرسال مبشرين يمتنون مهنة الطب إلى جانب واجباتهم الدينية من أجل إن تكون وسيلة للتقرب من أهالي البصرة ، كما مارس الرهبان الفرنسيون أمورهم التجارية الى جانب نشاطاتهم المتعلقة بالتربية والتعليم طيلة فترة تواجدهم في البصرة حيث استطاعوا تأسيس مدرسة لهم في بداية القرن العشرين ١٩٠٢م فأسسوا أول مدرستين ابتدائيتين لهم في مركز البصرة، ولقد استخدموا المبشرين كل الاساليب والطرق من أجل تعاليمهم من التطبيب والتعليم والوعظ وترجمة الكتب ، واستغلوا جميع المناسبات من أجل تحقيق اهدافهم . للمزيد من التفاصيل انظر في : وليد خالد يوسف ، المصدر السابق ، ص ص ٣٧٨-٣٧٩ ؛ مصطفى خالدي وعمر فزوخ ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، الطبعة الأولى، (بيروت ، ١٩٥٣)، ص ٤٣ ؛ الكسندر اداموف ، المصدر السابق ، ص ٢٨٢.

(٤٢) رفائيل بابو اسحق ، تاريخ النصارى العراق (١٠٠-٢٠٠٦م) ، (بغداد ، ١٩٤٨) ، ص ١٢٦.

(٤٣) محمد عبد الله العزاوي ، صفحات من تاريخ العلاقات الفرنسية مع البصرة في العصر الحديث ، مجلة آداب البصرة ، العدد ٦٣ ، لسنة ٢٠١٢ ، ص ٥٦٩.

(٤٤) مقتبس في: بطرس حداد، رحلة ديلالاليه إلى العراق مطلع القرن السابع عشر ، الطبعة الأولى ، (بيروت ، ٢٠٠٦)، ص ١٤٤.

(٤٥) بهاء حسين شاكر، المصدر السابق ، ص ٢٢.

(٤٦) رفائيل بابو اسحق، المصدر السابق ، ص ١٢٦.

(٤٧) نقلاً عن: بطرس حداد، رحلة سيستيني من إسطنبول إلى العراق ١٧٨١، الطبعة الأولى، (بغداد، ٢٠١٤)، ص ٦٩.

(٤٨) الكسندرا اداموف ، المصدر السابق ، ص ٢٨٤.

(٤٩) منيب جمعة ، المصدر السابق ، ص ٥٢.

(٥٠) الكسندر اداموف ، المصدر السابق ، ص ٢٩٠.

(٥١) السريان : يندرج اسم السريان بين مسيحي بلاد سوريا أولاً ومسيحي بلاد ما بين النهرين وفارس والهند والصين حتى أقصى الشرق بواسطة تلاميذ السيد المسيح والمبشرين السريان والسريان تسمية في سورية لتمييز المسيحيين من بني جنسهم الأرامين الذين لم يكونوا بعد قد اعتنقوا المسيحية. للمزيد من التفاصيل انظر في: اغناطيوس يعقوب الثالث ، كنيسة انطاكية سورية ، (دمشق ، ١٩٧١) ، ص ١١.

(٥٢) وهم اتباع يعقوب البرادعي اسقف الرها (٥٤١_٥٧٨) لجأ إلى القسطنطينية مع مجموعة من الرهبان وبدأوا يطوفون المناطق الشرقية ويرسم الأساقفة والكهنة ومن خلال جهوده استطاع إن يكون له اتباع ونشر مذهبه المنوفيزي(ذو الطبيعة الواحدة للسيد المسيح) في الشرق، حيث دحض حجج نسطور واخذ بالقول إن الطبيعة الالهية في السيد المسيح قد تغلبت تماماً على الطبيعة البشرية ، ولقد اديننت تعاليمه في مجمع خلقيدونيا ٤٥١م. للمزيد من

- التفاصيل انظر في : البير ابونا ، المصدر السابق ، ص ١٤١ ؛ الكسندرا اداموف ، المصدر السابق ، ص ٣٠٠ ؛ زينب مطشر ، المصدر السابق ، ص ٢٧ .
(٥٣) رفائيل بابو اسحق ، المصدر السابق ، ص ١٢٧ .
(٥٤) منيب جمعة ، المصدر السابق ، ص ٤٩ .
(٥٥) الكسندرا اداموف ، المصدر السابق ، ص ٣٠٣ .
(٥٦) حبيب هرمز ، تاريخ المسيحية في جنوب وادي الرافدين ، الطبعة الأولى ، (البصرة ، ٢٠١٥) ، ص ١٥٧ .
(٥٧) مقابلة مع يوسف عزيز يوسف خادم كنيسة السريان الكاثوليك، البصرة، ٢٠٢٠/٣/١١، وقد أذن بالإشارة إليها.

قائمة المصادر :

أولاً_ الكتب العربية والمعربة :

١. الإباء الرسولين، رسائل أغناطيوس الأنطاكي ، الكتابات المسيحية الأصلية في السنوات المائة الأولى بعد العهد الجديد باللغة اليونانية واللغة العربية ، الجزء الثاني، ترجمة جرجس كامل يوسف، الطبعة الأولى ، (القاهرة ، ٢٠١٢)
٢. ادي شير ، تاريخ كلدوا واشور ، المجلد الثاني ، (د. م ، ٢٠٠٧).
٣. اغناطيوس يعقوب الثالث ، كنيسة انطاكية سورية ، (دمشق ، ١٩٧١)
٤. اندروملر ، مختصر تاريخ الكنيسة ، الطبعة الرابعة (القاهرة ، ٢٠٠٣) .
٥. اوجين نسران ، خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية ، ترجمة سليمان صائغ ، (موصل ، ١٩٣٩) .
٦. ابيرهارد أرنولد، شهادة الكنيسة الأولى ، ترجمة انطونيوس مرقس ، (د.م ، د. ت) .
٧. بطرس حداد، رحلة سيستيني من إسطنبول إلى العراق ١٧٨١، الطبعة الأولى، (بغداد، ٢٠١٤)
٨. بطرس حداد، رحلة ديلالفايه إلى العراق مطلع القرن السابع عشر، الطبعة الأولى، (بيروت، ٢٠٠٦)، ص ١٤٤ .
٩. بطرس فهد ، الكنائس الشرقية عبر التاريخ ، (بيروت ، ١٩٩٤).
١٠. بطرس فهد، الكنائس الشرقية عبر التاريخ ، (بيروت ، ١٩٩٤).
١١. البير ابونا ، الكنائس الشرقية في العالم العربي ، (أربيل ، ٢٠١٧)
١٢. جاد المغلوطي ، تاريخ المسيحية (المسيحية في العصور الوسطى) ، (القاهرة ، د. ت) .
١٣. جان كمبي ، دليل القراءة تاريخ الكنيسة ، الطبعة الثانية ، (بيروت ، ٢٠٠٢).

١٤. جرجس جبرائيل هومي وعبد العزيز هاشم، القوميات العراقية ماضيها وحاضرها، (بغداد، ١٩٥٩).
١٥. جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، الجزء الثالث، ترجمة عزرا مرجان، (القاهرة، ١٩٨٨).
١٦. جي، سي، جي، ساندريس، المسيحيون الاشوريون (الكلدان في تركيا الشرقية وايران والعراق)، ترجمة نافع توما، (بغداد، ٢٠٠٧).
١٧. حبيب سعد، تاريخ المسيحية - فجر المسيحية، (القاهرة، ١٩٨٧).
١٨. حبيب هرمز، تاريخ المسيحية في جنوب وادي الرافدين، الطبعة الأولى، (البصرة، ٢٠١٥).
١٩. دهام محمد العزاوي، مسيحيو العراق محنة الحاضر وقلق المستقبل، الطبعة الأولى، (بيروت، ٢٠١٢).
٢٠. رشيد الخيون، الاديان والمذاهب بالعراق ماضيها وحاضرها، الجزء الاول، الطبعة الاولى، (الرياض، ٢٠١٦).
٢١. رفائيل بابو اسحق، تاريخ النصارى العراق (١٠٠-٢٠٠٦م)، (بغداد، ١٩٤٨).
٢٢. سالم ساكا، البطيريكيات الشرقية الكاثوليكية، (أربيل، ٢٠١٨).
٢٣. سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية، الطبعة الثانية، (سوريا، ٢٠٠٥).
٢٤. سعيد عبد الفتاح عاشور، اوروبا العصور الوسطى، الجزء الأول، التاريخ السياسي، الطبعة الخامسة، (القاهرة، ١٩٧٢).
٢٥. صموئيل حبيب، الكنيسة والدولة، الطبعة الأولى، (القاهرة، ١٩٩٠).
٢٦. فرنسيس يوسف، تلاميذ المسيح، (بغداد، ١٩٨٧).
٢٧. كرستيان الحلو، موجز تاريخ الكنيسة، (بيروت، ٢٠٠٩).
٢٨. الكسندر اداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة هاشم صالح التكريتي، الجزء الاول، (بغداد، د.ت).
٢٩. لويس ساكو، الكنيسة الأولى (مسيرة أيمان وبدايات لاهوت)، (الموصل، ١٩٩٠).
٣٠. لويس ساكو، الكنيسة الكلدانية خلاصة تاريخية، (بغداد، ٢٠١٥).
٣١. محمد الخطيب، حضارة اوروبا في العصور الوسطى، الطبعة الثانية، (سوريا، ٢٠٠٩).

٣٢. مصطفى خالدي وعمر فزوخ ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، الطبعة الأولى، (بيروت ، ١٩٥٣).

٣٣. منصور المخلصي ، الكنيسة عبر التاريخ ، (بغداد ، ١٩٩٧).

٣٤. يوسف حبي ، ، كنيسة المشرق ، (بغداد ، ١٩٨٩) .

ثانياً_ الاطاريح والرسائل :

١. بهاء حسين شاكر، مسيحيو العراق (١٩٥٨_١٩٦٨) دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة القادسية ، كلية التربية ، ٢٠١٧).

٢. زينب مطشر ، المسيحية ودورها الثقافي والعمراني في بغداد (١٢٥٨_١٩٥٨) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة واسط ، كلية التربية ، ٢٠١٧).

٣. طارق عبد الحميد عبد الرؤف عبد الوهاب ، حركات الاصلاح بين المسيحية والاسلام دراسة مقارنة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (كلية الدعوة ، قسم الاديان والمذاهب ، ١٩٩٩) .

٤. عصام إبراهيم محمد ، طائفة الكلدان في العراق دراسة انثروبولوجية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة بغداد ، كلية الاداب ، ٢٠٠٧).

٥. عماد عبد السلام العطار، الحياة الاجتماعية في العراق ابان عهد المالك ١٧٤٩_١٨٣١، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، (جامعة القاهرة ، كلية الاداب ، قسم التاريخ ، ١٩٧٦).

٦. فارس فرنك ، حركة الإصلاح الديني والانشقاق عن الكنيسة الكاثوليكية (١٥١٧_١٥٣٤) ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، (جامعة البصرة ، كلية الآداب ، ٢٠٠٧).

٧. محمد بن علي ، الطائفة الكاثوليكية وفرقها وعقائدها واثرها على العالم الاسلامي ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، (جامعة ام القرى ، كلية الدعوى ، ٢٠٠٧).

٨. منيب جمعة يوسف مرة ، تاريخ الحياة الاجتماعية في لواء البصرة (١٨٣١_١٩١٤) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة مؤتة ، ١٩٩٦).

٩. دهام محمد العزاوي، مسيحيو العراق محنة الحاضر وقلق المستقبل، الطبعة الأولى، (بيروت ، ٢٠١٢) .

١٠. هيثم محي طالب الجبوري ، مسيحيو العراق ودورهم في تاريخ العراق المعاصر (١٩٢١_١٩٥٨) ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، (جامعة بابل ، كلية التربية ، ٢٠١٢).

ثالثاً_ البحوث والمقالات :

١. محمد عبد الله العزاوي ، صفحات من تاريخ العلاقات الفرنسية مع البصرة في العصر الحديث ، مجلة آداب البصرة ، العدد ٦٣ ، لسنة ٢٠١٢ .
 ٢. مقابلة مع يوسف عزيز يوسف خادم كنيسة السريان الكاثوليك ، البصرة ، ١١/٣/٢٠٢٠ ، وقد أذن بالإشارة إليها .
 ٣. وليد خالد يوسف، نشاطات الإرساليات التبشيرية الكاثوليكية الفرنسية في العراق في ظل الحكم العثماني (١٥٣٤_١٩١٨) ، مجلة جامعة تكريت ، العدد ٥ لسنة ٢٠٠٨ .
- رابعاً _ الروابط الكترونية :

- www.Wikibedia.com

المسالك التجارية وأثرها في الصراع الفاطمي الأموي خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي
م.و. زينب حمزة عباس

المسالك التجارية وأثرها في الصراع الفاطمي الأموي خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي

م.د. زينب حمزة عباس

كلية التربية للعلوم الصرفة

الملخص

إن أهم ما يميز العلاقة بين الدولتين الفاطمية والأموية هو الصراع الذي نشب بينهما من أجل السيطرة على المسالك التجارية ، والسيطرة على الطريق البري الغربي الذي يربط بلاد السودان بالمغرب الأقصى ، حيث كانت هنالك طرق برية عديدة تكمن أهميتها في المجال التجاري، الأمر الذي جعلها محط أنظار الدولتين للسيطرة عليها، كما إمتاز هذا الصراع بنوع من التذبذب، مما جعله صراعا "مستمرًا"، ويتمثل الجانب الاقتصادي أحد عوامل هذا الصراع.

**Tracts of commerce and its impact on the Fatimid Umayyad conflict
During the fourth century AH / tenth century AD**

M.Dr. Zainab Hamza Abbas

College of Education for Pure Sciences

Abstract

The most important characteristic of the relationship between the Fatimid and Umayyad states is the conflict that erupted between them in order to control the trade routes, and control over the western land route that connects Sudan to the Far Maghreb, where there were many land routes whose importance lies in the commercial field, which made it the focus of the two countries' attention To control it, this conflict was also characterized by a kind of fluctuation, which made it a "continuous" struggle, and the economic aspect is one of the factors of this conflict.

المقدمة

يعد الصراع الفاطمي الأموي الحدث الأهم والصفة المميزة والبارزة في العلاقات بين الدولتين، وقد برز هذا الصراع أكثر وضوحاً من خلال المعارك والحروب التي دارت بين الطرفين من أجل السيطرة على المسالك التجارية، أو بالأحرى السيطرة على الطريق البري الغربي الذي يربط بلاد السودان بالمغرب الأقصى.

وكانت الصحراء عنصر فاعل في هذا الطريق ولم تقف عائقاً أمام التبادل التجاري بين السودان ودول المغرب على الرغم من المشاكل والمتاعب التي تتميز بها، بل كانت سبباً في ثراء العديد من الأمراء والقادة العسكريين، نتيجة ما تدره من أرباحاً وافرة، وهذا بدوره برز على مسرح الأحداث التاريخية بين بلاد المغرب والاندلس، ونتيجة لأهمية هذه المسالك، فقد حاولت كلا من الدولتين السيطرة عليهما بشتى الوسائل والأساليب وبسط نفوذها.

لذا أرتأينا في هذا البحث بيان أثر المسالك التجارية في الصراع الفاطمي / الأموي، وما لهذه المسالك في تحديد القوى المسيطره عليه.

أهمية موقع المغرب العربي:

شهد القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، صراعاً بين الدولة الفاطمية في المغرب، والدولة الأموية في الاندلس حول السيطرة على المسالك التجارية البرية و البحرية الواقعة بالجهة الغربية من المغرب العربي.

فالمسالك التجارية كانت محط أطماع كل منهما، إذ امتازت بلاد المغرب بموقع استراتيجي مهم، فهي بمثابة حلقة وصل بين بلاد المشرق الاسلامي وبلاد الاندلس، وكونها واقعة بين الصحراء الكبرى وبلاد السودان من جهة، والبحر المتوسط من جهة اخرى.

أضف الى ذلك أن أهمية الموقع الجغرافي لبلاد المغرب لم ينحصر بنطاق معين بل كان له دور كبير في التبادل الحضاري والتجاري بين الدول، فمن المعروف أن الحوض الغربي من البحر المتوسط يتصل بأوسع منطقة جغرافية تشرف على الصحراء، فبعد الواجهة البحرية توجد الهضاب الفاصلة بين الساحل والصحراء، والذي كان له دور في تطور المسالك التجارية وتنوعها من الجهة الجنوبية الشمالية والشرقية الغربية، كما أن من أسباب ازدهار تجارة الذهب في بلاد المغرب هو موقعها المتميز المطل على الصحراء. (١)

لقد تحول المغرب العربي بعد الفتح الاسلامي الى منطقة ذات جهات مفتوحة جغرافيا، حيث تخترقها المسالك من الشمال الى الجنوب وكانت مهياً ان تصبح مناطق عبور نحو الصحراء الافريقية، كما انها تكون كتلاً جبلية معزولة تخترقها المسالك التي تسلكها القوافل التجارية مما

جعلها مسالك طرقية ، وجعلها اماكن للاعتصام والتجمعات القبلية البدوية ، ربطت نشاطها وحياتها البشرية بهذه الجهات الجبلية لما تحصل عليه من فوائد مادية ، ولقد اعطى التكوين الطبيعي المتنوع للمناطق الغربية (مغرب اوسط ومغرب اقصى واقاليم صحراوية) تنوعاً جوهياً جديداً على المستوى العام ، وكانت ظاهرة المواصلات والطرق التجارية اهم وسائل الربط بين جهات المنطقة كلها ، وخاصة بين المراكز الصحراوية والمرافئ التي على سواحل البحر المتوسط ، وبذلك اعطت البلاد عرضاً عميقاً يتناسب مع طولها الكبير ، وجعلت الصحراء جزءاً لا يتجزأ من المغرب فكانت المنطقة الوسطى بين نهر الشلف ونهر ملوية مجالاً للعبور والانتقال للمجموعات البشرية من الشرق الى اقصى الغرب، ومن الجنوب الصحراوي الى الشمال الساحلي للبحر المتوسط، وكان مجال المغرب الاقصى هو مركز الاستقطاب والاستيعاب النهائي للقوى البشرية.(٢)

ولأهمية الذهب الاقتصادية والتجارية كانت هنالك عدة محاولات للسيطرة على الجانب الغربي لبلاد المغرب ، وشهدت المنطقة محاولات عسكرية عديدة تهدف الى توسيع السيطرة على مناطق جغرافية جديدة ، وتدعيم النفوذ في تلك المناطق والسيطرة على مراكز تجارة الذهب مثل سجلماسة(٣) وفاس(٤) وتاهرت(٥) وبلاد الزاب(٦) وافريقية والسيطرة على المدن المرتبطة بالتجارة الصحراوية(٧).

وقد تميزت المنطقة المغربية في نهاية القرن الثالث الهجري بوجود جهتين هما :

الجهة الاولى / المركزية اي الجهة الافريقية وقاعدتها القيروان.

الجهة الثانية / الجهات الغربية وتمتد من حوض نهر شلف الى المحيط الاطلسي ، ومن غرب جبال الاوراس وجنوب اقليم الزاب الى تخوم الصحراء في القسم الجنوبي ، وهذه الجهة هي محور الصراع بين القوى السياسية نتيجة للأهمية الاقتصادية والاستراتيجية ، فالتسمية العامة التي اطلقت على الجهات الغربية او البلاد الغربية تسميه اعتيادية وعامة بالنسبة الى الاسمين الشائعين وهما المغرب الاوسط والمغرب الاقصى ، وهما تقسيمان وضعهما نظام الطرق التجارية في المنطقة والصراع المرير حولها ، فالصراع بينهما ليس صراعاً مذهبياً فقط كما هو معروف تقليدياً ، بل هو صراع من اجل السيطرة على الطرق التجارية المارة عبر سبله ، ومحاولة القوى البشرية السيطرة على تلك الطرق من خلال فرض نفوذها عليها ، ومحاولتها تعمير تلك الطرق ، لان نشأة المدن وتطورها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتعمير البشري لتلك المدن ، ومحاولة القوى البشرية الاستقرار فيها ، وهذا ما اكده الجغرافيون ، ومنهم اليعقوبي الذي تطرق الى اماكن القبائل ومواطن استقرارها (٨) ، وكذلك ابن حوقل الذي اكد على موطن العديد من القبائل المغربية واماكن تواجدها (٩) اما البكري فقد تحدث عن المسالك والطرق التجارية واماكن استقرار القبائل (١٠).

وكان الفتح العربي الاسلامي لبلاد المغرب في القرنين الاول والثاني الهجري / السابع والثامن الميلادي، اهمية كبيرة في اكتشاف الجنوب الغربي المطل على الصحراء الافريقية ، الذي ادى بدوره الى انعاش الحركة التجارية، واعاد نظام طرق القوافل التجارية ، حيث تحولت تلك الجهات الى عامل الاستقطاب البشري، وسرعان ما أسس المجتمع الاسلامي للعديد من العلاقات الوثيقة مع قبائل تلك الجهات (١١)، ونتيجة لأهمية هذه الطرق فقد نشب حولها صراع مريرا خصوصا المغرب الاوسط اي الواجهة البحرية ، والمغرب الأقصى اي الواجهة الصحراوية، وذلك من اجل السيطرة على المسالك التجارية الرابطة بينها وبين بلاد السودان من جهة، وبينها وبين بلاد المشرق الاسلامي من جهة ثانية(١٢).

بدايات توسيع النفوذ الفاطمي في المغرب

في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي اصبحت منطقة الغرب الاسلامي ، منطقة الهيمنة التجارية الاسلامية على الاقتصاد التجاري العالمي، فمن الممكن ان تحدث تغيرات اجتماعية واحلاف سياسية من اجل بسط النفوذ الاقتصادي التجاري في تلك الجهات (١٣).

حيث اتبع الفاطميون استراتيجية خاصة من أجل الحفاظ على المناطق التي كانت تقع تحت نفوذهم ، لذلك باشروا بشن حملات عسكرية على المدن المجاورة ، فمنذ أن تسلم عبيد الله المهدي(١٤) الحكم في النصف الاول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، سيطرة الفاطميين على مدينة القيروان(١٥).

يبدو ان الهدف من سيطرة الفاطميين على مدينة القيروان هو من اجل بسط نفوذهم، وتوسيع سيطرتهم في بلاد المغرب، بالإضافة الى اتخاذها قاعدة لتحركاتهم العسكرية فيما بعد.

ثم حاول بعدها السيطرة على مدينة سجلماسة التي برزت اهميتها في العصر الوسيط ، حيث تمر من خلالها القوافل التجارية الى بلاد المغرب، ولا شك ان هذه المدينة شهدت حركة تجارية واسعة، فالتجارة كانت مصدر الثروة التي تمتعت بها هذه المدينة، خاصة الثروة المعدنية (الذهب) الذي سيطرت عليه فئة التجار، وقد أشار ياقوت الحموي اليها قائلاً: "وأهل هذه المدينة من أغنى الناس وأكثرهم مالا، لأنها على طريق من يريد غانة التي هي معدن الذهب ولأهلها جرأة على دخولها"(١٦)، كما اشار اليها ابن حوقل الذي عبر عن اهميتها التجارية بقوله "وقوافلهم غير منقطعة الى ارباح عظيمة وفوائد جسيمة ونعم سابعة " (١٧) وكذلك البكري الذي وصفها بانها الطريق نحو بلاد غانا (١٨).

وقد استطاع الفاطميون من خلال سيطرتهم عليها ان يكونوا ميزانية حربية ، الامر الذي ساعدهم على تكوين جيش كبير يحقق تطلعاتهم بالسيطرة على مصر ، حيث بدأت الافكار تراوهم

للسيطرة على مصر والاندلس، وذلك لفصل الاندلس عن المغرب الاسلامي وجعل المغرب تحت سيطرتهم (١٩).

ومن المعروف ان هذه الحركة التجارية النشطة برا وبحرا في المغرب كان وراثها عدة عوامل اساسية هي:

١- الازدهار الاقتصادي ولاسيما التجاري الذي عرفه المغرب الاسلامي في القرن الثالث الهجري.
٢- سيطرة الاسطول الفاطمي على المنطقة الغربية من حوض البحر المتوسط (٢٠)، حيث ذكر البكري أن سفن تجاربه قادمة من الاسكندرية وبلاد الشام وصقلية والاندلس وغيرها رست بميناء المهدي (٢١).

٣- الصراع العنيف بين الامويين والفاطميين من اجل السيطرة على مسالك تجارة الذهب ، وهو العامل الاساسي الذي يكمن وراء الصراع الذي استمر طويلا بين قرطبة والمهدي ، والذي انعكست آثاره على قبيلتي صنهاجة وزناته (٢٢).

يتضح من العوامل السابقة أن هنالك اسباب عديدة دفعت الفاطميين للاهتمام بالنشاط التجاري، كونه موردا مهما لنظام الجباية ، ولجمع الثروات، وتوفير عمله نقدية ذهبية ذات شان كبير، من جانب اخر، كان للسيطرة الفاطمية على المدن المغربية مجموعة من الاثار الايجابية ، ويتضح ذلك من خلال تأسيس مدن عديدة كمراكز سياسية اقتصادية (٢٣).

ويبدو ان ظاهرة تأسيس المدن في المغرب العربي تقوم في الغالب على حساب مدن اخرى، فقدت اهميتها الاقتصادية لأسباب سياسية، وبالتالي انعكس على نشاطها التجاري ، فمثلا مدينة تاهرت كانت مركزا تجاريا وزراعيًا خلال القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي ، لكن فقدت اهميتها الاقتصادية وبخاصة التجارية بعد انتهاء الامارة الرستمية على يد الفاطميين (٢٤).

ولم يكن اختيار المدن بشكل عشوائي إنما كان الاختيار ضمن استراتيجية معينة قائمة على اساس الاهمية والموقع ، فعلى سبيل المثال تم اختيار مدينة المهدي التي تبعد ستين ميلا من مدينة القيروان كعاصمة للدولة الفاطمية من قبل ابو عبيد الله المهدي عام ٣٠٠هـ/٩١٢ م ، كونها مدينة حصينة ومنيعة ، بالإضافة الى انها واقعة على الساحل ، وكانت القوافل التجارية تمر بها اتيه من المشرق نحو المغرب وبلاد السودان ، لذا اصبحت من اهم المدن التجارية في المغرب (٢٥) ، لكن سرعان ما فقدت أهميتها الاقتصادية ، بسبب الاثار السلبية التي خلفتها ثورة ابي يزيد مخلد بن كيداد الزناتي (٢٦) ، حيث انتقل اهلها الى مدينة المنصورية (٢٧) ، وهذا ما يدل على ان العامل السياسي كان له دورا مهما على النشاط التجاري لتلك المدن (٢٨).

من هنا يتبين لنا ان لموقع المدينة واهميته دورا كبيرا في ان تصبح مركزا تجاريا ، بالإضافة الى العامل السياسي له دور في استقرار الدولة ، وبالتالي ينعكس هذا على الحياة الاقتصادية فيها. الطرق التجارية في بلاد المغرب ودورها في الصراع الفاطمي/ الاموي قبل التطرق للحملات العسكرية والغاية منها ، لابد من إلقاء الضوء على أهم الطرق التجارية لبلاد المغرب والتي كان لها دور واضح في نشوب الصراع بين الدولتين ، فمن المعروف ان بلاد المغرب كانت تخترقها العديد من الطرق والمسالك البرية والبحرية. فقد تناول الجغرافيون العرب الطرق البرية لبلاد المغرب العربي ، وأهتموا بذكر تفاصيلها، وبينوا مراحلها ومسافاتها وما يكتنفها من صعاب وما فيها من تسهيلات في تفعيل الحركة التجارية ، وقد اكتسبت الطرق التجارية في بلاد المغرب أهمية كبرى خاصة بعد التحول الذي طرأ على المسلك التجاري القديم الخاص بتجارة الذهب والرقيق بين بلاد السودان والمشرق، وخاصة الطريق التجاري الرابط بين غانة ومصر عن طريق بلاد النوبة بسبب ما كان يمثله من خطر على القوافل التجارية وكثرة عواصفه الرملية (٢٩) وهذا ما أشار اليه ابن حوقل بقوله " شكلت الرياح والعواصف الرملية عائقا مدمرا لغالبية القوافل المارة بهذا الاتجاه، الامر الذي دفع الى هجرانه والانتقال عنه الى سجلماسة (٣٠).

وبذلك أصبح هذا الطريق يمر ببلاد المغرب ، جاعلا من القيروان وبلاد الجريد وأوجلان، وتاهرت وتلمسان وفاس وسجلماسة مراكز تجارية نشطة تنفرد منها مسالك فرعية ، وجمعت عن طريق التجارة البرية ثروات كبرى من الذهب في مدن المغرب (٣١) وأهم تلك الطرق : _
الطريق الاول : الطريق الغربي

الذي يربط المغرب الاقصى ببلاد السودان ، وذكر هذا الطريق في مؤلفات العديد من الجغرافيين ومنهم البكري(٣٢) بقوله (ومن سجلماسة لمن سلك متوجها الى القبلة يريد ارض السودان ، يسير في مفاوز وصحراء مقدار خمسين مرحلة ، ثم يلاقي ناس يعرفون انبية من صنهاجة الصحراء ليس لهم قرار شأنهم كلهم ان يتلثموا بعمائمهم سنة فيهم.. ومعاشهم على الابل ليس لهم زرع ولا طعام ثم يصير الى بلد غسط اودغشت) (٣٣).

كما وصفه ابن حوقل بأنه (عبارة عن شكل مثلث اضلاعه مدينة اودغشت ، وأقصر اضلاعه بين السوس(٣٤)، واودغشت، والضلع الاخر ممتد بين سجلماسه واودغشت ومنها الى غانا) (٣٥). اما اليعقوبي فقد ذكر هذا الطريق، ووصفه بأنه مفازة وصحراء، وهذا ما نستنتجه من خلال قوله (بين المغرب وبلاد السودان مفاوز منقطعة) (٣٦)

ويعد هذا الطريق من انشط الطرق الرابطة بين بلاد السودان والمغرب ، بفضل النشاط التجاري لتلك المدن، اضعف الى ذلك ان الطريق البري الغربي كان له طرق فرعية ، وهذا بدوره يساعد على تنوع الحركة التجارية، مثل الطريق الذي يربط مناطق السوس بالمغرب الاقصى بمدينة غانا وباقي المدن السودانية، حيث يمر من وادي درعا الى الصحراء، ليصل الى بلاد السودان وغانا (٣٧) وقد تحدث ابن حوقل عن هذا الطريق، وذكر أن قبيلة مسوفة كانت تسيطر عليه (ولهم ملك يملكهم ويديبرهم تكبره صنعهاجة و سائر أهل تلك الديار لأنهم يملكون تلك الطريق) (٣٨)
من هنا يتبين لنا ان الصحراء لعبت دورا هاما في التجارة بين السودان وبلاد المغرب ، واصبحت اداة للربط والاتصال بين بلدان تلك المنطقة، واسهمت بدورا هاما في التجارة بين البلدين.

الطريق الثاني: الطريق الشرقي

وهو الطريق الذي يربط مناطق برقة (٣٩) وافريقية (المغرب الادنى)، ببلاد السودان عبر الصحراء ويتفرع الى فرعين:

الفرع الاول: يربط مناطق برقة بالسودان الاوسط عبر صحراء فزان (٤٠) ويبدأ من طرابلس (٤١) متجها جنوبا الى صحراء فزان، ويمر بزويلة (٤٢) عاصمة صحراء فزان والمركز التجاري الصحراوي، ثم يسير الى مناطق السودان الاوسط وهي الكانم (٤٣)

الفرع الثاني: يربط مناطق طرابلس بالسودان ويمر بجبل نفوسة ثم بعد ذلك يتجه الى غدامس (٤٤) وبعدها الى تادمكة (٤٥)، ثم غانة في السودان الغربي (٤٦)

الطريق الثالث: الطريق الاوسط

ويربط المغرب الاوسط ببلاد السودان الغربي ويبدأ الطريق ، أما من تلمسان أو تاهرت ، ويسير باتجاه الصحراء جنوبا داخلا الى وارجلان (٤٧) المركز التجاري الواقعة على الحافات الشمالية للصحراء، ثم يصل الى تادمكة وبعدها يسير الطريق الى مدينة كوكو (٤٨) وأخيرا يصل الى غانه في بلاد السودان (٤٩) كما توجد هنالك عدة طرق فرعية لهذا الطريق منها فرع يبدأ من القيروان الى بلاد الجريد ، كما يوجد طريق اخر يربط سجلماسة بواحة ورجلان بواسطة الصحراء الغربي، وكان لهذا الطريق دورا كبيرا في القرن الرابع الهجري (٥٠).

ومن المعروف أن الطرق التجارية البرية تتخللها العديد من المصاعب كقلة المياه والكأ وعدم معرفة بعض القوافل بالطرق التجارية بصورة تامة ، لكن هذه المصاعب لم تكن حجر عثرة في ممارسة النشاط التجاري بين بلاد المغرب والسودان، فالقوافل التجارية كانت تختار الاوقات المناسبة لتدارك المصاعب ، وكانت تحدد غالبا فصل الشتاء للرحلات التجارية لما يتمتع به هذا الفصل من وفرة المياه والكأ ، أما المعرفة بالطرق التجارية فهذا ما كانت تتميز به قبيلة صنعهاجة، التي كانت

لها دراية بالطبيعة الجغرافية والمناخية ومواقع المياه لهذه الطرق (٥١) سيما قبيلة مسوفة احدى قبائل صنهاجة الصحراء، والتي ورد ذكرها في مؤلفات الجغرافيين كأبن حوقل الذي قال عنها (انهم يملكون تلك الطريق وفيهم البسالة والجرأة والفروسية على الابل والخفة في الجري والشدة والمعرفة بأوضاع البر وأشكاله والهداية فيه والدلالة على مياهه بالصفة والمذاكرة ولهم الحس وبهذا كانوا يستأجرون اشخاص من السودانيين كأدلاء في الصحراء للقوافل المسافرة بين بلاد المغرب والسودان) وتطرق ابن حوقل ايضاً الى قبائل صنهاجة ووصفها بأنها(كانت تفرض ضرائب على القوافل المارة مقابل قيامهم بالإدلاء، وهدايتهم (٥٢).

ولم يغفل الجغرافيون العرب من ذكر الصعوبات التي كانت تواجه القوافل التجارية والوسائل والطرق التي كان تستخدمها تلك القوافل للحد من الصعوبات، فقد ذكر الادريسي طريقة مهمة كانت مستخدمة لتجنب شحة المياه من قبل القوافل المتجهة الى بلاد السودان عن طريق سجلماسة- غانة بقوله (ان القوافل تتزود بالماء لسلك هذه المجابات في الاوعية على ظهور الجمال ومثل هذه المجابة كثيرة في بلاد السودان)(٥٣).

أما ابن حوقل فقد تطرق الى ما تسببه الرياح العالية من المشاكل والصعوبات للقوافل التجارية حيث اشار الى أن القافلة عندما تصيبها الرياح تتشتت، ويضعب اصحابها في الصحراء، لذلك كانت تلجأ القوافل الى القبائل التي تسكن هذه الصحارى بسبب معرفتها التامة بالمنطقة لحمايتها من ذلك (٥٤).

ولا يمكننا الإغفال عن بعض الطرق الفرعية التي كانت تربط السودان بالمغرب، كالطريق الذي يربط فاس بسجلماسة ومنها الى بلاد السودان، ويبدأ هذا الطريق من فاس الى مدينة صفوري(٥٥) ، حيث قدر ابن حوقل طول هذا الطريق بثلاثة عشر مرحلة (٥٦).

وهناك طريق اخر يربط تلمسان بفاس، وهو طريق ساحلي يستغرق المسير فيه ثمانية ايام ومسافة مائة وستون فرسخاً(٥٧) وقد وصفه الادريسي بقوله (أما من أراد الطريق إلى تلمسان من سجلماسة فالقوافل تسير من تلمسان إلى فاس، ومن فاس الى صفوري إلى تادلة إلى أغمات إلى بني درعة الى سجلماسة) (٥٨).

وأيضاً هناك طريق فاس ومكناس الى تمبوكتو، وطريق بين فاس والسوس الى بلاد غانه، الطريق الذي يبدأ من القيروان وهو بثلاثة فروع يلتقي عند المسيلة في الزاب، حيث عدت مركز التقاء الطرق البرية الداخلية خلال القرن الرابع الهجري، والمعروف ان قيام مدينة المسيلة جاء نتيجة عوامل اقتصادية، وهو من اجل تامين المسلك التجاري الذي يبدا من سجلماسة الى القيروان، لان

المسلك الشمالي كان مهددا من قبل حكام الاندلس والمسلك الصحراوي كانت تسيطر عليه قبائل زناته ، التي كانت في حالة عداء مع الفاطميين (٥٩).

أما الطرق البحرية فالمصادر المتاحة في الكشف عن هذا الجانب من التجارة البحرية قليلة جدا ، فالظاهر أنها لم تستخدم كثيرا ويحتمل سبب ذلك إلى نقص تقنيات الملاحة المغربية قديما ، بخلاف ما شهدته الأساطيل الإسلامية في المحيط الهندي ، لكن توجد نصوص قليلة تفيد في الكشف عن المسالك البحرية بين المدن المغربية ، كتلك الإشارات التي نقلها "البكري" عن "محمد بن يوسف الوراق" أن الخروج من طنجة إلى سبتة في البحر فإنه يأخذ إلى جانب الشرق (٦٠) كما أن السفن تسير من وادي سوس إلى مدينة نول ثلاثة مراحل..... ثم توصل طريقها إلى طنجة ، فسبتة ، وتقف في مراسي الشاطئ الغربي للمحيط الاطلسي (٦١)

هذه هي اهم المسالك التجارية لبلاد المغرب الاسلامي ، والتي نشب على اثرها العديد من الحملات العسكرية التي قامت بأرسالها الدولة الفاطمية سواء كانت موجه ضد القبائل المتمردة عليها ، او كانت موجه نحو الخارج ، اي ضد الامويين في الاندلس ، فكان الغرض من تلك الحملات العسكرية التي كان يقوم بها القادة العسكريون الفاطميين ، هو تدعيم النفوذ السياسي لتلك المدن ، ومحاولة السيطرة على المراكز التجارية الحساسة التي تقع عليها تجارة الذهب والرقيق مثل سجلماسة ، وفاس ، وتاهرت ، والسيطرة على المرافئ المرتبطة بالتجارة الصحراوية (٦٢)

بدايات الصراع الفاطمي الاموي

ففي سنة ٣٠٤هـ/٩١٧م امر عبد الله الداعي عامله على تاهرت مصالمة بن حبوس المكناسي (٦٣) لقيادة حملة عسكرية كان الغرض منها اخضاع المغرب الاقصى لتدعيم النفوذ الفاطمي ، وفي سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م جهز حملة لاعادة المناطق التي انفصلت عن الدولة الفاطمية واعلنت ولائها للأمويين ومنها مدينة نكور(٦٤) التي تمكن من السيطرة عليها وقتل رئيسها سعيد بن صالح وكانت محاولة السيطرة عليها من أجل بسط نفوذهم في تلك المنطقة ، بالإضافة لأهميتها التجارية البحرية ، كونها واقعه على الطريق الساحلي، وهذا يعني اهتمام سكانها بالتجارة والعمل على تنشيطها (٦٥).

وفي خضم هذه الاحداث هاجرت اسرة بني صالح الى مدينة مالقة (٦٦) في الاندلس استعدادا لاسترجاع مدينتهم ، وفعلا تم استرجاعها بمساعدة الامويين الذين وجدوا خطورة في محاولة الفاطميين السيطرة التامة على المغرب، بالأخص المغرب الاقصى ، حيث ادركت الخلافة الاموية في قرطبة الخطر الذي يهددها لو حاول الفاطميين السيطرة على المسلك الغربي لتجارة الذهب

وتحويله نحو الشرق وعزل الاندلس عن التجارة المغربية (٦٧) وهذا الامر أفاض الدولة الفاطمية التي عملت على تجهيز حملة عسكرية ثانية لاسترجاع مدينة نكور والاستيلاء عليها (٦٨). ولم يتوقف الفاطميون عند هذا الحد بل جهزوا حملات عسكرية عديدة ، ففي سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م توجهوا نحو مدينة فاس التي كانت تحت حكم الادارسة (٦٩) وفي سنة ٣٠٩هـ/ ٩٢٢م توجهوا نحو مدينة سجلماسة التي خرجت عن سلطان الفاطميين، وتمكنوا من الاستيلاء عليها وذلك بمساعدة زعيم مكناسة موسى بن ابي العافية (٧٠) وبهذا اصبح طريق (فاس - تاهرت - افريقية) خاضعا للدولة الفاطمية (٧١).

ويمكننا القول أن الغرض من تلك الحملات هو اخضاع القبائل التي تبث الرعب والخوف في نفوس اصحاب القوافل التجارية المارة بمدنهم ، وهذا واضح من خلال الحملات التي كانت ترسل من قبل القادة العسكريين التي كان الغرض منها الانصياع للدولة الفاطمية وعدم قيام تكتلات بين القبائل المغربية للخروج عن الدولة (٧٢) حيث اراد ان يصبح الطريق بأمن عن كل النزاعات القبلية التي كانت تعيق حركة القوافل التجارية ، فقد كانت تلك الجهات ملجا للزعماء المطاردون والمهزومين من شمال افريقية، ومنها تنطلق في انتفاضة ضد الدولة المركزية، كما ان هذه الجهات كما ذكرنا سابقاً تحتوي على قوى بشرية شديدة المراس قادرة على التجيش وتكوين حلف سياسي ضد الدولة الفاطمية (٧٣).

وفي عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي(٧٤) (٣٤١هـ - ٣٦٥هـ / ٩٥٢م - ٩٧٥م) اخذت العلاقات بين المغرب والاندلس منحى اخر وهو العداء لكلا منهما ، ففي سنة ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م جهز القائد جوهر الصقلي (٧٥) حملة عسكرية متكونة من عشرون ألف جندي جلهم من قبائل كتامة وصنهاجة، وكان هدف هذه الحملة هو لمعاقبة المتمردين والخارجين عن طاعة الدولة الفاطمية(٧٦).

ومن الجدير بالذكر أن جوهر الصقلي إتبع خطة معينه في هذه الحملة ، تتجلى بفرض الحصار على المتمردين وضرب القبائل بعضها ببعض ، وتدمير الحصون والقلاع التي تم انشأؤها من قبل زعماء القبائل ، واستخدم سياسة الارض المحروقة ، أضف الى ذلك أن الحملة أهتمت بالسيطرة على طرق التجارة المغربية واحكام السيطرة على المراكز التجارية ، كتاهرت وتلمسان ، وفاس، والريف ، وغماره (٧٧) ثم سجلماسة جنوبا ، وفي الوسط اغمات (٧٨) ونفيس (٧٩) ، وهكذا ظهرت الخطوط الحمراء لهذه الحملة ، وهي قطع الطرق التجارية الرابطة بين المغرب والاندلس (٨٠) بعدها ضرب المعز نقود ذهبية باسمه في سجلماسه (٨١).

أما فىما ىخص مدىنة فاس فقد استعصت على الفاطمىىن الذىن فرضوا عليها الحصار الى أن تمكن الفاطمىىن بقاءة زىرى بن مناد (٨٢) من فتحها سنة ٣٤٨هـ/٩٥٩م ، وىظهر ان الهدف من هذه الحملة من اجل توثىق السىطرة على جمىع الطرق التجارىة التى تربط المغرب بالسودان (٨٣). بعهدھا توجه الفاطمىىن نحو مدىنة تاهرت التى تعتبر مركزا تجاريا مهما فى طرىق القوافل التجارىة بىن المشرق والمغرب والصحراء ، فقد قاموا بعدة محاولات للسىطرة عليها ، لكنهم لم ىتمكنا من فرض سىطرتهم عليها بصورة نهائىة ، الى ان تمكن الخلىفة المعز من ارسل جيش بقاءة زىرى بن مناد الصنهاجى ، فأستولى عليها وتمكن من اخضاعها (٨٤).

وبرزت اهمىة مدىنة تاهرت عندما انضمت اليها مدىنة سجماسة باب السودان الغربى للدولة الفاطمىة ، فكانت تاهرت بمثابة المحطة الوسطى للقوافل المتجهة نحو السودان الغربى ، عبر مدىنة سجماسه (٨٥) فقد درت الحركة التجارىة عليها ارباحا كبرىة ، وقد بلغت رسوم العبور سنويا اربعمائة الف دىنار وهو مبلغ ضخم قىاسا الى بعد المنطقة وعزلتها فى جوف الصحراء ، وقد اثرى هؤلاء من ذهب السودان عن طرىق تمثىل دور الوسىط التجارى وضمان الامن والارشاد الى المسالك التجارىة والدروب والرفق بالتجار والاحسان الیهم (٨٦).

من هنا ىتبنى لنا أن الفاطمىىن تمكنوا من إخضاع المغربىن (الاوسط والأقصى) ، وهذا ما اثار حفىظة الدولة الأموىة التى بدأت بدورها إىتباع عدة أسالیب من أجل إبراز دورها فى تلك المناطق ومنها كسب القبائل المغربىة ، بالإضافة الى جذب الحركات المناهضة للفاطمىىن وإغرائهم بالمال والسلاح والوقوف بجانبهم من أجل الوقوف بوجه الفاطمىىن.

موقف الاموىىن من التوسع الفاطمى واثره على التجارة الاندلسىة

بعد اعلان الخلافة الاموىة فى قرطبة سنة ٣١٦هـ/٩٢٩م، فى عهد عبد الرحمن الناصر سنة ٣٠٠هـ/٩١٣م _ ٣٥٠هـ/٩٦١م اصبحت الافكار تراود الاموىىن بالسىطرة على المغرب الاقصى، بعد ان كان اهتمامهم منصبا على القضايا الداخلىة ومقاومة الحركات الانفصالىة ، وایقاف المد الفاطمى ، بسبب السىاسة التوسعىة الواضحة للدولة الفاطمىة ومحاولتهم السىطرة على بلاد المغرب بصورة تامة (٨٧) أضف الى ذلك ان الاندلسىىن فتحوا ابوابهم امام اللاجئىن الفارىن من الدولة الأموىة وقدموا العون المادى لهم، ووقفوا مع الحركات المناهضة للدولة الأموىة(٨٨) كل هذه الاسباب جعلت قرطبة تدرك خطر هذه السىاسة من الناحىة الاقصادىة، الذى بدأ ىهددها خصوصا لو حاول الفاطمىىن السىطرة التامة على المسلك الغربى لتجارة الذهب وتحوىله نحو المشرق ، وعزل الاندلس عن التجارة المغربىة (٨٩) فأخذ الاموىىن ببث العىون فى جمىع انحاء المغرب من اجل معرفة احوالها (٩٠) وكسب زعماء بعض القبائل المغربىة وتحرىضها للقیام بالثورة ضد الدولة

الفاطمية، كقبائل مغراوة وبنو يفرن (٩١) وزعماء قبائل زناته وعلى رأسهم زعيمها محمد بن خرز الذي أمده الناصر بالعدة والعدد (٩٢) .
ولم يقف الفاطميون مكتوفي الأيدي، أما كانت لهم عدة محاولات لافشال المشروع الاموي ، لكن محاولاتهم باءت بالفشل، وكانت هذه القبائل في صراع دائم مع الفاطميين و حلفائهم من قبائل صنهاجة ، ولم تتمكن الدولة الفاطمية من الحاق الهزيمة بها، الا عندما تحالفت مع قبيله صنهاجة حيث تمكنت من القضاء عليهم سنة ٣٣٦هـ (٩٣).

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة نستنتج ما يلي :

- ١- نظراً للموقع الجغرافي الذي امتازت به بلاد المغرب ، كونها حلقة وصل بين المغرب الاقصى وبلاد السودان ، مما ادى الى ظهور العديد من المراكز التجارية عبر طول الطرق والتي تعددت مهامها، كونها مراكز مهمة للتجارة.
- ٢- مدى اهتمام المغاربة بالتجارة لما تدره من أرباح وتواصل اقليمي مع المناطق المجاورة ، ولم يتم هذا الا من خلال الاهتمام بالتجارة بالتجارة وتشعب مسالكها.
- ٣- لقد نجح الفاطميون في السيطرة علي بلاد المغرب، بعد أن قضوا علي الدول المستقلة كالأغالبة، والرستميين والأدارسة، وأخيرا بنو مدرار في سجلماسة، والتي كانت تعد مركزا هاما للتجارة عبر الصحراء، لذلك سيطر عليها الفاطميون نظراً لأهميتها في التحكم في التجارة الصحراوية وخاصة تجارة الذهب، ويبدو أن السيطرة علي طريق تجارة الذهب كان هدف الفاطميين وليس الاستيلاء على المغرب بأكمله.
- ٤- يعد العامل الاقتصادي العامل الرئيسي لقيام الثورات ضد الفاطميين، فقد احتكروا التجارة مع بلاد السودان الغربي، مما ادى الى بدء صراع طويل الامد مع الدولة الاموية.
- ٥- يعتبر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي من القرون المهمة للدولتين الاموية والفاطمية ، كونه شهد صراع مستمر من أجل السيطرة على المسالك التجارية، خاصة المغرب الاقصى، بحيث اصبح قاعدة الاحلاف الداخلية بين القبائل المغربية، وموقعا لتنافس القوى السياسية من اجل السيطرة على اقتصاده.

الهوامش

- ١- لمبارد ، الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامي/٨٣.
- ٢- عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، ٧٧/١ . ٧٨ : القاسمي ، مجتمع المغرب الاقصى ، ٧١/٢.
- ٣- مدينة عظيمة وتعتبر من اعظم مدن المغرب وهي على طريق الصحراء ، لا يعرف في قبلها ولا في غربيها عمران بينها وبين غانا صحراء مسير شهرين في رمال غير عامرة قليله المياه . مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار ، ص ٢٠٠ ؛ المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ٣٣١.
- ٤- وهي اعظم مدينة من مصر الى اخر بلاد المغرب ، ومدينة فاس مدينتان كبيرتان مفترقان يشق بينهما نهر كبير يسمى بوادي فاس. مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار ، ص ١٨٠.
- ٥- وهي مدينة قديمة وكبيرة عليها سور ضخم ولها قسبة منيعة ولها حصن قديم عليه سور جليل متقن البناء من عمل الاوائل.
- مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار ، ص ١٧٨.
- ٦- وهي على طريق الصحراء في سمت بلاد الجريد وهي مثلها في حر هوائها وكثرة نخيلها وفيها عدة مدن عامرة وواسعة متصله فيها المياه السائحة والانهار. مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار ، ص ١٧١.
- ٧- الجنحاني، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي ، ص ٩١.
- ٨- القاسمي ، مجتمع المغرب الاقصى ، ٧٧/٢.
- ٨- كتاب البلدان ، ص ١٠٧ . ١٠٨.
- ٩- صورة الارض ، ٨٣ . ٨٤.
- ١٠- المسالك والممالك ، ص ٧٣٠ . ٧٣١.
- ١١- القاسمي ، مجتمع المغرب الاقصى ، ١٩٩ / ٢.
- ١٢- الجنحاني ، ص ١٥٩.
- ١٣- القاسمي ، مجتمع المغرب الاقصى ، ١٠٥ / ٢.
- ١٤- اسمه ابو محمد عبيد الله ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) ، ويكنى بابي عبيد الله الشيعي ، والمهدي ، وبعبيد الله ، بوبع بالخلافة ٢١ ربيع الثاني سنة ٢٩٧ هجري بقيادة بالقيروان والقصر القديم ، حكم بلاد المغرب ٢٩٧ هـ / ٩١٠ م ، بايعته جميع البلدان ، واكثروا من الدعاء له ، ونقشت السكة بأسمه ، وكتب الطراز برسمه ، توفي سنة ٣٢٢ هـ عن عمر ناهز ٦٣ سنة ، ودفن في مدينه المهديه. ابن خلكان . وفيات الاعيان ، م ٣ ، ص ١١٧-١١٨ : ابن ابي دينار، المؤنس في ذكر بلاد افريقية وتونس ، ص ٥٣ ، ابن عذاري ، البيان المغرب / ٢ ، ص ٤٠٨ ، الداعي ادريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الاخبار ، ص ١٣٨.
- ١٥- مدينة قديمة جمعت بين طيب الهواء وعذوبة الماء ، وكانت اول مدينة غمرت في الارض ، وتضاهي مدينة بغداد في عظمتها ، وهي احسن بلاد الله فاكهة وزرعا ، وكان فيها العديد من العلماء والادباء والشعراء . الزهري ، كتاب الجغرافيا ، ص ١٠٩.
- ١٦- الحموي ، معجم البلدان ، ١٩٢/٣.

- ١٧- صورة الارض ، ص ٦٥ .
- ١٨-المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص١٤٩ .
- ١٩-المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ١/ ٩٤ .
- ٢٠-الجنحاني ، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي ، ص ٨٣ .
- ٢١- وهي مدينة منسوبة الى عبيد الله المهدي ، بينها وبين القيروان ستون ميلا ، وهي مدينة اهله فيها اسواق ومتاجر وفنادق، البكري، المسالك والممالك، ص ٥٨١: مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص ١١٧ .
- ٢٢-ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٣٤٤؛ الجنحاني، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي، ٨٣ .
- ٢٣- الجنحاني ، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي ، ص ١٦٠ .
- ٢٤- نشأت في المغرب الأوسط، على يد الإمام عبد الرحمن بن رستم، اشتهرت هذه الدولة بنظام الشورى المطبق فيها، وبعدالة أئمتها، وصلاحهم وتقواهم وعلمهم، وبازدهارها، وقد كان يعيش تحت ظلها أتباع كل المذاهب الإسلامية، وكانوا يمارسون عبادتهم بكل حرية وأمان، وكانت لهم مساجدهم وبيوتهم الخاصة التي يعيشون، وامتدت حدود الدولة الرستمية في فترة من فتراتنا الزاهرة من حدود مصر شرقا إلى مدينة تلمسان في أقصى المغرب الأوسط غربا، ومن اشهر مدنها تاهرت ٥٠، الدرجيني ، طبقات المشايخ بالمغرب ، ١/ ١٢ ص-٤٦
- ٢٥- البكري ، المغرب في ذكر افريقية والمغرب ، ص ٢٩_٣٠ ؛ مسعد ، العلاقات بين المغرب والاندلس في عصر الخلافة الاموية ، ص ٦٥-٦٦ .
- ٢٦- وكنيته أبو يزيد ، واسمه مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد الزناتي ، وهومن قبيلة زناتة من بني يفرن ، وأمه أم ولد اسمها سيكة ، وهو من أهل قسطيلة من نواحي بلدة توزر في المغرب، اتى به ابوه الى بلاد المغرب ، حيث نشأ فيها ، وتعلم القرآن وتأدب وخالط النكارية فمال إلى مذاهبهم ، وكان يركب الحمار فقط لذلك لقب بصاحب الحمار. ابن ابي دينار، المؤنس، ص ٥٥: ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ٣٠٧؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ٧/ ص ١٣: مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار ، ص ٢٠٥: الزهري ، كتاب الجغرافيا ، ص ١١١ ؛ الداعي ادريس ، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ، ص ٢٧٢ .
- ٢٧- مدينة بالقيروان من نواحي افريقية ، استحدثها القائم بن المهدي الخارج بالمغرب سنة ٣٣٧ هـ وعمر اسواقها واستوطنها، ثم صارت منزلا للملوك الذين لهم. الحموي، معجم البلدان، ج ٥/ ٢١١؛ ابن عذاري، البيان الغرب ، ٢/ ٣١٢ .
- ٢٨-ينظر الداعي ادريس ، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ، ص ٣٨٦ .
- ٢٩- بلهوارى، العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والسودان الغربي/ خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، ص ٣١ .
- ٣٠-ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٦٥ .
- ٣١- بلهوارى، العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والسودان الغربي/ خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، ص ٣١ .
- ٣٢- البكري، المصدر نفسه ، ص ١٦٨ .

المسالك التجارية وأثرها في الصراع الفاطمي الأموي خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي م.و. زينب حمزة عباس

- ٣٣- بلد قائم العمارة مدينة كبيرة فيها اسواق ونخل كثير واشجار الحناء وهي في العظم كشجر الزيتون وكانه سكن هذه المدينة زناتة مع العرب.. ولهم اموال عظيمة ورقيق كثير للرجل منهم الف خادم، البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص١٦٨.
- ٣٤- حده في المغرب البحر المحيط، وحده في المشرق الصحراء، وفي الجنوب مدينة نول، وفي الغرب مدينة ازقي ، وحده في الشمال جبل درن ، واهم مدنه سجماسة ، تافرسيت. الزهريا، كتاب الجغرافيا، ص١١٧.
- ٣٥- ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٩١.
- ٣٦- اليعقوبي، البلدان، ص١١٧، البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص١٥٩.
- ٣٧- البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص١٦٣.
- ٣٨- ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٩٨.
- ٣٩- اسم صقيع كبير يشتمل على عدة مدن ممتدة من الاسكندرية وافريقية، واسم مدينتها انطابلس، وتفسيره الخمس مدن، ويحيط البربر بها، بينها وبين الاسكندرية مسير شهر. اليعقوبي، البلدان، ١٠١؛ الحموي، معجم البلدان ١/ ٣٨٨.
- ٤٠- وهي المنطقة الواقعة بين طرابلس شمالا وتبستي جنوبا ، وتشتهر بكثرة واحاتها، والتي تعد امتدادا لواحاح القسم الاوسط من الصحراء الكبرى؛ اليعقوبي، البلدان، ص١٠٤؛ الحميري، الروض المعطار ، ص٤٤٠.
- ٤١- وتسمى ايضا اياس ، وهي مدينة واقع على ساحل البحر ، وتبعد عن جبل نفوسه ثلاثة ايام . الحميري ، الروض المعطار ، ٣٨٩.
- ٤٢- وزويلة مدينة غير مسورة في وسط الصحراء وهي اول حدود السودان وفيها جامع وحمام واسواق ، تجتمع فيها الرفاق من كل جهة ومنها يفترق قاصدهم وتتشعب طرقهم؛ اليعقوبي، البلدان، ص١٠٤؛ الحموي، معجم البلدان ، ٣ / ١٦٠.
- ٤٣- بلاد بينها وبين زويلة اربعون مرحلة . البكري ، المسالك والممالك ، ص١٠.
- ٤٤- مدينة لطيفة تقع على حافات الصحراء الشمالية مركز تجاري صحراوي كثيرة النخيل والمياه واهلها بربر مسلمون . البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص١٨٢.
- ٤٥- تادمكة: اشبه بلاد الدنيا بمكة ، تقع على حافات الصحراء الجنوبية وتعتبر مركز تجاري سوداني، وهي مدينة كبيرة بين جبال وشعاب واهلها بربر مسلمون. البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص١٨١ .
- ٤٦- البكري ، المصدر نفسه ، ص١٨٢- ١٨٣.
- ٤٧- وارجلان: ولها عدة تسميات منها بوارجن بوركلان او اورفلان وهي مما يلي افريقية: وهو بلد خصيب كثير النخيل والبساتين، وفيه سبع مدن مسورة حصينة تقرب بعضها من بعض، وهي بلاد كثيرة الزرع والضرع والبساتين ، وكان سكانها وقبائلها يتميزون بقدرتهم وخبرتهم الفائقة في قيادة القوافل التجارية ، فكان منهم الادلاء وذوي الخبرة بالطرق الصحراوية في بلاد السودان. البكري، المسالك والممالك، ص١٧٣؛ ابو سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص١٢٦.
- مجهول مؤلف، الاستبصار، ص٢٢٤؛ بن عربي واخرون، دور مدينة وارجلان في تجارة الرقيق ببلاد المغرب الاوسط في العصر الوسيط ، ص٨٤.

المسالك التجارية وأثرها في الصراع الفاطمي الأمازيغي خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي م.و. زينب حمزة عباس

- ٤٨- كوكو: مدينة عظيمة فيها خلق كثير من السودان لا يحصى لهم عدد وهي على النيل ويقال انما سموها كوكو، لان الذي يفهم من نعمة طبولهم كوكوا، مؤلف مجهول ، المصدر نفسه ، ص ٢٢٥ .
- ٤٩- البكري ، المصدر نفسه ، ص ١٨٢ _ ١٨٣ .
- ٥٠- البكري، المسالك والممالك، ص ١٨٣: بلهوارى، التبادل التجاري بين مدن بلاد المغرب خلال القرن ٤ هـ/١٠م ، ص ٣٢ .
- ٥١- البياتي ، النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن ٣-٥ هـ / ٩-١١م ، ص ٥٦ .
- ٥٢- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٩٨ - ١٠١ .
- ٥٣- الادريسي ، وصف افريقيا، ص ٤ .
- ٥٤- البكري ، المسالك والممالك ، ص ١٤٦ .
- ٥٥- وهي مدينة قديمة واسعة عليها سور ، ذات انهار واسوار واقعة بين فاس ومدينة سجلماسة . مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار ، ص ١٩٣؛ ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٦١ .
- ٥٦- ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٩٠ .
- ٥٧- مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار ، ص ٣٥٩ .
- ٥٨- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ١ / ٢٤٣ : الادريسي ، وصف افريقيا ، ص ٥٥ .
- ٥٩- مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار ، ص ٣٥٩ .
- ٦٠- البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ١٠٥ .
- ٦١- البكري ، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص ١٦٢ .
- ٦٢ الجنحاني ، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي ، ص ١٦٠ .
- ٦٣- أمير بربري. كانت له رئاسة (مكناسة) القبيلة وبلادها. وعظم أمرها في أيامه ، فتغلبت على قبائل البربر بأحاء تازا إلى الكاسي. ولما استولى عبيد الله (المهدي) على المغرب، كان مصالحة من أكبر قواده. وولاه المهدي على مدينة تاهرت والمغرب الأوسط . وزحف مصالحة إلى المغرب الأقصى (سنة ٣٠٥ هـ واستولى على فاس وعلى سجلماسة واستنزل يحيى ابن إدريس من إمارته بفاس إلى طاعة عبيد الله، وأبقاه أميراً على فاس. وعقد لابن عمه موسى بن أبي العافية أمير بلدة مكناسة على سائر ضواحي المغرب وأمصاره ، وقفل إلى القيروان، فقتله محمد بن خزر الزناتي . ينظر : ابن عذاري ، البيان المغرب ١/١٩٧؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ٦/١٧٦ .
- ٦٤- نكور، لنكور أو إمارة بني صالح هي إمارة تاريخية لسلالة الصالحيين ، ظهرت منذ سنة ٧١٠م على يد صالح بن منصور في تلمسان في منطقة الريف بالمغرب الأقصى . وهي أول إمارة مستقلة بالمغرب الأقصى بعد ثورة البربر على ولاة بني أمية، كما أنها تمهبت بالمذهب المالكي السني خلافا لباقي الإمارات المغربية الأخرى، كبني مدرار وبورغواطة التي تأسست على مذهب الخوارج الصفرية. ينظر ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ٦/٢٨٤: عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، ص ٨٦ .
- ٦٥- البكري ، المسالك والممالك ، ص ٧٧٠ ؛ السيلوي، الاستقصا، ١ / ١٨٢؛ البياتي ، النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن ٣/٥ هـ - ١١/٩م ، ص ٢١ .

المسالك التجارية وأثرها في الصراع الفاطمي (الأصوي) خلال القرن (الرابع الهجري) (العاشر الميلادي) م.و. زينب حمزة عباس

- ٦٦- مألقة : مدينة بالأندلس ، من اعمال رية ، سورها على شاطيء البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية . الحموي ، معجم البلدان ، ٤٣/٥ .
- ٦٧- عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ٣ / ٨٦ ؛ الجنحاني ، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي ، ص١٦٧ .
- ٦٨- البياتي ، النشاط التجاري في المغرب الاقصى خلال القرن ٣/٥هـ - ١١/٩م ، ص ٢١ .
- ٦٩- القاسمي ، مجتمع المغرب الاقصى ، ٢ / ٢٣٨ .
- ٧٠- عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي، ص ٩١ .
- ٧١- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١ / ١٣٨ .
- ٧٢- الداعي ادريس ، تاريخ الخلفاء الفاطميين ، ص ٢١٣ _ ٢١٧ .
- ٧٣- القاسمي ، مجتمع المغرب الاقصى ، ٢ / ١٩٨ .
- ٧٤- المعز لدين الله : وهو معد بن اسماعيل بن ابي القاسم بن عبد الله كنيته ابو تميم اما لقبه فهو المعز لدين الله ، ولد بالمهديّة في رمضان سنة ٣١٩هـ وولى المغرب وعمره ٢٢سنة ، وهو اول من ملك مصر من بني عبيد . ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢ / ٣١٥ .
- ٧٥- هو جَوْهَر بن عبد الله، ويقال أيضًا جوهر مع نسبته الصقلبي والصقلّي أو الرومي والكاتب أو القائد. ويلقى لقبه الأولان بعض الضوء على أصله الغامض، أما اللقبان الآخران فيدلان على المنصبين الرفيعين الذين شغلها. ولا نعرف تاريخ مولده، ولكننا نستطيع أن نخمن من تاريخ وفاته (٢٠ ذو القعدة سنة ٣٨١ هـ / ٢٨ إبريل سنة ٩٩١ م) ، أنه ولد في وقت ما أثناء العقد الأول من القرن الرابع الهجري الموافق العاشر الميلادي. وكان في أوج نشاطه بين عامي ٣٤٠ هـ / ٩٥٠ م) و ٣٦٦ هـ / ٩٧٥ م. للمزيد ينظر ، الداعي ادريس ، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ، ص ٦٠٤؛ الامين ، دائرة المعارف الاسلامية ، ١١ / ٣٢٧٩ .
- ٧٦- حيث يذكر ان ابن واسول ثار فتغلب على سجالماسه وخلع طاعة الائمة وسمى نفسه الشاكر لله ، والدعوة الى الخلفاء العباسيين التي تحمل معنى الثورة ضد الفاطميين ، حيث وجه المعز قائدة جوهر الى القضاء على ابن واسول عن طريق السكان ، وتمكنوا فعلا من السيطرة على مدينة سجالماسه وارجاعها الى الدولة الفاطمية كما ان احمد بن بكر تغلب على مدينة فاس. الداعي ادريس ، تاريخ الخلفاء الفاطميين ، ص ٦٠٥ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١ / ٣٦٧.٣٦٨ - ٣٧٦ .
- ٧٧- وهي قرى عامرة ، ورستاقها ثلاثة ايام ، وتشمل على عدة قبائل بربرية. المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ٣٣٠ .
- الجزائري ، جنى زهرة الاس ، ص ١٧ .
- ٧٨- وهو رستاق عظيم ، فيه مدن كثيرة وواسعة ، كثيرة الخير والتجارة الى سجالماسه ، بينها وبين سجالماسه ثمانية مراحل، وبها ينزل التجار. ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٩٠ ؛ مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٧ .
- ٧٩- نفيس : مدينة ازلية، قديمة تسكنها قبائل شديدة الياس والمراس ، غزاها عقبة بن نافع سنة ٦٢ هـ ، وتتميز بطيب هواها وكثرة اشجارها. مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار ، ص ٢٠٨ .

المسالك التجارية وأثرها في الصراع الفاطمي الأموي خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي م.و. زينب حمزة عباس

- ٨٠- مسعد، العلاقات بين المغرب والاندلس في عهد الدولة الاموية: ص ٩١ ؛ القاسمي : مجتمع المغرب الاقصى ، ٢ / ٣٦٥ .
- ٨١- الجحاني ، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي ، ص ١٧٠ .
- ٨٢- هو زيري بن مناد الصنهاجي يعد مؤسس الدولة الزييرية التي حكمت بلاد المغرب الأوسط و إفريقيا ، ويعتبر اعظم ملك من ملوك البربر ، وهو جد المعز بن باديس المعز بن باديس الصنهاجي (توفي ٣٦٠ هـ) . يعد أول من ملك من بيت صنهاجة الأمازيغ ، وكانت مدة ملكه ستا وعشرين سنة .ابن خلدون ، تاريخ بن خلدون، ٦/٢٠٣ .
- ٨٣- بن عميرة ، بنو خزر ودورهم السياسي والعسكري في المغرب ، ص ٢٣ .
- ٨٤- سرور ، محمد جمال الدين ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٣٢ .
- ٨٥- لقبال ، دور كتابه في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها الى منتصف القرن الخامس الهجري ، ص ٣٤٤ .
- ٨٦- ارشيبالد ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ص ٢٥٥ .
- ٨٧- القاسمي ، مجتمع المغرب الاقصى ، ٢ / ٢٢٢ .
- ٨٨- مسعد، العلاقات بين المغرب والاندلس ، ص ٩٢-٩٥ .
- ٨٩- القاسمي ، مجتمع المغرب الاقصى ، ٢ / ٢٢٢ .
- ٩٠- مسعد ، العلاقات بين المغرب والاندلس ، ص ٩٢-٩٥ .
- ٩١- قبيلة مغراوة وبني يفرن هما من اعيان قبائل زناته ، وكانوا شقيقان ، ولم يكن لها استقلال بمدينة فاس وانما كانت رئاستها بنظر الامويين للاندلس. السيلوي ، الاستقصاء، ص ٢٠٦ : لقبال ، دور كتابه في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها الى منتصف القرن الخامس الهجري ، ص ٣٧٨ .
- ٩٢- ابن عذاري ، البيان المغرب ١ / ٢١٦ ؛ السامرائي ، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، ص ١٦٩ .
- ٩٣- ابن عذاري ، البيان المغرب / ١ ، ص ٢١٦ ؛ السامرائي ، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، ص ١٧٠ .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

- الادريسي، ابي عبد الله ، محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحسني (١١٠٠هـ / ١١٦٥هـ) نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، ٢٠٠٢ .
- وصف افريقية ، اعتنى بتصحيحه ، هنري بيرييس ، الجزائر ، ١٩٥٧ .
- البكري، ابو عبيدة عبد الله ابن عبد العزيز (٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (وهي جزء من كتاب المسالك والممالك) ، مكتبة المثنى ببغداد ، ١٩٦٤ .
- الجزنائي ، علي (ب / ت)

- جنى زهرة الاس في بناء مدينة فاس، تحقيق/ عبد الوهاب ابن منصور، الطبعة الملكية، الرباط، ط ٢، ١٩٩٠.
- الحميري ، محمد بن عبد المنعم (٩٠٠هـ / ٤٩٥م)
 - ٢٥-الروض المعطار في خبر الاقطار، تح: احسان عباس ، ط ٢، مكتبة لبنان ، ١٩٨٤م
 - الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي(٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م).
 - معجم البلدان ، دار صادر بيروت ، ١٩٧٧ ، م ٥.
 - ابن حوقل ، ابي القاسم محمد بن علي النصيبي (٣٦٧هـ / ٩٧٧م)
 - صورة الارض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٢.
 - ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨هـ / ٤٠٥م).
 - تاريخ بن خلدون المسمى ديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر ، ضبطه ووضع الحواشي / خليل شحاده ، تحقيق / سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، ط ٤ ، ج ٦/٢٠٠٠.
 - ابن خلكان، ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن بكر (٦٠٨هـ / ٢١٢م)
 - وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق/ احسان عباس، دار صادر ، بيروت ، م ٣ ، ١٩٧٠.
 - الداعي ادريس ، عماد الدين (٨٧٢هـ/٤٨٨م)
 - تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (القسم الخاص من كتاب عيون الاخبار) ، تحقيق / محمد اليعلاوي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٥.
 - الدرجيني ، ابي العباس احمد بن سعيد(٦٠٨هـ / ٦٨١هـ)
 - طبقات المشايخ بالمغرب ، حققه/ ابراهيم طلاي ، مطبعة البعث ، الجزائر ، ١٩٧٤.
 - الرقيق القيرواني ، محمد بن ابي القاسم الرعيني(٤٢٥هـ/١٠٢٦م)
 - المؤنس في كتاب افريقية وتونس ، مطبعة الدولة التونسية ، ط ١، ١٣٦٨هـ.
 - الزهري ، ابي عبد الله محمد بن ابي بكر (القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)
 - كتاب الجغرافيا، اعتنى بتحقيقه/ محمد حاج صادق، الناشر/ مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.
 - السلاوي، شهاب الدين ابو العباس احمد بن خالد بن محمد الناصري (١٨٣٥/١٨٧٩)
 - الاستقصا لخبار دول المغرب الاقصى، تح: جعفر التاصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، ١٩٥٤.
 - ابن عذاري ، أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي(ت ٦٩٥هـ/١٢٩٥م)

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال ،
الناشر: دار الثقافة ، بيروت - لبنان ، ط ٣ ، ١٩٨٣ م .
- مؤلف مجهول (القرن السادس الهجري / القرن الثاني عشر الميلادي)
الاستبصار في عجائب الامصار، نشر وتعليق: سعد زغول عبد الحميد ، مشروع النشر المشترك .
 - المقدسي: شمس الدين ابو عبد الله محمد المعروف بالبشاري (٣٨٠هـ / ٩٩٠م)
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٩١ م .
 - المقرئزي ، تقي الدين احمد بن علي (٨٤٥هـ / ١٤٤٢م)
اتعاض الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٩٦ .
 - اليعقوبي ، احمد بن اسحاق ابن جعفر (٢٩٢هـ / ٩٠٤م)
كتاب البلدان ، المكتبة المرتضوية ، مطبعة الجريز ، ١٩١٨ .

المراجع

- الجنحاني ، الحبيب
دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي ، دائرة الغرب الاسلامي ، بيروت ،
١٩٨٦
- السامرائي ، خليل ابراهيم ، وآخرون
تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، ط ١ ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ٢٠٠٠ .
- سرور ، محمد جمال الدين
تاريخ الدولة الفاطمية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ٢٠٠٧ .
- عبد الحميد : سعد زغول
تاريخ المغرب العربي من الفتح الى بداية عصر الاستقلال ، ج ١ ، دار المعارف ، الاسكندرية ،
١٩٩٣ م .
- القاسمي : هاشم العلوي
مجتمع المغرب الاقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري / منتصف القرن العاشر الميلادي ،
ج ٢ ، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، المغرب ، ١٩٩٥ م .
- لقبال ، موسى
دور كتامه في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها الى منتصف القرن الخامس الهجري ، سلسلة
الدراسات الكبرى ، مكتبة طريق العلم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٧٩ .
- لمبارد : مورييس

الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى ، تر : عبد الرحمن حميدة ، دمشق ، دار الفكر ، ط ٢ ، ١٩٩٨ م .

• مسعد ، سامية مصطفى
العلاقات بين المغرب والاندلس في عصر الخلافة الأموية ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، ط ١ ، ٢٠٠٠ .

الدوريات والمجلات

• الامين ، حسن
دائرة المعارف الاسلامية الشيعية ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ط ٦ ، ٢٠٠٢ ، ج ١١ .

• بلهاري ، فاطمة
العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والسودان الغربي / خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ، دورية كان التاريخية / ١٠٤ ، ديسمبر ٢٠١٠ .

• بن عربي ، محمد ، بوسالم ، احلام
دور مدينة وارجلان في تجارة الرقيق ببلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط ، مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثرية في شمال افريقية ، م ٤ ، العدد ١ ، ٢٠٢١ .

• بن عميرة ، محمد
بنو خزر ودورهم السياسي والعسكري في المغرب ، الموسوعة التاريخية للشباب ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة ، الجزائر .

الرسائل والاطاريح

• البياتي ، بان علي محمد
النشاط التجاري في المغرب الاقصى خلال القرن ٣/٥هـ - ١١/٩م ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات/ قسم التاريخ ، ٢٠٠٤ .

حامل المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحديثة

(١٥٤٩ - ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح

حامل المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحديثة

(١٥٤٩ - ١٠٦٩ ق.م)

م. د. علاء راضي فالح

جامعة البصرة - كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص

لقد بلغت الحضارة المصرية القديمة في عصر الدولة الحديثة أوج عظمتها في المجال الحضاري والسياسي وغيرها من مجالات الحياة ، وبلغت مبلغاً عظيماً في إدارة شؤون البلاد وعلى جميع الأصعدة ، فشكل الملوك في عصر الدولة الحديثة مرتكزاً أساسياً في تسنم السلطة وتولي الحكومة ، فسعى على اثر ذلك جميع رجال الدولة بكافة مستوياتهم ومهامهم ان يحملوا لقب حامل المروحة على يمين الملك ، وهو لقباً تشريفاً أكثر من كونه وظيفياً .

الكلمات المفتاحية: الملك، حامل المروحة، الدولة الحديثة

جامل المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحديثة
(١٥٤٩ – ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح

**The fan Bearer on the Right Side if the King in Ancient Egypt, from the
modern age of the State (1549 – 1069 B . c)**

Dr. Alaa Radi Falih

University of Basrah – College of Education for human sciences

Abstact

Ancient Egyptian Civilization the age of the modern state reached the climax of its greatness in the cultural , Political and varied fields od life . leached outstanding Significance in the Countries affairs management and at all levels , Therefore , the Kings of the modern state formed a basic base in taking over authority and government . according to this , all the politicians in the state from different social ranks and missins worked on taking the title of the fan bearer on the right side of the King . The title is of loftiness and greatness more then of employment.

Kev Words : the King , Fan Carrier , Modern state

المقدمة

تعد الأعمال التشريعية في الحضارة المصرية القديمة من الأمور ذات التأثير المعنوي على من يقوم بها ، ولا سيما اذا ما تعلقت هذه الأعمال بالشخصيات المقدسة لديهم كالمملك ، لذا تكمن أهمية موضوع حامل المروحة في مصر القديمة من عصر الدولة الحديثة ذو أهمية تاريخية وثقافية ولم يتطرق اليه الباحثين من قبل ، خاصة اذا ما علمنا ان ابرز الشخصيات في الدولة في مصر القديمة قد حملت هذا اللقب مثل الوزراء ونواب الملك في كوش ورؤساء الكهنة والقادة العسكريون ورؤساء الخزانة وغيرهم ، ويبدو ان اهم مهام حامل المروحة على يمين الملك هو الترويج عن الملك في أثناء جلوسه للبت في أمور البلاد والدولة .

يرجع لقب حامل المروحة على يمين الملك (١) (imntt) nsw TAw-xwHrwnm الى عصر الدولة الحديثة (١٥٤٩ ق.م - ١٠٦٩ ق.م) وقد شهد ظهوره الأول في عصر الملك تحتمس الثالث (١٤٧٩ - ١٤٢٤ ق.م) سادس ملوك الأسرة الثامنة عشرة (١٥٤٩ ق.م - ١٢٩٥ ق.م) بحسب Reisner (٣) أو في عصر الملك أمن حنب الثاني (١٤٢٤ - ١٣٩٨ ق.م) سابع ملوك الأسرة الثامنة عشرة بحسب ما صرح به الباحث Helckh (٤) وأستمر ظهوره بعد انتهاء الدولة الحديثة في عصر الانتقال الثالث والعصر المتأخر (١٠٦٤ - ٣٣٢ ق.م) (٥).

حمل هذا اللقب في العصور المختلفة للدولة الحديثة عدد من رجال الدولة الذين شغلوا مناصب رفيعة سواء أدارياً أو دينياً أو عسكرياً كان منهم الوزراء مثل الوزير "باسر" من الأسرة التاسعة عشرة (١٢٩٨ ق.م - ١١٨٧ ق.م) والوزيرين "تاو" و"بانحسى" من الأسرة العشرين، ونواب الملك في كوش (٦) مثل "مرى مس" و "حوى" من الأسرة الثامنة عشرة و"سيتاو" و"مس وى" من الأسرة التاسعة عشرة (١٢٩٨ - ١١٨٧ ق.م)، ورؤساء الكهنة مثل "مرى رع" من الأسرة الثامنة عشرة و"با عنخ" من الأسرة العشرين (١١٨٧ - ١٠٦٩ ق.م) وقادة القوات مثل "ان حر نخت" من الأسرة التاسعة عشرة وحمل اللقب أيضا في الدولة الحديثة طائفة أخرى من الموظفين كان منهم المشرفين على الخزانة من أمثال " بانحسى " من الأسرة التاسعة عشرة ، ورؤساء الخدم الملكيين مثل "رمسيس وسر بحتى" من الأسرة العشرين، والحجاب الملكيين مثل " أمون ام حات" و"قن أمون" من

الأسرة الثامنة عشرة، والمبعوثين الملكيين مثل "مين نخت" من الأسرة التاسعة عشرة، وبحلول عصر الرعامسة^(٧) أصبح اللقب من الألقاب الرئيسية لأمرأ البيت المالك فقد حمله من عصر الملك رمسيس الثاني^(٨) (١٢٧٩ ق.م - ١٢١٢ ق.م) على سبيل المثال الأمير "أمون حر خبش اف" والأمير "مرى أتوم" ومن عصر الملك رمسيس الثالث^(٩) الأمير "مونتو حر خبش اف" والأمير "خع ام واست" على سبيل المثال وتجدر الإشارة إلى أن ثلاثة من الذين حملوا هذه اللقب وهم المدعو "أى"^(١٠) والقائدين "حور محب"^(١١) و"بارعمسو (رمسيس الأول) فيما بعد"^(١٢) قد ارتقوا لسدة الحكم والعرش في فترة هامة من الدولة الحديثة وهي نهاية الأسرة الثامنة عشرة وبداية الأسرة التاسعة عشر . .

الوزراء :

يبدو أن أيأ من وزراء الأسرة الثامنة عشرة لم يحمل بين ألقابه لقب حامل المروحة على يمين الملك وأن ارتباط هذا اللقب بمنصب الوزير يرجع إلى عصر الرعامسة^(١٣) عندما أصبح لقباً شائعاً بين ألقابهم المختلفة، ومن أبرز وزراء عصر الرعامسة الذين حملوا هذا اللقب هم :-
الوزير "تب أمون"^(١٤) : هو أحد وزراء الملك سيتي الأول (١٢٩٦ - ١٢٧٩ ق.م) ثاني ملوك الأسرة التاسعة عشرة ويظهر لقب حامل المروحة على يمين الملك مرتبطاً بالوزير (تب أمون) في النص الأيمن الموجود على عمود ظهر تمثال متحف القاهرة CG.1140^(١٥) فاقد الرأس من منطقة أبيدوس (جنوب مصر) إذ جاء في النص:

" قربان يقدمه الملك إلى أمون رع، ملك الآلهة، سيد الأبدية، حاكم الأزل، لعله يعطى الكبرياء في السماء، والقوة على الأرض، ورؤية رع في الفجر كواحد من أعضاء حاشيته، والدخول والخروج من مقر سوكر ورؤية أسراره، من أجل روح النبيل الوراثي، حامل المروحة على يمين الملك، حاكم المدينة، الوزير نب أمون"^(١٦)

الوزير "باسر"^(١٧) : هو أحد وزراء الملكين سيتي الأول ورمسيس الثاني ثاني وثالث ملوك الأسرة التاسعة عشرة، وعلى الجانب الداخلي الأيسر (الجنوبي) لباب المدخل الرئيس للمقبرة رقم ١٠٦ الخاصة ب "باسر" بالبر الغربي لمدينة الأقصر يوجد منظر^(١٨) يصور باسر ووالدته وهما يتعبدان

للشمس المشرقة ويصاحب المنظر نصاً نقرأ في بدايته " التعبد لرع عندما يشرق في الأفق الشرقي للسماء بواسطة النبيل الوراثي, القاضي, المتحدث باسم نخن ^(١٩), كاهن ماعت, حاكم المدينة, الوزير باسر, المبرء", ثم يتتابع النص ليختتم بنص يشير إلى لقب حامل المروحة على يمين الملك بين ألقاب باسر, إذ جاء في النص:

"....لعك تسبب أن أراك في الفجر, من أجل روح النبيل الوراثي, القاضي, المتحدث باسم نخن, كاهن ماعت, حاكم المدينة, الفم الذي يحضر الرضا في كل الأرض, الخادم لملك مصر العليا, المفيد لملك مصر السفلى, شفاه الإله الطيب, حامل المروحة على يمين الملك, حاكم المدينة, وزير المدينة الجنوبية, باسر المبرء...)" ^(٢٠)

كما ويظهر لقب حامل المروحة على يمين الملك أيضاً بين ألقاب الوزير " باسر" في نص يوجد في الجزء الخلفي لتمثال كبير له عثر عليه في معبد الملك " مونتو حتب نب حبت رع" بالدير البحري ويوجد الآن بمتحف الجامعة بفيلا دلفيا تحت رقم E.534 ^(٢١) إذ تشير السطور الثلاث الأخيرة من النص إلى باسر بأنه "...عذب الصوت عند تقديم القرابين, الذي يسترضى الآلهة بطعامهم, الكاهن الأكبر ل ورت حكاو ^(٢٢), حامل المروحة على يمين الملك, الرسول الملكي, الذي يعرف ما يقوله, المبعوث الملكي للريح الشمالية, قائد احتفال آمون, المشرف على الأعمال في مكان الحق "أسم منطقة دير المدينة بالأقصر", المخصص له غرب الأقصر حتى عندما كان في رحم أمه, حاكم المدينة, الوزير, باسر المبرء". ^(٢٣)

ويظهر اللقب أيضاً مرتباً بالوزير باسر على سبيل المثال في جرافيتي ^(٢٤) من طيبة الغربية إذ نرى باسر راکعاً يتعبد البقرة حاتحور ^(٢٥) التي تخرج من الجبل, إذ جاء في النص: "التعبد لسيدة الأرضيين, لعلها تعطى لك دفنة جميلة بعد عمراً طويلاً من أجل روح حامل المروحة على يمين الملك, رئيس خزانات الفضة والذهب, حاكم المدينة, وزير الجنوب والشمال, باسر المبرء" ^(٢٦)

الوزير بانحسي ^(٢٧): هو أحد وزراء الملك مرنبتاح (١٢١٢ - ١٢٠١ ق.م) رابع ملوك الأسرة التاسعة عشرة, ويظهر لقب حامل المروحة ^(٢٨) مقترناً باسم الوزير "بانحسي" على جزء من تمثال من الحجر الجيري عثر عليه في منطقة دير المدينة إذ نقرأ على عمود ظهر التمثال ما نصه: "

حامل المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحديثة

(١٥٤٩ - ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح

...الفريد....النيل الوراثي, رئيس الأرضيين, حاجب وبوابة الشخص ذو الأسرار, حامل المروحة على يمين الملك, حاكم المدينة, الوزير بانحسي المبراء" (٢٩)

الوزير حوري^(٣٠): هو أحد وزراء الملك رمسيس الثالث (١١٨٥ - ١١٥٣ ق. م) ثاني ملوك الأسرة العشرين, ويظهر لقب حامل المروحة على يمين الملك ضمن ألقاب الوزير "حوري" على تمثال^(٣١) راع من الحجر الجيري بدون رأس يحمل بين يديه قاعدة يعلوها رأس كبش مون عثر عليه في الحجرة الخامسة لمقصورة (خنو) الملك رمسيس الثاني بمنطقة دير المدينة بالبر الغربي للأقصر وعلى عمود ظهر التمثال نقراً: "....النيل الوراثي؟... حامل ختم ملك مصر السفلى, الوحيد, الشخص كثر المدح الخاص بالملك المنتصر, حامل المروحة على يمين الملك, حاكم المدينة لوزير حوري المبراء" (٣٢)

أما على النصف الأيمن لقاعدة التمثال يوجد نص آخر يظهر فيه اللقب ضمن ألقاب الوزير جاء فيه: "....الصقر الذى في منزل الملك, رئيس كل الأرض, قائد أحتفال أمون رع, حامل المروحة على يمين الملك, حاكم المدينة, الوزير حوري المبراء" (٣٣)

الوزير تاو^(٣٤): هو أحد وزراء الملك رمسيس الثالث ثاني ملوك الأسرة العشرين ويظهر لقب حامل المروحة على يمين الملك ضمن ألقاب الوزير تاو في لوحتين صخريتين بالمقصورة A بمصلى الإله "بتاح" (٣٥) ومرت سجر^(٣٦) بمنطقة دير المدينة بالبر الغربي للأقصر وفي اللوحة الأولى^(٣٧) يظهر الوزير "تاو" في السجل العلوى على اليسار مرتدياً الرداء المميز للوزراء رافعاً يديه في وضع تعبد أمام المعبودة مرت سجر التي تظهر بجسد أنثى وراس ثعبان ومن أمامها خرطوشين بأسماء الملك رمسيس الثالث, ويوجد أعلى وأسفل أيدي الوزير سطر هيروغليفي يقرأ فيه: " حامل المروحة على يمين الملك, حاكم المدينة, الوزير تاو المبراء" ويظهر في السجل السفلى أربع أشخاص واقفين رافعين أيديهم في وضع تعبد وفي اللوحة الثانية^(٣٨) بنفس المقصورة نرى في السجل العلوى الوزير على يمين المنظر وهو يرفع يده في وضع تعبد أمام المعبود "بتاح" والملك "أمون حتب الأول" ويوجد أعلى وأسفل أيدي الوزير سطر هيروغليفي يقرأ فيه: " حامل المروحة

على يمين الملك, حاكم المدينة, الوزير تاو المبراء" ويظهر في السجل السفلى اربع أشخاص في وضع تعبد (٣٩).

لعل مما تقدم ومع وجود النصوص الدنيوية التي سقناها فيما سبق , يتأكد لنا ان عدد من الوزراء قد حملوا لقب (حامل المروحة على يمين الملك) , وهو لا شك من الألقاب الشرفية المهنة التي يسعى رجال البلاط إلى حملها .
نواب الملك في كوش (٤٠) :

حمل نواب الملك في " كوش" (٤١) لقب حامل المروحة على يمين الملك طوال عصور الدولة الحديثة بداية من الأسرة الثامنة عشرة وصولاً إلى نهاية الأسرة العشرين ويعد هؤلاء الموظفين من أكثر رجالات الدولة الحديثة ارتباطاً باللقب وفقاً لما ادلى به الباحث Reisner (٤٢)
و يظهر الجانب الأكبر من مناظر نواب الملك في كوش الذين حملوا لقب حامل المروحة على يمين الملك في عصور الدولة الحديثة شكلاً تصويرياً محددًا يصور شخصاً واقفاً أو راكعاً أو منحنيًا أمام الملك "وليس على يمينه أو حتى خلفه" يرتدى رداءً طويلاً ويمسك بمروحة طويلة في معظم الأحيان في أحد اليدين أو معلقة بحبل على الكتف وفي أحيانا أخرى يمسك بعصى معقوفة (حكا) ومروحة وتعد العصي المعقوفة من شارات الألقاب الخدمية في حين تعد المروحة أشاره واضحة على لقب "حامل المروحة على يمين الملك" , ومن أبرز نواب الملك في كوش الذين حملوا لقب حامل المروحة على يمين الملك هم :-

نائب الملك في كوش مري مس (٤٣):

شغل "مري مس" هذه الوظيفة في عصر الملك أمون حتب الثالث (١٣٨٨ - ١٣٤٨ ق . م)
تاسع ملوك الأسرة الثامنة عشرة ويظهر لقب حامل المروحة على يمين الملك ضمن ألقاب مري مس (٤٤) على سبيل المثال في جرافيتي عثر عليه في "تومبس" بالنوبة السفلى إذ يظهر النقش "مري مس" أمام خرطوشين بأسماء الملك , إذ جاء في النص: " التعبد لسيد الأرضيين وتقيل الأرض للاله الطيب بواسطة نائب الملك في كوش, المشرف على البلاد الجنوبية, حامل المروحة على يمين الملك, مري مس" . (٤٥)

نائب الملك في كوش حوى^(٤٦) :

شغل أمون حتب المعروف بـ "حوى" هذه الوظيفة في عصر الملك توت عنخ أمون (١٣٤٣ - ١٣٣٣ ق .)^(٤٧) الملك الثالث عشر من ملوك الأسرة الثامنة عشرة^(٤٨) يظهر لقب حامل المروحة على يمين الملك مرات عديدة في مناظر ونصوص مقبرة حوى رقم ٤٠ بالبر الغربي لمدينة الأقصر ومنها على سبيل المثال منظر^(٤٩) على الجزء الشمالي للحائط الغربي لصالة المقبرة يظهر فيه "حوى" وهو يقدم جزية سوريا القديمة إلى الملك " توت عنخ أمون" ويقف " حوى" بانحناءة رأس بسيطة إلى الأمام ممسكاً بمروحة بيده اليمنى وعصى معقوفة (حكا) بيده اليسرى أمام الملك " توت عنخ أمون" الذى يجلس على عرشه ويظهر من خلف " حوى" أهل (رتنو/سوريا القديمة) وهم يقدمون الجزية للملك إذ نقرأ في النص أعلى صورة " حوى"

" نائب الملك في كوش ,المشرف على البلاد الجنوبية ,حامل المروحة على يمين الملك , حوى المبراء , لعل أبيك أمون يحميك بملايين اليوبيلات , لعله يعطيك الأبدية كملك الأرضيين ,والأزلية كحاكم للأقواس التسعة نت رع هيئتك هي هيأته ,اليك تنتمى السماء ثابتة على أعمدتها الأربعة وتستنقر الأرض أسفلك بسبب كفاءتك أيها الحاكم الطيب , تقديم الجزية لملك الأرضيين من قبل أهل رتنو بواسطة مبعوث الملك لكل أرض , نائب الملك في كوش , المشرف على البلاد الجنوبية , أمون حتب المبراء" ^(٥٠)

نائب الملك فى كوش حوى^(٥١) :

شغل حوى هذه الوظيفة في عصر الملك رمسيس الثاني (١٢٧٩ - ١٢١٢ ق . م) من الأسرة التاسعة عشرة ويظهر لقب حامل المروحة على يمين الملك ضمن ألقاب "حوى" في نص لوحة متحف برلين رقم ١٧٣٣٢^(٥٢) والتي عثر عليها في النوبة السفلى ويصور السجل العلوى للوحة أحد الأتباع وهو يقف أمام "حوى" الذى يجلس على مقعد وبينهما مائدة قرابين ويحتوى النص بالسجل السفلى للوحة على "صيغة حتب دى نسو" تقرأ على النحو التالي: " قربان يقدمه الملك لأمون رع ,سيد عروش الأرضيين ,والى تحوت ,المرضى بالحقيقة ,والى الآلهة التي على شكل حورس المقيم في واوات ,والى كل آلهة النوبة ,لعلمهم يعطوا وصفة من قرابين الطعام التي تظهر في

حضورهم في كل عيد يحدث في معابدهم، من أجل روح الأمير والحاكم والنائب ذو السلطة العليا في النوبة، حامل المروحة على يمين الملك، الممدوح بواسطة الإله الطيب، رئيس النشابين، المشرف على الأحصنة، نائب سيده للعربات الحربية، رئيس نشابين ثارو، المبعوث الملكي لكل أرض اجنبية، الذي جاء من خاتي وأحضر كبيرها، الكاتب الملكي "حوى".^(٥٣)

ويظهر اللقب أيضا ضمن ألقاب "حوى" في جرافيتي^(٥٤) من جزيرة سهيل بأسوان يظهر فيه حوى مصور على اليمين في وضع تعبد وتتدلى المروحة من حبل خلف الكتف الأيمن ثم منظر اخر على اليسار وهو يرفع يديه في وضع تعبد ويمسك بيده اليسرى المروحة ونرى بين صورتى "حوى" خرطوشين باسم الملك رمسيس الثاني ويقرأ النص أسفل المنظر "نائب الملك في كوش، المشرف على البلاد الجنوبية، حامل المروحة على يمين الملك، حوى"، ويظهر اللقب مرة أخرى بين ألقاب "حوى" في جرافيتي آخر^(٥٥) يوجد على الطريق القديم لأسوان بالقرب من الشلال الأول إذ نرى "حوى" واقفاً على اليسار متعبداً لخرطوش الملك "رمسيس الثاني" وتتدلى المروحة خلف كتفه الأيسر ويشير النص المرافق للمنظر إلى: "عمل بواسطة المشرف على إصطبل" مقر إقامة رمسيس الثاني، المبعوث الملكي لكل بلد أجنبي، نائب الملك في كوش، المشرف على البلاد الجنوبية، حامل المروحة على يمين الملك، الكاتب حوى"^(٥٦)

نائب الملك في كوش سيتاو^(٥٧)

يعد سيتاو واحداً من أبرز الأفراد الذين شغلوا وظيفة نائب الملك في كوش في عصر الملك "رمسيس الثاني" من الأسرة التاسعة عشرة ويقف دليلاً على هذا العثور على العديد من الآثار له بهذا المسمى في أماكن كثيرة في مصر، ويظهر لقب حامل المروحة على يمين الملك ضمن ألقاب "سيتاو" على قاعدة تمثال له عثر عليها في الكاب بجنوب مصر وتوجد الآن في متحف القاهرة تحت رقم CG 885^(٥٨)

وعلى الجانب الأيمن لهذه القاعدة يوجد نص هيروغليفي نقرأ فيه: "النبي، الأمير، حامل ختم ملك مصر السفلى، الوحيد، قائد احتفال آمون، نائب كوش، المشرف على البلاد الجنوبية، حامل المروحة على يمين الملك، الكاتب الملكي، سيتاو المبرء إلى الأبد"^(٥٩)

حامل المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحريثة

(١٥٤٩ - ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح

ويظهر لقب حامل المروحة على يمين الملك أيضا ضمن القاب "سيتاو" على لوحة متحف القاهرة J.41395. إذ نقرأ على الكتف الأيسر للوحة: "...ملك مصر العليا والسفلى, سيد الأرضيين وسر ماعت رع ستب ان رع, معطي الحياة, عظيم المديح, محبوب سيده, نائب الملك في كوش, المشرف على أراضي ذهب أمون, حامل المروحة على يمين الملك, رئيس الخزانة, قائد احتفال أمون, الكاتب الملكي, سيتاو المبراء" وعلى الكتف الأيمن للوحة يظهر كذلك اللقب بين ألقاب "سيتاو", إذ نقرأ: "...أبن رع, سيد التيجان رمسيس, معطي الحياة, عظيم المديح من قبل الإله الطيب, نائب الملك في كوش, المشرف على البلاد الجنوبية, حامل المروحة على يمين الملك, مدير الأعمال /المضيف/المدير الأعلى الخاص بأمون, الكاتب الملكي, سيناو المبراء في سلام" (٦١)

نائب الملك في كوش مس وي (٦٢) :

شغل "مس وي" هذه الوظيفة في عصر الملك "مرنبتاح" (١٢١٢ - ١٢٠١ ق.م) رابع ملوك الأسرة التاسعة عشرة وحمل "مس وي" لقب حامل المروحة على يمين الملك ضمن ألقابه وهو الأمر الذي نراه على سبيل المثال في جرافيتي يوجد أسفل الجانب الأيسر الداخلي للباب المؤدى للصالاة ذات الأعمدة بمعبد بيت الوالي بأسوان (٦٣) يظهر "مس وي" راکعاً يرفع يده اليمنى في وضع تعبد ويمسك باليد اليسرى مروحة ويقراً النص المرافق للمنظر "نائب الملك في كوش, حامل المروحة والعصى المعقوفة" صولجان الحكا" على يمين الملك, الكاتب الملكي, مس وي المختار للأرض الجنوبية" (٦٤)

نائب الملك في كوش سيتي (٦٥) :

شغل "سيتي" وظيفة نائب الملك في كوش في عصر الملك "سبتاح" (١١٨٩ - ١١٨٧ ق.م) آخر ملوك الأسرة التاسعة عشرة (٦٦) ويظهر لقب حامل المروحة على يمين الملك بين القاب "سيتي" على سبيل المثال في جرافيتي من طريق الشلال القديم بأسوان إذ نرى منظر (٦٧) يظهر "سيتي" واقفلاً وهو يرفع يده اليسرى في وضع تعبد ويمسك بيده اليمنى مروحة أمام الملك "سبتاح" الجالس على العرش ويشير النص المصاحب للمنظر أعلى وخلف "سيتي" إلى "التعبد لروحك أيها الملك

حامل المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحديثة

(١٥٤٩ - ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح

المنتصر بواسطة نائب الملك في كوش، المشرف على أراضي ذهب أمون، حامل المروحة على يمين الملك، المدير الأعلى لرع واتوم، الحاجب الملكي للفرعون، له الحياة والرفاهية والصحة، سيتي المبراء" (٦٨)

نائب الملك في كوش بانحسي (٦٩) :

شغل "بانحسي" هذه الوظيفة في حكم الملك "رمسيس الحادي عشر" (١٠٩٤ - ١٠٦٤ ق.م) آخر ملوك الأسرة العشرين والدولة الحديثة، ويظهر لقب حامل المروحة على يمين الملك بين ألقاب "بانحسي" في بردية تورين (٧٠) إذ تشير فقرة من نص اللوحة رقم ٣٥ إلى "بانحسي" على أنه: "... حامل المروحة على يمين الملك، الكاتب الملكي، قائد القوات، المشرف على الشؤون، نائب الملك في كوش، المشرف على البلاد الجنوبية، القائد، بانحسي" (٧١)

ومما تقدم يبدو ان نواب الملك في كوش هذه المنطقة المهمة للسلطة الحاكمة في مصر القديمة وعلى وجه الخصوص في عصري الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة، قد شغلوا هذه الوظيفة التشريفية وبكل احترام وتقاني، وهو ما دلت عليه النصوص الدنيوية التي أوردناها إزاء كل نائب من نواب الملوك المصريين في كوش.

رؤساء الكهنة :

حمل رؤساء الكهنة لقب حامل المروحة على يمين الملك ضمن ألقابهم منذ النصف الثاني من الأسرة الثامنة عشرة وحتى الأسرة العشرين من الدولة الحديثة ومنهم على سبيل المثال:

الكاهن الأكبر مري رع :

شغل "مري رع" منصب الكاهن الأكبر للمعبود "آتون" في عصر الملك "اخناتون" من الأسرة الثامنة عشرة، ويبدو مرجحاً أن "مري رع" ربما كان ثاني كاهن أكبر لمعبود يحمل لقب حامل المروحة على يمين الملك في الدولة الحديثة، ويظهر اللقب بين ألقاب "مري رع" مرات عديدة في مناظر ونصوص مقبرة "مري رع" بالعمارنة منها على سبيل المثال منظر (٧٢) يوجد في الجزء السفلي للحائط الشرقي للمقبرة يصور الملك "اخناتون" مصحوباً بزوجه وأثنين من بناته وعدد من رجال الحاشية وهو يكرم "مري رع"، ويظهر "مري رع" بحجم صغير أمام الملك وهو يرفع يديه إلى

أعلى بينما يقوم المشرف على الخزانة بوضع حلقات الذهب حول عنقه في حضور عدد من الأتباع من خلف "مرى رع" ويشير النص أعلى رأس "مرى رع" مباشرة إلى: " الكاهن الأكبر لآتون في معبد آتون في أخت آتون , حامل المروحة على يمين الملك, المفضل لدى سيد الأرضيين, هو يقول.....أيها الأبن الجميل لآتون لعله يمنح فترة حكمك, لعله يمنحها إلى الأبد وإلى الأبد" (٧٣)

الكاهن الأكبر با عنخ :

شغل "با عنخ" منصب الكاهن الأكبر للمعبود "آمون رع" في عصر الملك رمسيس الحادي عشر آخر ملوك الأسرة العشرين, ويظهر لقب حامل المروحة على يمين الملك بين ألقاب "با عنخ" على لوحة (٧٤) عثر عليها "مار بيت" في "أبيدوس" (٧٥) بجنوب مصر وتصور في السجل العلوي للمعبود "رع" في قاربه وفي السجل السفلي "با عنخ" يجلس على كرسي ويمسك في يده اليمنى زهرة بردي يقوم بشم رائحتها ومن أمامه مائدة قرابين ويشير النص إلى: "لروح حامل المروحة على يمين الملك, الكاتب الملكي, قائد الجيش, نائب الملك في كوش, المشرف على البلاد الجنوبية, الكاهن الأكبر لآمون, ملك الآلهة, المشرف على شونة الفرعون, من أجل روح الروح الفعالة لرع, قائد الجيش با عنخ, قائد قوات الفرعون" (٧٦)

قادة القوات العسكرية :

القائد حور محب :

كان "حور محب" صاحب المقبرة رقم ٧٨ بالبر الغربي للأقصر (٧٧) كاتباً ملكياً وقائد قوات في عصر الملك "آمون حتب الثالث" من الأسرة الثامنة عشرة, ويظهر لقب حامل المروحة على يمين الملك بين ألقاب "حور محب" في منظر (٧٨) يوجد على الجزء الشمالي من الحائط الشرقي لممر مقبرته يصوره وهو يصطاد سمك في قاربه, ويشير النص المصاحب للمنظر في جزئه الأخير إلى بعض ألقاب "حور وحب" ومنها ما جاء في النص: "...الأمير الوراثي, المقرب من سيد الأرضيين, الذي يتبع سيده في كل بلد اجنبي يطئها سواء على الماء أو على الأرض, حامل المروحة على يمين الملك, الممدوح الذي يخرج من جسد ممدوح, المشرف على الأحصنة, المشرف على مزارع آمون, المشرف على الكهنة في مصر العليا والسفلى, حور محب المبراء" (٧٩)

القائد ان حر نخت :

كان "ان حر نخت" قائد قوات في عصر الملك رمسيس الثاني من الأسرة التاسعة عشرة ويظهر لقب حامل المروحة على يمين الملك مقترناً بهذا القائد في جرافيتي^(٨٠) من جزيرة سهيل بأسوان يشير إلى: " حامل المروحة على يمين الملك, قائد النشابين "القوات", المشرف على البلاد الجنوبية, ان حر نخت المبراء"^(٨١)

القائد حكا ماعت رع نخت :

شغل هذ القائد وظيفة قائد جيش سيد الأرضين في عصر الملك رمسيس الخامس(١١٤٦ - ١١٤١ ق . م) رابع ملوك الأسرة العشرين , وظهر لقب حامل المروحة على يمين الملك ضمن القاب "حكا ماعت رع نخت" في لوحة^(٨٢) عثر عليها في منطقة القرنة بالبر الغربي للأقصر تصور في سجلها العلوى الملك رمسيس الخامس وهو يقدم قرابين للملكة "أحمس نفرتاري" والملك المؤله "آمون حتب الأول" والثالوث الطيبي, ويظهر في السجل الأوسط القائد "حكا ماعت" وأفراد أسرته ثم يظهر في السجل الثالث موكب من عشرة أفراد يتعبدون .يتضمن النص الموجود على الإطار الأيسر للوحة صيغة "حتب دى نسو" باسم المعبود "آمون رع حور اختى اتوم" , ويشير الجزء الأخير من النص إلى " لروح حامل المروحة على يمين الملك, الكاتب الملكي, القائد العظيم لجيش سيد الأرضيين, حكا ماعت رع نخت المبراء"^(٨٣)

رؤساء الخزانة :

المشرف على الخزانة بانحسى :

شغل " بانحسى" وظيفة المشرف على الخزانة في عهد الملك رمسيس الثاني من الأسرة التاسعة عشرة , وقد ظهر لقب حامل المروحة على يمين الملك بين ألقابه في نص^(٨٤) من نصوص تمثال المتحف البريطاني رقم ٣٧٧ ويشير النص الأيسر الموجود على عمود ظهر التمثال إلى : "المكرم أمام الإله الطيب, الذى يسكب السوائل لمركب - حنو, والماء ل رو- ستاو ,التابع لدى بتاح, كاهن الوعب^(٨٥) في مقصورة تاننت, كاتب مجلس الملك, الأبن الفعال لرجلاً مبراء الذى

حامل المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحريثة

(١٥٤٩ - ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح

ولدت سيدة مبررة، من أجل روح حامل المروحة على يمين الملك، لكاظم الملكى، رئيس الخزانة،
بانحسى المبراء" (٨٦)

ويشير النص الأيمن لنفس عمود الظهر إلى: "....المكرم، الذى يمتلك حياة سعيدة في منف،
مقر الحقيقة، الذى لديه دفنه ويمتلك مكاناً طيباً بجوار الذى على جبله، انوبيس (٨٧) الذى يضع
يديه على جسدك والذى يجمع عظامك للمستقبل، من أجل روح حامل المروحة على يمين الملك،
الكاظم الملكى، رئيس الخزانة، بانحسى المبراء" (٨٨)
المشرف على الخزانة سوتى :

شغل "سوتى" منصب المشرف على الخزانة في عهد الملك "رمسيس الثانى" من الأسرة التاسعة
عشرة، وقد وجد لقب حامل المروحة على يمين الملك بين ألقابه في نصوص تمثال متحف القاهرة
CG.42172 (٨٩) وعلى القدم اليمنى للتمثال نقراً: "حامل المروحة على يمين الملك، الكاظم
الملكى، قائد جيش سيد الأرضيين، "سوتى" المبراء"، وعلى القدم اليسرى نقراً: "حامل المروحة
على يمين الملك، الكاظم الملكى، المشرف على خزانة سيد الأرضيين "سوتى" المبراء" (٩٠).

بالإضافة إلى رجال الدولة السابق الإشارة إليهم وغيرهم ممن لم يأتي ذكرهم في هذا البحث من
كبار الإداريين والسياسيين والعسكريين ورجال الكهنوت الذين أداروا شئون الدولة، ظهر لقب حامل
المروحة على يمين الملك في الدولة الحديثة بين ألقاب عدد من رجال البلاط الملكى الذين كانوا
بحكم عملهم على اتصال مباشر وصريح بالملك وخدمته الشخصية في القصر الملكى ومنهم على
سبيل المثال :

المشرف على القصر الملكى قن آمون : (٩١)

شغل "قن آمون" وظيفة المشرف على القصر الملكى فى عصر الملك " آمون حتب الثانى" من
الأسرة الثامنة عشرة ومن الجدير بالذكر أن "قن آمون" كان أماً بالرضاعة للملك " آمون حتب
الثانى" نفسه، ويظهر لقب حامل المروحة على يمين الملك بين ألقاب "قن آمون" في مواضع
كثيرة بمقبرته رقم ٩٣ بالبر الغربى لمدينة الأقصر (٩٢) ومنها منظر (٩٣) يوجد على الجزء الشمالى
للحائط الغربى للصالة الخارجية للمقبرة يصور الملك "آمون حتب الثانى" وهو يجلس على حجر

حامل المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحريثة

(١٥٤٩ - ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح

المرضعة الملكية " أمون ام ابنت " (أم قن آمون) بينما يقف أمامهما "قن آمون" ممسكاً بمروحة في يده اليمنى و "بح سوخر" الذي يمد بمروحة أخرى تجاه الملك , ثم تظهر خلفهما خادمتين وعازفة موسيقية ويعلو رأس " قن آمون" نص نقراً فيه : " الأمير الوراثي, عينين ملك مصر العليا وأذنين ملك مصر السفلى, الذي تعمل روحه لسيد الأرضيين, حامل المروحة على يمين الملك, الذي يزين حورس محبوبه, الشخص الذي يعمل الكبار له الطاعة لكونه ممدوحاً, المشرف على أبقار نفرت الخاصة بأمون, المشرف على ماشية مصر العليا والسفلى, المشرف على المنزل الكبير "القصر" الخاص بالملك , قن آمون " (٩٤).

حامل الكأس الملكي رمسيس وسر بحتي :

شغل " رمسيس وسر بحتي" وظيفة حامل الكأس الملكي في عصر الملك "مرنبتاح" من الأسرة التاسعة عشر , وقد ظهر لقب حامل المروحة على يمين الملك ضمن ألقابه في نصوص تمثال متحف القاهرة رقم ١٢٠٨^(٩٥) ويصور هذا التمثال المعبود " اوزيريس" (الرأس مفقودة) جالساً على العرش ويقف بجوار قدمه اليمنى الملك " مرنبتاح" وبجوار القدم اليسرى الملك " رمسيس الثاني" وعلى عمود ظهر التمثال يقرأ السطر الأيسر فيه: .. لعله يعطى خبز وماء ولبن لحامل المروحة على يمين الملك, حامل الكأس الملكي لسيد الأرضيين, رمسيس وسر بحتي المبراء" (٩٦).

كاتب الخطابات الملكي أمون ام اينت :

شغل " أمون ام اينت" هذه الوظيفة في عهد الملك " رمسيس الثاني" وقد ظهر لقب حامل المروحة على يمين الملك بين ألقابه في نص من نصوص تمثال له يوجد بمتحف الهيروميثاج تحت رقم ١١^(٩٧) ويشير نص فيه إلى: " قربان يقدمه الملك إلى بتاح العظيم, المقيم جنوبي جداره, لعله يعطني المديح في وجوده يوماً من أجل روح حامل المروحة على يمين الملك, الكاتب الملكي, رئيس خزانة سيد الأرضيين, الكاتب الملكي والمشرف على البيت العظيم "القصر" في معبد وسر ماعت رع ستب ان رع في معبد آمون, الرسول الملكي الذي يحمل نفس الحياة, الذي يمكنه الدخول إلى سيده في كل الأوقات وفمه سليم محملاً بالحقيقة, الكاتب الملكي أمون ام اينت" (٩٨)

كاتب خطابات الملك رمسيس وسر حر خبش :

شغل هذا الكاتب وظيفة كاتب خطابات الملك في عصر الملك رمسيس الرابع (١١٥٣ - ١١٤٦ ق . م) من الأسرة العشرين , ويظهر لقب حامل المروحة على يمين الملك مقترناً بألقابه على لوحة توجد بمتحف جامعة لندن ^(٩٩) إذ يشير النص إلى : "حامل المروحة على يمين الملك ,كاتب خطابات سيد الأرضيين, رئيس خزانة الجنوب والشمال ,رمسيس وسر حر خبش المبراء" . (١٠٠)

المبعوث الملكي مين نخت :

شغل " مين نخت" هذه الوظيفة في عصر الملك " رمسيس الثاني " من الأسرة التاسعة عشرة وقد ظهر لقب حامل المروحة مقترناً باسمه في جرافيتي ^(١٠١) يوجد على الطريق بين جزيرة فيله وأسوان يظهر "مين نخت" راكعاً أمام الملك " رمسيس الثاني " الجالس على العرش ويرفع " مين نخت" يده اليمنى في وضع تعبد ويمسك بيده اليسرى مروحة ويقراً النص من أمام وخلف " مين نخت" على النحو التالي: "حامل المروحة على يمين الملك, المبعوث الملكي لكل بلد اجنبي, قائد نشابين كوش, مين نخت" ^(١٠٢) .

ومما تقدم يبدو بالدليل القاطع عن طريق ما سقناه من نصوص دنيوية , احتفظت بها الآثار الباقية من تماثيل وغيرها موجودة اليوم في اكثر من متحف , ان لقب حامل المروحة على يمين من الملك كان لقباً تشريفياً مهماً حرص رجالات الدولة على حمله ضمن القابهم .

الخاتمة

- ظهر لقب حامل المروحة على يمين الملك في عهد الملك " آمون حتب الثاني " سابع ملوك الأسرة الثامنة عشرة من عصر الدولة الحديثة , واستمر في عصور اكثر من أسرة فرعونية , ولا سيما الأسرة التاسعة عشرة والأسرة العشرين .
- حمل لقب حامل المروحة على يمين الملك في عصور الدولة الحديثة عدد من علية القوم من كبار رجالات الدولة ادارياً وسياسياً ودينياً وعسكرياً واقتصادياً الذين حملوا مسؤولية ادارة شئون الدولة .

حامل المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحديثة

(١٥٤٩ - ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح

- حمل لقب حامل المروحة على يمين الملك عدد من رجال البلاط الملكي الذين كانوا على اتصال شخصي ومباشر بالملك .
- ظهر لقب حامل المروحة على يمين الملك بين ألقاب عدد من أمراء البيوت الملكية للدولة الحديثة, وهو دليل على أهمية هذا اللقب وبالتالي أهمية حامله تشريفاً.
- تولى ثلاثة من الذين حملوا لقب حامل المروحة على يمين الملك العرش في عصر الدولة الحديثة, ربما أكسبتهم هذه الوظيفة الخبرة اللازمة لتولي عرش البلاد , بسبب القرب من الملك أثناء القيام بمثل هذه الوظيفة .
- لقب حامل المروحة على يمين الملك هو لقب تشريفي وليس لقب وظيفي يشير إلى مكانة حامله لدى الملك وليس مكان حامله .
- يظهر شكل تصويري لحامل المروحة على يمين الملك خاصة بين نواب الملك في كوش يصوره حاملاً مروحة في احد يديه, مما يعطي دليلاً واضحاً على وجود هذه الوظيفة أو اللقب التشريفي في الحضارة المصرية القديمة , ولا سيما في العصر الإمبراطوري .
- كثرة النصوص الدنيوية التي تشير إلى حاملي لقب حامل المروحة على يمين الملك , تدل على دلالة واضحة على الاهتمام الكبير بهذا اللقب لمن حمله من رجالات الدولة والبلاط والكهنوت .

الهوامش :

¹-A.R.Al-Ayedi,"Index of Egyptian Administrative, Religious and Military Titles of the New Kingdom",Beirut,2006,p.659 no.2127

2- G.Reisner,"The Viceroys of Ethiopia (Continued)", in JEA 6,1920,p.81

3- W.Helck,"Zur Verwaltung Des Mittleren und Neuen Reiches",Leiden,1958,p.282

٤- محمد أحمد السيد حسون, وظائف وموظفو القصر الملكي حتى نهاية الدولة الحديثة, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الآثار, (جامعة القاهرة , ١٩٩٠) , ص ٤٤٢

جامع (المروحة على يمين) الملك في مصر (القديسة من عصر الدولة الحديثة)

(١٥٤٩ - ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح

٥- كوش : اسم أطلقه المصريون القدماء على بلاد النوبة العليا , ويحتمل ان (كرما) كانت عاصمة لها قبل عصر الدولة الوسطى , وكان يسكن في هذه البلاد قبل عصر الانتقال الأول اقوام محاربون شكلوا خطراً يهدد سلامة مصر في الجنوب مما دعى ملوك الأسرة الثانية عشرة إلى توجيه الحملات اليها وبسط سلطتهم عليها وأقاموا مجموعة من الحصون وعدداً من المراكز التجارية , وفي عصر الدولة الحديثة كان يحكمها حاكم من قبل الفرعون يلقب " الابن الملكي في كوش " . ينظر : أديب , سمير , موسوعة الحضارة المصرية القديمة , ط ١ , العربي للنشر والتوزيع , (القاهرة , ٢٠٠٠) , ص ٦٩٢ .

٦- الرعامسة : كلمة تطلق على المدة التي بلغت حوالي (١٣٤) عاماً , والتي تكون الجزء الثاني من الدولة الحديثة , وتطلق أيضاً على ملوك هذه الحقبة من فراعة الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين , وهذه اللفظة مشتقة من اسم (رمسيس) وهما كلمتين اغريقيتين مأخوذتان من الاسم المصري (رعمسو) أي " الإله رع هو الذي خلفه " . ينظر : المصدر نفسه , ص ٤٥٢ .

٧- رمسيس الثاني : احد اشهر ملوك مصر القديمة, من الأسرة التاسعة عشرة , وكان يلقب ب (رمسيس الأكبر) وهو صاحب اكبر مدة حكم بلغت ب ٦٧ عاماً, واعظم ملوك مصر القديمة من حيث الآثار التي باسمه . للمزيد من المعلومات ينظر: فكري, وائل, موجز موسوعة مصر القديمة, ط١, مكتبة مدبولي, القاهرة, ٢٠٠٩, ص ٣٧٩ .

٨- رمسيس الثالث: وهو احد ملوك مصر القديمة من الأسرة العشرين, والذي كان احد كبار الضباط في الجيش من هذه المدة, اغتصب العرش بالقوة, وحكم مصر لمدة لا تقل عن العامين, توفي بعدها ودفن في مقبرة (تاوسرت) التي اغتصبها لنفسه لتكون مقره الأبدي. للمزيد ينظر: أديب, سمير , موسوعة الحضارة المصرية القديمة , ص ٤٥٧ .

9- -Urk IV,1997(5)

10-Urk IV,2044(19) - ويعد هذا الملك احد ملوك الأسرة الثامنة عشرة في مصر القديمة , ويعد أول ملك شرعي بعد الملك (امنحوتب الثالث) , كما كان هذا الملك اليد المحركة في عهد الملك (آي) , وكان يشغل وظيفة القائد الأعلى للجيش المصرية , فاستطاع بسهولة من ان يعتلي العرش بعد وفاة الملك (آي) لعدم وجود وريث شرعي , واستطاع من ان يكسب شرعيته عن طريق زواجه من الأميرة (موت نجمت) اخت الملكة (نفرتيتي) . للمزيد ينظر : المصدر نفسه , ص ٣٨٢ .

11- -W.Helck,Op.cit,p.283

١٢ - محمد أحمد السيد حسون ,وظائف وموظفو القصر الملكي ,ص ٤٣٨

13- -KRI I,p.283-284;W.Helck,Op.cit,p.311

14- -A.Mariette,"Abydos-II",Paris,1880,pl.56(d);KRI I,p.283(13);RITA I,p.232;L.Borchardt,"Statuen und Statuetten von Konigen und Privatleuten-IV",Berlin,1934,p.76-78,pl.164(top left)

51- Ibid , 165 .

جامل (المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحديثة

(١٥٤٩ - ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح

16- KRI I,p.285-301;KRI III,p.1-36;W.Helck,Op.cit,p.311-315;M.Rice,"Who's Who in Ancient Egypt",London,1999,p.146-147(لوحة ١)

17- -PM I¹,p.221(4);KRI I,p.286(11);RITA I,p.233-234

١٨- نخن : هو الاسم المصري القديم لعاصمة مصر العليا (الصعيد) فيما قبل الوحدة , وعاصمة مصر الموحدة في عصر التأسيس (الأسرة الأولى والثانية) , ومعنى اسم نخن (الحصن) أو (طفولة الرب) ثم عرفت في العصر الإغريقي باسم (هيراقونبوليس) بمعنى (مدينة الصقر) أي مدينة الإله (حور) , ويعرف موقع المدينة الحالي باسم (الكوم الأحمر) على بعد ١٧ كم شمال (إدفو) ٩ في محافظة (أسوان) . للمزيد ينظر : مهرا ن , محمد بيومي, المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم, دار المعرفة الجامعية, (القاهرة, ب, ت), ص ١٣ .

19- E , Naville , the XI , p . 12 .

20- -KRI III,p.18(9);RITA III,p.15:E.Naville,"The XIthDynasty Temple at Deir El-Bahari-III",London,1913 ,pl.X B(e)

٢١- - ورت حكاو : وهي إحدى آلهات مصر القديمة والتي كثيراً ما تصور على هيئة حية , دلالة على القوة , كما تعرف في النصوص المصرية القديمة بانها (عظيمة السحر) , وهي على وفق الفكر الديني المصري القديم تجسيد لقوى الخارقة للطبيعة . ينظر :

Hart, George, The Routledge Dictionary of Egyptian Gods and Goddesses, 2nd. ed, (London and New York, 2005, p163.

22- W . Spiegeiberg , Graffiti aus der , p 192 .

٢٣- بالإنجليزية (Graffiti) : هي تلك الرسومات أو الأحرف على الجدران أو الأشياء بطريقة غير مرغوب فيها أو بدون إذن صاحب المكان . ينظر : E ., Naville , the Dynasty , p . x .

٢٤- حاتحور : هي واحدة من أقدم الإلهات التي عبدها المصريون القدماء , وتم رسمها منذ البداية حتى العصر الروماني في النقوش الجنائزية وكتب الموتى على هيئة بقرة , إلى جانب أشكالاً أخرى لها , والتي وردت في اللغة المصرية القديمة بهيئة (حيت - حيرت) ومعنى اسمها (منزل الاعالي) . للمزيد ينظر : والاس , بدج , آلهة المصريين , ترجمة محمد حسين يونس , مكتبة مدبولي , (القاهرة , ١٩٩٨) , ص ٥٠٣ .

25- -KRI III,p.22(11);RITA III,p.17-18;W.Spiegelberg,"Graffiti aus der ThebanischenNekropois- I",Heidelberg,192,p.3,no.2

26- KRI IV,p.83-83;W.Helck.Op.cit,p.325-326

27- -KRI IV,p.85(5);RITA IV,p.69;B.Bruyere,"Rapport sur Les Fouillies de Deir El-Medineh 1935-1940 -II",Le Caire,1952,p.111,no.253,,fig.186

28- - Ibid , p . 189 .

29- -KRI V,p.376-378;W.Helck,Op.cit.p.328-329

30- -KRI V,p.377;RITA V,p.312;B.Bruyere,Op.cit,p.40 no.91,54-55,pl.XXIX

Ibid , p . 55 . 31-

32- Ibid , p . 56 .

33- -KRI V,p.378-380;W.Helck,Op.cit,p.330-333;M.Rice,Op.cit,p.199 (لوحة ٢)

٣٤- - الإله بتاح: هو أهم وأقدم المعبودات المصرية القديمة , إذ ترجع الشواهد التي تدل على وجوده إلى الأسرة الأولى على أقل تقدير , وهو اعظم معبودات مدينة (منف) وهو رأس ثالوثها (بتاح- شخمت- نفرتوم), وهو إله الفنون والحرف, ويعني اسمه, الباني) وأصل الكلمة تعني (الفتاح, الفتاح), ويصور على هيئة أنسان برداء محبوك. للمزيد ينظر: نور الدين, عبد الحليم, الديانة المصرية القديمة (المعبودات), ط٢, (القاهرة, ٢٠١٠), ج١, ص١٤٨-١٤٩ .

٣٥- الإلهة مرت سجر : واحدة من إلهات مصر القديمة , والتي كانت توصف عادة بانها تحب السكون , وهي حامية جبانة طيبة , وقد مثلت على هيئة ثعبان أو امرأة برأس ثعبان , وكثيراً ما مزج بينها وبين الإلهة (حتحور) , ومن أهم القابها (سيدة الغرب) . ينظر : ياروسلاف , تشرني , الديانة المصرية القديمة , ترجمة احمد قدرى , مراجعة محمود ماهر طه , ط١ , دار الشروق , (القاهرة , ١٩٩٦) , ص ٢٣٥ .

36- -PM I²,p.707a;KRI V,p.380A;RITA V,p.313 A;B.Bruyere,"MertSeger A Deir El-medineh",Le Caire ,1929,p.14,fig.10

37- -PM I²,p.707b;KRI V,p.380B;RITA V,p.313 A;B.Bruyere,Op.cit,p.15,fig.11

38 - Ibid , p . 16 ٣ لوحة

39- -L.Habachi,"Konigessohn von Kusch", in LA III,cols.630-640;G.Reisner,"The Viceroy of Ethiopia", in JEA 6,1920,p.28-55;J.A.Taylor,"An Index of Male Non-Royal Egyptian Titles ,Epithets & Phrases of the 18th Dynasty",London,2001,p.193,no.1887(

لوحة ٤

٤٠- - كما أطلق اسم كوش من قديم الزمان على جزء من منطقة النوبة يشمل المنطقة جنوب الشلال الثاني والتي تمثل بلاد النوبة العليا, حيث قامت حضارة وادي النيل النوبية الكوشية و بدأ الحكم الكوشي في النوبة بعد انهيار العصر البرونزي وتفكك المملكة المصرية الحديثة . تمركزت كوش في نبتة) الآن كريمة, السودان (خلال مرحلتها الأولى. تأثرت المملكة الكوشية بشكل كبير بمصر القديمة ثقافياً واقتصادياً وسياسياً وعسكرياً. بعد أن امتدت سيطرة كاشتا" الكوشي" إلى مصر العليا في القرن الثامن قبل الميلاد وتمكن خلفائه من السيطرة على مصر السفلى بعد ذلك, أصبح ملوك كوش أيضاً فراعنة الأسرة الخامسة والعشرين في مصر لنحو قرن من الزمن, حتى هزمتهم الإمبراطورية الآشورية الحديثة تحت حكم آشوربانيبال, وطردهم من مصر الفرعون إيسماتيك الأول . ينظر :

جامع المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحريثة

(١٥٤٩ - ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح

Gardiner , A. H., The Ancient Military Road Between Egypt and Palestine In. JEA . 6 (UK , London , 1920) , p . 121 .

41- - G.Reisner,,"The Viceroy of Ethiopia (Continued)", in JEA 6,1920,p.73-88,pl.IX

42- -G.Reisner,"The Viceroy of Ethiopia", in JEA 6,p.33-34

43- -LDT V,p.244;Urk IV,p.1933

44 - LDT V, P . 244 .

45- -M.Rice,Op.cit,p.72-73;G.Reisner,Op.cit,p.35-36

46 - Ibid . p 36 .

٤٧- نور الدين, عبد الحليم, آثار وحضارة مصر القديمة, ط٧, دار مكتبة الشروق, (القاهرة, ٢٠٠٨), ص٧١٧.

48- -PM I¹,p.77(11);N.G.Davies,"The Tomb of Huy Viceroy of Nubia in the Reign of Tutankhamun (No. 40)",London,1926,p.28-30,pl.XIX-XX

49 - Ibid, p. xlx-xx.

(لوحة ٥)

50- KRI III,p.77-79

51 -KRI III,p.79(15-16);RITA III,p.55;L.Habachi,"Four Objects belonging to Viceroy of Kush and Officials Associated with Them", in Kush 9,1961,p.219 ff,fig.5,pl.XXIX

52 -kRA, p. 111 لوحة ٦

53 -KRI III,p.78(5);RITA III,p.40;J.Morgan,"Catalogue des Monuments et Inscriptions de L`Egypte Antique-I",Vienne,1894,p.84,no.8;L.Habachi,"The Graffiti and Work of the Viceroy of Kush in the Region of Aswan", in Kush 5,1957,p.29,no.26,pl.VIII,no.26

54 - KRI III,p.77(16);RITA III,p.40;J.Morgan,Op.cit,p.27,no.205;L.Habachi,Op.cit,p.28,fig.10,no.25٧ لوحة

55 - Ibid , p . 25 . لوحة ٨

56- KRI III,p.80-112;G.Reisner,Op.cit,p.41-43

57- KRI III,p.82(10-11);RITA III,p.57;L.Borchardt,Op.cit-III,p.137

58 - KRA , p . 84 .

59 -KEI III,p.91(13-15);RITA III,p.63;M.A.Bardanti&H.Gauthier,"Steles Trouvees A OuadiEs-Saboua (Nubia)",in ASAE 11,1911,p.77-81;H.Gauthier,Le Temple de OuadiEs -Seboua-II",Le Caire,1912,pl.66A

60 - Ibid , p . 67 .

جامل المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحديثة

(١٥٤٩ - ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح

- 61 -KRI IV,p.93-96;G.Reisner,Op.cit,p.47
- 62 -KRI IV,p.94(10);RITA IV,p.75;H.Ricke,G.R.Hughes &E.F.wenti,"The Beit El-wali Temple of Ramesses II", Chicago ,1967 ,p.23,pl.21
- 63 - Ibid , p . 22 . لوحة ٩
- 64 -KRI IV,p.363-364;G.Reisner,Op.cit,p.48
- ٦٥ - فكري , وائل , موجز موسوعة مصر القديمة , ص ٤٥٣ .
- 66 -KRI IV,p.363-364;RITA IV,p.264;J.Morgan.Op.cit,p.28,no.6
- 67 - KRI , lv , p . 364 . لوحة ١٠
- 68- KRI VI,p.8842-843;RITA VI,p.576;G.Reisner,Op.cit,p.51
- 69- J.Lieblein,"Les Recits de Recolte Dates DansL`AncienneEgyptecomme Elements Chronologiques", in Rec Trav I,p.141-142
- 70 -KEI , lv , p . 365 .
- 71- -N.G.Davies,"The Rock Tombs of El Amarna - I",London.1903,p.36,pl.XXX
- 72 - N , G ., Davies , The Rock , p . 36 . لوحة ١١
- 73 -KRI VI,p.848(15);RITA VI,p.581;Mariette,"Abydos- II",Paris,1880,pl.57
- ٧٤- ابيدوس : هي مركز من مراكز الحضارة النقادية القديمة , في مصر القديمة , ويسمى هذا الإقليم في اللغة المصرية القديمة ب " تا - ور " بمعنى الأرض العظيمة أو البلد الكبير , وكانت عاصمته " نتي " . للمزيد من المعلومات ينظر : مهراڻ , محمد بيومي , المدن الكبرى , ص ٨٠ .
- 75 - KRI , vl , p . 848 . لوحة ١٢
- 76 - PM I1,p.152-156
- 77 -PM I1,p.155(13);Urk IV,1594(7-14);U.Bouriani,"Tombeau de Harmhabi",in MMAF 5,2,p.429,pl.VI
- 78- Ibid , p . 430 . لوحة ١٣
- 79 --KRI III,p.116(3);RITA III,p.79;L.Habachi,"The Owner of Tomb No.282 in the Theban Necropolis", in JEA 54,1968,p.107-113,fig.2a
- 80 - KRI , III , p . 117 . لوحة ١٤
- 81 -KRI VI,p.231(12);RITA VI,p.180
- 82 - KRI , vl , p . 180 .
- 83 -PM I²,p.790;KRI III,p.137(3,5);RITA III,p.92-93;F.Arundole&J.Bonomi,"Gallery of Antiquities Selected from the British

جامع المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحريثة

(١٥٤٩ - ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح

Museum",London,1842,p.122.fig.56;M.L.Bierbrier,"Hieroglyphic Texts From Egyptian Stelae-10",London,1982,p.22,pls.49-51

٨٤- كاهن وعب : وهو احد أصناف الكهنة في مصر القديمة , ويعني اسمه المطهر أو المتطهر , وقد مثل في اللغة المصرية القديمة بعلامة رجل يصب الماء على يديه وهي إشارة إلى الطهارة التي يجب ان يكونوا عليها هؤلاء الكهان , وكان من اهم واجباته التحقق من زكاة حيوانات الأضاحي المذبوحة عن طريق شم رائحة دم الذبيحة قبل ان توضع قطع اللحم على موائد القرابين . ينظر : الفغالي , الخوري بوليس , الكهنة والكهنوت في الكتاب المقدس , الرابطة الكتابية , (لبنان , ١٩٩٩) , ص ١٧ .

لوحة ١٥ . 790 . p . ١² , PM - 85

٨٦- انوبيس : هو احد اهم الآلهة المصرية القديمة , مثله المصريون على شكل كلب يربض على قاعدة تمثل واجهة المقبرة أو في وضع مزدوج متقابل , ومثل كذلك على هيئة أنسان برأس كلب , ويعد حامياً وحارساً للجبانة , واتخذ كذلك صفة المحنط لأنه قام بتحنيط جثة الإله " اوزيريس " , وكانت الإلهة " نتفتيس " إماً له . ينظر : ياروسلاف , تشرني , الديانة المصرية القديمة , ص ٢٢٤

87 - Ibid , p . 790 .

88 -KRI III,p.141(10-11);RITA III,p.95;M.G.Legrain,"Statuues et Statuettes de Rois et de Particuliers-II",Le Caire,1909,p.38-39,pl.XXXVI

89 - Ibid , p . 39 .

90 -M.Rice,Op.cit,p.91

91 -PM II,p.190-194

92 --PM II,p.192(16);Urk IV,p.1395(15-19);N.G.Davies,The Tomb of Ken-Amun at Thebes - I",New york,1930,p.19-20,pl.IX

لوحة ١٦ . 192 . p . 11 , PM - 93

94 -KRI IV,p.102(6);RITA IV,p.80;L.Borchardt,Op.cit-IV,p.108,pl.180 top left

لوحة ١٧ . 108 . p . Ibid - 95

96--KRI III,p.210-211(4-5);RITA III,p.148;J.Lieblein,"Die AgyptrischenDenkmaler in St.PetersburgHelsingfors,Upsala und Copenhagen",Christiania,1873,p.4-5,pl.1,1-3

1874 . p . Ibid - 97

98 -KRI VI,p.86-87(1);RITA VI,p.78;W.F.Petrie,"Scarabs,Cylinders with Names",

87 . p . Ibid - 99

100 L.Habachi,Op.cit,p.112,fig.4

101 - Ibid , p . 113. لوحة ١٨

جامل المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحريثة
(١٥٤٩ - ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح

الملاحق :



لوحة ٢

تمثال الوزير حورى
عصر الملك رمسيس الثالث
نقلا عن :-

B.Bruyere,"Rapport sur Les Fouilles de
Deir El-Medineh 1935-1940 -II",Le
Caire,fig.186



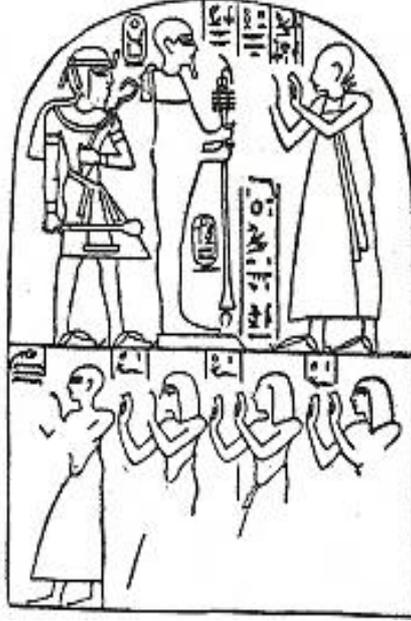
لوحة ١

تمثال الوزير نبأمون CG 1140
عصر الملك سيتي الأول
نقلا عن :-

L.Borchardt,"Statuen und Statuetten von
Konigen und Privatleuten-
IV",Berlin,1934,pl.164

جامل المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحريثة
(١٥٤٩ - ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح



لوحة ٤

الوزير تاو

عصر الملك رمسيس الثالث

نقلا عن:-

B.Bruyere,"Mert Seger A Deir El- medineh",Le Caire ,1929,fig.11



لوحة ٣

الوزير تاو

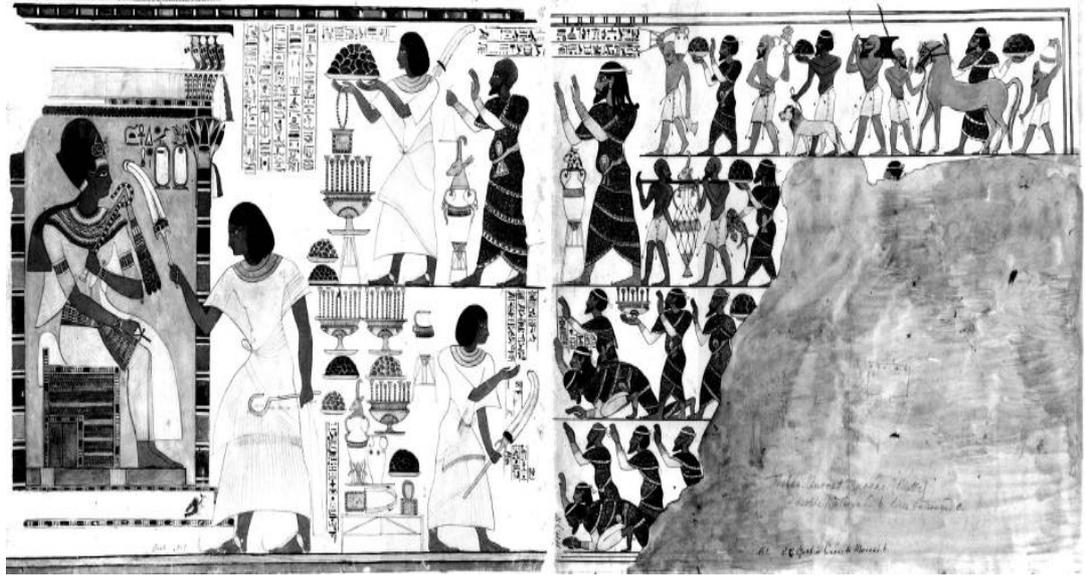
عصر الملك رمسيس الثالث

نقلا عن:-

B.Bruyere,"Mert Seger A Deir El- medineh",Le Caire ,1929,fig.10

جامل المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحديثة
(١٥٤٩ - ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح



لوحة ٥

مقبرة نائب الملك في كوش حوى TT 40

عصر الملك توت عنخ أمون

نقلا عن :-

N.G.Davies, "The Tomb of Huy Viceroy of Nubia in the Reign of Tutankhamun (No. 40)", London, 1926, pl. XIX

جامع المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحريثة
(١٥٤٩ - ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح



لوحة ٦

لوحة برلين رقم ١٧٣٣٢ نائب الملك في كوش حوى

عصر الملك رمسيس الثانى

نقلا عن :-

L.Habachi,"Four Objects belonging to Viceroys of Kush and
Officials Associated with Them", in Kush 9,1961,fig.5

جامل المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحديثة

(١٥٤٩ - ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح



لوحة ٨

جرافيتي طريق أسوان نائب الملك في كوش حوى
عصر الملك رمسيس الثانى
نقلا عن :-

J.Morgan,"Catalogue des Monuments et
Inscriptions de L`Egypte Antique-
I",Vienne,1894,p.27,no.205

لوحة ٧

جرافيتي جزيرة سهيل نائب الملك في كوش حوى
عصر الملك رمسيس الثانى
نقلا عن :-

J.Morgan,"Catalogue des Monuments et
Inscriptions de L`Egypte Antique-
I",Vienne,1894,p.84,no.8

جامل المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحديثة

(١٥٤٩ - ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح



لوحة ١٠

جرافيتي طريق الشلال نائب الملك في كوش سيتي
عصر الملك سبتاح

نقلا عن :-

J.Morgan,"Catalogue des Monuments et
Inscriptions de L`Egypte Antique-
I",Vienne,p.84,no.8

لوحة ٩

جرافيتي معبد بيت الوالي نائب الملك في كوش مس
وى

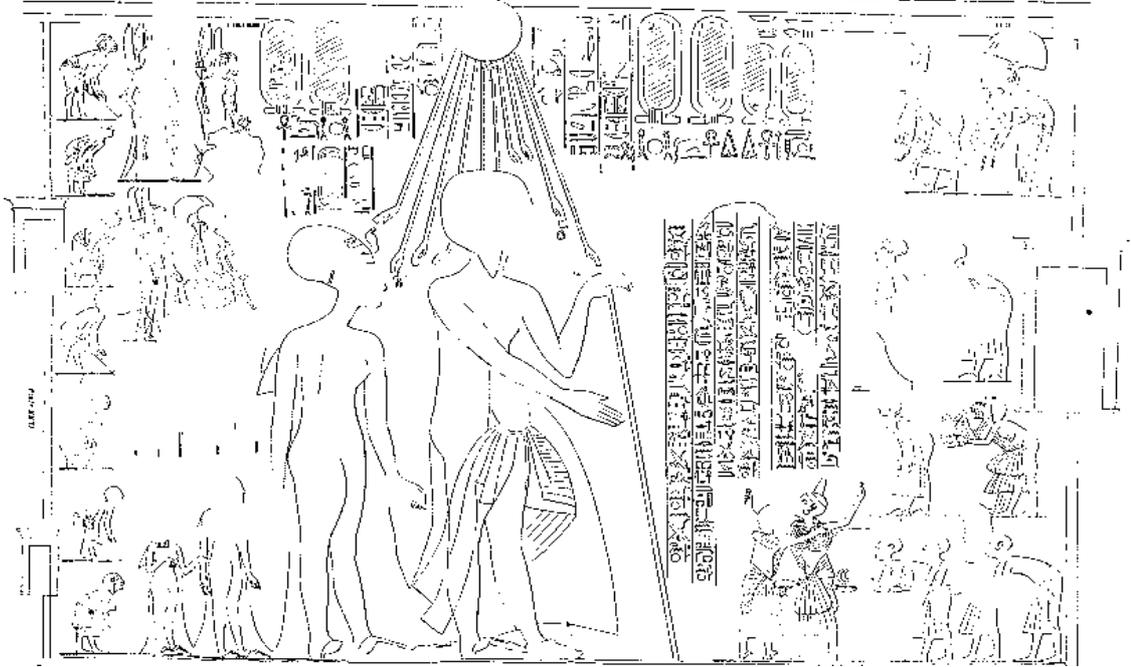
عصر الملك مرنبتاح

نقلا عن :-

H.Ricke,G.R.Hughes& E.F.wenti,"The
Beit El-wali Temple of Ramesses II",
Chicago ,1967,pl.21

جامل المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحديثة
(١٥٤٩ - ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح



لوحة ١١

مقبرة الكاهن الأكبر مري رع بالعمارنة

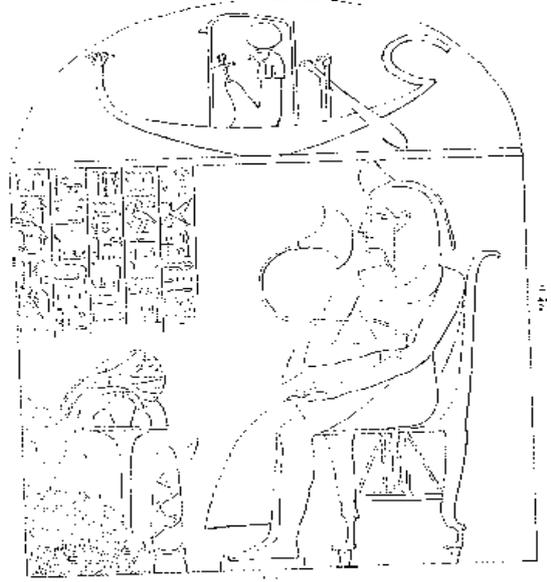
عصر الملك اخناتون

نقلا عن :-

N.G.Davies, "The Rock Tombs of El Amarna – I", London.1903,pl.XXX

جامل المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحريثة
(١٥٤٩ - ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح



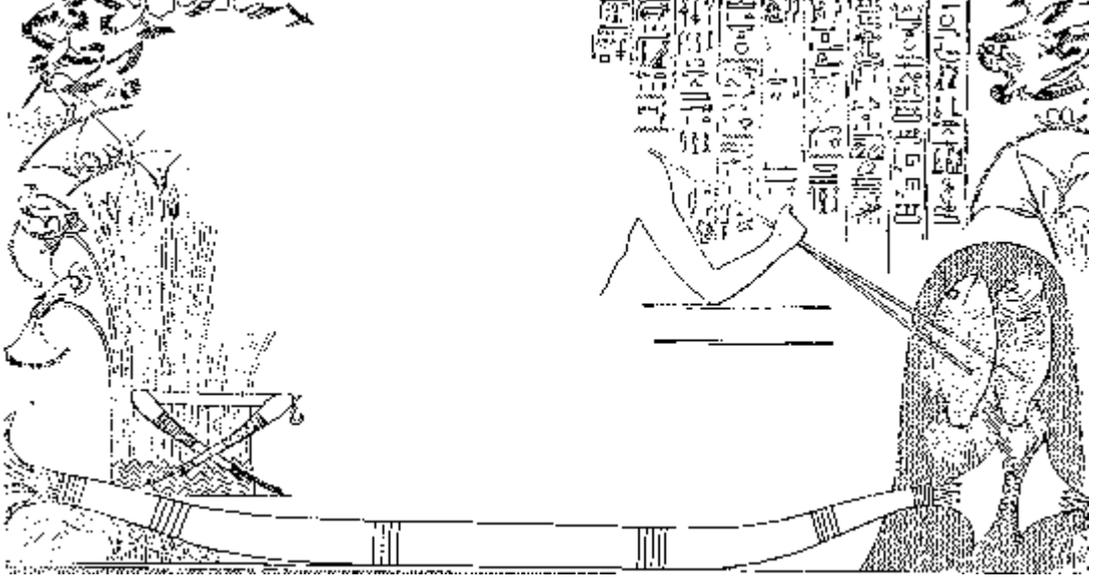
لوحة ١٢

با عنخ الكاهن الأكبر لأمون
عصر الملك رمسيس الحادي عشر
نقلا عن :-

Mariette, "Abydos- II", Paris, pl.57

جامل المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحديثة
(١٥٤٩ - ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح



لوحة ١٣

القائد حور محب

عصر الملك امون حتب الثالث

نقلا عن:-

U.Bouriani,"Tombeau de Harmhabi",in MMAF 5,2,pl.VI

جامل المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحديثة
(١٥٤٩ - ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح



لوحة ١٤

جرافيتي القائد ان حرنخت
عصر الملك رمسيس الثاني
نقلا عن:-

L.Habachi,"The Owner of Tomb No.282
in the Theban Necropolis", in JEA
54,1968,fig.2a

جامل المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الرولة الحريشة
(١٥٤٩ - ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح



لوحة ١٥

المشرف على الخزانة بانحسى

عصر الملك رمسيس الثانى

نقلا عن :-

M.L.Bierbrier, "Hieroglyphic Texts From Egyptian
Stelae-10", London, 1982, pls. 49-51

جامل المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحديثة
(١٥٤٩ - ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح



لوحة ١٦

المشرف على القصر الملكي قن أمون

عصر الملك أمون حتب الثاني

نقلا عن :-

N.G.Davies, The Tomb of Ken-Amun at Thebes – I, New York, 1930, pl. IX

حامل المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحديثة
(١٥٤٩ - ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح



لوحة ١٧

تمثال لحامل الكاس الملكي رمسيس وسر بحتى
عصر الملك مرنبتاح

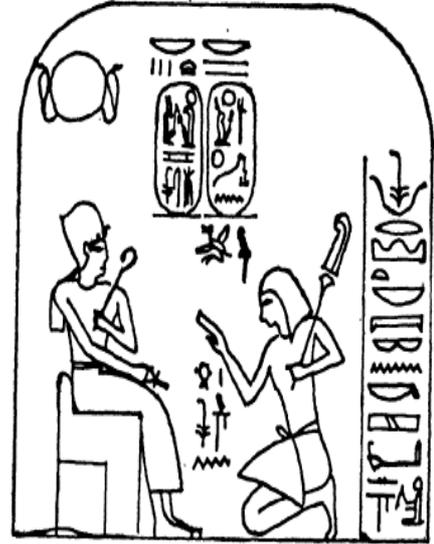
نقلا عن :-

L.Borchardt,"Statuen und Statuetten von Konigen und
Privatleuten-IV",Berlin,1934,pl.180 top left

جامل (المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الرولة الحريشة

(١٥٤٩ - ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح



لوحة ١٨

جرافيتي مين نخت المبعوث الملكي

عصر الملك رمسيس الثاني

نقلا عن :-

L.Habachi,"The Owner of Tomb No.282 in the Theban Necropolis", in JEA 54,1968,fig.4

قائمة المصادر والمراجع :

اولاً : المصادر العربية والمعربة :

- أديب , سمير , موسوعة الحضارة المصرية القديمة , ط ١ , العربي للنشر والتوزيع , (القاهرة , ٢٠٠٠) .
- الفغالي , الخوري بوليس , الكهنة والكهنوت في الكتاب المقدس , الرابطة الكتابية , (لبنان , ١٩٩٩) .
- فكري , وائل , موجز موسوعة مصر القديمة , ط ١ , مكتبة مدبولي , (القاهرة , ٢٠٠٩) .
- محمد , احمد السيد حسون , وطائف وموظفو القصر الملكي حتى نهاية الدولة الحديثة , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآثار , (جامعة القاهرة , ١٩٩٠) .

حامل المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحريثة

(١٥٤٩ – ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح

-
-
- مهران , محمد بيومي , المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم , دار المعرفة الجامعية (القاهرة , ب , ت) .
 - نور الدين, عبد الحلیم, الديانة المصرية القديمة (المعبودات), ط٢, (القاهرة, ٢٠١٠), ج ١.
 - نور الدين, عبد الحلیم, آثار وحضارة مصر القديمة, ط١, مكتبة الشروق, (القاهرة, ٢٠٠٨)
 - والاس, بدج, آلهة المصريين, ترجمة محمد حسين يونس, مكتبة مدبولي, (القاهرة, ١٩٩٨).
 - ياروسلاف , تشرني , الديانة المصرية القديمة , ترجمة اخمد قدري , مراجعة محمود ماهر طه , ط١ , دار الشروق للنشر , (القاهرة , ١٩٩٦) .

ثانياً : المصادر الأجنبية :

- A.Mariette,"Abydos-II", (Paris,1880) .
- A.R.Al-Ayedi,"Index of Egyptian Administrative, Religious and Military Titles of the New Kingdom", (Beirut,2006) .
- B.Bruyere,"MertSeger A Deir El-medineh",Le (Caire ,1929) .
- B.Bruyere,"Rapport sur Les Fouillies de Deir El-Medineh 1935-1940 -II",Le (Caire,1952) .
- E.Naville," The XIth Dynasty Temple at Deir El-Bahari-III", (London,1913) .
- F.Arundole&J.Bonomi,"Gallery of Antiquities Selected from the British Museum", (London,1842) .
- G.Reisner, ,"The Viceroy of Ethiopia (Continued)", in JEA 6, (1920)
- H.Gauthier,Le Temple de OuadiEs -Seboua-II",Le (Caire,1912) .
- H.Ricke,G.R.Hughes& E.F.wenti,"The Beit El-wali Temple of Ramesses II", (Chicago ,1967) .

-
-
- J.A.Taylor,"An Index of Male Non-Royal Egyptian Titles ,Epithets& Phrases of the 18th Dynasty", (London,2001) .
 - J.Lieblein,"DieAgyptrischenDenkmalerinSt.PetersburgHelsingfors,Ups alaund Copenhagen", (Christiania,1873) .
 - J.Lieblein,"Les Recits de Recolte DatesDansL`AncienneEgyptecomme Elements Chronologiques", in Rec Trav I,.
 - J.Morgan,"Catalogue des Monuments et Inscriptions de L`Egypte Antique-I", (Vienne,1894) .
 - L.Borchardt,"Statuen und Statuetten von Konigen und Privatleuten-IV", (Berlin,1934).
 - L.Habachi,"Four Objects belonging to Viceroy of Kush and Officials Associated with Them", in Kush 9,(1961) .
 - L.Habachi,"Konigessohn von Kusch", in LÄ III,cols.630-640;
 - L.Habachi,"The Graffiti and Work of the Viceroy of Kush in the Region of Aswan", in Kush 5, (1957) .
 - L.Habachi,"The Owner of Tomb No.282 in the Theban Necropolis", in JEA 54,(1968) .
 - LDT V,p.244;
 - M.A.Bardanti&H.Gauthier,"StelesTrouvees A OuadiEs-Saboua (Nubia)",in ASAE 11,(1911) .
 - M.G.Legrain,"Statuues et Statuettes de Rois et de Particuliers-II",Le (Caire,1909).
 - M.L.Bierbrier,"Hieroglyphic Texts From Egyptian Stelae-10", (London,1982).
 - M.Rice,"Who`s Who in Ancient Egypt", (London,1999) .

جامل المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحديثة
(١٥٤٩ – ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح

- Mariette, "Abydos- II", (Paris,1880) .
- N.G.Davies, "The Rock Tombs of El Amarna – I",(London.1903) .
- N.G.Davies, "The Tomb of Huy Viceroy of Nubia in the Reign of Tutankhamun (No. 40)",(London,1926) .
- N.G.Davies,The Tomb of Ken-Amun at Thebes – I",(New york,1930) .
- U.Bouriani,"Tombeau de Harmhabi",in MMAF 5,2,p.429,pl.VI
- Urk IV,(1594) .
- W.F.Petrie,"Scarabs,Cylinders with Names",
- W.Helck,"ZurVerwaltung Des Mittleren und NeuenReiches", (Leiden,1958) .
- W.Spiegelberg,"Graffiti aus der ThebanischenNekropois– I", (Heidelberg,1922) .

قائمة الاختصارات

ASAE	Annales du Service des Antiquities de L'Egypte (Le Caire).
KRI	Kitchen, K., A., Ramesside Inscriptions : Historical and Biographical, 8 Vols., Oxford, 1968 –1990.
PM	B. Porter and R. Moss, Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefs and Painting.
JEA	Journal of Egyptian Archaeology (Londres).
Kush	Kush. Journal of sudan antiquities service (Khartoum)
LD	Lepsius, R., DenkmälerausÄgypten und Aethiopien 1897–1913 , text, Geneve 1975.

جامل المروحة على يمين الملك في مصر القديمة من عصر الدولة الحديثة
(١٥٤٩ – ١٠٦٩ ق.م)

م. و. علاء راضي فالح

LÄ	Lexikon der Ägyptologie (Wiesbaden).
MMAF	MémoiresPublies par les members de la mission archéologiquefrancaise au Caire (Le Caire).
Rec Trav	Recueil de TravauxRelatifs A la Philologie et a l'Archéologie Égyptiennes et Assyriennes , Paris .
RITA	Kitchen, K., A., Ramesside Inscriptions : Translated &Annotated , 5 vols., Oxford, 1993–2008.
Urk	Sethe ,K.,Urkunden des 18 Dynasie , Leipzig , 1914 .

الرؤية الاستشراقية لكنية الإمام علي (عليه السلام) (أبو تراب)
م. و. نزار ناجي محمدر

الرؤية الاستشراقية لكنية الإمام علي (عليه السلام) (أبو تراب)

م. د. نزار ناجي محمدر

مديرة التربية محافظة البصرة

الملخص

أثارت كنية الإمام علي (عليه السلام) (أبو تراب) اهتمام المستشرقين وحاولوا فيها إعادة قراءة الرواية الإسلامية مستنديين في ذلك على الجدل الواسع في المصادر الإسلامية حول تلك الكنية وأسباب إطلاقها، أو المناسبة التي قيلت فيها، أو من أطلقها عليه حتى باتت واحدة من أحب كناه إليه، وبات أنصاره ومحبيه ينسبون إلى تلك الكنية لتمييزهم عن غيرهم، لذا ستحاول الدراسة الوقوف على الاهتمام الاستشراقي بتلك الكنية وبعدها محاولة الوصول إلى رأي سليم يتوافق مع سبب تلك الكنية.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق - الإمام علي (عليه السلام) - أبو تراب

**Orientalist vision of the nickname of Imam Ali (peace be upon him)
(Abu Turab)**

Dr. Nazar Naji Mohammed

Head Directorate of Education in Basrah

Abstract

The nickname of Imam Ali (peace be upon him) (Abu Turab) aroused the interest of orientalists and they tried to re-read the Islamic narration based on the wide debate in Islamic sources about that nickname, and the reasons for its release, or the occasion on which it was said, or who called it until it became one. Whoever loved his nickname to him, and his supporters and lovers became attributed to that nickname to distinguish them from others, so the study will try to identify the Orientalist interest in that nickname and then try to reach a sound opinion that matches the reason for that nickname.

Key words : Orientalism – Imam Ali – Abu Turab .

المقدمة

تنبه الفكر الاستشراقي في دراسته للتاريخ الإسلامي كثرة المرويات الإسلامية لحادثة واحدة فحاول استغلال ذلك التعدد في خدمة التوجهات البحثية لدى بعض المستشرقين فتوجهوا بأخذ ما يرونه مناسباً لتوجهاتهم ونبذ كل ما لا يتفق معها ، فالتدوين التاريخي الإسلامي انتقل عبر محطات سردية متعددة طيلة فترة زمنية طويلة تقدر بأكثر من قرن من الزمان ، وتعرض فيها هذا المدون لشتى ضروب التغيير والتحول ابتداءً من تأثير الأحداث السياسية وما خلفته تلك الأحداث مروراً بالميول والأهواء التي طالت التدوين التاريخي وأثرت في مسار الأحداث وحقائقها التاريخية ، مما أحدث تغييراً في المواقف والأحداث وتغييب بعضها الآخر ، وما يمكن ان يقوم به طرف له الهيمنة والسطوة على ذلك التدوين من مراقبة فكرية على ذلك المدون فيحذف أو يغير كل ما يراه لا يتوافق مع سياستها وتوجهاتها ، وهذا التغيير والتحول لم يكن وليد الدراسات الاستشراقية بل هو نتاج الفكر الإسلامي ، فشكلت تلك الاختلافات والتعدد في المرويات التاريخية الحجر الأساس في رؤية الفكر الاستشراقي وهذا ما ستعمل الدراسة على نقده وتحليله وفق الرؤية الاستشراقية لتلك الكنية .

أولاً : أبو تراب كنية الإمام علي (عليه السلام) في الفكر الاستشراقي

شكلت دراسة كنية الإمام علي (عليه السلام) اهتماماً وجدلاً في الأوساط الاستشراقية ، وكان الدافع لذلك الجدل المعرفي هو لمعرفة سبب تلك الكنية ، أو مصدريتها ، أو المناسبة التي قيلت فيها ، وهل هي من باب المدح أو من باب الذم ؟ ، وما هو تأثير نتائج الصراع الكلامي بين الأمويين والعلويين على تلك الكنية ، والآثار المترتبة على تلك الكنية في المدرستين السنية والشيعية .

ذكر المستشرق تيودور نولدكه: Theodor Noldeke⁽¹⁾: في مجلة الجمعية الشرقية الألمانية (Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft) وتعرف اختصاراً بـ (ZDMG) والتي تصدر باللغة الألمانية حيث ذكر: "انه ربما تم اختراع الكثير من أجل تمجيد علي أكثر مما تم اختراعه من أجل تمجيد محمد ، وسأقدم فقط بعض المساهمات لإلقاء الضوء على هذه الاختراعات ، أي ما يتعلق بهذه الأشياء التي أصبحت جزء من الرواية السنية ، (أبو تراب) هو اسم خصص لعلي من قبل معارضيه للتحقير على طريقة عكس اسم الإساءة إلى مدح ، وان اعداءه هم الذين اطلقوا عليه ذلك الاسم ، إلا انه يقال ان محمداً نفسه سمي صهره بهذا الاسم

عندما كان هناك الكثير من التراب قد التصق به عندما كان ملقى على الأرض^(٢)، وهناك نسخة مختلفة من هذه الرواية ولكن بشخصيات مختلفة وحادثة مغايرة نقلها ابن هشام^(٣)، وهذه الرواية الأخيرة لها تفسير مختلف تماماً ومؤثر، إذ كان علي وزوجته ابنة النبي قد أثارت غضبه في شيء ما فلم يوبخها بل وضع التراب على نفسه للدلالة على حزنه، ومن هذا خاطبه محمد بنه (أبو تراب)، واخيراً قيل إن محمداً قد وعد صهره أنه عند القيامة سوف يهز الأرض التي نام عليها^(٤)، ويمكنك أن ترى كل أنواع المحاولات الضعيفة لتحويل اسم الإساءة إلى اسم شرف أو مدح، ولكنها نجحت في الأخير ولهذا اطلق العديد من الآباء الشيعة فيما بعد على ابنائهم أبو تراب^(٥).

أما المستشرق إيتان كوهلبرغ: Etan Kohlberg^(٦) فقد ذكر في كتابه (عقائد وفقه الشيعة الامامية) (Belief and law in Imami Shi'ism) والكتاب عبارة عن مجموعة مقالات وبحوث بلغ عددها سبع عشر مقالاً وبحثاً حول عقائد وفقه الشيعة الامامية ومن ضمنها كان هناك مقال متعلق بكنية الإمام علي (عليه السلام) أبو تراب (ABU TURAB) جاء فيه: "إن (أبو تراب) من التسميات التي تسمى بها علي بن أبي طالب وقد اثار هذا اللقب اهتماماً وجدلاً في المصادر المسلمة وغير المسلمة، ومثال على الأخير الرسالة التي يُزعم أن الامبراطور البيزنطي ليو الثالث^(٧) بعثها إلى عمر بن عبد العزيز وتظهر فيه كنية أبو تراب مرتين^(٨)، ويضيف بعدها كوهلبرغ: Kohlberg فيقول: تم اخذ المعنى الأصلي لذلك الاسم بشكل عام من قبل العلماء في جميع المناسبات التي فيها تم استخدام (أبي تراب) كتقدير على عكس المعنى الأصلي للكلمة، وبناء على ذلك فسرت على أنها محاولات شيعية لاحقة لإعادة تأهيل كليهما الاسم وضمناً حامله، وكان لنولدكه: Noldeke دفاع بليغ لهذا الرأي^(٩)، وقد أخذ آخرون قبله وبعده نفس الرأي، فتحاول الأسطر التالية أولاً إعادة تقييم هذا الرأي وثانياً: سرد بعض المفاهيم الشيعية حول أصل كنية (أبو تراب)"^(١٠).

ويضيف بعدها كوهلبرغ: Kohlberg حول رأي نولدكه فيقول: "يستند رأي نولدكه: Noldeke على الأدلة المعجمية وكذلك على بعض المصادر التاريخية، فقد قصد نولدكه: Noldeke أن اسم أبي تراب مشتق من التفسير اللغوي للكلمة فهو كالذي يجعل يديه مغطاة بالتراب، وهذه القراءة دقيقة في حد ذاتها لتدوين آراء بعض القواعد اللغوية التي اعتبروها من تربت يدها كنوع من أنواع المدح،

على الرغم من ان المعنى الظاهر هو اللوم , كما ان الاسم غامض إلى حد ما فيمكن ترجمته اما بشكل مهيب , أو بشكل اقل تواضعاً , وكما سيظهر كلا الرأيين لهما دعاء ومؤيدون^(١١).

ويعلق المستشرق كوهلبرغ: Kohlberg على نتائج بحث المستشرق نولدكه: Noldeke فيذكر: "إذا كانت الأدلة المعجمية غير حاسمة فهل يمكننا ان نأمل في الحصول على إجابات أوضح من خلال الروايات التي تصور الظروف التي استخدم فيها ذلك الاسم لأول مرة ؟, تتكون هذه الروايات عموماً من جزأين (منفصلان في الأصل) غالباً ما ينطوي على دلالة نقد أو ازراء أو كليهما لـ (أبي تراب) , وعناصر يظهر فيها الإشارة إلى الاسم نفسه للتعبير عن المديح , وكقصة نموذجية من هذا النوع نجدها من خلال ما ورد في حملة العشيرة^(١٢) التي سبقت معركة بدر , فقد كان علي ومعه عمار بن ياسر الذي كان يرافقه في المهمة ناما على الأرض بينما كانا يراقبا الناس الذين كانوا يزرعون اشجار النخيل , فابقظ النبي علي بقدمه وقال له قم يا ابا تراب , هنا ربما كان النبي يشير ببساطة إلى حالة علي المتربة التي أحدثتها الرياح والتراب , ولكن في نفس السياق قد يشير الاسم ايضاً إلى لوم علي باعتباره نائماً في لحظة غير مناسبة في خضم عملية عسكرية , ومع ذلك تنتقل القصة على الفور لتخبر علي ان أكثر المخلوقات شقاء يوم القيامة هما الثمودي الذي ذبح الناقة , والرجل الذي يضرب علي على رأسه , فتسيل الدماء على لحيته وهي اشارة إلى قاتله ابن ملجم^(١٣) , وهذا الكلام يعد من اعلام النبوة , وفي الوقت نفسه يظهر علياً شخصاً مميزاً جداً , إذ ان قاتله يجب ان يعاقب أكثر من أي مذنب آخر " ^(١٤).

ويزيد بعدها المستشرق كوهلبرغ: Kohlberg حول تلك الكنية فيذكر: "بالنسبة للرواية الشيعية يكتشف من غير قصد ان اسم ابي تراب صاغه الناس وليس محمد , وان علي نفسه اعتبر هذا الاسم مسيئاً وكان لابد من مواساته من قبل النبي^(١٥). ان مثل هذه النصوص هي التي تسعى إلى مواجهة رواية أخرى إذ يرد فيها مغادرة علي منزله بعد خلاف مع زوجته فاطمة , واستلقى على الأرض المتربة في المسجد , فوجده النبي هناك فإزال التراب عنه وقال له اجلس ابا تراب , ونقول الرواية ان علياً عندما كان غاضباً من فاطمة لم يكن ليفعل شيء قد يضايقها , فيقوم بإهالة التراب على رأسه كعلامة على محنته , ولهذا خاطبه النبي بأبي تراب^(١٦). في كلا النسختين ليس واضحاً ما كان يدور في ذهن النبي , فربما كان يصف الحالة التي وجد فيها صهره , ودون ان يرغب في توجيه

اللوم له ، ويبدو ان الخوف من التفسيرات المهينة دفع الذين استشهدوا بالقصة إلى الاصرار على انها تثبت عكس ذلك تماماً ، حتى جعلت هذه الكنية (أبا تراب) المحببة لعلي إلى ابعد الحدود ، ومن الصعب التوفيق بين هذا التبرير وبين القصة التي تقوم عليها ، وربما تكون الفكرة الاساسية هي تعمد النبي من ذكر هذه الكنية هي مواساة علي الذي كان يشعر بالحزن وقتها ، ومهما كان التفسير الصحيح للرواية فالمعنى الاساسي واضح بما فيه الكفاية ، فعلي هو زوج خانع وفاطمة هي الزوجة المزعجة التي لا تتوانى عن الشجار معه ، وبالتالي فإن أهل البيت ليسوا أناساً كاملين ، وليس غريباً أن العالم الشيعي ابن بابويه [الشيخ الصدوق] (ت ٣٨١هـ / ٩٩١م) لم تعجبه هذه الرواية وشكك في سندها ^(١٧) ، والروايتان التي يستشهد بهما تنتهيان بنهاية سعيدة ^(١٨) فقد اعاد النبي التناغم الزوجي بينهما ثم يخرج مبتسماً " ^(١٩) .

ويزيد المستشرق كوهلبرغ : Kohlberg بعدها بالقول: " قد يكون لـ (أبو تراب) معنى مدح في الأصل أو على الأقل معنى محايد وجزء من تلك الروايات ترجع إلى الآراء الأموية المعادية لعلي والتي تهدف إلى قمع هذا المعنى من خلال نشر تلك القصص المهينة عنه ، في مثل هذه الحالة تمثل العناصر الأخرى من المرويات المحاولات العلوية للحفاظ على الدلالات الأصلية لذلك الاسم، وان فحص المناسبات التي تم فيها استخدام كنية (أبو تراب) للإشارة إلى علي بعد وفاته لا يفضي إلى أبعد من ذلك بكثير ، صحيح ان الامويين وأنصارهم اعتبروا ذلك الاسم مهيناً ، وقد ينطبق هذا أيضا على المصادر المسيحية التي تحدثت عن ذلك اللقب ، ومع ذلك يقال ان مناصري علي قد رأوا فيه تعبيراً عن المديح ، وليس من الواضح بأي حال ما إذا كان موقفهم يعكس المعنى الأصلي ، أو ما إذا كان مجرد فعل انعكاسي نموذجي للتهكم على ما ذكره الأمويون ، ويوجد غموض مشابه فيما يتعلق بمصطلح الترايبية الذي عرف به اتباع علي أحياناً ، لذا استنتج ان المعنى الأصلي لـ (أبو تراب) قد ظل غير معروف تماماً بسبب الجدل الحزبي ^(٢٠) ، ومن المحتمل ان يظل مجهولاً إلى الأبد " ^(٢١) .

ويطرح المستشرق كوهلبرغ : Kohlberg استفهاماً في كيفية اثبات صحة التفسيرات الشيعية فيذكر في هذا الجانب: " يبقى السؤال كيف يحاول الشيعة إثبات صحة تفسيراتهم للاسم ، فكما ذكرنا سابقاً ان بعض الاحاديث الشيعية تفسره بتقوى علي ، وهناك تفسير آخر اعطى التأكيد على

التقارب بين آدم وعلي فكلاهما خلق من تراب، وفي تفسير آخر مستند الى قوله تعالى (يا ليتني كنت تراباً) ^(٢٢) فالتراب في الآية يقصد منه الشيعة لأنها تشبه الأرض في تواضعهم واستسلامهم لذكر علي، وبما ان علياً كان سيدهم وقائدهم فقد كان يُدعى على هذا النحو (أبو تراب) (أبو الشيعة) وتعني يا ليتني كنت من اتباع علي ^(٢٣)، ويظهر اسم ابو تراب بشكل بارز في التقليد الصوفي عند الحافظ رجب البرسي (ت ٨١٣ هـ) ^(٢٤) وعلق عليه العديد من العلماء الشيعة اللاحقين، ووفقاً لمفسري هذا الرأي فهو يشير إلى طبيعة علي البشرية أو إلى (الطبيعة الإلهية) ^(٢٥)، وفي مثل هذه الحالة يفسر أبو تراب على انه سيد الجنس البشري، وعلي ليس الشخص الشيعي الوحيد المرتبط في العقول الشيعية بطريقة مليئة بالتفاصيل المؤثرة عن معاناته ك(قصة استشهاد الحسين) على تراب كربلاء فقد مات وهو مغطى بالتراب، ولم يرد اسم ابو تراب فقط في الأدب الشيعي الامامي، ولكن أيضاً في اعمال الطوائف المتطرفة مثل النصيرية ^(٢٦)، وقد ثبتت شعبية ذلك اللقب من خلال منح ذلك اللقب للعديد من العلماء والكتاب الشيعة ^(٢٧).

وتنقل دائرة المعارف الإسلامية (موسوعة الإسلام) عن تلك الكنية فيذكر صاحب المقال: "أبو تراب هي كنية الخليفة علي بن أبي طالب، ويقال أن النبي أطلقها عليه، ومع أن الشيعة يعتبرونها من ألقاب الشرف، فإن نولدكه: Noldeke يذهب إلى أن اعداءه اطلقوها عليه للتحقير، ويشاركه هذا الرأي سرسن، ولما كان الشيعة يرون أن هذه الكنية تطلق للتعظيم فإننا نجد أناساً قد كانوا بها مثل الصوفي الشهير أبي تراب النخشي ^(٢٨) المتوفى عام ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م، ... وان شيعة علي كان يطلق عليهم أحياناً (الترابية) ^(٢٩)، ولم تذكر موسوعة الإسلام في طبعها الثانية عن الكنية سوى انها كنية الإمام عليه السلام ^(٣٠).

وذكر المستشرق هورات: Cl. HUART ^(٣١) في مقاله عن الإمام علي (عليه السلام) في الطبعة الأولى من موسوعة الإسلام "ان لقب أبو تراب تحصل عليه [الإمام علي] من محمد" ^(٣٢). وتشير المستشرقة لورا فيشيا فاجلييري: L. VECCIA VAGLIERI ^(٣٣) في مقالتها عن الإمام علي (عليه السلام) في موسوعة الإسلام في طبعها الثانية فتذكر فيه: "ان أبو تراب وهو اسم ربما اطلقه عليه أعداءه بازدياء، ولكن تم تفسيره لاحقاً على انه اسم شرفي من خلال الروايات المخترعة" ^(٣٤).

وفي مقال آخر تقول: "ان اسم أبو تراب (رجل التراب) الذي اطلق على علي له من بين تفسيرات اخرى تفسير يربطه بالخلافات بين علي وفاطمة , فبدلاً من الرد على زوجته بغضب كان يخرج من المنزل ويضع التراب على رأسه , فلما رآه محمد يفعل ذلك اطلق عليه هذا اللقب"^(٣٥).

ثانياً : مناقشة الآراء الاستشراقية

لعل الفكر الاستشراقي تنبه إلى كثرة المرويات والتفسيرات التاريخية المتعارضة في المصادر الإسلامية حول تلك الكنية وحاول جمعها وانتقاء ما يخدم توجهاته الفكرية , ومحاولة ابراز الفرقة بين الفرق الإسلامية أو اظهار مثل ذلك الخلاف لبيان الانقسام والتشردم في جسد الأمة الإسلامية . ولا شك ان سخونة الاحداث السياسية وتبدلاتها وصراعاتها طيلة فترة زمنية طويلة كانت السبب الرئيس في الكتابة التاريخية التي تميل لطرف على حساب الطرف الآخر , زيادة على قدرة الطرف المهيمن على كتابة الاحداث التاريخية لصالحه كما يرغب , وتشويه كل ما يتعلق بالطرف المنافس فيكون التدوين هنا وفق رغبات ومصالح السلطة المهيمنة على ذلك التدوين , لذا فعمليات التدوين التاريخي في الأعم الأغلب تعرضت لعمليات تشويه وتلفيق لتلك الاحداث التاريخية أو الشخصيات والمواقف , أو محاولة طمسها وتغييبها من صفحات التاريخ , وزيادة على ذلك ساهم النقل الشفاهي الذي سبق عملية التدوين وما رافقه من خضوعه للميول والأهواء في تغييب الكثير من احداثها وتحريف المتبقي منها , وكذلك اختلاف القدرات الذهنية بين راوي وآخر فتكون هناك زيادة أو نقص في المرويات, أو تكون هناك عدم القدرة على الافصاح عن ما يخالف رأي السلطة الحاكمة في وقتها , أو ما يخالف جمهور العامة لذا يميل الكاتب إلى الخضوع لتلك الضغوطات والرغبات عند تدوينه لأي حادثة تاريخية , ولم يكن مثل هذا التشويه والتغيير والتغييب التي خضعت له الكتابة التاريخية نتاج الفكر الاستشراقي إنما هو نتاج التدوين الاسلامي الذي تعرض لكل تلك الضغوطات أو التغيرات والتشويهات وقت الكتابة التاريخية وهو ما شكل الحجر الأساس في نقل المستشرقين مثل تلك الروايات وتوجيهها بالصورة التي تخدم تلك التوجهات .

فالروايات التاريخية التي نقلت لنا خبر تلك الكنية كانت يشوبها الكثير من النقد والشك كالرواية الأولى التي نقلها لنا ابن هشام (ت ٢١٨ هـ) نقلاً عن ابن اسحاق (ت ١٥١ هـ) , عن عمار بن ياسر , قال : " كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة , فلما نزلها رسول

الرؤية الاستشرافية للكنية للإمام علي (عليه السلام) (أبو تراب)

م. و. نزار ناجي محمدر

الله صلى الله عليه وسلم وأقام بها ، رأينا أناسا من بنى مدلج يعملون في عين لهم وفي نخل ، فقال لي علي بن أبي طالب ، يا أبا اليقظان ، هل لك في أن تأتي هؤلاء القوم ، فننظر كيف يعملون ؟ قال : قلت : إن شئت ، قال : فجنناهم ، فنظرنا إلى عملهم ساعة ، ثم غشينا النوم ، فانطلقت أنا وعلي حتى اضطجعنا في صور من النخل ، وفي دقعاء^(٣٦) من التراب فنمنا ، فوالله ما أهبنا إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركنا برجله وقد تتربنا من تلك الدقعاء التي نمنا فيها ، فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب : مالك يا أبا تراب ، لما يرى عليه من التراب ، ثم قال : ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين ؟ قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه ووضع يده على قرنه حتى يبيل منها هذه ، وأخذ بلحيته^(٣٧). وقد شكك البخاري(ت ٢٥٦ هـ) في الرواية التي نقلها ابن هشام عن ابن اسحاق وفي سماع سلسلة السند أحدهم من الآخر^(٣٨).

والرواية الثانية التي نقلها ابن هشام عن ابن اسحاق جاء فيها: "حدثني بعض أهل العلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما سمي عليا أبا تراب أنه كان إذا عتب على فاطمة في شيء لم يكلمها ولم يقل لها شيئا تكرهه ، إلا أنه يأخذ ترابا فيضعه على رأسه ، قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى عليه التراب عرف أنه عاتب على فاطمة ، فيقول : مالك يا أبا تراب ؟ فوالله أعلم أي ذلك كان^(٣٩) .

والرواية الثانية كما ينقلها ابن اسحاق مجهولة الرواة فلا يعرف من هم أهل العلم الذين نقل عنهم ، أو كيف وصلت إليهم؟ والعبارة الأخيرة من ابن اسحاق تدل على عدم معرفته بأي الخبرين ممكن ان يكون هو الرواية الاصدق ، وهو ما يلقي مزيداً من الشك على تلك المرويتين . والرويتان التي ينقلهما ابن هشام عن ابن اسحاق مختلفتان من حيث الحدث التاريخي الذي بسببه تم اطلاق تلك الكنية ، فرواية تقول هي في غزوة العشيرة ، والثانية تقول الحادثة بعد زواج الإمام علي (عليه السلام) من السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بفترة من الزمن ، وهذا التعدد هو الآخر يثير الشك في حقيقة المرويتين ، فهي اما ان تكون في حادثة غزوة العشيرة التي بسببها تم اطلاق الكنية بعد النوم على الأرض في خضم عملية عسكرية، أو ان الكنية كانت بسبب الخلافات الزوجية بين الإمام علي والسيدة فاطمة (عليهما السلام)!! ، إلا أن يكون رسول الله

الرؤية الاستشرافية للكنية للإمام علي (عليه السلام) (أبو تراب)

م. و. نزار ناجي محمدر

(صلى الله عليه واله وسلم) كناه بها مرتين ، مرة في المسجد ومرة في غزوة العشيرة كما ذهب لذلك السهيلي (ت ٥٨١ هـ) ^(٤٠)، وهذا ما لم توضحه النصوص الروائية.

وإذا ما دققنا في متن الروايتين اللتين نقلهما ابن هشام نجد ان ما جاء في الرواية الأولى لا يتناسب فيها فعل النبي (صلى الله عليه واله وسلم) بتحريك الإمام علي (عليه السلام) بقدمه وهو نائم مع ما جاء في القرآن الكريم من وصفه بأنه صاحب الخلق العظيم ^(٤١)، وزيادة على ذلك كان تترب عمار بن ياسر مع الإمام علي (عليه السلام) في الحادثة فلم يطلق مثل تلك الكنية على عمار بن ياسر على اعتبار ان نومهما وتتربهما كان معاً في تلك الحادثة ، كما ان سؤال النبي (صلى الله عليه واله وسلم) إلى الإمام علي (عليه السلام) والاستفهام عن حالته بعبارة (مالك يا أبا تراب) تدل على اطلاق الكنية قبل هذه الحادثة بفترة من الزمن ؛ لأنه من غير المعقول مخاطبة الإمام علي (عليه السلام) بتلك الكنية وهو لا يعلم معناها ، أو حتى مقصد النبي (صلى الله عليه واله وسلم) من تلك الكنية ، ناهيك عن الانتقال من حدث إلى حدث آخر وهو مقتل الإمام علي (عليه السلام) .

والرواية الثانية تحاول الصاق المشاكل الزوجية بين الإمام علي (عليه السلام) وزوجه السيدة فاطمة (عليها السلام) وتجعلها سبباً في تلك الكنية ، وتؤكد الرواية تكرار حالات الخلاف بين الطرفين ؛ لأنه بتكرارها عرف عنه ذلك الفعل وما يدل عليه من عدم انسجام بين الطرفين وهو ما تحدثت به الرواية ، ونجد العبارة نفسها الموجودة في الرواية الأولى (مالك يا أبا تراب) ، وهي تدل على معرفة مسبقة بتلك الكنية، لذا لم يستفهم الإمام علي (عليه السلام) عن تلك الكنية أو معناها؟!، على الرغم من ان النصوص الواردة عن الإمام علي (عليه السلام) عن حياته مع السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) يؤكد فيها على عدم وجود مثل تلك الخلافات بينهما ^(٤٢)، وهو ما يدل على عمق العلاقة والانسجام التام بين الطرفين خلاف النصوص الواردة عن وجود مثل تلك الخلافات ، زيادة على ذلك وضع التراب على الرأس كلما حدث خلاف زوجي بينهما لا يصدر من رجل حكيم لبيب عاقل ^(٤٣) .

ونجد في مروية ابن اسحاق عن ابن هشام (الرواية الثانية) ان حالة الغضب أو عدم الرضى للإمام علي (عليه السلام) كانت بسبب السيدة فاطمة (عليها السلام) ، وفي نص آخر في غير

سيرة ابن هشام نجد سبب المشكلة أو الغضب كانت معكوسة فكان الإمام علي (عليه السلام) هو من يقوم بإغضاب السيدة فاطمة (عليها السلام) ^(٤٤)، وجاء في بعض النصوص الحادثة كانت خالية من تلك الخلافات أو من كان سبباً في غضب الآخر ^(٤٥)، وهذا ان دل على شيء فهو يدل على تخطب المرويات في سبب تلك الكنية .

والروايتان التي قدمهما ابن هشام نقلاً عن ابن اسحاق هما اقدم المرويات التي وصلت إلينا ، والمستشرق نولدكه : Noldeke لم يستند في هذا الرأي على كلا المرويتين بل على العكس ابدى شكوكه فيهما ويرى فيهما وفي غيرهما من المرويات محاولات ضعيفة لتمجيد الإمام علي (عليه السلام) وقلب اسم الاساءة إلى مدح ، ولم يوضح نولدكه على ماذا اعتمد فيه هذا الرأي؛ فمثل هذا الرأي يحتاج الوقوف على السبب الذي دفعه لاتخاذ هذا الرأي لا سيما وان عدداً من المستشرقين قد ايد هذا الرأي ، باستثناء اعتماده على بعض الكلمات اللغوية المأخوذة من كلمة (ترب / تربت يداه) ^(٤٦) التي قد تدل على الدعاء بعدم اصابه الخير، مع ان لها معنى مغاير لمعنى الذم وهو المدح كما ورد في المصادر المعجمية اللغوية ^(٤٧) .

وقد نتفق مع رأي نولدكه في تخطب المرويات فهي لا تعطي صورة حقيقية عن سبب هذه الكنية ، وكما بينا فقد كان للصراعات والنزاعات والخلافات السياسية والعقائدية السبب الرئيس في التدوين التاريخي الخاضع للميول والأهواء لذا نجدها متناقضة ومتعارضة في كثير من الاحيان ، فهي تخضع خضوعاً تاماً لسلطة التدوين المهيمنة على نوع وشكل ذلك المدون، فتسمية العديد من الآباء الشيعة ابناءهم بذلك الاسم يدل على مقبولية الاسم في الاوساط الشيعية لا على اعتباره اسم فيه ذم أو ازدراء للإمام علي (عليه السلام) فهذا يعكس رأي نولدكه تماماً ولا يؤيده ، فلو كانوا يعلمون في ذلك الاسم ذم أو اساءة لإمامهم لما اطلقوا على العديد من ابناءهم ذلك الاسم .

اما ما ذكره كوهلبرغ : Kohlberg فهو لم يصل لرأي قاطع وحاسم في سبب تلك الكنية فهو يرى أن المعنى الحقيقي لأبي تراب في كلام النبي (صلى الله عليه واله وسلم) بقي غامض وربما سيبقى هكذا إلى الأبد ، ولعله كان يميل لرأي نولدكه بان استخدام كنية (أبي تراب) كتقدير على عكس المعنى الأصلي للكلمة على الرغم من انه يرى ان الادلة المعجمية غير حاسمة في بيان معنى تلك الكنية لذا يحاول الوصول إلى رأي حاسم مستندا إلى الروايات ، فبعد استعراض رأي

نولدكه ورواية ابن هشام (الرواية الأولى) حول سبب تلك الكنية، ينتقل لرأي الشيعة فينقل رواية الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) حول ذلك الأمر وكان الشيعة هم الوحيدين من ذكروا هذا الخبر والرواية عن ابن عمر^(٤٨) حيث جاء فيها: "بيننا أنا مع النبي صلى الله عليه وآله في نخيل المدينة وهو يطلب عليا عليه السلام إذا إنتهى إلى حايط فاطم في فنظر إلى علي (عليه السلام) وهو يعمل في الأرض وقد اغبار، فقال ما ألوم الناس إن يكنوك أبا تراب، فلقد رأيت عليا تمعر وجهه وتغير لونه واشتد ذلك عليه فقال النبي صلى الله عليه وآله ألا أرضيك يا علي قال: نعم يا رسول الله فأخذ بيده فقال: أنت أخي ووزير وخليفتي في أهلي تقضى ديني وتبرئ ذمتي، من أحبك في حياة مني فقد قضى له بالجنة، ومن أحبك في حياة منك بعدى ختم الله له بالأمن، والايامن، ومن أحبك بعدك ولم يرك ختم الله له بالأمن والايامن وآمنه يوم الفرع الأكبر، ومن مات وهو يبغضك يا علي مات ميتة جاهلية يحاسبه الله عز وجل بما عمل في الاسلام"^(٤٩) فالرواية السابقة لم تقتصر على المصادر الشيعية كما حاول كوهلبرغ توصيفها، فقد اوردها الطبراني (ت ٣٦٠هـ)^(٥٠) بنفس مصدر الرواية اعلاه مع الاختلاف في بعض تفاصيلها كقضية التترب، ففي رواية الشيخ الصدوق كان التترب جراء العمل، ورواية الطبراني كان التترب جراء النوم على التراب، وفي رواية مقاربة منهما عن الإمام علي (عليه السلام) نفسه في مصادر أخرى^(٥١) إذ لم تتعرض لمسألة التترب جراء النوم وهذه المروييات لم تكن ضمن المصادر الشيعية كما حاول كوهلبرغ الصاقها وتفردا بها، ولا هي - أي الرواية الشيعية - تسعى لمواجهة روايتها بروايات أخرى، ولو كانت كما يدعي كوهلبرغ لما كان لها الظهور خارج المصادر الشيعية.

اما عن روايات الخلافات بين الإمام علي والسيدة فاطمة (عليهما السلام) اللتان اشار اليها كوهلبرغ عن ابن هشام، أو عند الشيخ الصدوق اللتان حاول من خلالهما الاستشهاد بهما بصدق دلالة تلك الكنية على اللوم أو الذم للإمام علي (عليه لسلام) والتي كان الخوف من التفسيرات المهينة دفعتهم لأثبات معناها عكس ذلك، فقد ذكر الشيخ الصدوق عن مثل تلك الروايات التي حاول كوهلبرغ التعكز عليها انه: "ليس هذا الخبر عندي بمعتمد ولا هو لي بمعتقد في هذه العلة لأن علياً عليه السلام وفاطمة عليها السلام ما كان ليقع بينهما كلام يحتاج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الاصلاح بينهما لأنه (عليه السلام) سيد الوصيين وهي سيدة نساء العالمين مقتديان

الرؤية الاستشرافية للكنية للإمام علي (عليه السلام) (أبو تراب)

م. و. نزار ناجي محمدر

بنبي الله صلى الله عليه وآله في حسن الخلق^(٥٢) ، لهذا شكك في كل الروايات التي تتحدث عن وجود خلافات زوجية بين الطرفين .

ولعل كوهلبرغ أراد من استعراض الروايات التي تشير إلى وجود الخلافات الزوجية دليلاً على عدم عصمة أهل البيت وهو ما ذكره في حديثه ، والشيخ الصدوق لم يشكك في سند الرواية فقط وإنما شكك في كل الروايات التي تذكر فيها وجود الخلافات الزوجية بين الإمام علي والسيدة فاطمة (عليهما السلام) كما هو واضح من كلام الشيخ الصدوق السابق الذكر .

ولم يقف كوهلبرغ عند رأي معين ، لذا يرى كل تلك المرويات هي محاولات لتحسين الصورة تلك وهي بفعل العلويين للحفاظ على الدلالات الأصلية لذلك الاسم ، ولا يُنسى ان الأمويين كانوا يستخدمون تلك الكنية لئلا يذم الإمام علي (عليه السلام) وهذا ما دفعه لاعتبار المصادر المسيحية التي ذكرت ذلك اللقب تتحى منحى الأمويين في معنى ذلك اللقب ، مع ان اتباعه يرون فيه تعبيراً على المديح ويراه هو فعل انعكاسي جراء ازراء الأمويين ، فلو كان فعل انعكاسي فعلاً ما الذي دفعهم لاستخدام نفس اللقب للمدح !!؟ ، فمن الممكن نفي تلك الكنية وتنتهي تلك المسألة ، ولو كانت تلك الكنية هي فعل انعكاسي لعمل الأمويين لما تسمى بعض اتباعه بالترابية لتأكيد مقبولية تلك الكنية ، ولما تسمى العديد من الشيعة بتلك التسمية ، ولما تكنى بعض الموالين لبني أمية بهذه الكنية^(٥٣) ، لهذا انتهى كوهلبرغ إلى مجهولية معنى تلك الكنية ولم يصل لأمر قاطع في معناها .

اما محاولات الشيعة كما يذكر كوهلبرغ إثبات صحة تفسيراتهم لتلك الكنية ، فالمرويات الشيعية كغيرها من المرويات الإسلامية تحاول فهم النص وفهم تلك الكنية كما يحاول كوهلبرغ وغيره من المستشرقين فهم وبيان سبب اطلاقها ككنية للإمام علي (عليه السلام) ، ولذا ذهبوا فيها إلى جملة من الآراء المتعارضة والمختلفة فيما بينهما ، وحاول كوهلبرغ استغلال هذا الأمر ولم يصل إلى نتيجة حاسمة في بحثه عن الكنية .

وما ذكرته دائرة المعارف الإسلامية في مقالاتها عن تلك الكنية هو اجترار لما سبقها من الذين تطرقوا لذلك الاسم كراي نولدكه ، ولم تصل لأبعد من ذلك .

يبقى السؤال الجوهرى عن تلك الكنية ماذا يقصد منها ؟، ومن اطلقها ؟ ، وهل هي فعلاً من كنى الإمام علي (عليه السلام) ؟، أو هي من اختراع الأمويين ؟ .

لعل المرويات التاريخية زادت من حدة الخلاف حول معنى الكنية , وسبب اطلاقها , أو من اطلاقها , فالخلاف بينها كبير , فهناك خلاف حول من اطلق الكنية , وزمنية ظهورها , والحادثة التي قيلت فيها , وهل كانت معروفة في عهد النبي (صلى الله عليه واله وسلم) , أو في الفترات اللاحقة لعهد الرسالة , أو هي نتيجة الصراعات والخلافات السياسية ؟

عندما نتحدث عن تلك الكنية قبال باقي الكنى التي تكنى بها الإمام علي (عليه السلام)^(٥٤) نجد ان الإمام علي(عليه السلام) لم يذكرها متفاخرًا كباقي كناه , التي كان يتفاخر بها على غيره^(٥٥) , ولم يرد انه تحدث متفاخرًا بتلك الكنية التي قيل انها كانت عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) , لاسيما وهي من أحب كناه كما تذكر المصادر^(٥٦) , فلو كانت كذلك لذكرها ضمن الكنى التي تكنى بها وكانت مدعاة للفخر ؛ لأنها صادرة من خاتم النبيين (صلى الله عليه واله وسلم) , ولو كانت كذلك فكيف يقوم الأمويون بلعنه بها على المنابر بتلك الكنية^(٥٧) !!!

بعض النصوص صرحت بعدم معرفة تلك الكنية كإحدى كنى الإمام علي (عليه السلام) حتى من اتباعه ومحبيه فمثلاً ما ورد في قصة حجر بن عدي^(٥٨) عندما القي القبض عليه من قبل السلطة الأموية فقيل له: " يا عدو الله ما تقول في أبي تراب , قال: ما أعرف أبا تراب , قال: ما أعرفك به , قال : ما أعرفه , قال: أما تعرف علي بن أبي طالب , قال: بلى , قال: فذاك أبو تراب , قال: كلا ذاك أبو الحسن والحسين عليه السلام , فقال له صاحب الشرطة يقول لك الأمير هو أبو تراب وتقول أنت لا , قال : وإن كذب الأمير أتريد أن أكذب وأشهد له على باطل كما شهد , قال له زياد وهذا أيضا مع ذنبك على بالعصا فأتى بها , فقال ما قولك قال أحسن قول أنا قائل... " ^(٥٩) , فكيف لا يعرف حجر بن عدي كنية (أبو تراب) وهو المقرب من الإمام علي (عليه السلام) ويعد من اتباعه !!! .

وقد نتفق مع بعض الآراء الاستشراقية التي تذكر ان الكنية كانت بفعل الأمويين ؛ لأن المصادر التاريخية تشير لمثل ذلك الأمر , فقد ورد ان بني أمية كانوا يلعنون الإمام علي (عليه السلام) بتلك الكنية على المنابر^(٦٠) , فمن غير المعقول ان الأمويين يريدون ذم الإمام علي (عليه السلام) على المنابر ويحثون الناس على ذمه بتلك الكنية التي فيها دلالة على المدح , فلو كانت تدل على المدح لما كان الأمويون يدعون الناس إلى ذمه بها . وهنا وجب الوقوف على معنى

الرؤية الاستشرافية للكنية للإمام علي (عليه السلام) (أبو تراب)

م. و. نزار ناجي محمدر

الكنية، ولماذا عدها الأمويون مدعاة للذم، ويعدها الطرف الآخر مدعاة للمدح حتى اطلقوا على انفسهم - أي اتباع الإمام علي (عليه السلام) - (بالترابية) نسبة إلى تلك الكنية^(٦١)، وتسمى العديد من العلماء الشيعة بتلك الكنية، مع ان الأمويين هم أول من اطلق مصطلح الترابية (ترابي) على المواليين للإمام علي (عليه السلام)^(٦٢).

معنى التراب لغوياً: التراب هو جمع تراب، وقيل التراب والتراب واحد، إلا أنهم إذا أثنوا قالوا التربة وهي الأرض، وأترب الشيء: وضع عليه التراب، فتراب أي تلطح بالتراب، وتترب: لزق به التراب، وتترب فلان تترباً إذا تلوث بالتراب، وترب تراباً ومترباً: حسر وأفتقر فلزق بالتراب، يقال للرجل، إذا قل ماله: قد تراب أي افتقر، حتى لصق بالتراب، وقيل إن قولهم تراب يدك يريد به استعنت يدك. فقيل: وهذا خطأ لا يجوز في الكلام، ولو كان كما ذكر لقال: أتربت يدك، يقال أترب الرجل، فهو مترب، إذا كثر ماله، فإذا أرادوا الفقر قالوا: تراب يتراب، ورجل تراب: فقير، ورجل تراب: لازق بالتراب من الحاجة ليس بينه وبين الأرض شيء^(٦٣).

من خلال المعنى اللغوي لكلمة تراب يستدل ان لها علاقة بالفقر، لهذا نجد القرآن الكريم يذكر في قوله تعالى: ((أو مسكيناً ذا متربة))^(٦٤)، أي انه افتقر كأنه لصق بالتراب من شدة الفقر كما مر من معناها لغوياً، واغلب الروايات التي تنقل لنا اطلاق تلك الكنية تذكر نوم الإمام علي (عليه السلام) على التراب والتصاق ذرات التراب فيه، أو استخدام التراب في تركيبه الرواية مع التحفظ على ما ورد في كل تلك المرويات، فيحتمل أن تلك الكنية التي نجدها في المصادر هي بفعل الأمويين كنوع من انواع التشنيع على الإمام (عليه السلام) لفقره وزهده في ملذات الدنيا هو واتباعه، ولهذا كانوا يدعون الناس إلى نعته بتلك الكنية، ونعنوا كذلك اتباعه بالترابية^(٦٥)، كنوع من أنواع التشنيع على اتباعه أو المواليين له في فترات لاحقة.

ولعل السلطة الأموية كانت تريد بهذه الكنية وصف الإمام علي (عليه السلام) واتباعه بالفقر وقلة المال، ومعاوية والسلطة الأموية تملك اسباب السلطان والمال معاً، لهذا كانوا يثلبون الإمام (عليه السلام) واتباعه بالفقر وقلة المال، خلافاً لمعاوية والسلطة الأموية التي كانت تبذلها لأنصارها ومؤيديها^(٦٦)، وتحاول بصورة مستمرة استماله انصار الإمام علي (عليه السلام) بالأموال كما ورد في قول معاوية بن أبي سفيان: "والله لأستميلن بالأموال ثقات علي، ولأقسمن فيهم المال حتى

تغلب دنيابي آخرته" (٦٧) ، وقد اشار إلى ذلك الإمام علي (عليه السلام) بتلك الطريقة التي انتهجها معاوية باستمالة اتباعه وانصاره من قبل الأمويين في رسالة إلى عامله في المدينة بقوله: "فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجَالًا مِمَّنْ قَبْلَكَ يَتَسَلَّلُونَ إِلَيَّ مُعَاوِيَةَ فَلَا تَأْسَفْ عَلَيَّ مَا يُفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ ، فَكَفَى لَهُمْ غِيًّا ، وَكَ مِنْهُمْ شَافِيًّا فِرَارُهُمْ مِنَ الْهُدَى وَالْحَقِّ ، وَإِبْضَاعُهُمْ إِلَيَّ الْعَمَى وَالْجَهْلَ ، فَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا وَمُهْطِعُونَ إِلَيْهَا ، وَقَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَرَأَوْهُ وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ ، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أَسْوَى ، فَهَرَبُوا إِلَيَّ الْأَنْزَةَ ، فَبُعْدًا لَهُمْ وَسُخْقًا" (٦٨) ، لذا كان الإمام علي (عليه السلام) يتعامل مع الجميع بالتساوي ، وهو ما دفع بعض من غرته الدنيا ان يتجه للجهة صاحبة المال الكثير ، لهذا كانت الكنية كنوع من أنواع التشنيع عليه كون أتباعه جلهم من الفقراء ، ولا عيب في كون الإنسان فقيراً أو لا مال له ، لكنها نظرة أصحاب الدنيا أو أصحاب النظرة المادية للأمر هي من دفعتهم لثلب الإمام بتلك الكنية ، وأسس الأمويون روايات في تثبيتها على انها إحدى فضائله أو كناه ، لذا كان التشنيع القصد منه قلة البذل في الأموال من الإمام علي (عليه السلام) لأتباعه ومناصريه ، وهذا يدل على ان السياسة المالية المتبعة في عهد الإمام علي (عليه السلام) لا تجامل أحد على حساب عامة الناس خلاف السياسة الأموية التي بذلت الأموال لكسب القبائل والأفراد لسياستها أو لتأييدها ، ولهذا كان يعدها اتباع الإمام علي (عليه السلام) تدل على المدح ، ويعتبرها الأمويين مدعاة للذم .

وفي القرآن الكريم نجد مثل تلك النظرة للمال في كونه معياراً لاختيار من يقود المجتمع عند الذين لا يعلمون، لذا كان ينظر إلى من لا مال له أو قليل المال بعدم احقيته بقيادة الناس أو من تكون له السيادة عليهم كما ورد في قوله تعالى : ((وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) (٦٩) ، ودلالة الاصطفاء في الآية تعني اختيار الله ، وورد الله عز وجل ان يبين لهم ميزان اختيارهم لقيادة المجتمع هو اختيار غير صحيح إذ جعلوا من المال معياراً للاختيار ، وهذا ما حذر منه الباري عز وجل وبين أن سعة العلم والمعرفة هي الأقدر على القيادة .

لذا عد الأمويون تلك الصفة مدعاة للذم والتشنيع على الإمام علي (عليه السلام) وسار على نهجهم المستشرقون في هذا المنحى ,وعدها اتباع الإمام علي (عليه السلام) والموالين له من الصفات الحميدة في شخصيته , لهذا يعدونها صفة لمدح الإمام علي (عليه السلام) لا لذمه .

الخاتمة

ان انتشار المرويات الإسلامية بواسطة التناقل الشفاهي وانتقالها من جيل إلى آخر عن طريق الذاكرة أكثر من انتقالها بالطرق الكتابية , ففي مثل هذا النوع من النقل عادة ما يتخلل ذلك الانتقال إلى التغيير والتزييف والتعديل سواء كان ذلك بقصد أو بغير قصد , ويتم تناقل ذلك التغيير من جيل لآخر على انه الوجه الوحيد للحادثة التاريخية ,وطالما كان الخطاب الإسلامي تحت سلطة مهيمنة على أهليته ذلك الخطاب بوصفه الواقع الطبيعي أو المنطقي للحادثة التاريخية فوجب التدقيق بمقاصد ذلك الخطاب ,وهذا ما بدا واضحاً في كثرة المرويات حول كنية أبو تراب ومعنى تلك الكنية , أو من اطلقها ,أو الحادثة التي ذكرت بها ككنية للإمام علي (عليه السلام) .

كما ان الخطاب السلطوي له دور كبير في الهيمنة التي يمارسها في أي حقل معرفي فهو المسؤول على أهلية المتحدث وصحة خطابه , والمورث الروائي الإسلامي قد لا يبدو في ظاهره حراً أو بريئاً, فالخطاب الإسلامي الموروث في غالبية خطاب تنامي واكتسب مؤسساته وقواعده ومخصصيه في ظل هيمنة وسيطرة السلطة السياسية المهيمنة والراعية لذلك التدوين, لذا وجب فهم مقاصد النص ونشوئه وانتشاره في ظل الصراعات الدينية والسياسية التي تخللتها مراحل نشوء الدولة العربية الإسلامية ,وكانت السبب الرئيس في الكثير من التزييف والتحريف في الحقائق التاريخية ,وهذا ما بدا واضحاً من قلب اسم الاساءة إلى مدح من خلال النصوص التي تدعم ذلك والتي قد لا تصمد أمام النقد العلمي .

استغل الفكر الاستشراقي الاريابك في المدون الإسلامي والتعدد في الرؤى بالحادثة الواحدة , وهو ما شكل الحجر الأساس في طعنه وتشكيكه وتأبيده لبعض الأحداث دون غيرها أو بعض النصوص دون سواها فهو يمارس عملية انتقاء النصوص التي تخدم توجهاته , ومارس عليها هو الآخر سلطته المعرفية بقبول أو ورد ما يراه لا يتفق مع توجهاته واهدافه الاستشراقية .

الهوامش

(١) تيودور نولدكه: Th.Noldeke (١٨٣٦ - ١٩٣٠ م) , مستشرق الماني ولد في هامبورج , وتعلم اللغات السامية , والفارسية , والتركية والسنسكريتية , نال الدكتوراه عام (١٨٥٦ م) , ونال جائزة مجمع المكتبات و الآداب في باريس على رسالته (أصل وتركيب القرآن) , ثم اعاد النظر فيها وترجمها إلى الالمانية ونشرها بعنوان (تاريخ النص القرآني) , ولديه كتاب فكرة عامة عن حياة محمد (هانوفر - ١٨٦٣ م) , وفي سبيل فهم الشعر الجاهلي (١٨٦٤ م) , وقواعد احدى اللهجات الآرامية (هاله ١٨٧٥ م) , واسهم في نشر (تاريخ البلدان للطبري) (لیدن ١٨٨٦ - ١٩٠١ م) وغيرها الكثير . للمزيد من التفاصيل ينظر : عبد الرحمن بدوي , موسوعة المستشرقين (ط٣ , بيروت , دار العلم للملايين , ١٩٩٣م) , ص ٥٩٥ - ٥٩٨ ; نجيب العقيقي , المستشرقون , (ط٤ , القاهرة , دار المعارف , د.ت.) , ج ٢ / ص ٣٧٩ - ٣٨٢ ; يوهان فوك , الدراسات العربية في أوروبا حتى مطلع القرن العشرين ترجمة: سعيد حسن بحيري ومحسن الدمرداش , (ط١ , القاهرة , زهرة الشرق , ٢٠٠٦م) , ص ٣٥٢ - ٣٥٧ .

(٢) ينظر نص الرواية عند : أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٨ هـ) , السيرة النبوية , تح : محمد محي الدين عبد الحميد , (ط١ , القاهرة , مطبعة المدني , ١٩٦٣ م) , ج ٢ / ص ٤٣٤ .

(٣) ينظر نص الرواية عند : ابن هشام , السيرة النبوية , ج ٢ / ص ٤٣٤ .

(٤) أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) , معاني الأخبار تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري , (د. ط. قم , مؤسسة النشر الإسلامي , ١٩٥٩ م) , ص ١٢٠ ; علل الشرائع , تحقيق وتقديم: محمد صادق بحر العلوم , (د. ط. , النجف , المكتبة الحيدرية , ١٩٦٦م) , ج ١ / ص ١٥٦ .

(5) Theodor Noldeke , Zur tendenziosen Gestaltung der Urgeschichte des Islams , Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft (ZDMG) , Vol. 52, Leipzig, (1898) , P.P 28 - 31 .

(٦) إيتان كوهلبرغ : Etan Kohlberg , مستشرق صهيوني مولود في تل أبيب عام ١٩٤٣ م , والده الدكتور يوشع كوهلبرغ وهو أحد الناشطين الصهاينة , ووالدته الدكتورة إيرما كوهلبرغ , لذا فهو يرجع لأسرة متعلمة تعليم جيد , وهي من أصول أوربية في الأراضي بين المانيا واورانيا , استوطنت هذه الأسرة فلسطين عام ١٩٣٧ م , درس الموسيقى والعلوم الانسانية وبعد اكماله الثانوية وانهاؤه الخدمة العسكرية التحق بإحدى الجامعات العبرية وتحصل على شهادة البكلوريوس عام ١٩٦٦ م والماجستير عام ١٩٦٨ م والتي كانت تحت اشراف المستشرق الصهيوني وابرز دعاة الحركة الصهيونية (كاستر) الذي تأثر به كثيراً وكان له الأثر الكبير في دراساته المستقبلية , ثم واصل الدراسة في جامعة أوكسفورد ونال شهادة الدكتوراه عام ١٩٧١ م تحت اشراف المستشرق (شتيرن) الذي توفي بعد فترة قصيرة من اشرافه على اطروحته , تولى بعده المستشرق فالستر والتي كان عنوانها (أراء الشيعة الإمامية حول الصحابة) , بدأ التدريس في احدى الجامعات العبرية بصفة معيد وبعد أربع سنوات أصبح أستاذ مساعد , وأستاذ منذ عام ١٩٩١ م , احيل إلى التقاعد عام ٢٠٠٦ م , وواصل بعدها نشاطه التدريسي كأستاذ متمرس , تولى العديد من المناصب منها

الرؤية الاستشرافية للكنية للإمام علي (عليه السلام) (أبو تراب)

م. و. نزار ناجي محمدر

رئاسة الدراسات الآسيوية والأفريقية، ونال عضوية الأكاديمية الوطنية الإسرائيلية للعلوم ومن ثم انتدب لتمثيلها في اللجنة الدائمة للعلوم الإنسانية التابعة لصندوق العلوم الأوربي، كما كانت له نشاطات في معاهد ولجان عديدة، وتتمحور نشاطاته العلمية حول دراسة الفكر الإسلامي والتعاليم الدينية في العصور الإسلامية، وتتركز بالتحديد على الإسلام الشيعي، دون الكثير من المقالات تطرق فيها إلى الأصول العقائدية لدى الشيعة والفرق الشيعية، نشرت له عدة مقالات في الموسوعات العالمية مثل موسوعة إيرانيكا ودائرة المعارف الإسلامية (موسوعة الإسلام). للمزيد من التفاصيل ينظر: مصطفى مطهري، المستشرق إيتان كوهلبرغ وحديث الإمامية، ترجمة: أسعد مندي الكعبي، (ط ١)، العراق، دار الكفيل، ٢٠١٤م، ص ٣٨-٦٨.

(٧) ليو الثالث (ليو الإيسوري) (٧١٧-٧٤١م) لقب بالإيسوري نسبة لإقليم إيسوريا في آسيا الصغرى من أبوين أرمنيين ثم انتقل والده من هناك إلى المناطق المعرضة للغزو طبقاً للسياسة البيزنطية في نقل السكان إلى المناطق المعرضة للغزو العسكري، انخرط في سلك الجندية ثم ما لبث أن أصبح جندياً في حرس القصر الامبراطوري، ثم قائداً لفيلق الأناضول، ثم اختارها لجيش امبراطوراً، وكان اختيار الجيش واجب التنفيذ، وكان ليو الثالث سياسياً محنكاً وذهب إلى الامبراطورية البيزنطية الاستقرار وطبق القوانين العادلة، وقام بإصلاح نظام الضرائب، وكان له دور كبير في انقاذ القسطنطينية من المد الإسلامي. للمزيد من التفاصيل ينظر: محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، (د. ط. مصر، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م)، ص ٩١-٩٨. ينظر نص الرسالة:

(8) Arthur Jeffery, Ghevond's Text of the Correspondence Between Umar II and Leo III, 1944, Harvard Theological Review, Harvard University Press Cambridge, P.P. 292- 298.

وهناك العديد من الشكوك والملاحظات حول تلك الرسالة والكثير من الأخطاء التاريخية حيث يذكر فيها أن الحجاج بن يوسف الثقفي كان أحد عمال عمر بن عبد العزيز كما جاء بنص الرسالة مع أنه توفي قبل ذلك، وتحتوي على الكثير من الأشكال الغير منطقية حيث تذكر الرسالة أن القرآن من تأليف أبو تراب وسلمان الفارسي، حتى المؤلف غير مقتنع بفحواها فيذكرها تحت خانة الشك فابتدأ حديثه عنها بزعم من يدعي أنها رسالة مبعوثة من الامبراطور وليم الثالث لما فيها من المغالطات التاريخية.

(٩) يشير هنا إيتان كوهلبرغ لرأي نولكه السابق الذكر:

Theodor Noldeke, Zur tendenziosen Gestaltung der Urgeschichte des Islams, Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft (ZDMG), Vol. 52, Leipzig, (1898), P.P 28 - 31.

(10) Etan Kohlberg, Belief and Law in Imami Shi'ism, Variorum Gower House, Great Britain, 1991, (Abu Turab), Bulletin of the School of Oriental and African Studies 41, London, 1978, P. 347.

(11) Etan Kohlberg, Belief and Law in Imami Shi'ism, P.P. 347- 348.

(١٢) وهي من ناحية ينبع بين مكة والمدينة، وقيل: العشيبة حصن صغير بين ينبع وذي المروة يفضل تمره على سائر تمر الحجاز، وسميت تلك الغزوة باسمها، وحدثت في جمادي الآخرة على رأس ستة عشر شهراً من هجرته، وذكر أنه خرج ليعترض إحدى القوافل التجارية لقريش، فخرج في مائة وخمسين رجلاً وقيل مائتين بعد

الرؤية الاستشرافية للكنية للإمام علي (عليه السلام) (أبو تراب)

م. و. نزار ناجي محمدر

سماعه بتحريك القافلة باتجاه الشام وخرج ولم يدرك القافلة ولم يلقي كيدا . للمزيد من التفاصيل ينظر : محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ) ، المغازي ، تح: مارسدن جونز ، (ط ٣ ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٨٤م) ، ج ١ / ص ١٢ - ١٣ ؛ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٢ / ص ٤٣٣ - ٤٣٤ ؛ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي الحموي (ت ٦٢٦هـ) ، معجم البلدان (د. ط. ، بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ١٩٧٩م) ، ج ٤ / ص ١٢٧ .

(١٣) ينظر نص الرواية عند : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٢ / ص ٤٣٤ .

(14) Etan Kohlberg , Belief and Law in Imami Shi'ism , P. 348 .

(١٥) ينظر لنص الرواية ، الشيخ الصدوق ، علل الشرائع ، ج ١ / ص ١٥٧ .

(١٦) ويقصد هنا رواية ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٢ / ص ٤٣٤ .

(١٧) ينظر لكلام الشيخ الصدوق ، علل الشرائع ، ج ١ / ص ١٥٦ .

(١٨) ينظر لنص الروايتين : الشيخ الصدوق ، علل الشرائع ، ج ١ / ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(19) Etan Kohlberg , Belief and Law in Imami Shi'ism , P. 349 .

(٢٠) ويقصد هنا المستشرق كوهلبرغ : Kohlberg الصراع بين العلويين والأمويين .

(21) Etan Kohlberg , Belief and Law in Imami Shi'ism , P.P. 349- 350 .

(٢٢) سورة النبا ، الآية : ٤٠ .

(٢٣) ينظر على سبيل المثال الرواية عند الشيخ الصدوق ، علل الشرائع ، ج ١ / ص ١٥٦ .

(٢٤) الحافظ رجب بن محمد بن رجب البرسي الحلبي سمي بالبرسي نسبة إلى قرية (برس) وهي بين الكوفة والحلة ، وكان من عرفاء علماء الإمامية المشاركين في العلوم ، وله في حب أهل البيت آراء ونظريات لا يرتضيها لغير من الناس لذلك تم رميه بالغلو ، وله العديد من الآثار المهمة ومنها مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين ، رسالة في الصلوات على النبي وآله المعصومين ، الدر الثمين في خمسمائة آية نزلت في مولانا أمير المؤمنين . للمزيد من التفاصيل ينظر : رجب بن محمد بن رجب البرسي (ت بحدود ٨١٣ هـ) ، مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين (عليه السلام) ، بتحقيق : علي عاشور ، (ط ١ ، بيروت ، الأعلمي للمطبوعات ، ١٩٩٩م) ، ص ٣ - ٩ . (ترجمة المحقق) .

(٢٥) الحافظ رجب البرسي (ت ٨١٣هـ) ، مشارق أنوار اليقين ، ص ٤٣ - ٤٤ ، ٢٣٢ - ٢٣٥ .

(٢٦) وهي إحدى فرق الغلاة من الشيعة . للمزيد من التفاصيل ينظر : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) ، الملل والنحل ، تح : محمد سيد كيلاني ، (د. ط. ، بيروت ، دار المعرفة ، د.ت.) ، ج ١ / ص ١٨٨ - ١٨٩ .

(27) Etan Kohlberg , Belief and Law in Imami Shiism , P.P. 350 - 352 .

(٢٨) أبو تراب النخشي واسمه عسكر بن حُصين ؛ ويقال : عسكر ابن محمد بن حُصين . صحب أبا حاتم العطار البصري ، وحامياً الأصم النبلي . وهو من جلة مشايخ خراسان ، والمنكوبين بالعلم ، والفؤدة ، والتوكل ، والزهد ، والورع . ينظر : أبو عبد الرحمن السلمي (ت بحدود ٤١٢ هـ) ، طبقات الصوفية ، تح: نور الدين شريفة ، (ط ٢ ، القاهرة ، دار التأليف ، ١٩٦٩م) ، ص ١٤٦ .

الرؤية الاستشرافية للكنية للإمام علي (عليه السلام) (أبو تراب)

م. و. نزار ناجي محمدر

(29) NO EDITOR , (ABU TURAB) , The Encyclopaedia of Islam , 1ed ., Leiden , E. J. Brill , 1913 , V. I / P.P. 111- 112 .

وينظر الترجمة العربية في دائرة المعارف الإسلامية : المقال بلا محرر ، مادة (أبو تراب) ، دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة : إبراهيم زكي خورشيد و أحمد الشنتاوي و عبد الحميد يونس وآخرون ، (ط ١ ، القاهرة ، دن ، ١٩٣٣ م) ، مج ١ / ص ٣١٩ ؛ وينظر الطبعة الثانية من دائرة المعارف الإسلامية : (ط ٢ ، القاهرة ، دار الشعب ، ١٩٦٩م) ، مج ١ / ص ٤٣٨ .

(30) (ABU TURAB) ,The Encyclopaedia of Islam , 2 nd. ed ., Leiden , E. J. Brill , 1986 , V.I / P.155 .

(٣١) كليمان هيار (هوارت) : CL. Huart (١٨٥٤ - ١٩٢٧م) ، مستشرق فرنسي ولد في باريس و تخرج من مدرسة اللغات الشرقية ومدرسة الدراسات العليا ، وعين مترجماً مبتدئاً في القنصلية الفرنسية في دمشق (١٨٧٥م) ، وعين مترجماً ثالثاً في سفارة الاستانة (١٨٧٨م) ، ومترجماً ثانياً (١٨٨٥م) ، وعين قنصلاً (١٨٩٧م) ، استدعي إلى باريس عام (١٨٩٨م) ، وعين أمين سر ومترجم في وزارة الخارجية ، أصبح أستاذاً للعربية والفارسية والتركية في مدرسة اللغات الشرقية ، ومديراً لمدرسة الدراسات العليا ، حيث كان يلقي محاضراته في تفسير القرآن بالعربية الفصحى ، من آثاره : التقاليد اليهودية والمسيحية في اليمن ، ووجه الشبه بين القرآن وشعر أمية بن أبي الصلت (١٩٠٤م) . للمزيد من التفاصيل ينظر : العقيقي ، المستشرقون ، ج ١ / ص ٢١٢ - ٢١٦ ؛ يحيى مراد ، معجم أسماء المستشرقين ، (ط ١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٤م) ، ص ٧١١-٧١٣ .

(32) CI. HUART , (ALI B. ABI TALIB) ,The Encyclopaedia of Islam, 1ed . , Leiden , E. J. Brill , 1913 , V. I / P.283 .

(٣٣) لورا فيشيا فاغليري (فاجليري) : L. Veccia Vaglieri ، مستشرقة ايطالية ، باحثة انصرفت إلى التاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً ، وإلى فقه العربية و آدابها ، من أثارها رحلة حاج عبر ليبيا في القرن السابع عشر (مجلة طرابلس ١٩٢٤ - ٢٥) ، وترجمة الشيخ أبي عبد الله الفاسي ، مع سرد بمصنفاته (مجلس طرابلس ١٩٢٤ ، وقد زاد عليها جويدي في المجلة نفسها ، ١٩٢٥م) ، ونبذه عن ابن مسعود والإمام يحيى و اليمن (الشرق الحديث ، ١٤ ، ١٩٣٤م) ، تقاليد رمضان في متعدد البلدان الاسلامية (حوليات المعهد الشرقي بنابولي ، ١٠ ، ١٩٣٧م ، ١٩٣٨م) ، الخلاف بين علي ومعاوية وتمرد الخوارج (حوليات المعهد الشرقي بنابولي ، ١٩٣٢ - ٥٢ ، ومؤتمر المستشرقين ١٩٥١م ، ج ٢ ، ١٩٥٧م) للمزيد من التفاصيل ينظر : العقيقي ، المستشرقون ، ج ١ / ص ٤٦٦ ؛ مراد ، معجم أسماء المستشرقين ، ص ٧٣٨ .

(34) L. VECCIA VAGLIERI , (ALI B. ABI TALIB) , The Encyclopaedia of Islam , 2 nd. ed ., Leiden , E. J. Brill , 1986 , V.I /P. 385 .

(35) L. VECCIA VAGLIERI , (FATIMA) , The Encyclopaedia of Islam , 2 nd. ed ., Leiden , E. J. Brill , 1986 , V.II /P.843 .

(٣٦) دقعاء : عامّة التراب ، وقيل : التراب الدقيق على وجه الأرض ، وقيل هي الأرض التي لا تَبَاتَ بها . ينظر : جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١هـ) ، لسان العرب ، (د. ط. ، قم ، ادب الحوزة ، ١٩٨٥م) ،

الرؤية الاستشرافية للكنية للإمام علي (عليه السلام) (أبو تراب)

م. و. نزار ناجي محمدر

- ج ٨/ ص ٨٩ ؛ محب الدين ابو الفيض السيد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) ، تاج العروس في جواهر القاموس، تح : علي شيري ، (د. ط، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٤)، ج ١١/ ص ١١٨ .
- (٣٧) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٢/ ص ٤٣٤ .
- (٣٨) أبوعبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ، التاريخ الكبير ، (د. ط. ، تركيا ، المكتبة الإسلامية ، د.ت.) ، التاريخ الكبير ، ج ١/ ص ٧١ . والرواية عن ابن إسحاق : قال حدثني يزيد بن محمد بن خيثم المحاربي ، عن محمد بن كعب القرظي، عن محمد بن خيثم أبي يزيد ، عن عمار بن ياسر .
- (٣٩) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٢/ ص ٤٣٤ .
- (٤٠) عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن ابي الحسن الخثعمي السهيلي (٥٨١ هـ) ، الروض الأنف ، قدم وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، (د. ط. ، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٩م)، ج ٣/ ص ٢٨ .
- (٤١) سورة القلم ، الآية : ٤ .
- (٤٢) الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي (ت ٥٦٨ هـ) ، المناقب ، تح : مالك المحمودي ، (ط ٢ ، قم ، النشر الإسلامي، ١٩٩٣م) ، ص ٣٥٣-٣٥٤ ؛ أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي (ت ٦٩٣ هـ) ، كشف الغمة في معرفة الأئمة ، (ط ٢ ، بيروت ، دار الأضواء ، ١٩٨٥ م) ، ج ١/ ص ٣٧٣ . وينظر ما ذكرته السيدة فاطمة (عليها السلام) حول عمق تلك العلاقة . محمد بن القتال النيسابوري (ت ٥٠٨ هـ) ، روضة الواعظين ، (د. ط. ، قم . منشورات الشريف الرضي ، د.ت.) ، ص ١٥١ ؛ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١ هـ) ، بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهار، تح : إبراهيم الميانجي ومحمد الباقر البهبودي، (ط ٢، بيروت، مؤسسة الوفاء ، ١٩٨٣م)، ج ٤٣/ ص ١٩١ .
- (٤٣) جعفر مرتضى العاملي، الصحيح من سيرة الإمام علي (عليه السلام) ، (ط ١ ، قم ، ولاء المنتظر ، ٢٠٠٩م)، ج ٢/ ص ٢٤٧ .
- (٤٤) أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري مسلم النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) ، الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، (د. ط. ، بيروت ، دار الفكر ، د.ت.) ، ج ٧/ ص ١٢٤ ؛ أبو بكر أحمد بن الحسن البيهقي (٤٥٨ هـ) ، السنن الكبرى ، (د. ط. ، د. م. ، دار الفكر ، د.ت.)، ج ٢/ ص ٤٤٦ ؛ واوردها البخاري بحذف مقدمة الرواية ينظر: أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ، (د. ط. ، القاهرة ، دار الفكر ، ١٩٨١م) ، ج ٧/ ص ١٤٠ .
- (٤٥) ينظر على سبيل المثال : البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٤/ ص ٢٠٨ ؛ ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الرسل والملوك) (تاريخ الطبري)، تح : نخبة من العلماء ، (ط ٤، بيروت ، مؤسسة الاعلمي، ١٩٨٣م)، ج ٢/ ص ١٢٤ ؛ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد المعروف بابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح : علي محمد البجاوي، (ط ١، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٢ م) ، ج ٣/ ص ١١١٨ ، (46 Theodor Noldeke, Zur tendenziosen Gestaltung der Urgeschichte des Islams, P.30
- (٤٧) ينظر مادة (تراب): ابن منظور، لسان العرب، ج / ص ٢٢٧-٢٣٠؛ الزبيدي، تاج العروس، ج ١/ ص ٣٢١ - ٣٢٦ .

الرؤية الاستشرافية للكنية للإمام علي (عليه السلام) (أبو تراب)

م. و. نزار ناجي محمدر

- (٤٨) أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى العدوي القرشي ، أمه زينب بنت مظعون بن حبيب بن الجمحي ، ولد في مكة بعد البعثة النبوية واختلف في تحديد سنة الولادة ، اسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم ، هاجر مع أبيه إلى المدينة ، لم يشهد بدر ، واختلف في شهوده أحد ، وذكر أن أول مشاهدة الخندق ، كان كثير الاتباع لآثار الرسول ﷺ ، توفي في مكة سنة ثلاث وسبعين بعد مقتل ابن الزبير ، وقيل توفي سنة أربع وسبعين ، وذكر أن الحجاج قد أمر رجلا بسم زج رمح و وضعه في ظهر قدمه بعد مزاحمته بالطريق في موسم الحج ، وتوفي على أثرها ، ونقل عنه قوله : ما أسى على شيء إلا تركي قتال الفئة الباغية مع علي (عليه السلام) ، وعلى ما يبدو تعرضه للتصفية السياسية من قبل السلطات الأموية . ينظر : محمد بن سعد بن منيع الزهري ابن سعد (٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبرى ، (د. ط. ، بيروت ، دار صادر ، د. ت.) ، ج٤/ ص ١٤٢ - ١٨٨ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٣/ ص ٩٥٠ - ٩٥٣ ؛ أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، (د. ط. ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، د. ت.) ، ج٣/ ص ٢٢٧ - ٢٣١ .
- (٤٩) الشيخ الصدوق ، علل الشرائع ، ج١ / ص ١٥٧ ؛ ووردت مختصرة عند أبو عبد الله محمد بن علي ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ) ، مناقب آل أبي طالب ، (د. ط. ، النجف ، المطبعة الحيدرية ، ١٩٥٦ م) ، ج٢ / ص ٢٠٥ ؛ وينظر : المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٣٥ / ص ٥٠ .
- (٥٠) أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) ، المعجم الكبير ، تح : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، (ط٢ ، بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ١٩٨٥ م) ، ج١٢ / ص ٣٢١ .
- (٥١) أبو يعلى الموصلي ، أحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت ٣٠٧ هـ) ، مسند أبي يعلى الموصلي ، تح : حسين سليم أسد ، (ط١ ، د. د. م. ، دار المأمون للتراث ، ١٩٨٧ م) ، ج١ / ص ٤٠٢ - ٤٠٣ ؛ وينظر كذلك : أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) ، تاريخ مدينة دمشق ، تح : علي شيري ، (د. ط. ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٦ م) ، ج٤٢ / ص ٥٥ .
- (٥٢) الشيخ الصدوق ، علل الشرائع ، ج١ / ص ١٥٦ .
- (٥٣) ينظر ما ذكر عن كنية أحد عمال بني أمية (سليمان بن يسار) حيث كان يكنى بأبي تراب . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ / ص ١٧٥ .
- (٥٤) ينظر على سبيل المثال عن كناه عليه السلام: مؤلف مجهول (من قدماء المحدثين) (ت القرن الرابع الهجري) ، القاب الرسول وعترته ، (د. ط. ، قم ، مكتب آية الله العظمى المرعشي النجفي ، ١٩٨٦ م) ، ص ٢٠ - ٣٨ .
- (٥٥) ينظر على سبيل المثال تفاخره بانه عبد الله وأخو رسوله . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ / ص ٢٣ . وينظر تفاخره بلقب الصديق الأكبر أو فاروق هذه الأمة التي اطلقهن عليه النبي (صلى الله عليه واله وسلم) : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٤ / ص ١٧٤٤ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٥ / ص ٢٨٧ . وتفاخره على غير ينظر : الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ / ص ٥٦ ؛ أبو عبد الله محمد بن محمد الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) ، المستدرک على الصحيحين ، تح : يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، (د. ط. ، بيروت ، دار المعرفة ، د. ت.) ، ج٣ / ص ١١٢ ؛ أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) ، الكامل في التاريخ ، (د. ط. ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٥ م) ، ج٢ / ص ٥٧ .

الرؤية الاستشرافية للكنية للإمام علي (عليه السلام) (أبو تراب)

م. و. نزار ناجي محمدر

- (٥٦) ينظر على سبيل المثال: البخاري، صحيح البخاري، ج٤/ ص ٢٠٧-٢٠٨؛ ج٧/ ص ١٤٠؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج٢/ ص ١٢٤؛ البيهقي، السنن الكبرى، ج٢/ ص ٤٤٦؛ الموفق الخوارزمي، المناقب، ص ٣٨؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٢/ ص ١٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٥/ ص ٦٣-٦٦.
- (٥٧) مسلم، صحيح مسلم، ج٧/ ص ١٢٤؛ البيهقي، السنن الكبرى، ج٢/ ص ٤٤٦؛ واوردها البخاري بحذف مقدمة الرواية. ينظر: البخاري، صحيح البخاري، ج٧/ ص ١٤٠. وينظر كذلك: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٢/ ص ١٨. وينظر ما ذكره: عز الدين عبد الحميد هبة الله ابن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم (ط١، د.م.، دار احياء الكتب العربية، ١٩٥٩م)، ج٤/ ص ٥٦-٥٧.
- (٥٨) أبو عبد الرحمن حجر بن عدي بن ربيعة بن معاوية بن ثور بن مرتع بن الكندي، وهو جاهليا إسلاميا ذكر بعض رواة العلم أنه وفد إلى النبي صلى الله عليه واله وسلم مع أخيه هانئ بن عدي وشهد حجر القادسية وهو الذي افتتح مرج عذرى وكان في ألفين وخمسمائة من العطاء وكان من أصحاب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وشهد معه الجمل وصفين فلما قدم والي معاوية العراق اخذ ينتقد السياسة الأموية وولاتها مما دفع الى اعتقاله وارساله إلى معاوية بن ابي سفيان حيث قتله مع جماعة من اتباعه في مرج عذراء بالشام سنة احدى وخمسين. ينظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦/ ص ٢١٧-٢٢٠؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج١/ ص ٣٢٩-٣٣٢.
- (٥٩) الطبري، تاريخ الطبري، ج٤/ ص ١٩٨.
- (٦٠) ينظر ما ذكرته المصادر في ذم الإمام علي (عليه السلام) بتلك الكنية ولعنه من قبل الأمويين من على المنابر، فلم يكن القصد من تكتيته بتلك الكنية هو المدح. ينظر: مسلم، صحيح مسلم، ج٧/ ص ١٢٤؛ البيهقي، السنن الكبرى، ج٢/ ص ٤٤٦؛ واوردها البخاري بحذف مقدمة الرواية. ينظر: البخاري، صحيح البخاري، ج٧/ ص ١٤٠. وينظر كذلك: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٢/ ص ١٨. وينظر ما ذكره: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٤/ ص ٥٦-٥٧.
- (٦١) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (ط٢، قم، دار الهجرة، ١٩٨٤م)، ج٣/ ص ٩٤-٩٥.
- (٦٢) أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني ابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب، (د.ط.، بيروت، دار صادر، د.ت.)، ج١/ ص ٢١٠.
- (٦٣) ابن منظور، لسان العرب، ج١/ ص ٢٢٧-٢٢٩؛ الزبيدي، تاج العروس، ج١/ ص ٣٢١-٣٢٣. (مادة ترب).
- (٦٤) سورة البلد، الآية: ١٦.
- (٦٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٣/ ص ٩٤-٩٥.
- (٦٦) ينظر بذل معاوية لزعماء القبائل: الطبري، تاريخ الطبري، ج٤/ ص ١٨٠؛ وينظر بذله الأموال للأفراد: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (٢٧٩هـ)، أنساب الأشراف، تح: محمد حميد الله، (د.ط.، مصر، دار المعارف، ١٩٥٩م)، ج٢/ ص ٢٨٨. وينظر استخدام المال للتخلص من اعداءه. الطبري، تاريخ الطبري، ج٤/ ص ٧١-٧٢ في قصة غدره بمالك الأشتر عامل الإمام علي (عليه السلام) على مصر واعطاء الأموال لقاتليه
- (٦٧) نصر بن مزاحم المنقري (ت٢١٢هـ)، وقعة صفين، تح: عبد السلام محمد هارون، (ط٢، القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة للطباعة والنشر، ١٩٦٢م)، ص ٤٣٦.

- (٦٨) أبو الحسن محمد بن الحسين الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ), نهج البلاغة, تح: صبحي الصالح, (ط ١), بيروت, د.د. نا., ١٩٦٧ م), ص ٤٦١ .
- (٦٩) سورة البقرة, الآية: ٢٤٧ .

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

المصادر الأولية

- ابن الأثير, عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م).
- ١- أسد الغابة في معرفة الصحابة, (د.د. ط., بيروت, دار الكتاب العربي, د.د. ت.).
- ٢- الكامل في التاريخ, (د.د. ط., بيروت, دار صادر, ١٩٦٥م).
- ٣- اللباب في تهذيب الأنساب, (د.د. ط., بيروت, دار صادر, د.د. ت.).
- الأربلي, أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م).
- ٤- كشف الغمة في معرفة الأئمة, (ط ٢, بيروت, دار الأضواء, ١٩٨٥م).
- البخاري, أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (٢٥٦هـ / ٨٦٩م).
- ٥- التاريخ الكبير, (د.د. ط., تركيا, المكتبة الإسلامية, د.ت.).
- ٦- صحيح البخاري, (د.د. ط., القاهرة, دار الفكر, ١٩٨١م).
- البرسي, رجب بن محمد بن رجب (ت بحدود ٨١٣هـ / ١٤١٠م).
- ٧- مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين (عليه السلام), تحقيق: علي عاشور, (ط ١, بيروت, الأعلمي للمطبوعات, ١٩٩٩م).
- البلاذري, أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩هـ / ٨٩٢م).
- ٨- أنساب الأشراف, تح: محمد حميد الله, (د.د. ط., مصر, دار المعارف, ١٩٥٩م).
- البيهقي, أبو بكر أحمد بن الحسن (٤٥٨هـ / ١٠٦٥م).
- ٩- السنن الكبرى, (د.د. ط., د.م., دار الفكر, د.ت.).
- الحاكم النيسابوري, أبو عبد الله محمد بن محمد (ت ٤٠٥هـ / ١٠١٤م).

-
-
- ١- المستدرك على الصحيحين , تح : يوسف عبد الرحمن المرعشلي , (د. د. ط. , بيروت , دار المعرفة , د.ت.) .
 - ابن أبي الحديد , عز الدين عبد الحميد هبة الله (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) .
 - ١١- شرح نهج البلاغة , تح : محمد أبو الفضل إبراهيم , (ط ١ , د. د. م. , دار احياء الكتب العربية , ١٩٥٩ م) .
 - الزبيدي , محب الدين ابو الفيض السيد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م) .
 - ١٢- تاج العروس في جواهر القاموس , تح : علي شيري (د. ط. , بيروت , دار الفكر , ١٩٩٤) .
 - ابن سعد , محمد بن سعد بن منيع الزهري (٢٣٠ هـ / ٩٤١ م) .
 - ١٣- الطبقات الكبرى , (د. د. ط. , بيروت , دار صادر , د.ت.) .
 - السلمي , أبوعبد الرحمن (ت بحدود ٤١٢ هـ / ١٠٢١ م) .
 - ١٤- طبقات الصوفية , تح: نور الدين شريفة , (ط ٢ , القاهرة , دار التأليف , ١٩٦٩ م) .
 - السهيلي , عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن ابي الحسن الخثعمي (٥٨١ هـ / ١١٨٥ م)
 - ١٥- الروض الأنف , قدم وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد , (د. د. ط. , بيروت , دار الفكر , ١٩٨٩ م) .
 - الشريف الرضي , أبو الحسن محمد بن الحسين (ت ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م) .
 - ١٦- نهج البلاغة , تح : صبحي الصالح , (ط ١ , بيروت , د. د. نا. , ١٩٦٧ م) .
 - ابن شهر اشوب , أبو عبد الله محمد بن علي (ت ٥٨٨ هـ / ١١٩١ م) .
 - ١٧- مناقب آل أبي طالب , (د. د. ط. , النجف , المطبعة الحيدرية , ١٩٥٦ م) .
 - الشهرستاني , أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م) .
 - ١٨- الملل والنحل , تح : محمد سيد كيلاني , (د. د. ط. , بيروت , دار المعرفة , د.ت.) .
 - الشيخ الصدوق , أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ / ٨٩٤ م) .
 - ١٩- علل الشرايع , تحقيق وتقديم: محمد صادق بحر العلوم , (د. د. ط. , النجف , المكتبة الحيدرية , ١٩٦٦ م) .

٢٠- معاني الأخبار، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، (د. ط.، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٩٥٩ م).

• الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ / ٩٧١ م).

٢١- المعجم الكبير، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (ط ٢، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٩٨٥ م).

• الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢ م).

٢٢- تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الرسل والملوك) (تاريخ الطبري)، تح: نخبة من العلماء، (ط ٤، بيروت، مؤسسة الاعلمي، ١٩٨٣ م).

• ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠ م).

٢٣- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي، (ط ١، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٢ م).

• ابن عساکر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥ م).

٢٤- تاريخ مدينة دمشق، تح: علي شيري، (د. ط.، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٦ م).

• القتال النيسابوري، محمد (ت ٥٠٨هـ / ١١١٥ م).

٢٥- روضة الواعظين، (د. ط.، قم، منشورات الشريف الرضي، د.ت.).

• المجلسي، محمد باقر (١١١١هـ / ١٦٩٩ م).

٢٦- بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهار، تح: إبراهيم الميانجي ومحمد الباقر البهبودي، (ط ٢، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣ م).

• المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧ م).

٢٧- مروج الذهب ومعادن الجوهر، (ط ٢، قم، دار الهجرة، ١٩٨٤ م).

• مسلم، أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ / ٨٧٤ م).

٢٨- الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، (د. ط.، بيروت، دار الفكر، د.ت.).

• ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ / ١٣١١ م).

- ٢٩- لسان العرب , (د. ط. , قم , ادب الحوزة , ١٩٨٥ م).
- المنقري , نصر بن مزاحم (ت ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م) .
- ٣٠- وقعة صفين , تح : عبد السلام محمد هارون , (ط٢ , القاهرة , المؤسسة العربية الحديثة , ١٩٦٢ م) .
- الموفق الخوارزمي , أحمد بن محمد المكي (ت ٥٦٨ هـ / ١١٧٣ م) .
- ٣١- المناقب , تح : مالك المحمودي , (ط٢ , قم , النشر الإسلامي , ١٩٩٣ م) .
- مؤلف مجهول (من قدماء المحدثين) (ت القرن الرابع الهجري) .
- ٣٢- القاب الرسول وعترته , (د. ط. , قم , مكتب آية الله العظمى المرعشي النجفي , ١٩٨٦ م).
- ابن هشام , أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) .
- ٣٣- السيرة النبوية , تح : محمد محي الدين عبد الحميد , (ط١ , القاهرة , مطبعة المدني , ١٩٦٣ م) .
- الواقدي , محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م) .
- ٣٤- كتاب المغازي , تح : مارسدن جونز , (ط٣ , بيروت , عالم الكتب , ١٩٨٤ م) .
- ياقوت الحموي , شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م)
- ٣٥- معجم البلدان , (د. ط. , بيروت , دار احياء التراث العربي , ١٩٧٩ م).
- أبو يعلى الموصلي , أحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت ٣٠٧ هـ / ٩١٨ م) .
- ٣٦- مسند أبي يعلى الموصلي , تح : حسين سليم أسد , (ط١ , د. م. , دار المأمون للتراث , ١٩٨٧ م) .

المراجع الثانوية

- ٣٧- بدوي , عبد الرحمن : موسوعة المستشرقين (ط٣ , بيروت , دار العلم للملايين , ١٩٩٣ م)
- ٣٨- العاملي , جعفر مرتضى : الصحيح من سيرة الإمام علي (عليه السلام) , (ط١ , قم , ولاء المنتظر , ٢٠٠٩ م) .
- ٣٩- العقيلي , نجيب : المستشرقون , (ط٤ , القاهرة , دار المعارف , د.ت.) .
- ٤٠- عمران , محمود سعيد : معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية , (د. ط. , مصر , دار المعرفة الجامعية , ٢٠٠٠ م) .

- ٤١- فوك , يوهان : الدراسات العربية في أوروبا حتى مطلع القرن العشرين ترجمة: سعيد حسن بحيري ومحسن الدمرداش , (ط ١ , القاهرة , زهرة الشرق , ٢٠٠٦م) .
- ٤٢- مراد , يحيى: معجم أسماء المستشرقين , (ط ١ , بيروت , دار الكتب العلمية , ٢٠٠٤م) .
- ٤٣- مطهري, مصطفى: المستشرق إيتان كوهلبرغ وحديث الإمامية , ترجمة : أسعد مندي الكعبي , (ط ١ , العراق , دار الكفيل , ٢٠١٤م) .

المقالات والبحوث

- ٤٤- بلا محرر , مادة (أبو تراب) , دائرة المعارف الإسلامية , ترجمة : إبراهيم زكي خورشيد و أحمد الشنتاوي و عبد الحميد يونس وآخرون , (ط ١ , القاهرة , د.ن , ١٩٣٣ م) .
- ٤٥- بلا محرر , مادة (أبو تراب) , دائرة المعارف الإسلامية , ترجمة : إبراهيم زكي خورشيد و أحمد الشنتاوي و عبد الحميد يونس وآخرون , (ط ٢ , القاهرة , دار الشعب , ١٩٦٩م) .
- 46- HUART, Cl. : (ALI B. ABI TALIB) , The Encyclopaedia of Islam, 1ed . , Leiden , E. J. Brill ,1913 , V. I .
- 47- Jeffery , Arthur : Ghevond's Textof the Correspondence Between Umar II and Leo III , 1944 , Harvard Theological Review , Harvard University Press Cabridge .
- 48- Kohlberg , Etan: Belief and Law in Imami Shiism ,Variorum Gower House , Great Britain , 1991 ,(Abu Turab) , Bulletin of the School of Oriental and African Studies 41 , London , 1978 .
- 49- Noldeke, Theodor: Zur tendenziosen Gestaltung der Urgeschichte des Islams, Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft (ZDMG) , Vol. 52, Leipzig, (1898) .
- 50- VAGLIERI , L. VECCIA : (ALI B. ABI TALIB) , The Encyclopaedia of Islam , 2 nd. ed ., Leiden , E. J. Brill ,1986 , V.I.

- 51- VAGLIERI , L. VECCIA : (FATIMA) , The Encyclopaedia of Islam ,
2 nd. ed ., Leiden , E. J. Brill , 1986 , V.II .
- 52- NO EDITOR , (ABU TURAB) , The Encyclopaedia of Islam , 1ed . ,
Leiden , E. J. Brill , 1913 , V. I .
- 53- NO EDITOR , (ABU TURAB) ,The Encyclopaedia of Islam , 2 nd.
ed ., Leiden , E. J. Brill , 1986 , V. I .

العراق ولجان التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل ١٩٩٧ - ٢٠٠٣ م

أ.م.د. عهود عباس أحمد

جامعة البصرة - مركز دراسات البصرة والخليج العربي

الملخص

إن اتهام العراق بامتلاك أسلحة دمار شامل كان الذريعة الأساسية لغزوه عام ٢٠٠٣ وهي المرحلة الأخيرة لما سبقها من عمليات تفتيش عن تلك الاسلحة بعد تشكيل لجان خاصة للقيام بتلك المهمة وفرض مجموعة من القرارات من قبل مجلس الامن الدولي بعد إدانة النظام السابق بمواصلة العمل ببرنامج أسلحة الدمار الشامل لكن الواقع كان عمل تلك اللجان يهدف الى تحجيم جميع قدرات العراق العلمية والعسكرية والأمنية وهو ما دعا إلى إبادة جماعية وغير مباشرة لأبناء الشعب العراقي وإنهاكه بتلك القرارات الجائرة التي كان هدفها الأول هو اسقاط النظام السابق والقضاء عليه وهو ما حصل بعد مضي عدة سنوات من المعاناة والجوع والظلم الذي وقع على شعب العراق دون أي مبرر وكل ما في الامر هو ان الولايات المتحدة الأمريكية كانت تهدف إلى تنفيذ مخططها المزدوج في العراق وهو اسقاط النظام من جانب وإبادة الشعب العراقي من الجانب الآخر

الكلمات المفتاحية : العراق، أسلحة الدمار الشامل، باتلر، الولايات المتحدة الامريكية، مجلس الأمن الدولي، الأنموفيك، الانسكوم

Iraq and the Inspection Committees for Weapons of Mass Destruction 1997-2003

Assist.Prof. Ahoud Abbas Ahmed

University of Basra - Center for Basra and Arabian Gulf Studies

Abstract

Accusing Iraq of possessing weapons of mass destruction was the main pretext for its invasion in 2003, which is the last stage for the previous inspections of those weapons after the formation of special committees to carry out this task and the imposition of a set of resolutions by the UN Security Council after condemning the former regime to continue working on the weapons of mass destruction program. But the reality was the work of those committees aimed at curtailing all of Iraq's scientific, military and security capabilities, which called for an indirect genocide of the Iraqi people and exhausted them with those unjust decisions whose first goal was to overthrow and eliminate the former regime, which is what happened after several years of suffering and starvation. And the injustice that befell the people of Iraq without any justification, and all that is in the matter is that the United States of America was aiming to implement its dual scheme in Iraq, which is the overthrow of the regime on one side and the extermination of the Iraqi people on the other.

key words: unmovic Iraq, WMD, Butler, United States of America, UN Security Council, Anscom

المقدمة

ان موضوع البحث عن أسلحة الدمار الشامل في العراق وتدميرها لم يكن هو الموضوع الاسمى في تقويم سلوك النظام السابق وردعه بقدر ما كانت فرصة غير سابقة لمعرفة ادق تفاصيل اسرار العراق ومقدراته العلمية والعسكرية والأمنية والبحث في وثائقه وأوراقه التي ضمت تاريخ فترة زمنية واسعة ومهمة من فترات تاريخ العراق الحديث والمعاصر تمهيدا لسلب ارادة شعبه العريق وتمزيق وحدته المتينة من خلال القيام بسلوك لا سابق له في التعامل مع دولة نالت استقلالها منذ عشرات السنوات وتعد أحد أهم الدول السباقفة في الانضمام الى عصابة الأمم ومن ثم الى منظمة الامم المتحدة كما انها احد اهم مؤسسي جامعة الدول العربية وبسبب تطور شعب العراق وتقدمه وقوته نظرت اليه الدول الكبرى على انه اصبح خطرا كبيرا على مصالحهم في المنطقة ولا بد من التخطيط لاستنزاف جميع قدراته وتحجيم تأثيره الكبير على دول وشعوب المنطقة في مقابل تأمين كل انواع مصالحها الاستراتيجية فيها وتعميم سياستها المبنية على نظرية القوة العظمى باسم التحرير الذي لا يمكن أن يكون بالاحتلال وفي الواقع كان سلوك الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها تجاه تدمير العراق ما هو إلا مقدمة لاحتلال وإنهاء دول اخرى في منطقة الشرق الاوسط بذريعة امتلاكه لأسلحة الدمار الشامل ونيته في استخدام هذه الأسلحة للأغراض العسكرية خلافا لنظرية تحريم امتلاك أسلحة الدمار شامل إلا على الدول الكبرى فقط والتي هي صاحبة حق الفيتو في مجلس الامن الدولي ولهذا كان موضوع القضاء على النظام السابق في العراق هو مجرد سبب ظاهر اتخذ كذريعة لتفتيت قوة العراق ومنعه وعرقلته من التقدم المطلوب كدولة مهمة وريادية في الميزان الاستراتيجي العربي ساعد في ذلك هيمنت الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية على قرارات مجلس الامن الدولي التي نظمت عمل لجان التفتيش بالعراق وسيطرت عليها طيلة الفترة التي سبقت العدوان عليه لكنها لم تستمع الى اية من قراراتها التي اكدت على خلو العراق من اي نوع من اسلحة الدمار الشامل التي تشكل خطرا حقيقيا ليس على المنطقة فحسب على العالم اجمع مما دعاها الى غزو عديم الجدوى تداعياته كانت رهيبه وقد تناولنا في هذا البحث المتواضع في الفصل الاول منه المساعي العراقية الأولى لإنتاج الأسلحة الكيماوية والبايولوجية والنووية وبداية عمل اللجنة الخاصة للبحث عن اسلحة الدمار الشامل فيه اما الفصل الثاني فقد تعرض الى

ظهور ازمة تفتيش القصورالرئاسية والمباني السيادةية وتضمن الفصل الثالث الاعتداء الأمريكي على العراق بتوجه ضربة عسكرية عرفت بأسم ثعلب الصحراء وما تبعها من تداعيات وجاء في الفصل الرابع عرض لبعض المبادرات العربية التي طرحت لحل ازمة التفتيش بين العراق واللجنة الخاصة للبحث عن اسلحة الدمار الشامل وختاما كان الفصل الخامس قد خصص للبحث في دور لجنة الأنموفيك لحل الأزمة والجهود السرية التي بذلها العراق من اجل دفع الحرب عنه .

المبحث الاول: العراق واللجنة الخاصة للبحث عن اسلحة الدمار الشامل

في ثمانينات القرن الماضي كان للعراق برنامج حقق تقدما كبيرا في انتاج الاسلحة المتطورة والبعيدة المدى والسلاح البايولوجي^(١) وكان صدام حسين يسعى بكل الوسائل لبناء أكبر قوة بالمنطقة ويعمل على تطوير الأسلحة النووية والكيميائية ، وكان لدى العراق تقدماً صناعياً كبيراً في المجال العسكري والأسلحة العسكرية والصواريخ وهو ما ساعده في الصمود على الحروب التي واجهته في ما بعد^(٢). لقد كان بدايتها عبارة عن دراسات وبحوث واستيراد العزلات الجرثومية وبعض الاجهزة المختبرية من خارج العراق وكان ذلك يجري في منشأة المثنى ثم في مركز البحوث الفنية في سلمان باك^(٣) ، ولعل الدافع الرئيس في حينها لأمتلاك صدام اسلحة دمار شامل هو حيازة اسرائيل لأسلحة نووية تمثل تهديدا فعليا للعراق ، اذ قال "انني اعتقد بحق العرب في حيازة أي سلاح يتوفر عليه عدوهم"^(٤) ، كما ذكرت احدى ادبيات حزب البعث الرسمية ان خطوة استراتيجية من شأنها تحرير الأمة العربية واقامة قوة موحدة تمكنها من الدفاع عن أمنها القومي وتعزيز النفوذ السياسي عبر استراتيجية الردع الهجومي وبالذات لمنع خضوع العراق لأسرائيل^(٥) ، كما أعتبر النظام السابق ان موضوع السلاح النووي عامل حاسم في رسم ميزان القوة في الشرق الأوسط، وان صراع امريكا على منع العرب من حيازة القدرة النووية لا يراد منها الا ضمان الأحتكار النووي الاسرائيلي بوجه خاص^(٦)

وفي أوائل ثمانينات القرن الماضي تحديدا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تعتقد ان مصلحة الامن القومي الامريكي تقتضي دعم العراق وخاصة بعد ان بدأت موازين القوى في حرب العراق مع ايران تميل لصالح الأخيرة وهو ما اعتبرته تهديداً لكل اصدقاءها في المنطقة ، ولكن في عام ١٩٨٣ عندما تخلى العراق عن دعم ومساندة رئيس فتح - المجلس الثوري_ صبري خليل البنا المعروف

باسم أبو نضال (١٩٣٧ - ٢٠٠٢) اسرعت الولايات المتحدة الأمريكية الى رفع اسم العراق من قائمة الدول الراعية للإرهاب ، وأما في عام ١٩٨٤ فقد اعيدت العلاقات الدبلوماسية بين العراق والولايات المتحدة الأمريكية وفي اثر ذلك قدمت للعراق معلومات استخباراتية دقيقة خلال حربه مع ايران كان مصدرها صوراً التقطتها الاقمار الصناعية لجبهات القتال وفي تاريخ ٢ تشرين الأول أكتوبر ١٩٨٩ فقد صدر توجيه من مجلس الامن القومي الامريكي بشأن دول الخليج حدد نوع التعامل الأمريكي مع العراق وكان الموصى به هو اتباع سياسة الحوافز والحرمان معا والمقصود منها هو (تقديم الحوافز للعراق عندما يكون سلوكه السياسي يتناسب مع التطلعات الامريكية وإتباع الحرمان معه والضغوطات عليه عندما يكون العراق دولة مارقة في نظر الولايات المتحدة الأمريكية) ، ومع ذلك فقد حصلت لقاءات بين مسؤولين عراقيين وامريكيين في يوم ٦ تشرين الأول / أكتوبر من العام نفسه التقى فيها طارق عزيز الذي كان يشغل منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية في حينها مع وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية جيمس بيكر (James Addison Baker) (١٩٨٩ - ١٩٩٢) واخبره بان بلاده تتحرك في الخليج ودول العالم لتحريضهم على العنف ضد العراق وكان رد بيكر بان ما ادعاه طارق عزيز هو غير صحيح ، وفي شهر آذار / مارس من نفس السنة التقى جيمس بيكر مع نزار حمدون وكيل وزارة الخارجية العراقية الذي كان سفيرا للعراق في واشنطن، لكن قبيل دخول العراق للكويت عام ١٩٩٠ بدأ تغييراً واضحاً على سياسة الولايات المتحدة الامريكية تجاه العراق بعد ان رصدت حاملات للصواريخ غرب العراق في صحراء الانبار والتي من الممكن ان يصل مداها الى اسرائيل وأبلغت العراق بذلك^(٧).

وما عزز شكوك الولايات المتحدة الأمريكية تجاه نوايا النظام العراقي السابق هو إعدام الصحفي البريطاني بازوفت وتصريح صدام حسين في الثاني من نيسان / أبريل عام ١٩٩٠ بأن (الذي يضرب العراق بالنووي سيضربه العراق بالكيماوي المزدوج) وهذا يعني إعلان صريح وواضح من صدام عن وجود وامتلاك العراق اسلحة كيميائية مزدوجة، كما أردف قائلاً (اذا اعتدت اسرائيل سوف نحرق نصف أراضيها)، يضاف الى ذلك ان الولايات المتحدة الأمريكية يبدو انها كانت غير راغبة بالنتيجة التي خرج بها العراق من حربه مع ايران ولهذا اخذت تتحجج عليه بأمر عديدة في حينها، كان أبرزها عرقلة قرض المصرف الزراعي المقدم للعراق سنويا، ولكن لا تعني هذه التصرفات

من قبل الولايات المتحدة الامريكية بأن سياستها كانت على وتيرة واحدة مع العراق في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات من القرن الماضي ، بل كانت تتبدل تلك السياسة حسب الظروف القائمة في كل مرة ولعل خير دليل على ذلك إطلاق يد صدام لضرب وتصفية الانتفاضة الشعبية التي قامت ضده إثر انسحابه من الكويت ، كما أنها سمحت في ما بعد للطيران العراقي بضرب المنتفضين وإجهاض الانتفاضة في العراق ، كما أنها تريتت كثيرا في سياستها مع النظام العراقي السابق بعد تصريح سعود الصباح سفير الكويت بواشنطن عندما قال (لا نريد تغيير صدام لان بقائه ضعيفاً افضل من وصول شخص الى حكم العراق لا نعرف درجة سوءه).^(٨)

وعندما دخلت العقوبات على العراق حيز التطبيق وبدأ معها عمل المفتشين الدوليين عن أسلحة الدمار الشامل أثر غزوه الكويت وفرض الحصار الاقتصادي على شعبه ودخوله البند السابع ، حرص العراق في بادئ الأمر على التعاون مع اليونسكوم بتقديمه جميع ما يملك من الوثائق عن أسلحته مع تقديمه للبيانات الخاصة المتعلقة بها من حيث انتاجها المحلي واستهلاكها لكن اللجنة كانت تعود لإثارة تلك القضية باستمرار بخلقها أسباب جديدة لغرض رفع وزيادة العقوبات المفروضة عليه^(٩) ، وأدعى صدام في بداية الأمر امتلاكه لمخزون احتياطي محدود من الصواريخ والأسلحة الكيماوية من نوع سكود ، ولكن بمرور الوقت أكتشف مفتشوا الامم المتحدة بأن هناك ترسانة ضخمة تضم الالاف من القنابل وقذائف الرؤوس الحربية والأسلحة الكيماوية ، وأنه كان لديه برنامج لتصنيع اسلحة نووية قد يستغرق عامين لخروج أول قنبلة نووية وهو ما يعد أقرب بكثير من الوقت الذي قدرته وكالة الاستخبارات الأمريكية قبل الحرب وهو ثمانية الى عشرة أعوام^(١٠) ، وفي منتصف التسعينات تمكن العالم العراقي خضير حمزة من الهروب من العراق وصرح في حينها ان العراق يمتلك اسلحة دمار شامل ونجح في تصميم أول قنبلة نووية بدائية بمساعدة امريكية، تحسن تصميمها بعد انتهاء حرب الخليج الثانية ، ولكن العراق يحتاج الى مواد مهمة لانشطارها مثل اليورانيوم والبلوتونيوم^(١١)، وان صدام يخفي برنامج اسلحة بيولوجية يحتوي على الجمره الخبيثة والبيوتوكس^(١٢)

كما أن حسين كامل وزير التصنيع العسكري في عهد النظام السابق بعد هروبه من العراق الى الاردن في منتصف تسعينات القرن الماضي أكد كذلك ان للعراق برنامج نووي واقترب من تصنيع

قنبلة نووية، حيث كان في تلك الفترة كل من صدام حسين وصهره يتباريان في أفشاء اسرار برنامج اسلحة وصواريخ العراق نكاية كل واحد منهما بالآخر^(١٣) ، وفي لقاء حسين كامل مع ايكبوس (Ralf Ekeus ١٩٣٥ -) رئيس اللجنة الخاصة للبحث عن أسلحة الدمار الشامل في العراق - اليونسكوم - في عمان ذكر ان العلماء العراقيين خططوا لقنبلة وزنها عشرة أطنان ثم خمسة أطنان بعد أن وجدوا ان الصغيرة أفضل لسهولة شحنها في الطائرة^(١٤)

وفي حين كان العراق يأمل برفع تلك العقوبات بعد استجابته وامتناله في التعاون الذي أبداه مع اللجنة الخاصة-اليونسكوم- أعلنت مادلين أولبرايت وزيرة خارجية الولايات المتحدة الامريكية السابقة في شهر نيسان /أبريل ١٩٩٧ ان العقوبات لن ترفع عن العراق حال الانتهاء من عملية التخلص من أسلحة الدمار الشامل وستستمر العقوبات على العراق حتى القضاء على النظام فيه^(١٥) وبالرغم من قيام اللجنة الخاصة بالعثور على بعض أسلحة العراق وصواريخه وقيامهم بتدميرها وتدمير جميع البنى التحتية التي تتعلق ببرامج العراق للأسلحة المحظورة، فقد اصدر مجلس الامن الدولي القرار رقم ١١١٥ في ٢١ حزيران / يونيو عام ١٩٩٧ هدد فيه العراق بفرض عقوبات جديدة عليه بذريعة إعاقته لعمل ومهمة المفتشين الدوليين فيه^(١٦)

وهو ما دعا ايكبوس الى الاستقالة من عمله كرئيس للجنة الخاصة - اليونسكوم - لكي يصبح سفيرا للسويد في واشنطن ، والذي ارجع أسباب استقالته إلى وجود اهداف امريكية من عمليات التفتيش تجاوزت أهداف المنظمة الدولية ، وان الولايات المتحدة الأمريكية من خلال تأثيرها على المفتشين الدوليين أرادت ترتيب مصالحها الأساسية وجمع معلومات عن جوانب اخرى خارج نطاق عملهم ، وعلى سبيل المثال أرادت أن تجمع معلومات عن تنظيمات الدوائر الأمنية وقدرة العراق التسلحية من السلاح التقليدي، وقال بأنه من المعروف ان مثل هذه الأعمال هي ليست ضمن تفويض الأمم المتحدة^(١٧) وقد صرح للإذاعة السويدية على الانترنت بأن الامريكيين كانوا يرغبون في التأثير على المفتشين لتحقيق بعض المصالح الأمريكية الأساسية لغرض افتعال أزمات في العلاقات مع العراق "وللحصول على معلومات عما يخفيه صدام والتي من الممكن ان تكون لها أهمية اذا كانوا يستهدفونه شخصيا...كما كان لديهم طموح لأختلاق أزمة من خلال الضغط للتسبب في استفزاز صارخ"^(١٨)

بينما تشير بعض المصادر الى ان طارق عزيز عرض عليه طيلة عمله في العراق كرئيس لليونسكوم رشوة قدرها مليون ونصف دولار من أجل تغيير تقرير المفتشين الدوليين الذي يقدم الى مجلس الامن الدولي لكن رالف إيكويس رفض ذلك العرض^(١٩)

وفي اوائل شهر تموز / يوليو عام ١٩٩٧ تولى السفير الأسترالي ريتشارد باتلر (Richard Butler 1942-) منصب الرئيس التنفيذي للجنة الخاصة - يونسكوم - خلفا لرئيسها السابق رالف إيكويس السويدي الجنسية، وخلال الأشهر الأولى من تولي باتلر لمهامه في العراق لوحظ ان هناك تعاون كبير كان بين العراق و فرق التفتيش بعدها بدأت المشاكل تظهر من جديد فيما بينهما^(٢٠)

وقد فضل العراق ريتشارد باتلر على مرشح اخر فلندي الجنسية كان يعمل رئيسا لإحدى فرق اللجنة الخاصة بالبحث عن أسلحة الدمار الشامل وكان اختصاصياً شهيراً في مهنته وهي مجال نزع الأسلحة بالإضافة إلى اختصاصه الدقيق لأن فنلندا كبقية الدول الاسكندنافية تتبع سياسة محايدة وبخاصة فيما يتعلق بموضوع نزع الأسلحة لكن العراق برر اختياره وقبوله لباتلر - وهو ما جاء على لسان طارق عزيز - هو ان للعراق علاقات جيدة مع إحدى الشركات الأسترالية وهي شركة كرين بورد المتخصصة في إنتاج الحبوب والتي كانت تزود العراق بكميات كبيرة قبل الحرب مقابل مبالغ طائلة، لكنها وفقا لبرنامج المساعدات الإنسانية زودت العراق بالحبوب مجاناً ، كما كان باعتقاد طارق عزيز بما ان باتلر استراليا فإنه سيمثل مصالح بلاده دون ان يدرك ان باتلر يمثل بلده المرتبط به وهو الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وأنه ممثل سابق لآستراليا في مجلس الأمن الدولي و متزوج من مواطنة أمريكية يهودية تحمل الجواز الإسرائيلي لكنه يعيش معها في نيويورك والتي كانت تعتبر العراق في نظرها يمثل انسانا غير سوياء، وقد ذكر باتلر ذلك في اول لقاء له مع طارق عزيز وعامر السعدي^(٢١) ، اما عن سبب اختياره من قبل مجلس الامن الدولي لهذا المنصب ، لقد كان باتلر ممثل آستراليا الدائم في مجلس الامن وقد طرح عليه كوفي عنان فكرة ان يكون رئيس لجنة التفتيش الخاصة بشرط ان يدفع الأستراليين راتبه وهو ما اخبر به باتلر آستراليا فأجابوه بالموافقة على العمل ولكن دون ان يدفعوا له راتبه ، لكن باتلر اخبر كوفي عنان ان الحكومة الأسترالية وافقت على هذا الاقتراح دون تحفظ ولهذا اصدر كوفي عنان بياناً رسمياً قال فيه ان باتلر

يعتبر الرئيس الجديد لليونسكوم وان استراليا ستدفع مستحقاته المالية لكن بعد ذلك اخبر باتلر كوفي عنان بأن استراليا ترفض ان تدفع له راتباً^(٢٢)

ولقد كانت موافقة العراق على ريتشارد باتلر غير صحيحة وليس في موقعها لأنه تم اختياره ايضا من قبل الولايات المتحدة الامريكية ليكون رئيسا للجنة الخاصة وتأكيدا على ذلك فقد ابلغت اولبرايت كوفي عنان أنه ليس هناك بديل لباتلر في هذا المنصب بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية وان هناك نوع من الاجماع حوله ولهذا بأنها ستدفع رواتب باتلر لمدة سنتين كاملتين على ان يبدو الامر وكأنه من مجلس الامن الدولي بعدما رفضت بلده الام استراليا دفع رواتبه ، وكان سبب رفض الامين العام للامم المتحدة دفع رواتب باتلر هو اعتبار ان هذه المناصب لا تصرف لها رواتب من قبل الامم المتحدة، وهو ما يؤكد عمل باتلر منذ البداية لأمريكا وليس للأمم المتحدة^(٢٣)

واستمرت تداعيات الموقف بين العراق و اللجنة الخاصة في تبادل الاتهامات بينهما حيث بدأت مشكلة القصور الرئاسية العراقية في الظهور منذ منتصف عام ١٩٩٧ عندما أثارت اللجنة الخاصة الشكوك حول امكانية اخفاء كميات كبيرة من أسلحة الدمار الشامل في تلك القصور استنادا الى المعلومات التي ادلى بها الفريق و فيق السامرائي مدير الأستخبارات العسكرية العراقية الأسبق بعد هروبه من العراق، في حين رفض العراق تفتيش تلك القصور الرئاسية^(٢٤)

وكما هو معروف ان مسألة تفتيش القصور الرئاسية قد اقترحتها مادلين اولبرايت ممثلة امريكا في مجلس الامن، وأدعت انه ربما هناك أسلحة دمار شامل فيها وانه يوجد في احدها معمل لإنتاج الاسلحة البيولوجية في منطقة الثرثار، لكنه بالواقع كان عبارة عن اجهزة تكييف^(٢٥)، وكان رأي العراق هو ان القصور الرئاسية تعتبر اماكن سيادية تعود الى هرم السلطة والغاية من تفتيشها ليس البحث عن أسلحة الدمار الشامل فيها وإنما لتوجيه الاهانة والمساس بالسيادة الوطنية وهذا يناقض روح و مفهوم القرار ٦٨٧ الذي اكد في مقدمته ان اعمال التفتيش يجب ان تراعي اهتمامات العراق في السيادة وفي احترام كرامته^(٢٦)

وفي نهاية تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٧ حدث متغير جديد في العلاقات العراقية الامريكية بعد ما أعلم العراق مجلس الأمن الدولي بقراره القاضي بعدم التعامل مع بعض مفتشي الأمم المتحدة لمن

يحمل الجنسية الامريكية من الذين يعملون في اللجنة الخاصة ، وان العراق لم يضمن امن اللجنة فيه^(٢٧)

كان صدام حسين يمارس حينها (سياسة خاصة الأرجوحة) والتي تعني انه في البداية يقوم بتصريحات جريئة واتخاذ عمل ما احيانا ثم يتلوه تراجع كبير في موقفه، ولإبعاد الضربات العسكرية الأمريكية عن العراق وبجهود من روسيا أرسل الرئيس الروسي الأسبق يلتسن (Boris nikalayevich Yeltsin ١٩٣١ - ٢٠٠٧) في ١٧ تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٩٧ رسالة الى صدام حسين اخبره فيها أن روسيا تعمل كل ما في وسعها لحل أزمة طرد المفتشين الدوليين وان العراق يجب عليه أن لا يرفض التعاون مع اللجنة الخاصة وأن يطلب عودة المفتشين وهم الأعضاء السابقين باللجنة الخاصة للاستمرار في عملها المعتاد وهو ما تم الاتفاق عليه من قبل يلتسن والرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون (William Jefferson Clinton ١٩٤٦ -)^(٢٨) ، وقد اخذ صدام حسين الرسالة مأخذ الجد وسافر طارق عزيز الى موسكو لطلب المساعدة الروسية باستخدام الوزن الروسي الدولي لرفع الحصار عن العراق والتقى رجال الاعمال الروس لتشجيعهم على الاستثمار بالعراق لإخراجه من محتته ودارت معه مباحثات لمدة يومين ١٨ - ١٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٧ في مبنى وزارة الخارجية الروسية مثلها عن الجانب الروسي وزير الخارجية الروسي بريماكوف التي تصفه الصحافة الروسية الموالية للغرب بأنه "الصديق الصدوق" لصدام حسين، تمخض عنها التوقيع على وثيقة من قبل الطرفين تضمنت خطوات دبلوماسية وسياسية محددة للخروج من الوضع وكان اهم ما جاء فيها هو عودة اللجنة الخاصة إلى عملها وعدم تحجيم عملها وان الرئيس يلتسن يتابع باهتمام بالغ نشاطات الخارجية الروسية الرامية الى منع استخدام القوه ضد العراق من جهة والتوصل الى حل سلمي للامزة من جهة ثانية ، كما نصحت روسيا العراق الابتعاد عن المواقف المتطرفة والمنتشدة التي يمكن ان تدفع الى احتدام الاوضاع في مقابل متابعة الجهود الروسية على الصعيد الدولي ، واستجابةً للنداء الروسي أعلن العراق في اليوم التالي اي في يوم ٢٠ تشرين الثاني / نوفمبر عن عدم ممانعته من استمرار عمل اللجنة الخاصة، وحفاظاً على ماء وجه العراق أكدت روسيا انها مصممة على إعطاء اللجنة الخاصة شكلا اكثر توازنا وأنها ستسعى لذلك في المباحثات القادمة بحيث لا تتعرض المقرات الرئاسية للتفتيش والا تقوم طائرات

التجسس الأمريكية من طراز (U-2) بطلعات جوية فوق خط عرض ٣٢ شمال العراق قبل إعادة النظر في تشكيل اللجنة الخاصة، كما قدمت روسيا مشورتها للعراق وهي عدم القيام بأي عمل ضد تلك الطائرات^(٢٩)

لكن الوضع عاد الى سابق عهده وتآزم الموقف بين العراق واللجنة الخاصة وعليه أصدر مجلس الأمن الدولي القرار رقم ١١٣٤ بتاريخ ٢٣ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٩٧ الذي طلب فيه من العراق التعاون التام مع مفتشي الاسلحة، وبتاريخ ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر من نفس العام وافق العراق على تفتيش القصور الرئاسية خوفا من قيام مواجهة عسكرية جديدة بينه وبين الولايات المتحدة الأمريكية ، ولغرض نزع فتيل أزمة جديدة صدر بيان رئاسي عقب اجتماع مجلس قيادة الثورة المنحل وقيادة حزب البعث المنحل قررا فيه توجيه دعوة الى ممثلين اثنين من كل دولة من الدول الممثلة في اللجنة الخاصة وعلى خمسة ممثلين من كل الدول الأعضاء في مجلس الأمن من الخبراء والدبلوماسيين واستضافتهم في هذه القصور والمواقع المشكوك فيها لمدة اسبوع او اكثر وحسب رغبة كل منهم للتعرف على الحقيقة، وفي نفس اليوم صرح عامر السعدي المستشار العلمي لصدام ان العراق لم يمتلك غرام واحد من غاز الأعصاب بعد ما صرح وزير الدفاع الامريكي ان العراق يمتلك ٢٠٠ طن من هذا الغاز، كما ذكر السعدي ان ما صرح به وزير الدفاع هو محض افتراء هدفه إبقاء العقوبات على العراق فقط^(٣٠)

وسمح العراق بدخول القصور لكل الممثلات الدبلوماسية الموجودة فيه ولكل الصحفيين ووكالات الانباء والمراسلين للقنوات العالمية يرافقهم طارق عزيز والكادر المتقدم المشرف على اعمال التفتيش من قبل الجانب العراقي ومنهم عامر رشيد وعامر السعدي و جعفر ضياء و حسام محمد امين^(٣١) وقد تم بالفعل تفتيش تلك القصور رغم ان عناصر التفتيش كانوا ليس ممثلي اللجنة الخاصة بل سفراء الدول التي تتمتع بعضوية في مجلس الأمن الدولي، وبما أن اللجنة الخاصة كانت تؤكد بأن غاز الاعصاب (VX) ينتج في قاع بحيرة الحبانية حيث يوجد مصنع لإنتاجه او لإنتاج غاز الخردل هناك، لكنهم عندما ذهبوا الى ذلك الموقع لم يعثروا على ما كان يتوقعونه^(٣٢) وقد ذكر طارق عزيز معلقا على ذلك ان اللجنة الخاصة عندما كان رئيسها رالف ايكيوس قالت انها لن تدخل المواقع الرئاسية حتى منتصف عام ١٩٩٧ ولكن عندما بدأ العراق يقترب جديا من حسم

الملفات و أن الوقت سيأتي عاجلا ام اجلا لطرح مسألة رفع الحصار جاء ريتشارد باتلر كرئيس للجنة الخاصة ووقف مفتشي اللجنة الخاصة في ايلول / سبتمبر عام ١٩٩٧ على ابواب المواقع الرئاسية ورفض العراق دخولهم ثم طرد الخبراء الامريكيين من العراق، وبعد الزوبعة الهائلة ضد العراق دعا العراق ممثلين لمجلس الأمن واللجنة الخاصة لزيارة المواقع ثم فتحها لزيارات الدبلوماسيين والصحفيين وأن ما يعني العراق هو اسلوب الزيارة لان خبراء اللجنة الخاصة سيدخلون باسلوب القصد منه الإهانة وليس التحقق وهو ما لم يحسم المسألة ، ولكن بعد ان بدأت المبادرات الدبلوماسية الروسية والفرنسية والعربية طلب العراق صيغة تحفظ سيادته وكرامته، ولتحقيق ذلك شكل كوفي انان مجموعة من الدبلوماسيين والخبراء والمفوضين وبينهم من سيكون من دول صديقة وهو ما سيحقق التوازن الذي يطلبه العراق وكذلك الظروف الموضوعية لجلاء الحقيقة^(٣٣) .

وفي الخامس عشر من شهر كانون الاول / ديسمبر ١٩٩٧ اعلن ريتشارد باتلر ان العراق مستعد لتقديم معلومات عن الملف الجرثومي ولهذا عقد اجتماعاً مع طارق عزيز نائب رئيس الوزراء العراقي بهذا الخصوص، ويعتبر الملف الجرثومي هو الملف الاصعب والأعقد بالنسبة للجنة الدولية التي تراه شائكا على الرغم من تسلمها ملف كبير عنه قبل نحو ثلاثة اشهر من ذلك التاريخ اطلق عليه اسم اعلان البرنامج البيولوجي ، لكن اللجنة الدولية قالت انها لم تكثف بذلك الأعلان واعتبرته ناقصاً على الرغم من اعلان باتلر ان الملفين النووي والصاروخي يشارفون على الاغلاق ، وأن العراق قدم كل شيء للجنة وقد استمرت عمليات التفتيش فيه دون مواجهة عقبات منذ قبوله عودة المفتشين ومنهم الامريكيين في فحص ٣٥٠ موقعا في مختلف انحاء البلاد من بينها اكثر من ١٠٠ موقع لا تخضع للرقابة، وذلك من خلال الزيارات المفاجئة، وان العراق صرف النظر منذ خمس سنوات عن تصنيع سلاح دمار شامل لاسيما غاز الاعصاب ((VX))^(٣٤)

وبما ان مطالب لجنة التفتيش بدت واضحة على انها لا تتعدى اطار المماثلة لمد العقوبات على العراق لهذا كان في بداية عام ١٩٩٨ هنالك تصاعد كبير بين العراق و لجنة التفتيش الدولية قاربت العلاقات فيما بينهما على الانهيار، وما زاد في حده التوتر هو تصريحات باتلر وإصراره على امتلاك العراق لعدد من الاسلحة البيولوجية مايكفي للقضاء على سكان تل ابيب^(٣٥)

المبحث الثاني: أزمة تفتيش القصور الرئاسية والمباني الحكومية المهمة وبعض المبادرات العربية لحل الأزمة

بتاريخ الثالث من كانون الثاني / يناير ١٩٩٨ بدء سريان قرار العراق بإيقاف فريق التفتيش الدولي برئاسة الأمريكي سكوت ريتير وبخاصة عندما قام بزيارة موقعين غير خاضعين للرقابة وهي مواقع تعتبر حساسة بالنسبة للنظام العراقي السابق، ولقد قام بهذا العمل وهو على علم بقرار العراق بشأن إيقاف عمل لجنة التفتيش، في حين قام مسؤولين الرقابة الوطنية العراقية باصطحاب الفرق الاخرى لممارسة مهام تفتيشها دون فريق سكوت ريتير الذي دافع عن ذوي الجنسية الأمريكية في فرق التفتيش وقال انهم من ذوي الخبرة وان على العراق ان يوفر مسؤولين ترافق فرق التفتيش وإلا يعتبر ذلك عدم التزام العراق ببنود مجلس الامن وانه سيرفع تقرير بذلك لكبير المفتشين و ينتظر التعليمات منه ،اما عن واقع مشكلة العراق مع فريق التفتيش الدولي الذي رأسه سكوت ريتير، هي اعتبار العراق ان الفريق مثل تركيبة غير متوازنة وهي تمثل عدم احترام الدول الدائمة العضوية في مجلس الامن الدولي^(٣٦) بسبب وجود تسعة امريكيين و خمسة بريطانيين فيه وعليه لا بد من اعادة النظر بتلك التركيبة من قبل مجلس الامن، كما وصفه مسؤولين عراقيين بالتجسس لصالح المخابرات الأمريكية ، في حين دافع ريتير عن فريقه قائلاً ان هذه الفرق جميعها مكلفة من قبل رئيس اللجنة الخاصة للقيام بمهام محدودة وعلى اثر ذلك اصدر مجلس الامن الدولي بيان انتقد فيه العراق وطالبه بالامتثال الى قراراته، وأشار العراق الى ان ريتير سبق وان اوضح ان الفرقه ٢٧ كان من المفروض ان تنتهي مهمتها في السادس عشر من كانون الثاني / يناير ١٩٩٨ وان المغادرة بهذا التاريخ ليس لها دلالة خاصة سوى انها انتهت مهمتها لان العراق رفض التعاون معها وسيناقش هذا الامر مع رئيس اللجنة الخاصة^(٣٧) وفي الثالث عشر من الشهر نفسه ابلغ باتلر مجلس الامن بأن العراق قد اعلن عدم تعاونه مع فرق التفتيش لكون الغالبية منهم من مواطني امريكا وبريطانيا واطاف ان نائب رئيس الوزراء العراقي لم يسمح لمفتشي الانسكوم دخول اي من المواقع الرئاسية الثمانية في العراق^(٣٨)

علماً ان دائرة الرقابة الوطنية صنفت المفتشين الى ثلاثة اصناف ، الصنف المهني الذي ينفذ واجبه وهم اشخاص علميين ينفذون قرارات الامم المتحدة وهؤلاء كانت نسبتهم ١٥% من المفتشين بينما

كان ٥% من المفتشين يتعاطفون مع العراق ويعملون جهد الامكان للتسريع في رفع الحصار عنه وكانت تقاريرهم عنه جيدة من الناحية الانسانية وهم من كل الجنسيات ، واما الباقيين الذين يشكلون ثمانين بالمئة فهم معادين للعراق ويتم اختيارهم من امريكا وبريطانيا وهم يتفنون في اطالة الحصار وخلق المشاكل ، وان لجنة التفتيش الكثير من اعضائها هم مخابرات بريطانية وامريكية والمخابرات العراقية استطاعت تشخيص المفتشين المنتسبين لمخابرات تلك الدول والذين كانوا يقومون بأعمال التجسس ، وفي حينها قدم محمد سعيد الصحاف وزير الخارجية قائمة الى الامين العام للأمم المتحدة والى رئيس اللجنة الخاصة تتكون من اكثر من ٣٦ اسم من هؤلاء المفتشين الجواسيس الذين تم التأكد منهم مع الأدلة وكثيرا ما كانوا يقدمون معلومات تخص اللجنة الخاصة الى حكومة امريكا لأنها مهيمنة على تلك اللجنة من ناحية التمويل والدعم اللوجستي والأجهزة والمعدات^(٣٩)، كما أكد أحد العلماء العاملين في الوكالة الدولية للطاقة الذرية ان فرق التفتيش كان عليها اكثر من علامة استفهام ، وان بعضهم كان يعمل في المخابرات الامريكية ، وبعضهم الآخر جواسيس، وكانوا يأخذون جوازات عمل بالوكالة لمدة اسبوعين يسمى (ليسيه بوسيه) وعندما تنتهي مدتها يقومون بارجاع تلك الجوازات لأنهم غير موظفين بالوكالة الدولية للطاقة الذرية^(٤٠) ، كما ان فرق التفتيش كانت تعمل بنظامين ، نظام الفرق الفردية وهي التي شكلتها وكالة الطاقة الذرية ، اما الفرق الزوجية فقد شكلتها وكالة المخابرات الامريكية واشهرها كانت الفرقة رقم ستة التي عثرت على وثائق عراقية مهمة قامت بتسليمها الى واشنطن وليس للوكالة الدولية للطاقة الذرية ولا حتى للأمم المتحدة^(٤١).

وكثيرا مانبه محمد البرادعي طه ياسين رمضان نائب الرئيس العراقي انذاك من ان تكرار اتهام اعضاء اللجنة الخاصة بالتجسس أمرا لا يخدم العراق في موضوع حل مسألته الشائكة^(٤٢) وفي ١٤ / ١ / ١٩٩٨ حاول سكوت ريتز مع فريقه المكون من ١٦ مفتشاً دولياً استئناف مهمته التفتيشية ، وبرر ذلك بأنه تلقى رسالة قبل يوم من ذلك التاريخ من رئيس اللجنة الخاصة لإبلاغ رئيس المراقبة الوطنية العراقية بأنه سيواصل عمله ومهامه التفتيشية وفقا لتعليمات رئيس اللجنة الخاصة ، بالرغم من رفض العراق بقاء سكوت ريتز وفريقه ، كما ان ممثل العراق الدائم في الامم المتحدة ابليغ الامين العام للأمم المتحدة برفض العراق لمهام سكوت ريتز، لكنه لم ينسحب بالموعد المحدد له بل حاول البقاء والأستمرار باداء مهامه^(٤٣)

وبشكل مفاجئ بتاريخ ١٦ / ١ / ١٩٩٨ قررت اللجنة الخاصة سحب فريق سكوت ريتز من بغداد بعد ان قرر العراق ايقاف نشاطه قبل ثلاثة ايام من ذلك التاريخ ، بينما بقي ريتز محاولا الاستمرار في عمله لمدة يومين بعد صدور قرار سحب فريقه منتظرا امام مقر الامم المتحدة في بغداد وصول مسؤولين عراقيين لمرافقة فريقه في مهامهم التفتيشية و كان يأمل بالسماح له بالعمل بعيدا عن ازمة جديدة^(٤٤)

ونظرا لتوجس العراق من الوجود الامريكي في فرق التفتيش، فقد صدرت دراسة من دائرة الرقابة الوطنية العراقية بينت فيها أن عدد المفتشين الامريكيين الذين زاروا العراق منذ عام ١٩٩١ كان يشكلون ما نسبته ٤٠% من عدد المفتشين من الجنسيات الاخرى وهم اكثر المفتشين اثارا للالزامات وعلى رأسهم ديفيد كي عام ١٩٩١ وحتى سكوت ريتز فانه كان يفتعل المشاكل ويزور الحقائق^(٤٥) بعدها تمت مباحثات بين العراق واللجنة الخاصة بتاريخ ٢١ / ١ / ١٩٩٨ ذكر باتلر ان العراق طلب منه في تلك المباحثات تشكيل لجنة خاصة لتقييم اعمال فرق التفتيش الدولية والتي ستجتمع في بغداد في بداية شهر شباط / فبراير المقبل ، كما طلب العراق من باتلر تجميد موضوع المواقع الرئاسية والسيادية وعدم مناقشتها الى ما بعد اعلان نتائج اجتماعات تلك اللجنة، لكن باتلر أكد للعراق بأن اللجنة الخاصة لن تخرج بنتائج جديدة ما لم يقدم العراق معلومات جديدة ، وان عدم الدخول للمواقع الرئاسية امر متروك لمجلس الامن بالقبول او الرفض وان مهمة باتلر الرئيسية هي اقناع العراق بالالتزام والامتثال للقرارات والسماح لفرق التفتيش بالدخول الى اي موقع يريدونه بدون شرط او عاقبة وان عمل العراق هذا يعتبر تحدي صارخ لقرارات الدولية ، في حين اقترح العراق على باتلر ان يكون في اللجنة الخاصة للتقييم رجال لهم باع طويل في تصنيع الاسلحة وان يكونوا خبراء موضوعيين وان الدول الخمس الاعضاء في مجلس الامن لديهم مثل هذه الخبرات اضافة الى المانيا^(٤٦)

وفي مؤتمر صحفي عقده طارق عزيز في بغداد بتاريخ ٢١ / ١ / ١٩٩٨ وصف اقتراح العراق تجميد المواقع الرئاسية والسيادية انه امر لا يتعلق بعدم امتثال العراق لقرارات مجلس الامن ، وان التأجيل هو بقصد ريثما يتضح للجنة تقييم مصداقية ما يطرحه العراق حول خلوه من أسلحة الدمار الشامل ،وأضاف قائلاً لو حصل العراق على خبراء حقيقيون في نزع السلاح واستمعوا الى شرحنا وتحليلنا

لتوصلنا الى نتائج ايجابية جدا وهو ما سيؤدي الى اغلاق الملفات وبالتالي سيكون مجلس الامن ملزم في رفع الحصار عن العراق ، كما ذكر طارق عزيز ان باتلر يتلقى معلومات وصور من اطراف ثانية عن مباني رئاسية يشكك بوجود مصانع لأسلحة دمار شامل فيها هدفها التثويش وتشويه الحقائق التي قدمها العراق وتوصلت اليها لجان التفتيش منذ ست سنوات مضت، وان العراق سيكون له موقف اخر اذا ما اقرت اللجنة التقييمية حاجتها الى بحث وتدقيق جديدين^(٤٧)

وبما ان فرق التفتيش في العراق تمكنت خلال السنوات اللاحقة من الوصول الى مواقع تخزين السلاح الكيماوي وانتاجه وتطويره والتي كان لديها أدراك عن ماهية مكونات السلاح الكيماوي التي أستوردها العراق وما هي كمية القذائف المنتجة عنه في جميع المصانع بعد أن اجري لها جردا دقيقا مع معرفه الكمية التي تم اتلافها، وهي الكيفية تمكنت تلك اللجان بها من معرفة ما اذا كان هناك شيء متبقي منها او لا ، مقابل ما قام به العراق من تقديمه لجميع وثائقه المتعلقة بالسلاح الكيماوي الى مجموعات التفتيش الدولية ، كانت جميعها أدلة كافية تؤيد عدم ضرورة تفتيش القصور الرئاسية او احتمال اخفاء صدام حسين بعض القذائف في تلك القصور ، وان وجدت فهي بقايا لا تذكر ، وهو ما أكده البعض ممن عملوا في مجموعات التفتيش من المختصين بالاسلحة الكيماوية^(٤٨)

و للتغلب على الازمة صرح عصمت عبد المجيد امين عام جامعه الدول العربية الأسبق اثناء وجوده في بغداد ان مهمته هي احتواء الازمة وصرح قائلاً - ردا على تصريح اولبرايت الذي قالت فيه ان الدول العربية تقف الى جانب توجيه ضربة عسكرية للعراق - من الصعب ان نتصور موافقة اي دولة عربية على ضرب العراق، كما اشار رئيس المجلس الوطني العراقي بان امريكا تفتش عن ذريعة وليس عن حقيقة، وبحث وزير الخارجية التركي مع نظيره العراقي مشروع أنقره في وزارة الخارجية العراقية والتي حاولت تركيا من خلاله ايجاد حل للآزمة كما انها حاولت تقادي وقوع ضربة عسكرية امريكية للمنطقة ، وقد عقد وزير الخارجية التركي لقاءان في يوم واحد احدهما كان مغلقاً ، كما التقى المبعوث الفرنسي الى بغداد وزير خارجية العراق لاستكمال بحث المبادرة الفرنسية التي وصفها صدام بالجوهرية نظراً للعناصر الواردة فيها ، وذكر المبعوث الفرنسي بان فرنسا مصممة على الحل الدبلوماسي للآزمة لأنه المخرج الوحيد لها^(٤٩)

كما قدمت روسيا مبادرة لحل أزمة العراق مع المفتشين الدوليين وعليه فقد صرح طه ياسين رمضان بتاريخ ١٩٩٨ / ٢ / ٨ قائلاً (ان المبادرة الروسية هي المبادرة الام والرئيسة لحل أزمة القصور الرئاسية وتفتيشها وان المبادرة الروسية في تشرين الماضي كانت مهمة ووقفت العدوان وهذا يعبر عن اهتمام وحرص المبادر)^(٥٠)

وفي تلك الاثناء ذكرت دائرة الرقابة الوطنية العراقية ان فريقين دوليين غادرا بغداد متوجهين الى البحرين بشكل مفاجئ لعدم اكتمال برنامج زيارتهما ، وقد ذكر محمد سعيد الصحاف في اليوم الاخير ضمن فعاليات المؤتمر الثاني لمنظمة الشباب وعدم الانحياز بان العراق لم يعد يمتلك أسلحة دمار شامل وهذا ما سبق تقرير باتلر لمجلس الامن الدولي^(٥١)

وفي ١٥ / ٢ / ١٩٩٨ وصل فريق برئاسة ستيفان دستورا رئيس الوفد الدوري الجديد المكلف من قبل الامين العام للأمم المتحدة كوفي عنان للإطلاع على تفتيش المواقع الرئاسية الثمانية التي كانت قد اعلنت بغداد موافقتها على تفتيشها ضمن جهود تمت بالتنسيق بينها وبين كل من فرنسا وروسيا وتركيا وبعض البلدان العربية ، وزار الوفد مقر فرق التفتيش في بغداد وعقد اجتماع مع القائمين على اعمالها ثم توجه الى وزارة النفط العراقية وعقد اجتماع اخر مع مسؤولين عراقيين^(٥٢)

كما تجاوب العراق مع دعوة قطر تجاه حل الأزمة وتجنيب الشعب العراقي مأساة حرب جديدة وتجنب ضربة امريكية للعراق، وذكر طارق عزيز ان العراق وضع بُعدين في مقدمة اهتماماته وهما البعد الخليجي والبعد العربي، وهو ما صرح به من قبل طارق عزيز ووزير خارجية قطر حمد بن جاسم في مؤتمر صحفي عقد بين الطرفين ذكر فيه حمد بن جاسم ان العراق تجاوب مع المبادرة القطرية وانه اجتمع مع صدام حسين ووصف حديثه معه بأنه كان صريح ومطول، وانه اجري مع نظرائه في الخليج قبل المجيء الى بغداد مشاورات بهذا الشأن، وبعد انتهاء عقد المؤتمر الصحفي صرح الناطق باسم مجلس قيادة الثورة و قيادة قطر العراق لحزب البعث المنحلين وأثنى على مبادرة امير دولة قطر وعبر عن التقدير لعموم الموقف العربي ولجهود روسيا ومواقف الصين وفرنسا، وابدى استعداد بغداد لإنجاح مهمة امين عام الامم المتحدة ، ومن اجل التوصل الى حل سلمي بسبب اصرار اللجنة الخاصة على تفتيش القصور الرئاسية عقدت مباحثات بين وزير الخارجية العراقي محمد سعيد الصحاف ووزير خارجية مصر عمرو موسى والرئيس المصري الأسبق حسني

مبارك في وزارة الخارجية المصرية ، وقدمت مصر مبادرتها للعراق والتي أكدت على فتح القصور الثمانية بكاملها وبملحقاتها والزيارات المتكررة والمفاجئة وربما لنفس الموقع دون اي شرط من قبل الجانب العراقي وأكدت مصر للعراق خطورة الموقف وضرورة الامتثال لقرارات مجلس الامن ، وقال الصحاف ان روسيا كانت اول الدول التي اشارت على العراق بهذا الامر وكذلك فرنسا والصين مؤيدتين لهذا الاقتراح وحسب اعتقاد العراق ان المجتمع الدولي والأغلبية الساحقة منه تؤيد هذا الاقتراح وان العراق بالأساس يريد استمالة التعاطف الدولي معه لا ضده^(٥٣)

ووافق العراق على تفتيش القصور الرئاسية والسماح للمفتشين بزيارة ثمان قصور من بين سبعين قصراً، سواء التي في بغداد او في مناطق اخرى ، وقد أخذوا لجان التفتيش عينات من الحصى والماء وقاسوا نسبة التلوث بالمواد المشعة ، ثم سمح لهم بزيارة عدد اخر من القصور بما فيها القصر الذي يسكنه صدام حسين وغرفة نومه الخاصة^(٥٤)

وهو ما جعل العراق ان يتخذ قراره بطرد المفتشين للشكوك بنواياهم وانتماءاتهم لأن العراق كان يخضع المفتشين الدوليين لرقابة المخابرات والحصول على معلومات دقيقة عنهم ويميز في ما بينهم ، وبرر العراق رفضه لبعضهم على اعتبار انهم كانوا يثيرون المشاكل ولا يحلوها وعلى رأسهم ديفيد كاي ، وبحسب رأي طارق عزيز (بعضهم مثير للشغب وإذا رأى كرسي يقول هذا صاروخ) ، وكان العراق لا يريد ان يفرضوا عليه بل هو يختار منهم من يقوم بتفتيش تلك البناية أو غيرها^(٥٥) ، ولإقناع صدام بتغيير مواقفه بعد ان صمم بعض مفتشي الأسلحة الواصلين بأن صدام كان يخفي أسلحة للدمار الشامل في قصوره على أن يفتشوا تلك القصور^(٥٦).

و لحل الأزمة مجددا زار الامين العام للأمم المتحدة كوفي عنان يرافقه عدد من دبلوماسي المنظمة الدولية من بينهم الاخضر الابراهيمي وسفير العراق لدى الامم المتحدة العراق بغرض ايجاد حل سلمي للأزمة وتقليص التوتر الدولي بخصوصها ، وعقد مع العراق سلسلة اجتماعات على مستوى رئيس الجمهورية والقيادات السياسية العراقية تمكن الطرفان فيها من عقد اتفاق ناجع للطرفين^(٥٧) ، وقبل ان يغادر كوفي عنان العراق اجتمع مع طه ياسين رمضان نائب صدام حسين الذي أكد لكوفي عنان شكر العراق له بعد توصله لهذا الاتفاق وعلى جهوده السلمية^(٥٨)

واعتبر العراق ان توقيع هذه الاتفاقية انتصارا للإرادة الدولية الداعية السلام وانتصارا لأصدقاء العراق في مجلس الامن الدولي وهم روسيا وفرنسا والصين وغيرهم الذين جهدوا لولادة هذه الاتفاقية ، كما اعتبر هذه الاتفاقية منهجاً جديداً للمنظمة الدولية في الانفتاح على العراق والتعامل معه على اساس التزامه بتنفيذ القرارات الدولية، كما اكد العراق على التزامه بها خاصة وان هذه الاتفاقية لا تجيز استخدام القوة ضد العراق تلقائياً فاعتبرها العراق تكبيراً لأرادة القوى الكبرى وتأكيداً على تنظيم عمل المفتشين الدوليين فيه^(٥٩)

ولقد بلغ ريتشارد سون ممثل امريكا في الامم المتحدة كوفي عنان قبل زيارته الى بغداد سواء أكان الاتفاق الذي سيعقده يناقض المصالح الامريكية أو لا فأنها في كل الاحوال ستنزل ضربتها بالعراق^(٦٠) كما التقى عنان مع اولبرايت في منزله قبل زيارته للعراق في محاولة منها لوضع الخطوط التي يجب عليه الا يتجاوزها^(٦١).

وعندما ذهب الامين العام للأمم المتحدة الى بغداد لمعالجة الازمة بين العراق واللجنة الخاصة ذهب ليس كساعي بريد بل ليتفاوض وليستمع الى العراق، كما انه اسمع العراق ما لديه وقد اظهر مرونة كبيرة بالرغم من ان المفاوضات كانت صعبة لأنها تجرى تحت انظار العالم وتحت ضغط شديد وهائل اثناء وجوده في العراق الى حد انه لم يكن ينام ومع ذلك استطاع العراق التوصل الى اتفاق معه وهذا الامر يعد تحولاً جوهرياً في العلاقة وفي اسلوب تعامل مجلس الامن مع العراق وبالتأكيد انعكس على اسلوب تعامل اللجنة الخاصة كذلك ، وان التغييرات بدأت أساساً خلال الأزمة بتعيين مستشار فرنسي في مقر اللجنة الخاصة مع اقتراب تعيين آخر روسي نائباً لرئيس اللجنة ودخول صينيين للمرة الاولى في صفوف الخبراء، ثم قبول باتلر اسلوب تقويم عمل اللجنة عبر الاجتماعات الفنية^(٦٢)

وبعد ان انتهت مهمة الامين العام للأمم المتحدة في بغداد وغادر العراق عقد مجلس قيادة الثورة وقيادة حزب البعث المنحل برئاسة صدام اجتماع صدر عنه بيان اشار الى موافقة بغداد على فتح القصور الرئاسية واستئناف زيارة المفتشين لها واعتبر ذلك تأكيداً على مصداقية العراق وبطلان الادعاءات الأمريكية والبريطانية ولكي ترفع هذه اللجان تقريرها الى مجلس الامن مؤكدة فيه خلو القصور الرئاسية من اية اسلحة دمار شامل ، كما اكد البيان ان الاتفاق مع كوفي عنان كان نتيجة

لتضامن الشعوب العربية وأصدقاء العراق في العالم وهو أمر ايجابي لرفع تدريجي للعقوبات عنه ورفع خطر كان يهدد سلامة وأمن العراق^(٦٣)

و لقد اعتبر العراق ان الاتفاق الذي وقعه رئيس الوزراء طارق عزيز والأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان انتصاراً كاملاً للعراق وهزيمةً كبيرةً للولايات المتحدة الأمريكية ليس على مستوى المواجهة بينهما فحسب بل على مستوى العلاقة بين العراق والأمم المتحدة ، كما اعتبر العراق هذه الاتفاقية هي انتصار لكل الدول التي همشتها الولايات المتحدة الأمريكية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق وحرب الخليج وهي كذلك انتصار لجميع الدول التي ساهمت في ايجاد حل دبلوماسي للازمة ومع ذلك فالعراق لا يستبعد محاولة الولايات المتحدة الأمريكية عرقلة عمل الامين العام للأمم المتحدة في العراق او في اي دولة اخرى، وأن العراق اقل ما حصل عليه في هذه الاتفاقية هو ان اليونسكوم ستحترم الاعتبارات المشروعة للعراق المتعلقة بالأمن القومي والسيادة والكرامة^(٦٤)

وقد رحبت الصحف العراقية بالاتفاق واعتبرته "تاريخياً وانتصاراً ليس فقط للعراق بل للأمن والسلام" وقال رئيس لجنة الشؤون العربية والدولية في المجلس الوطني العراقي سعدون قاسم حمودي ان على الدول العربية في منطقة الخليج وبقية الدول العربية والإسلامية ان تعمل متضامنة لإرغام الادارة الأمريكية على سحب حاملات الطائرات وحشودها من المنطقة فوراً^(٦٥)

وبعد مضي شهراً واحداً على اتفاق العراق و كوفي عنان عاد باتلر الى العراق يوم ٢٢ آذار مارس ١٩٩٨ يرافقه دنايالا رئيس المجموعة الخاصة المكلف بتفتيش المواقع الرئاسية مع خبراء اختصاصيين للمهمة ذاتها، وقد ذكر رئيس البرلمان العراقي أن باتلر يمثل سجل سلبي والعراق يأمل ان يتعظ مما حصل بالماضي وان يتصرف بعدالة وموضوعية وان لا يستفز العراق ، وبنفس اليوم وصل الى العراق الدبلوماسي الهندي باراكاز شاه الذي اختاره كوفي عنان في ما بعد ليكون ممثلاً خاصاً له في العراق وحلقة اتصال بين العراق والأمم المتحدة لتسهيل تنفيذ الاتفاق وتفتيش المواقع الرئاسية^(٦٦)

ولهذا بعد عقد الاتفاقية بين العراق والأمم المتحدة استأنفت اللجنة الخاصة عملها في العراق بعد ان قامت بزيارات تفتيشية اعتيادية ومفاجئة ، كما انها واصلت عملها بزيارة اكبر قصور صدام من بين

الثمانية قصور التابعة له وهو القصر الواقع في الرضوانية غرب بغداد بوجود خبراء بالأسلحة الصاروخية والكيميائية والبيولوجية ، مع وجود عشرين دبلوماسياً يعملون كمراقبين تم تعيينهم من قبل كوفي عنان بموجب الاتفاق الموقع مع العراق في ٢٣/٢/١٩٩٨ قاموا بزيارات تمهيدية استمرت لمدة اسبوعين اعقبها زيارات تفصيلية الى القصور الاخرى^(٦٧)

وبناء على معلومات استخباراتية بريطانية وألمانية بأن هناك اسلحة مخبأة في وزارة الدفاع العراقية اضافة الى وثائق مهمة^(٦٨) استأنفت في اذار / مارس ١٩٩٨ اعمال التفتيش في العراق ولهذا كان عليهم تفتيش وزارة الدفاع العراقية، وهو ما دعا طارق عزيز ان يخبر ريتشارد باتلر بان اي محاولة لتفتيش الوزارة يعني اعلان الحرب وان العراق لن يسمح بهذا العمل ابدا ، وقد طلبت اولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية من باتلر ان يبعد من فريق التفتيش اي شخص من الممكن ان يتوصل الى حل مع الجانب العراقي وبخاصة سكوت ريتز لأنه الشخص الوحيد القادر على اقناع العراق بالسماح لفريق التفتيش دخول وزارة الدفاع وهو ما يجنب العراق ضربة امريكية محتملة اذا ما منع فرق التفتيش من دخول وزارة الدفاع ، علما ان قرار تنظيم التفتيش لم يكن الغرض منه نزع سلاح العراق بل استفزاز العراق بالإصرار على الدخول الى وزارة الدفاع واثباتاً للمفتشين بالدخول الى اي مكان بالعراق في اي وقت يريدون في الوقت الذي لا يجوز للعراق ايقافهم ، وحينها كانت اولبرايت في باريس تنتظر خبر رفض العراق دخول المفتشين لوزارة الدفاع لتتمكن بلادها مع حليفاتها من ضرب العراق^(٦٩)، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تريد خلق ازمة بدخول وزارة الدفاع، ولكن بعد ذلك تمكن فريق المفتشين برئاسة سكوت ريتز من التفاوض مع طارق عزيز وعامر رشيد بالسماح للمفتشين بدخول وزارة الدفاع لتجنب العراق حرباً قادمة، وأنهم عندما دخلوا الى المبنى لم يعثروا على أية وثائق لأنها رفعت من قبل العراق منذ أشهر أي ان المعلومات التي وصلت الى اللجنة كانت صحيحة لكنها قديمة ، وكانت اللجنة الخاصة قد اعتبرت ان تفتيش وزارة الدفاع لم يكن هدفاً بل اثباتاً للمفتشين بالدخول الى أي مكان في العراق في الوقت الذي يرغبون به ، وكان هذا في نظر اللجنة انقاداً للعراق من ضربات محتملة عليه^(٧٠)

وفي تلك السنة قدمت المخابرات الاسرائيلية معلومات نوعية للمفتشين الدوليين في العراق حول نقل مكونات الصواريخ البالستية من موسكو عبر الاردن الى العراق بخلاف التزاماته من التسليح ، وقد

استفادت اللجنة كثيراً من هذه المعلومات الدقيقة وكانت اسرائيل في عام ١٩٩٨ اكثر تقبلاً الى نزع تسليح العراق من الولايات المتحدة الأمريكية ولم يتوقف تفتيش اللجنة الخاصة عند هذا الحد، بل قامت في احد الايام بتفتيش مقر المخابرات العراقية التي يتضمن ادارتين احدها تسمى m4 وهي المسؤولة عن العمليات الخاصة والثانية تسمى m5 والتي كانت مسؤولة عن مكافحة التجسس وكانت الادارتان محط اهتمام اللجنة الشديد لان القسم m4 كان مرتبط بعملائه وفروعه في الخارج والتي كانت تسعى للحصول على التكنولوجيا السرية وهذا مخالف للعقوبات السارية على العراق ، اما القسم m5 فكان يتجسس على مفتشي الامم المتحدة واللجنة الخاصة، وبسبب تجسس العراق عليهم قررت اللجنة الخاصة تفتيش الموقع لمعرفة ما لدى العراق من معلومات حول اللجنة الخاصة ، وبالفعل فقد تم تفتيش القسم m4 والقسم m5 وتفتيش المبنى كاملة و فتح الملفات والإطلاع على كافة الوثائق^(٧١) ونظراً الى ما تعانيه اللجنة الخاصة من تعنت في فتح المباني العراقية للتفتيش من الجانب العراقي في بعض الاحيان، حاولت اللجنة الخاصة احيانا من تغيير قواعد عملها ومثال على ذلك قبل قدومهم الى الموقع لتفتيشه كانوا يطلقون طائرة تجسس فتحلق فوقهم وتلتقط عدد كبير من الصور لتشكل لديهم قاعدة بيانات ، كما كانت اللجنة تصور الموقع لمدة ستة اشهر لتتعرف على كل التغييرات التي تجرى حوله، واثناء سير المفتشين للموقع تحلق الطائرات على المبنى لملاحظة ما طرأ عليه من تغيرات وهكذا انشأت اللجنة الخاصة لها نموذج استخباراتي جديد، كما انها كثيرا ما كانت تقوم بفك المكالمات المشفرة التي تلتقطها، ولم تتوانى في بعض الاحيان على حث بعض العراقيين للتعاون معها وبخاصة الاشخاص الحاصلين على اللجوء في الدول الاوروبية ممن كانوا يعملون في مجال الصواريخ والاسلحة في العراق سابقاً، وهذا ما كانت تفعله الـ CIA غالباً^(٧٢)

وفي ١٤/٦/١٩٩٨ انتهت المباحثات بين العراق ممثلاً بطارق عزيز نائب رئيس الوزراء ووفد اللجنة الخاصة برئاسة ريتشارد باتلر بخصوص متابعة اسلحة العراق غير التقليدية والتي استمرت يومين ، وقد جاءت هذه المباحثات بعد التقرير نصف السنوي الذي قدمه باتلر في نيسان/ ابريل ١٩٩٨ الى مجلس الامن والذي تضمن ما يقرب من ١٥ فقرة كشف فيه بما اسماه بالعراقيل والصعوبات التي تواجهها لجان التفتيش في العراق متهماً العراق بعدم الاعلان الكامل عن برامجه

التسليحية بالرغم من التعاون الذي وقع بعد الاتفاق مع كوفي عنان ، لكن طارق عزيز وصف اجتماعات اليومين على انها كانت مثمرة وتم فيها تبادل وجهات النظر والاتفاق على برنامج الشهرين القادمين وانهم سوف يلتقون مرة اخرى في شهر اب / أغسطس القادم بقصد جدولة عمل اللجنة^(٧٣)

وبما ان مفتشي الاسلحة قبل مغادرتهم العراق في شهر كانون الاول / يناير عام ١٩٩٧ تركوا حوالي ٢ كيلو غرام من غاز الخردل السام لهذا أعلن في ٦/٢٥ / ١٩٩٨ ان فريق دوري متخصص في الاسلحة البيولوجية والكيميائية سيصل نهاية الشهر لإزالة المواد السامة التي تركتها فرق التفتيش الدولي بمقرها في فندق القناة في بغداد ، كما أعلن نائب امين عام الامم المتحدة موافقة العراق على دخول خمس خبراء ليست لهم اية لصلة بإعمال اللجنة الخاصة مع طبيب ومراقبين اثنين من مجلس الامن وممثل عن الامين العام للأمم المتحدة وعنصر اداري تابع للجنة الخاصة يسهل اجراءات دخولهم الى مختبرات اللجنة الواقعة في الطابق الرابع من مقر بعثة الامم المتحدة في بغداد كما ذكر براكاز شاه انه على الفريق اخذ النماذج التي يقومون بتدمير بعضها او جميعها في بغداد على ان يتم بالتعاون مع السلطات العراقية وان هذا العمل سيستغرق حوالي ستة أو سبعة أيام في أقل تقدير^(٧٤)

المبحث الثالث: تصاعد حدة الأزمة بين العراق واللجنة الخاصة وتداعيات عملية نعلب الصحراء

ظهر في فترة تولي باتلر مهمة رئاسة اللجنة الخاصة مشاكل جديدة بين العراق واللجنة ، اذ لم تعد المسألة تقتصر على البحث عن أسلحة الدمار الشامل وتدميرها بل ظهرت مسألة مهمة اخرى وهي اتهام الولايات المتحدة الأمريكية للعراق بإنتاج غاز ((VX)) بلون اخضر فاتح او اصفر يمكن استخدامه كسلاح بعد ان يوضع في عبوات أو خرطيش توضع في ما بعد داخل الرؤوس الحربية للصواريخ، وعند انفجاره ينتشر في الهواء مباشرة وهو ما يؤدي إلى قتل من ٤٠ الى ٥٠ شخص في دائرة انفجاره، وبما ان جميع الأسلحة قد تم تدميرها فقد اتخذ قرار بإعادة فتح مدافن الصواريخ والرؤوس الحربية لتحديد مدى توفر غاز ((VX)) فيها^(٧٥)، وقد تم فتح المدافن وأخذ بعض القطع من الرؤوس الحربية التي أرسلت الى المختبرات الكيميائية للجنة الاممية الخاصة وبعدها تم ارسالها الى البحرين ومن ثم الى هانزفيل في الولايات المتحدة الامريكية، وقد اشرف على كل تلك العملية

خبراء من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وأستراليا فقط بحيث لم يسمح لغيرهم دخول تلك المختبرات ، وقد جاءت نتائج التحليل في ما بعد على أن الغاز موجود فعلا على الرؤوس الحربية ولكن العراق أصر على موقفه بعدم امتلاكه لهذا النوع من الغاز ، وعندما اقترح فلاديمير تترينكو إجراء فحص اضافي بحيث يدخل العراق في نطاق اللجنة المكلفة لاكتشاف الغاز على أن تأخذ عينات من الرؤوس الحربية من المدفن نفسه ولكن لا ترسل الى الولايات المتحدة الأمريكية بل الى مختبرات في سويسرا وفرنسا وأن يساهم الأمريكيين والبريطانيين كمراقبين فقط ، وبالفعل فقد أخذ بهذا الرأي ونقلت الى مختبرات في سويسرا وفرنسا بطائرة اخذتها من قاعدة الحبانية في العراق دون الوقوف في المختبر الكيميائي التابع للجنة الخاصة ، وبعد اجراء التحليلات عليها تبين أنه لا وجود لغاز ((VX)) على الرؤوس الحربية^(٧٦)

وأدرك باتلر بهذا العمل بأنه شيء خطير وعليه ضرورة غلق برنامج البحث عن اسلحة الدمار الشامل باعتبارها خديعة ، ولهذا اعلن في يوليو/ تموز بان هذا الملف سيزول عما قريب، كما ادركت الولايات المتحدة الأمريكية ان العراق يسير باتجاه رفع جميع العقوبات عنه لكن المماثلة المرة تلو الأخرى هي التي أبقت الحال عما هو عليه ، ثم أن طيران الامم المتحدة فوق العراق كان بإمكانه تصوير جميع اراضي العراق والتأكد من عدم وجود أي أنشطة بايولوجية او نووية او كيميائية^(٧٧)، لكن جورج بوش كان مصراً على ان العراق يمتلك مؤشرات للعامل ((VX)) المشمل للأعصاب عالي السمية حسب ما ذكره هانز بليكس في تقريره المقدم الى الأمم المتحدة^(٧٨)

وعندما علق العراق تعاونه مع اللجنة الخاصة في خمسة اب / اغسطس ١٩٩٨ وجدد اتهامه لريتشارد باتلر بالعمالة لوكالة المخابرات الأمريكية لأنه صرح اخطر التصريحات التي عبر فيها عن سعيه للتآمر على العراق عبر شبكة تلفزيونية امريكية ، لهذا قال العراق عن باتلر انه خرج من حدوده كموظف دولي عندما اتهم العراق بالإرهاب بينما هو من يقوم بأكثر الاعمال الارهابية بإصراره على اباداة الشعب العراقي اباداة جماعية ، لكن فرق التفتيش كما ذكر سابقا واصلت مهامها الاعتيادية في زيارة المواقع العراقية الخاضعة للرقابة الدائمة بموجب قرار مجلس الامن الدولي رقم ٧١٥^(٧٩)

وفي تاريخ السادس من اب /اغسطس ١٩٩٨ ذكرت دائرة الرقابة الوطنية العراقية ان فرق الرقابة الدائمة مستمرة في ممارسة اعمالها بشكل اعتيادي في كل انحاء العراق ، وان العراق الذي اوقف عمل اللجنة الخاصة فيه قد استنتى فرق الرقابة الدائمة التي تعمل بنظام المراقبة الذي انشئ عام ١٩٩٤ والذي تخضع بموجبه مئات المنشآت والمصانع والمختبرات والمشافي ومراكز البحث العلمي العراقية^(٨٠)

وما بين ايلول / سبتمبر وتشرين الثاني / نوفمبر ١٩٩٨ عندما كتبت الوكالة الدولية للطاقة الذرية مسودة تقريرها، لو كان ذلك التقرير قد دخل مجلس الامن في حينها لأنهاى موضوع اسلحة الدمار الشامل بالعراق وأصبح العراق مستعداً للانتقال للمرحلة الثانية وهي المراقبة الطويلة المدى (موري تونك) وبالتالي رفع العقوبات عنه، ولكن محمد البرادعي أصر على ان يتضمن هذا التقرير ثلاثة اسئلة ليس لها تأثير على استنتاج الوكالة بان العراق وصل لمرحلة الصفر، ومن هذه الأسئلة مطالبة الحكومة العراقية والبرلمان بتقديم نص القرار الذي صدر بخصوص إيقاف البرنامج النووي الكيماوي والبيولوجي، اما السؤال الثاني الذي طلب الاجابة عنه هو التعاون الاجنبي في مجال النووي بمعنى تقديم ملفات المخبرات العراقية و علاقاتها بالآخرين نظرا للشكوك ببعض الدول التي تكون قد ساعدت العراق في برنامجه التسلحي ، اما السؤال الثالث فقد كان يخص فقدان احد الاوراق المتعلقة بمراحل تطوير برنامج السلاح النووي وهي الورقة رقم ٥٠ علماً ان كل الاوراق التي قبلها والتي بعدها كانت موجودة ، لكن البرادعي اصر على ضرورة وجودها لإدراجها في تقريره ، رغم ان تلك الاسئلة كانت فنية لا تؤثر في كتابة التقرير بل ربما ستؤدي الى اضعافه او ربما ستستغل في مرحلة اخرى ، وهو ما استغله بالفعل بعد ذلك الرئيس الامريكي بوش عام ٢٠٠٣ في حربه على العراق عندما قال ان البرادعي وتقريره لم يجيبوا على تلك الاسئلة ، وهكذا جامل محمد البرادعي امريكا في كتابته لتقارير الوكالة الدولية للطاقة الذرية لأنه كان مسنودا منها وليس من مصر التي رفضت ترشيحه لهذا المنصب لأسبابها الخاصة^(٨١)

وكعادته النظام العراقي السابق فقد عاد الى سياسة الارجوحة عندما اعلن عن وقف اعمال اللجنة الخاصة مرة اخرى في ٣١ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٩٨، ولكن هذه المرة وبجهود من روسيا وفرنسا والسكرتير العام للأمم المتحدة كوفي عنان جرى منع اتخاذ أي اجراءات عسكرية ضد العراق، وفي

١٨ تشرين الثاني / نوفمبر من العام نفسه قرر العراق استئناف عمل اللجنة الخاصة والتعاون معها ولكنه وضع شروطاً لذلك مما اثار غضب الولايات المتحدة الأمريكية ، ورد العراق موضحاً موقفه من أنها لم تكن شروطاً ولكن "الرغبات المرتبطة بالقرار الواضح وغير المشروط" (٨٢)

كما قام باتلر بعمل استقرازي عن طريق بعض المفتشين الاستقرازيين حتى يمنع العراق من التعاون مع اللجنة الخاصة ، وعندما حصل على ما أراده اعلن انه سيوقف عمل اللجنة بعدما أثرت المشاكل بينها وبين العراق مرة أخرى، وكان ذلك في بداية أزمة تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٩٨ وهي المرحلة الأكثر صعوبة، نظراً لأستعداد الولايات المتحدة الأمريكية حينها لقصف العراق، لكن روسيا استطاعت اقناع العراق بالسماح بعودة المفتشين وكانت جهود روسيا على اعلى المستويات ومع صدام حسين مباشرة ولهذا وافق العراق على التوصيات الروسية وتابعت اللجنة عملها من جديد ولكن ليس طويلا لان باتلر عاد وأتهم العراق من جديد بأنه لا يرغب في التعاون (٨٣)

وبتاريخ ١٢ / ١١ / ١٩٩٨ قال طارق عزيز أن اي عمل عسكري ضد العراق تتحمل مسؤوليته اللجنة الخاصة والولايات المتحدة الأمريكية، وان العراق لا يتراجع عن قراره بوقف المفتشين حتى يقرر مجلس الامن تخفيف العقوبات على العراق وأن العراق صامداً وسيدافع عن نفسه ، وبالمقابل اخذت اللجنة عناصرها باتجاه الاردن وأبقت على خمسين موظفاً فقط لإغراض الأدامة والاتصال ، وعندما استقبل طارق عزيز نائب مجلس الوزراء حينها الوفد البرلماني البريطاني الايرلندي الذي زار العراق ، أشار الوفد الى سعي حكومة بريطانيا في شن هجوم عسكري على بغداد وان هناك عدداً من المسؤولين في الحكومة البريطانية يرغبون بقيام عمل عسكري ولكن ذلك سيكون كارثة غير مبررة ، لكن طارق عزيز أكد للوفد ان العراق متمسك بموقفه لحين أيفاء مجلس الامن بالتزاماته ومنها رفع الحظر النفطي كبدائية للرفع الكلي للعقوبات عنه (٨٤)

لكن فرق التفتيش الخاصة استأنفت عملها في ١٨ / ١١ / ١٩٩٨ وتحققت من اللواصق والسجلات والمعدات الخاصة بها وزارت العديد من المنشآت ذات الصلة بالملفات الكيماوية والنوية والبيولوجية داخل وخارج بغداد وفي هذه الاثناء احتج العراق مجدداً لدى الأمم المتحدة على ما وصفه بقيام طائرة من نوع U2 امريكية الصنع بخرق اجوائه لمدة زادت عن ثمان ساعات، والتي كانت تنطلق عادةً من الاراضي السعودية ، وعلى اثر ذلك بعث وزير الخارجية العراقي برسالة

للامين العام للأمم المتحدة اقترح فيها استخدام وسائل مراقبة عراقية بدلا من تلك الوسائل الأمريكية التي توظف بالأساس لإغراض أخرى بعيدة عن اغراض اللجنة الخاصة^(٨٥) وقد شهد مركز بغداد للرقابة والتحفظ بتاريخ ٨ / ١٢ / ١٩٩٨ حركة مكثفة للبدء بعمليات تفتيش مفاجئة لمواقع يتوقع فيها أسلحة دمار شامل وكان ذلك بناء على اوامر تلقتها اللجنة من رئيسها باتلر ضمت المجموعة اجهزة عدة كان من بينها اجهزة استنساخ وازدادت عمليات التفتيش بهذه الفترة بدرجة أكبر مما كانت عليه في السابق، وعقد خبراء دوليون في البرنامج البيولوجي مناقشات موسعة مع الجانب العراقي وشارك في عمليات التفتيش الجديدة فريق مكون من ٣٩ مفتشا وقد اعتبر وزير الخارجية العراقي محمد سعيد الصحاف ان هؤلاء المفتشين ما هم إلا جنود امريكيين وليس خبراء دوليين وهم عبارة عن ضباط كوماندوز من وكالة الاستخبارات المركزيه الأمريكية ومن الموساد وهم يخططون لإسقاط النظام^(٨٦)

كما وصل عدد المفتشين الدوليين في بغداد الى ٢٠٠ مفتش في آخر حملة خلال تلك الفترة التي اعتبرها رئيس اللجنة الخاصة باتلر بأنها حملة حاسمة في علاقات اللجنة مع بغداد، وقال ان فرق التفتيش المكثفة الأخيرة ستستمر في عملها لكي تحصل على المعلومات والأدوات الضرورية لتتمكن من رفع تقريرها الى مجلس الامن حول اجراء اي مراجعة محتملة للعقوبات ، وان اي مشكله تتم بين العراق واعضاء التفتيش سيتم اطلاع مركز اللجنة الخاصة في نيويورك عليها اولاً بأول ثم اطلاع مجلس الأمن عليها^(٨٧)

و لغرض اختبار العراق من قبل اللجنة الخاصة قامت الأخيرة بزيارة لأحد مقرات حزب البعث في منطقة الاعظمية بناء على معلومات وصلت الى اللجنة الخاصة من قبل الاستخبارات البريطانية تؤكد بأن ذلك المقر الحزبي يضم صواريخ على ان يتم تفتيشه خلال اسبوعين من ابلاغ اللجنة، وقد زار باتلر مع ثلاثة مفتشين دوليين ذلك المقر وأدت الزيارة الى توتر كبير بين اللجنة الدولية الخاصة وبين العراق الذي اعتبر مثل هذه المواقع غير مشمولة بالرقابة وغير معنية ببرامج التسلح لأنها مؤسسات سياسية وفكرية، كما اشار وزير النفط العراقي عامر رشيد الى ان تفتيش مقرات الحزب هذا يعد أمراً مخالفا للاتفاقية المعقودة بين العراق وكوفي عنان التي حددت بتفتيش المواقع الحكومية المهمة فقط ، وان العراق ملتزم بهذه الاتفاقية ولن يمثل لتوجيهات باتلر الخارجة عن تلك الاتفاقية

، وان اللجنة الخاصة عندما ارادت تطبيق ما يسمى باستحقاق باتلر لا يوجد مثل هذا النص في تلك الاتفاقية ، لهذا استوقف العراق فريق التفتيش الدولي واعتبر زيارته المفاجئة للمقر عمل استفزازي ليس له علاقة بعمل اللجنة الدولية وطلب تقديم ايضاحات من قبل الفريق الدولي حول اسباب زيارته للموقع لكنه رفض ذلك دون تقديم اي اشعار بهذا الشأن^(٨٨)

لقد أدت عمليات التفتيش بأساليب استفزازية وبصورة مفاجئة ، مع إصرار الولايات المتحدة وارتفاع صوتها على صوت مجلس الأمن الدولي بعدم امتثال العراق لقراراته وعدم احترامه لها الى تصاعد الازمات بين العراق وفرق التفتيش بصورة سلبية ، وهو ما ادى الى استمرار حدة الجدل والتي أدت إلى انهيار عمليات التفتيش في العراق ، ولعل أوضح صورة لتأزم الموقف بين اللجنة الخاصة والعراق هو ما يعرف بعملية ثعلب الصحراء التي قادتها الولايات المتحدة الامريكية مع بريطانيا بعد ما افتعلت اللجنة الخاصة ازمة جديدة عندما قام رئيسها ريتشارد باتلر بسحب فرق التفتيش وإخلاءهم من العراق بناء على تعليمات من واشنطن لحمايتهم من الضربات الجوية الامريكية والبريطانية ، منذ الساعة السابعة صباحاً يوم الخامس عشر من شهر كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٩٨ بدون التشاور مع مجلس الامن الدولي او الحصول على موافقته^(٨٩)

وعلى اثر ذلك التصرف من قبل اللجنة الخاصة شنت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا هجمات عسكرية على اهداف عسكرية ومواقع مهمة في العراق من ١٦ - ١٩ كانون الأول / ديسمبر عام ١٩٩٨ ادعت بأنها اماكن لها دور في اخفاء اسلحة دمار شامل^(٩٠) ووصفت بأنها عملية محدودة بغرض اسقاط نظام صدام بإنزال جوي على القصر الرئاسي وإلقاء القبض عليه أو اغتياله بمساعدة عمليات قصف جوي محدودة ، ولهذا اعتمدت على القصف الجوي والبحري وصواريخ كروز بشكل رئيسي^(٩١)، وأيضا كان الهدف الاساسي من عملية ثعلب الصحراء هو الاطاحة برأس النظام العراقي وليس الغرض منها هو تدمير اسلحة الدمار الشامل ، كما كانت الاهداف من ورائها هو تدمير جميع فرق الحرس الجمهوري الخاص^(٩٢) ، وبخاصة بعد ان بينت اللجنة الخاصة في تقريرها الى مجلس الأمن في كانون الأول / ديسمبر ١٩٩٨ ان العراق قد استمر بحجب المعلومات ذات العلاقة ببرنامج الأسلحة البايولوجية والكيميائية^(٩٣) ، واعتبر بيل كلينتون في خطابه الى الأمة الأمريكية في ديسمبر ١٩٩٨ " ان مادام صدام في السلطة فان ذلك يهدد مصالح شعبه والسلام في

منطقته وأمن العالم بأكمله وأفضل طريقة لإنهاء خطره هو وجود حكومة عراقية جديدة تحترم حقوق شعبها وتعيش بسلام مع كل جيرانها^(٩٤) وكان الرئيس الامريكى قد حذر العراق في شهر تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٩٨ من ان بلاده ستقدم على مهاجمة العراق بدون سابق انذار في حال عودته في عرقلة عمل المفتشين الدوليين^(٩٥) ، كما أن الجناح اليميني في امريكا اوصل الامور في عام ١٩٩٨ الى القيام بعملية عسكرية لتحرير العراق وتدبير انقلاب على النظام ، بينما معطيات اسرائيل الاستخباراتية كانت تقول ان صدام حسين لا يشكل خطراً كبيراً في حينها^(٩٦) وذكر طارق عزيز ان اللجنة الخاصة والوكالة الدولية للطاقة الذرية قامت بأكثر من ٤٠٠ نشاط في العراق خلال الفترة من ١١/ ١٥ - ١٢/ ١٥ / ١٩٩٨ لم يحدث خلاف بينها وبين العراق الا على اربعة أنشطة من بين ٤٠٠ نشاط فقط ، وهذه الاربعة كانت ذريعة للعدوان عليه^(٩٧) ونظراً لتصاعد الموقف وخطورته ظلت آمال النظام العراقي متعلقة بجهود روسيا لحل الازمة التي عصفت بالبلاد ولدرء الخطر عن العراق حاول طارق عزيز الالتقاء بفلاديمير تترينكو - آخر سفراء روسيا في بغداد- في ايام عملية ثعلب الصحراء تحت تهديد القصف الامريكى ، وقد تم اللقاء بينهما في داخل نفق مظلم تحت بناية وزارة النفط في بغداد وبحضور عامر شيد وزير النفط العراقي السابق وعلى ضوء مصباح خافت تم اللقاء بين الجانب العراقي والجانب الروسي ، وكان طلب الجانب العراقي هو ان ينقل فلاديمير تترينكو رغبة العراق الى روسيا في السعي للتوصل الى حل وابعاد استمرار الضربات العسكرية على العراق ، وان للعراق مبررات لرفع العقوبات عنه ، كما ان طارق عزيز وعامر رشيد ذكرا لفلاديمير تترينكو ان روسيا تدين العدوان ولكن ليس بحيوية كاملة ، وان للعراق معطيات استخباراتية زودته بها الاستخبارات التابعة للعراق في منطقة الخليج بأن لدى كلينتون من الصواريخ ما يكفي ليومين فقط ، وبالفعل فقد انتهت ذخائرهم وتوقفت الحملة العسكرية بعد يومين من هذا اللقاء^(٩٨)

بينما نظر العراق الى عملية ثعلب الصحراء من جانب آخر ، اذ كانت هنالك جلسة استماع في الكونغرس الامريكى بشأن اتخاذ قرار بعزل الرئيس الامريكى بيل كلينتون من منصبه بعد فضيخته مع مونيكا وعليه فقد كان كلينتون مهدداً ولا بد من ان يشن حرباً على العراق من اجل البقاء في

منصبه ، وقد قال طارق عزيز "بسبب جنس غير تقليدي سيقصفنا الامريكيون" (٩٩) وهي القضية التي أثرت بشكل كبير على درجة قبوله وشعبيته أمام الشعب الامريكي (١٠٠) وفي الحقيقة ان عمليه ثعلب الصحراء خطط لتنفيذها في شهر اذار/ مارس وما حدث في شهر كانون الاول / ديسمبر كان من المفروض ان يحدث في شهر اذار وتحديدأ بعد ان صدر القرار رقم ١١٥٤ في ٣ آذار/ مارس ١٩٩٨ والذي فسرتة واشنطن بأنه يسمح لها بالعمل العسكري المنفرد وقت ما تشاء عندما لايطبق العراق شروط عمل اللجنة ، لكنه لم يحدث بسبب هو ان المفتشين اقنعوا العراق بالموافقة على تفتيش وزارة الدفاع (١٠١)

وبنفس السنة تبنى الرئيس الامريكي بيل كلينتون مشروع قانون تحرير العراق ، حيث خصص مبلغ ستة وتسعين مليون دولار تقدم للمعارضة العراقية لمساعدتها في جهودها للتخلص من صدام (١٠٢) في حين ان كلينتون في عام ١٩٩٣ وهو العام الاول لرئاسته ارسل مبعوث من قبله الى صدام حسين سراً ليعيد الاتصال ببغداد عن طريق احد اصدقاء طارق عزيز وهو رجل دين (قس) وكان يحمل معه شهادة موقعة بخط الرئيس الامريكي كلينتون وقد شرح رجل الدين لصدام اثناء لقائه به ان بيل كلينتون على استعداد لفتح صفحة جديدة في العلاقات الامريكية العراقية وعلى اسس وقواعد جديدة من الصداقه وانه لا زالت كل الاحتمالات قائمة وممكنة لكنه لم يشر الى رفع العقوبات ولم يذكر اي برنامج زمني وانما جاء ليضع المعالم الاولى للحوار ويمد يد كلينتون لصدام (١٠٣)

وبما ان الضربة العسكرية التي حصلت اثناء اجتماع مجلس الامن لدراسة تقرير باتلر، فقد شكلت هذه الضربة العسكرية حالة خطيرة وانقسام واختلافات حادة في وجهات النظر داخل مجلس الامن الدولي، وبناء على ذلك الموقف المحرج لبعض الدول في مجلس الامن الدولي من الضربة العسكرية للعراق تم تشكيل لجنة لتقييم الموقف بناء على اقتراح من كندا ، فتشكلت ثلاث لجان برئاسة سلسيو اموري سفير البرازيل بعد ان اعطى العراق لأعضاء مجلس الأمن بيانات موثقة حول كل المعلومات، وعلى ضوء ذلك قدمت تلك اللجان تقاريرها في ما بعد، وبعدها قدمت كل من الصين وروسيا وفرنسا مشروع مشترك كان هدفه ايجاد حل لأزمة العراق، ولقد علق طارق عزيز حول المشروع قائلاً (لقد ابدى العراق ملاحظاته الجوهرية عليه رغم انه كان غير مرضي بالنسبة للعراق لكنه كان بدافع حسن النية، وبأنه كان ضمن التوازنات القائمة الموجودة في مجلس الامن

الدولي في حينها، علما ان الضربة كان هدفها ضرب النظام السياسي في العراق وبخاصة ان القصف استهدف مواقع ذات طبيعة سياسية وصناعية الهدف منها زعزعة النظام تمهيدا لإسقاطه).^(١٠٤)

وبما ان الشبهات احاطت الرئيس التنفيذي للجنة اليونسكو ريتشارد باتلر بقيامه بجلب زجاجات غاز (VX) الى مختبرات اللجنة الخاصة في بغداد وتوافقه مع الإدارة الأمريكية باستمرار توجيه التهم للعراق بعدم التعاون مع اللجنة الخاصة وما قدمه في تقريره بتاريخ ١٥ كانون الأول / يناير ١٩٩٨ بعدم تعاون والتزام العراق التام كان أحد الأسباب الممهدة لعملية ثعلب الصحراء^(١٠٥) فقد ذكرت أحد المصادر أنه في شهر شباط /فبراير من عام ١٩٩٩ حضر إلى الامانة العامة للأمم المتحدة في نيويورك مفتشين أمريكيين كانا متخصصان بالسلح الكيماوي وتحدثا عن ان ثلاجة مختبر اللجنة الخاصة في بغداد تحتوي على مواد سامة وقد ابلى الامين العام للأمم المتحدة بوجود أربعة زجاجات فيها غاز الاعصاب في (VX) وهذه الزجاجات اخذت الى بغداد بأمر رئيس اللجنة الخاصة ريتشارد باتلر وعندما تم سؤالهما عن سبب افادتهم في هذا التوقيت تحديدا كان جوابهما هو ان هناك اكثر من ٢٥٠ شخص يعملون في فندق مجاور للمختبر حيث كان يقيم به سابقا ممثلون عن اللجنة الخاصة وبعض الموظفين في منظمة اليونيسيف وبرنامج الغذاء العالمي والايكوم التي تراقب خط الفصل بين العراق والكويت اضافة الى العديد من الموظفين الأمريكيين والجميع في خطر وبما ان درجات الحرارة مرتفعة في العراق مع استمرار انقطاع التيار الكهربائي وخاصة ان احد الزجاجات كانت مفتوحة بغرض مسح الصواريخ العراقيه بهذه المادة السامة وعليه فإذا اصيب الفندق بقذيفة ما اثناء القصف الدوري سيهلك جميع سكان تلك المنطقة في بغداد^(١٠٦)

واثر هذه الافادة عقد مجلس الأمن الدولي في اوائل شهر يونيو/ حزيران من العام نفسه جلسة استثنائية اتخذ بها قرار بتكليف ممثلي سفارات الدول الدائمة العضوية في مجلس الامن الدولي و المراقبين السياسيين بالاشتراك مع الممثل الخاص للامين العام للأمم المتحدة براكاز شاه ومجموعة المنظمة الدولية لتدمير السلح الكيماوي وهم خبراء حياديين، معهم خبير روسي عسكري في مجال حظر السلح الكيماوي وطبيب بولندي تحسبا لحدوث حالات تسمم بالغاز ودبلوماسي صيني بمرتبة مستشار وفرنسي بمرتبة مستشار ايضا، وبعد ان قاموا بكسر ابواب المختبر وتصوير كل ما

في داخله و تركه للتهوية لمدة تقارب الاسبوع عثروا على اربع زجاجات من غاز (VX) ثبت أنه ليس من صنع العراق لأنه لم يصبح قادراً على إنتاج أي شيء بعد تدمير كل اسلحته البيولوجية والكيميائية والنوية، كما عثرت اللجنة على قطع رؤوس صواريخ سكوت في داخل ثلاثات المختبر تم مسحها بغاز (VX)^(١٠٧) ولم يوافق مجلس الأمن على الإفصاح عن ما توصلت اليه اللجنة المكلفة وتم التوصل الى قرار عدم الاعلان عن شئ عدا ما يقرره مجلس الامن، ومما ساعد في ذلك هو ان الصين وفرنسا لم يكونا في نيتهم فضح الولايات المتحدة الامريكية ،اما عن سبب سكوت روسيا فكانت مبرراتها هي قيام ألامنة اليوغسلافية في وقتها وإنها في الأشهر الاخيرة من حكم الرئيس الروسي السابق يلتسن وكان لها مصاعبها ولهذا فإن الاولوية ستكون للاهتمام بالشأن الروسي اولا والمصالح الروسية ثانيا وأنه لم تكن هناك اذان صاغية للمقترح الروسي بنقل زجاجات ((VX)) من بغداد الى مجلس الامن الدولي دون موافقته^(١٠٨)

وفي الواقع عندما تلاعبت لجنة التفتيش الخاصة بتلويثها رؤوس الصواريخ و تقديمها كدليل على تطوير العراق للأسلحة الكيميائية حاولت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها ان لا يظهر الأمر للعلن ويبقى الأمر طي الكتمان، ساعدهم في ذلك الموقف الروسي والمتمثل بالصفقة التي عقدها يلتسن مع الولايات المتحدة الامريكية انذاك^(١٠٩)

في الوقت الذي قدرت فيه وكالة المخابرات الامريكية في تقريرها الصادر في ايلول / سبتمبر ١٩٩٩ انه بالرغم من التدمير الكبير في البنية الصاروخية الارتكازية للعراق بسبب حرب الخليج الثانية وفعاليات الامم المتحدة اللاحقة إلا انه لا يزال قادرا على اختبار امكانياته الصاروخية عابرة القارات القادرة على الوصول الى الولايات المتحدة الامريكية خلال الخمسة عشر عاماً القادمة^(١١٠) وقد ساعدت اسرائيل اللجنة الخاصة في عملها داخل العراق كثيرا حيث كانت بين الفينة والأخرى تزودها بمعلومات جديدة كان اهمها هو اخبار اللجنة الخاصة بإبرام عقد بين العراق ورومانيا لتزويد العراق بقطع غيار عن طريق الاردن بالتعاون مع حكومة الاردن وهو ما دعى اللجنة الخاصة التخطيط لمتابعة سير الشحنات الذاهبة من رومانيا الى العراق عبر الاردن محاولة تركيب اجهزة اشارة لاسلكية فيها تسمح للجنة الخاصة متابعه خط سيرها والوصول الى المصانع السرية في العراق حسب اعتقادها ، وبالتعاون مع المخابرات البريطانية والأمريكية والرومانية كان من المفروض ان تتم

هذه الخطة الاممية المحضة لكن الـ CIA مارست ضغوطا كبيرة على المخابرات الرومانية لكي توقف التعامل مع اللجنة الخاصة واعتبرت هذا الامر بأنه ضمن مجال اختصاصهم فقط وان ما تقوم به اللجنة الخاصة يعد تعديا على نشاطاتهم^(١١١)

وعندما استشف العراق ان كوفي عنان في قرارة نفسه غير مقتنع بموضوع وجود أسلحة دمار شامل ولكنه واقع تحت الضغط الامريكي ،وان الحصار قد اذى الشعب العراقي كثيرا، حاول العراق تشجيعه على قول الحقيقة بخصوص موضوع العراق الشائك في الامم المتحدة ، وهو ما جعل المخابرات العراقية السابقة تقوم بمسح شامل لأقرب علاقاته وأصدقائه ، وقد تمكنت من الوصول لأحد اصدقائه وهو سفير اسبانيا في واشنطن عن طريق رجل اعمال عراقي يحمل الجنسية الاسبانية ، اما صديقه الآخر فقد كان وزير خارجية تايلاند الاسبق الذي وصلته المخابرات العراقية عن طريق امرأة تايلندية، وقد استدعاه العراق للحضور في بغداد وحمله رسالة الى كوفي عنان ، ولما نقل وزير خارجية تايلاند وسفير اسبانيا رسائل العراق الى كوفي عنان كان رده هو ان السبيل الوحيد للخروج من العقوبات هو التعاون التام مع لجان التفتيش ومجلس الامن الدولي وقراراته ، كما حاول العراق الوصول الى كوفي عنان عن طريق ابنه الموجود في فرنسا في ذلك الوقت من خلال اثنين من رجال المخابرات العراقية لكنه رفض الالتقاء بهم ولهذا لم يتمكنوا من الاتصال به^(١١٢)

المبحث الرابع : المبادرات العربية والدولية لحل أزمة بين العراق واللجنة الخاصة

ومن بين الحلول التي طرحت لمحاولة عودة المفتشين للعراق ودفع احتمال الحرب عليه من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وتقديم برنامج لحل النزاع مع اللجنة الخاصة ، هي سفر سكوت ريتير الى جنوب افريقيا في حزيران / يونيو عام ٢٠٠٠ للقاء طارق عزيز هناك لسمح العراق بعودة المفتشين له ، وكانت وزارة خارجية جنوب افريقيا مهتمة بشكل كبير في تقديم برنامج يسمح للمفتشين بالعودة الى العراق ثم يسمح برفع العقوبات وهكذا يتم عودة العراق الى المجتمع الدولي^(١١٣)

وكان ايضا بضمن المحاولات الهادفة الى انتهاء أزمة العراق مع المفتشين الدوليين هو لقاء عمرو موسى صدام حسين في ١٩ كانون الثاني / يناير عام ٢٠٠٢ بناء على تقاهم بينه وبين كوفي عنان الامين العام للأمم المتحدة وسؤال صدام حسين فيما اذا كان لدى العراق أسلحة دمار شامل من عدمها وقد طرح عمرو موسى هذا السؤال مرتين على صدام حسين في ذلك اللقاء وكان جواب

الأخير في كلتا المرتين ان العراق لا يملك اي أسلحة محظورة او نووية وهو ما دعا عمرو موسى يستفهم أكثر من صدام حسين عن سبب اعتراض العراق على عمل المفتشين الدوليين فيه فأجاب صدام قائلاً لأنهم جميعاً عملاء من الـ CIA وأنهم جاءوا للعراق لم يفتشوا على نووي لأنهم يعرفون جيداً ان العراق خالي منه وإنما يفتشون عن حاجات ثانية ، فأقترح عمرو موسى على صدام حسين بأن تأتي مجموعة من المفتشين الذين يتعاملون مع البعد النووي فقط ، وعندما سأله صدام كيف له ان يضمن ذلك اجاب عمرو موسى قائلاً بأنه سيتفق على ذلك مع الامين العام للأمم المتحدة كوفي عنان مع تمهيد الطريق للحوار المباشر بينه وبين صدام حسين ، حينها وافق صدام على ذلك المقترح ولكن بعد ان ابلغ عمرو موسى وزير الخارجية الأمريكي الأسبق كولن باول بما دار بينه وبين صدام حسين رفض باول فكرة اللقاء بين صدام و كوفي عنان واعتبر باول ان عمرو موسى مخدوع بشخصية صدام حسين ، ولكن بعد جهوداً كبيرة بذلت في هذا الشأن تمت الموافقة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية على فتح باب التفاوض وتم التفاوض بالفعل داخل الامم المتحدة لكن حدثت مضاعفات اخرى ادت الى اتخاذ الحرب في ما بعد وهو القرار الذي استطاعت الجامعة العربية تأجيله شهوراً حسب ما ذكره عمرو موسى^(١١٤)

ومن اجل انقاذ الشعب العراقي بمختلف أطيافه وفئاته وللحفاظ على حضارة العراق العريقة التي تمتد الى آلاف السنين ولدرء خطر الحرب ومآلاتها وتجنب الغزو الأمريكي للعراق ، قدم الشيخ زايد بن خليفة آل نهيان حاكم دولة الإمارات العربية المتحدة مبادرة الى صدام حسين تضمنت خروجه من العراق وان يكون ضيفاً عزيزاً على الامارات، وقد عرضها الشيخ زايد آل نهيان على صدام حسين بعد ان تشاور بخصوصها مع الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن وأخذ الموافقة منه عليها وما كان من صدام في بادئ الامر إلا ان وافق عليها مع اشتراطه موافقة الجامعة العربية وتبنيها للمبادرة ، وبناء على الاجتماعات واللقاءات والمباحثات بين صدام وبعض كبار المسؤولين الإماراتيين والتي كانت لأكثر من خمس لقاءات كان في البداية هنالك نية ايجابية أظهرها صدام حسين تجاه مبادرة الشيخ زايد^(١١٥) أما في ما بعد فقد غير صدام حسين رأيه في المبادرة الإماراتية مستهزئاً بها مع وصفه لكل الدول التي أيدتها بالعميلة^(١١٦) وربما كان رفض صدام حسين لها بسبب انها طرحت في مؤتمر شرم الشيخ عام ٢٠٠٣ قبل عرضها عليه^(١١٧) واعتبر العراق ان هذه المبادرات حلول ترقيعية

ومن يريد منع العدوان يستطيع منعه بوسائل أخرى ويقف بوجه امريكا التي اصبح الشر عنوان سياستها الخارجية (١١٨)

هذا ولقد سنحت فرصة أخرى لصدام حسين عندما عرض عليه الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة حاكم إمارة دبي الانتقال الى دبي وليس اللجوء فيها باعتبارها مدينته الثانية لتجنب تعرض العراق الى الغزو الامريكي وكان شرط الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم هو ترك الحكم في العراق، ولكن صدام حسين رد على ابن مكتوم قائلاً بأنه (لا يستطيع ترك الحكم لأنه يريد انقاذ العراق وليس إنقاذ نفسه) (١١٩)

وقد استمرت المحاولات العربية لإقناع صدام حسين بالخروج من العراق وإنقاذ الشعب العراقي من ما ينتظره من مصير غامض، وعليه فقد قرر حاكم دولة قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني إرسال حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني النائب الأول لرئيس الوزراء ووزير خارجية قطر الى صدام حسين في اب / أغسطس عام ٢٠٠٢ والذي كثيرا مازار العراق في السنوات التي قبل هذا التاريخ والتي أدت زيارته وساعدت في توقيع اتفاقية مع كوفي عنان سنة ١٩٩٨ بين العراق والأمم المتحدة نصت على عودة المفتشين الدوليين للعراق، وكانت الغاية من زيارة حمد بن جاسم الأخيرة للعراق بقصد توضيح صورة الموقف العالمي تجاهه وتأكيد جاهزية قوات الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها لإسقاط النظام في بغداد بعد أن أوضح حمد بن جاسم لصدام حسين أن الأمور تغيرت كثيرا ولم يعد المقصود من الأزمات المتكررة بين العراق والأمم المتحدة هو التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل بل "المطلوب هو راسك انت" على حد تعبير حمد بن جاسم ، كما ابلغه بان هناك قرارا قد اتخذ من قبل الدول بتنحيته بالقوة بسبب عدم تعاونه مع المفتشين الدوليين وطردهم بين الغينة والأخرى ولهذا عليه ان يتخذ ولو لمرة واحده قراراً صائباً ، وما كان من صدام إلا ان وجه سؤالاً مهما الى حمد بن جاسم قائلاً له هل ستسمح قطر باتخاذ أراضيها منطلقاً للعدوان على العراق ، فأجابه حمد بن جاسم أن لدى قطر تعاقدات والتزامات وعلاقات أمريكية عسكرية واذا طلب منها ذلك فستعطي اراضيها ، وما قدمه حمد بن جاسم كان مجرد فكرة للتنحي عن الحكم بأي طريقة وليس اللجوء إلى قطر وكما ذكر حمد بن جاسم أنه كان على امل كبير بأن يتنحي صدام حسين عن الحكم و يضحى بنفسه انقاذاً لشعبه (١٢٠) وبعد فتره وجيزة ارسل صدام حسين عزة الدوري الى

الشيخ حمد بن خليفة امير دولة قطر ليبلغ الاخير موافقة صدام على المبادرة القطرية وبخاصة فيما يخص اجراء انتخابات في العراق واختيار حاكم تحت اشراف الامم المتحدة، وعندما اسرعت قطر بإبلاغ الرئيس الامريكي بوش بموافقة صدام الاخيرة ، رفض بوش الاستماع الى كل الوساطات معتبراً ان قرار اسقاط صدام قد أتخذ و لا رجعة فيه^(١٢١) علماً ان أول غرفة عمليات بالحرب على العراق كانت في قاعدة السيلية في قطر بقيادة الجنرال فرانك قائد القوات الدولية وعدد من القيادات العسكرية الخليجية والعربية وقيادات اخرى من حلف الناتو^(١٢٢)

وخطط بضعة وزراء خارجية عرب للذهاب الى بغداد لإقناع صدام بمغادرة العراق ، إلا انه لم يسمح لهم بالزيارة لأنه كان بانتظار تنامي غضب الشعب العربي الى الحد الذي يفرض معه بقاءه في السلطة ويتمكنوا من الضغط على واشنطن لإيقاف الحرب^(١٢٣)

لم يكن العراق يستمع لأي نصح أو ارشاد من الدول العربية والدولية التي كانت تعتبر صديقة والتي كانت مصالحها في خطر بسبب انفراد امريكا وبريطانيا بالسيطرة على المنطقة^(١٢٤)

وفي الثامن من اذار / مارس ٢٠٠٣ قابل امين الجميل رئيس جمهورية لبنان الاسبق برفقة مسؤول امريكي يحمل رتبة عقيد كان وراء الدعم السري الامريكي للمجهود الحربي خلال حرب العراق مع ايران وطلبوا من صدام حسين مغادرة العراق الى مصر او سوريا او السودان او اي بلد يرضى باستضافته ، لكن صدام رفض عرضهما قائلاً (اموت ولا استسلم)^(١٢٥)

كما ان العراق فشل في محاولاته لاستمالة روسيا للحصول على موقف أممي يمنع قيام الحرب عليه لكن الآمال بقيت متعلقة بموقف روسيا ودفاعها عن العراق في مجلس الأمن ، ولكن في الواقع كان الموقف الروسي يختلف كثيرا عن ما اعتقده نظام الحكم السابق في العراق ، اذ اعتبرت روسيا ان العراق البعثي لم يكن في اي وقت من الاوقات حليفاً للاتحاد السوفيتي وهذا ما يؤكد منشور بعثي حصل عليه الاتحاد السوفيتي عام ١٩٧٢ كان مستخدماً للتوجيه الداخلي، والذي اتضح منه أن الغالبية العظمى من البعثيين يكرهون الماركسيين اللينيين و يضمرون العداء لهم عموماً والنظام السوفيتي بخاصة وان ما أظهرته القيادة العراقية في حينها كان مجرد تكتيك ، واذا كان البعض يعتبر صدام شخصية بارزة في تقييماتهم له فهو فعلاً بارزاً في فشله وطموحاته المفرطة، وان البعض عندما قارنه بستالين فهو لا يشبهه إلا بقسوته ووحشيته، وكان يتوقع من الاتحاد السوفيتي

السابق وروسيا حاليا ان تكون مضطرة في جميع الاحوال الى الوقوف الى جانبه والدفاع عنه ودعمه امام العالم لكنه أخطأ مثل ما أخطأ في تقديراته للموقف الروسي لغزو الكويت حيث انه لم يشعر برياح التغيير المهيمنة في ذلك الوقت في موسكو ولم يفهم وجهات النظر التي تغيرت فيها بالرغم من ان العراق تربطه مع الاتحاد السوفيتي معاهدة صداقة وتعاون تم توقيعها في عام ١٩٧١ عندما زار رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي السابق الكسي كوسيكا بغداد والتي استغرقت ترجمتها ثلاثة ايام في وزارة الخارجية العراقية ، حيث تضمنت مادة مفصلية مهمة وهي المادة الثامنة من هذه المعاهدة والتي نصت على ضرورة المشاورات العاجلة في حال شن هجمات حربية في السلاح الروسي لان ذلك يمس مصالحها بشكل مباشر او في حال نشوب وضع يهدد مصالح احد طرفي المعاهدة المتعاهدين ، كما يجب ان يشرع الطرفين بلا تأخير بالقيام بمشاورات بينهما للتوصل الى تسوية الوضع ، وعندما بدأ العراق الحرب مع ايران ودخلت قواته الى الكويت في صيف عام ١٩٩٠ في هذه الحالات خالف العراق التزاماته بموجب هذه المعاهدة وان نصائح روسيا بخصوص الكويت كان مصيرها التجاهل مع ان المعاهدة سارية بين الطرفين و لم يلغها احد ، كان ذلك أبرز ما جاء في وجهة النظر الروسية بخصوص العراق البعثي (١٢٦)

ومع ذلك فقد بقي العراق معولاً على روسيا في إيجاد مخرج نهائي وسليم لأزمته مع فرق التفتيش الدولية والاتهامات الموجهة إليه بامتلاكه أسلحة نووية وكيميائية وجراثومية مع اقتراب احتمال احتلال أمريكي للعراق أخذاً بنظر الاعتبار القاعدة التاريخية التي تربط البلدين ضمن الحيز الجيوبوليتيكي لروسيا سواء أكانت سوفيتية أو روسيا الفيدرالية التي لها مصالح كثيرة في المنطقة ولهذا كان من اولى مهمات السفير العراقي في روسيا مزهر الدوري الذي عين بهذا المنصب في النصف الثاني من عام ٢٠٠٠ هو اعادة الحياة للجنة المشتركة التي كانت مشكلة اساساً بين العراق وروسيا والتي جمدت حتى عام ٢٠٠١ وإعادة الروح اليها ، وكان ذلك عن طريق زيارة قام بها نائب رئيس الجمهورية حينها طه ياسين رمضان ووزير النفط ووزير التجارة الى روسيا برفقة مسؤولين آخرين في شهر نيسان عام ٢٠٠١ حيث تمكن الوفد العراقي من لقاء الرئيس الروسي بوتين وتبادل الحديث معه عن موضوع الحصار الذي فرض على العراق وعن مواضيع أخرى تخص الشعب العراقي بالدرجة الاولى، كما ابدى الوفد العراقي في ذلك اللقاء استعداداه للتوقيع على برنامج قيمته ٤٠ مليار

دولار وفي مختلف المجالات الصناعية والزراعية والثقافية والنفطية وقد تم توقيع الاتفاق مع رئيس الوزراء الروسي كازانوف على أمل بأن وفداً من روسيا سيزور العراق من اللجنة المشتركة في السنة الثانية برئاسة وزير الصناعات الثقيلة الروسي ولكن الوفد لم يذهب للعراق، وفي الواقع كان ذلك الاتفاق ضمن اطار برنامج النفط مقابل الغذاء والذي كان ابرز ما فيه هو ان تستثمر شركه لوك اويل اكبر حقل في العراق اسمه غرب القرنة وبهذا يكون لروسيا النسبة الاكبر من المشاريع التي اخذتها الشركات النفطية الاجنبية الاخرى، لكن هذه الشركة لم تتجز شيئاً طيلة الفترة التي اعقبت الاتفاق بل تلكأت في عملها بالرغم من الحديث الكبير الذي جرى بخصوص هذا الموضوع بين الجانبين العراقي والروسي من خلال زيارات وزير النفط العراقي عامر محمد رشيد العبيدي المتكررة الى روسيا بهذا الشأن^(١٢٧)

مما دعا العراق الى ان يفكر في الغاء العقد حيث كانت وجهة نظر العراق وتحليله للموقف الروسي هو ان روسيا تملك امكانات كبيرة لاستثمار الحقل ولكن بتوجيهات امريكية طلبوا منهم تأخير تنفيذ العقد لان قسم من اسهم هذه الشركة كانت امريكية ولهذا كان هناك توجيه بتعطيل اي استثمار في العراق، كما انه كانت هناك توجيهات روسية ايضا بتأخير تنفيذ العقد بسبب وجود بعض التيارات التي تدعم مصالح روسيا مع الولايات المتحدة الأمريكية وبخاصة أن العراق لا يدعم ميزان روسيا التجاري بأكثر من اربع او خمس مليارات سنويا وعليه فإن هنالك مجالات أكثر أهمية من مثل تلك المواضيع و العقود المبرمة مع العراق وهو ما ساعد على استمرار ضعف الموقف الروسي حيال قضية العراق ، وربما نتيجة للضغط الأمريكية على روسيا هي التي كانت أيضا وراء سبب عدم تمكن طارق عزيز من مقابلة الرئيس الروسي بوتين خلال زيارته الاولى لروسيا في عام ٢٠٠١ والثانية في شباط / فبراير عام ٢٠٠٢، ومع ذلك فان محاولات العراق لاستمالة روسيا بقيت مستمرة حيث زار وزير خارجية العراق انذاك ناجي صبري الحديثي في ربيع عام ٢٠٠٢ روسيا وهو يحمل معه مقترحات كانت مطروحة على الامين العام للأمم المتحدة كوفي عنان بعد لقائه به تتعلق بموافقة العراق على عودة المفتشين وتسهيل أمور انجاز مهامهم في ما يتعلق بالتفتيش عن أسلحة الدمار الشامل ، وكان ناجي صبري قد التقى ايفانوف الذي رحب بمبادرة العراق التي صاغها ونسقتها بالاتفاق مع كوفي عنان ووصفها بالايجابية رغم انها كانت متأخرة حسب رأيه ، وذكر

ايفانوف بأن روسيا ستستثمرها في لعب دور كبير ومهم لمنع وقوع الحرب على العراق ولكن عندما غادر ناجي صبري روسيا من موسكو متجهاً مباشرة الى نيويورك للقاء كوفي عنان والتوقيع على وثيقة عودة المفتشين الدوليين الى العراق رفض هذه المرة كوفي عنان الامين العام للأمم المتحدة مبادرة العراق معتبرا ان العراق ليس صاحب قرار في عوده المفتشين من عدمه وان كل ما عليه هو الموافقة على قبولهم وعودتهم فقط^(١٢٨)

ومع ذلك لم تنقطع الصلات بين العراق وروسيا بحثاً عن مخرج للأزمة العراقية وعلى كافته الصعد السياسية منها والدبلوماسية بالإضافة الى التعاون الاقتصادي ، ولهذا فقد زار وزير خارجية روسيا ايكرا ايفانوف العراق في شهر تشرين الثاني / نوفمبر عام ٢٠٠٢ حاملاً معه رسالة من الرئيس الروسي بوتين الى صدام حسين وكانت عبارة عن مبادرة روسية اخرى اهم ما تضمنته هو ضرورة ارجاع المفتشين الدوليين للعراق وان يعلق الحصار لمدة ستة أشهر وان تتجز لجان التفتيش مهامها، وبعد مرور سنة على ذلك وإذا اثبت أن اللجنة قد أنجزت كل مهامها سوف يرفع الحظر الاقتصادي يعقبه رفع الحظر العسكري الكامل، لكن العراق رفض تلك المبادرة واعتبرها مجرد افكار بعد ان تبين له ان روسيا لم تعرضها على الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا و حتى بقية الدول الأعضاء في مجلس الأمن الدولي لكي تسمى مبادرة بالمعنى الحقيقي، كما تخوف العراق من أن تكون هذه المبادرة بالنتيجة النهائية مشروع قرار يتحول ضد العراق مثلما جرى في عدوان بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية على العراق في عام ١٩٩٧ - ١٩٩٨^(١٢٩)

وهكذا حاول العراق اغراء روسيا بكل السبل واستغلال معاناتها من الظروف الاقتصادية الصعبة، اذ انها كانت عبارة عن مدينة تعيش بمئة مليار دولار فقط، ثم انها كانت تعاني من مشاكل داخلية كبيرة وعلى الأخص مشكلة الشيشان لكن العراق بقي يسعى الى احياء مصالح تدافع عنها روسيا ويتأمل مصالح روسيا على المدى البعيد، علما أن صادرات روسيا كان نصفها الى العراق تقريبا حيث كان العراق سوقاً مهماً لروسيا لكنه مع ذلك لم يجد تجاوباً من روسيا ولم تسعى في مجلس الأمن الى رفع الحصار عنه^(١٣٠)

إلا ان عشية الحرب الأمريكية على العراق أثار الرئيس الروسي فلاديمير وفيتش بوتين ارسال يفغيني بريماكوف الى صدام حسين حاملاً معه رسالة شفوية ، حيث ابغ ايفانوف وزير خارجية روسيا

سفير بلاده في بغداد فلاديمير تترينكو بأنه سيصل ضيف كبير ومهم من روسيا الى العراق طالباً منه استقباله ومرافقته وإعانتته في ترجمة الكلام حيث كان يفغيني بريماكوف يتكلم العربية ببطء، وعندما وصل بريماكوف الى بغداد كان في استقباله السفير الروسي لدى العراق ووزير التعليم العالي والبحث العلمي العراقي اللذان اصطحبا الضيف الروسي بسيارة تابعة الى الحكومة العراقية دون رفع العلم الروسي عليها الى احد القصور الرئاسية التي تقع بالقرب من مطار بغداد الدولي ولدى وصوله القصر كان في استقباله طارق عزيز ورئيس البرلمان العراقي الاسبق سعدون حمادي ودار نقاش حاد بين الطرفين العراقي والروسي بسبب فحوى الرسالة التي حملها بريماكوف الى بغداد والتي اهم ما تضمنته هو ضرورة تنازل صدام حسين عن الحكم ولو بشكل مؤقت على ان يحتفظ بصفته قائداً للقوات المسلحة ، ثم يتم الاستعداد خلال فتره لا تتعدى شهوراً قليلة لتنظيم انتخابات حرة ونزيهة تجرى تحت إشراف ورقابة الأمم المتحدة على ان تشترك جميع الأحزاب الراغبة في ذلك بما فيها حزب البعث ، لكن بعد مرور عشرة او خمسة عشر دقيقه من الحوار انضم صدام حسين بشكل مفاجئ الى الحديث و يبدو انه كان يستمع للحوار من مكان قريب للمتحاورين ، في حين معلومات اخرى تذكر بان الحوار في البداية كان مع صدام حسين ثم انضم كل من طارق عزيز وسعدون حمادي ، وما كان من صدام إلا ان هاجم الضيف الروسي مناديا (عليه باسمه قائلاً "يفغيني" ان الحق ليس معك وانك ستعرف بعد عشر سنوات ان الحق معي وليس علي و هذا الاقتراح الذي اتيت به ليس موفقاً وما هو إلا عبارة عن استسلام امام الامريكان)، واستمر بتوجيه اللوم الي بريماكوف مذكراً اياه بأنه سبق وان جاء الى بغداد وهو يحمل نفس مضمون هذه الرسالة الاخيرة عندما غزا العراق للكويت عام ١٩٩٠ وان الضمانات التي اعطتها روسيا في حينها للعراق اذا ما انسحب من الكويت في الموعد المحدد له وهو ما بين ١٦ - ١٧ كانون الاول / ديسمبر ١٩٩٠ لم تلتزم بها ولم تحمي روسيا العراق من ضربات الولايات المتحدة الأمريكية بعد ما استجاب العراق لطلب غورباتشوف الرئيس الروسي الاسبق بانسحاب العراق من الكويت ، حيث عندما بدأ العراق بالانسحاب بدأت قوات التحالف الدولي بتدمير القوات العراقية على الاراضي العراقية بالطائرات وهو ما ادى الى تدمير افضل فرق مدرعات الجيش العراقي عتادا وبشرا وهي محمولة على الشاحنات الثقيلة مع تدمير الدبابات السوفيتية من طراز ٢٧٠ والتي كان يبلغ عددها ٦٠٠

دبابة تابعة للحرس الجمهوري أهمها كان فرقة مكة المكرمة وفرقة عدنان خير الله ، وبالمجمل لم يستمر كلام صدام حسين لبريماكوف أكثر من بضع دقائق تقدر بخمسة الى عشرة دقيقة ، وهكذا انتهى لقاء مبعوث بوتين الى النظام العراقي الذي أشار مصدر آخر الى أنه لم يستمر أكثر من ٢٥ دقيقة ، وكان اخر ما قاله طارق عزيز للضيف بصوت عالي كي يسمع صدام ، بعد عشر سنوات سنعرف من كان على حق (رئيسنا المحبوب ام بريماكوف) (١٣١)

ولم تتوان الولايات المتحدة الأمريكية في البحث عن فرصة للدخول من خلالها الى العراق والسيطرة عليه ، فقد ذكر يونيد شبرشين الذي كان قد شغل ادارة القسم الخامس من الاستخبارات السوفيتية المسؤولة عن النشاط الخارجي ان CIA عندما عجزت عن معرفة ما يجري في العراق من خلال تجنيد عملائها أو بعض موظفيها وضباطها لجأت إلى محاولة تجنيد موظفين وضباط مخابرات سوفيت مسؤولين عن العراق بهدف الحصول على معلومات حول النظام، وعندما اكتشفت روسيا هذه العملية قطعت الطريق أمام هذه المحاولة ، كما ذكر شبر شين ان هذا كله كان بسبب خطأ ارتكبه الحكومة العراقية التي كان ينبغي عليها أن تسمح بنافذة صغيرة للعدو كي يتجسس عليها حتى لا يبدو العراق ، و(كأنه غرفة مظلمة تتصارع بها قطط سوداء) ، إلا ان هذه الجهود المبذولة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية لم تخف عن العراق حيث وصلت الى مسامعه عن طريق شخص فلسطيني كان مقيم في روسيا ادعى بأنه هو الوسيط ما بين الروس والأمريكيين في هذا الخصوص وان لديه الكثير من الأقراص المدمجة التي تحمل معلومات عن العراق وعندما طالبه العراق بتزويده بنسخ من تلك الأقراص المدمجة رفض اعطائها للعراق وانتهى الأمر على ذلك (١٣٢)

وبالرغم من كل ما أبداه النظام السابق من عدااء في العلن ضد اسرائيل ومهاجمتها في جميع المناسبات لكن واقع الأمر يختلف تماما عن ما كان يصرح به فقد ربطته علاقات سرية مع إسرائيل تعود الى ثمانينات القرن الماضي وكثيرا ما كان النظام السابق يوصي سفرائه والمسؤولين عن رعاية المصالح العراقية في واشنطن بعدم التحرش بإسرائيل وهو ما اكده سفير العراق في واشنطن محمد صادق المشاط من أنه كانت هناك توصية له بذلك من قبل طارق عزيز ونزار حمدون الذي بقي لفترة طويلة في الولايات المتحدة الأمريكية مسؤولا عن رعاية المصالح العراقية فيها ، وهي توصيات صدرت بالأساس من صدام حسين شخصيا (١٣٣)، وبسبب تلك العلاقات السرية بين صدام وإسرائيل

الغى الموساد الاسرائيلي خطة لأغتيال صدام والتي اطلق عليها اسم شجرة العوسج والتي اوقفها رئيس الحكومة الاسرائيلي الأسبق اسحاق رابين عندما فاز برئاسة الحكومة الإسرائيلية وشكل حكومة جديدة وبدأت الاتصالات بين الطرفين من خلال توسط رجل الأعمال عدنان خاشقجي وعلاقته بموشي شاحال وزير الشرطة الاسرائيلي من أصل عراقي، أعقبها اتصالات تمت بين رجل أعمال يهودي عراقي الأصل مقيم في كندا وسفير العراق في اتاوا هشام الشاوي عرض فيها الاول اتصالات سرية مع اسرائيل على ان تكون اللقاءات في كندا، وبما ان الفكرة لم يرحب بها الشاوي فانشق على النظام العراقي وطلب اللجوء السياسي في كندا^(١٣٤)

ومع ذلك فإن الاتصالات بين صدام وإسرائيل لم تتوقف، لذلك التقى طارق عزيز مع مسؤول في وزارة الخارجية الاسرائيلية في باريس وعرض عليه عرضاً جديداً يتعلق بنقل لاجئين فلسطينيين الى العراق وتوطينهم فيه ،اما بعد عقد اتفاقية السلام بين الاردن وإسرائيل والمعروفة باتفاق وادي عربة ، فقد عرض صدام على اسرائيل فتح مكتب لرعاية مصالح البلدين في بغداد وتل ابيب، وهكذا استمرت الاتصالات السرية بين اسرائيل وصدام عن طريق مجموعة من الوسطاء العراقيين والعرب في مدن عدة وردت فيها اسماء كثيرة منها طارق عزيز و نزار حمدون وبرزان التكريتي ونظمي اوجة وهو يهودي بريطاني الجنسية من اصل عراقي وعبد الحميد الخربيط وهو رجل اعمال عراقي وكذلك توفيق المصري وهو محامي فلسطيني يعمل للمخابرات العراقية وفالح عبد القادر فهمي سفير العراق في جيبوتي وابراهيم اسماعيل مندوب العراق في مؤتمر الشرق الاوسط لشؤون الطاقة المعقود من قبل منظمة bc وبنيامين فؤاد وزير الاسكان الاسرائيلي وجرت هذه الاتصالات في مدن كثيرة منها اليونان و جنيف وكندا ، وقد بررت تلك الاتصالات السرية على انها بغرض بيع النفط لإسرائيل حسب حاجتها وبأقل الاسعار مقابل ان يوصل للعراق الغذاء والدواء بعد ان قدم العراق في تلك الاتصالات السرية تعهده بعدم مهاجمة إسرائيل بأي حال من الأحوال حتى لو تعرض لضربات هجومية من الولايات المتحدة الأمريكية مع السماح للشركات الأمريكية للعمل بالعراق حتى قبل ان تسعى إسرائيل واللوبي الصهيوني بأمريكا تحديدا بإنهاء العقوبات المفروضة على العراق ، لكن سفير الولايات المتحدة الأمريكية في إسرائيل مارتن اندنك حذر إسرائيل من تلك اللقاءات السرية مع العراق مؤكداً وجهة نظر الرئيس الامريكى كلينتون بأنه لا توجد فرصة لبقاء هذا النظام^(١٣٥)

ولما تسلّم بنيامين نتنياهو رئاسة الحكومة الإسرائيلية في عام ١٩٩٨ قرر صدام حسين الاستمرار في إجراء حوارات سرية مع إسرائيل وهو ما أكدّه نتنياهو في تصريح لإذاعة الجيش الإسرائيلي قائلاً إن إسرائيل تتبادل مع صدام رسائل سرية سعى فيها صدام إلى طمأنة إسرائيل في ذلك العام بأنه سوف لن يطلق صواريخه عليها بالرغم من وجود الخلافات ووجود المفتشين الدوليين في العراق ، كما كان قصد صدام هو أن يفتح النفط العراقي ليصل إلى إيلات في إسرائيل ، وكانت هذه الرسائل ترسل من خلال وسيط في الأردن ، كما أن موشي شاحال في حزيران عام ١٩٩٨ تلقى رسائل من صدام طلب فيها الأخير أن تجري لقاءات مع الحكومة الإسرائيلية على أن تتم اللقاءات في الأردن لتكون مكاناً لأنعقادها ، لكن إسرائيل طلبت منه أن تعقد هذه اللقاءات في تل أبيب بخلاف ما كان صدام يرغب به، وكما في السابق فقد رفضت الولايات المتحدة الأمريكية وغلقت الباب أمام التقارب العراقي الإسرائيلي، وقد علق موشي شاحال على الموقف الأمريكي قائلاً بأنه كان خطأ جسيماً وفي رأيه لو تم الاتفاق لفرض على صدام شروطاً قاسية يلتزم بها هو والعراق دون الحاجة إلى إسقاط نظامه "وأنه خطأ تاريخي منبعه الغباء وليس شيئاً آخر وأن الولايات المتحدة الأمريكية لم تفهم المبادرة العراقية آنذاك وكان كل ذلك خسارة لأن إسرائيل لم تجرب ولم تضع نوايا صدام في امتحان حقيقي" (١٣٦)

ولكن مع ذلك فقد استمرت العلاقات السرية بين العراق وإسرائيل لممارسة الضغط على أمريكا لتجنب الحرب على العراق وكان أبرز شخصية في هذا المجال هو ابن رؤوف شقيق بطرس غالي الأمين العام للأمم المتحدة الذي كان يوصل الرسائل بين إسرائيل والعراق لحد ما قبيل شن الحرب على العراق عام ٢٠٠٣ (١٣٧). وهكذا كان النظام العراقي السابق يتحاور مع إسرائيل عن بعد في حين وبخ صدام بنفسه شخصياً أحد الضباط العراقيين عام ١٩٩١ وهو يقلده وساماً واعتبره جباناً بعد أن قال الضابط لصدام (لعل الأفضل لنا أن نكون أكثر مرونة تجاه إسرائيل ! فطالما ظلت مواقفنا في هذا الشأن وبهذا القدر من الصرامة فسوف نظل نعاني أسوأ العواقب ، لماذا لا نكون أقل مرونة من الفلسطينيين انفسهم !؟)، وقد ذكر الضابط هذا الرأي لصدام وهو يشتمكي من مصاعب الحياة اليومية بعد حرب الخليج الثانية (١٣٨).

المبحث الخامس : لجنة الأنموفيك ودورها في حل أزمة العراق مع اللجنة الخاصة والجهود

السرية لحل الأزمة

وقد استمرت المحاولات للتوصل الى حلول من قبل الاطراف داخل مجلس الامن الدولي (١٣٩) ، ولم تكن الاتهامات الموجهة الى باتلر بالتقصير والانقياد للولايات المتحدة الأمريكية مقتصرة على العراق ، بل كذلك روسيا وفرنسا والصين وجهوا له نفس التهم ، ولإبعاد الشبهات وكم أفواه اللجان السابقة ، تمت الدعوة الى تشكيل لجنة جديدة لمواصلة عمليات التفتيش في العراق وفق برنامج عمل جديد وأهداف جديدة ، ولهذا فقد صدر قرار مجلس الامن رقم ١٢٨٤ في ١٧ كانون الاول / ديسمبر ١٩٩٩ الخاص بتشكيل لجنة جديدة عرفت باسم الانموفيك (unmovic) للرصد والتحقق والتفتيش، لكن العراق رفض ذلك القرار من حيث المبدأ بحجة انه سيعيد عمليات التفتيش في العراق الى نقطة الصفر ولا يعترف بما انجزه العراق في السابق (١٤٠) ، كما عارضته كل من فرنسا وروسيا وماليزيا والصين وليس العراق فقط ، وبخاصة أنه جاء بعد الضربة الأمريكية البريطانية على العراق في عام ١٩٩٨ الذي اعتبره القرار الاكثر خطورة بعد القرار ٦٨٦ لعام ١٩٩١ حيث تم سحب اللجنة الخاصة - اونسكوم - وانشاء لجنة جديدة تحت رئاسة السفير السويدي اكيوس اطلق عليها اسم لجنة الرصد والتحقيق والتفتيش بموجب ذلك القرار (١٤١)

وفي الواقع ان تشكيل لجنة الانموفيك (١٩٩٩ - ٢٠٠٧) لم يكن وليد تلك المرحلة بل جاء ضمن الاتفاق الذي وقعه العراق مع كوفي عنان في شباط / فبراير عام ١٩٩٨ نظرا الى الشكاوي المتواصلة من سلوك اليونسكوم وهي شكاوي نقرها حتى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وبخاصة اثاره الشكاوي في ما يتعلق بتفتيش القصور الرئاسية، فقد جاء في الاتفاق ان يتولى الامين العام للأمم المتحدة كوفي عنان تأليف مجموعة خاصة تقوم بالتفتيش بالتشاور مع رئيس الاونسكوم والمدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية ، تضم دبلوماسيين كبار يعينهم كوفي عنان وكذلك خبراء من اللجنة الخاصة والوكالة الدولية للطاقة الذرية ويرأسها مفوض يختاره كوفي عنان ، اما تقرير هذه المجموعة فيرفع عبر الامين العام للأمم المتحدة الى مجلس الامن (١٤٢) وهكذا شكلت الانموفيك لأتمام مهمة اليونسكوم السابقة في العراق (١٤٣)

و في التقرير المرحلي الذي قدمه ديفيد كي رئيس فريق مفتشي الاسلحة الامريكي عن ما اسفرت عنه جهود التفتيش، قال انهم لم يعثروا على اي مخزون من اسلحة الدمار الشامل، ولكن هناك عددا من المختبرات السرية التي تضم معدات يمكن استخدامها في صناعة اسلحة بيولوجية وكيمياوية مستقبلاً مع وجود معمل في احد السجون العراقية يمكن استخدامه في اختبار تأثير الاسلحة البيولوجية وسلالة أولية لعناصر سم البوتولنيوم الفتاك الممكن استخدامه في تصنيع اسلحة بيولوجية في ثلاجة منزل احد العلماء العراقيين منذ عام ١٩٩٣، مع وجود ابحاث جديدة عن امكانية استخدام عناصر بيولوجية كأسلحة لم يتم كشفها لمفتشي الامم المتحدة ووثائق ومعدات مخبئة في منازل العلماء يمكن استخدامها في استئناف تخصيب اليورانيوم ومحاولات سرية ما بين عامي ١٩٩٩ و ٢٠٠٢ للحصول على تكنولوجيا من كوريا الشمالية لتطوير صواريخ يصل مداها الى ١٣٠٠ كم وخطة لتصميم متقدم للعمل على تصنيع صاروخ بعيد المدى يصل الى ١٠٠٠ كم على الاقل ، وقدرات سرية على تصنيع وقود الدفع الصاروخي لإطلاق صواريخ سكود استمرت لآخر عام ٢٠٠١ وخطوط تصنيع صواريخ متوسطه المدى يصل مداها الى ٥٠٠ كيلومتر خلافاً للحدود القصوى التي وضعتها الامم المتحدة لمدى الصواريخ العراقية^(١٤٤)

وكشفت صحيفة ها ارتس الاسرائيلية في منتصف تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٠ ان اليهود البارزين في وزارة الدفاع الامريكية مثل ريتشارد بيرل وداغ فايت هم اللذين يرسمان صورة الشرق الاوسط الجديد ومخطط الحرب على العراق ، وان التهديدات التي اطلقها بوش في ٢٥ تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠١ عندما قال ان العراق ربما يكون هدفاً ثانياً بعد افغانستان اذا لم يسمح بعودة المفتشين الدوليين بعدما اغلقت بغداد الباب امام عودتهم عام ١٩٩٨ ، كانت دليلاً كبيراً على الاستعداد لشن الحرب على العراق^(١٤٥) ، وفي خطابه الذي القاه في حزيران / يونيو ٢٠٠٢ امام حشد من العسكريين الامريكيين في كلية ويست بوينت قال فيه ان من حق الولايات المتحدة ان تسدد ضرباتها الوقائية الى اي امة تعتقد انها تمثل خطراً عليها وأن امريكا تملك قوة عسكرية غير خاضعة لقانون المنافسة^(١٤٦) في حين اصدرت بريطانيا ملفاً قالت فيه ان العراق قادر على استخدام اسلحة دمار شامل في غضون خمسة واربعين دقيقة^(١٤٧)

بروز العراق ولجان التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل ١٩٩٧ - ٢٠٠٣ م
أ.م.و. عهدهو عباس أحمدر

وسعت امريكا مع الكثير من العناصر العراقية لاستمالتهم وخاصة مع الوفد الذي كان يقود المفاوضات مع الامم المتحدة وحاولوا التأثير على الكثير من عناصر الوفد وكان هذا هو السبب في طلب ناجي صبري نقل الجولة الثالثة من المفاوضات الى فينا والتي عقدت في تموز عام ٢٠٠٢ ، كما ذكرنا ناجي صبري بأنه كان هنالك تحرشات ومضايقات قام بها الموظفين الامريكيين بدءا من سفارة امريكا في عمان وحتى على متن الطائرة المغادرة لنيويورك التي حملت الوفد العراقي للتفاوض وفي فنادقها ، وهنالك حملة اخرى شنتها امريكا وبريطانيا على منتسبي البعثات الدبلوماسية العراقية في النصف الثاني من عام ٢٠٠٢ وتحديداً سفارتي العراق في القاهرة ورومانيا يطلبون تعاونهم، وعولجت هذه القضية من قبل العراق من خلال اصدار أوامر الخارجية العراقية لدبلوماسيها بأهانة من يتقدم لهم بمثل هذه الاوامر بأعلى اصواتهم وان يتصرفوا معهم بكل السبل التي تهينهم وتقضحهم امام الجميع^(١٤٨)

واستمر الضغط الامريكي على لجنة الانموفيك مثل ما كان الضغط على لجنة الاونسكوم السابقة ودخلت اللجنة مع النظام العراقي في ازمات كسابقتها، ولاستئناف عمليات التفتيش المتعثرة في العراق صدر القرار رقم ١٤٤١ في الثامن من تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٢ والذي طلب مجلس الامن فيه من العراق تقديم تقرير واضح عن برنامجه النووي والكيميائي والبيولوجي^(١٤٩)، بمعنى ان عبء اثبات امتلاك العراق للأسلحة يجب ان يقع على عاتق العراق ولم يكن لزاماً على المفتشين الدوليين اثبات ذلك^(١٥٠) ، ولم يتأخر العراق بالرد على مجلس الامن اذ قدم تقريره المطلوب خلال شهر من صدور القرار ١٤٤١ والمتكون من ١٢ الف ومئتين صفحة ،اضافة الى اقرص مدمجة فيها معلومات عن كل برامج التسليح منذ عام ١٩٩١ وحتى عام ٢٠٠٠^(١٥١) وهو اضمخ تقرير رسمي يقدم من دولة الى الامم المتحدة^(١٥٢) ، جند العراق مئات العلماء لكتابته ، وقام اللواء حسام امين بتسليمه لرئيس الانموفيك في فندق القناة في بغداد يوم السابع من كانون الاول / ديسمبر ٢٠٠٢ والذي وصل في اليوم التالي بطائرة خاصة الى نيويورك، لكن امريكا استولت عليه بحجة عدم وجود اجهزة تصوير كفاءة في الامم المتحدة ، فأخذ الى واشنطن ومنعوا هانز بليكس والبرادعي من الاطلاع عليه بعدما حذفوا منه الكثير، وبما ان احد متطلبات ذلك القرار كانت تسليم العراق قائمة بأسماء العلماء العراقيين فقد كان العراق مجبراً على تقديمها، الا انه طلب من لجنة الانموفيك

بروز العراق ولجان التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل ١٩٩٧ - ٢٠٠٣ م
أ.م.و. عهدهو عباس أحمدر

ان تتعهد في الاحتفاظ بها وعدم البوح باسمائها، واعتبر العراق ان القرار ١٤٤١ اسوأ قرار صدر بحقه لأنه مس السيادة الوطنية وأعطى حرية مطلقة للمفتشين بدخول اي قصر رئاسي أو بناية حكومية مهمة، كما اعطى الحق للمفتشين في الاطلاع على أي وثيقة وتصويرها وان ويقابلوا ويحققوا مع أي عالم عراقي^(١٥٣)

لكن الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا اصرتا على ان تقرير العراق بشأن اسلحته كان ناقصاً وغير مطابق للقرار، أما بليكس فقد وصفه بأنه غني بالمادة ولكنه فقير بالمعلومات وخال من أي أدلة جديدة ١٤٤١^(١٥٤)

ولقد كان من ضمن متطلبات القرار ١٤٤١ ذهاب لجنة الانموفيك الى العراق وملاحظة هل انه خلال الاربع سنوات التي مضت اعاد بناء اسلحة دمار شامل أم لا ، وعندما ذهبت اللجنة - بعد ان سمح العراق بعودة المفتشين دون أي شرط ليقطع الطريق على محاولات امريكا صوغ قرار جديد في مجلس الأمن يتعذر على العراق تلبية مطالبه - لم تلاحظ اللجنة سوى الدمار الكبير الذي اصاب جميع البنى التحتية في العراق^(١٥٥) ، ولم ينتهز صدام الفرصة للتراجع عن قراراته فقد فوت فهم الجدية التي تحدث بها بوش الابن في خطابه المهم امام الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٢ سبتمبر/ ايلول ٢٠٠٢^(١٥٦)

و باقرار اقرب المقربين لصدام حسين عندما قال (ان اهل العراق في العراق لا زالوا على نفس التفكير والمراهنة على القوة و فرض الامر الواقع عن طريق القوة العسكرية و امتلاك السلاح الممنوع دولياً ... وان اصرار قيادة العراق على امتلاك السلاح الاستراتيجي اصرار لا يوصف ولأكثر من سبب منها نفسي لان قياده وصلت الى خريف العمر ولا مجال امامها من الوقت لتعمير ما تخرّب وان مركز القرار منذ كان شابا لا يقبل ان يصل الى اهدافه بالتخطيط والاقتصاد ولا يقبل ان يجعل القوة العسكرية مساندة للتخطيط والاقتصاد)^(١٥٧)

وفي ٢٢ تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٢ بدأت في واشنطن جلسات الحوار الاستراتيجي بين اسرائيل وامريكا والذي هدف الى دراسة ابعاد ومخططات الحرب القادمة ضد العراق والتغيرات الاقليمية التي ستجري بعد الحرب^(١٥٨)

وفي لقاء لريتشارد باتلر مع احدى القنوات بتاريخ ٢١ / ١ / ٢٠٠٣ قال ان سبب تحرك امريكا الان ضد العراق هو بسبب احداث الحادي عشر من سبتمبر والمصالح الامريكية في اسواق النفط العالمية المتغيرة و تداعيات ما يجري على الساحة السياسية في المملكة العربية السعودية على المصالح الامريكية ، وان العراق يمتلك فعلا أسلحة دمار شامل وانه يخالف القانون الدولي بشكل فاضح ويجب القبض على صدام حسين وإحالاته للقضاء لمحاسبته عما ارتكبه ويرتكبه من جرائم بحق الانسانية^(١٥٩)

ولتقادي توجيه ضربة عسكرية اخرى على العراق دون مبررات وأدلة ثابتة ، ذكر البرادعي في تقريره الذي قدمه في ٧ اذار / مارس عام ٢٠٠٣ (انه لا يوجد دليل على ان العراق اعاد بناء برنامج الاسلحة النووية ولم يوجد اي خطر لا حال ولا غير حال)، واما هانز بليكس فقد ذكر في تقريره الذي قدمه لمجلس الامن بنفس التاريخ ان الاسلحة الكيماوية والبيولوجية تم تدميرها ولم يعد العراق يحتفظ بأي وثائق لبرامجه الكيماوية والبيولوجية^(١٦٠)

كما قدمت كل من بريطانيا وهولندا مشروعاً لعله لحل الأزمة بين العراق ولجنة الأنموفيك ، وكان المشروع البريطاني الهولندي قد تضمن تشكيل لجنة جديدة للرقابة والتفتيش والتحقق تعود للعراق وتعمل، وان تعلق العقوبات المفروضة على العراق لمدة ١٢٠ يوماً ثم تقدم اللجنة تقريرها الى مجلس الامن تشير فيه الى تعاون العراق أو عدمه وذلك حسبما ترتأيه في كتابة تقريرها اي يعاد تقييم التزام بغداد بمطالب النزع الكامل للأسلحة ، وكان المشروع قد حصل عليه جدلاً كبيراً ، وحتى التعديلات التي اجريت عليه لم تغير من جوهره ونتائجه، وهو ما دعا الصين وفرنسا وروسيا الى عدم التصويت عليه ، وقد فهم العراق ان القصد من ذلك المشروع هو ان يقال بأنهم قدموا مشروعاً لتعليق الحصار عن العراق ، وهكذا رفضه النظام العراقي السابق مبررا انه يحتوي على عناصر خطيرة جدا لأن القصد منه هو اعادة صياغة قرارات مجلس الامن بشكل اسوأ مما كانت عليه القرارات السابقة وتكبييل العراق بالتزامات و قيود وشروط تمتد لفترة طويلة اخرى من الزمن والهدف الأساسي منه هو التمويه ، وقال طارق عزيز ان القراءة المهنية القانونية لهذا المشروع يعني انه مشروع سيء ودوافعه ليست انسانية والقصد منه هو الزام العراق حكومة وشعبا بقيود اضافية لم تكن في القرار ٦٨٧ ، ومثال على ذلك هو ربط الاستثمارات النفطية في العراق بإشراف الامم

بروز العراق ولجان التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل ١٩٩٧ - ٢٠٠٣ م
أ.م.و. عهدهو عباس أحمدر

المتحدة وهذا لم يكن موجودا في القرار ٦٨٧ حتى لا يتصرف العراق بأمواله بحرية ، كما ان القصد منه هو استصدار موقف شرعي من مجلس الامن الدولي يبرر عدوان قادم على العراق، وهو مشروع مغرض وبخاصة ان الفقرة ١٤ من القرار ٦٨٧ تؤكد على ان ما يتم تنفيذه بالعراق هو خطوة باتجاه اقامة منطقة في الشرق الاوسط خالية من اسلحة الدمار الشامل^(١٦١)

وفي لقاء صحفي لصدام حسين مع احد القنوات العربية في الساعات التي سبقت الغزو الامريكي للعراق قال ان العراق وشعبه يحتاج الى السلام الذي بدونه لا يتمكنون من القيام بدورهم التاريخي والحضاري والإنساني او التمسك بحقوقهم وفق ما يؤمنون به ، وأكد ان قيادة العراق التي تحكمه منذ ما يقرب من الثلاثة وأربعين عاماً عندما يقولون شيء فهم صادقون ، اذ لا يوجد في العراق أسلحة دمار شامل ابداً وان قرارات لجان التفتيش من حيث صلتها او عدم صلتها بالقانون الدولي هي بالمحصلة صدرت من مجلس الامن الدولي والقرارات في ما يتعلق بتطبيقها او بالنوايا التي تقف خلفها ممكن ان تجعل الاوضاع في العراق والعالم اما ان تذهب الى السلام او الى الحرب^(١٦٢)

كما اكد ان العراق تعامل مع القرار ١٤٤١ بدقة ونفذ ما عليه بدقة ايضا ، وان اعتراض العراق على تصرفات الجهة المكلفة بتطبيق قرارات مجلس الامن الدولي والمقصود بها لجان التفتيش ليس القصد منها هو دفع الامور الى الحرب لأنها ليست من مصلحة العراق ، وبإمكان لجان التفتيش التأكد من وجود أسلحة الدمار الشامل في العراق ام لا ، لأنها ليست "حباية اسبرين" ، وليس من مصلحة العراق افشال عمل اللجان ولكن الدول العظمى خلقت اعداءاً كثيرة لكي تقول ان العراق عاجز عن تطبيق القرار ١٤٤١ مثل ما قالوا ان العراق لم يطبق القرارات السابقة لكنه في الواقع طبق كل القرارات التي صدرت منذ عام ١٩٩٠ بدليل انهم ركزوا في الوقت الحالي على القرار ١٤٤١ وليس القرارات السابقة لتمهيد الامور الى قيام حرب على العراق، وهو ما اكده جيمس بيكر في لقائه عام ١٩٩١ بطارق عزيز في سويسرا عندما قال للأخير سنعيد العراق الى ما قبل عصر الصناعة وابلغ قيادة العراق بذلك^(١٦٣) ، وهذا ما اكده كذلك طارق عزيز عندما ذكر بان بيكر حمله رسالة من الرئيس الامريكي الى صدام حسين كانت عبارة عن تهديد بشأن الحرب على العراق وضرره وتدميره، وعندما قرأها طارق عزيز اسرع بإرجاعها الى جيمس بيكر قائلاً له انها "تهديد من رئيس دولة الى رئيس دولة"^(١٦٤)

كما ذكر صدام حسين في ذلك اللقاء ان العراق لا يساوم على كرامته واستقلاله ولكنه بنفس الوقت يلتزم بما يصدر عن مجلس الامن ولكن اذا صدرت قرارات جديدة تمس كرامته وحرية واستقلاله فموقف العراق سيكون على قياس المواقف السابقة، وعلى الامم المتحدة ألا تتصل عن قراراتها التي أكدت فيها استمرار العراق انتاج الصواريخ على ان لا يتجاوز مداها عن ١٥٠ كيلو متر^(١٦٥) كما ان هانز بليكس اخر رئيس للجنة الانموفيك التي شكلت بموجب القرار ١٤٤١ بالرغم من انه كان مكبلاً بتعليمات الدول الكبرى الا انه كان اقل ظلماً ممن سبقه، وكان يمتلك نوايا مهنية كبيرة أراد بها انهاء عمليات التفتيش في العراق ، وقد حاول ان يبعث برسائل للإدارة الامريكية يوضح بها احتياجه لبضعة اشهر لإنهاء اعمال التفتيش في العراق بغرض دفع احتمال قيام الحرب عليه ، الا انه لم يستمع اليه احد^(١٦٦)

وبما ان العراق كان في موقف حرج جداً وان عمل المخابرات ٩٠% منه يكون خارج اطار القانون لأنه لو طبق القانون بصورته المطلوبة لا تستطيع المخابرات عمل اي شيء، وان العراق اراد الضغط على البرادعي لقول الحقيقة في الاجتماع المقرر له في يوم ١٩ / ١ / ٢٠٠٣ في مجلس الامن الدولي ، وهو الاجتماع الذي وصف بالحاسم ، رغب العراق في اقبال رسالة الى البرادعي مفادها ان يقول الحقيقة في ما يخص اسلحة الدمار الشامل حتى لو كلفه ذلك طرده من منصبه لان العراق سيعوضه عن كل ما سيخسره في ما اذا خسر منصبه، ولهذا كان بين العراق والبرادعي وسطاء اثنين مصريي الجنسية يقومون بدور الوسيط بين الطرفين ، وعرض العراق مبلغ مقداره مليونين دولار وهو ما يعادل مليون وتسعمائة وخمسة وتسعين ألف يورو في حينها ، على ان تدفع للبرادعي من خلال السفارة المصرية في جنيف او فينا ولكن بسبب الاختلاف في طريقة ارسال المبلغ المذكور، أدى ذلك الى الغاء الصفقة بين الجانبين حيث اشترط الوسيط ان تترك شحنة المبلغ في حديقة احد السفارتين المصريتين دون اي وصل استلام بالمبلغ وهو ما دعا الجانب العراقي الى رفض ذلك المقترح ولهذا الغيت الصفقة^(١٦٧) ، ومع ذلك ذكر البرادعي في خطابه الذي القاه يوم ٢٧/٣/٢٠٠٣ ان العراق لا يوجد عليه أي دليل بإحياء برنامج الاسلحة النووية^(١٦٨)

وقد نبه ناجي صبري مجلس الامن من خطاب كولن باول الذي سيلقيه في مجلس الامن في اليوم الاخير من شهر كانون الثاني/يناير ٢٠٠٣ لاحتوائه على اكاذيب تشبه المسرحية ، اما جو بايدن

عضو مجلس الشيوخ الأمريكي عن ولاية ديلاوير فقد اخبر ناجي صبري اما استسلام صدام او غزو العراق^(١٦٩)

اما بخصوص خطاب كولن باول وزير خارجية امريكا في مجلس الأمن الدولي قبيل الحرب على العراق كانت المخابرات الامريكية قد أدخلته دورة في واشنطن ليعرف كيف يتكلم عن الانبوبة التي قال عنها انها تحتوي على مادة الانثراك ، والتي اذا ما أنتشرت في نيويورك ستقتل نصف سكانها، كما قال ان لدى العراق انابيب المنيوم تستخدم في صناعة البرنامج النووي العراقي وان مواصفاتها اعلى من مواصفات الالمنيوم الذي يستخدمه الجيش الامريكي في صناعة الصواريخ، وهذه الأدلة التي قدمها باول كانت تستند الى ورقة بحثية كتبها طالب دراسات عليا قبل ذلك بعشر سنوات ، كما قام باول بعرض فيلما عن اسلحة الدمار الشامل العراقية ، وعرض صوراً للأقمار الصناعية وأشار الى ان هذه السجلات تدل على انماط غريبة من السلوك العراقي^(١٧٠) ، وبأن العراق لديه معامل متحركة للأسلحة البيولوجية وأنهم استوردوا اليورانيوم من النيجر مثلما ذكر بوش في خطابه السنوي عن حالة الاتحاد ، وبعد سنوات اعترف باول بأن ما قاله في حينها كان وصمة عار في تاريخه المهني باعتباره عسكريا^(١٧١) ، وما يدعم ما قام به كولن باول في الامم المتحدة هو ما ذكره جورج بوش في مذكراته من (ان كولن باول قضى اربعة ايام بليليتها في وكالة المخابرات المركزية يستعرض المعلومات والتأكد من كل كلمة في خطابه الذي سيلقيه في الامم المتحدة)^(١٧٢) ،

ولم تكن تلك المحاولة الاولى والأخيرة من جانب العراق لإيجاد طرق ووسائل اخرى توصله بالإدارة الأمريكية للتوصل الى حل مقنع ودفع احتمال الحرب على العراق بكل السبل، لهذا اجري جهاز المخابرات العراقي السابق برئاسة طاهر جليل الحبوش ومعاونه حسين صابر مسح شامل لعلاقات الادارة الأمريكية في الخارج لمعرفة النقاط التي من خلالها يستطيعون الوصول الى مصدر القرار الامريكي ، وقد تمكن الجهاز في ما بعد الحصول على مجموعة من الوسطاء بين الجانب الامريكي والعراقي لفتح قنوات تفاهم وتفاوض من خلال عدة شخصيات تربطها علاقات مع شخصيات امريكية مهمة وصاحبة قرار، منها فالح الجبوري العراقي الاصل والامريكي الجنسية الذي ربطته علاقات جيدة مع ناجي صبري الحديثي اخر وزير خارجية للعراق في النظام السابق، وشخص اخر اسمه سمير فينسننت أمريكي الجنسية من أصل عراقي يعمل عضو في مجموعة الضغط بين العراق

بروز العراق ولجان التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل ١٩٩٧ - ٢٠٠٣ م أ.م.و. عهده عباس أحمد

والولايات المتحدة الأمريكية والذي ربطته علاقات مع بعض اعضاء الكونغرس الامريكي ومع وزير الدفاع الامريكي وبعض الشخصيات في الـ CIA والذي زار العراق اربعة مرات على الأقل، وكذلك شخصية اخرى اسمها سوزان لندا كان عمها كبير موظفي البيت الابيض وتعمل كمستشارة في الكونغرس الامريكي ، وهكذا استمرت الحوارات السرية بين العراق وامريكا لغرض حل جميع المشاكل بين الطرفين^(١٧٣) ، ومن خلال الحوارات السرية بين العراق والولايات المتحدة الأمريكية تبين أن أهم النقاط التي حرصت الولايات المتحدة الأمريكية على اثارها امام الجانب العراقي هو معرفه موقف العراق من قضية الارهاب وبخاصة بعد احداث الحادي عشر من سبتمبر ١٩٩٩ ، وموضوع اسلحة الدمار الشامل ومصالحها في منطقة الخليج العربي وموقف العراق من القضية الفلسطينية اضافة الى موقف العراق من الاصلاحات الديمقراطية فيه ، علما انهم لم يذكروا موضوع النفط كمسألة مهمة لهم من ضمن النقاط المطروحة للتفاوض، وكان جواب العراق حول تلك الطروحات الأمريكية هو ليس لديه مانع من التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية في ما يخص موضوع الارهاب وأما موضوع اسلحة الدمار الشامل فهو موضوع سيحل من قبل لجان التفتيش التي سيتعاون العراق معها ويقدم لها كل التسهيلات أما القضية الفلسطينية فالعراق مع الحل العربي وسوف لا يخرج عن اطاره ،ولكن العراق عاد واستثنى موافقته واستجابته على تلك النقاط بعدما اعتبر صدام حسين ان العراق تعرض هو كذلك للإرهاب وليس الولايات المتحدة الأمريكية فقط ، وأنه شخصياً مع عدد اخر من المسؤولين العراقيين وبضمنهم طارق عزيز تعرضوا لعمليات اغتيال كثيرة وتعرض العراق للحصار لسنوات طويلة ادت الى قتل آلاف المواطنين وهو شكل اخر من اشكال الارهاب^(١٧٤) بينما اعتبرت الولايات المتحدة الامريكية ان صدام تعاطف مع الارهابيين وأكثر من ذلك عندما قام بدفع مبالغ لعائلات الانتحاريين الفلسطينيين وأوى الارهابيين مثل ابو نضال وابو عباس^(١٧٥)

و بوصول رد العراق هذا الى الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق جهاز المخابرات العراقي السابق فسرت الولايات المتحدة الأمريكية ان العراق يريد ان يستغل الظروف التي تمر بها الولايات المتحدة الأمريكية في تلك الاونة ، وانه يريد ان ينفذ صفقة وهي رفع الحصار عنه مقابل التعاون في مجال الارهاب، وهو ما جعل احد المسؤولين الامريكيين يخبر سمير فينسننت بأن يبلغ العراق (ان

الولايات المتحدة الأمريكية من الدول العظمى والتي لها القدره على قلي الدول مثل ما يقلى السمك بالطاوة وان العراق كلما تم قليه وإخراجه من الطاوة ونقول استوى يرجع يقفز الى الطاوة مره اخرى ويقول اعيدوا القلي (١٧٦)

ولهذا ظل العراق يبحث عن قنوات اخرى بعد اغلاق جميع القنوات السابقة مع الولايات المتحدة الأمريكية، وفي هذه المرة ارسل رسالة شفوية الى الرئيس الامريكى جورج بوش حملها ضابط عراقي الى محمد نديمي وهو احد اصدقاء الرئيس الامريكى جورج بوش الابن ليوصلها للأخير، حيث تم اللقاء به في نيجيريا وقد اكد العراق في رسالته وللمرة الثانية بأن ليس لديه شيء يهدد المصالح الأمريكية في المنطقة ، وأما بخصوص موضوع الارهاب فالنظام في العراق علماني كما هو معروف وأنه يقف بوجه التطرف بقوة كما ان موقفه من القضية الفلسطينية واضح كذلك، وما يخص اسلحة الدمار الشامل فان لجان التفتيش هي التي ستحل الأمور العالقة والوضع لا يحتاج الى العناد ولكن بالتفاوض والتفاهم بدون املاء شروط مسبقة من الممكن حل الأزمة ، لكن بوش الابن لم يستجب لتلك الرسالة(١٧٧)

وهناك قناة أخرى مهمة جدا في رأي المخابرات العراقية السابقة من حيث انها وصلت الى مستوى متقدم في الاتصال بالجانب الامريكى تمثلت بشخصيتين لبنانيتين وهما عصام درويش وعماد الحاج اللذان تربطهما علاقات جيدة مع الهيئة السياسية لوزارة الدفاع الأمريكية وبخاصة وولفيتز وريتشارد بيرد الذي كان يقرع طبول الحرب وهما من الصقور ومن اصل يهودي ، وبعد وصول عماد الحاج الى بغداد وسكنه في فندق الرشيد ، ولأهمية اللقاء التقى به مدير الخدمة السرية لجهاز المخابرات ومن ثم مدير جهاز المخابرات العراقي السابق ومعاونه اللواء حسيب صابر ومدير مكتبه الخاص خضير المشهداني ورئيس شعبة امريكا في الجهاز سالم الجميلي ، وكان اللقاء في مقر الجهاز المذكور في منتصف شهر كانون الثاني / يناير ٢٠٠٣ وطلب العراق منه ان يبلغ الولايات المتحدة الأمريكية بأنه لا تربطه اي علاقة مع القاعدة وان تعطي امريكا فرصة للعراق مدة اربعة أشهر لحل المشاكل العالقة، وأما ما يخص الديمقراطية في العراق وبما انه في حصار في الوقت الحاضر لذا فإنه غير مهياً للإصلاحات الديمقراطية(١٧٨) ، وكان شرط الوسيطين اذا تمكنا من ايقاف الحرب على العراق هو ان يدفع العراق مبلغ ٦٠ مليون دولار للمسؤولين في وزارة الدفاع الأمريكية ثم تنازلا

الى مبلغ ٣٠ مليون دولار ، بعدها طلبا دفع خمسة ملايين دولار فقط كمقدم للوساطة وإذا أوقفت الحرب يتم دفع الباقي من المبلغ، وعندما عرض الامر على صدام رفض فكرة دفع اي مبلغ مقدماً مشترطاً إيقاف الحرب فعلاً وحينها سيقدّم العراق المبلغ الذي يُطلب منه دون تحديد^(١٧٩) كما طرح في اللقاء موضوع مفجر مركز التجارة العالمي في الولايات المتحدة الأمريكية عبد الرحمن ياسين المحتجز لدى العراق والمتهم بتفجير مركز التجارة العالمي بنيويورك عام ١٩٩٣، وهو شخص امريكي من اصل عراقي من اهالي سامراء قام بمشاركة اخيه و مجموعة اشخاص آخرين بإعداد القنابل لأنه ذو اختصاص كيميائي ، وعند القبض عليه وإجراء التحقيقات الاولية معه لم تثبت التهمة عليه لأنه انسحب من العملية قبل التنفيذ بعد ان انسكبت مادة كيميائية على جسده ، وهو ما دعا الى اخلاء سبيله تطبيقاً لقانون امريكي في حينها يمنع احتجاز الاشخاص لفترة طويلة ، وعلى اثرها غادر الولايات المتحدة الأمريكية الى العراق ، ولكن فيما بعد اتضح للتحقيقات الفيدرالية الأمريكية بان له دور سلبي كبير في عملية التفجير ومن هنا بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تضغط على العراق لتسليمه بعد ان قدمت معلومات كثيرة عنه للعراق ساعدت تلك المعلومات العراق بالبحث عنه والقبض عليه بتاريخ ٣ نيسان / ابريل ١٩٩٣ في منطقة البياع وهو يعمل في احد ورش تصليح السيارات وادعته سجنًا خاصاً في منزل في منطقة الكاظمية ببغداد، وحاول العراق اجراء مفاوضات مباشرة مع الولايات المتحدة الأمريكية بعد اعلامها القبض عليه لكنها رفضت واشترطت حضور طائرة امريكية الى بغداد لأستلامه، لكن صدام حسين رفض هبوط طائرة امريكية على ارض العراق، ولهذا حاول العراق تسليمه الى الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق فرنسا أو بريطانيا ، لكنه استقر الرأي بالأخير على تسليمه عن طريق دولة محايدة فوقع الأختيار على مصر، ولكن الولايات المتحدة الأمريكية رفضت استلامه وفق محضر استلام وتسليم بينها وبين العراق وآثرت تركه بالعراق وبقي الحال على ما هو عليه ، وعند قيام الحرب تم نقله الى سجن بالفلوجة ثم تم فتح السجن وهروبه اثر الاحداث التي وقعت عام ٢٠٠٣ حيث لم يعرف مصيره بعد ذلك^(١٨٠)

وبعد مضي عدة ايام على ذلك الاجتماع وبتداول الامر من قبل وسيطين مع الجهات المسؤولة في الولايات المتحدة الأمريكية لحل ازمة العراق ، نقل العراق رسالة الى الرئيس الامريكي طلب فيها

موافقته على لقاء وفد عراقي والتباحث معه ، وبعد فترة وجيزة حصل العراق على موافقة الرئيس الأمريكي على ان يكون اللقاء والاجتماع قبل يوم ١٧ / ٣ / ٢٠٠٣ ، وأكدت الادارة الأمريكية على النقاط السابقة اضافة الى طلب الولايات المتحدة الأمريكية انشاء قاعدة عسكرية في العراق عوضاً عن قاعدة الظهران في المملكة العربية السعودية وقاعدة انجريك في تركيا وان يوقف العراق كل قنواته السابقة ، كما أشرتت عدم علم بريطانيا او فرنسا بالاتصالات السرية بينها وبين العراق - علماً ان الحشود الدولية العسكرية كانت مستمرة - وان يكون مكان اللقاء في بيروت ، لكنه تغير في ما بعد الى المملكة المغربية ، وعندما رفع جهاز المخابرات العراقي السابق شروط الولايات المتحدة الأمريكية الى رئاسة الجمهورية السابقة تأخرت سكرتارية الرئاسة في عرضه على صدام حسين مما اضطر مدير امن جهاز المخابرات خالد النجم الاتصال بصدام مباشرة لإعلامه بالرد الامريكي والذي ما لبث ان وافق على تلك المقترحات بعد ان رفع جهاز المخابرات امر انشاء قاعدة عسكرية امريكية في العراق من التقرير المقدم له فجاءت موافقته على الموضوع بتاريخ ١٥ / ٣ / ٢٠٠٣ ، ولكن بما ان الولايات المتحدة الأمريكية اشتترت حضور اما مدير جهاز المخابرات او مدير الخدمة السرية في الوفد العراقي ، رفض صدام ذلك المقترح وطلب ذهاب حسيب صابر معاون مدير المخابرات ومعه احد الفنيين أو ان يذهب مدير الشعبة الدولية الرابعة في جهاز المخابرات غالب الدوري يرافقه خالد النجم مدير امن الدائرة، الا أنه بالنهاية لم يذهب الوفد وكل ما نتج عن جهود الوسيطيين اللبنانيين هو ان وولفيتز اخبر العراق بأنه لا يستطيع ايقاف الحرب ولكنه يستطيع دفعها الى شهرين فقط ، وبما أنه لم يتم اللقاء بين الوفدين العراقي والامريكي فقد انتهى دور الوسيطيين دون التوصل الى أية نتيجة تذكر (١٨١)

وكان للعراق ثلاثة اشكال من المصادر للحصول على المعلومات بخصوص مخطط الولايات المتحدة الأمريكية ضده وهي مصادر عسكرية في وزارة الدفاع الأمريكية ومصادر امريكية في قاعدة انجريك ومصادر قريبة من بعض المستشارين في الكونغرس الامريكي ، اما مصادر مراقبة النشاط المعادي للعراق تمثلت بما يعرف " m40 " ، وهؤلاء كانوا يراقبون العراقيين الذين يعملون في خارج العراق بالتعاون مع البيت الابيض والأمم المتحدة والذين كان هدفهم اسقاط النظام (١٨٢)

وفي احد البارات القريبة من وزارة الدفاع الأمريكية في ولاية فرجينيا تمكن احد العناصر العراقية المتعاونة مع العراق من تكوين علاقة مع احد الضباط الامريكيين مستغلاً الوضع الاقتصادي في الولايات المتحدة الأمريكية الذي كان حينها في بداية تدهوره مع انكسار البورصة فيها، وقد تعرف ذلك العنصر على ضابط برتبة رائد يعمل في استخبارات وزارة الدفاع الأمريكية واللجنة المشتركة يدعى تون بايك ، التقى بعدها به مدير محطة الاستخبارات العراقية هناك وسأله اذا كان باستطاعته مغادرة امريكا للقاء به في اليونان، وقد أستجاب الضابط الأمريكي للطلب العراقي وسافر الى اليونان حيث التقى به هناك مدير محطة المخابرات العراقية بواشنطن مع رئيس قسم امريكا في جهاز المخابرات العراقي السابق يوم ٢/١/٢٠٠٢ ، وقدم الضابط الامريكي في اللقاء معلومات قيمة للعراق، منها مقدار التواجد الامريكي في منطقة الخليج و خطة الهجوم الامريكي وتوقيته ومحاور الهجوم ومناطق الانزال ودور الفرقة ٨٢ والفرقة ١٠١ ومهامها مؤكداً على ان محور الهجوم الرئيس سيكون من البصرة ، كما اخبر العراق ان امريكا لن تشن هجومها عليه من جهة تركيا بسبب رفض الاخيرة لهذا الامر، وأدلى بمعلومات مهمة عن الأهداف التي تبحث عنها امريكا داخل العراق من خلال عناصر الـ CIA والتي معظمها كان متواجداً في شمال العراق، وكانت معلوماته التي قدمها للجانب العراقي مدعومة بوثائق ومتابعة من قبل قصي صدام حسين الذي كان يطلع عليها شخصياً ، وبناء على تلك المعلومات حرك العراق فرقة عدنان من الموصل باتجاه بغداد ، وفي المقابل قدم العراق للضابط الامريكي مبلغ مقداره خمسة وثلاثين الف دولار امريكي، كما ان هناك بعض العناصر الاستخباراتية العراقية نفذت عدة هجمات ضد المصالح الأمريكية في جنوب شرق اسيا والهند بعضها تم القبض عليه والبعض الاخر لم يتم القبض عليه^(١٨٣)

كما حصل العراق على معلومات تفيد بان الهجوم عليه سيبدأ عليه عندما يصل حجم القوات الأمريكية في الخليج الى ٧٥ الف جندي، ونتيجة لمتابعة الموقف بدقة كتبت المخابرات العراقية للرئاسة العراقية السابقة في يوم ٢٤/٢/٢٠٠٣ ان العدد قد وصل الى ٧٣ الف جندي وهو ما يعني اقتراب موعد الضربة ضد العراق ، وهكذا قادت الهيئة السياسية في وزارة الدفاع الأمريكية الحرب ضد العراق بعد ما أخذت دور المخابرات والخارجية الأمريكية^(١٨٤)

وفي المقابل كان للأمريكيين مصدرين في جهاز الامن الخاص و مصدر اخر وهو سائق قريب من عائلة صدام حسين مجندين عن طريق المنطقة الشمالية في العراق لأنها كانت مفتوحة ، و في الجهاز الخاص المجندين الاثنين كانوا يعرفون عقد الاتصال والمواقع البديلة لصدام وعائلته لأنهما كانا يشتغلان باتصالات جهاز الامن الخاص ، وكما هو معروف ان الامريكيين يعتمدون بشكل كبير على الاتصالات لتحديد المواقع ولهذا تم توجيه ضربة الى البيت الذي القى منه صدام حسين خطابه الاخير خلف مطعم الساعة في بغداد ، اما السائق المقرب من عائلة صدام حسين فقد كشف امره وتم اعدامه في الضربة التي حدثت قبيل الحرب في منطقة الدورة^(١٨٥) ، وهذا ما اكده رامسفيلد في مذكراته بأنه كان لأمریکا جواسيس في العراق على صدام وهو سبب تقديم موعد الضربة وهو سبب ضربة امريكا لمزرعة الدورة ابان الحرب ظنا منها بوجود صدام حسين هناك ، وبعد ان جاءت معلومات بأن صدام حسين وأحفاده هناك ، وكان مصدر المعلومات هو شبكة كردستان المعروفة في أمريكا بأسم (أولاد الكثرزاني)^(١٨٦)

وما يؤكد هذه المعلومات مصدر اخر ذكر ان قوة يطلق عليها ديلتا فورس وهي قوات خاصة في غاية السرية تتكون من مجموعة صغيرة مؤلفة من عناصر CIA داخل اوجول بغداد تباشر عملها في البحث عن طرق لاختراق الحلقة الأمنية الداخلية لصدام ، وعشية الحرب اتصل مسؤول رسمي عراقي رفيع في الـ CIA ووضح ان موقعه يؤهله معرفة مواعيد وأماكن وجود مخابئ صدام التي يستخدمها في كل ليلة، وبالفعل تسلم الامريكان الكثير من المعلومات عن اعمال الحلقة المقربة لصدام بعد أن اخبرهم ذلك المصدر عن خط صدام وولديه ليلة ٢٠/١٩ آذار - مارس ومكنت معلوماته قوة ديلتا من ان تتجح في اختراق مركز شبكة fiber-optic كيبيل للاتصالات في بغداد ، وبمراقبة هذه الشبكة تمكنت امريكا من التقاط العديد من المكالمات التي اكدت صحة معلومات المصدر العراقي ، وقد القي القبض فوراً على ثلاثة عملاء عراقيين ساعدوا الـ CIA في العملية ولكنهم اعدموا بعد ان اطلقت عناصر من المخابرات العراقية الرصاص على اثنين منهم وقطعت لسان الثالث وتركته حتى الموت^(١٨٧)

كما اعترف باتلر فيما بعد ان وكالات استخبارات اجنبية كانت تستخدم لتحديد مواقع اسلحة الدمار الشامل في العراق ، وانهم كانوا يستخدمون عملية التنصت الالكتروني الامريكية لمراقبة الاتصالات

العسكرية في العراق وقد استخدمت هذه المعلومات الاستخباراتية في الهجمات الجوية الامريكية على العراق في ما بعد (١٨٨)

ومن القضايا التي اتهمت امريكا بها العراق هي ان محمد عطا قائد الطائرة التي فجرت البرج الامريكي الثاني في احداث ١١ ايلول/ سبتمبر ١٩٩٩ بأنه كان له علاقة بأحد رجال المخابرات العراقية وتحديدًا ابراهيم العاني مدير المحطة المخابراتية العراقية في براغ وكان هذا الادعاء غير صحيح حيث تبين فيما بعد ان ابراهيم العاني كان له موعداً مع مصدر مخابراتي في نفس الفندق وبنفس اليوم الذي تواجد به محمد عطاء ولهذا اعتقدت امريكا ان العاني متواجد هناك للقاء محمد عطا (١٨٩) ، بينما ذكر مصدر اخر ان محمد عطا لم يكن ابدا في ذلك اليوم في براغ بل كان في فلوريدا في الفترة التي قال عنه ديك تشيني وزير الدفاع الأمريكي الأسبق انه كان في براغ مستندا الى تقارير خاطئة تداولتها المخابرات التشيكية (١٩٠)

كما فتحت مواضيع قديمة مضى عليها سنوات، فعلى سبيل المثال طلبت الولايات المتحدة الأمريكية من العراق البحث عن طيار الطائرة f١٦ مايكل سبايكر وهو تابعاً للبحرية الأمريكية التي وقعت في صحراء الانبار عام ١٩٩١ وبضغط امريكي شكل العراق لجنة للبحث عنه وتم بالفعل العثور على بقايا اجزاء من ملابسه وبعض بقع الدم التي اثبت الفحص بالحمض النووي انه هو بالفعل ، وبعد اغلاق الملف عادت الولايات المتحدة الأمريكية وطالبت العراق به وأدعت بأنه محتجز بالعراق بناء على معلومات وصلت لها من بعض المعارضين العراقيين ، ويشير مصدر ثان ان مصيره لم يعرف الى غاية عام ٢٠٠٩ عندما قاد احد المدنيين العراقيين بعض الامريكيين الى موقع تحطم طائرته بعد ما أوكل الى مجموعة مسح العراق ان تعين مصيره وتسترد رفاتة ان امكن ذلك (١٩١)

ولم يتم تفعيل الفقرة ١٤ من القرار الدولي رقم ٦٨٧ والفقرة ٢٢ التي اكدت على رفع الحصار وأنهاء العقوبات عن العراق في حال اثبات انه خالي من اسلحة الدمار الشامل بشهادة تقدمها اللجنة الخاصة (لجنة الجواسيس) ، لأن هذه اللجنة كان هدفها ابقاء الحصار على العراق وخلق الذرائع واستمرار التجسس عليه ، في حين ان متطلبات القرار ٦٨٧ أنجزت منذ عدة سنوات مضت (١٩٢) ، وقد علق سكوت ريتير على تعليق ذلك البند قائلاً (لقد انتهك بند قرار مجلس الامن الضابط لنظام العقوبات وقوض اطار وجود اونسكوم في حد ذاته) (١٩٣)

وان تقرير المفتشين في نهاية المطاف أكد على خلو العراق من أسلحة الدمار الشامل لكن الولايات المتحدة الأمريكية رفضت الأستماع للتقرير ، وتحجبت بأن العراق يصنع اسلحة الدمار الشامل في مركبات متحركة^(١٩٤) ، بينما كانت تلك المركبات ما هي الا مختبرات لفحص الأغذية بالمواقع الرئاسية كما أدعى العراق^(١٩٥)

ولكن مع كل ذلك حاول مفتشوا الأسلحة الدوليون التوسل للرئيس جورج بوش لأمهالهم بضعة اسابيع في عملهم لكنه لم يستجب لهم^(١٩٦) ، وعندما أرادت الولايات المتحدة الأمريكية من مجلس الأمن إصدار قرار يخولها القيام بالحرب ، رفض المجلس ، ولهذا رجعت الى القرار ١٤٤١ الذي تضمن فقرة تؤكد على اتخاذ الأجراء المناسب ان لم ينهي العراق اسلحة الدمار الشامل ، وبما أن عبارة الأجراء المناسب غير مفسرة بصورة واضحة لهذا اتخذت العدوان ذريعة لأحتلال العراق^(١٩٧) كما ذكر باتلر ان في القرار ١٤٤١ نص يخول استخدام القوة ضد العراق في حالة خرقة للقرار المذكور^(١٩٨)

وأشار البرادعي الى أنه في وقت مبكر من صباح يوم ٢٠٠٣/٣/١٧ تلقى مكاملة من بعثة الولايات المتحدة الأمريكية في فينا تشير عليه بإخراج المفتشين من بغداد لأن الغزو على وشك أن يبدأ^(١٩٩) وهو اليوم نفسه الذي القى بوش فيه خطابه المتلفز الذي منح خلاله صدام وولديه مهلة ثمانية واربعين ساعة لترك العراق دون اية حماية او حصانة وبرفضهم سيشعل نيران حرباً دموية ، وكرر عرضه للقوات المسلحة العراقية والمؤسسات الامنية طالباً منهم عدم ابداء أي مقاومة مع ضرورة تعاونهم مع القوات الامريكية والبريطانية لأجل مصلحة ومستقبل العراق ، نظير توفير ما ستحتاجه من ادوية ومواد تموينية ، وعدم الدفاع عن نظام ميت (متهاو) لا يستحق التضحية ، لكن صدام رفض انذار بوش ولم يترك خياراً سوى الحرب^(٢٠٠)

أو ربما كان بوش معتمداً على ما عرف بـ (combat multiplier) وتعني القتال المتعدد او المضاعف وهي خطة لأخذ العراق بأقل ما يمكن من القطعات بما سيضع كبار ضباط الجيش العراقي بعيداً عن الحرب، وهذه الوحدة اسستها الاستخبارات الامريكية برئاسة رامسفيلد عام 2002 لان قناعتها ان هناك معارضة كبيرة ضد صدام بسبب اضطهاده لكبار ضباط الجيش العراقي

بروز العراق ولجان التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل ١٩٩٧ - ٢٠٠٣ م
أ.م.و. عهدهو عباس أحمدر

والشعب ، كما عرضوا عليهم رشوة بملايين الدولارات لمنعهم وتشكيلاتهم من مقاومة امريكا او بريطانيا اذا ما دخلوا العراق^(٢٠١)

وكانت العمليات العسكرية قد بدأت على العراق يوم الاربعاء في التاسع عشر من اذار / مارس ٢٠٠٣ وعلى وجه الدقة الساعة الخامسة وثلاثين دقيقة فجر الخميس العشرين من الشهر نفسه بتوقيت بغداد عندما انهالت عليها صواريخ كروز توماهوك ، حيث كان هناك عمليات عسكرية سبقتها على العراق بأكثر من عشر سنوات مهدت لما وقع^(٢٠٢)

وعندما بدأت العمليات العسكرية على العراق لم يبق فيه من ممثلي الدول الاجنبية والعربية غير رئيس قسم المصالح السورية والسفير الكوبي وسفير الفاتيكان وهو كاهن وسفير روسيا الذي بقي ليعبر عن مناهضة روسيا للعدوان وقد لاحظ انه هناك خطة لمحاولة تهريب صدام من العراق على ان تؤمن كوبا حياته وتؤمن سوريا الطريق له دون اعاقه لعبور اراضيها ، حيث يبدو ان فيدل كاسترو قد اعطى تعليماته لسفيره في بغداد بأن يؤمن ملجأ لصدام ونقله عبر سوريا الى كوبا بالتعاون مع الجانب السوري، لكن صدام طلب منهم البقاء والانتظار لما ستؤول اليه الامور وعدم الاستعجال بإخراجه من العراق^(٢٠٣)

وقال بوش الابن بعد ان نفذ خطته في العراق انه (نادم ندما شديدا للفشل الذي مني به جهاز الاستخبارات فيما يتعلق بأسلحة الدمار الشامل العراقية المزعومة ... وأن ادارته خاضت الحرب ضد الأيديولوجيات الهدامة^(٢٠٤) ، وربما اخذ بنصيحة والده جورج بوش الاب عند حديثه معه اواخر عام ٢٠٠٢ قائلاً له (عليك محاولة كل وسيلة ممكنة لتقادي الحرب ولكن اذا لم يمتثل الاخر فلا يكون لديك خيارا اخر)^(٢٠٥)

ولكن الواقع هو ان بوش الابن صمم منذ تاريخ تسلمه السلطة على اطاحة صدام وبحسب ما قاله وزير الخزانة الأمريكي بول اونيل لبرنامج ستين دقيقة اوائل عام ٢٠٠٤ (تكون منذ البداية اقتناع بأن صدام حسين شخص سيء ويجب أن يرحد) ووضعت الخطط العملية لغزو العراق^(٢٠٦) ، سبقه في هذا الرأي روبرت م. غايتس نائب مستشار الأمن القومي لجورج بوش الأب في ايار/ مايو ١٩٩١ عندما قال (أن المجتمع الدولي لن يقبل زعامة صدام حسين وسيدفع العراقيون بالتالي ثمن بقائه في السلطة وسيتم الإبقاء على كل العقوبات الممكنة الى أن يرحد ولن يتم النظر في تخفيف

العقوبات الا عند وجود حكومة جديدة)، كما أكد ديفيد هاناي سفير بريطانيا في مجلس الامن (استحالة عودة العراق للانضمام الى مجموعة الدول المتحضرة وصادام حسين لا يزال في السلطة)^(٢٠٧)

ان قرار ضرب وتدمير العراق اتخذ بعد احداث ١١ سبتمبر وبأنه لا بد من معاقبة دولة عربية مسلمة حتى لا تكون تحت وهم ان الغرب دولاً ضعيفة وذلك نتيجة لتغير التحليل السايكولوجي الخاص بهم، وأنهم عندما اختاروا العراق كان بسبب ان صدام حسين كان يخرج كل يوم بيانات تتدد بمصالحهم ، وبما ان العراق دولة علمانية لهذا من الممكن ان تكون بذرة لنشر الديمقراطية بعد ان يتم التخلص من صدام وبدء نظام جديد يؤدي الى الديمقراطية في العالم العربي ونشرها فيه ، وكان هذا تفكير اليمين المحافظ الذي اسماهم البرادعي (بالمجانين الجدد)^(٢٠٨)والذين شكلوا القوة الضاغطة والدافعة ذات الثقل وراء انتخاب جورج بوش الابن مرشحاً عن الحزب الجمهوري ، وجميعهم كانوا يحملون نظرة مؤيدة للحرب والعمل العسكري^(٢٠٩)

وذكر محمد البرادعي (أن المفتشين الدوليين كانوا على حق عندما اكدوا ان العراق لم يعد العمل ببرامج اسلحة الدمار الشامل، كما أن التهديد المزعوم الذي تمثله هذه الاسلحة لم يكن الدافع الحقيقي للعوان على العراق وكانت مذكرة " داونك ستريت " الشهيرة المؤرخة في يوليو ٢٠٠٢ التي تم تسريبها فيما بعد مصدرا من المصادر التي أفادت ان قرار المضي في الحرب كان قد أتخذ حتى قبل أن تبدأ عمليات التفتيش)^(٢١٠)

وبعد القبض على صدام حسين والتحقيق معه ، قال جاك سترو وزير خارجية بريطانيا "ان التحقيق مع صدام لا اعتقد سيكشف معلومات عن اسلحة دمار شامل عراقية"^(٢١١) ، في حين قال صدام حسين من سجنه للمحققين الأمريكيين ان ملف البحث عن اسلحة الدمار الشامل في العراق قد أوكله الى طارق عزيز بصورة كلية ، وان العراق منذ منتصف تسعينات القرن الماضي قام بتسليم ١٢٠ صندوقاً تحتوي على وثائق متعلقة بترسانة العراق من الأسلحة البيولوجية التي تم العثور عليها في مزرعة الدورة التابعة لصهره حسين كامل ، وان عمليات التفتيش طيلة تلك الفترة هي للبحث عن الخمسة بالمئة مما تبقى من اسلحة في العراق ، "والمفتشين بعملهم هذا أساءوا الظن بشكل واسلوب اضطهادي ولا يوجد دولة اضطهدت وأسئ الظن بها مثل العراق"^(٢١٢)

الخاتمة

كانت نهاية القرن الماضي بداية لأحداث تاريخية جديدة في العراق ادت مجرياتها لانعطافة كبيرة في مسيرته التاريخية الطويلة والعريقة التي تمتد إلى آلاف السنين من الحضارة والرقي والتقدم البشري على المستوى الانساني في العالم كله فقد مثلت تلك المرحلة من تاريخ العراق نقطة التوقف في تدوين تاريخه الحضاري وبداية فترة تاريخية مغايرة تماما لآلاف السنوات التي سبقتها وبدء عهد جديد فرض نوعا جديدا في تدوين تاريخ العراق الحديث والمعاصر تبعا لنوع الحدث الذي اختلف في موضوعه واسبابه ومسبباته فالعنوان الرئيسي لتلك الحقبة التاريخيه كان ما يسمى بأسلحة الدمار الشامل التي يمتلكها العراق والتي كانت العمود الفقري والأساس في بناء كتابة تاريخه الحديث والمعاصر من جانب والسبب المهم والأول في إبادة شعبه ونهاية مجده من جانب آخر بعد ما ادعت الدول الكبرى اخذ الحيطة والحذر من احتمال استخدامه لأغراض غير سلمية بل معادية ومختلفة لاستخدامه الصحيح في خدمة البشر وأخذت على عاتقها تجريد العراق من ذلك النوع من الأسلحة بمختلف أنواعها الكيماوية والبيولوجية والنووية بهدف إضعاف جميع قدراته سواء العلمية او العسكرية او الدفاعية والأمنية ليبقى غير قادر ولمدى طويل على حفظ أمنه الاستراتيجي في منطقة مهمة من العالم وهي منطقة الشرق الأوسط ولتكون دولة إسرائيل في مأمن عن احتمالات تهدد وجودها بين الدول العربية غير الشرعي وكثيرا ما كانت سياسات الحكومات غير المتزنه وهي التي غالبا ما تكون في السلطات الدكتاتورية المتسلطة هي الدافع والعامل الرئيس في تعجيل نهايتها وتدمير شعوبها وفي المقابل تمهد الطريق وتقدم الفرص لأعداء الشعوب الحرة في اتخاذ تدابير لإبادتها من خلال الوسائل الدبلوماسية والقرارات السياسية التي ظاهرها احترام وتطبيق الاتفاقيات الدولية مع احترام تنفيذ بنود وقوانين الامم المتحدة التي وضعت في الاساس لتحدد علاقات الدول مع بعضها البعض وعدم تجاوز تلك القوانين العالمية في تعامل الدول مع غيرها من البلدان الاخرى وبهذه الطريقة تمكنت الولايات المتحدة الامريكية وبخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق وتفردها بزعامة العالم كقطب اوجد من الضغط على مجلس الامن الدولي والتلاعب بقراراته بما يخدم مصالحها وتوجيه تلك القرارات بما يلائمها مع تحريك جميع عناصر لجان التفيتيش عن اسلحة الدمار الشامل في العراق بالاتجاه الذي يصب في صالحها وتجنيدهم كعملاء وجواسيس داخل

العراق للكشف عن ما هيته ولبناء أساس معلوماتي عن جميع امكانياته وقدراته استعدادا للدخول الى مرحلة تدميره فكثيرا ما قدمت أنظمة الدول غير الحكيمة بلدانها هدية للسيطرة عليها من قبل قوى أجنبية خارجية تحت مسمى الدفاع عن الوطن ومقدراته وهكذا أصبحت الاستثناءات هي القاعدة بخلق ايها للشعب بقوة السلطه وقدراتها الخارقة في تخطي قواعد القوانين الدولية وتجاوزها مع تجاهل البعد الإنساني وهو ما ادى وبكل سهولة الى تنفيذ مشروع مخطط احتلال العراق وسقوط بغداد في ٩ نيسان ابريل عام ٢٠٠٣ ولكن تبقى إرادة الشعب هي منبع لكل السلطات وإن اي انحراف بهذه الاراده او بتعبيرها الحر هو تشويه للبناء الديمقراطي الذي لا بد من اكتماله ببلد مثل العراق وهكذا تبقى عبارة امتلاك العراق اسلحة دمار شامل موجودة قبل عام ٢٠٠٣ وشائعة الاستخدام فقد أطلقت عليها جمعية اللهجة الامريكية لقب كلمة العام .

الهوامش

١. للمزيد من المعلومات حول أسلحة الدمار الشامل التي امتلكها العراق في السنوات الماضية انظر معتز محيي عبد الحميد : داعش وأسلحة الدمار الشامل ، ط١ ، مركز طروس للنشر والتوزيع ، الكويت ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢٠ م
٢. على موقع اليوتيوب برنامج شهادات خاصة - حلقة بعنوان (صفحات من التاريخ السري للدبلوماسية العراقيةه يكشف عنها الدكتور محمد الحاج حمود) نشر فيه ١١ فبراير ٢٠٢٢ .
٣. معتز محيي عبد الحميد: المصدر السابق، ص ٩٩ - ١٠٠.
٤. نورمان سيغار : الملف النووي لصدام حسين - البرنامج السري وسيف الاجتياح ، ط١ ، ترجمه الهادي المعموري ، منشورات درابين ،بغداد ٢٠٢١ ، ص ٢٧ .
٥. المصدر نفسه ، ص ص ٥٤ - ٥٥ .
٦. المصدر نفسه ، ص ٥٨ .
٧. على موقع اليوتيوب برنامج تلك الايام - حلقة بعنوان (هل كان صدام حسين يخطط للاستيلاء على شواطئ الامارات والسعودية) نشر في ٦/٢ / ٢٠٢٢ .
٨. على موقع اليوتيوب - تسجيل فيديو يتحدث فيه صدام حسين شخصيا عن الموضوع - ٦ نوفمبر ٢٠١٨ ؛ على موقع اليوتيوب برنامج تلك الايام - حلقة بعنوان (لماذا غضب صدام حسين على سفير العراق في واشنطن) نشر في ١٢/١٠/٢٠٢١ .
٩. صحيفة البيان ٤ نوفمبر ٢٠٠٠ .
١٠. مذكرات جورج دبليو بوش (بقلمه) ، ط ٣ ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، لبنان ٢٠١٩ ، ص ٣٠٢ .
١١. صحيفة البيان ٤ نوفمبر ٢٠٠٠ ، بعنوان (منشق عراقي : بغداد صممت اول قنبلة نووية بمساعدة أمريكية) .
١٢. مذكرات جورج دبليو بوش ، المصدر السابق، ص ٣٠٢ .

بروز العراق ولجان التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل ١٩٩٧ - ٢٠٠٣ م
أ.م.و. عهده عباس أحمدر

١٣. فايز الخفاجي : رحلة السقوط الدامي حسين كامل من البداية حتى النهاية صعوده انشقاؤه مقتله ، ط ١ ، مكتبة المجلة ، لبنان - بيروت ٢٠١٩ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .
١٤. المصدر نفسه صفحة ٢٢٩ .
١٥. كمال ديب : موجز تأريخ العراق من ثورة العشرين الى الحروب الأمريكية والمقاومة والتحرير وقيام الجمهورية الثانية ط ١ ، دار الفارابي ، بيروت لبنان كانون الثاني ٢٠١٣ ، ص ٢٩٥ .
١٦. مالك محسن العيساوي : الحروب بالوكالة ادارة الأزمة الدولية في الاستراتيجية الأمريكية ، ط ١ ، العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ٢٠١٤ ، ص ١٣٧ .
١٧. صحيفة البيان ٩ اكتوبر ٢٠٠٩ (كتاب الاستغماية ... البحث عن الحقيقة في العراق الحلقة (٤) التفاصيل الدقيقة لقضية انتهاء عمل " يونسكوم" بالعراق .
١٨. صحيفة البيان ٣١ يوليو ٢٠٠٢ .
١٩. صحيفة التليغراف ، مقابلة مع كريستوفر هينشز ٢٠٠٦/٦/١٢
٢٠. هانز بليكس: نزع سلاح العراق، ترجمة داليا حمدان، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ٢٠٠٥، ص ٣٧ .
٢١. <https://arabic.rt.com> برنامج رحلة في الذاكرة - حلقة بعنوان (سكوت ريتز يفصح مؤامرات السي اي ايه) الجزء الثاني، نشر في ٢٠١١/١٢/١٦ .
٢٢. المصدر نفسه ، الجزء الثالث ، نشر في ٢٠١١/١٢/٢٣ .
٢٣. المصدر نفسه
٢٤. مالك محسن العيساوي : المصدر السابق ، ص ١٣٨ .
٢٥. <https://arabic.rt.com> برنامج قصارى القول - حلقة (بعنوان على ماذا عثر المفتشون الدوليون في قصور صدام حسين) لقاء مع حسام محمد امين مدير عام دائرة الرقابة الوطنية في العراق سابقا، نشر في ٢٠١٧/٣/٢٠ .
٢٦. المصدر نفسه
٢٧. هانز بليكس : المصدر السابق ، صفحة ٤٥ - ٤٦ .
٢٨. يفغيني بريماكوف : يوميات بريماكوف في حرب الخليج حرب كان تجنبها ممكنا ، الطبعة ١ ، كمبيو نشر للدراسات والإعلام والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ١٩٩١ ، ص ٣٧٠ - ٣٧١ .
٢٩. المصدر نفسه صفحة ٣٧١
٣٠. مكتبة الجزيرة المرئية AL Jazeera media Library (أرشيف الجزيرة) ١٩٩٨/١١/٢٤
٣١. برنامج قصارى القول - حلقة بعنوان (على ماذا عثر المفتشون الدوليون في قصور صدام حسين) ، المصدر السابق .
٣٢. <https://arabic.rt.com> برنامج رحلة في الذاكرة - حلقة بعنوان (خدعة الكيماوي اعترافات اخر السفراء الروس في عهد صدام حسين) ، الجزء الأول ، نشر في ٢٠١٣/٩/٥ .
٣٣. جريدة النهار ٢٥ شباط ١٩٩٨

بروز العراق ولجان التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل ١٩٩٧ - ٢٠٠٣ م
أ.م.و. عماد عباس أحمدر

٣٤. مكتبة الجزيرة المرئية AL Jazeera media Library (أرشيف الجزيرة) ١٥/١٢/١٩٩٧.
٣٥. عماد جاد : الأزمات العراقية والتحرك داخل مجلس الامن ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٣٢ ، ابريل ١٩٩٨ ، ص ٢٥١ .
- ٣٧- مكتبة الجزيرة المرئية AL Jazeera media Library (أرشيف الجزيرة) ٣/١/١٩٩٨ .
- ٣٨- المصدر نفسه ١٦/١/١٩٩٨ .
- ٣٩- حامد الحمداني ، حلقة بعنوان (صدام والفتح الأمريكي ، غزو الكويت وحرب الخليج الثانية) الحلقة ٢٩ ، مركز الدراسات والأبحاث العلمانية في العالم العربي ، ١٩/٣/٢٠١٨ <https://www.scrca.org>
- ٤٠- برنامج قصارى القول- حلقة بعنوان(على ماذا عثر المفتشون الدوليون في قصور صدام حسين) ، المصدر السابق .
- ٤١- <https://arabic.rt.com> برنامج قصارى القول- حلقة بعنوان (متى توصل العراق لتجربة أول قنبلة نووية ولماذا ألغيت؟) لقاء مع يسرى أبو شادي، من كبار مفتشي الوكالة الدولية للطاقة الذرية والذي عمل باعتباره المفتش رقم اثنين في فرق التفتيش عن الأسلحة النووية في العراق، نشر في ٢١/٣/٢٠١٧.
- ٤٢- المصدر نفسه
- ٤٣- قناة التلفزيون العربي ، برنامج (وفي رواية أخرى) لقاء مع محمد البرادعي رئيس الوكالة الدولية للطاقة الذرية الأسبق ، نش في ١٤ يناير ٢٠١٧ .
- ٤٤- مكتبة الجزيرة المرئية AL Jazeera media Library (أرشيف الجزيرة) ١٤/١/١٩٩٨.
- ٤٥- المصدر نفسه ١٦/١/١٩٩٨.
- ٤٦- المصدر نفسه
- ٤٧- المصدر نفسه ٢١/١/١٩٩٨.
- ٤٨- المصدر نفسه
- ٤٩- <https://arabic.rt.com> برنامج قصارى القول- حلقة بعنوان (لماذا أعتذر الأمريكان من طارق عزيز) نشر في ٩/٤/٢٠١٨.
- ٥٠- <https://www.stringfixe.com> ؛ مكتبة الجزيرة المرئية AL Jazeera media Library (أرشيف الجزيرة) ٥/٢/١٩٩٨.
- ٥١- مكتبة الجزيرة المرئية AL Jazeera media Library (أرشيف الجزيرة) ٨/٢/١٩٩٨.
- ٥٢- المصدر نفسه ١٤/٢/١٩٩٨.
- ٥٣- المصدر نفسه ١٥/٢/١٩٩٨.
- ٥٤- المصدر نفسه ١٧/٢/١٩٩٨.
- ٥٥- فيكتور باسافاليوك : سماء بغداد القرمزية ، ط ١ ، ترجمة فالح الحمراي ، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع ، العراق- بغداد ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧ م ، ص ١٥٣ ، ص ١٤٦-١٤٧ ، ص ١٥٣ .
- ٥٦- على موقع اليوتيوب - برنامج الحقائق بالوثائق - حلقة بعنوان (صدام يمنع جاسوس الماني من دخول وزارة الزراعة) ، نشر في ٥ مارس ٢٠٢٢ .

بروز العراق ولجان التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل ١٩٩٧ - ٢٠٠٣ م
أ.م.و. عهده عباس أحمدر

- ٥٧- مكتبة الجزيرة المرئية AL Jazeera media Library (أرشيف الجزيرة) ٢٠ / ١٩٩٨/٢
- ٥٨- سامان عبد المجيد : سنوات صدام ، ط٢ ، ترجمه عن الفرنسية مدني قصري ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، لبنان - بيروت ٢٠٢٠ ، ص ١٤٧ .
- ٥٩- مكتبة الجزيرة المرئية AL Jazeera media Library (أرشيف الجزيرة) ٢٣ / ١٩٩٨/٢
- ٦٠- المصدر نفسه ١٩٩٨/٢/٢٣
- ٦١- فيكتور باسافاليوك : المصدر السابق ، ص ١٤٩ .
- ٦٢- صحيفة البيان ١٢ أكتوبر ٢٠٠٩ .
- ٦٣- جريدة النهار ٢٥ شباط ١٩٩٨ .
- ٦٤- مكتبة الجزيرة المرئية AL Jazeera media Library (أرشيف الجزيرة) ٢٣ / ١٩٩٨/٢
- ٦٥- جريدة النهار ٢٥ شباط ١٩٩٨ .
- ٦٦- المصدر نفسه .
- ٦٧- مكتبة الجزيرة المرئية AL Jazeera media Library (أرشيف الجزيرة) ٢٢ / ١٩٩٨/٣
- ٦٨- المصدر نفسه ٢٧ / ١٩٩٨/٣
- ٦٩- <http://arabic.rt.com> برنامج قصارى القول حلقة بعنوان (الجلبي وعلاوي عميلان كذبا على مخابراتنا وقبضا الأموال)، لقاء مع سكوت ريتز، نشر في ١٠/٤/٢٠١٧ .
- ٧٠- <https://arabic.rt.com> برنامج رحلة في الذاكرة- حلقة بعنوان (سكوت ريتز يفضح مؤامرات "السي أي إيه") الجزء الثالث، نشر في ٢٣/١٢/٢٠١١ .
- ٧١- برنامج قصارى القول حلقة بعنوان (الجلبي وعلاوي عميلان كذبا على مخابراتنا وقبضا الأموال)، المصدر السابق .
- ٧٢- <https://arabic.rt.com> برنامج رحلة في الذاكرة- حلقة بعنوان (سكوت ريتز يفضح مؤامرات "السي أي إيه") الجزء الثاني، نشر في ١٦/١٢/٢٠١١ .
- ٧٣- مكتبة الجزيرة المرئية AL Jazeera media Library (أرشيف الجزيرة) ١٥ / ١٩٩٨/٦
- ٧٤- المصدر نفسه ٢٥ / ١٩٩٨/٦
- ٧٥- <https://arabic.rt.com> برنامج رحلة في الذاكرة - حلقة بعنوان (خديعة الكيمياء اعترافات آخر السفراء الروس في عهد صدام)، الحلقة الثانية، نشر في ١٣/٩/٢٠١٣ .
- ٧٦- المصدر نفسه
- ٧٧- برنامج رحلة في الذاكرة - حلقة بعنوان (خديعة الكيمياء اعترافات آخر السفراء الروس في عهد صدام)، الحلقة الثانية ، المصدر السابق .
- ٧٨- جورج دبليو بوش : المصدر السابق ، ص ٣٢٤ .
- ٧٩- مكتبة الجزيرة المرئية AL Jazeera media Library (أرشيف الجزيرة) ١١ / ١٩٩٨/٨
- ٨٠- مكتبة الجزيرة المرئية AL Jazeera media Library (أرشيف الجزيرة) ٦ / ١٩٩٨/٨

بروز العراق ولجان التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل ١٩٩٧ - ٢٠٠٣ م
أ.م.و. عهده عباس أحمدر

- ٨١- برنامج قصارى القول- حلقة بعنوان (متى توصل العراق لتجربة أول قنبلة نووية ولماذا ألغيت؟) ، المصدر السابق .
- ٨٢- يفغيني بريماكوف : المصدر السابق ، ص ٣٧٢ .
- ٨٣- برنامج رحلة في الذاكرة - حلقة بعنوان (خديعة الكيماوي اعترافات آخر السفراء الروس في عهد صدام) ، الحلقة الثانية ، المصدر السابق .
- ٨٤- مكتبة الجزيرة المرئية AL Jazeera media Library (أرشيف الجزيرة) ١٩٩٨/١٢/١١
- ٨٥- المصدر نفسه ١٩٩٨/١١/١٩
- ٨٦- المصدر نفسه ١٩٩٨/١٢/٨
- ٨٧- المصدر نفسه ١٩٩٨/١٢/٩
- ٨٨- المصدر نفسه ١٩٩٨/١٢/١٠
- ٨٩- مالك محسن العيساوي: المصدر السابق، ص١٤٣؛ احمد ابراهيم محمود: العراق واسلحة الدمار الشامل ابعاد الصراع مع الولايات المتحدة ولجنة اليونسكوم، مؤسسة الاهرام - مركز الدراسات السياسية، ص ١٢٤ .
- ٩٠- معاصرة الباحث لأحداث عاصفة الصحراء عام ١٩٩٨ .
- ٩١- سؤدد فؤاد الألوسي : الغزو الأمريكي للعراق حقائق وأرقام ، ط ١ ، دار المعتز ، ٢٠٢١ م - ١٤٣٣ هـ ، ص ١٨
- ٩٢- <https://arabic.rt.com> برنامج رحلة في الذاكرة- حلقة بعنوان (سكوت ريتز يفضح مؤامرات "السي أي إيه") الجزء الثالث ، المصدر السابق .
- ٩٣- معتز محيي عبد الحميد : المصدر السابق ، ص ١٢١ .
- ٩٤- جورج دبليو بوش : المصدر السابق ، ص ٣٠٣ .
- ٩٥- فتحي العفيفي : الخليج العربي النزاعات السياسية وحروب التغيير الاستراتيجي ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ٢٠٠٣ ، ص ١٤٤ .
- ٩٦- <https://www.lebarmy.gov.lb> مجلة الدفاع الوطني ، الحرب الأمريكية على العراق الأسباب والأهداف ، العدد ٤٣- كانون الثاني ٢٠٠٣ .
- ٩٧- قناة lbc، برنامج بعنوان (لقاء مع طارق عزيز) ، الجزء الثاني .
- ٩٨- برنامج رحلة في الذاكرة - حلقة بعنوان (خديعة الكيماوي اعترافات آخر السفراء الروس في عهد صدام) ، الجزء الثاني ، المصدر السابق .
- ٩٩- المصدر نفسه
- ١٠٠- ايمن منصور ندا: يوم سقوط بغداد الحكام العرب في عيون شعوبهم، ط١، المدينة برس، ص٣٢؛ <https://www.bbc.com>، جيسي المر، ماذا حققت الحرب على العراق للأمريكيين؟ ١١مايو / ايار_٢٠٢٢ .
- ١٠١- كمال ديب : المصدر السابق ، ص ٢٩٧ ؛ مكتبة الجزيرة المرئية AL Jazeera media Library (أرشيف الجزيرة) ١٩٩٨/١١/٢؛ برنامج رحلة في الذاكرة- حلقة بعنوان (سكوت ريتز يفضح مؤامرات "السي أي إيه") الجزء الثالث ، المصدر السابق .

بروز العراق ولجان التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل ١٩٩٧ - ٢٠٠٣ م
أ.م.و. عهده عباس أحمدر

- ١٠٢ - سؤدد فؤاد الألوسي : المصدر السابق، ص ٢١ .
- ١٠٣ - سامان عبد المجيد : المصدر السابق ، ص ص ١٣١ - ١٣٢ .
- ١٠٤ - Aljazeera Library - برنامج اكثر من رأي حلقة بعنوان (هل ينهي المجتمع الدولي حصار العراق؟)،
نشر في ١٩٩٩/٦/٢٨؛ قناة lbc، برنامج بعنوان (لقاء مع طارق عزيز)، الجزء الاول؛ الأهرام ١٩٩٩/٢/١ .
- ١٠٥ - مالك محسن العيساوي : المصدر السابق ، ص ١٧٥ .
- ١٠٦ - برنامج رحلة في الذاكرة - حلقة بعنوان (خديعة الكيماوي اعترافات آخر السفراء الروس في عهد صدام) ،
الجزء الثالث ، المصدر السابق .
- ١٠٧ - المصدر نفسه ؛ انظر نص الخطاب في ٥ ذو الحجة هـ - ٧ فبراير ٢٠٠٣ م ، العدد ٨٨٣٧
- ١٠٨ - برنامج رحلة في الذاكرة - حلقة بعنوان (خديعة الكيماوي اعترافات آخر السفراء الروس في عهد صدام) ،
الجزء الثالث ، المصدر السابق .
- ١٠٩ - <https://arabic.rt.com> برنامج رحلة في الذاكرة - حلقة بعنوان (خفايا المباحثات السرية بين الروس
والأمريكيين حول غزو العراق) ، نشر في ٤ مايو ٢٠٢٢ .
- ١١٠ - معتز محيي عبد الحميد : المصدر السابق ، ص ١٠٤ .
- ١١١ - برنامج رحلة في الذاكرة- حلقة بعنوان (سكوت ريتز يفصح مؤامرات "السي أي إيه") الجزء الثالث .
- ١١٢ - برنامج شهادات للتاريخ - شهادات خاصة ، لقاء مع سالم الجميلي رئيس شعبة امريكا في جهاز المخابرات
العراقي السابق ، نشر في ٢٩ مايو ٢٠١٩ .
- ١١٣ - <http://arabic.rt.com> برنامج قصارى القول حلقة بعنوان (الجلبي وعلاوي عميلان كذبا على مخابراتنا
وقبضا الأموال)، لقاء مع سكوت ريتز، المصدر السابق.
- ١١٤ - على موقع اليوتيوب برنامج بعنوان (السيد عمرو موسى يكشف عن تفاصيل ازمة النووي العراقي وما دار
بينه وبين صدام حسين وقتها) ، لقاء مع عمرو موسى ، نشر في ٢١ يناير ٢٠٠١ ؛ على موقع اليوتيوب
برنامج بعنوان (عمرو موسى شهادة للتاريخ عن صدام حسين وحقيقة وجود اسلحة نووية بالعراق) ، لقاء مع
عمرو موسى ، نشر في ٢٤ ديسمبر ٢٠٢٠ .
- ١١٥ - على موقع اليوتيوب تسجيل فيديو بعنوان (مبادرة الشيخ زايد في مؤتمر شرم الشيخ ٢٠٠٣ بخصوص
العراق)، نشر في ٢٦ يوليو ٢٠١٠ .
- ١١٦ - على موقع اليوتيوب تسجيل فيديو بعنوان(رد صدام حسين على المقترح الاماراتي بتحتيته عن الرئاسة) ،
نشر في ٢٥ يونيو ٢٠١١ .
- ١١٧ - على موقع اليوتيوب (مبادرة الشيخ زايد في مؤتمر شرم الشيخ ٢٠٠٣ بخصوص العراق) المصدر السابق
- ١١٨ - على موقع اليوتيوب برنامج - (قابل للنقاش حلقة بعنوان أول حوار تلفزيوني مع ناجي صبري الحديثي
وزير الخارجية العراقي ابان الغزو الامريكي) نشر في ١٤ يونيو ٢٠١٣ .
- ١١٩ - شهادات رائد الامن صباح الحمداني حلقة ١٦٩ (صدام يحضر امامه قائد خليجي ليرعبه بتقارير فيصعق
صدام برد شجاع فيبدأ بالتوسل)، نشر في ٥ فبراير ٢٠٢٢ ،موضوع الحلقة أخذ من كتاب محمد بن راشد (قصتي
خمسون قصة في خمسون عام) والمنشور مقتطفات منه في صحيفة الشرق الاوسط.

بروز العراق ولجان التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل ١٩٩٧ - ٢٠٠٣ م
أ.م.و. عهده عباس أحمدر

- ١٢٠ - قناة الجزيرة الفضائية - برنامج بلا حدود - حلقة بعنوان (اسرار وتفاصيل اللقاء الأخير بين صدام حسين وحمد بن جاسم قبل اجتياح امريكا للعراق عام ٢٠٠٣ (١)) ، نشر في ٣١ ديسمبر ٢٠٠٣ ؛ قناة المحور الالكترونية حلقه بعنوان (غرفة عمليات غزو العراق في قطر) ، نشر في ٨ مارس ٢٠٢٢ .
- ١٢١ - قناة المحور الالكترونية - حلقة بعنوان (الشيخ حمد ورسالة مهمة من صدام) ، لقاء مع حمد بن جاسم وزير خارجية قطر الأسبق ، نشر في ٢٠ مارس ٢٠٢٢ .
- ١٢٢ - قناة المحور الالكترونية حلقة بعنوان (غرفة عمليات غزو العراق في قطر) لقاء مع حمد بن جاسم وزير خارجية قطر الأسبق ، نشر في ٨ مارس ٢٠٢٢ .
- ١٢٣ - يوسف بودانسكي : التاريخ السري لحرب العراق ، الجزء الاول ، ٢٠٠٥ ص ٣٩ ، كتاب الكتروني .
- ١٢٤ - طه نوري ياسين الشكرجي : الحرب الامريكية على العراق ، ط ١ ، الدار العربية - للعلوم مكتبة الرائد العلمية عمان - الاردن ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ، ص ٨٤ .
- ١٢٥ - يوسف بودانسكي : المصدر السابق ، ص ص ٣٧ - ٣٨ .
- ١٢٦ - <https://arabic.rt.com> برنامج رحلة في الذاكرة - حلقة بعنوان (اسرار يكشفها لأول مرة سفير صدام في روسيا عن احتلال بغداد) نشر في ١٩ مايو ٢٠١٤ .
- ١٢٧ - المصدر نفسه
- ١٢٨ - <https://arabic.rt.com> برنامج رحلة في الذاكرة - حلقة بعنوان (صدام والروس كشف نهائي وحصري لحقيقة الموقف الروسي من العراق البعثي ومسألة خيانة الحليف) ، نشر في ١١ آيار ٢٠٠٦ .
- ١٢٩ - برنامج رحله في الذاكرة - حلقة بعنوان (اسرار يكشفها لأول مره سفير صدام في روسيا عن احتلال بغداد) ، المصدر السابق
- ١٣٠ - المصدر نفسه
- ١٣١ - يفغيني بريماكوف: المصدر السابق، ص٣٧٣-٣٧٤ ، يوسف بودانسكي : المصدر السابق ، ص ٣٩ .
- ١٣٢ - <https://arabic.rt.com> برنامج - بغداد واشنطن الفرص الضائعة - حلقة بعنوان (الكشف لأول مرة عن اسم الجاسوس في مكتب طارق عزيز) ، نشر في ٦ يناير ٢٠٢٢ .
- ١٣٣ - برنامج تلك الأيام - حلقة بعنوان (طارق عزيز لسفير العراق في واشنطن لا تتحارش بإسرائيل) نشر في ٢٠٢١/١٠/١٠ .
- ١٣٤ - شهادات رائد الامن صباح الحمداني ، حلقة ٣٣ ، الجزء الاول ، حلقة بعنوان (قوات نخبة اسرائيل تتعقب صدام للتخلص منه وصدام يبدأ توسلاته بإسرائيل بعد ايران) نشر في ٩ ديسمبر ٢٠٢١ .
- ١٣٥ - المصدر نفسه
- ١٣٦ - شهادات رائد الامن صباح الحمداني حلقة ٣٣ ، الجزء الثاني، حلقة بعنوان (صدام يتوسل بإسرائيل وإسرائيل تأسف على عدم انقاذها صدام ومنتياهو وشاحال يذرفان دمعا عليه) نشر في ٢١/١٢/٩ ؛ برنامج رحلة في الذاكرة - حلقة بعنوان (سكوت ريتز يفضح المخططات الامريكية) الجزء الاول ، نشر في ١٥ مايو ٢٠٢١
- ١٣٧ - <https://arabic.rt.com> برنامج- الفرص الضائعة بغداد واشنطن - الحلقة الثانية بعنوان (من كشف تنقلات صدام حسين عشية غزو العراق ؟) نشر في ٣ يناير ٢٠٢٢ .

بروز العراق ولجان التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل ١٩٩٧ - ٢٠٠٣ م أ.م.و. عهده عباس أحمد

- ١٣٨ - سامان عبد المجيد: المصدر السابق ، ص ١٢٨ - ١٢٩. صحيفة الكاردين ٨ مارس ٢٠٠٨ .
- ١٣٩ - لمزيد من التفصيل عن دور ومهام لجنة الأنموفيك أنظر : الأمم المتحدة - مجلس الأمن - وثيقة رقم p.17- 25 s/200٦/420 ، ؛ مالك محسن العيساوي : المصدر السابق ص ص ، ١٧٥ - ١٧٦ .
- ١٤٠ - جريده النهار ٢٥ شباط ١٩٩٩ .
- ١٤١ - مكي عبد الوهاب وسبع عبد الغني : موقف الشرعية الدولية من الغزو الأمريكي للعراق ٢٠٠٣ ، منكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في تاريخ العالم المعاصر ، جامعة محمد بوضياف - المسيلة ٢٠١٦-٢٠١٧ ، ص ١١ .
- ١٤٢ - صفاء خليفة : امريكا والتدخل في شؤون الدول - مرحلة ما بعد الحرب ، دار العين للنشر ، القاهرة ٢٠١٠ ص ٢١٠ .
- ١٤٣ - قناة lbc ، برنامج بعنوان (لقاء مع طارق عزيز) ، الجزء الاول .
- ١٤٤ - مكي عبد الوهاب وسبع عبد الغني: موقف الشرعية الدولية من الغزو الأمريكي للعراق ٢٠٠٣ ، منكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في تاريخ العالم المعاصر ، جامعة محمد بوضياف - المسيلة ٢٠١٦-٢٠١٧ ، ص ١١ .
- ١٤٥ - <https://www.swissinfo.ch> info kyston.ch إحدى الوحدات التابعة لهيئة الإذاعة والتلفزيون السويسرية (أين أسلحة الدمار الشامل العراقية) ١٠ أكتوبر ٢٠٠٣ ؛ محمد عثمان : المصدر السابق ، ص ٨٥-٨٦ .
- ١٤٦ - احمد منصور : قصة سقوط بغداد الحقيقة بالوثائق ، ط ١ ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، الدار العربية للعلوم ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، ص ٥١ ، ص ٤٥ .
- ١٤٧ - احمد منصور: المصدر السابق ، ص ٤٨ ؛ محمد عثمان : أسلحة الدمار الشامل ، الموسوعة السياسية للشباب (١٦) ، ط ١ ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، مكتبة طريق العلم ، يوليو ٢٠٠٧ ، ص ٨٦ .
- ١٤٨ - محمد عثمان : المصدر السابق ، ص ٨٦ .
- ١٤٩ - على موقع اليوتيوب- برنامج قابل للنقاش (أول حوار تلفزيوني مع ناجي صبري الحديثي وزير الخارجية العراقي ابان الغزو الأمريكي) المصدر السابق .
- ١٥٠ - كمال ضاحي عواد: العلاقات العراقية- الامريكية ٢٠٠٣-٢٠١١م ، رسالة ماجستير منشورة ، جامعة الشرق الأوسط ، كلية الآداب والعلوم ، قسم العلوم السياسية ، آب ٢٠١٦ ، ص ٤٥ ؛ عبد الخالق عبد الله "التوازن في النظام الإقليمي الخليجي السياسة الدولية، العدد ١٣٢ ، السنة ٣٤ ، نيسان/ابريل ١٩٩٨ ، ص ٥٧ .
- ١٥١ - مذكرات جورج دبليو بوش : المصدر السابق ، ص ٣٢١ .
- ١٥٢ - التقرير الاستراتيجي العربي ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣ مركز الاهرام للدراسات السياسية والأستراتيجية ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص ٤٨ .
- ١٥٣ - كمال ضاحي عواد: المصدر السابق ، ص ٥٧ .
- ١٥٤ - <https://arabic.rt.com> برنامج قصارى القول - حلقة (بعنوان على ماذا عثر المفتشون الدوليون في قصور صدام حسين) ، المصدر السابق ؛ برنامج قابل للنقاش ، المصدر السابق .

بروز العراق ولجان التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل ١٩٩٧ - ٢٠٠٣ م أ.م.و. عهده عباس أحمدر

- ١٥٥ - الأمم المتحدة - مجلس الأمن- وثيقة رقم S/2003/203, p.4 (نص رسالة ممثل العراق الدائم لدى الأمم المتحدة محمد الدوري موجهة الى الأمين العام للأمم المتحدة؛ هانز بليكس: المصدر السابق، ص ١٠٤، ص ١١٨ .
- ١٥٦ - قناة التلفزيون العربي alaraby TV ، حوار مع محمد البرادعي الرئيس الأسبق للوكالة الدولية للطاقة الذرية ، نشر في ٢٠١٧/٧/٣١ .
- ١٥٧ - اشتون روبنسون : موعد مع رجالات صدام - البحث عن اسلحة الدمار الشامل العراقية ، ط ١ ، ترجمة قيس قاسم العجرش ، دار سطور للنشر والتوزيع ، العراق - بغداد ٢٠٢١ ، ص ١٤٩ ؛ مجموعة مؤلفين: عشر سنوات هزت العالم- عقد على احتلال العراق ٢٠٠٣-٢٠١٣ ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تقديم عزمي بشارة، ط ١، بيروت، تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٥ ، ص ٦٦١ .
- ١٥٨ - مذكرات الأخ غير الشقيق لصدام حسين (برزان التكريتي) : الأعوام الحلوة والسنوات المرة ، ط ٢ ، الجزء الثاني ، دار سطور للنشر والتوزيع ، بغداد ٢٠٢١ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .
- ١٥٩ - قناة التلفزيون العربي alaraby TV ، المصدر السابق .
- ١٦٠ - احمد منصور: المصدر السابق ، ص ٥١ .
- ١٦١ - قناة التلفزيون العربي alaraby TV ، المصدر السابق .
- ١٦٢ - <https://www.iraq.hurr.org> اذاعة العراق الحر، برنامج - العراق في دور الفكر والنشر - حلقة بعنوان (لقاء مع ريتشارد باتلر حول قضية العراق والحرب المحتملة ضده) ، ١٣ كانون الثاني ٢٠٠٣ .
- ١٦٣ - قناة lbc ، الجزء الأول ، المصدر السابق ؛ Aljazeera Library - برنامج اكثر من رأي حلقة بعنوان (هل ينهي المجتمع الدولي حصار العراق؟) ، مع طارق عزيز ، نشر في ١٩٩٩/٦/٢٨ ؛ جريدة النهار ١٩٩٩/٦/٢٤ .
- ١٦٤ - على موقع اليوتيوب -الأرشيف العراقي - من ارشيف التلفزيون العراقي ، المقابلة الصحفية الأخيرة مع صدام حسين قبل الحرب ، نشر في ٣ أكتوبر ٢٠١٧ .
- ١٦٥ - المصدر نفسه
- ١٦٦ - مذكرات الأخ غير الشقيق لصدام حسين (برزان التكريتي) : المصدر السابق ، الجزء الثالث ، ص ٢٨٣ .
- ١٦٧ - الأرشيف العراقي - من ارشيف التلفزيون العراقي ، المصدر السابق .
- ١٦٨ - <https://arabic.rt.com> برنامج قصارى القول - حلقة (بعنوان على ماذا عثر المفتشون الدوليون في قصور صدام حسين) ، المصدر السابق .
- ١٦٩ - <https://arabic.rt.com> قناة روسيا اليوم - حلقة بعنوان (كيف اتفق العراق مع البرادعي لكتابه التقرير النهائي) ، نشر في ٢٠١٣/٧/١٤ ؛ <https://arabic.rt.com> قناة روسيا اليوم - حلقة بعنوان (رجل مخابرات عراقي سابق يكشف اسرار الغزو الامريكى) ، نشر في ٢٠ مارس ٢٠١٣ ؛ برنامج شهادات للتاريخ - شهادات خاصة ، لقاء مع سالم الجميلي رئيس شعبة امريكا في جهاز المخابرات العراقي السابق ، المصدر السابق .
- ١٧٠ - محمد البرادعي: زمن الخداع، الدبلوماسية النووية في أوقات الغدر ، الكتاب تجميع للحلقات المنشورة في جريدة التحرير، ومرتب حسب الحلقات وليس حسب الفصول، الحلقة الأولى ، ص ٤ .

بروز العراق ولجان التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل ١٩٩٧ - ٢٠٠٣ م
أ.م.و. عهده عباس أحمدر

- ١٧١ - Aljazeera arabic - برنامج المقابلة - مع ناجي صبري آخر وزير خارجية في عهد صدام حسين ، حلقة بعنوان (صدام لم ينكسر والبرادعي نفذ أجندة أمريكية) ، الجزء الثاني ، نشر في ١٤/٤/٢٠١٧ .
- ١٧٢ - المصدر نفسه؛ الأمم المتحدة - مجلس الأمن وثيقة رقم 2003/203 S/2003/203, (نص رسالة ممثل العراق الدائم لدى الأمم المتحدة محمد الدوري موجهة الى الأمين العام للأمم المتحدة)؛ قناة التلفزيون العربي alaraby TV ، المصدر السابق ؛ أليوت وينبرغر: ماسمعه عن العراق عام ٢٠٠٥ ، الطبعة العربية الأولى ، نقلته الى العربية منى الختلان ، شركة الناشر للنشر ، الرياض ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧ م ، ص ٦٦ ؛ برنامج قصارى القول - حلقة (بعنوان على ماذا عثر المفتشون الدوليون في قصور صدام حسين) لقاء مع حسام محمد امين مدير عام دائرة الرقابة الوطنية في العراق سابقا، المصدر السابق ؛ محمد البرادعي : زمن الخداع ، المصدر السابق ، ص ٣ .
- ١٧٣ - قناة التلفزيون العربي alaraby TV ، المصدر السابق .
- ١٧٤ - مذكرات جورج دبليو بوش : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ .
- ١٧٥ - قناة التلفزيون العربي alaraby TV ، المصدر السابق .
- ١٧٦ - برنامج شهادات للتاريخ - شهادات خاصة ، لقاء مع سالم الجميلي رئيس شعبة امريكا في جهاز المخابرات العراقي السابق ، المصدر السابق .
- ١٧٧ - المصدر نفسه
- ١٧٨ - جورج دبليو بوش : المصدر السابق ، ص ٣٠٤ ؛ <https://arabic.rt.com> برنامج الفرص الضائعة بغداد واشنطن - الحلقة الثانية بعنوان (من كشف تنقلات صدام حسين عشية غزو العراق ؟) ، المصدر السابق
- ١٧٩ - برنامج شهادات للتاريخ - شهادات خاصة ، لقاء مع سالم الجميلي رئيس شعبة امريكا في جهاز المخابرات العراقي السابق ، المصدر السابق ..
- ١٨٠ - المصدر نفسه
- ١٨١ - المصدر نفسه
- ١٨٢ - المصدر نفسه.
- ١٨٣ - الأمم المتحدة - مجلس الأمن وثيقة رقم 2003/203 S/2003/203, pp.15-16, (نص رسالة ممثل العراق الدائم لدى الأمم المتحدة محمد الدوري موجهة الى الأمين العام للأمم المتحدة) ؛ برنامج شهادات للتاريخ - شهادات خاصة ، لقاء مع سالم الجميلي رئيس شعبة امريكا في جهاز المخابرات العراقي السابق ، المصدر السابق
- ١٨٤ - برنامج شهادات للتاريخ - شهادات خاصة ، لقاء مع سالم الجميلي رئيس شعبة امريكا في جهاز المخابرات العراقي السابق ؛ برنامج الفرص الضائعة بغداد واشنطن - حلقة بعنوان (من كشف تنقلات صدام حسين عشية غزو العراق ؟) ، الحلقة الثانية ، المصدر السابق .
- ١٨٥ - قناة روسيا اليوم - حلقة بعنوان (رجل مخابرات عراقي سابق يكشف اسرار الغزو الامريكي)، المصدر السابق .
- ١٨٦ - برنامج شهادات للتاريخ - شهادات خاصة، لقاء مع سالم الجميلي رئيس شعبة امريكا في جهاز المخابرات العراقي السابق .
- ١٨٧ - قناة روسيا اليوم - حلقة بعنوان (رجل مخابرات عراقي سابق يكشف اسرار الغزو الامريكي)، المصدر السابق .

بروز العراق ولجان التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل ١٩٩٧ - ٢٠٠٣ م
أ.م.و. عهده عباس أحمد

- ١٨٨- برنامج بغداد واشنطن الفرص الضائعة بغداد واشنطن - حلقة بعنوان (الكشف لأول مرة عن اسم الجاسوس في مكتب طارق عزيز)، المصدر السابق ؛ برنامج الفرص الضائعة بغداد واشنطن - الحلقة الثانية بعنوان (من كشف تنقلات صدام حسين عشية غزو العراق ؟) ، المصدر السابق .
- ١٨٩- برنامج تلك الأيام - حلقة بعنوان (من هم جواسيس أمريكا على صدام ؟!) ، نشر في ١٣ مارس ٢٠٢٢ ؛ غسان شربل: العراق من حرب الى حرب صدام مر من هنا- نسخة مما نشر في جريدة الحياة ضمن سلسلة يتذكر، ٢٠١٠، ص ٤٣٢ .
- ١٩٠- يوسف بودانسكي : المصدر السابق ، ص ص ١٠- ١٧ .
- ١٩١- <https://www.stringfixe.com>
- ١٩٢- قناة التلفزيون العربي alaraby TV ، المصدر السابق .
- ١٩٣- اشتون روبنسون : المصدر السابق ، ص ١٩٦ .
- ١٩٤- برنامج شهادات للتاريخ - شهادات خاصة ، لقاء مع سالم الجميلي رئيس شعبة امريكا في جهاز المخابرات العراقي السابق ؛ اشتون روبنسون : المصدر السابق ، ص ص ١٩٦- ١٩٧ .
- ١٩٥- Aljazeera Library - برنامج اكثر من رأي حلقة بعنوان (هل ينهي المجتمع الدولي حصار العراق؟)، المصدر السابق .
- ١٩٦- صحيفة البيان ٩ أكتوبر ٢٠٠٩ ، من كتاب تشارلز دولفر - الأستغماية البحث عن الحقيقة ، المصدر السابق
- ١٩٧- قناة المحور الالكترونية حلقة _ بعنوان (هل كان صدام حسين يمتلك اسلحة دمار شامل) لقاء مع تركي الفيصل ، ١٤ فبراير ٢٠٢١ .
- ١٩٨- <https://arabic.rt.com> قناة روسيا اليوم - حلقة بعنوان (لقاء تلفزيوني مع سالم الجميلي حتى ٢٠٠٣) ، نشر في ٢٧ مارس ٢٠٢١ .
- ١٩٩- مذكرات هيلاري كلينتون (خيارات صعبة) ط٦ ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، لبنان- بيروت ٢٠٢١ ، ص ١٤٢ .
- ٢٠٠- برنامج شهادات خاصة - حلقة بعنوان (صفحات من التاريخ السري للدبلوماسية العراقية يكشف عنها الدكتور محمد الحاج حمود) ، المصدر السابق .
- ٢٠١- <https://www.iraq.hurr.org> اذاعة العراق الحر، المصدر السابق .
- ٢٠٢- محمد البرادعي : زمن الخداع ، المصدر السابق ، ص ٥ .
- ٢٠٣- يوسف بودانسكي : المصدر السابق ، ص ٤٠ .
- ٢٠٤- المصدر نفسه ، ص ص ١٨- ١٩ .
- ٢٠٥- علي عبد الجليل علي : الحرب على العراق رؤية توراتية يهودية، ط١، دار اسامة للنشر والتوزيع ، الأردن - عمان ٢٠٠٤، ص ١٠ .
- ٢٠٦- <https://arabic.rt.com> برنامج رحلة في الذاكرة - حلقة بعنوان (رفع الستار عن مخطط انقاذ صدام حسين والخيانات الكبرى في الجيش العراقي) نشر في ١٢ ابريل ٢٠٢١ .
- ٢٠٧- تلفزيون الآن ، حلقة بعنوان (بوش واسلحة الدمار الشامل) ٣ ديسمبر ٢٠٠٨ .

بروز العراق ولجان التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل ١٩٩٧ - ٢٠٠٣ م
أ.م.و. عهدهو عباس أحمدر

- ٢٠٨- جورج دبليو بوش : المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .
- ٢٠٩- مايكل اوترمان، ريتشارد هيل ، بول ويلسون : محو العراق خطة متكاملة لأقتلاع عراق وزرع آخر ، ط ١ ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، لبنان - بيروت ٢٠١١ ، ص ٢٤ .
- ٢١٠- المصدر نفسه ، ص ٥٦ .
- ٢١١- قناة التلفزيون العربي alaraby TV ، المصدر السابق .
- ٢١٢- سؤدد فؤاد الألوسي : المصدر السابق ، ص ٢٢ .
- ٢١٣- محمد البرادعي : زمن الخداع ، المصدر السابق ، ص ٦-٧ .
- ٢١٤- محمد محسن بزي : اسرار من بغداد ، دار الأمين ، ٢٠٠٥ ، ص ٢٦٥ .
- ٢١٥- جون نكسون : استجواب الرئيس ، ط ١ ، ترجمة اياد أحمد ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، لبنان - بيروت ، آيار / مايو ٢٠١٧ م ١٤٣٨ هـ ، ص ١٣٧-١٣٩ .

الحياة الاجتماعية في الأندلس عهد مملكة غرناطة (٦٣٥-٨٩٧ هـ / ١٢٣٧-١٤٩١ م)
م. د. آفاق لازم عبد اللطيف

الحياة الاجتماعية في الأندلس عهد مملكة غرناطة (٦٣٥ - ٨٩٧ هـ / ١٢٣٧ - ١٤٩١ م)

م. د. آفاق لازم عبد اللطيف
كلية التربية القرنة/ جامعة البصرة

الملخص

الحياة الاجتماعية العامة التي نقصد بها كل الخدمات التي تقوم بها الدولة أو الأفراد لصالح المجتمع اي تعم منفعتها المجتمع ، وقد تنوعت هذه الخدمات بتنوع الحاجات البشرية على الرغم من كثرتها في الاندلس بصورة عامة، ومملكة غرناطة بصورة خاصة، فقد شهدت قيام العديد من الخدمات الاجتماعية العامة في المجالات الدينية أو التعليمية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الصحية أو العسكرية ... الخ.

الحياة الاجتماعية في الأندلس عهد مملكة غرناطة (٦٣٥-٨٩٧ هـ / ١٢٣٧-١٤٩١ م)
م. و آفاق للزم عبد اللطيف

The social Life in Andalus in The era of Granada Kingdom

(635-897/ 1236-1491)

Assist Dr.Afaaq lazim A.

University of Basrah - College of Education-Qurna

Abstract

General social life which are intended all the services performed by the state or individuals for the benefit of society in which utility permeated society.

These services have varied diversity of human needs in spite of plentiful in Anduls in general and in Granada kingdom specially. It has seen a number of public social services in religious, educational, economic, social, health and military fields .

المقدمة

مجلة دراسات تاريخية (العدد ٣٣ - كانون الاول ٢٠٢٢ م)

غرناطة من إعمال ولاية البيرة فتحها العرب عام ٩٢ هـ / ٧١٢ م، وبعد سقوط الخلافة الأموية وانقسام الأندلس وقيام دولة ملوك الطوائف كانت غرناطة من نصيب البربر الصنهاجيين فقد استولى عليها زاوي بن زيري الصنهاجي (*) ثم خلفه ابن أخيه حبوس ابن ماكسن (**). وظلوا يحكمونها حتى عهد عبد الله بن بلقين بن باديس (***)، ولما جاء المرابطون (***) للحكم في الأندلس ضموا إليها عام ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م واستمرت تحت حكمهم حتى استولى (١) عليها الموحدون (****) عام ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م فخضعت لهم.

بعد تدهور الأحوال العامة في الأندلس في عهد الموحدين بعد معركة العقاب (*****) وسقوط المدن الأندلسية بيد العدو المتربص القشتالي كقرطبة (*****) التي سقطت عام ٦٢٣ هـ / ١٢٣٦ م وبلنسية عام ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م ثم شاطبة (*****) ودانية (*****). في العام نفسه ثم تبعتها سقوط مدينة اشبيلية عام ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م جاء النذير باستسلام المدن الأندلسية كافة خصوصاً بعد سقوط المدن الأخرى اذ انكشفت رقعة الإسلام في الأندلس (٢) وفي هذه الظروف القاسية قامت دولة الأندلسية في الجنوب قادة الصراع والكفاح المسلح لبقاءها لمدة قرنين ونصف وكان وقوفها واستمرارها بوجه التحديات يعود إلى وجود عدة عوامل الطبيعية (الجغرافية) والبشرية فموقعها الجغرافي إلى الجنوب من نهر الوادي الكبير الذي يشكل حاجزاً طبيعياً بين الأسبان والاندلسيين، كما شكل قربها من عدوة المغرب حيث كانت قريبة من سرعة وصول الإمدادات والنجدات إليها لتدعمها وتقوي صمودها (٣).

وقد نجح السلطان محمد ابن الأحمر الأول (*****) من تأسيس دولة غرناطة في الأندلس في ظل تدهور الظروف العامة في الأندلس وقد ساعد على ذلك.

- (١) موقعها الجغرافي في الجنوب من شبة الجزيرة الأندلسية .
- (٢) المساعدات التي قدمتها دولة بني مرين لمملكة غرناطة ضد النصارى ساعدتها على الصمود .
- (٣) هجرت أعداد كبيرة من سكان المدن الأندلسية واستقرارهم في غرناطة وخاصة أصحاب المهارات والخبرات الصناعية والحرفية.
- (٤) حب أهل غرناطة للجهاد .
- (٥) براعة حكام غرناطة في استغلال الوضع المتدهور في الدولة الاسبانية والاستفادة من الصراع مع النصارى (٤).

ولو تتبعنا الحياة الاجتماعية العامة في الأندلس لوجدنا أنّ عهد مملكة غرناطة يعد من العهود الأساسية في تاريخ الأندلس لكونه يمثل النواة الأخيرة للوجود العربي الإسلامي في الأندلس الذي دام أكثر من قرنين و نصف قرن ، لكنه يمثل الركيزة الأساسية التي قامت عليها مختلف التنظيمات الاجتماعية فيما بعد ، فما أن تم للمسلمين فتح أسبانيا والاستقرار فيها حتى بدأوا يقيمون فيها أرقى حضارة إنسانية ، ثم أخذوا بالعناية الاهتمام بتوفير كل ما يخدم المجتمع الإسلامي هناك من ذلك نرى أنّ الفتح الإسلامي لأسبانيا لم يكن مجرد حدث سياسي أو عسكري بل كان حدثاً حضارياً وإنجازاً رائعاً أدى إلى قيام حضارة راقية يشهد لها التاريخ .

فقد شهد عهداً (مملكة غرناطة) قيام العديد من الخدمات الاجتماعية العامة سواء ما كان منها في المجالات الدينية أو التعليمية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الصحية أو العسكرية.

من ذلك نستطيع أنّ نقول أنّ الحياة الاجتماعية العامة التي نقصد بها كل الخدمات التي تقوم بها الدولة أو الأفراد لصالح المجتمع أي تعم منفعتها المجتمع ، وقد تنوعت هذه الخدمات بتنوع الحاجات البشرية وعلى الرغم من كثرتها^(٥) .

وفي عهد مملكة غرناطة اهتمت دولة بني نصر(٦٣٥ - ٨٩٧ هـ / ١٢٣٨-١٤٩٢ م) بتقديم الخدمات الاجتماعية العامة إلى الفئات الشعب الغرناطي وفي مقدمتهم الطبقات التي كانت تعاني من ألم العوز والفقر والحرمان والمتضررين والآيتام فكانت الدولة تقوم بتقديم الخدمات العلاجية المجانية لهم.

وأخرى ترفيهية حرصاً على راحة الفرد الغرناطي^(٦) ولتحسين حال الفقراء فقد قام يوسف ابن الأحمر ببحث الناس على العمل^(٧) في المجال الزراعي والصناعي والتجاري وخاصة الفقراء المنهزمين أثر هجمات الأسباب وحثهم على استثمار الأراضي وإحياءها^(٨) إضافة إلى أنّ هذا الأمير كان كثير الاهتمام بالفقراء من

خلال تفقد أحوالهم وزيارتهم وتوزيع المعونات في المناسبات وخاصة في عيدي (الأضحى والفطر) كما حدد مقدار الصدقة والتبرعات للمعوزين قبل كل شيء وهي من أعمال البر والخير التي تقدم للعامة^(٩) أما في الأوقات التي تتعرض فيه المملكة لكوارث طبيعية فقد كانت سلاطين مملكة غرناطة يقدمون العون للعامة لحمايتهم ورعاية منهم لرعاياهم ففي الوقت التي تعرضت مدينة (قنشورية)^(١٠) إلى السيل الجارف عام (٧٤٨ هـ - ١٣٤٧ م) فكان سلطان غرناطة أبي الحجاج يوسف يزور سكان الأراضي التي دمرتها السيول ويتعرف على أحوالهم ويقدم لهم المعونات^(١١) .

كما أولى سلاطين غرناطة المرافق العامة اهتماماً مباشراً لارتباطها بحياة المجتمع وخاصة في بناء المارستان (المستشفى) التي بناها الأمير محمد الخامس ٧٦٧ هـ / ١٣٥٦ م^(١٢) وهو مؤلف من قسمين للرجال والنساء^(١٣) وكان بناؤه من أجل إعالة الناس وخاصة المحتاجين منهم والضعفاء والفقراء^(١٤) ففي الوقت التي كانت تعصف الأوبئة الأمراض في المملكة كان الأطباء يقدمون مساعدات طبية مجانية للعامة في مستشفياتهم إلى جانب تقديم النصائح للعامة في حال انتشار الأمراض مرة أخرى^(١٥)

أما الحالات المستعصية كالطاعون فقد أنشأت الدولة مستشفى خاصاً بمعزل عن المدينة حماية للسكان من انتشار الأمراض^(١٦) كما اهتمت الدولة بتقديم المساعدات للعجزة والمحتاجين وخاصة المكفوفين (العميان) فقد أنشأ محمد الأول داراً للعجزة في غرناطة^(١٧)

وفي وقت المجاعات التي كانت تعصف في الأندلس آنذاك عملت الدولة على التخفيف من شدة الأزمة عن طريق إقامة علاقات تجارية مع دولة بني مرين^(١٨) للحد من المجاعات التي عصفت بالمدينة عهد السلطان محمد الرابع*^(١٩)

ولم تكن الإعانات حكراً على الحكومة، إنما كان للعامة دور كبير في تقديم المساعدات قد اخذ الناس في بلنسية^(٢٠) يتبرعون بالأموال للمرضى والمحتاجين في الوقت الذي سقطت فيه المدينة بيد خايمي الأول الفاتح^(٢١)

كما اهتم سلاطين مملكة غرناطة في بناء الحمامات للعامة، فكما يقول المقري (إن أهل الأندلس عموماً وأهل غرناطة خصوصاً أكثر خلق الله اهتماماً بالنظافة ملابسهم ٠٠)^(٢٢) في حين يقول فيهم ابن الخطيب (أهل غرناطة اشد خلق الله بنظافة)^(٢٣) وذلك لأهميتها في حياتهم الاجتماعية، وذات الفائدة الصحية والبدنية والروحية لذلك انتشرت الحمامات في الأسواق والمنازل والمساجد بنوعها للرجال والنساء^(٢٤) ومن أشهر الحمامات فيها حمام أبي العاص الذي بناه يوسف الأول ابن الأحمر فيها^(٢٥).

تمتعت سلطنة غرناطة في ظل بني الأحمر بولاياتها الثلاثة مألقة* والمرية وغرناطة بازدهار في الحياة الاقتصادية سواء كان ذلك في مجال الزراعة أم الصناعة أم التجارة ويمكن إرجاع ذلك الازدهار إلى عوامل ساعدت على ذلك إلى جانب عناية السلطة مثل كثرة إمطارها وتلوجها وخصوبة أرضها ووفرة الأيدي العاملة والخبرة، فقد توفرت الخيرات وكثرت الجباية الناتجة عن ازدهار التجارة والصناعة فضلاً عن بساطتها وحقولها التي كانت تدر على أهلها نعماً وفيرة تكفيهم

وتزيد عن حاجتهم حتى أن أهلها كانوا يدفعون الجباية أكثر من المعتاد لتغطية تكاليف الجهاد التي كانت تقوده غرناطة ضد العدو القشتالي غير المتكافئ دائماً ومع ذلك كانوا راضين غير متذمرين فضلاً عما أمتاز به عمال الجباية بأخلاقهم وحسن معاملتهم مع أبناء الشعب^(٢٦)

ومن أجل النهوض بالواقع الاقتصادي للبلد وخاصة في مشاريع (الزراعة والصناعة والتجارة) قد أنشأت الدولة عدة مشاريع لنهوض بواقعها الاقتصادي ، ففي المجال الزراعي عمدت الدولة على تطوير المشاريع الزراعية بإدخال الوسائل الحديثة بالزراعة المتمثلة بمد قنوات الري^(٢٧) والسقاية وجلب المياه من الأماكن البعيدة عن طريق إنشاء النواير لرفع المياه لسقي^(٢٨) كما عملت الدولة على توزيع الأراضي على المستثمرين وبإشراف شخص من الدولة يعرف (بصاحب الضياع) لزراعتها والاستفادة من محاصيلها ولأجل تحقيق ذلك انشأ ديوان خاص بالأراضي عرف (بديوان الحراش) مهمته مراقبة المزارعين في عملهم ، أما مناطق الأرياف فقد أوكلت مهمة الاهتمام بها إلى المتقربين لزراعتها والاستفادة من خيراتها^(٢٩) عن طريق العقود لعدة سنوات يقومون باستثمارها وفق شروط تضعها الدولة للمالك مقابل تعهدهم باستثمارها وتعميرها ودفع أجورها كما شملت العقود احتمالات وقوع الكوارث الطبيعية كالجفاف والقحط

والحرائق وسائر الكوارث الطبيعية غير المتوقعة كلها تصب في لصالح المستثمر^(٣٠) كما نظمت للمستثمرين توزيع المياه على الأراضي عن طريق مشاريع الري وإنشاء القنوات وتتم عملية الإرواء عن طريق المساقاة والمغارة لذلك خصصت الدولة ضريبة الخراج على الأراضي وحسب طريقة سقي الأراضي الزراعية^(٣١)

أما في المجال الصناعي فالمعروف عن غرناطة بلد الصناعات المتنوعة فقد أولت الدولة اهتماماً كبيراً بالصناعة عن طريق بنائها للمصانع وتوفير المواد الخام الداخلة في الصناعة وعملت على توفير اليد العاملة فيها فتنوعت الصناعات بها وخاصة صناعة السفن الورق والفخار والذهب^(٣٢) وصناعة الإصباغ والحلي وخاصة صناعة الآلات الحربية ٠٠٠ الخ^(٣٣) .

ومن الناحية التجارية فقد عملت الدولة على أقامت علاقات تجارية مع الدول المجاورة كالشام ومصر فكانت تورد إليها البضائع المتنوعة عن طرق ميناء المرية^(٣٤) وغرناطة^(٣٥) لحماية البضائع التجارية من التلف أنشأت الدولة الخانات ووظيفتها تخزين البضائع للبيع كما تكون في الوقت نفسه مأوى للتجار الغرباء^(٣٦) ولتسهيل عمليات البيع والشراء قامت الدولة بإنشاء القيسارية^(*) ووضعت عليها الدولة الرقابة من قبل موظف يعرف بالمحتسب^(**) لمراقبة الأسواق ولمنع الغش فقد عين محمد

الأول (***) علي الزهري في مدينة مالقة (٣٧) عام ٧٣٠-١٣٣٩ م إضافة إلى إن الدولة تكفلت بتسيير المواد الغذائية في الأسواق منعاً لانتشار الاحتكار أولاً ولحماية الطبقة الفقيرة في المجتمع ثانياً (٣٨).
ولتسهيل العملية الشرائية للفرد فقد اهتمت الدولة بسك العملة ذات المتقال الثابت من الذهب والفضة واستخدمت لذلك الرطل (****) في البيع (٣٩)

ازدهرت الحركة الثقافية في عهد بني الأحمر ، فقد ورثت سلطنة غرناطة سنة (٦٣٥ هـ- ٨٩٧ هـ / ١٢٣٨ - ١٤٩٢ م) مجد الأندلس وازدهاره الحضاري وأصبحت حاضرتها غرناطة مركزاً ثقافياً يزخر بالعلماء ورجال الفكر والأدب ومقصد الشعراء من أقطار المشرق والمغرب ، وأصبح قصر الحمراء ملتقى رواد العلم والأدب ورجال الفكر والسياسة من داخل الأندلس وخارجها وما كان لغرناطة إن تتبوا هذه المكانة الحضارية السامية لولا عناية سلاطين بني الأحمر واهتمامهم

بالحياة الثقافية وتشجيعهم الدائم للعلم والعلماء والإنفاق على طلبية العلم وحلقات الدرس، فقد اشتهر مؤسس دولتهم محمد بن الأحمر بحمايته للعلم والأدب حين كانت له أيام خاصة يستقبل فيها الشعراء وينشدونه قصائدهم (٤٠).

ومن أجل النهوض بالواقع الثقافي للمجتمع في الأندلس عهد مملكة غرناطة فقد انشأ محمد الأول المدارس (٤١) وأنشأت أخرى عهد السلطان يوسف بن الحجاج (٤٢) كالمدرسة اليوسفية أو مدرسة غرناطة أو النصرية التي بنيت على يد أبي النعيم رضوان عام ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م (٤٣) لتدريس العلوم المختلفة وحفظ القرآن ولتشجيع الناس على ذلك فقد فرضت الدولة جوائز على المبدعين الجدد في مختلف العلوم والأدب من خلال إعطائهم الأموال لذلك اتجه أكثر الناس ليتعلموا، فتلذذ عدد غير قليل منهم في الأدب ولم يكن التعليم المجاني حكراً على الرجال إنما شمل التعليم النساء أيضاً (٤٤) ومن أجل ذلك اهتمت الدولة النصرية بالمكتبات لحفظ الكتب ويكون مكان للمطالعة للعامة فيقول ابن الخطيب في الدراسة

إلا هكذا تبقى المدارس لأمم وتبقى عهود المجد ثانياً الرسم

ويقصد بوجه الله العمل الرضا وتجنني ثمار الغز شمر الغرم (٤٥)

وفي المجال الديني قد اهتمت الدولة النصرية بالعدل وتعيين الولاة والحكام الأمناء وتطبيق العدل فقد كان سلاطين المملكة ينظرون في الظلمات والفصل بين المختصمين وكان يخصص للمظالم يوم في باب الشريعة في القصر الحمراء يجلس فيه السلطان أمام الناس للفصل في

المظالم في يوم معلوم^(٤٦) ويكون مجلساً عاماً للجميع يعقد يومين في الأسبوع فكان السلطان أبو عبد الله محمد ابن يوسف ترفع إليه الظلمات من الناس للبت والحكم بها^(٤٧) في حين كان يعقد المجلس في عهد السلطان محمد بن يوسف ابن إسماعيل^(٤٨) مباشرة كل سنة ستة عشر يوماً في شهر ليصل إليه شكاوى اليتيم والأرامل^(٤٩)

ولحماية المدينة من الاعتداءات الخارجية فقد عمدت الدولة على تشيد الأسوار الخارجية والحصون والمحارس كبرج المطرقة والقنديل فقد شيد الأبراج عهد محمد الأول ومحمد الثاني^(٥٠) التي امتازت بفخامتها وارتفاعها^(٥١) أما في عهد السلطان محمد الفقيه^(٥٢) بنيت القسبة الحمراء^(٥٣) كما أنشأ أبراج المراقبة^(٥٤) ومن أشهر الحصون كحصن بسطة وحصن جبل طارق^(٥٥)

أما المدن التي تقع على الطرق البحرية ، فقد نالت اهتمام دولة بني نصر في غرناطة وخاصة في الجزيرة الخضراء^(٥٦) وجبل طارق^(٥٧) والمرية ومالقة لحمايتها فيقول ابن الخطيب (وجندهم صنفان أندلسي وبربري والأندلسي يقودهم من القرابة أو شخص من شيوخ الممالك وزعيم في القديم شبه زيفشالهم... والبربرية يرجع إلى قبائل المرينية والزناتية .. والعرب المغربية)^(٥٨) فقد وزع القوى لحماية المدن براً وبحراً فقد أحيطت المرية وحدها بعدد من الرباطات والمحارس (كرباطة القية) لدفاع عن الساحل^(٥٩)

وفي ما يخص جانب الترفيه فقد أولت الدولة النصرية اهتماماً خاصاً خاصة في بناء المنتزهات للراحة وخاصة في منطقة السبيكة وهو السهل المنبسط الذي يشرف عليه قصر الحمراء من ناحية الشرق فيخرج الناس فيها للتنزه^(٦٠) كحدائق الجنان أو كما يسميها ابن الخطيب (بعين الدمع) أو جنة العريف^(٦١) كما أنشأت أماكن ترفيه في اشبيلية^(٦٢) للصيد البري لبراعة أهل الأندلس فيه^(٦٣) إلى جانب القصور التي اشتهرت بكثرتها في مملكة غرناطة^(٦٤) كقصر السيد^(٦٥)

وفي المجال الديني كانت القيم الدينية تحكم تصرفات غالبية الناس في سلطنة غرناطة فهم لم يتخلوا عن صور العبادة التي تعزز ارتباطهم بالله سبحانه وتعالى ، رغم أنهم عاشوا مهتدين من الممالك النصرانية ، وانشغالهم في الدفاع عن آخر معقل للوجود الإسلامي في الأندلس ، وقد وصف ابن الخطيب ذلك المنحى الايماني والعقائدي لديهم قائلاً : ((أحوال أهل هذا القطر في الدين وصلاح العقائد أحوال سنية والأهواء والنحل فيهم معدومة ومذاهبهم على مذهب مالك بن انس إمام دار الهجرة جارية))^(٦٦) .

كما يصف المقرئ غرناطة بكثرة المصلين وبأنها من البلدان التي تعددت فيها المحاريب والمنابر والزرايع والمساجد والذاكر والعباد والعالم^(٦٥).

وهذا دليل واضح على كثرة المساجد في سلطنة غرناطة وعلى التزام الناس بأمر دينهم ، اما بالنسبة للكنائس ، فبالرغم من أن سلاطين بني الأحمر لم يتشددوا مع أهل الذمة وأعطوهم حقهم في الحياة وفي ممارسة تلك الطقوس في كنائسهم القديمة ، لعل السبب في ذلك يعود إلى عهد المرابطين ومن بعدهم الموحدين الذين كانوا متشددين تجاه أهل الذمة الأمر الذي جعل عدد الكنائس يتضاءل فلم يعد لها ذكر الوجود الإسلامي في عهد بني الأحمر .

كذلك كان بني الأحمر يتشددون في محاربة كل ما حرمه الدين الإسلامي وذلك بإصدار أوامره بإراقة الخمر وكسر دنانها^(٦٦)

والمرأة الغرناطية الأندلسية فكانت تتمتع بقسط واسع في الحياة الاجتماعية ، و كان لها دور كبير في الميادين السياسية والعلم والادب ففي المجال السياسي كان دورها كبير امثال مريم ام اسماعيل محظية يوسف الاول التي كان لها دور في خلع السلطان (محمد الخامس) عن الحكم، وكذلك نفوذ (عائشة الحرة) زوجة ابي الحسن علي ابن الاحمر وخليته (ثريا) التي أوقعت الخلاف بين ملوك العرش مما دفع ملك بني الاحمر نحو الهاوية ، اما من الناحية الادبية فقد اشتهرت العديد من النساء الأندلس في مدينة غرناطة بالشعر امثال (حمدونة بنت زياد) و(حفصة بنت الحاج الركونية) التي اشتهرتا بشعرهما في مملكة غرناطة^(٦٧) .

وفي البيت فكانت المرأة لزوجها في الأسرة التي تقوم بمساعدته في الاعمال اليومية كالغزل والصوف وتربية اطفالها في البيت ، اضافة الى اشتهارها بجمالها وهذا ما اكد عليه ابن الخطيب بقوله (وحریمهم حريم جميل موصوف بالاعتدال السمن وتنعيم الجسوم واسترسال الشعور...)^(٦٨).

والمطبخ الغرناطي وأكلاته فقد كانت غنية ومتنوعة عربية وبربرية فقد كانوا يطبخون الاكل المحلى ويأكلون الفواكه المتنوعة فهو طعام متواضع لدى الفقراء ومتنوع لدى الاغنياء ، كما كانوا يقومون بتجفيف الفاكهة كالعنب والتين والزيتون والتفاح والرمان والجرر واللوز... الخ ويطبخون على الفخار ويستخدمون الادوات النحاسية في الطبخ والمقالي والمواقد للخبز^(٦٩).

أما الملابس عند اهل الأندلس فقد كان اللباس الغالب عندهم على حد قول ابن الخطيب ((الملف المصبغ شتاء وتتفاضل اجناس البزرز منه بتفاصيل الجدات والمقادير والكتان والحريز

والقطن والارضية الافريقية والمقاطع التونسية والمآزر المشفوعة صيفاً ((^(٧٠)) فقد كان سكان مملكة غرناطة يلبسون الشاية التي هي معطف قصير من صوف يرتديه الرعاة في الجبال بقشتالة وشمالى اسبانيا ، كما كان اهل غرناطة يلبسون العمائم في غرب الأندلس ، اما في الشرق فقد جاء على لسان ابن سعيد بقولة ((واما زي اهل الأندلس فالغالب عليهم ترك العمائم لا سيما في الشرق الأندلس)) ، كما كانوا يلبسون الطيلسان يضعه اهل الأندلس على رؤسهم وخاصة الاشياخ المعظمون المصنوع من الصوف باللوان متعددة كالأصفر والأحمر والأخضر^(٧١) أما العامة فقد كانوا يرتدون الجبة الحريرية المصنوعة من القطن او الصوف أما البرنس المغربي المصنوع من افخر الاقمشة فكان أهل الأندلس يلبسه أيام السفر ، أما الخفاف فكان ينتعلون اخفافاً سوداء طرفها الأمامي مستطيل ومعقوف والصندل الجلدي والقباب الخشبي^(٧٢).

الخاتمة

لقد استخلصنا من البحث النتائج الآتية :-

- أولاً : موقف الدولة الايجابي من أجل رفع المستوى المعاشي للسكان وتقديم المعونات وتوفير فرص العمل إلى سكانهم .
- ثانياً : دور سلاطين بني نصر في المحافظة على القيم الدينية والإسلامية في الأندلس .
- ثالثاً: توفير المستلزمات الصحية ومياه الصرف للسكان .
- رابعاً : تشجيع الناس على العمل في الزراعة والصناعة والتجارة للرفع المستوى الاقتصادي للبلد.
- خامساً : صمود مملكة غرناطة بوجه التحديات الخارجية (الممالك النصرانية) قرنين ونصف ساعدها على تطوير الحياة الاجتماعية في المملكة .
- سادساً : دور الدولة بني نصر في رفع المستوى الثقافي لسكان المملكة .
- سابعاً : وفرت الدولة للعامة أماكن ترفيهية كالمتنزهات والقصور لراحة الفرد الغرناطي .
- ثامناً: إقامة العدل من قبل حكام المملكة لنشر العدل ورفع التظلمات عن العامة .
- تاسعاً: نشر الوعي الثقافي بين العامة خاصة أيام الأزمات .
- عاشرًا: دور المرأة الكبير في الحياة العامة في مملكة غرناطة بصورة خاصة والأندلس بصورة عامة.
- احدى عشر: حب أهل الأندلس في مملكة غرناطة لتنوع طعامهم ولباسهم.

هوامش البحث

(١) الحميري : محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ط١ ، تحقيق: إحسان عباس ، المكتبة اللبنانية ، بيروت ، ١٩٧٥م ، ٤٥؛ ابن بلقين : عبد الله ، مذكرات الأمير المعروف بكتاب التبيان (٤٦٩-٤٨٣ هـ) ، ط٢ ، تحقيق: ليفي بروفنسال ، تقديم: سليمان العطار ، ضبط: محمد زينهم محمد عزب ، دار المعارف، القاهرة ، ٢٠٠٨م ، ٣٢، ٢٢، ٢١ وما بعدها؛ للمزيد ينظر طويل : مريم قاسم ، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (٤٠٣-٤٨٣ هـ / ١٠١٢-١٠٩٠م) ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٤م ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ وما بعدها .

(*) زاوي ابن زيري الصنهاجي ابن اخي حبوس بن ماكس بن زيري بم مناد الصنهاجي التلكاني هو من قبيلة صنهاجة البربرية المشهورة ، ابن خلدون : عبد الرحمن ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م ، تاريخ ابن خلدون المسمى العبر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ط١ ، ضبط: خليل شحادة ، مراجعة : سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، ٢٠٠٠م ، ٦ / ٣١١ ، ٣١٢ ؛ ابن بلقين : مذكرات الأمير المعروف بكتاب التبيان ، ٢٢، ٢١؛ للمزيد ينظر ابن الخطيب ، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي ت ٧٧٦ هـ ، أعمال الإعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام ، ط١ ، تحقيق : كروي حسن ، دار الكتب ، بيروت ، ٢٠٠٣م ، ٢ / ٢١٠، ٢٠٩ .

(**) حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي التلكاني البربري: ابن الخطيب: أعمال الإعلام ، ٢ / ٢١١، ٢١٠؛ ابن بلقين : المصدر السابق ، ٢٣؛ ابن خلدون : العبر ، ٤ / ١٦٨ .

(***) عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس ابن ماكس بن زيري الصنهاجي للمزيد ينظر : ابن الخطيب : المصدر نفسه ، ٢ / ٢١٣، ٢١٢، ٢١٤؛ ابن بلقين: المصدر السابق ، ٣٠؛ للمزيد ينظر طويل : مريم قاسم ، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربري (٤٠٣-٤٨٣ هـ / ١٠١٢-١٠٩٠م) ، ٧٥ وما بعدها .

(****) المرابطون: هم من قبيلة لمتونة وهي بطن من بطون صنهاجة أعظم القبائل البربرية وهي رع من قبيلة البرانس الكبرى سكنوا في الشمال الإفريقي من المغرب الأوسط الى المغرب الأقصى سمي كذلك لأنهم كانوا يضعون اللثام على وجوههم لتقيهم الحر والبرد ؛

ابن الأثير :أبو الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت ٦٣٠ هـ ، الكامل في التاريخ ، ط١ ، تحقيق : علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠٤م ، ٨ / ٢٣٠ ، ١٣٨؛ مجهول: الحلل الموشية ، في ذكر الإخبار المراكشية، ط١ ، تحقيق، سهيل زكار وعبد القادر زمانه ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء بلاس ، ١٨ ؛ بروكلمان :كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ط١ ، تحقيق: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، دار الملايين ، بيروت ، بلاس ، ٣٣٢ .

(*****) الموحدون: مؤسس دولة الموحدون عبد الله بن تومرت المصمودي الذي يتصل نسبه بالحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، اطلع على علم أصول الدين واطلع على كتاب (الجفر) من علوم أهل البيت وانه رأى انه رجل يظهر بالمغرب الأقصى بمكان يسمى السوس من ذرية رسول الله اسمه المهدي ويعد المهدي ابن تومرت المؤسس الحقيقي للدولة الموحدية ؛ الصنهاجي : أبي بكر بن علي، إخبار المهدي بن تومرت وبداية الدولة الموحدية المعروف بالبيزق، بلا ط، دار المنصور، الرباط، ١٩٧١م ، ١١ وما بعدها ؛ المراكشي: عبد الواحد

الحياة الاجتماعية في الأندلس عهد مملكة غرناطة (٦٢٥-٨٩٧ هـ / ١٢٢٧-١٤٩١ م)
م. و. أفاق للأزم عبد اللطيف

ت ٦٧٤هـ، المعجب في تلخيص إخبار المغرب، بلا ط ، تحقيق: محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث، الجمهورية العربية المتحدة، ١٧٨، ١٩٦٣، وما بعدها.

(*****) العقاب: مدينة الأندلس تقع بين جيان وقلعة رباح هزم بها المسلمين عهد الموحدين عام ٦٠٩ هـ / ١٢١٢م في عهد محمد أبو عبد الله الناصر الموحدي ؛ ابن الأبار : أبي عبد الله محمد بن عبد الله إن أبي بكر القضاعي ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠م، ط١، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٦٣م، ٢/٢٢، ٢١؛ الحميري: الروض المعطار ، ٤١٦ ؛ الصلابي : علي محمد محمد، دولة الموحدين، ط١، مكتبة الإيمان ، بغداد ، ١٩٢ ، ١٩٣ وما بعدها لمزيد ينظر بخيت : رجب محمود ، تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط ط١، مكتبة الإيمان ، بغداد، ٢٠٠٩م، ٣٥٤، ٣٥٣، ٣٥٢، ٣٥٥.

(*****) قرطبة: قاعدة الأندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين تكثر بها الخيرات من الأسواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات لمزيد عن المدين ينظر :العذري :احمد بن عمر بن انس الدلائي، نصوص عن الأندلس ، بلا ط ، تحقيق: عبد العزيز اللاهوائي ، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، بلا س ، ١٢٨، ١٢١ الحميري : الصفة ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٤.

البكري : أبي عبيد ابن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمر ت ٤٨٧ هـ ، جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك ، ط١، تحقيق: عبد الرحمن الحجي ، دار الإرشاد ، بلا م، ١٩٦٨م، ١٠٠؛ الادريس : أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، بلا ط، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، ٢٠٠٢م، ٢ / ٥٧٤ ؛المراكشي المعجب : ٢٦٨.

(*****) شاطبة : مدينة تقع شرق قرطبة يصنع بها الورق على حد تعبير الإدريسي :نزهة المشتاق ، ٥٥٦/٢، كما تكثر بها الزروع والثمر الذي يصدر إلى بلاد السودان والبلاد الأخرى استولى عليها الروم عام ٦٤٥ هـ ؛ العذري : المصدر السابق ، ١٨ ؛ الحميري : الروض المعطار ، ٣٣٧ ؛ مجهول: تاريخ الأندلس، ط١، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٧م، ١٣٤.

(*****)دانية: مدينة تقع شرق الأندلس من أعمال بلنسية يكثر بها زراعة الكروم والتين والعنب ؛الحميري : الصفة ، ٧٦ ؛ العذري : المصدر السابق ، ١٠ ؛ البكري : المصدر السابق ، ٦٣ ؛ الادريس : المصدر السابق ، ٥٥٦/٢ ؛ ابن سعيد : أبا عبد الله محمد ابن إبراهيم ت ٦٨٥ هـ، المغرب في حلى المغرب ، ط١، تحقيق: ضيف شوقي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٣م، ٤٠٠/٢.

(*****) ابن الاحمر: هو عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر بن الاحمر الغالب بالله مؤسس الدولة النصرانية في غرناطة ، ابن خلدون : العبر ، ٤/٣٥٩ .

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، ٤ / ١٦٨ ؛ المقري : احمد محمد التلمساني ،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ط١، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨م ، ٦ / ٢٠٩.

(٣) ابن خلدون : المصدر السابق، ٤ / ١٦٧.

(٤) بخيت :المرجع السابق ، ٣٧٤ ، ٣٧٥.

(٥) الربيعي :أفراح ثجيل عيسى عنبر، الخدمات العامة في الأندلس منذ عبور المرابطين حتى سقوط غرناطة (٤٧٩-٨٩٧ هـ / ١٠٨٦-١٤٩٢ م)، رسالة ماجستير ، كلية لتربية للبنات ، بغداد ٢٠٠٧ ، ٦٩ ، ٧٠.

الحياة الاجتماعية في الأندلس عهد مملكة غرناطة (٦٢٥-٨٩٧ هـ / ١٢٢٧-١٤٩١ م)
م. و. أنافق للزم عبد اللطيف

- (٦) الفيكونت: دوشاتو بريان، آخر إخبار بني سراج، بلاط، مطبعة الميار، مصر، ١٩٢٥م، ١٢١.
- (٧) شبانه: محمد كمال، يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة، بلاط، لجنة البيان، القاهرة، ١٩٦٩م، ١١٤.
- (٨) الفيكونت: المصدر السابق، ١٢١.
- (٩) شبانه: المرجع السابق، ١١٤.
- (١٠) قنشورية: مدينة اندلسية اشتهرت بكثرة خيراتها للمزيد ينظر الحميري: الروض، ٧٥؛ شبانه: المرجع السابق، ١١١-١١٠.
- (١١) شبانه: المرجع السابق، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩.
- (١٢) ابن الخطيب:، الإعلام، ٢/٢٤٨؛ فرحات: يوسف شكري، غرناطة في ظل بني الأحمر، ط١، دار الجبل، بيروت، ١٩٩٣، ١١٤.
- (١٣) فرحات: المرجع السابق، ١١٤، ١٣٦.
- (١٤) عبد المعطي: جمال عبد الجبار، شعر الجهاد في الأندلس في ظل بني الأحمر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الأردنية، ١٩٨٥، ١٣٥.
- (١٥) فرحات: المرجع السابق، ١٣٦؛ خليل السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ط١، المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٤، ٣٥٨.
- (١٦) فرحات: المرجع السابق، ١١٤.
- (١٧) فرحات: المرجع السابق، ١٣٩.
- (١٨) وهم من قبائل زناته الداخلين للمغرب بعد انهيار الدولة الموحدية بها عام ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م؛ ابن زرع: الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، ١٦، ١٥، ١٤، ٢٦، ٢٥، ٢٤؛ طقوش: محمد سهيل، تاريخ المسلمين في الأندلس ط٣، دار النفائس، بيروت، ٢٠١٠م، ٥٩.
- (*) هو السلطان نصر بن محمد بن يوسف بن نصر الملقب أبا الجيوش ت ٧١٠ هـ؛ ابن الخطيب: أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي ت ٧٧٦ هـ، اللوحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية، مطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٧، ٥٧، ٥٩.
- (١٩) عنان: نهاية الأندلس، ع/٤٤، ١١٤، ١١٢.
- (٢٠) بلنسية مدينة تقع شرق الأندلس بينها وبين قرطبة ستة عشر يوماً وهي قاعدة الأندلس كثيرة الخيرات والتجارات وبها أسواق وقلاع تكثر بها الزراعات والأنهار ارضها سهلية رخيصة الأسعار كثيرة الفواكه جامعة لخيرات البر والبحر.
- (٢١) خايمي الاول الفاتح هو ملك ارغوان وبلنسية وميورقة امتد حكمه من سنة ١٢١٣ الى سنة ١٢٧٦ وهو من نسل الفونسو الاول كان له دور كبير في حروب الاسترداد الاسبانية على الاراضي الاندلسية للمزيد ينظر العذري: المصدر السابق، ١٧، ١٨؛ الحميري: المصدر السابق، ٤٧؛ المقري:، نفع الطيب، ٦٨، ١٠٥٢-١٥٤.
- (٢٢) فيرنيه: خوان، العلوم الفيزيائية والطبية والتقنية في الأندلس ط١، بحث ضمن كتاب تحرير سلمى الجيوسي مركز الوحدة العربية، ط١، بيروت، ١٩٩٨، ١٣١١/٢؛ السامرائي وآخرون: المصدر السابق، ٤٣٨.

الحياة الاجتماعية في الأندلس عبر مملكة غرناطة (٦٢٥-٨٩٧ هـ / ١٢٢٧-١٤٩١م)
م. و. أنافق للزم عبد اللطيف

- (٢٣) نفع الطيب: ١٥١/٣، ١٥٠؛ ارسلان: شكيب، الحل السندسية في الإخبار والآثار الأندلسية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ٢/٧٠.
- (٢٤) أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي ت ٧٧٦ هـ، الإحاطة في إخبار غرناطة، ط٤، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٢، ١/١٣٥.
- (٢٥) طويل: المرجع السابق، ٣٠٩؛ سجاد: سعد عبود، ابن حوقل دراسة تاريخية في كتابة صورة الأرض، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٨٧، ٢٠٨.
- (*) مألقة: مدينة اندلسية تقع جنوب الأندلس تطل على البحر المتوسط تكثر فيها الخيرات والزروع والاسواق، الحميري: المصدر السابق، ١٧٧؛ الأدريسي: المصدر السابق، ٢/٥٧٠.
- (٢٦) ابن الخطيب: الإحاطة، ١/٤٨٣؛ شبانه: المرجع السابق، ١٧٥؛ زكي: عبد الرحمن، غرناطة وأثارها الفاتحة، بلاط، المكتبة الثقافية، مصر، ١٩٧١، ٤٧؛ عنان: محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس (نهاية الأندلس)، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠، ٤/٥٦٧.
- (٢٧) الربيعي: المرجع السابق، ٧٠.
- (٢٨) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ٤٧٤.
- (٢٩) بشناوي: عادل سعيد، الأمة الأندلسية الشهيدة، ط١، المؤسسة العربية، بيروت، ٢٠٠٠م، ٧٤، ٧٦.
- (٣٠) ابن الخطيب: للمحة البيرية، ٢٤.
- (٣١) شبانه: المرجع السابق، ١٩٩.
- (٣٢) شبانه: المرجع السابق، ١٩٩؛ فرحات: المرجع السابق، ١٢١ص.
- (٣٣) الحجي: عبد الرحمن علي، تاريخ الأندلس، ط٧، دار القلم، دمشق، ٢٠١٠، ص ٦٠٣؛ شبانه: المرجع السابق، ص ١٠٠.
- (٣٤) المريّة مدينة بناها أمير المؤمنين الناصر الدين الله عبد الرحمن بن محمد سنة ٣٤٤ هـ تقع على البحر وفي عهد المرابطين أصبحت المريّة دار الصناعات المتنوعة كصناعة الحرير والديباج والصناعات النحاسية والحديد ٠٠٠ الخ وكانت تقصدها مراكب التجار من الإسكندرية والشام وتكثر فيها الخيرات والزرعات والفنادق؛ الحميري: الصفة، ١٨٤؛ الزهري: محمد بن أبي بكر، الجغرافية، بلاط، تحقيق: محمد حاج طارق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بلا س، ١٠٢؛ ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ٢/١٩٤ الفيكونت، أخر إخبار بني سراج؛ شبانه: المرجع السابق، ص ١٢١، ١٠٠.
- (٣٥) غرناطة من أعظم مدن الأندلس وأقدمها وهي قاعدة الدنيا وحاضرت السلطان وعرس مدنها تكثر فيها الرياض والبساتين والجنان؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ١/٩٢؛ مجهول: تاريخ الأندلس، ١٢٤.
- (٣٦) الفيكونت، أخر إخبار بني سراج؛ شبانه: المرجع السابق، ص ١٢١، ١٠٠.
- (٣٧) الفيكونت، أخر إخبار بني سراج، ١٢١؛ طويل، المرجع السابق، ٣١٠.
- (*) القيسارية عبارة عن أفنية واسعة محاطة بأروقة تظم محلات متواضعة إمام كل منها أعمر مسقوف؛ ليفي بروفنسال: تاريخ اسبانية الإسلامية من الفتح إلى سقوط غرناطة، بلاط، ترجمة: عبد الرؤوف البمبي وعلي إبراهيم

الحياة الاجتماعية في الأندلس عبر مملكة غرناطة (٦٢٥-٨٩٧ هـ / ١٢٣٧-١٤٩١ م)
م. و. آفاق للزم عبد اللطيف

البتوني والسيد عبد الظاهر عبد الله ، مراجعة : صلاح فضل ، المجلس الأعلى ، القاهرة ، ٢٠٠٢م، ج٢/مج٢/٢٠١.

(**) المحتسب هو الشخص الذي يعين من قبل القاضي يكون ذا نزاهة ومن المسلمين يعمل على تفقد الحرفين والتجار للاطمئنان على حاجات الناس وعدم تعطيلها للمحافظة على صحة المستهلك خصوصاً في المواد الغذائية هم يهتمون في مراقبة الطحن والصناعة الخبز كما وضعت الدولة عقوبات على من يتلاعب بالأوزان كما يراقب عملية السرقة في الأسواق والتدليس ومراقبة موزعي العملة والسيارة حرصاً منهم على سلامة الأعمال التجارية في الحدود والواجبات الدينية ومنعاً للاستغلال والاحتكار، دندش : عصمت عبد اللطيف ، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين (عصر الطوائف الثاني ٥١٠-٥٤٦ هـ / ١١١٦-١١٥١ م) ط١، دار الغرب الإسلامية ، بيروت ، ١٩٨٨م، ٢٠٤، ٢٠٢.

(***) محمد الأول أول سلاطين مملكة غرناطة أبو عبد الله محمد بن يوسف ابن محمد ابن احمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري الملقب بالغالب بالله ت ٦٧١ هـ ؛ ابن الخطيب : للمحة البدرية ، ٣٠ وما بعدها (٣٨) مالقة مدينة بالأندلس تقع على شاطئ البحر تقصدها المراكب التجارية لكثرت عمارتها وخيرتها ؛ الحميري : الصفة ، ١٧٨؛ مجهول : تاريخ الأندلس ، ١٢٢.

(٣٨) المالكي : زينب حمزة باس ، الحياة الزراعة في مملكة غرناطة(٦٣٥-١٢٣٨م / ٨٧٩ هـ -١٤٩٢م)، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات التاريخية ، جامعة البصرة ، ٢٠١٠م، ١٩٧، ١٩٩.

(****) الرطل يساوي ١٦ اوقية وهي تساوي ٣١،٣٨ جراماً؛ هنتس : فالتر ، المكييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنية، ١٩٨٠ ، ٤٤؛ ليفي بروفنسال : تاريخ اسبانيا الإسلامية ، ٢٢١.

(٣٩) الربيعي : المرجع السابق ، ٧١.

(٤٠) فرحات : المرجع السابق ، ١٥٦.

(٤١) ابن الخطيب : للمحة البدرية ، ٩٦؛ ألعتي وآخرون : تاريخ المغرب والأندلس ، ٥٨٥.

(٤٢) يوسف ابن إسماعيل بن فرج ابن إسماعيل ابن يوسف ابن نصر أبا الحجاج ت ٧٥٥ هـ ؛ ابن الخطيب : للمحة البدرية ، ٨٩ ، ٧٩.

(٤٣) شبانه : المرجع السابق، ٩٨.

(٤٤) زكي : غرناطة وأثارها الفاتنة، ٩٧؛ شبانه : المرجع السابق ، ١١٣.

(٤٥) المقرئ ، النفح ، ٦ / ١٨٦.

(٤٦) عبد المعطي : جمال عبد الجبار ، شعر الجهاد في الأندلس في ظل بني الأحمر ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الأردنية ، ١٩٨٥ ، ٤٢.

(٤٧) ابن الخطيب : الإحاطة ، ٢ / ٩٥، ٩٢؛ طقوش : المرجع السابق، ٥٤٨.

(٤٨) ابن الخطيب : الإحاطة ، ٢ / ١٣.

(٤٩) الصلابي : علي محمد محمد ، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي ط١، دار ابن كثير ، دمشق ، ٢٠٠٧ ، ٤٤٠؛ عبد المعطي ، المرجع السابق ، ٤٢.

- (٥٠) زكي : غرناطة وأثارها الفاتنة ، ٤٨، ٤٩، ٥١ .
- (٥١) فرحات ، المرجع السابق ، ٥٤ .
- (*) هو محمد بن محمد بن يوسف بن نصر محمد الفقيه ٦٧١-٧٠١ هـ / ١٢٧٣-١٣٠١ ثاني سلاطين دولة بني نصر ؛ ابن الخطيب: اللحة البدرية ، ٤٨ .
- (**) القصبه الحمراء هي قلعة عظيمة تبنى عادة فوق أعلى ربوه تشرف على المدينة تستعمل للسيطرة والدفاع عن المدن ومن أشهرها في مالقة وجبل طارق والمرية وشاطبة وبطليموس ومارده ؛ عنان : نهاية الأندلس ع / ٤٥٧ .
- (٥٢) زكي : غرناطة وأثارها الفاتنة ، ٣٦ .
- (٥٣) جبل طارق فيه خرج طارق بن زياد ومنه فتح الأندلس وهو عند الجزيرة الخضراء للمزيد ينظر الحميري : المصدر السابق ١٢١ ؛ العتبي وآخرون : تاريخ المغرب والأندلس ، ٥٧١ .
- (٥٤) تقع المدينة شرق شذونة وقبلي قرطبة وهي من اشرف المدن الأندلسية تقع على البحر جامعة لخيرات البر والبحر ؛ الزهري : الجغرافية ، ٩٤ ؛ العذري : نصوص عن الأندلس ، ١١٧ ؛ الحميري : الصفة ، ٧٤ .
- (٥٥) جبل خرج فيه طارق بن زياد ومنه افتتح الأندلس والمدينة قد بناها أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي المؤسس الحقيقي للدولة الموحدية في المغرب والأندلس ، الحميري ، الصفة ، ٢١ وما بعدها .
- (٥٦) ابن الخطيب : الإحاطة ، ١ / ١٤٢ .
- (٥٧) عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، بلا ط ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٩ م ، ٣٠٥ .
- (٥٨) مجهول: آخر إخبار غرناطة من كتاب نبذة العصر في إخبار ملوك بني نصر من القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، ط١ ، تحقيق: محمد رضوان الداية ، دار الفكر ، بيروت ، ٢٠٠٢ ، ٤٣ ، ٤٤ .
- (٥٩) الإحاطة : ١ / ١١٥ .
- (٦٠) مدينة في الأندلس بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام معناها المدينة المنبسطة تقع على النهر الكبير تكثر بها الحمامات ؛ الحميري : الصفة ، ١٨-١٩ ؛ البكري: المصدر السابق ، ١٠٧ ؛ المراكشي: عبد الواحد ت ٦٧٤ هـ ، المعجب في تلخيص إخبار المغرب ، ٢٧١ ، ٢٧٠ ؛ العذري، المصدر السابق ، ٩٥ .
- (٦١) فرحات : المرجع السابق ، ١١٥ .
- (٦٢) شبانه : المرجع السابق ، ٢٠٣ .
- (٦٣) هو من القصور الملكية التي بنيت خارج غرناطة عهد الموحدين أنشأه السيد أبو إسحاق بن يوسف الموحدي والي غرناطة عام ٦١٥ هـ / ١٨
- وأصبح في أيام ملوك بني نصر للضيافة والنتزه ؛ ابن الخطيب : الإحاطة ، ١ / ١١٩ ؛ ابن الخطيب: ، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي ت ٧٧٦ هـ ، مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس ، ط١ ، تحقيق: احمد مختار العبادي ، مطبعة جامعة الإسكندرية ، الإسكندرية ، ١٩٥٨ م ، ٦٣ .
- (٦٤) الإحاطة : ١ / ١٣٤ ؛ اللحة البدرية : ٣٨ .
- (٦٥) النفح : ٤ / ٤٠٧ .
- (٦٦) ابن الخطيب : اللحة البدرية ، ص ٨٤

- (٦٧) للمزيد ينظر الفيكونت: اخر بني سراج ، ص ٢٤٠ ؛ المقري: النفع الطيب، ج ٤ / ٣١٨ .
(٦٨) ابن الخطيب : اللحة البدرية ، ص ٤١ .
(٦٠) ابن الخطيب: اللحة البدرية ، ص ٥١ ؛ فرحات : المرجع السابق ، ص ١٠٧-١٠٨ .
(٧٠) اللحة البدرية : ص ٥٣؛ فرحات : المرجع السابق ، ص ١٠٧-١٠٨ .
(٧١) المقري : نفع ، ج ١/ص ٢٢٩ .
(٧٢) الفرحات : المرجع السابق ، ص ١٠٩-١١٠ .

المصادر والمراجع

- ابن الآبار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م)
 ١. الحلة السيرة ، ط ١ ، تحقيق ، حسين مؤنس ، دار المعارف ، لقاهرة ١٩٦٣ م.
 - البكري : أبي عبيد ابن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمر ت ٤٨٧ هـ
 ٢. جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك ، ط ١ ، تحقيق: عبد الرحمن الحجي ، دار الإرشاد ، بلا م ، ١٩٦٨ م.
 - ابن الأثير: أبو الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م)
 ٣. الكامل في التاريخ، ط ١ ، تحقيق: علي شبري، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ٢٠٠٤ م.
 - الادريسي : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت ٥٦٠ هـ / ١١٥٤ م)
 ٤. نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، ٢٠٠٢ م.
 - الحميري : ابو عبد الله محمد (ت ٧١٠ هـ / ١٣٠١ م)
 ٥. الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق : احسان عباس ، دار العلم، بيروت ، ١٩٧٥ م.
 ٦. صفة جزيرة الاندلس من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، ط ١ ، تحقيق: لافي بروفنسال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٣٧ م،
 - ابن الخطيب : لسان الدين محمد ابن عبد الله التلمساني (ت ٧٧٦ هـ / ١٢٧٤ م)
 ٧. الاحاطة في اخبار غرناطة ، ط ٤ ، تحقيق: محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ٢٠٠٢ م.
 ٨. أعمال الإعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، ط ١ ، تحقيق : كروي حسن ، دار الكتب ، بيروت ، ٢٠٠٣ م .

٩. اللحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية ، مطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤٧ م.
١٠. مشاهدات لسان الدين إن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس ، ط١، تحقيق: احمد مختار العبادي ، مطبعة جامعة الإسكندرية ، الإسكندرية ، ١٩٥٨ م.
- ابن خلدون : عبد الرحمن ابن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م)
١١. تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ط١، ضبط: خليل شحاذة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠ م.
- ابن أبي زرع : ابو الحسن علي بن محمد الفاسي (ت كان حياً سنة ٧٢٦ هـ)
١٢. الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، بلا-ط ، بلا - ت .
- الزهري : ابو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت بعد سنة ٥٤٥ هـ)
١٣. الجغرافية، بلا-ط، تحقيق: محمد حاج طارق، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بلا س.
- ابن سعيد : أبا عبد الله محمد ابن إبراهيم الحجاري ت ٦٨٥ هـ
١٤. المغرب في حلى المغرب ، ط١، تحقيق: ضيف شوقي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٣ م.
- الصنهاجي : أبي بكر بن علي .
١٥. إخبار المهدي بن تومرت وبداية الدولة الموحدية المعروف بالبيذق ، بلا ط، دار المنصور، الرباط ، ١٩٧١ م.
- العذري : احمد بن عمر بن انس الدلائي (٤٨٧ هـ / ١٠٨٥ م) .
١٦. نصوص عن الأندلس، بلا ط ، تحقيق: عبد العزيز اللاهوائي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد ، بلا س.
- المراكشي : عبد الواحد بن علي (ت ٦٧٤ هـ / ١٢٤٩ م).
١٧. المعجب في تلخيص إخبار المغرب ، بلا ط، تحقيق: محمد سعيد العريان ، لجنة إحياء التراث ، الجمهورية العربية المتحدة ، ١٩٦٣ م .
- عبد الله : مذكرات الأمير المعروف بكتاب التبيان (٤٦٩-٤٨٣ هـ)

١٨. ط٢، تحقيق: ليفي بروفينال ، تقديم: سليمان العطار ، ضبط: محمد زينهم محمد عزب ، دار المعارف ، القاهرة ، ٢٠٠٨ م.

• الفيكونت : دوشاتو بريان

١٩. آخر إخبار بني سراج ، بلاط، مطبعة المياري ، مصر ، ١٩٢٥ م.

• المقري : احمد محمد التلمساني (١٠٤١ هـ / ١٦٠٥ م)

٢٠. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ط١، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ م.

• مجهول عاش في القرن الرابع الهجري .

٢١. تاريخ الأندلس ، ط١، تحقيق : عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٧ م .

• مجهول .

٢٢. آخر إخبار غرناطة من كتاب نبذة العصر في إخبار ملوك بني نصر من القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، ط١، تحقيق: محمد رضوان الداية ، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢ م.

• مجهول

٢٣. الحلل الموشية ، في ذكر الإخبار المراكشية ، ط١، تحقيق ، سهيل زكار وعبد القادر زمانه، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء بلا س

المراجع الحديثة والرسائل

• أفراح ثجيل عيسى عنبر

١- الخدمات العامة في الأندلس منذ عبور المرابطين حتى سقوط غرناطة (٤٧٩ - ٨٩٧ هـ / ١٠٨٦ - ١٤٩٢ م)، رسالة ماجستير ، كلية لتربية للبنات ، بغداد ٢٠٠٧ م.

• ارسلان : شكيب

٢- الحلل السندسية في الإخبار والآثار الأندلسية ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧ م.

• بخيت : رجب محمود

٣- تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط ط١، مكتبة الإيمان ، بغداد، ٢٠٠٩ م.

• بروفينال : ليفي .

- ٤- تاريخ اسبانية الاسبانية الإسلامية من الفتح إلى سقوط غرناطة ، بلا ط، ترجمة: عبد الرؤوف البمبي وعلي إبراهيم البتوني والسيد عبد الظاهر عبد الله ، مراجعة : صلاح فضل ، المجلس الأعلى ، القاهرة ، ٢٠٠٢ م
- بروكلمان :كارل
- ٥- تاريخ الشعوب الإسلامية ، ط١، تحقيق: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، دار الملايين ، بيروت ، بلا س.
- بشناوة: عادل سعيد
- ٦- الأمة الأندلسية الشهيدة ، ط١، المؤسسة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٠ م.
- الحجى : عبد الرحمن علي
- ٧- تاريخ الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة ، ط٧، دار القلم ، دمشق ، ٢٠١٠ م.
- خليل إبراهيم السامرائي وآخرون
- ٨- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ط١، المدار الإسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٤ م.
- دندش : عصمت عبد اللطيف
- ٩- الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين (عصر الطوائف الثاني ٥١٠-٥٤٦ هـ / ١١١٦-١١٥١ م) ط١، دار الغرب الإسلامية ، بيروت ، ١٩٨٨ م.
- الربيعي :أفراح ثجيل عيسى عنبر.
- ١٠- الخدمات العامة في الأندلس منذ عبور المرابطين حتى سقوط غرناطة (٤٧٩ - ٨٩٧ هـ / ١٠٨٦ - ١٤٩٢ م)، رسالة ماجستير، كلية لتربية للبنات، بغداد ٢٠٠٧ م.
- زكي : عبد الرحمن.
- ١١- غرناطة وأثارها الفاتنة ، بلا ط، المكتبة الثقافية ، مصر ، ١٩٧١ م.
- سجاد : سعد عبود
- ١٢- ابن حوقل دراسة تاريخية في كتابة صورة الأرض ، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة ، ١٩٨٧
- شبانه : محمد كمال
- ١٣- يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة ، بلا ط ، لجنة البيان ، القاهرة ، ١٩٦٩ م.
- الصلابي : علي محمد محمد
- ١٤- تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي ط١، دار ابن كثير ، دمشق ، ٢٠٠٧ م.

- ١٥ - دولة الموحدين ، ط١ ، مكتبة الإيمان ، بغداد ، ١٩٩٣ .
- طقوش : محمد سهيل
- ١٦ - تاريخ المسلمين في الأندلس ط٣ ، دار النفائس ، بيروت ، ٢٠١٠ م .
- طويل : مريم قاسم
- ١٧ - مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربري (٤٠٣-٤٨٣ هـ / ١٠١٢-١٠٩٠ م) ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٤ م .
- عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي : تاريخ البحرية الإسلامية في
- ١٨ - المغرب والأندلس ، بلاط ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٩ م .
- عبد المعطي : جمال عبد الجبار
- ١٩ - شعر الجهاد في الأندلس في ظل بني الأحمر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٥ م .
- عنان : محمد عبد الله .
- ٢٠ - دولة الإسلام في الأندلس (نهاية الأندلس) ، ط٢ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٠ م .
- العتبي واخرون :
- ٢١ - تاريخ المغرب والأندلس ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، ٢٠٠٠ م .
- فرحات : يوسف شكري
- ٢٢ - غرناطة في ظل بني الأحمر ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٣ م .
- قيرنيه : خوان
- ٢٣ - العلوم الفيزيائية والطبية والتقنية في الأندلس ط١ ، تحرير سلمى الجبوسي مركز الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨ م .
- المالكي : زينب حمزة عباس
- ٢٤ - الحياة الزراعية في مملكة غرناطة (٦٣٥-١٢٣٨ م / ٨٧٩ هـ - ١٤٩٢ م) ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات التاريخية ، جامعة البصرة ، ٢٠١٠ م .
- هنتس : فالتر
- ٢٥ - المكايل والاوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة كامل العسلي ، منشورات الجامعة الاردنية ، ١٩٨٠ .

أخبار البويهيين من خلال "زين الأخبار" للجريزي "ت: ٤٤٣ هـ"
م. م ابتهاج محمد عبد الكريم

أخبار البويهيين من خلال "زين الأخبار" للجريزي "ت: ٤٤٣ هـ"

م. م ابتهاج محمد عبد الكريم

جامعة البصرة - مركز دراسات البصرة والخليج العربي

الملخص

يعد كتاب أبو سعيد عبدالحى الضحاك بن محمود الجريزي المتوفي سنة ٤٤٣ هـ. والمعروف بكتاب (زين الأخبار) هذا الكتاب من أبرز المصادر التي اعتمد عليه العديد من المؤرخين في ذكر أخبار البويهيين ونسبهم. بعدما اختلف المؤرخون في أصول البويهيين هل كانوا ذوي أصول عربية ام اعاجم بينما ذهب البعض منهم الى القول بأن البويهيين هم أتراك. لذا سوف يسلط هذا البحث في ذكر اصولهم ومن أين جاء لقب بويه واهم أخبارهم وكيف دخل البويهيين الى بغداد وأعلنوا الخلافة بها.

الكلمات المفتاحية: البويهيين، السامانيين، الجريزي، بغداد

أخبار البويهيين من خلال "زين الأخبار" للجرويزي "ت: ٤٤٣ هـ"
م. م. ابتهاج محمد عبد الكريم

Buyids news through "Zain Al-Akhbar" by Al-Jardizi "T: 443 AH"

M. M Ibtihal Muhammad Abdul Karim

University of Basra - Center for Basra and Arabian Gulf Studies

Abstract

Abu Saeed Abdulhai al-Dahak's book is the book of Abu Said Al-Dahak bin Mahmud al-Jardisi, who died in 443 Ah. Zain al-Akhbar is one of the most prominent sources on which many historians have relied on to mention the news and proportions of the Bohemians. After historians differed in the origins of the Bohemians, were they of Arab origin or dictionaries, while some argued that the Bohemians were Turks. This research will therefore highlight their origins, where the title of Boeh came from, their most important news, and how the Bohemians entered Baghdad and declared a caliphate

Key words: Bohemians, al-Jardis ,Baghdad

المقدمة

رفضت الشعوب التي دخلت تحت حكومة الدولة العربية الإسلامية التي كانت خاضعة للدولة الساسانية للتقسيمات الاجتماعية التي فرضها الأمويين عليهم وجعلهم مواطنين من الدرجة الثانية باعتبار أنهم أصحاب حضارة عريقة وتراث محمود؛ ولهذه الأسباب وغيرها استنقاد دعاة بني العباس من استقطاب الكثير منهم لصالح قضيتهم حتى ساعدوا في نجاح مساعي الثورة العباسية التي دعت (الرضا من آل محمد) ووعدت بفرض المساواة بين المسلمين جميعاً. وعلى كل حال لم يكتفي الفرس بنظام المساواة الذي إقامه به بنو العباس بعد نجاح الثورة؛ فأخذت طموحاتهم تزداد بخلط العنصر الفارسي بالخلافة أو تكوين إمارات مستقلة عن الدولة الإسلامية؛ فتشكل تيار مضاد عربي بزعامة الأمين و أمه زبيدة، وبلغ الصدام أشده بعد وفاة الرشيد بين التيار العربي الذي ذكرناه وبين المأمون - زعيم الحزب الفارسي-، وانتهى هذا الصدام بمقتل الأمين وتسلم المأمون لحكمه لحكومة الدولة الإسلامية .

وإضافة لكل هذا فقد تكونت إمارات وبرزت دعوات انفصالية كثيرة منها عصبية ومنها دينية ومنها مذهبية، ومن الدعوات التي ظهرت هي دعوة الحركات الزيدية والتي قامت في طبرستان وكانا لهذه الحركة التي خلفها زيد بن علي من خلال اخباره ويحيى ابنه في تلك البلاد كان لها وقع كبير وتجاوب مأهول، فقد أحب الناس القاطنين في تلك المناطق الواقعة بالقرب من بحر قزوين ومناطق أذربيجان افراد البيت العلوي وأعانوهم في مطالباتهم بحقوقهم السياسية والتي تعتبر من قبل البعض من ضروريات الدين الإسلامي و التي ابتلعت من قبل بني العباس، فأخذت الدعوات الزيدية تنتشر في تلك البلاد والمناطق بصورة كبيرة حتى ادمجت بالموروث الساساني والفارسي وتقربت إلى قلوب الناس حتى أصبحت اساس اعتناقهم للمذهب، ومن الاقوام التي اخذت على عاتقها الذب عن الحركات الزيدية العلوية في تلك المناطق هم الديالمة، فبرزت أسماء قادة الديلم في المصادر التاريخية كأبرز الشخصيات التي تزعمت جيوش تلك الحركات، ومن أفراد الديالمة الذين انطوا تحت ظلة الدعوات الزيدية هم أولاد بويه والذين ابتدأ مشوارهم كجنود افراد يؤتمرون بأمر القادة الكثيرين من اتباع المذهب الزيدي، ثم علا نجمهم فملكوا رقع واسعة من مفاصل الدولة الإسلامية ومنحوا الالقاب السلطانية و الخلع الثمينة وصاروا قوة لا يستهان بها حتى اجبروا الخلافة العباسية ومن حولها في الاعتراف بسلطانهم من جهه و منافسة الإمارات القائمة في بلدان المشرق الإسلامي من جهة أخرى ، لذا اهتمت المصادر التاريخية بذكر اخبارهم وحروبهم، واعتنت بذكر التفاصيل السياسية لإمارتهم المتعاقبة، فمن المصادر ما كان مختصاً بذكرهم ومن المصادر ما رأى من

الضرورة إيراد أخبارهم، وموضوع بحثنا عن أخبار الدولة البويهية الوارد في كتاب أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود الجرد يجزي المتوفى سنة ٤٤٣ هـ. والمعروف بـ "زين الأخبار". وكان من أبرز المصادر التي عولت عليها في هذه الدراسة هو كتاب "تجارب الأمم وتعاقب الهمم" لـ أحمد بن محمد مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ، وكتاب "المنتظم في تواريخ الملوك والأمم" لـ أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد المعروف بـ ابن الجوزي، المتوفى سنة: ٥٩٧ هـ. وكذلك كتاب: "الكامل في التاريخ" لـ عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم المعروف بـ ابن الأثير، والمتوفى سنة ٦٣٠ هـ".

قسمت الدراسة إلى مبحثين رئيسيين، فكان المبحث الأول مختصاً بالجريزي وما يتعلق باسمه وحياته وتأليفه للكتاب ثم ذكر المواضيع التي وردت فيه ومنهجيته، كذلك ذكرنا مقدمة عن البويهيين والآراء التي تحدثت عن نسبهم. أما المبحث الثاني فكان بعنوان "أخبار البويهيين من خلال كتاب زين الأخبار" وذكرنا فيه أهم الأخبار الواردة في كتاب الجريزي و المختصة بذكر البويهيين. وكانت من أبرز المعوقات التي واجهت الدراسة هو الاختصار الشديد الوارد عن الجريزي فيما يخص أخبار البويهيين واختلاف ألفاظها مع مصنفات التاريخ الأخرى، وقد اجتزناها بحمد الله ونعمته بهذه الوريقات عسى أن تنال رضا القارئ الكريم . والحمد لله رب العالمين

المبحث الأول:

أولاً: الجريزي: اسمه، كنيته، حياته:

أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود الجريزي^(١) وان اسمه هذا تم كشفه من عدة مواطن في كتابه "زين الأخبار" نفسه؛ فقد أغفل المؤرخين الحديث عنه والكتابة عن سيرته. ولقبه الجريزي نسبة إلى مدينة جريز، وهي ولاية بين غزنة والهند^(٢) جنوب شرقي مدينة كابل بأفغانستان وجنوب غرب جلال آباد وشرق غزنيين بالقرب من حدود وزيرستان على رأس الطريق بين غزنيين والهند.^(٣) ويبدو أنه عائش في غزنة بأفغانستان و كتب مصنفة فيها. فقد سُمي الكتاب "زين الأخبار" تيمناً بالسلطان عبد الرشيد بن السلطان محمود الغزنوي، وقد لقب السلطان عبدالرشيد بـ "زين الملة".^(٤)

حاولت مترجمة الكتاب "عفاف السيد زيدان" قدر الإمكان التعرف على شخصية مؤلف كتاب "زين الأخبار" والوقوف في حياته إلى أنها لم توفق بشكل كامل إلى بالاستعانة على الكتاب نفسه أو بالاعتماد على نسخ الكتاب المخطوطة في مكتبة الكلية الملكية في مدينة كامبريدج والتي نسخت عام "٩٠٣ أو ٩٣٠ هـ". كذلك بالاستعانة بالكتب المتأخرة مثل كتاب طبقات اكبري لنظام الدين

أحمد بن محمد مقيم الهروي. وأوردت ان نص الكتاب هو صحيح النسبة للجرديزي وفقاً لأصول النقد المعروفة وعدم وجود الشك الذي لم يتسرب إلى أحد من العلماء والدارسين والمحققين.^(٥)

ثانياً: منهجية ومحتوى كتاب زين الأخبار:

اشتمل كتاب الجرديزي على تسعة عشر باباً، ابتداءً الباب الأول بذكر طهمورث بن اينكهد والذي يذكر فيه أحداثاً غبية وأساطير تقضي بتسلط الشياطين على بني البشر، ثم ذكرى جمشيد بن ويونكهان متابعاً الذكر للملوك الذين حكموا بلاد فارس في العصور السحيقة حتى انتهى بـ زوبن طهماسب بن زوبن.^(٦) اما الباب الثاني فكان تحت عنوان: "الكيانيون" والذي تابع تعداده لملوك بلاد فارس مع ذكر سيرة مختصرة لكل واحد منهم وابتداءً بذكر كيقباز بن دع بودكا وكيكاسوس بن كيقباز "باني سمرقند" وانتهى بـ دارا بن داراب.^(٧) وكان الباب الثالث بعنوان: "ملوك الطوائف"، والباب الرابع حمل عنوان: "ملوك الساسانيين" وابتدأه بذكر أردشير الجامع بن بابك والذي قضى على ملوك الطوائف في بلاد فارس واسترسل في ذكر ملوك الساسانيين حتى انتهى بذكر قباذ بن فيروز.^(٨) والباب الخامس ذكر فيه الأكاسرة وبتدائه كانت لـ "توشيروان العادل" ومنتهاً بـ يزيدجرد بن شهريار وذكر فيه تفاصيل مقتله على يد ماهوى مرزبان^(٩) مدينة مرو ثم أختتم سيرة هذا الملك قائلاً: "واختتمت به مملكة العجم واستولى بعد ذلك على إيران وهي لا تزال في ايديهم حتى الآن، وستظل كذلك حتى يوم القيامة بمنة الله تعالى".^(١٠)

اما الباب السادس فكان تحت عبارة: جدول في تواريخ خلفاء وملوك الإسلام و ابتداءً بذكر النسب الطاهر للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) كما ألحق ذلك بجدول بين فيه أسماء أعمامه وعماته ونسائه وأبائهن وقبائلهن، وذكر أبناءه ودوابه وأسماءها ومواليه وغزواته. وهكذا استمر في ذكر التفاصيل الخاصة بالنبي (صلى الله عليه وآله) حتى سمى وزرائه بذكر كل من: أبو بكر وعمر بن الخطاب. ثم ذكره أن والد الرسول (صلى الله عليه وآله) توفاه الله وعمر الرسول شهرين، وتوفيت أمه وعمره أربعة أعوام. واكمل حتى ابتداءً بإشارة لخلافة أبي بكر وعمر وعثمان والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ثم اورد جدولاً بين من خلاله أسماء الخلفاء الراشدين الخمسة وكناهم وأنسابهم وألقاب وأسماء أمهاتهم ثم أسماء حجابهم وكتائبهم وتوقعات أختامهم وأعمارهم وسنة ابتداء خلافة كل واحد منهم ومدتها والحق هذا الجدول بجدول آخر ذكرى فيه حكام بني أمية منتهاً بذكر مروان بن محمد الحمار.^(١١)

والباب السابع كان بعنوان: "في أخبار خلفاء وملوك الإسلام"، وابتدأه بذكر أبو بكر مشيراً إلى ارتداد قبائل اليمامة، ثم ذكرى خلافة عمر بن الخطاب وإشارة مختصرة لمعركة القادسية، ثم خلافة عثمان بن عفان وذكر انه أول من إنشأ ديوان الجند.^(١٢) ثم ذكر خلافة الإمام أمير

المؤمنين علي ابن أبي طالب والإمام الحسن الذي تنازل عن الحكومة رغما عنه بسبب الحيل والخداع الذي يتبعه معاوية بن أبي سفيان الأموي ذلك الزمان.^(١٣) ثم ذكر "عصر ولاية بني أمية" والذي كان مختصراً جداً فأشار فيه إلى تسليم معاوية بن أبي سفيان للحكومة ثم تسلم مروان الحمار لها وسقوطها ودور أبو مسلم في ذلك ملحقاً ما أورده بجدول بين فيه أسماء الخلفاء العباسيين ذاكراً أسمائهم الكاملة وأسماء أمهاتهم وزرائهم وأسماء أشهر القضاة في عصر كل واحد منهم والكتّاب والحجّاب ونقوش أختامهم وأعمارهم وسني ابتداء الخلافة وعهودهم، وهذا الجدول ابتداء بذكر أبو العباس السفاح وانتهى فيه بـ القائم بأمر الله، ثم ذكر الباب الخلافة ودولة بني العباس وأن المتمعن في كتاب "زين الاخبار" يرى أن الأخبار الواردة في هذا الباب كان فيها القليل من التفصيل على عكس ما ورد في الصفحات المتعلقة بذكر خلفاء بني أمية ولعل ذلك راجع إلى عوامل سياسية حسب رأينا.

ولم ينتهي الباب السابع إلى هنا وإنما أكمله بذكر أخبار أمراء خراسان، وأورد جدولاً كاملاً في ذلك، كما ذكره إمارة كل واحد منهم مبيناً أهم الأحداث التاريخية لكل واحد منهم، وكانت الأخبار مبتدأه بذكر أبو مسلم الخراساني ومنتهية بذكر مودود بن مسعود^(١٤).^(١٥) وهذا الفصل - الفصل السابع - فيه معلومات ثرة لمن أراد التعمق في أخبار خراسان وبلاد فارس؛ فقد ذكر ولاية الطاهريين على مدينة خراسان كطاهر بن الحسين وطلحة بن طاهر وعبد الله بن طاهر وطاهر بن عبد الله ومحمد بن طاهر ثم ذكر فتنة يعقوب بن الليث مؤسس إمارة الصفارية وعمرو بن الليث. ثم تحدث بالتفصيل عن ولاية السامانيين وأنسابهم وإمارة كل واحد منهم، وتعتبر إيرادات الجرديزي مهمة جداً لطالب التاريخ في هذه الفترة وذلك انه أورد في نهاية ذكره للأمير أبو الفوارس عبد الملك بن نوح ما نصه: "ولكن هذه الأخبار عن يمين الدولة رأيت أكثرها رأى العين، ماذا فعل الأمير محمود رحمه الله في الهند أستان؟ ماذا فعل في النيمروز وخراسان وخورزم؟ وكيف فتح القلاع في العراق؟ وبأي طريقة قطع الصحاري وعبر الفيافي وصعد الجبال وطوى الطرق الوعرة المخيفة؟ وكيف حارب؟ وكيف قهر عظماء الملوك؟ ثم يذكر أبي القاسم محمود بن ناصر الدين ويلحقه بجملة: "أطال الله بقاءه وأدام عزه وسلطانه وثبته ملكه وكب عداه" مما يعني انه شهد معظم أحداث تلك الحقبة مما يُعطي صورة واضحة لمجمل أحداثها والتي يكتنفها الغموض أحياناً أو أنها محاطة بالندرة بسبب قلة المعلومات الواصل إلينا؛ بسبب عدم اكتراث الكثير من المؤرخين للأحداث السياسية والاجتماعية لتلك البقعة الجغرافية أو ضياع الكثير من الموارد المعلوماتية التي تخص هذا الجانب بسبب الفوضى السياسية أو لقلة نشاطات الترجمة المختصة بهذا الجانب.

كما أورد عدة أخبار سياسية تحت عنوان: "بداية الترك السلاجقة" والتي ذكر فيها أخباراً عن الأمير محمود الغزنوي حتى ذكر ولاية الأمير جلال الدولة محمد بن يمين الدولة، ثم مسعود بن يمين الدولة ثم ولاية الأمير مودود بن ناصر .

أما الباب الثامن فذكر فيه كيفية استخراج التواريخ الأربعة^(١٦) أحدها من الآخر، كما أورد جدولاً للأعياد وأسبابها وأورد لها باباً كاملاً وهو الباب التاسع والذي ذكر فيه مجموعة من الحوادث والأعياد الشيعية كوصول رأس الإمام الحسين إلى دمشق ويوم حملة ومقتل زيد بن علي ولادة السيدة فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ووقت وفاتها وولادة الإمام الحسين ويوم المباهلة وفاة أبي طالب عم النبي (صلى الله عليه وآله).^(١٧)

والباب العاشر كان فيما يختص بأعياد اليهود، والباب الحادي عشر في أسبابها، والباب الثاني عشر في أعياد النصارى، والثالث عشر في أعياد المجوس والرابع عشر في شرحها والباب الخامس عشر في أعياد الهند والسادس عشر في شرحها. وأما الباب السابع عشر فكان مختصاً بالمعارف والأنساب، وفيه ذكر لأحوال وأنساب الترك والخلخ^(١٨) والكيماك واليغمانية والخرخيز والغز وغيرها. الباب الثامن عشر كان في معارف الروم والتاسع عشر في معارف الهند.

ثالثاً: البويهيون نسبهم وابتداء أمرهم:

قبل الخوض في غمار كتاب زين الأخبار لابد لنا من أن نذكر لمحة عن بني بوية وابتداء أمرهم . والبويهيون مختلف حوله نسبهم؛ فأورد الصابي أنهم من أصول عربية من خلال انتسابهم إلى بهرام بن الضحاك بن الأبيض بن ضبة بن أد.^(١٩) كما أورد ابن مأكولا "وأما بويه بفتح الواو وسكون الياء التي تليها وهي معجمة باثنتين من تحتها فهو أبو شجاع بويه بن فنا خسرو بن تمام بن كوهي بن شيرزيل الأصغر بن شير كذه بن شيرزيل الأكبر بن شيران شاه شيرفنه بن سستان شاه بن سسن فرو بن شروزيل بن سسنادر بن بهرام جور الملك ابن يزدجر الملك بن هرمز الملك كرمانشاه بن سابور الملك بن سابور ذي الاكتاف بن هرمز الملك بن نرسي الملك بن بهرام الملك بن بهرام الملك ابن هرمز الملك بن سابور الملك بن ارد شير الملك الجامع بن بابك بن ساسان الأصغر بن بابك بن ساسان الأكبر، بقية النسب مشهور، هو أبوي الملك عماد الدولة ابن الحسن علي وركن الدولة وما عز الدولة وأولادهم ملوك الديلم ومن ولده بوي بن الحسن بن بويه."^(٢٠) ونقول انه إيراد ابن ما كولا هذا أصبح في ما بعد مادة للنسابة والمؤرخين في ارجاع البويهيين إلى أنسابهم ؛ فقد اعتمده ابن الجوزي،^(٢١) وابن الأثير،^(٢٢) وابن خلدون^(٢٣) والذي رأى أن هذا النسب مدخول معللاً أن الرياسة على قوم لا تكون في غير اهل بلدهم .

وذكر القلقشندي عند ذكره لبلاد الديلم، أورد: "وهم جيل من الأعاجم سكنوا هذه البلاد فعرفت بهم، وبعض الناس يزعم أنهم من العرب من بني ضبة ومنهم كان بنو بويه القائمون على خلفاء بني العباس ببغداد".^(٢٤) أما الزبيدي فيذكر في تعريفه للديلم: هم أصحاب الشور الأعاجم من بلاد الشرق. وقال كراع: هم الترك وهم بنو الديلم بن باسل بن ضبة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر، قاله ابن الكلبي^(٢٥)، وضعهم بعض ملوك العجم في تلك الجبال فربلوا بها.^(٢٦) أما ابن طباطبا^(٢٧) فيرى غير ذلك كله، فأورد: أما نسبهم فيرتفع من بويه الى واحد من ملوك الفرس حتى يتصل بيهودا بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم الخليل وكذلك آدم أبو البشر ، وليسوا من الديلم وإنما سمو بالديلم لأنهم سكنوا بلاد الديلم. وهنا يطرح سؤال لابن طباطبا الا وهو كيف ينتهي نسبهم إلى واحد من ملوك الفرس وهم ليسوا من الديلم؟ وما صحة ارجاع نسب ملوك الفرس إلى السامية؟

وكباحث في التاريخ الإسلامي أرى استحالة قبول الرأي القاضي بأنهم من احفاد الأسر الملوكية والساسانية؛ وذلك أنهم يمتنون الصيد والحطابة، حتى روت بعض المصادر أنه أبا شجاع فناخسرو لا يمتلك دينارين في شبابه!!^(٢٨) وهذا لا يتماشى مع السنن السائدة عندهم ذلك الزمان والتي تقتضي برفع وتقديم الأسر الساسانية واصحاب الدم الملكي. ويتبين لنا مما تقدم أنهم أسرة من الديالمة امتهنوا الصيد وغيرها من الأعمال الشاقة ثم عملوا كمرتزقة لتأمين حياتهم المعيشية -كحال معظم الديالمة. وعلى كل حال لا يمكننا قبول رأي الصابي أيضا؛ فمن المؤكد انه مدفوع بعوامل سياسية خصوصا إطلاق صراحه من قبل صمصام الدولة بعد أن حبسه ضد الدولة بسبب آرائه ورسائله.

تكاد أن تجمع المصادر التاريخية إلى ذكر حادثة غبية تروي مستقبل تسلم بني بويه للسلطة ألا وهي أن أبا شجاع رأى في منامة أنه يبول ويخرج من ذكره نار عظيمة استطالت وعلت حتى كادت تبلع السماء ثم انفجرت وصارت ثلاث شعب وتولد من تلك الشعب عدة شعب ، فأضاءت الدنيا بنيرانها ثم رأى العباد والبلاد خاضعين لتلك البلاد مسلمين طائعين ، فلما قص هذه الرؤيا على منجم اخبره أنه يكون له ثلاثة أولاد يملكون الأرض ومن عليها ويعلو ذكهم في الآفاق كما علت تلك النار ويولد لهم جماعة ملوك بقدر ما رأى من تلك الشعب.^(٢٩)

وفي قصة علو نجم آل بويه انه بعد سيطرة العلويين على منطقة طبرستان وانتزاعها من أيدي السامانيين انضوى أولاد بويه تحت قيادة الاطروشي واعتقوا المذهب الزيدي كحال معظم الديلم وقادتهم، ومنهم ماكان بن كالي^(٣٠) (الذي كان قائد أولاد بويه) ولى بن النعمان^(٣١) وأسفار بن شيرويه^(٣٢) ومرداويج بن زيار^(٣٣).

وفي ذكر سعود نجم علي بن بوي اورد ابن الأثير : "خرج من بلاد الديلم جماعة تقدم ذكرهم لتملك البلاد منهم ماكان بن كالي وليلى بن النعمان وأسفار بن شيرويه ومرداويج بن زيار وخرج مع كل واحد منهم خلق كثير من الديلم وخرج أولاد أبي شجاع في جملة من خرج وكانوا من جملة قواد ما كان بن كالي".^(٣٤) وبقي أولاد بويه ينتقلون تحت أمرة القواد الديالمة إلا أن أهلتهم خبراتهم العسكرية على أن يكون أمراء في جيش ما كان بن كالي. وبعد سوء العلاقة بين مرداويج وماكان ودخول الأول مدينة طبرستان رأى بنو بويه ضرورة انسحابهم من معسكر ما كان لضعفه وعجزه فاستأذنه و لحقوا بمر داويج فأحسن إليهم و كتب لهم العهود ومنها تولية علي بن بويه منطقة الكرج.^(٣٥) وساروا إلى الري وبها حينئذ وشمكير بن زيار - أخ مر داويج- و وزيره الحسين بن محمد الملقب بالعميد، وحدث ان ندم مرداويج على تولية أولاد بويه فارسل إلى أخيه وشمكير يأمره بمنعهم من المسير إلى أعمالهم إلى أنه وزير وشمكير لما قرأ كتاب مرداويج أرسل علي بن بويه يستحثه بالسرعة إلى عمله، فلما بلغ ابن بويه الكرج أطلع وشمكير على الرسالة و أشار عليه بعدم اتخاذ إجراءات متسرة فتركه. وفي مقابل ذلك روت المصادر بحسن سيرة علي بن بويه في أعماله فارسل الناس إلى مرداويج يشكرونه على توليته إياه واصفين سياسة الضبط التي اتبعتها علي بن بويه في مدنهم وقراهم، ثم أن علي بن بويه اتبع سياسة اللين وإغداق العطايا والحلم على رعيته فمالوا إليه وطاعه .

واستوحش مرداويج من هذه الأمور وعظمت عليه هذه الأمر فإنه اخذ يفكر في القادة الذين أنفذهم منافسين له في المنطقة ذاتها فارسل إليهم طالبا قدومهم عليه، فخشي بعض القادة ممن إستأمنوا وانسحبوا من ما كان للمرداويج على أنفسهم فكان من حنكة علي بن بويه أن يأخذ العهود منهم لمظاهرة مرداويج فأجابوه جميعهم فجبى مال كرج واستأمن إليه شيرزاد وهو من اعيان قواد الديلم فقويت نفسه بذلك وسار بهم عن كرج إلى اصبهان وبها المظفر بن ياقوت في نحو من عشرة آلاف مقاتل وعلى خراجها أبو علي بن رستم فارسل علي بن بويه إليهما يستعظفهما ويستأذنهما في الانحياز إليهما والدخول في طاعة الخليفة ليمضي إلى الحضرة ببغداد فلم يجيباه إلى ذلك وبرز ابن ياقوت عن اصبهان ثلاثة فراسخ وكان في أصحابه جيل وديلم بمقدار ستمائة رجل فاستأمنوا إلى علي بن بويه ومن معه لما بلغهم من كرمه، فضعف قلب ابن ياقوت وقوي جنان ابن بويه فواقعه واقتتلوا قتالا شديدا فإن هذا من أبناء ياقوت واستولى عماد الدولة على اصبهان وعظما في عيون الناس لأنه كان في تسعمائة رجل هزم بهم ما يقارب عشرة آلاف رجل، وبلغ ذلك الخليفة القاهر بالله فاستعظمه وبلغ خبر هذه الواقعة مرداويج فأقلقه وخاف على ما بيده من البلاد واغتم غما أن شديدا.^(٣٦)

المبحث الثاني: أخبار البويهيين من خلال كتاب زين الأخبار

ذكرى دخول البويهيين بغداد:

ورد أول ذكر لبني بويه في كتاب الجرديزي عند ذكره لخلافة المستكفي^(٣٧) " ٢٩٢-٣٣٨هـ"،
أورد: "هو أبو القاسم عبد الله بن علي المكتفي، وقد ظل في الخلافة ستة عشر عاما ثم سلموا
عينيه وخلعوه؛ فقد أرسل توزون - وكانوا يقبونه بأمر الأمراء - نفرا من عنده سلموا عيني المكتفي
حتى كف بصره وخلعوه، وقد مات وهو على هذا النحو، وحينما سمع أبو الحسين أحمد بن بويه هذا
الخبر قدم من الأهواز إلى بغداد وأبعد الترك عنها فاستعانوا بأبي محمد الحسن بن أبي الهيجاء^(٣٨)،
فقدم الحسن معهم إلى بغداد وحاربوا أبا الحسين أحمد بن بويه ودامت الحرب أربعة أشهر، وهزم ابن
الحمداني والترك ورجعوا إلى الموصل، واستولى أبو الحسين بن بويه على بغداد وقام بأعمال
المستكفي وارسل العاملين إلى كل مكان". وهذا السرد مختلف عند باقي المؤرخين فابن الأثير أورد
عند ذكره لاستيلاء معز الدولة على بغداد: لما كاتب ينال كوشة معز الدولة بن بويه وهو بالأهواز
ودخل في طاعته سار معز الدولة نحوه فأضطرب الناس ببغداد فلما وصل إلى باجسرى اختفى
المستكفي بالله وابن شير زاد وكانت إمارته ثلاثة أشهر وعشرين يوما فلما استتر سار الأتراك إلى
الموصل فلما أبعدها ظهر المستكفي وعاد إلى بغداد إلى دار الخلافة وقدم أبو محمد الحسن بن محمد
المهلبى صاحب معز الدولة إلى بغداد فاجتمع بأبن شيرزاد بالمكان الذي استتر فيه، ثم اجتمع
بالمستكفي فإظهر المستكفي السرور بقدوم معز الدولة واعلمه أنه إنما استتر من الأتراك ليتفرقوا
فيحصل الأمر لمعز الدولة بلا قتال . ووصل معز الدولة إلى بغداد فنزل بباب الشماسية ودخل من
الغد إلى الخليفة المستكفي وبايعه وحلف له المستكفي وسأله معز الدولة أن يأذن لابن شير زاد
بالظهور وأن يأذن أن يستكتبه، فأجابته إلى ذلك فظهر ابنه شير زاد ولقي معز الدولة فولاه الخراج
وجباية الأموال وخلع الخليفة على معز الدولة ولقبه ذلك اليوم معز الدولة ولقب أخاه عليا عماد
الدولة ولقب أخاه الحسن ركن الدولة وأمر أن تضرب ألقابهم وكناهم على الدينار والدراهم.^(٣٩)
وأشبهه مادة تاريخية صادفتها تشابه ما أورده الجرديزي هو ما أورده الزركلي في ذكر خلافة المتقي
بالله، أورد: المتقي لله (٢٩٧-٣٥٧هـ / ٩١٠-٩٦٨م) إبراهيم بن المقتر بالله جعفر بناء المحتوى قد
بلغ أحمد بن موفق بن المتوكل أبو إسحاق خليفة عباسي ولي الخلافة بعد موت أخيه الراضي بالله
سنة ٣٢٩هـ ودامت خلافته أربع سنين إلا شهرا وأيام كان فيها المسيطرون على الملك في أيام سلفه
مسيطرون عليه، غير انه وفق لاستبدال اشخاص بأشخاص وكان موصوفا بالصلاح والتقوى، يقول:
نديمي المصحف. وفي أيامه تولى إمارة الأمراء (توزون) التركي (سنة ٣٣١هـ) و خافه المتقي
فخرج باهله من بغداد عاصمته إلى الموصل ومنها إلى الرقة. وتوزون يأمر وينهى. وفي سنة

٣٣٣هـ بعث الى توزون يستأمنه، فاقسم له بالأمان، فركب الفرات وبلغ السندية فقبض عليه توزون وخلعه، وسمل عينيه، وجيء به الى بغداد، فسجن وهو أعمى إلى أن مات. ^(٤٠)

ذكرى الجرديزي لتردي الوضع الاقتصادي في بغداد عشية دخول البويهيين بغداد :

يرد الجرديزي قائلاً : "وفي عهد المستكفي زادت الأسعار في بغداد وتقشي الوباء ومات كثير من الناس وحينما رحل أحمد بن بويه من بغداد قل الوباء وانخفضت الأسعار و رخصة الغلات وكثرت." ^(٤١) والاستفادة من هذا النص تأتي بوجهين اثنين؛ طاولهما وقوع الغلاء والمجاعات في بغداد عشية دخول البويهيين بغداد وهذا من الثوابت التاريخية؛ فتناول هذا الموضوع الكثير من المؤرخين لكنهم اختلفوا في تحديد المشكلة وسببها، فابن مسكويه ^(٤٢) رجع سبب ذلك إلى قيام معز الدولة باقتطاع السلطان والمستترين وحقوق بيت المال لجنده وقواعده وخواصه، الأمر الذي أدى إلى ضياع حقوق الرعية ثم انه استخرج الاموال من غير محالها الشرعية، فصارت أرض العراق السواد مغلقة وزالت أيدي العمال عنها الأمر الذي أدى إلى الاستغناء عن أكثر الدواوين حتى جمعت الأعمال كلها في ديوان واحد. كما أوعز أن سوء التدبير هذا أدى إلى سوء العاقبة وخراب البلاد وفساد العسكر وسوء النظام؛ فإنه بني على أصول خارجة عن الصواب. وازافة ابن مسكويه أن الأمر لم يقتصر إلى ذلك وحسب إنما قام ابن بويه في مسامحة الوزراء المقتطعين وقبل منهم الرشاي ثم قبل الشفاعة في وقت لم يكن مناسباً في الوقت الذي اقطع فيه الجند الاقطاعات كان السعر مفرط للغلاء والقحط، فتمسك الرباحون بما في أيديهم من اقطاعاتهم. كما اضاف ^(٤٣): "ثم ركب معز الدولة الهوى في امور غلمانة فتوسع في إقطاعاتهم وزياداتهم وإسراف في تمويلهم وتخويلهم فتعذر عليه أن يذخر ذخيرة لنوائبه أو أن يستفضل شيئاً من ارتفاع ولم تزل مؤنته تزيد ومواده تنقص حتى حصل عليه عجز لم يكن واقفا على حد منه بل يتضاعف تضاعفا متقافما وأدى ذلك على مر السنين إلى الإخلال بالديلم فيما يستحقون من اموالهم وداخلتهم المنافسة للأتراك من أجل حسن احوالهم. وقادت الضرورة إلى ارتباط الأتراك وزيادة تقريبيهم والاستظهار بهم على الديلم وبحسب انصراف العناية إلى هؤلاء ووقوع التقصير في أمور أولئك فسدت النيات وفسد الفريقان اما الأتراك فبالطمع والضرارة وأما الديلم فبالضر والمسكنة واشربوا إلى الفتن وصارت هذه المعاملة لقاحا لها وسببا لوقوع ما وقع والثاني هو تلاشي حدوث الغلاء بمجرد انسحابهم منها." هذا وأورد الهمداني ^(٤٤): "وقد استولى ناصر الدولة على السفن وجعلها بالجانب الشرقي فلحق الناس بجانب الغربي مجاعة شديدة وكانت الأسعار بالشرقي رخيصة والقرامطة من اصحاب ناصر الدولة يعبرون ويجولون بين الديلم وبين الغلات فابتاع وكيل معز الدولة له كر دقيق بعد الجهد بعشرين الف درهم" ثم أضاف ^(٤٥): "قال بعضهم رأيت امرأة تقول أنا بنت ابن قرابة ومعي حلي وجواهر تزيد على الف

دينار فمن يأخذها ويسقيني شربة ماء؟ فما جابها احد وماتت وما فتشها أحد لشغل كل إنسان بنفسه وأمره معز الدولة برفع السيف والكف من النهب^{٤٦}، والواضح من كلام الهمداني انه يحمل ناصر الدولة ومن معه مشكلة ارتفاع الأسعار و المجاعة التي حصلت. أما ابن كثير^(٤٦) فقد أورد عدة أحداث ذكر فيها وقوع المجاعات في بغداد وانتشار الأوبئة وأكل الجراد للمحاصيل الزراعية لكنه أرخها جميعا إلى ما قبل دخول البويهيين بغداد.

مراسيم الاعتراف بالأمراء البويهيين:

وثاني الأخبار التي ورد فيها ذكر للبويهيين عند الجريزي هو في ذكره للخليفة العباسي المطيع لله^{٤٧} "٣٣٤-٣٦٣هـ"، أورد: "حينما تولى الخلافة ضبط أبو الحسين أحمد بن بويه كل أعماله، وأمر فأقاموا جسرا على دجلة، وأصلح الضياع التي تخربت من قبل، وأظهر الخير في أمور الرعية، ورفع نظام السجون والتعذيب، وقضى على العادات السيئة التي أستنها الاتراك، ووضع علي الحسن بن أبي الهيجاء - الذي كان رئيسا للترك وكان مقيما بالموصل وأتى أيضا هذه الأعمال - وضع عليه جباية وافرة كان يرسلها كل شهر إلى الخزينة، وقد لقبوا علي بن بويه بعمادة الدولة وأبا الحسين بمعز الدولة وحسناً بركن الدولة." ^(٤٧) و خلاصة الرواية أن المطيع لله هو من خلع على بني بويه وأعطى لهم الألقاب في حين يرى كثير من المؤرخين أن المستكفي هو من فعل ذلك قبل دخولهم لبغداد لانتصارهم بعد سمل عيني المكتفي. ومن المؤرخين الذين ذكروا ذلك:

١. ابن مسكويه: أورد أخبار إطلاق الخلع والألقاب عليهم في زمن المستكفي، ومما جاء في كلامه: ثم لبس الامير الخلع وكنى ولقب بمعز الدولة ولقب اخوه أبو الحسن علي بن بويه بعماد الدولة واخوه أبو علي الحسن بن بويه بركن الدولة وأمر أن تضرب القابهم وكناهم على الدنانير والدرهم وانصرف بالخلع إلى دار مؤنس." ^(٤٨)

٢. ابن الجوزي: أورد ودخل أبو الحسين فلقبي المستكفي بالله ووقف بين يديه طويلا وأخذت عليه البيعة للمستكفي، واستحلف له بغلظ الايمان ولخواصه، وحلف المستكفي لأبي الحسين بن بويه وأخويه، وكتب بذلك كتاب، ووقعت فيه الشهادة عليهما، ولبس أبو الحسين الخلع، وطوق، وسور، وعقد له لواء، وجعل أمير الأمراء وهو أول ملوك بني بويه، ولقب اخواه الأكبر علي عماد الدولة، وأخوه الأوسط أبو علي الحسن ركن الدولة، وأمر أن تضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير والدرهم." ^(٤٩)

٣- ابن كثير: أورد ^(٥٠): "واقبل معز الدولة أحمد بن الحسن بن بوي في جحافل عظيمة من الجيوش قاصدا بغداد فلما اقترب منها بعثة إليه الخليفة المستسفي بالله الهداية والإنزالات، وقال للرسول: أخبره إنني مسرور به، وإني أنا ما اختفيت من شر الاتراك الذين انصرفوا إلى الموصل

وبعث إليه في الخلع والتحف ودخل معز الدولة بغداد في جمادى الأولى من هذه السنة بنزلها في باب الشماسية، ودخل من الغد إلى الخليفة فبايعه ودخل عليه المستشفى والقهوة في معز الدولة والقضاء أخاه أبا الحسن بعماد الدولة و أخاه أبا علي الحسن بركن الدولة.

ذكر التنافس البويهي - البويهي على بغداد:

كذلك من الأخبار التي وردت فيها ذكر للبويهيين هو ما يخص بختيار البويهي الذي صاهر الخليفة الطائع، فيذكر انه أطلع عمه الحسن بن بويه على افعال سبكتكين جاشني الذي عاش فسادًا طالبا العون من ابن عمه فناخسروا من بلاد فارس، فارسل الحسن بن بويه ابن العميد للحرب في دير العاقول وتناظر سبكتكين لحربهم لكن المنية وأفته وبعد أربعة أيام. ثم يورد أن أحداث وقعت بين بختيار والترك في واسط حتى فر الترك قاصدين بغداد ويذكر حدوث معركة حامية الوطيس والتي كان على اثرها انسحاب الترك من بغداد الى الموصل ودخول أبو شجاع فناخسرو الى بغداد.^(٥١) وهذا الخبر وارد عند ابن الجوزي^(٥٢) فذكر: "ثم ان عز الدولة أدخل يده في اقطاع سبكتكين، فجمع سبكتكين الاتراك الذين ببغداد، ودعاهم إلى طاعته فأجابوه، وراسل أبا إسحاق بن معز الدولة يعلمه بالحال، ويطعمه أن يعقد له الأمر، فاستشار والدته، فمنعته من ذلك، فصار إليها من ببغداد من الديلم، وصوبوا لها محاربة سبكتكين، فحاربوه فقهرهم واستولى على ما كان ببغداد لعز الدولة، وثارَت العامة تنصر سبكتكين، وبعث سبكتكين إلى عز الدولة يقول له: أن الأمر قد خرج عن يدك، فاخرج لي عن واسط وبغداد ليكونا أي وتكون البصرة والاهواز لك، ولا تفتح بيننا باب حرب، وكتب عز الدولة إلى عضد الدولة يساعده ويستجده، فمأطله بذلك، ثم أن الناس صاروا حزبين، فأهل التشيع ينادون بشعار عز الدولة والديلم، وأهل السنة ينادون بشعار سبكتكين والأترك، واتصلت الحروب، وسفكت الدماء، وكبست المنازل، و أحرق الكرخ حريقة ثانية." وهنا يتبين لنا التضاد في مجموع روايتين؛ فالجريزي يرى أنه سبكتكين أظهر العصيان وسرق المال وخزائن السلاح وأفسد، كما ذكر انه كان يغير على بيوت أهل الصلاح فيسفكون الدم ويسلبون أموال الناس ويعتدون على أعراضهم ومحارمهم. في حين يرى ابن الجوزي ان سبكتكين ثار لإدخال بختيار يده في إقطاعه أو إن جذر المشكلة كان طائفيًا مبيناً ذلك من الشعارات التي هتف بها الجيشان وكانت السبب في ميولهم وهي الجبهتين السنية المتمثلة بسبكتكين والشيعية المتمثلة بعز الدولة بختيار وابن عمه أبي شجاع.^(٥٣)

ويورد الجريزي: "وقدم أبو شجاع الى بغداد وأقام فيها، وأسمعوا أبا شجاع أخبارا عن بختيار، وأنه كان حقير النفس، وضعيع الهمة، خسيس الطبع، فنصحه أبو شجاع عدة مرات ولكن دون فائدة وكان أبو شجاع رجلا جادة مستتير الرأي ذكي الطبع فحبس بختيار واستولوا على أمواله وأعماله.

وحيثما وصلت أخبار باختيار وأبي شجاع إلى عمهما الحسن بن بويه اغتم وتكدر، وبكى وأغلق الباب على نفسه، ولم يعط أذنا بالمثل بين يديه في البلاط، وكتب رسالة، وأرسل رسولا إلى أبي شجاع هو أبو الفتح بن العميد، واهتم أبو الفتح اهتماما بالغا، فكف يد أبي شجاع عن اختيار، ورد إليه أمواله وولايته وكتب باختيار رسالة إلى العم يشكر فيها أبا شجاع، ورجع أبو شجاع إلى فارس. (٥٤)

واختلف ابن الأثير مع الجريزي في نقل الخبر المتعلق بسوء العلاقة بين أبو شجاع واختيار، فيرى ان أبو شجاع قبض على عز الدولة باختيار وإخوته سنة ٣٦٤ هـ لفرض سيطرته والانفراد ببغداد، الامر الذي يدعا المرزبان بن عز الدولة باختيار والذي كان واليا على البصرة في أن يكاتب ركن الدولة، فذكرى ما نصه: وكان عضد الدولة قد طمع في العراق استضعف باختيار وإنما خاف أباه ركن الدولة فوضع جند باختيار على أن يثوروا به ويشغبوا عليه ويطالبوه بأموالهم والإحسان لأجل صبرهم فقابل الاتراك ففعلوا ذلك وبالغوا، وكان باختيار لا يملك قليلا ولا كثيرا وقد نهب البعض واخرج هو الباقي والبلاد خراب فلا تصل يده الى أخذ شيء منها. وأشار عضد الدولة على اختيار بترك الالتفات اليهم والغلظة لهم عليهم ووعدده انه إذا فعل ذلك توسط الحال بينهم على ما يريد، فظن باختيار انه ناصح له مشفق عليه ففعل ذلك واستعفى من الإمارة وأغلق باب داره وصرف كتابه وحجابه فراسله عضد الدولة ظاهرا بمحضر من مقدمي الجند يشير عليه بمقاربتهم وتطيب قلوبهم وكان أوصاه سرا ان لا يقبل منه ذلك فعمل باختيار بما أوصاه وقال لست اميرا لهم ولا بيني وبينهم معاملة وقد برئت منهم فترددت الرسل بينهم ثلاثة ايام وعضد الدولة يغريهم به الشغب يزيد وارسل باختيار إليه يطلب نجاز ما وعده به ففرق الجند على عدة جميلة واستدعى باختيار وإخوته إليه فقبض عليهم ووكل بهم جمع الناس واعلمهم استعفاء باختيار عن الإمارة عجزا عنها ووعددهم بالإحسان والنظر في امورهم فسكنوا إلى قوله وكان قبضه على باختيار في السادس والعشرين من جمادى الآخرة. (٥٥)

كما أورد: " لما قبض على باختيار كان ولده المرزبان (٥٦) بالبصرة متوليا لها فلما بلغه قبض والده امتنع فيها على عضد الدولة وكتب إلى ركن الدولة يشكو ما جرى على والده و عميه من عضد الدولة ومن أبي الفتح بن العميد ويذكر له الحيلة التي تمت عليه، فلما سمع ركن الدولة ذلك ألقى نفسه عن سريره إلى الأرض وتمرغ عليها وامتنع من الأكل والشرب عدة أيام و مرض مرضا لم يستقل منه باقي حياته. " (٥٧)

وأورد الجريزي: ولقب الطائع أبا الفتح الكاتب بذى الكفائيتين (٥٨) ويقولون: إن أبا شجاع كان رجل متكبرا مغرورا، كتبوا له في قصاصة: أن العسكر نزل في قصر ولم يكن له حق في النزول،

فكتب أبو شجاع على ظهر القصاصه الجواب: (سأريكم آياتي فلا تستعجلون). وكانت مكاتبات أبي الفتح بن العميد وأبي جعفر أحمد بن الحسين العتبي^(٥٩) ذات منزلية؛ فقد توسط كلا الكاتبين بين آل بويه والسامانيين، والقوا بينهم المودة والألفة وأزالوا الوحشة.^(٦٠)

دور البويهيين في تنصيب الخليفة القادر وعزل الطائع:

كما أورد الجريزي أسفل ذكره للخليفة القادر بالله ما نصه: "كان أبو نصر بهاء الدولة ابن عضد الدولة عدوا للطائع، وكانا دائما يتحدث عن مساوئه ويبحث عن عيوبه، وكان دائم التدبير ضده، ولكن لم يكن قد آن وقت القضاء، وقد مكنت بنت بختيار - التي كانت زوجة للطائع - لأبي نصر، حتى دخل قصره، وحمل ما أراد من متاعه وخرج، وتواطأ مع الرعية، وخلعوا الطائع في شعبان سنة احدى وثمانين وثلاثمائة. وظللت الخلافة شاغرة ثلاثة وعشرين يوما فلم يكن احد يصلح لها، وأرسل أبو نصر بهاء الدولة رسولا، فأحضروا احمد بن إسحاق بن المقتدر من بطائح اليمن، وكان ينزل لدى أمير اليمن متكررا، وقد أفاض في إكرامه وعقده معه العهود وفي اليوم الذي وصل فيه قاصدا بهاء الدولة كان قد شرب في قصر أمير اليمن وناما ثملين وحينما وصل هذا الخبر اعد له الامير الركائب من الدواب والفرش والأواني والخدم وسيره من اليمن إلى بغداد معززا مكرما. وحينما وصل إلى بغداد اسماه (أبو نصر بهاء الدولة): القادر بالله، وولاه الخلافة. وكان القادر شديد الذكاء والمكر، مستنير الرأي، ولشدة مكره ودهائه سموه: ابن دمنة، وكان غاية في الذكاء. وحينما استقرت له امور الخلافة أحضر الطائع لمناذمته، وأجرى امورا كان أولها: أنه جعل ابنه أبا الفضل وليا لعهد، ولقبه: الغالب بالله، واشهد حجاج خراسان وعظماء العراق على هذا. ومات أبو الفوارس بن عضد الدولة في بغداد في جمادى الاخر سنة تسع وسبعين وثلاثمائة، وجلس مكانه بهاء الدين وضياء الملة وغيث الأمة أبو نصر شفيق عضد الدولة، واخرج الجيش الذي كان في فارس مع صمصام الدولة وباكاليجار من قلعة كبول واستولى على فارس وعاداه الترك. ثم ذهب إليه أبو علي ابن أبي الفوارس عضد الدولة الملقب بقمر الدولة، وحاربهم صمصام الدولة وهزمهم، فرجعوا الى بغداد، وشنت عدة حروب بين باكاليجار وأبي نصر حتى تخربت اكثر مدن الاهواز والبصرة. وفكر جماعة من أهل فارس أن يصعدوا القلعة، فقد حبسوا أبناء بختيار فيها، وأن يفكوا قيود أبناء بختيار وأن يخرجوهم منها، وهكذا فعلوا، وخرج أبناء بختيار، واضطربت مدينة فارس بسبب خروجهم، وخالف الجيش بعضه بعضا. وأراد باكاليجار أن يحاربهم فلم يستطع، وتغلبوا عليه، وقبضوا عليه وقطعوا رأسه. وحينما وصل هذا الخبر إلى بهاء الدولة أراد أن يثار له فاخرج أبناء بختيار من هذه النواحي، وهرب سالار بن بختيار، وذهب إلى كرمال وكان زعيمهم، وقد لقبوه بنور الدولة، فتبعه بهاء الدولة وقتل سالار غلمانة في واشهر، وحملوا رأسه وأحضروها الى بهاء الدولة. وحينما رأى

ذلك اشأزت نفسه وامر فسلخوا جلود هولاء الغلمان الذين قطعوا رأس سالار وصلبوهم، وأمر فنادوا في الجيش: إن هذا جزاء من يمد يده الى سيده، ولا يخاف الله عزوجل، وينسى حقوق سيده ويكفر بنعمته. (٦١)

ونستخلص عدة حوادث من هذا السرد وهي كالتالي:

١. تواطئ بنت باختيار زوجة الطائع مع أبي ناصر بهاء الدولة بن عضد الدولة للإطاحة به الطائع وهذا ما تم فعلا فذكره ابن مسكويه والذي رأى أن ذلك كان بالتواطؤ مع أبي الحسن المعلم. (٦٢) وأورده ابن الجوزي (٦٣) مع عدم ذكر لتواطؤ زوجته أو أي شخص آخر ولا ذكر لسكر القادر في اليمن وإنما اورد انه كان مختبئا بالبطيحة. وهذا ما أورده ابن الأثير أيضا. (٦٤)

٢. ذكر قتل الخدم لسالر بن بختيار الملقب بنور الدولة. وهذا الخبر كان مختصرا جدا عند الجريزي.

٣. ذكر ولاية عهد أبي الفضل الغالب بالله ابن الطائع لله، وهذه المادة وردت عند ابن مسكويه في حوادث ٣٩١هـ، واورد ما نصه (٦٥): " وفي يوم الاحد الخامس منه جلس الخليفة القادر بالله أطل الله بقاءه للحاج الخراسانية واعلمهم انه قد جعل الامير أبا الفضل ابنه ولي عهده ولقبه: الغالب بالله، وقرأت عليهم الكتب المنشأة بذلك. " وفي مراسيم التنصيب أورد (٦٦): جلس على السدة العالية بثياب سود متقلدا سيفا بحمائل في البيت المعروف ببيت الرصاص، وبين يديه نهر يجري الماء فيه إلى دجلة، ودخل إليه الأشراف و القضاة والشهود والفقهاء واهل خراسان العائدون من الحج وقرئ في المجلس على رؤوس الملاء كتاب بتقليده أبا الفضل ولده العهد بعده وتلقيبه الغالب بالله تعالى ولا غالب إلا الله وحده لا شريك له، وكان له من السن في هذا الوقت ثماني سنين وأربعة اشهر وأيام. وكتب إلى البلاد بأن يخطب له بعده على نسخة قررت بحضرته وكانت بعد إتمام الدعاء له: اللهم وبلغه الأمل في ولده أبي الفضل الغالب بالله تعالى ولي عهده في المسلمين. اللهم وال من والاه من العباد وعادي من عادة في الأقطار والبلاد، وانصر من نصره بالحق والسداد، وأخذل من خذله بالغي والعتاد. اللهم ثبت دولته وشعاره وانبذ إلى من نابذ الحق وأنصاره >>".

٤. ذكر الموت أبو الفوارس بن عضد الدولة في بغداد في جمادى الآخرة سنة ٣٧٩هـ، والخبر وارد عند ابن الجوزي. (٦٧)

تجدد الإشارة أن الجريزي لم يوفق في مراعاة التسلسل الزمني في سرد الاحداث فاعتمد ذكر الأمراء والولاء والحكام ثم اورد الأحداث الخاصة بكل فرد منهم، فعندما يورد حكم خلفاء بني العباس يذكر تحت كل فترة واحد منهم اهم الاحداث التي جرت في عصرة وعند انتقاله لسرد الأحداث الخاصة بالسامانيين فإنه يرجع تارة أخرى إلى نفس الزمان والوقائع التي ذكرها من قبل.

الخلاف بين الحسن بن بويه وعبد الملك بن نوح الساماني:

ونذكر ما أورده الجرديزي بذكر الخلاف السياسي والعسكري الذي نشب بين الحسن بن بويه وابن العميد الوزير من جهة وعبد الملك بن نوح الساماني من جهة أخرى، وأورد^(٦٨) " أرسل الحسن بن بويه أبا الفتح بن العميد إلى أصفهان، وحارب وقبض على ابن ماكان، وأرسله إلى قلعة أركان، ولم يره أحد مرة أخرى، وكان فتح أصفهان هذا في شهر ربيع الأول سنة أربع وأربعين وثلاثمائة، وقصد الحسن بن بويه گرگان، وجاء الخبر إلى بكر بن مالك^(٦٩)، وقدم الحسين فيروزان إلى حدود جاجرم، وحينما سمع عبد الملك بن نوح هذه الأخبار، جميع جيوش وأرسلها إلى بكر بن مالك، في آزدوار، ولم يصمد الحسن بن بويه وأبو علي لحرب بكر بن مالك، وذهبوا إلى طبرستان، ودعا سعيد مالك أبا الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور أن يستعد في نيسابور، وقدمت رسالة الحسن ابن بويه وأبي علي الصاغانى إلى علي بن المرزبان، طلبوا الصلح مع أبي سعيد بكر ابن مالك، وضمن الحسن أن يرسل من الري وكور الجبال كل عام مائتي ألف دينار، وهدايا أخرى، وأن يمدد الأسمطة والموائد، ولا يزاحم وشمكير في امر طبرستان، توسط علي بن المرزبان، وتم الصلح على هذا النحو، وأرسل الحسن مال الصلاح والهدايا، وحقنت الدماء ورفع العدا، واستقام أمر خراسان، وكتب المطيع رسالة إلى الحسن ابن بويه، ولم يرضه هذا الصلح الذي يتم بين الجانبين دون حد السيف وقال: ذلك عطاء جيش خراسان كل عام على قرار سنة أربع وأربعين وثلاثمائة.

ونستخلص من هذه المادة نشوب الصراع بين السامانيين بقيادة بكر بن مالك من جهة والبويهيين بقيادة الحسن بن بويه من جهة أخرى، وهذه المادة وردت مقتضبة جدا عند الجرديزي ولم تكن كذلك عند ابن الأثير، فأورد ما نصه^(٧٠): " في هذه السنة خرج عسكر خراسان إلى الري وبها ركن الدولة كان قد قدمها من جرجان أول المحرم فكتب إلى أخيه معز الدولة يستمده فأمده بعسكر مقدمهم الحاجب سبكتكين وسير من خراسان عسكرا آخر إلى أصبهان على طريق المفازة وبها الامير أبو منصور بويه بن ركن الدولة. فلما بلغه خبرهم سار عن أصبهان بالخزائن والحرم التي لأبيه فبلغوا خان لجان وكان مقدم العسكر الخراساني محمد بن ماكان فوصلوا إلى أصبهان فدخلوها وخرج ابن ماكان منها في طلب بويه فادرك الخزائن فأخذها وسار في أثره، وكان من لطف من الله به أن الاستاذ أبا الفضل بن العميد وزير ركن الدولة اتصل بهم في تلك الساعة فعارض ابن ماكان وقاتله فانهم أصحاب ابن العميد عنه واشتغل أصحاب ابن ماكان بالتهب.

قال ابن العميد فبقيت وحدي وأردت اللحاق بأصحابي ففكرت وقلت: باي وجه ألقى صاحبي وقد اسلمت أولاده واهله وأمواله وملكه ونجوت بنفسي فرأيت القتل أيسر علي من ذلك فوقفتم و عسكر ابن ماكان ينهب ائقالي وائقال عسكري فلحق بابن العميد نفر من أصحابه ووقفوا معه واتاهم

غيرهم فاجتمع معهم جماعة فحمل على الخراسانيين وهم مشغولون بالتهب وصاحوا فانهمز الخراسانيين فأخذوا من بين قتيل وأسير وأسروا ابن ماكان وأحضر عند ابن العميد، وسار ابن العميد إلى أصبهان فاخرج من كان بها من أصحاب ابن ماكان وأعاد أولاد ركن الدولة وحرمه إلى أصبهان واستنقذ أمواله. ثم أنا ركن الدولة راسل بكر بن مالك صاحب جيوش خراسان واستماله ، فاصطلحا على مال يحمله ركن الدولة إليه ويكون الري وبلد الجبل بأسره مع ركن الدولة وأرسل ركن الدولة إلى أخيه معز الدولة يطلب خلعا ولواء بولاية خراسان بن مالك فارسل إليه ذلك.

ذكر مرض الحسن بن بويه ووفاته

أشار الجريدي إلى مرض الحسن بن بويه ووفاته في الري في الخامس من محرم الحرام سنة ٣٦٦هـ، بعدما وزع تركته على أبنائه وأقضى بكل أسراره إلى أبي شجاع فناخسرو. (٧١) وخبر وفاة ركن الدولة وارد عند الجوزي ضمن حوادث ست وستين وثلاثمائة ولم يذكر أفضاء ركن الدولة إليه بالأسرار وإنما أورد: فوجد عضد الدولة طريقا إلى ماكان يخفيه من قصد العراق. (٧٢) وذكر ذلك أيضا ابن الأثير وأورد: "في هذه السنة في المحرم توفي ركن الدولة أبو علي الحسن بن بويه واستخلف على ممالكة ابنه عضد الدولة وكان ابتداء مرضه حين سمع بقبض بختيار ابن أخيه معز الدولة." (٧٣) وذكره ابن كثير فأورد : فيها توفي ركن الدولة بن علي بن بويه وقد جاوز التسعين سنة، وكانت أيام ولايته نيفا وأربعين سنة، وقبل موته بسنة قسم ملكه بين أولاده. (٧٤)

ذكر الحرب بين السامانيين والبويهيين زمن امارة الرضي أبو القاسم نوح بن منصور (٧٥) :

يورد الجريدي إرسال أبو الحسين العتبي فائقا (٧٦) وقابوس (٧٧) وعددا آخر من قواد الجيش الساماني الى جرجان لحرب البويهيين، كما يذكر إرسال أبو شجاع فناخسروا إلى شقيقه مؤيد الدولة الكتب طالبا المدد لملاقاة جيش تاش (٧٨) ، فكان المدد مكون من "٧ آلاف مقاتل" موزعين على جانبين: أربعة الاف لثلاثة، الأمر الذي أدى الى اندحار تاش ورجوعه إلى خراسان وعزيمة البويهيين الدخول إلى خراسان في إثر المهزومين الا أن اموت أبي شجاع فناخسرو حال دون ذلك فتوقف الجيش. (٧٩)

وهذه المادة وردت عند ابن الأثير (٨٠) مع ذكر ان مؤيد الدولة قد استمال فائقا إلى جانبه فأجابه الاخير للانضمام ووفى بذلك الأمر الذي ادى إلى هزيمة قوات السامانيين.

كما اورد الجريدي خبر اندحار تاش المسنود من قبل أبو الفوارس بن أبي شجاع شيردل شرف الدولة واقتحام نيسابور من قبل السامانيين سنة ٣٧٧هـ، وهذا الخبر يخص الانقسامات التي حدثت بين قواد جيش السامانيين نفسه، وإن ما أراد الجريدي إيصاله هو ان البويهيين استغلوا الفرصة كي يذكوا نار الحرب داخل صفوف الجيش الساماني وان ممن ذكروا دعم البويهيين لأطراف قادة

السامانيين ما أورده النرشخي^(٨١)، أورد: "وجرت بينه- يقصد سيجمور - وبين تاش حروب. وتحول تاش عن السامانيين بسبب عزله وقتل الوزير ابن العتبي، ولجا إلى فخر الدولة الديلمي، فاحتفى به فخر الدولة وسلمه كركان وذهب هو إلى الري وظل تاش حتى سنة تسع وسبعين وثلاثمائة."

الخاتمة

من خلال دراستنا لموضوع "أخبار البويهيين من خلال "زين الأخبار" للجريزي "ت: ٤٤٣هـ" نستطيع ان نوجز اهم النتائج التي تمخضت وتوصلت اليها الدراسة وهي كالآتي:

١- البويهيون طائفة من الديالمة، امتهنوا الصيد والحطابة وتأثروا بالدعوة الزيدية في بلاد فارس وما حولها وانضوا تحت ظلها، ساعدت الظروف في لمعان نجمهم بالصعود السياسي يقابل ذلك الحنكة السياسية والمقدرة الفريدة التي تجلت عند علي بن بويه وإخوانه جعلته يتسلك السلم السياسي والعسكري ويفرض رئاسته بفترة قصيرة جدا.

٢- وردت أخبار الدولة البويهية وما يخصها عند الجريزي بصورة مختصرة جداً وبألفاظ يسيرة وأن كتابة الجريزي لأخبار بعض الخلفاء العباسيين و أمراء خراسان والأمراء السامانيين أجبرته للإشارة على اخبارهم وبعض قضاياهم؛ فتكاد أن تكون كل كتاباته في هذا الجانب ضمنية وليست رئيسية.

٣- على الرغم من الاختلاف السياسي بين السامانيين والبويهيين فإننا نجد أن الجريزي تجرد عن المساس والكتابة بالضد من الأسرة البويهية في الحال الذي نراه من مؤيدي الأسرة السلمانية، مما يجعله مؤرخاً معتدلاً، فمثلا عند ذكره لتردي الأوضاع الاقتصادية ابان دخول البويهيين بغداد؛ لم يقتصر ذكر الخبر عند الجريزي فحسب وإنما اوراده الكثير من المؤرخين الذين كتبوا عن تلك الفترة. يضاف الى ذلك انه أورد بعض تواريخ بعض الأعياد التي يحتفل بها الشيعة الزيدية والعلويين.

٤- اهتمام الجريزي بذكر الأخبار التي تخص ملوك العجم وبلاد فارس واغفاله عن ذكر وقائع وقصص الأنبياء المرتبطة بالقرآن الكريم على عكس ما لمسناه عند مؤرخي القرن الرابع و الخامس الهجريين كالطبري واليعقوبي والمسعودي، وكأن الكتاب اختص بذكر الاخبار السياسية في بلاد فارس وما حولها أو انه كان الغرض من الكتاب كان اجتماعيا لكسب رضا الأمير الرشيد حسبما رأته عفاف السيد زيدان مترجمة الكتاب، وهذه النقطة تجعل الكتاب غير مؤهل للقيام بدراسات مقارنة في جوانب ومفاصل التاريخ في تلك البقعة الجغرافية الا فيما يخص السامانيين وأمراء ولاية خراسان.

٥- لم يراعى الجريزي التسلسل الزمني في نقل الأحداث، وإنما سجل مادته التاريخية حسب تكوين جداول؛ كجدول الخلفاء العباسيين أو جدول أمراء خراسان وجود وجدول الأمراء السامانيين مما يجعل المعلومات في الكتاب متناثرة تحتاج إلى جهد بالغ في إعادة جمعها و ترتيبها للخروج بمادة تاريخية موحدة.

٦- عاصر الجريزي فترة من اشد فترات التاريخ الإسلامي حرجاً ألا وهي فترة القرن الرابع والخامس الهجريين، وهذه الفترة مليئة بالأحداث المتشعبة والتفاصيل الدقيقة، والرغم من دقة الأحداث الواصلة إلينا إلى أنها مغلفة بالندرة؛ لغياب الكثير من عمالقة الكتابة في التاريخ، وبروز طبقة من الكتاب تعنتي بي حركة الترجمة والكلاميات. واقتصر الكثير من المؤرخين على الكتابة في امور الخلافة وما يخصها كذلك الأغفال الكبير من لدن مؤرخين كثيرين آخرين للكتابة في القضايا السياسية في بلدان المشرق الإسلامي وكأنها مسألة إقليمية.

٧- ندرة الأخبار المختصة بالأمور الاقتصادية والاجتماعية في كتاب الجريزي مما يجعل الكتاب غير مؤهل للعمل بدراسات مقارنة من هذا الجانب.

الهوامش

- ١- سورة آل عمران/ ١٠٢.
- ٢- انظر: الجريزي، أبو سعيد عبدالحى بن الضحاك بن محمود، ت: ٤٤٣ هـ، زين الأخبار، تح: عفاف السيد زيدان، بلا ط، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٦م، ص ٢٥؛ ص ٢٣٨.
- ٣- انظر: الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله، ت: ٦٢٦ هـ، معجم البلدان، بلا ت، بلا ط، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م، ج ٤، ص ٤٥٠.
- ٤- الجريزي، المصدر السابق نفسه. (مقدمة المترجمة).
- ٥- الجريزي، المصدر السابق نفسه. (مقدمة المترجمة).
- ٦- انظر: الجريزي، زين الأخبار، ص ٢٦-٢٧ (مقدمة المترجمة).
- ٧- انظر: الجريزي، زين الأخبار، ص ٤٧-٥٣.
- ٨- انظر: الجريزي، زين الأخبار، ص ٥٧-٦٣.
- ٩- انظر: الجريزي، زين الأخبار، ص ٧١-٨٣.
- ١٠- المرزبان: بضم الميم والزاي هو الفارس الشجاع المقدم على القوم وهو معرب معناه حافظ الثغور، انظر: ابن حزم، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد، ت: ٤٥٦ هـ المحلي، تح: احمد محمد شاكر، بلا ط، دار الفكر، بلا ت، ج ٧، ص ٣٢٦ هامشاً.
- ١١- انظر: الجريزي، زين الأخبار، ص ٩٠.
- ١٢- انظر: الجريزي، زين الأخبار، ص ٩٥-١٠٨.

- ١٣- انظر: الجريزي، زين الأخبار، ص ١٠٦، والمعروف في مصادر التاريخ ان اول من انشأ ديوان الجند كان عمر بن الخطاب، انظر: الماوردي، علي بن محمد البغدادي، ت: ٤٥٠هـ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط ٢، دار التعاون للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ١٤٨.
- ١٤- انظر: الجريزي، زين الأخبار، ص ١٠٨.
- ١٥- مودود بن مسعود: بن محمود بن سبكتكين، أبو الفتح الغزنوي: من سلاطين آل سبكتكين بغزنة، مولده ووفاته فيها. كان في عهد أبيه قد ولي قيادة جيش زحف به الى بلخ لقتال آل سلجوق، وجعل معه من يدبر أموره " سنة ٤٣٢هـ وفي غيابه قتل أبوه، فعاد الى غزنة وقتل عمه محمداً، وبن عمه احمد، لاشتراكهما في قتل أبيه، وتولى السلطنة في السنة نفسها، وسار سيرة جده "محمو" فافتتح كثير من حصون الهند. انظر: الذهبي، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايمز، ت: ٧٤٨هـ، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عبدالسلام تدميري، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م، ج ٣٠، ص ٥٧؛ الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م، ج ٧، ص ٣١٨.
- ١٦- انظر: الجريزي، زين الأخبار، ص ١٠٥-٢٨٧.
- ١٧- انظر: الجريزي، زين الأخبار، ص ٢٣٨.
- ١٨- التواريخ الأربعة: ويقصد بها التاريخ الهجري والتاريخ الميلادي (الرومي عند الجريزي) والفارسي والتاريخ الهندي، وعرف بتاريخ "شكال" نسبةً الى شك ملك الهند الذي اتبع من سياسة الجور وسيلة لتدعيم سلطانه فلما مات اتخذ الهنود تاريخ وفاته وعيداً وجعلوا منه بداية لتقويمهم. انظر: الجريزي، زين الأخبار، ص ٢٩٦.
- ١٩- انظر: الجريزي، زين الأخبار، ص ٢٩٩ وما بعدها.
- ٢٠- الخلق: يرجح الجريزي انهم ينتسبون الى خلق احد عظماء الترك. انظر: الجريزي، زين الأخبار، ص ٣٧١.
- ٢١- انظر: الصابي، أبو اسحاق ابراهيم بن الهلال بن ابراهيم الحرائي، ت: ٣٨٤هـ، المنتزع من كتاب التاجي، تح: محمد حسين الزبيدي، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٧٧م، ص ٢٩.
- ٢٢- انظر: بن ماكولا، أبو نصر علي بن الوزير أبي القاسم هبة الله بن علي بن جعفر بن علي بن محمد بن دلف، ت: ٤٧٥هـ، الاكمال في رفع الارتياب عن المؤلف والمختلف في السماء والكنى والأنساب، بلا تح، بلا ط، دار الكتاب الاسلامي، بلا ت، ج ١، ص ٣٧٢.
- ٢٣- ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي التيمي، ت: ٥٩٧هـ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا وآخرون، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ج ١٣، ص ٣٤١.
- ٢٤- انظر: ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم، ت: ٦٣٠هـ، الكامل في التاريخ، بلا تح، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م، ج ٨، ص ٢٦٥.
- ٢٥- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد المغربي الحضرمي، ت: ٨٠٨هـ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بلا تح، بلا ط، دار احياء التراث العربي، بيروت، بلا ت، ج ٣، ص ٣٩٥.
- ٢٦- القلقشندي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد، ت: ٨٢١هـ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تح، محمد حسين شمس الدين، بلا ط، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا ت، ج ٤، ص ٣٧٩.

أخبار البويهيين من خلال "زين الأخبار" للجريزي "ت: ٤٤٣ هـ"
م. م. ابتهاج محمد عبد الكريم

- ٢٧- هو هشام بن السائب الكلي صاحب كتاب الأصرام. (الباحث)
- ٢٨- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، ت: ١٢٠٥ هـ، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: علي شيري، بلاط، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م، ج ١٦، ص ٢٤٥.
- ٢٩- انظر: ابن طباطبا، محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، بلاط، تح: بلاط، دار صادر، بيروت، بلا ت، ص ٢٧٧.
- ٣٠- انظر: الدميري، أبو البقاء كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى بن علي، ت: ٨٠٨ هـ، حياة الحيوان الكبرى، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ هـ، ج ١، ص ٣٩٦، وأورد: "وكان أبوه صيادا: ليست له معيشة الا صيد السمك".
- ٣١- ابن الأثير، الكامل ج ٨، ص ٢٦٦؛ ابن العبري، غريغورس الملطي، ت: ٦٨٥ هـ، تاريخ مختصر الدول، بلاط، دار المسيرة، بيروت، بلا ت، ص ٢٦١؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٢٢٦؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد، ت: ٧٣٣ هـ، نهاية الأرب في فنون الادب، بلاط، مطابع كوستاتسوماس، القاهرة، بلا ت، ج ٢٦، ص ١٦٥؛ ابن طباطبا، الفخري، ٢٧٧-٢٧٨.
- ٣٢- ماكان بن كالي: ابرز قادة الديلم وأشجعهم، وهو الذي تولى القيام بالدعوة لأولاد الاطروشي في طبرستان، ولاء ابن الاخير استراباذ وكان الديالمة يفضلونه حتى اجتمعوا اليه وفضلوه على أنفسهم. انظر: ابن خلدون، العبر، ج ٣، ص ٣٧٢.
- ٣٤- ليلي بن النعمان: من ابرز قادة الديلم، تولى جرجان زمن الامارة العلوية في طبرستان من قبل الاطروش. انظر: ابن خلدون، العبر، ج ٣، ص ٣٨٢.
- ٣٥- أسفار بن شيرويه: من ضمن قواد ماكان بن كالي، أخرجه الأخير من جيشه فالتحق بالسامانيين وتقاتل مع ماكان بن كالي فانصر عليه وتبعه الى طبرستان وانترعها من يده ثم استعادها ماكان منه فهرب الى جرجان حيث الولاية السامانيين. انفر بالري واطهر تعسفاً مع الجند والقادة مما أدى الى الوثوب عليه من قبل قائده مرداويج بن زيار بالتعاون مع ماكان فهرب الى الري ثم الى قلعة الموت وقتل على يد مرداويج. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٣، ص ٢٦٣.
- ٣٦- مرداويج بن زيار: قائد ديلمي كان من ضمن قادة جيش ماكان بن كالي انقلب الى صف أسفار ثم تألف مع ماكان لقتله فقتله بقلعة الموت ثم رجع الى الري ثم الى قزوین وتمكن في الملك وافتتح البلاد وأخذ همذان والدينور وقم وكاشان وأصبهان. انظر: أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن قايمار، ت: ٧٨٤ هـ، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الارنؤوط واخرون، ط ٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م، ج ١٥، ص ٢١٥-٢١٧.
- ٣٧- الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٢٦٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٦، ص ١٦٥.
- ٣٨- الكرج: مقاطعة في ايران تقع ضمن محافظة البرز غرب العاصمة طهران. (الباحث)
- ٣٩- الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٢٦٩.
- ٤٠- انظر: الجريزي، زين الاخبار، ص ١٤٣.
- ٤١- الحسن بن أبي الهيجاء عبدالله بن حمدان بن حمدون التغلبي: كان صاحب الموصل وما والاها، ملك الموصل بعد أن كان نائباً بها عن أبيه، ثم لقبه الخليفة المتقي بالله ناصر الدولة في مستهل شعبان سنة ٣٣٠ هـ،

أخبار البويهيين من خلال "زين الأخبار" للجريري ت: ٤٤٣ هـ
م. م. ابتهاج محمد عبد الكريم

- ولقب أخاه أبا الحسن علي بن عبدالله سيف الدولة في ذلك اليوم أيضاً، وعظم شأنهما. وكان المكتفي بالله قد ولى أباهما عبدالله الموصل وأعمالها. انظر: الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ٢٣١.
- ٤٢- انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٤٤٩. ووردت نفس التفاصيل التي أوردها ابن الأثير مع القليل من التفاصيل عند: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٥، ص ١١٢.
- ٤٣- انظر: الزركلي، الأعلام، ج ١، ص ٣٥.
- ٤٤- انظر: الجريزي، زين الأخبار، ص ١٤٤.
- انظر: مسكويه، احمد بن محمد، ت: ٤٢١ هـ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: أبو القاسم امامي، ط ١، دار سروش، طهران، ٢٠٠٠ م، ج ٦، ص ١٢٩.
- ٤٥- انظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج ٦، ص ١٣٣.
- ٤٦- انظر: الهمداني، محمد بن عبدالله، ت: ٥٢١ هـ، تكملة تاريخ الطبري، تح: البرث يوسف كنعان، ط ٢، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦١ م، ج ١، ص ١٥١.
- ٤٧- انظر: الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ج ١، ص ١٥١.
- ٤٨- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عر بن كثير بن ضوء القرش، ت: ٧٧٤ هـ، البداية والنهاية، تح: علي شيري، ط ١، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨ م، ج ١١، ص ٢٣٥ وما بعدها.
- ٤٩- الجريزي، زين الأخبار، ص ١٤٤.
- ٥٠- انظر: ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج ٦، ص ١١٥.
- ٥١- انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٤، ص ٤٣.
- ٥٢- انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٢٣٩.
- ٥٣- انظر: الجريزي، زين الأخبار، ص ١٤٦.
- ٥٤- انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٤، ص ٢٢٧.
- ٥٥- انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٤، ص ٢٢٧ وما بعدها.
- ٥٦- انظر: الجريزي، زين الأخبار، ص ١٤٦.
- ٥٧- انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٦٤٩-٦٥٠.
- ٥٨- المرزبان: والي البصرة نيابة عن أبيه عز الدولة بختار، ما أن سمع ما حدث لأبيه عز الدولة بختيار من عضد الدولة حتى خرج عن طاعته.
- ٥٩- انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٦٥١.
- ٦٠- أبو الفتح بن العميد: هو علي بن محمد بن الحسين، من الشعراء الأذكياء، شغل منصب الوزارة زمان ركن الدولة الحسن بن بويه خلفاً لوالده العميد، ولقبه الخليفة الطائع بذى الكفايتين "السيف والقلم" واستمر في وزارته حتى تسلم مؤيد الدولة بن ركن الدولة الحكومة، احبه القواد والعساكر من الديلم لكرمه وطيب أخلاقه. انتهى به الأمر مقطوع الأنف مقتولاً مسمولاً احدى عينيه من قبل مؤيد الدولة سنة ٣٦٠ هـ. انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٦٧٥؛ الزركلي، الأعلام، ج ٤، ص ٣٢٥. كما أورد الجريزي عدة أخبار في دور الوزراء في إزالة الوحشة والعداوة بين البويهيين والسامانيين، انظر: زين الأخبار، ص ١٤٧، ص ٢٢٨.

أخبار البويهيين من خلال "زين الأخبار" للجريزي "ت: ٤٤٣ هـ"
م. م. ابتهاج محمد عبد الكريم

- ٦١- ولعله أبي الحسن العتبي، عبدالله بن أحمد الوزير الساماني، فوضت اليه وزارة الدولة في أول عهد الأمير نوح الثاني بن منصور ٣٦٥هـ، ولعل الخطأ الوارد عند الجريزي راجع الى عمليات النقل والتصحيح. (الباحث)
- ٦٢- انظر: الجريزي، زين الأخبار، ص ١٤٧.
- ٦٣- انظر: الجريزي، زين الأخبار، ص ١٤٨-١٤٩.
- ٦٤- انظر: ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج ٧، ص ٢٤١-٢٤٣.
- ٦٥- انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٤، ص ٣٣٨.
- ٦٦- انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٦٥.
- ٦٧- انظر: ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج ٧، ص ٤٥٦.
- ٦٨- انظر: ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج ٧، ص ٤٥٧.
- ٦٩- انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٤، ص ٣٤٠.
- ٧٠- انظر: الجريزي، زين الأخبار، ص ٢٢٢-٢٢٣.
- ٧١- بكر بن مالك: تولى قيادة جيوش خراسان من لدن الأمير نوح بن نصر بعد عزل بن محتاج، انتهى به الأمر مقتولاً في بخارى على يد الحاجب الب تكين لأن جنده لم يرتضوا بالصلح الذي ابرمه مع ابن بويه. انظر: الجريزي، زين الأخبار، ص ٢٢٢.
- ٧٢- انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٥١١-٥١٢.
- ٧٣- انظر: الجريزي، زين الأخبار، ص ٢٢٨.
- ٧٤- انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٤، ص ٢٤٧.
- ٧٥- انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٦٦٩.
- ٧٦- انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٣٢٢.
- ٧٧- انظر: الجريزي، زين الأخبار، ص ٢٢٨.
- ٧٨- فائق الخاصة: احد قادة السامانيين، كان له دور في انتصار البويهيين في معركة جرجان، تولى أمارة هراة ومرو من قبل بغراخان (خانات الأتراك)، قاتله الأمير الساماني نوح فانكسر وقصد ترمذ الى غير ذلك من الأحداث، توفي سنة ٣٨٩هـ. انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ١٤٨.
- ٧٩- شمس المعالي أبو الحسن قابوس بن وشمكير الزيارى: ولي جرجان وبلاد الجبل وطبرستان سنة ٣٦٦هـ وأخرجه منها عضد الدولة البويهي سنة ٣٧١هـ واستعادها سنة ٣٨٨هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ١٧٠.
- ٨٠- أبو العباس تاش: هو صاحب جيش خراسان الملقب بحسام الدولة، والوالي عليها من قبل الأمير الساماني نوح بن منصور. عطف الى البويهيين فولوه كركان وتوفي بها سنة ٣٧٨هـ. انظر: الجريزي، زين الأخبار، ص ٢٢٩، ص ٢٣٢.
- ٨١- انظر: الجريزي، زين الأخبار، ص ٢٣٠.
- ٨٢- انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ١٢.
- ٨٣- انظر: النزشي، أبو بكر محمد بن جعفر، ت: ٣٤٨هـ، تاريخ بخارى، تح: أمين عبد المجيد البلوي وآخرون، ط٣، دار المعارف، القاهرة، بلا ت، ص ١٥٢.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١- القرآن الكريم كتاب الله عز وجل.

- ابن الأثير، عز الدين ابي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم، ت: ٦٣٠هـ.
- ٢- الكامل في التاريخ، بلا طح، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.
- الجرديزي، أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود، ت: ٤٤٣هـ.
- ٣- زين الأخبار، تح: عفاف السيد زيدان، بلا طح، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي، ت: ٥٩٧هـ.
- ٤- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، ت: ٤٥٦هـ.
- ٥- المحلي، تح: أحمد محمد شاكر، بلا طح، دار الفكر، بلا ت.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، ت: ٦٢٦هـ.
- ٦- معجم البلدان، بلا ت، بلا طح، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد المغربي الحضرمي، ت: ٨٠٨هـ.
- ٧- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بلا طح، بلا طح، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا ت.
- الدميري، أبو البقاء كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى بن علي، ت: ٨٠٨هـ.
- ٨- حياة الحيوان الكبرى، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤م.
- الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، ت: ٧٤٨هـ.
- ٩- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تح: عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م.
- ١٠- سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.
- الصابي، أبو إسحاق إبراهيم بن الهلال من إبراهيم الحراني، ت: ٣٨٤هـ.

أخبار البويهيين من خلال "زين الأخبار" للجرويزي ت: ٤٤٣ هـ
م. م. ابتهاج محمد عبد الكريم

-
-
- ١١- المنتزع من كتاب التاجي، تح: محمد حسين الزبيدي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٧٧ م.
- ابن طباطبا، محمد بن علي بن طباطبا:
 - ١٢- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، بلا طح، بلا ط، دار صادر، بيروت، بلا ت.
 - ابن العبري، غريغورس الملطي، ت: ٦٨٥ هـ.
 - ١٣- تاريخ مختصر الدول، بلا ط، دار المسيرة، بيروت، بلا ت.
 - القلقشندي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد، ت: ٨٢١ هـ.
 - ١٤- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تح، محمد حسين شمس الدين، بلا ط، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا ت.
 - ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت: ٧٧٤ هـ.
 - ١٥- البداية والنهاية، تح: علي شيري، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨ م.
 - ابن ماكولا، أبو نصر علي بن الوزير أبي القاسم هبة الله بن علي ابن جعفر بن علي بن محمد بن دلف، ت: ٤٧٥ هـ.
 - ١٦- الإكمال في رفع الأرتياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، بلا تح، بلا ط، دار الكتاب الإسلامي، بلا ت.
 - الماوردي، علي بن محمد البغدادي، ت: ٤٥٠ هـ.
 - ١٧- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط٢، دار التعاون للنشر، القاهرة، ١٩٦٦ م.
 - ابن مسكويه، أحمد بن محمد، ت: ٤٢١ هـ.
 - ١٨- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: أبو القاسم امامي، ط١، دار سروش، طهران، ٢٠٠٠ م.
 - النرشخي، أبوبكر محمد بن جعفر، ت: ٣٤٨ هـ.
 - ١٩- تاريخ بخارى، تح: أمين عبد المجيد البلوي وآخرون، ط٣، دار المعارف، القاهرة، بلا ت.
 - النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد، ت: ٧٣٣ هـ.

أخبار البويهيين من خلال "زين الأخبار" للجرويزي ت: ٤٤٣ هـ
م. م. ابتهاج محمد عبد الكريم

- ٢٠- نهاية الأرب في فنون الأدب، بلا ط، مطابع كوستاتسوماس، القاهرة، بلا ت.
- الهمداني، محمد بن عبد الملك، ت: ٥٢١ هـ.
- ٢١- تكملة تاريخ الطبري، تح: البرث يوسف كنعان، ط٢، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦١ م.
- ثانياً: المراجع:
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، ت: ١٢٠٥ هـ.
- ٢٢- تاج العروس من جواهر القاموس، تح: علي شيري، بلا ط، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤ م.
- الزركلي، خير الدين.
- ٢٣- الأعلام، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠ م.

الصراع الحسيني (الأموي عام ٦٨٠/٥٦١م) في ضوء نظرية العناية الإلهية بين الجبر والتفويض
وأثرهما على حركة التاريخ ودراسة تاريخية فلسفية

م. وعباس محيسن اللامي

الصراع الحسيني - الأموي عام (٦٨٠/٥٦١م) في ضوء نظرية العناية الإلهية بين الجبر
والتفويض وأثرهما على حركة التاريخ دراسة تاريخية فلسفية

م. د. عباس محيسن حريجة اللامي

مديرة التربية في ميسان

الملخص

تبحث الدراسة الموسومة بـ(الصراع الحسيني الأموي عام (٦٨٠/٥٦١م) في ضوء نظرية العناية الإلهية بين الجبر والتفويض وأثرهما على حركة التاريخ - دراسة تاريخية فلسفية) خلفية الصراع الفلسفي الفكري ونتائجه ومعطياته في تطبيق نظرية العناية الإلهية بين تبني الدولة الأموية جبرية وحتمية سلوكها وقراراتها وتمنح لنفسها السلطة الدينية العليا وانها مفوضة من الله على حين تفسر حركة الثورة الحسينية العناية الإلهية على إنها توفيق الهي لا تعني سلب حرية التخطيط والتنفيذ بقدر ما رسم الحركة التاريخية وفق مؤهلات الافراد وقدراتهم في الاستجابة والتفاعل مع الاحداث وفي ضوء هاذين التفسيران المتناقضان ولد بينهما صراعاً دينياً فلسفياً نجح فيه الاتجاه الأموي المادي نجاح مرحلي محدود على حين كان النجاح المستقبلي حليف الثورة الحسينية ، وفيما يخص منهج الدراسة فقد اعتمد على منهجين اساسيين الأول سردي تاريخي والثاني تحليلي فلسفي لتفكيك وتفسير النصوص التاريخية في ضوء النظرية موضع الدراسة.

الصراع الحسيني الأموي عام (٦١١/٦٨٠م) في ضوء نظرية العناية الإلهية بين الجبر والتفويض
وأثرهما على حركة التاريخ ودراسة تاريخية فلسفية

م. وعباس محيسن اللامي

The Husseini-Umayyad struggle in (61 AH / 680 AD) in the light of the theory of divine providence between reparation and delegation and their impact on the movement of history, a historical-philosophical study

M. Dr. Abbas Muhaisen Harijeh Al-Lami

Directorate of Education in Maysan

Abstract

The study, tagged with (the Husseini-Umayyad conflict in (61 AH / 680 AD) in the light of the theory of divine providence between reparation and delegation and their impact on the movement of history - a historical-philosophical study) examines the background of the intellectual philosophical conflict and its results and data in the application of the theory of divine care between the adoption of the Umayyad state's determinism and the inevitability of its behavior Its decisions grant itself the supreme religious authority and that it is authorized by God, while the Hussainian revolution movement is interpreted as divine providence as a divine conciliation. Religiously and philosophically, the materialistic Umayyad trend succeeded in a limited phase While the future success was an ally of the Husseini revolution, and with regard to the study method, it relied on two basic approaches, the first is a historical narrative and the second is a philosophical analysis to dismantle and interpret the historical texts in the light of the theory under study

الصراع الحسيني (الأموي عام ٦٨٠/٥٦١م) في ضوء نظرية العناية الإلهية بين الجبر والتفويض وأثرهما على حركة التاريخ ودراسة تاريخية فلسفية

م. وعباس محيسن اللامي

المقدمة

أن دراسة الاحداث التاريخية في ضوء النظريات الفلسفية يكشف لنا العديد من جوهرها ومكامنها منها بيان حركتها وماهيتها فضلاً عما يضيف عليها من العلمية والمنهجية ، ويستتبط منها قوانيناً تاريخية مفيدة فضلاً عن يوسع من دائرة البحث في العلل والأسباب وطرح الاحتمالات والانتقادات ولاسيما إذ ما كانت تبحث تلك الدراسة في صراع له عوامله وتاريخه وجذوره وفلسفته وأفكاره ورؤاه ألا وهو الصراع الأموي الحسيني الذي هو في حقيقته صراعاً مادياً يقابله مثالياً ومن جانب آخر دينياً يقابله شيطانياً.

وعلى ضوء تلك المعطيات المنهجية فقد بحثت الثورة الحسينية وصراعها مع الاتجاه المادي الجبري الأموي الذي تم توظيفه سياسياً ، فقد تبنت الدولة الأموية فلسفة تتم عن الجبرية الإلهية في الجانب السياسي واصبح الحاكم في نظرها يتحرك تاريخياً وفق المشيئة الإلهية السالبة لإرادته المخططة لها جبرياً.

فرضية الدراسة

الدراسة تبحث في إشكالية فهم نظرية العناية الإلهية في ضوء كل من الثورة الحسينية التي من خلالها هداية البشرية واستقامتهم وصلاتهم في الدنيا والآخرة ، أما الدولة الأموية فكانت تهدف إلى توظيف الدين سياسياً في سبيل تمرير مشروعهم السياسي وبقائهم في السلطة بهدف التأثير على الرأي العام بوصفهم خلفاء الله ، كما تهدف الدراسة إلى فهم أساليب الدولة الأموية في ضوء فلسفة نظرية الغاية تبرر الوسيلة ؛ التي تبنتها في حكمها ومارست في ظلها التسلط والقمع السياسي والاجتماعي وغيرها من الاشكال الاستبدادية .

منهج الدراسة

أعتمد في دراسة هذا الموضوع منهجان أساسيان ، الأول سردي تاريخي من خلال أيراد الروايات التاريخية من مصادرها الاساسية ، والثاني المنهج التحليلي الفلسفي وفيه تم تحليل أغلب الروايات التي ذكرتها المصادر ونقدها نقداً علمياً ، فضلاً عن استعمال أسلوب المناقشة والمطابقة بين نصوص النظريات الفلسفية والنصوص التاريخية بغية الوصول إلى تفسير فلسفي تاريخي وتحليل المحتوى التاريخي.

هيكلية الدراسة

الصراع الحسيني (الأموي عام ٦١١/٦٨٠م) في ضوء نظرية العناية الإلهية بين الجبر والتفويض
وأثرهما على حركة التاريخ ودراسة تاريخية فلسفية

م. عباس محسن اللامي

فرضت طبيعة الموضوع والمادة العلمية المتوفرة تقسيمه على مبحثين أساسيين سبقنا بمقدمة وختماً بخاتمة لاستخلاص أهم النتائج ، بخصوص المبحث الأول الذي كان عنوانه (الصراع لغة واصطلاحاً) وفيه تم بحث مفردة الصراع من الناحية اللغوية والاصطلاحية وتشعباتها ومدلولاتها سواء الفلسفية أم الفكرية ، على حين خصص المبحث الثاني لدراسة الصراع الحسيني - الأموي عام (٦١١/٦٨٠م) في ضوء نظرية العناية الإلهية إذ درس نظرية العناية الإلهية فلسفياً وتطبيقاً على رؤى وفكر واتجاه كل من الثورة الحسينية والسلطة الأموية وكيف كل منهما فسر تلك النظرية وطبقها بما يخدم فلسفته السياسية والفكرية وما يتبناه من فكر ديني عقدي وما نتج عن ذلك من نتائج واثار وفي مختلف الجوانب .

المبحث الأول الصراع لغة واصطلاحاً

أولاً / لغة :-

تعرض اللغويون لبيان وتجزير هذه المفردة بشكل مستفيض، إذ أشار الفراهيدي إلى أن الصراع مشتق من "صرع : صرعه صرعاً ، أي : طرحه بالأرض ، والصراع : معالجتها أيهما يصرع صاحبه"^١.

على حين فصل ابن منظور أكثر بقوله : "صرع : الصرَعُ : الطَّرْحُ بالأرض ، وخصّه في التهذيب بالإنسان ، صارعه فصَرَعَهُ يَصْرَعُهُ صِرْعاً وصرعاً...فهو مصروعٌ وصرِيحٌ ، والجمع صِرْعَى ؛ والمُصَارَعَةُ والصِرَاعُ : مُعَالَجَتُهُمَا أَيُّهُمَا يَصْرَعُ صَاحِبَهُ ، وفي الحديث : مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ تَصْرَعُهَا الرِّيحُ مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا أُخْرَى أَي تُعْمِلُهَا وَتَرْمِيهَا مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ"^٢.

والذي نستشفه من المفهوم اللغوي هو أن مفردة الصراع قصد منها النزاع والتصارع بين ضدين أو شيئين أحدهما يصرع أو يحاول صرع الآخر أو الاطاحة به ، وهذا المفهوم قريب إلى ما عنته الدراسة هذه.

ثانياً / اصطلاحاً :-

تعددت مفاهيم استعمال هذا المصطلح بشكل كبير سواء في الدراسات التاريخية أو الفلسفية أو حتى الدينية ؛ لما له من دلالات وتأويلات كثيرة ، والذي يهمنا ما يخص موضوع دراستنا وهو الصراع التاريخي بين الجانب الحسيني من جهة والأموي من جهة ثانية ، فقد أشار أحد الباحثين إلى أنه لا يعلم على وجه الدقة تاريخ بدء الصراعات لا في التاريخ المعلوم أو غير المعلوم ؛ كونه صراع مستمر في التاريخ ، ومن يناهز بنهاية الصراع فهو يناهز بنهاية التاريخ ، إذ ليس هناك تاريخ معلوم أو غير معلوم من دون صراع^٣.

الصراع الحسيني (الأموي عام ٦١١/٥٦١م) في ضوء نظرية العناية الإلهية بين الجبر والتفويض
وأثرهما على حركة التاريخ ودراسة تاريخية فلسفية

م. عباس محسن اللامي

ويشير أحد الباحثين إلى أزلية الصراع بوصفه سمة إنسانية سرمدية "تغذي نفسها بنفسها في حركة دائرية مفتوحة هي دورة العدوان ، ودورة العدوان ضرورة للتحكم والضبط الاجتماعي".^٤ ، فيما صور الصراع بأشكال وصور مختلفة بحسب ظروفها الزمانية والمكانية وطبيعتها وحالاتها ، والتي تتسم بجذرية وتاريخية الصراع الانساني إذ "لم يزل الصراع التاريخي منذ اليوم الأول من الخلقة قائما بين الحق والباطل ، وبين النور والظلام ، وبين الخير والشر ، وقد تمثل بمعسكرين : معسكر الرحمن ، ومعسكر الشيطان ، وكان المعسكر الأول يجسده آدم نبي الله ، والمعسكر الثاني يتمثل بإبليس عدو الله ، ولا يزال هذا الصراع قائم بين الإيمان والكفر ، ولكل من هذين المعسكرين أتباع على مر العصور والأحقاب".^٥

وفي حدود دراستنا هذه تتضح لنا رؤية الصراع واضحة بين الاتجاه والفكر الحسيني والذي يتجسد بالأحقية والرحمانية والخير ، على حين يمثل الخط الأموي بكل متبنياته العقدية والسياسية بالمادية والظلامية الشيطانية ، مما نتج عن هذا التقاطع التاريخي والفكري والفلسفي والعقدي حدوث واقعة الطف عام ٦١هـ في كربلاء التي كشفت الصورة الحقيقية للخط الأموي ومن يسير بركبه ويعتقد بفكره .

على حين ذهب الفيلسوف محمد باقر الصدر إلى بيان مفهوم الصراع من وجهة نظر فلسفية علمية حضارية قائلاً: "تعبير فكرة الصراع عن نفسها في الأفكار العلمية والفلسفية، عن تنازع البقاء كقانون طبيعي بين الأحياء، أو عن حتمية الصراع الطبقي داخل المجتمع، أو عن الديالكتيك وتفسير الكون على أساس: الأطروحة ونقيضها والمركب الناجم عن الصراع بين النقيضين . إن كل هذه الاتجاهات - ذات الطابع العلمي أو الفلسفي - هي قبل كل شيء تعبير عن واقع نفسي عام وشعور حاد لدى إنسان الحضارة الحديثة بالصراع..."^٦، ويشير كارل ماركس إلى أن مجمل الصراعات والمنافسات بين البشر يحددها العامل الاقتصادي قائلاً "المنافسة بين الافراد والجماعات والدول على الطعام والمواد الخام والقوة الاقتصادية..."^٧.

فيما شدد العتابي على ضرورة دراسة الصراعات البشرية والوقوف على عواملها ونتائجها ؛ معللاً ذلك بأن "دراسة أي صراع وتتبع مساراته لاسيما الفكرية ينتج لنا معرفة جديدة للتعامل مع الواقع ، وحينما نعرف جذور الافكار نعرف كيف نواجهها أو نصحح مسيرنا معها..."^٨. وفي ضوء ذلك نستشف أن فلسفة الصراع من المستلزمات التاريخية في الحياة لأنها "من البديهيات التي لا يجادل فيها في حتمية وقوعها وهو سنة من سنن الله في الخلق والكون"^٩.

الصراع الحسيني (الأموي عام ٦٨٠/٥٦١م) في ضوء نظرية العناية الإلهية بين الجبر والتفويض وأثرهما على حركة التاريخ ودراسة تاريخية فلسفية

م. وعباس محيسن اللامي

وخلاصة لما تقدم نستنتج أن فلسفة الصراع البشري صفة دائمية بين بني البشر وملازمة لهم تغذيها عوامل ودوافع شتى منها السياسية والنفسية والدينية والاقتصادية وحتى الاجتماعية بحكم الفوارق في الصفات والاخلاقيات والمبادئ الانسانية من شخصاً لآخر ، وقد فسر مفهوم الصراع الحسيني - الأموي من جوانب عدة منها دينية بالدرجة الأساس وفلسفية وأخرى فكرية وبعضها تاريخية واقتصادية ، وفي ضوء ذلك تهدف دراستنا هذه إلى تسليط الاضواء على جذرية الصراع الفلسفي الديني بين توظيف الدولة الأموية لنظرية العناية الإلهية في مشروعها السياسي المبرمج على سلب الإرادة والحرية مع الثورة الحسينية وفلسفتها في فهم نظرية العناية على أنها حرية اختيار التخطيط السياسي والاصلاحي ونجاحه من عدمه يعتمد بدرجة كبيرة على قدرة المخطط مع التوفيق الإلهي في ضوء تلك النظرية .

المبحث الثاني: العناية الإلهية بين الجبر والتفويض وأثرهما على حركة التاريخ

قبل الدخول في صلب موضوع نظرية العناية ومعطياتها التاريخية لابد من بيان مفهومها في ضوء دراستنا هذه والتي يقصد منها أن رسم الاحداث وتحديد مساراتها وحركتها تكون ضمن التدخل الالهي ولكن دون سلب الحرية والاختيار في حركة الانسان واستجاباته وقدراته ، أما ما يقصد بمفهوم الجبر والتفويض ؛ فهما من المسائل المعقدة التي شغلت بال المؤرخين والمفكرين والباحثين على حدأ سواء قديماً وحديثاً ، إذ طرحت على بساط البحث والتحقيق والتفسير إلى أن بزغت شمس الإسلام حيث انتقلت تلك التعقيدات والتأويلات والتفسيرات فيما بين مفكري الإسلام وعلماءه وفلاسفته والتي تمخض عنها ظهور آراء ونظريات اتسمت بالإفراط تارة والتفريط تارة أخرى ، فمن ذهب إلى الجبر وأن أفعال وسلوكيات البشر مخلوقة لله تبارك وتعالى، كخلق أجسامهم وطبائعهم، وليس للعباد فيها صنع ، على حين ذهب فريق آخر إلى التفويض وأن أفعال الانسان مفوضة إليهم مخلوقة لهم ، لا صلة لها بالله سبحانه وتعالى سوى أنه أقدر العبد على العمل، وليس له تعالى إرادة ومشئئة متعلقة بأفعالهم بل هي خارجة عن نطاق إرادته ، وقد أستدل كل من الفريقين بدلائل وبراهين وقرائن علمية وتاريخية ودينية مختلفة ليثبت ويسند نظريته ويدعم اراءه واطروحاته^{١٠} .

وعلى هذا الضوء فقد شغلت نظرية العناية الإلهية مساحة واسعة من تاريخ الفكر الانساني ، ولاسيما في حاكميتها على الحركة التاريخية الانسانية - أي تحكم الله في التاريخ - وأثر تلك الفلسفة في الأحداث وكان من نتائجها أن أهملت دور الانسان بشكل واضح ، ويبدو أن افلاطون في مقدمة من نظر وروج لهذه الفلسفة الجبرية إذ أشار أن العناية هي من تسيطر على شؤون الناس^{١١} .

الصراع الحسيني (الأموي عام ٦٨٠/٥٦١م) في ضوء نظرية العناية الإلهية بين الجبر والتفويض
وأثرهما على حركة التاريخ ودراسة تاريخية فلسفية

م. عباس محسن اللامي

أن تلك النظرية بحد ذاتها قد لا تحوي تناقضات بقدر ما توظيفها وتطبيقها والغايات التي تحركها تجعلها سلبية وذات نتائج سيئة فالأمويين ادعوا أنهم يمثلون السلطة الإلهية وأنهم خلفاء الله وطبقوا تلك النظرية في المجتمعات واعتقد بها جمهور من الناس ، ولكن ليس غايتهم سعادة الناس وحكمهم وفق تلك الرؤية بقدر ما استغلالهم واستعبادهم والتحكم فيهم فهنا حصل الاختلاف في غاية وهدف النظرية وليس في ذاتها وطبيعتها ، ومن محور آخر نجد تلك النظرية في فكر أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وبوصف الإمام الحسين (عليه السلام) أحد هؤلاء الأئمة (عليهم السلام) فقد اعتقدوا بخلافتهم الإلهية أيضاً لقول الإمام علي (عليه السلام) "أولئك خلفاء الله في أرضه ، والدعاة إلى دينه" وكلام الإمام الرضا (عليه السلام) لقوله أن "الأئمة خلفاء الله عز وجل في أرضه"^{١٢}. وفي إطار هاتين النظريتين حصل صراع بينهما سوء توظيف في مضامينهما فأهل البيت (عليهم السلام) اعتقدوا بأنهم خلفاء الله وهدفهم هداية وسعادة الانسان بوصفهم امتداد للرسالة المحمدية وخلفاء الله وهو امر لا شك فيه ، ومن جانب آخر اعتقد الأمويين أيضاً أنهم خلفاء الله في الارض وقد منحهم الله السلطة والحكم في الدنيا وهم يعملون بحكمهم السياسي وفق المشيئة الإلهية ولا يجوز نقدهم أو الاعتراض عليهم وأن جميع اعمالهم وافعالهم وقراراتهم التي يتخذونها هم مجبرين عليها ، وهذا ما يصطلح عليه بالتوظيف الديني في الجانب السياسي.

وفي ضوء تلك الفلسفتين تتجسد تلك العناية بسيطرتها على مجرى التاريخ كقدرة ربانية عاطفة أو ساخطة ، فكان لا بد من خشيتها أو التضرع إليها بلا انقطاع ، وبهذا وصف التاريخ بأنه ذو عناية ربانية^{١٣} ، ويقدم الفيلسوف الروماني ماركوس اوريليوس دراسة مستفيضة عن حركة التاريخ ، ويخلص فيها إلى أن حركة التاريخ تسير وفق ثلاث عوامل جوهرية "الأول : أن كل شيء وليد الصدفة المحضة ، والعامل الثاني : أن كل شيء تحدده (ضرورة محتومة) ، والعامل الثالث : أن كل شيء باستثناء ما يعود إلى حرية الانسان يرتكن إلى عناية شفوية رحيمة محسنة"^{١٤}.

ويشير الفيلسوف الانكليزي ألبان ويد جري إلى "أن استخدام فيكو^{١٥} مصطلح العناية على وجهين يماثلان ما أشار إليه علم اللاهوت حيث جعلها عناية عامة وعناية خاصة ، فالعناية العامة تعمل في التاريخ مستقرة متأصلة في جميع عمليات الطبيعة ومسيطرة على جميع الشعوب ، والتاريخ في رأيه لا يخلقه الناس وحدهم ؛ وذلك لان العناية تقاد احياناً نحو غايات أخرى تلك التي رمى إليها الرجال"^{١٦} ، وفي ضوء فلسفة هيغل "أن التاريخ يتحول إلى عملية يجري بموجب العناية الإلهية ، حيث كل حدث من الاحداث التاريخية كانت ارادة الله قد تنبأت به مسبقاً...."^{١٧} ، وقريب من هذا المعنى يشير الكاتب والفيلسوف السياسي الفرنسي جاك بينين بوسيويه (١٦٢٧ م -

الصرع الحسيني (الأموي عام (١٨٠/٥٦١م) في ضوء نظرية العناية الإلهية بين الجبر والتفويض
وأثرهما على حركة التاريخ ودراسة تاريخية فلسفية

م. عباس محسن اللامي

١٧٠٤ م) بأن "الله هو الذي يعين مصائر العالم وهو الذي يهتم بمصير البشرية"^{١٨}، وفي ضوء هذا المعنى سار الأمويين بسياساتهم وحكمهم.

ومن خلال مجمل تلك الآراء الفلسفية والنظريات التي تشير إلى تدخل الله في التاريخ نستشف أن العناية الإلهية تتدخل بنسبة معينة إلى حد ما ووفق النواميس الطبيعية بوصف الله هو الخالق والمقدر والمتحكم مع وجود أرادة وحرية نسبية للإنسان وهذا ما ذهب إليه أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ودليل ذلك ما أشار إليه الإمام الصادق (عليه السلام) وهو يفسر لنا حركة الإنسان التاريخية ومدى حريته وقدرته في تحريكها ورسم معالمها بقوله: "لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين"^{١٩}، أو قوله الذي فيه يبين المساحة التاريخية التي يتحرك فيها الإنسان بقوله: "إن الناس في القدر على ثلاثة أوجه: رجل يزعم أن الله عز وجل أجبر الناس على المعاصي فهذا قد ظلم الله في حكمه فهو كافر، ورجل يزعم أن الأمر مفوض إليهم فهذا قد أوهن الله في سلطانه فهو كافر، ورجل يزعم أن الله كلف العباد ما يطيقون ولم يكلفهم ما لا يطيقون وإذا أحسن حمد الله، وإذا أساء استغفر الله، فهذا مسلم بالغ"^{٢٠}، وفي مورد آخر ينفي الإمام الصادق (عليه السلام) جبرية حركة الإنسان بشكل واضح، ونستشف ذلك من خلال اشكالات وجه إليه من أحد أصحابه بقوله "قلت لأبي - عبد الله عليه السلام: فوض الله الأمر إلى العباد؟ فقال: الله أكرم من أن يفوض إليهم، قلت: فأجبر الله العباد على أفعالهم؟ فقال: الله أعدل من أن يجبر عبدا على فعل ثم يعذبه عليه"^{٢١}. أو حينما وجه سؤالاً للإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) عن حركة القدر والجبر ونص ذلك "هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة؟ قالوا: نعم، أوسع مما بين السماء والأرض"^{٢٢} وعلى الخلاف من ذلك في تبني الأمويين لهذه الفلسفة وأن الحكم وفق تلك النظرية يعني "التفويض الإلهي للحاكمين مما يضيف عليهم صفة العصمة والقداسة فيتحكم فيها الأمير على الرعية بمقتضى ذلك التفويض الإلهي ولا يجوز لأحد من الرعية أن يخالفه أو يراجعه في حكمه"^{٢٣}، وهم بهذا أقرب إلى الفلسفة "الحتمية اللاهوتية الجبرية الدينية التي تقول بضرورة متعالية تعبر عن خضوع الإنسان للإرادة الإلهية..."^{٢٤}، ويوضح لنا أحد الباحثين هذه النظرية بشكل أدق بقوله أن هذه الحتمية: "تفترض أن النشاط الإنساني متوقف تماماً على الله، بحيث أنه لا بد أن يكون ثمة تعارض بين الحرية الإنسانية والقدرة الإلهية، وهنا تتحول الحتمية إلى جبرية تقول بالقضاء والقدر، إذ أن مجرد وجود الله يستتبعه بالضرورة أن يكون مصير الإنسان محددًا تحديداً سابقاً، بغض النظر عما سوف تتجه إليه إرادة الإنسان وثمة ارتباط كبير بين الحتمية اللاهوتية والجبرية، والجبر هو نفي الفعل عن الإنسان أو العبد..."^{٢٥}.

الصراع الحسيني (الأموي عام ٦١١/٦٨٠م) في ضوء نظرية العناية الإلهية بين الجبر والتفويض
وأثرهما على حركة التاريخ ودراسة تاريخية فلسفية

م. عباس محسن اللامي

وفي ضوء تلك النظرية التي تنسب كل الممارسات والافعال والارادات إلى الله بنسبة معينة ، فقد تبنت الدولة الأموية توظيف تلك النظرية بما يلائم سياستها وفلسفتها ؛ ولتبرير غاياتها الفاسدة ومصالحها الشخصية الضيقة وخذاعها للرأي العام بسلوكياتها المنحرفة ولاسيما في صراعها مع الإمام الحسين (عليه السلام) وتبرر مشروعها الاجرامي ضد آل البيت (عليهم السلام) بأن تصفيتهم وقتلهم كانت وفق المشيئة الالهية ، ويبدو أن السبب وراء تبني الأمويين لفلسفة الجبر كونهم شعروا من بأن ما روجوه من أنهم استوجبوا الخلافة بقرابتهم من عثمان بن عفان لا يشكل لهم نظرية فعالة وموازية في قبال النظريات الأخرى السائدة آنذاك منها نظرية الشورى للخوارج ونظرية النص للعلويين أو نظرية وراثة النبي (ص) للعباسيين أو نظرية المرجئة أو غيرها ، ولهذا اشار أحد الباحثين بأن الأمويين مالوا "إلى مذهب الجبرية وعولوا عليه لأثبات حقهم فيها ، وتعلقوا به لتصحيح احتيازهم لها ، فقد استقروا على أن الله اختارهم للخلافة ، واتاهم الملك ، وأنهم يحكمون بإرادته ويتصرفون واحاطوا خلافتهم بهالة من القداسة واسبغوا على انفسهم كثيراً من الالقاب الدينية...^{٢٦} . وكما ذهبت المستشرقة الامريكية باتريشيا كرون إلى أن الأمويين "لم يعتقدوا في الإرادة الحرة...^{٢٧} .

ومن بين الأدلة الأخرى التي يستدل بها على تبني هؤلاء الحكام الأمويين فلسفة الجبرية الإلهية في إدارة دفة الحكم ما قاله معاوية "الأرض لله وأنا خليفة الله فما أخذت فلي ، وما تركته للناس فبالفضل مني"^{٢٨} ، فهنا معاوية يحاول أن يفسر خلافته - وفق رأيه ونظريته - بأنها استباحية بمعنى من حقه أن يأخذ أو يملك أي شيء بلا وجه حق كونه خليفة الله ، وهذا مفهوم مغالط وتوظيف سياسي سلطوي هدفه الهيمنة والاستحواذ على الشعوب في ضوء هذه النظرية وخذاع للرأي العام ، كما صرح يزيد ولده علناً بهذه النظرية بقوله : "إن معاوية بن أبي سفيان كان عبداً من عبيد الله أكرمه الله واستخلفه وخوله ومكّن له فعاش بقدر ومات بأجل...^{٢٩} .

والأكثر تنظيراً من ذلك قول معاوية "إن الله تعالى يقول : (إن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم)"^{٣٠} فعلام تلوموني إذا قصرت في عطاياكم فقال له الأحنف : وإنا والله لا نلومك على ما قي خزائن الله ولكن على ما أنزله الله لنا من خزائنه فجعلته في خزائنك وحلت بيننا وبينه"^{٣١} ، وفي مناسبة أخرى إشارة معاوية وبشكل صريح إلى أن العناية الإلهية قد تدخلت في الشؤون السياسية وتشخيصاً في أمربيعة يزيد بن معاوية قائلاً "إن أمر يزيد قضاء من القضاء ، وليس للعباد الخيرة من أمرهم ، وقد أكد الناس بيعتهم في أعناقهم"^{٣٢} ، وهذه الوفود المبيعة ليزيد

الصراع الحسيني (الأمرى عام (١٨٠٥/١١م) نى ضوء نظرية العناية الإلهية بين الجبر والتفويض
وأثرهما على حركة التاريخ وراصة تاريخية فلسفية

م. وعباس محيسن اللامى

فى توليه الحكم بعد أبية تنعته بخليفة الله "أصحت يا أمير المؤمنين إماماً ولدينا قوما رزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله..."^{٣٣}.

وقد نظر وروج الوالى زياد بن أبية إلى نفس الفلسفة تلك القائمة على أسس الجبرية فى خطابه أمام الناس بقوله: "أيها الناس أنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة ، نسوسكم بسلطان الله الذى أعطانا ، ونذود عنكم بالفىء الذى حوّلنا فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا"^{٣٤}.

ومن المناسب هنا الاشارة إلى تحليل أحدى الباحثات من أن تبني العقيدة الجبرية تلك من قبل كل من معاوية ومن بعده ولده يزيد "كان الإمام الحسين (عليه السلام) على علم ودراية لأثار ذلك الانحراف ومحاولة ترسيخه فى ذهنية الامة الاسلامية ، مما شكل دافعاً قوياً لخروجه وعلان ثورته لإصلاح ذلك الانحراف والحفاظ على المفاهيم الاساسية للدين"^{٣٥}.

ونلمس تلك الفلسفة بشكل واضح فى واقعة الطف حيث حاولت السلطة الحاكمة آنذاك أن تتسب عملية قتل ال الرسول (ص) لله سبحانه وتعالى إذ أدخل الإمام علي بن الحسين (السجاد) (عليه السلام) على الوالى عبيد الله بن زياد أسيراً "فقال له : ما أسمك ؟ قال : علي بن الحسين . قال : ألم يقتل الله علي بن الحسين ؟ ! فقال : كان أخي يقال له : علي بن الحسين وإنما قتله الناس . قال : بل قتله الله (فأمر اللعين بقتله ، فصاحت زينب بنت علي يا ابن زياد حسبك من دماننا فإن قتلته فاقتلني معه ! فتركه"^{٣٦} ، وفى موقف آخر يفصح يزيد بن معاوية عن اعتقاده الراسخ بتلك النظرية من خلال محاورته مع الإمام السجاد (عليه السلام) والتي أكد فيها للأمام أن الذى حدث وحصل لهم هو من صنع وتقدير الله سبحانه وتعالى ، ونص ذلك " ثم دعا يزيد بعلي بن الحسين وصبيان الحسين ونسائه ، فأدخلوا عليه فقال لعلي : يا علي ، أبوك الذى قطع رحمي ، وجهل حقي ، ونازعني أسطاني ، فصنع الله به ما رأيت . فقال علي : (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يجب كل مختال فخور) . فقال يزيد : (ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم)"^{٣٧}.

وكشفت السيدة زينب (عليها السلام) عبر محاورتها مع عبيد الله بن زياد كذب النظرية الجبرية المزعومة فى نسب السلوكيات المنحرفة لله سبحانه وتعالى ، وبينت زيف وبطلان تلك الفلسفة التي تحاول من خلالها السلطة التأثير على الرأي العام^{٣٨} وتخديره ، ونص ذلك " فقال ابن زياد : كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك ؟ فقالت زينب رضي الله عنها : ما رأيت إلا جميلاً ،

الصراع الحسيني (الأموي عام ٦١١/٦٨٠م) في ضوء نظرية العناية الإلهية بين الجبر والتفويض
وأثرهما على حركة التاريخ ودراسة تاريخية فلسفية

م. وعباس محيسن اللامي

هؤلاء القوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم يا بن زياد ،
فتحاجون وتخاصمون ، فانظر لمن الفلح يومئذ ! ثكلتك أمك يا بن مرجانة...^{٣٩}.

ويفهم من النص أن عبید الله بن زياد طرح تساؤلاً معقداً وخطيراً في الوقت نفسه على السيدة
زينب (عليها السلام) حينما حاول الاستفهام عن صنع الله اتجاه مال الت إليه اوضاع اهل البيت
عليهم السلام آنذاك مما يدل على اعتقاده بجبرية فعله وقراراته تجاه الثورة الحسينية وأنه من صنع
وتخطيط الله جل وعلا وهو اداة للتنفيذ ، ولكن ردت السيدة زينب بجواب علمي حيث فرقت بين
صنع أو ارادة الله وبين تخطيط وكيد الدولة الأموية إذ رأت صنع الله جميلاً في كل حالاته وصوره
أما ما اقدمت عليه الدولة الأموية في واقعة الطف فوصفته بالمخاصمة والمحاججة وارجاءه ليوم
القيامة للمحاسبة مشيرة إلى أن الفلاح المستقبلي لهم والنصر المحدود للسلطة الأموية .

والذي يستنتج من ذلك كله أن الدولة الأموية حاولت توظيف تلك النظرية لتخدير الرأي
العام واقناعه وتهديم المجتمعات وتوظيف الدين سياسياً ، وفي هذا الشأن علل أحد الباحثين من أن
النظرية بحد ذاتها ليست المسؤولة عن الاعتقاد الذي تبنته الدولة الأموية الخاطئ والتوظيفي
والاستغلالي للدين وإنما يعود إلى "سياساتها القمعية ليست عقيدة القضاء والقدر هي المسؤولة
عن التخريب الذي لحق المجتمع الإسلامي مبكراً، بل هو الاستغلال السياسي للدولة الأموية
وتوظيفها المكثف لهذا المعتقد وغيره لما يخدم الموقع السياسي لأسرة بني أمية ومصالحها
الاقتصادية، ولما يعزز مكانتها ضد معارضيها، ويوفر لها ستاراً فضفاضاً من الشرعية الدينية في
مواجهة مناوئها والاستمرار بسياسة التنكيل والبطش ضد من لا يصمت منهم، إنَّ الاستغلال
السياسي السلطوي للدين وليس الدين"^{٤٠}، ووفق هذا التوظيف ولتبرير ما قامت به من مشروع مادي
شيطاني هدفه تصفية ال البيت (عليهم السلام) ضد مشروع ال البيت الالهي والذي نتج عن تفعيل
المشروعين واصطدامهما واقعة كربلاء الأليمة التي مثلت الحرية الإرادية للأفعال والاختيارات بكل
مستوياتها سواء أكانت العقديّة أو السياسيّة أو الاجتماعيّة وغيرها .

فيما رجحت إحدى الباحثات بأن الدافع السياسي هو الأبرز في تبني الأمويين هذه النظرية
حيث حاولوا من خلال القول بالجبر ان يقنعوا الناس ويوهموهم بأن اعمالهم وسلوكياتهم "إنما هي
قدر من الله، وبذلك يستطيعون أن يقضوا على المعارضة، فليست اعمالهم الا صورة لمشيئة الله
وقدره الذي لا مرد له، وعلى الناس القبول به ، لذلك حرص (الامويون) وركزوا على طرح مفهوم
الجبر ولا سيما في السنوات المتأخرة واستخدموه في مواجهة حركات المعارضة ضدهم"^{٤١}.

الصراع الحسيني (الأمرى عام ١٨٠٥/١١م) في ضوء نظرية العناية الإلهية بين الجبر والتفويض
وأثرهما على حركة التاريخ ودراسة تاريخية فلسفية

م. وعباس محيسن اللامي

فيما تركزت فلسفة الثورة الحسينية في إطار نظرية العناية الإلهية في تقديم تفسيراً مغايراً لما ذهبت إليه الدولة الأموية في جبريتها وسلبها لإرادة وحرية واختيارية الإنسان لسلوكياته وقراراته ، وعلى العكس تماماً من تلك الفلسفة فقد وظف الإمام الحسين (عليه السلام) تلك النظرية بشكل آخر تم من خلالها ربط العناية بفلسفة نظرية القضاء والقدر^{٤٢} وما كتبه الله من المصير المقرر لشخصيات الثورة الحسينية ورجالها ونسائها واطفالها وجميع العناصر المشاركة فيها وحركة أحداثها ومعطياتها ، إذ أخبرهم الإمام (عليه السلام) بما ستؤول إليه مصائرهم ومصيره معهم (عليه السلام) وأنه كان على علم بذلك وبشكل تفصيلي من حيث (الزمان والمكان والفاعل) ، ومما لا شك فيه أن فلسفة أو نظرية القضاء والقدر من الأمور الشائكة علمياً ومنهجياً إذ أنها تسيّر باتجاهين الأول ظاهري حتمي من ناحية تحقق الوقوع والثاني إرادي اختياري يقع ضمن حرية الفرد تحت المشيئة الإلهية ، والذي يعنينا في موضوع دراستنا بقدر ما يتعلق في تفسير الحركة التاريخية للثورة الحسينية وفق تلك الفلسفة ومدى تفاعل محرك الحدث مع تلك الفلسفة سواء أكانت إرادية أو غير إراديه ، فضلاً عن ذلك رفع بعض القراءات السطحية التي تجعل من فلسفة القضاء والقدر عاملاً سلبياً في حركة التاريخ إذ تفسره على أنه يعني التسليم المطلق والتوقف عن النشاط ، وهذا مخالف ويتعارض مع حقيقة تلك النظرية جملة وتفصيلاً ، وفي هذا الخصوص أشار أحد الباحثين إلى أن "ليس القدر والقضاء أكثر من كونهما جزءاً من قانون السببية، وليس شيئاً وراء السنن الإلهية الجارية في الوجود. هذا هو جوهر نظرية التفسير التي تنحلّ على ضوءها إشكالية التعارض بين حرية الإنسان في الإرادة والاختيار وتحديد المصير من خلال فعله وبين الإيمان بالقدر والقضاء، بحيث لا يغدو هذا الإيمان غير متقاطع مع الفعل الإنساني وحسب ، وإنما يتحوّل إلى محفز للإنسان على بذل المزيد من الجهد عبر اكتشاف القوانين المودعة في الطبيعة، ووعي العلائق العقلانية التي تنتظم الحياة والوجود الإنساني..."^{٤٣}. ووفق تلك الفلسفة فإن فكرة القضاء والقدر لا تسلب فيها حرية الفرد بشكل مطلق كما يتصورها البعض وينظر لها ويستسلم فيها لأمر الواقع مما يعني الحتمية التاريخية التي لا مفر منها ، بل على النقيض من ذلك تماماً إذ يتحول القدر إلى محرك للنشاط الإنساني ودافعاً له نحو تحقيق ما تم قضاءه.

وفي ضوء ذلك تثبت فاعلية وحركة الإنسان في حدود الإرادة الإلهية من دون إبطال للفعل الإنساني أو تقييده والذي يتحرك بدوره ضمن دائرة القدر والقضاء؛ أي في ضوء مبدأ السببية ونظام السنن، ومن ثمّ هو لا يتقاطع مع مبدأ: {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ}؛^{٤٤} على أنّ ذلك لا يعني تقييداً في الإرادة والمشيئة الإلهية، كما لا يعني حدّاً من قدرته المطلقة جلّ وعلا،

الصراع الحسيني (الأموي عام ٦٨٠/٥٦١م) في ضوء نظرية العناية الإلهية بين الجبر والتفويض
وأثرهما على حركة التاريخ ودراسة تاريخية فلسفية

م. عباس محسن اللامي

فإرادته هي التي أبت أن تجري الأمور إلا على أسبابها، وحكمته هي التي اقتضت أن يكون نظام الخليقة وعالم الوجود على هذا المنوال، ومن ثم فإن ما يجري هو تحقيق لإرادته ومشيبته، دائر في نطاق قدرته جلّ وعلا. هذا المعنى الذي يفيد بأنّ القدر والقضاء الإلهيين ليس غير متعارضين مع الاختيار الإنساني فحسب ، بل يؤكّده ويجعلانه ضرورياً حيث لا يعقل صدور فعل من الإنسان من غير اختياره^{٤٥}.

كما وذكر الطباطبائي أن فلسفة هذه النظرية لا تسلب إرادة أو اختيارية الإنسان في افعاله وسلوكياته وسائر حركاته التاريخية إذ أن "من حق الأشياء على الله تعالى هدايتها تكويناً إلى كمالها المقدر لها وهدايتها إلى كمالها المشعر لها وقد عرفت فيما مر من مباحث النبوة أن التشريع كيف يدخل في التكوين وكيف يحيط به القضاء والقدر فإن النوع الإنساني له نوع وجود لا يتم أمره إلا بسلسلة من الأفعال الاختيارية الإرادية التي لا تقع إلا عن اعتقادات نظرية وعملية فلا بد أن يعيش تحت قوانين حقة أو باطلة جيدة أو ردية فلا بد لسائق التكوين أن يهيئ له سلسلة من الأوامر والنواهي الشريعة وسلسلة أخرى من الحوادث الاجتماعية والفردية حتى يخرج بتلاقيه معهما ما في قوته إلى الفعل فيسعد أو يشقى ويظهر ما في مكن وجوده وعند ذلك ينطبق على هذه الحوادث وهذا التشريع اسم المحنة والبلاء ونحوهما"^{٤٦}.

وتعرض الدكتور عماد الدين خليل إلى فلسفة القضاء والقدر أيضاً في ضوء المفهوم القرآني التاريخي وتوصل إلى أن القرآن الكريم قد "توغل بعيداً في هذه المسألة حيث أنه تجاوز مذاهب ونظريات التفسير وتحديد المادية التاريخية في رد كل تصرفات الإنسان إلى الانعكاسات المادية التحتية أو المثالية الهيجلية في جعلها كل تصرفاته تخضع لمسيرة العقل المنظم الكلي ، أن القرآن يتيح منذ البدء من خلال عرضه لمسألة الحرية الإنسانية مركزاً ممتازاً للدور البشري في الأرض فهو من جهة خليفة الله في الأرض والذي قدر له أن يصنع أحداث تاريخه بإرادته واختياره سلباً وإيجاباً..."^{٤٧}. وأشار أيضاً بأن الفلسفة القرآنية تلك لم تكن فردية بل خرجت إلى دائرة التأويلات والزوايا الفلسفية والنفسية والاخلاقية الجماعية بمعنى شملت الأمم والشعوب وليس الأفراد فحسب^{٤٨}، وهذا يعني أن فلسفة القضاء والقدر يمكن أن تتحرك من خلالها الأمم والشعوب وليس الأفراد فقط مما يعني اتصافها بالصفة الجمعية والشمولية.

ولإثبات ذلك تاريخياً سنورد عدد من الروايات التي تشير لفلسفة القضاء والقدر والتي من الممكن ظاهرياً أن تفسر على أنها حتمية ومصيرية وليس للإمام الحسين (عليه السلام) دور فيها -

الصراع الحسيني (الأموي عام ٦١١/٥٦١م) في ضوء نظرية العناية الإلهية بين الجبر والتفويض
وأثرهما على حركة التاريخ ودراسة تاريخية فلسفية

م. وعباس محسن اللامي

أي بمعنى مسلوب الحركة التاريخية فيها - لذا سنقوم بنقلها بنصوصها ومن ثم مناقشتها ونعلق عليها ، ومن أبرزها :-

١/ "أنه (عليه السلام) لما أراد العراق قالت له أم سلمة : "لا تخرج إلى العراق فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : يقتل ابني الحسين ب أرض العراق وعندى تربة دفعتها إلي في قارورة . فقال : والله إني مقتول كذلك ، وإن لم أخرج إلى العراق يقتلونني أيضا ، وإن أحببت أن أريك مضجعي ومصرع أصحابي . ثم مسح بيده على وجهها ، ففسح الله في بصرها حتى أراها ذلك كله ، وأخذ تربة فأعطاها من تلك التربة أيضا في قارورة أخرى ، وقال عليه السلام : فإذا فاضتا دما ، فاعلمي أنني قد قتلت . فقالت أم سلمة : فلما كان يوم عاشوراء نظرت إلى القارورتين بعد الظهر فإذا هما قد فاضتا دما"^٩ .

٢/ ما ورد عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اضطجع ذات يوم للنوم "فاستيقظ وهو خائر النفس فاضطجع فرقد فاستيقظ وفي يده تربة حمراء يقبلها فقلت ما هذه التربة يا رسول الله قال أخبرني جبريل أن هذا يقتل بأرض العراق لحسين فقلت لجبريل أرني تربة الأرض التي يقتل فيها فهذه تربتها"^{١٠} .

٣/ ما ورد عن ميثم التمار (رحمه الله) قوله : "والله لتقتلن هذه الأمة ابن نبيها في المحرم لعشر يمضين منه ، وليتخذن أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة ، وإن ذلك لكائن ، قد سبق في علم الله تعالى ذكره ، أعلم ذلك بعهد عهده إلي مولاي أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ، ولقد أخبرني أنه يبكي عليه كل شيء"^{١١} .

٤/ وقد خاطب الإمام الحسين (عليه السلام) أمه السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) قائلاً "يا أماه قد شاء الله عز وجل أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً ، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشردين ، وأطفالي مذبوحين مظلومين ، مأسورين مقيدين ، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصرًا ولا معيناً"^{١٢} .

٥/ ويشخص الإمام (عليه السلام) في ضوء تلك الفلسفة القدرية بان أحد مصادره في بيان مصير شخصيات الثورة هو العلم الإلهي الذي منح له بوصفه إماماً معصوماً منصوباً عليه ونجد ذلك فيما ذكره عبد الله بن عباس عند لقائه به (عليه السلام) قائلاً "لقيت الحسين بن علي وهو يخرج إلى العراق ، فقلت له : يا بن رسول الله ، لا تخرج قال : فقال لي : يا بن عباس ، أما علمت أن منيتي من هناك ، وأن مصارع أصحابي هناك ؟ ! فقلت له : فأنى لك ذلك ؟ قال : بسر سر لي ،

الصرام الحسيني (الأموي عام ١٨٠/٥٦١م) في ضوء نظرية العناية الإلهية بين الجبر والتفويض
وأثرهما على حركة التاريخ ودراسة تاريخية فلسفية

م. عباس محيسن اللامي

وعلم أعطيته"^{٥٣} . ، وهذا ما اشارت إليه إحدى الباحثات من أن المصدرية الاخبارية لهذه الحادثة هو مصدر سماوي وفق الرؤية الفكرية والواقع الحديثي التطبيقي^{٥٤} .
٦/ وتتضح فلسفة القضاء والقدر في التحديد الدقيق لزمان ومكان الحادثة "حتى بلغ كربلاء وكان ذلك في اليوم الثاني من المحرم فلما وصلها قال ما اسم هذه الأرض فقيل كربلاء فقال عليه السلام اللهم إني أعوذ بك من الكرب والبلاء ثم قال هذا موضع كرب وبلاء إنزلوا هاهنا محط رحانا ومسفك دماننا وهنا محل قبورنا بهذا حدثني جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلوا جميعاً"^{٥٥} .

ومن الجدير أن نشير هنا إلى ما وقفت عليه إحدى الباحثات من بيان التعصب العقدي والفكري لدى بعض المؤرخين في بيان موقفهم من يزيد بن معاوية ، رغم التأكيدات الحتمية الإلهية أنفة الذكر والتي تشير بالمجمل إلى حدوث واقعة الطف وتحديد تفاصيلها والجهة القاتلة والمتمثلة بالسلطة الأموية وعلى رأسها يزيد بن معاوية ، إلا أن بعض المؤرخين وبدوافع عقديّة مظلمة وتوجهات فكرية سقيمة أمثال ابن العربي وابن تيمية وابن قيم الجوزية والذهبي وابن خلدون قاموا بتبرئة يزيد واطهاره بالصورة الحسنة واعطائه الشرعية والاحقية في جريمته تلك متجاوزين الاخبارات الإلهية الحتمية التي فصلت وبينت دور يزيد في قتل الإمام الحسين (عليه السلام) وسبي عائلته المباركة^{٥٦} .

من خلال دراسة الروايات أنفة الذكر وربطها مع فلسفة العناية الإلهية في اطاريها الجبري الأموي والوسطي نظرية أهل البيت (عليهم السلام) وفلسفتهم ، نستطيع أن نسجل عدد من المناقشات والملاحظات والنتائج المفيدة ، ونرفع بعض الاشكالات التي قد من المحتمل أن تطرح في حال كانت القراءة سطحية لتلك الروايات ؛ كونها تحتل عدة تأويلات وتفسيرات.

اشكالية النظرية الجبرية في حركة الثورة الحسينية من خلال قراءة الروايات انفاً قراءة أولية وسطحية وبمعزل عن القرائن الأخرى نجدها انها أشارت إلى أن الإمام الحسين (عليه السلام) ومن سبقه زمانياً سواء جده الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) أو أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) قد تحدثوا وبشكل دقيق ومفصل - في بعض المواقف - عما سيحدث له ولأهل بيته ولأنصاره في واقعة الطف وجاءت تلك الاخبار مطابقة تماماً لما وقع تاريخياً على أرض الواقع فهذا نوع من الجبرية وان الله هو من قدر هذه الحركة ، والإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه ما هم إلا أداة تنفيذية للمشيئة الإلهية ومن ثم سلب أراذلتهم وحرمتهم في حركتهم التاريخية في واقعة الطف ، ولرفع هذا الاشكال نورد عدد من النقاط والأدلة الجوهرية ، ومنها:-

الصرام الحسيني (الأموي عام ٦٨٠/٥٦١م) في ضوء نظرية العناية الإلهية بين الجبر والتفويض
وأثرهما على حركة التاريخ ودراسة تاريخية فلسفية

م. وعباس محيسن اللامي

١/ مما يدحض نظرية الجبرية في الثورة الحسينية أو سلب الحرية التاريخية للثورة أو أن الله هو الذي قدر لهذه الثورة وخطط لأحداثها ولم يكن لشخصياتها آنذاك أي أثر أو دور فعال في رسم أحداثها ومجرياتها هو أن الإمام الحسين (عليه السلام) قد تعامل مع الأحداث وفق نوااميسها الطبيعية بدءاً من مكاتبة أهل الكوفة إلى إيفاء سفيره للعراق لاختيار مكان الحدث والانتقال من مكة إلى المدينة ثم العراق إلى الخطابات التي القاها في كل مراحل الثورة ومنازلها وغيرها من التحركات والتفاعلات الأخرى التي تدل دلالة واضحة على أن الإمام يعلم مصيره ولكن تحركاته كانت وفق القوانين التاريخية الطبيعية ووفق التحديات التي تواجهه - بمعنى آخر أنه واجه المستجدات السياسية بتحديات مقابلة لها - ولو كان الإمام (عليه السلام) يسير وفق نظرية الجبر أو سلب الإرادة والاختيار وأن الله مقدر كل شيء ومخطط له لبقى (عليه السلام) في مكانه في مكة أو المدينة وقتلته السلطة هناك وأنتهى الأمر ولكن الذي حصل خلاف ذلك حيث تعامل الإمام (عليه السلام) مع الحدث وفق ظروفه وقوانينه الطبيعية التاريخية أي وفق نظرية التحدي والاستجابة للواقع والظروف .

٢/ ومن القرائن والأدلة التي تؤكد مدى فاعلية الإمام الحسين (عليه السلام) مع الحدث التاريخي آنذاك وفق نوااميسه الطبيعية مسالة المفاوضات التي عقدها الإمام (عليه السلام) مع القيادات الأموية سواء أكانت سياسية أو عسكرية^{٥٧} والتي تدل بشكل كبير على مدى تفاعل الإمام (عليه السلام) مع الظروف والوقائع الراهنة في حينها ، وأن تكون التحديات بمستوى الاستجابة لها ، في ضوء النوااميس الطبيعية والسنن التاريخية الحاكمة .

ويضاف إلى ذلك دليلاً آخر يدحض الجبرية والتسليم المطلق للمقدر من الله هو الاستعانة بالموارد البشرية وزجها في المعركة بهدف تحقيق الغلبة ومن ثم النصر ، وهذا ما نجده واضحاً في دور القائد حبيب بن مظاهر الأسدي في حث بني قومه لنصرة الثورة بعد أن أخذ موافقة الإمام الحسين (عليه السلام) لتلك الفكرة وأشراكهم في المعركة المرتقبة ونص ذلك "وقال حبيب بن مظهر للحسين : إن ها هنا حيا من بني أسد أعرابا ينزلون النهرين ، وليس بيننا وبينهم إلا روحة أفأذن لي في إتيانهم ودعائهم ؟ ! لعل الله أن يجربهم إليك نفعا أو يدفع عنك مكروها . فأذن له في ذلك فأتاهم فقال لهم : إني أدعوكم إلى شرف الآخرة وفضلها وجسيم ثوابها أنا أدعوكم إلى نصر ابن بنت نبيكم فقد أصبح مظلوما ، دعاه أهل الكوفة لينصروه ، فلما أتاهم خذلوه وعدوا عليه ليقتلوه ! فخرج معه منهم سبعون فارساً وأتى عمر بن سعد رجل ممن هناك يقال له : جبلة

الصراع الحسيني (الأموي عام ٦١١/٥٦١م) في ضوء نظرية العناية الإلهية بين الجبر والتفويض
وأثرهما على حركة التاريخ ودراسة تاريخية فلسفية

م. عباس محسن اللامي

بن عمرو فأخبره خبرهم ! فوجه عمر أزرق بن الحرث الصيداوي في جيل فحالوا بينهم وبين الحسين ورجع حبيب بن مظهر إلى الحسين فأخبره الخبر فقال الحسين الحمد لله كثيرًا^{٥٨}.

فهذه الاحداث تشير بشكل واضح مدى الاستجابات الفاعلة في قبال التحديات التي كانت تواجهها الثورة الحسينية بإطارها الواقعي وتعاملاتها وفق التحركات والمواقف الطبيعية بعيداً عن النظريات المقيدة أو السالبة للحركة التاريخية.

٣/ ان تحرك الثورة الحسينية وتحديها للسلطة الحاكمة آنذاك التي كانت تمتلك العدة والعدد الذي يفوق ما للثورة الحسينية بشكل كبير ، مع توافر المعلومات المستقبلية ببعض النتائج التي ستؤول إليه آنذاك الأوضاع من مصير الموت أو السبي للعائلة وعدم استسلامها وفق كل تلك المعطيات يفسر لنا المثالية العالية التي عملت وفقها الثورة الحسينية ورجالها وقادتها وأنصارها وتقانيهم ومدى اخلاصهم لعقيدهم ولدينهم يدل على أن تلك الحركة قد سارت وفق مبادئ النظرية المثالية وجسدتها وبشكل واقعي وعملي.

٤/ أن الاخبار تلك تكون من باب الابلاغ عما في المستقبل وفق العلم الغيبي المسموح للمعصوم (عليه السلام) لذلك جاءت مطابقة للواقع وهو بلا شك مصدره الله وبمشيئة ربانية.

٥/ أن الإخبار عما سيحدث في المستقبل وهو ما اصطلحنا عليه في دراستنا هذه فلسفة القضاء والقدر والتي تناولناها بشيء من التفصيل لا ينفي الحرية والإرادة الاختيارية في قبال حركة الفعل التاريخي ، بمعنى أنه في علم الله ورد التحرك الحسيني الذي هو باختيار الإمام (عليه السلام) وبحريته كانت حركته التاريخية والمواقف التي سجلها قد علم الله بها فنقلها إلى الرسول الأكرم (صلى الله عليه واله)، فضلاً عن أن ما سيحدث في المستقبل في ضوء فلسفة القضاء والقدر ونظرية أهل البيت (عليهم السلام) -التي تعرضنا لها في هذه الدراسة انفاً- بنفي الجبرية والقدرية في الفعل الانساني ، لا يتعارض إطلاقاً مع حرية الحركة الحسينية في أفعالها ومواقفها ومجمل تحركاتها مما يعني أن الحركة الحسينية كانت بشرية بعوامل قيامها وتفصيلاتها الأخرى ولكن هذا لا يعني أن الإرادة الإلهية كانت حاضرة ومطلعة ومخططة بالوقت ذاته .

٧/ من خلال النصوص أنفة الذكر يلاحظ أن العديد من الشخصيات قد حاولت ايقاف التحرك الحسيني لكن الحسين(عليه السلام) رفض ذلك بمعنى قبل التحدي والاستجابة للظروف السياسية آنذاك متحدياً الدولة الأموية وهذا ما يفسر لنا تفاعله مع الحدث وفق الظروف الزاهنة آنذاك وهذا يثبت أن الإمام الحسين(عليه السلام) كان يسير وفق النواميس الطبيعية والعوامل المستجدة في حينها.

الصراع الحسيني (الأموي عام ٦٨٠/٥٦١م) في ضوء نظرية العناية الإلهية بين الجبر والتفويض
وأثرهما على حركة التاريخ ودراسة تاريخية فلسفية

م. عباس محيسن اللامي

الذي نستخلصه من ذلك كله أن الثورة الحسينية لم تسير وفق النظرية الجبرية أو أنها اتخذت من فلسفة القضاء والقدر عنواناً لسلب حركتها وتفاعلها مع الأحداث بل على العكس من ذلك تماماً نجدها تتفاعل مع كل موقف وحدث وظرف بمعنى آخر تجد استجابة موازية لكل تحدي يقابلها وتتفاعل معه.

وهذا على النقيض تماماً من فلسفة الدولة الأموية آنذاك إذ أنها سارت وفق مستجدات الظروف والواقع السياسي والعقدي والاجتماعي آنذاك ووفق نظرية الوسطية بين المقدر والمخطط من الله وفعل وحركة الإرادة الاختيارية لشخصيات الثورة آنذاك وفعاليتها مع الأحداث ومدى استجابتها وتحديها للحدث أي وفق نظرية الإمام الصادق (عليه السلام) التي تناولناها انفاً لا جبر ولا تفويض ولكن وسطية بين المفهومين ووقائع الثورة التي اشرنا إليها في هذه الدراسة تثبت هذه الفلسفة وتؤكد مضامينها وغاياتها.

الخاتمة

- ١/ حاولت الدراسة جاهدة أن تتناول النصوص التاريخية بطابع فلسفي وتحليلها في ضوء نظرية العناية الإلهية واستخلاص مضامينها وفلسفتها واسقاطهما تاريخياً على موضع الدراسة.
- ٢/ فيما توصلت الدراسة إلى أن الثورة الحسينية لم تتبنى النظرية الجبرية في كل مجريات حركتها التاريخية التي كانت تتبناها الدولة الأموية وإنما تحركت وفق مستجدات الظروف والواقع السياسي والعقدي والاجتماعي آنذاك ووفق نظرية الوسطية بين المقدر والمخطط من العناية الإلهية وفعل وحركة الإرادة الاختيارية لشخصيات الثورة آنذاك وفعاليتها مع الأحداث ومدى استجابتها وتحديها للحدث أي وفق نظرية الإمام الصادق (عليه السلام) التي تناولناها انفاً لا جبر ولا تفويض ولكن وسطية بين المفهومين ووقائع الثورة التي اشرنا إليها في هذه الدراسة تثبت هذه الفلسفة وتؤكد مضامينها وغاياتها.
- ٣/ وقد ركزت الدراسة وبشكل مستفيض دور الدولة الأموية في توظيف نظرية العناية الإلهية بما يلائم سياستها وفلسفتها؛ ولتبرير غاياتها الفاسدة ومصالحها الشخصية الضيقة وخداعها للجمهور العام وتشخيصاً للجمهور الشامي بسلوكياتها المنحرفة ولاسيما في صراعها مع الإمام الحسين (عليه السلام) وتبرر مشروعها الإقصائي ضد آل البيت (عليهم السلام)
- ٤/ ومن جملة النتائج التي استنتجها الدراسة أيضاً هو أن الدولة الأموية حاولت توظيف تلك النظرية لتخدير الرأي العام واقناعه وتهديم المجتمعات وتوظيف الدين سياسياً لمصالحها الشخصية والخاصة وقد نجحت إلى حد ما معين في ذلك ولاشك فيه بأنه نجاح مرحلي محدود.

الصراع الحسيني (الأموي عام ١٨٠/٥٦١م) في ضوء نظرية العناية الإلهية بين الجبر والتفويض
وأثرهما على حركة التاريخ ودراسة تاريخية فلسفية

م. عباس محيسن اللامي

٥/ استطاع الإعلام الحسيني ومن خلال الإمام زين العابدين والسيدة زينب (عليهما السلام) عبر خطبهما ومحاوراتهما بتعريف الرأي العام وتحديداً الشامي على كذب اطروحة الدولة الأموية بأنها صاحبة الحق الإلهي ولها الحق في قتل آل البيت (عليهم السلام) وأنهم تحركوا وفق المشيئة الإلهية مستغلة بساطة المجتمع الشامي وانغلاقه الفكري والديني بفعل سياسة معاوية بن أبي سفيان سابقاً .

الهوامش

- ١ الفراهيدي ، العين ، ج ١ ، ص ٢٩٩ .
- ٢ ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٨ ، ص ١٩٧ .
- ٣ النقيب ، في البدء كان الصراع ، ص ٧ .
- ٤ النقيب ، في البدء كان الصراع ، ص ٧ .
- ٥ الشاكري ، عقر الجمل ، ص ١٢٠ .
- ٦ اقتصادنا ، ص ٣٧ .
- ٧ ديورانت ، دروس التاريخ ، ص ١٠٥ .
- ٨ أثر الصراع الفكري ، ص ٧ .
- ٩ الرشدي ، الصراع الحضاري ، ص ١٥ .
- ١٠ للمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع ومعطياته ، ينظر : برغش ، الجبرية في الفكر العراقي القديم ، ص ص ٣٤٥-٣٤٧ ؛ السبحاني ، لب الاثر في الجبر والقدر ، ص ص ١٠-١٢٣ ؛ الحيدري ، الانسان بين الجبر والتفويض ، ص ص ١٠-١٧٧ ؛ روزنتال ، الموسوعة الفلسفية ، ص ٦٧ ، ص ١٠٦ .
- ١١ ويد جيرى ، التاريخ وكيف يفسرونه ، ج ٢ ، ص ٢٦ .
- ١٢ الكليني ، الكافي ، ج ١ ، ص ١٩٣ .
- ١٣ هويت ، كيف يتكون الدين ، ص ٦٤٣ ؛ غوستاف لوبون ، فلسفة التاريخ ، ص ٥٦ .
- ١٤ ويد جيرى ، التاريخ وكيف يفسرونه ، ج ١ ، ص ١٢٨ .
- ١٥ مؤرخ ايطالي ، صاحب التفسير الدوري للتاريخ .
- ١٦ التاريخ وكيف يفسرونه ، ج ٢ ، ص ٢٥ .
- ١٧ غليزيرمان ، قوانين التطور الاجتماعي ، ص ١٢٧ .
- ١٨ غليزيرمان ، قوانين التطور الاجتماعي ، ص ١٢٧ .
- ١٩ الصدوق ، الهداية ، ص ١٨ .
- ٢٠ الصدوق ، التوحيد ، ص ٣٦١ .
- ٢١ الصدوق ، التوحيد ، ص ٣٦١ .
- ٢٢ الكليني ، الكافي ، ج ١ ، ص ١٥٩ ؛ الصدوق ، التوحيد ، ص ٣٦٠ .
- ٢٣ الديب ، ماذا تعرف عن هذه المصطلحات ، ص ٣٠ .

الصرام الحسيني (الأموي عام ١٨٠/٥٦١م) في ضوء نظرية العناية الإلهية بين الجبر والتفويض
وأثرهما على حركة التاريخ ودراسة تاريخية فلسفية

م. وعباس محيسن اللامي

- ٢٤ حسن قبلي ، السنن التاريخية ، ص ٧٨ .
٢٥ حسن قبلي ، السنن التاريخية ، ص ٧٨ .
٢٦ عطوان ، الأمويون والخلافة ، ص ١٩ .
٢٧ خليفة الله ، ٢٢٨ .
٢٨ البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ، ص ٢٠ .
٢٩ الطبري ، تاريخ ، ج ٤ ، ص ٢٥٠ ؛ ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، ج ٥ ، ص ١٠ .
٣٠ الحجر : ٢١ .
٣١ الابشيهي ، المستطرف ، ج ١ ، ص ١١١ .
٣٢ ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة ، ج ١ ، ص ١٥٨ .
٣٣ الجاحظ ، البيان والتبيين ، ص ٣١٣ ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج ٤٦ ، ص ٢٤٦ .
٣٤ الجاحظ ، البيان والتبيين ، ص ٢٤٤ ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ، ص ٢٠٨ ؛ الطبري ، تاريخ ، ج ٤ ، ص ١٦٦ .
٣٥ سندس الحسن ، الثورة الحسينية في الرواية السلفية ، ص ٦١ .
٣٦ البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٣ ، ص ٢٠٧ .
٣٧ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ، ص ٣٤٣ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٨٧ .
٣٨ اصطلاح شائع لدى الكتاب والمفكرين ورجال السياسة ، وهو يتردد على السنة العامة في احاديثهم من خلال الاحكام التي تصدرها الجماهير على عمل ما سلباً أو ايجاباً سخطاً أو رضياً ، ينظر ، الالوسي ، الرأي العام ، ص ١٢ .
٣٩ ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، ج ٥ ، ص ١٢٢ .
٤٠ الحيدري ، القضاء والقدر ، ص ١٥٣ .
٤١ نهاد الجبوري ، القدرية وتطورها في العصر الأموي ، ص ١٧٠ .
٤٢ للمزيد من التفاصيل عن هذه النظرية الفلسفية المتشعبة فكرياً وفلسفياً وتاريخياً ، ينظر ، الحيدري ، القضاء والقدر ، ص ٤٣ - ١٦١ ؛ مونجمري وات ، القضاء والقدر ، ص ٨٠ . ٢٧٨ .
٤٣ الحيدري ، القضاء والقدر ، ص ٤٤ .
٤٤ الأعراف : ١٨٨ .
٤٥ الحيدري ، القضاء والقدر ، ص ٦٣ .
٤٦ تفسير الميزان ، ج ٤ ، ص ٣٢ .
٤٧ التفسير الاسلامي للتاريخ ، ص ١٥٣ .
٤٨ التفسير الاسلامي للتاريخ ، ص ١٤٤ .
٤٩ قطب الدين الزاوي ، الخرائج والجرائح ، ج ١ ، ص ٢٥٤ .
٥٠ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج ٢٣ ، ص ٣٠٨ .
٥١ الصدوق ، الامالي ، ص ١٨٩ .
٥٢ المجلسي ، بحار الانوار ، ج ٤٤ ، ص ٣٣١ .

الصراع الحسيني (الأمرى عام (١٨٠/٥٦١م) نى ضوء نظرية العناية الإلهية بين الجبر والتفويض وأثرهما على حركة التاريخ وراة تاريخية فلسفية

م. وعباس محيسن اللامى

- ٥٣ الطبرى (الشيعى) ، دلائل الامامة ، ص١٨٢ .
٥٤ سندس الحسن ، الثورة الحسينية فى الرواية السلفية ، ص٣٨ .
٥٥ ابن طاووس ، اللهوف فى قتلى الطفوف ، ص ٤٩ .
٥٦ للمزيد من التفاصيل عن دور بعض المؤرخين فى تبرئة وشرعة جريمة يزيد بن معاوية والدوافع التى تقف وراء ذلك ، ينظر ، سندس الحسن ، الثورة الحسينية فى الرواية السلفية ، ص ١٣١ ، ١٣٩ ، ١٦٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ .
٥٧ للمزيد من التفاصيل عن تلك المفاوضات ، ينظر ، ابن قتيبة الدينورى ، الاخبار الطوال ، ص ص ٢٥٣ - ٢٥٤ ؛ الطبرى ، تاريخ ، ج ٤ ، ص ٣١٠ وما بعدها ، ابن الجوزى ، المنتظم ، ج ٥ ، ص ٣٣٦ .
٥٨ البلاذرى ، انساب الاشراف ، ج ٣ ، ص ١٨٠ .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً / المصادر الأولية

- ابن أعثم ، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفى (توفي بعد ٣٥٠هـ / ٩٢٦م) .
١- الفتح ، تحقيق : على شيرى ، دار الاضواء ، (بيروت : ١٩٩١م) .
البلاذرى ، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢م) .
٢- انساب الاشراف ، تحقيق : محمد حميد الله ، دار المعارف بمصر ، (د. ت) .
الصدوق ، محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى (ت ٣٨١ هـ / ٩٨٣م)
٣- الامالى ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية ، ط ١ ، مؤسسة البعثة - (قم المقدسة - ١٤١٧هـ) .
٤- الهداية ، تحقيق : مؤسسة الإمام الهادى (ع) ، ط ٤ ، (قم المقدسة - ١٤١٨هـ / ١٩٨٧م)
الجاحظ ، عمرو بن بحر بن محبوب (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) .
٥- البيان والتبيين ، ط ١ ، المكتبة التجارية الكبرى ، (القاهرة - ١٩٢٦ م)
ابن الجوزى ، عبد الرحمن بن على بن محمد (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م) .
٦- المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت - ١٩٩١م) .
الطبرانى ، سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠ هـ / ٩٦٢م) .
٧- المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفى ، ط ٢ ، (بيروت - د.ت)
-الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢م)
٨- تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق (نخبة من العلماء) مؤسسة الاعلمى ، (بيروت - ١٩٨٣) .

الصراع الحسيني (الأموي عام ٦١١/٦٨٠م) في ضوء نظرية العناية الإلهية بين الجبر والتفويض
وأثرهما على حركة التاريخ ودراسة تاريخية فلسفية

م. عباس محيسن اللامي

- الطبري، أبو جعفر جرير بن رستم الطبري (الشيوعي) (توفي في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي).
- ٩- دلائل الإمامة ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية ، ط ١ ، - مؤسسة البعثة - (قم - ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م)
- ابن طاووس ، رضي الدين علي بن موسى (ت ٦٦٤هـ / ١٢٦٥م) .
- ١٠- اللهوف على قتلى الطفوف ، ط ١ ، (قم المقدسة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).
- الفراهيدي، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد (ت ١٧٥هـ / ٧٩١م).
- ١١- العين ، ط ٢ ، تحقيق (مهدي المخزومي - ابراهيم السامرائي)، مطبعة صدر ، (مؤسسة الهجرة - ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).
- ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)
- ١٢- الإمامة والسياسة ، تحقيق محمد الزيني ، ط ٥ ، مؤسسة الحلبي، (د.ت).
- الكليني ، محمد بن يعقوب الرازي (ت ٣٢٩هـ / ٩٤٠م) .
- ١٣- الكافي ، تحقيق : علي اكبر غفاري ، ط ٥ ، دار الكتب الاسلامية ، (طهران ١٣٦٣ش).
- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ / ١٣١٣م) .
- ١٤- لسان العرب ، (قم المقدسة - ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)
- ثانياً / المراجع العربية**
- الحيدري ، كمال
- ١/ القضاء والقدر وإشكالية تعطيل الفعل الانساني ، بلاط ، د.ت
- ٢/ الانسان بين الجبر والتفويض ، مؤسسة الامام الجواد (ع) للفكر والثقافة ، (بيروت - ٢٠١٤م)
- خليل ، عماد الدين
- ٣/التفسير الاسلامي للتاريخ ، دار العلم للملايين ، ط ٥ ، (لبنان - ١٩٩١م).
- الديب ، حاتم بن الحسن
- ٤/ ماذا تعرف عن هذه المصطلحات ، مؤسسة الصحابة للطبع والنشر والتوزيع ، ط ١ ، (مصر - ٢٠١١م).
- الرشيدي ، رشدي أبو شبانة علي
- ٥/ الصراع الحضاري بين الشرق والغرب ، دار اليقين ، ط ١ ، ٢٠٠٨م.

الصراع الحسيني (الأموي عام ٦١١/٦٨٠م) في ضوء نظرية العناية الإلهية بين الجبر والتفويض
وأثرهما على حركة التاريخ ودراسة تاريخية فلسفية

م. وعباس محيسن اللامي

- السبحاني ، جعفر
٦/ لب الأثر في الجبر والقدر ، ط ١ ، (قم-١٤١٨هـ)
الشاكري ، حسين
٧/ ثم عقرب الجمل ، ط ١ ، (ايران-١٩٩٧)
الصدر ، محمد باقر
٨/ اقتصادنا ، تحقيق : مكتب الإعلام الإسلامي - فرع خراسان ، مؤسسة بوستان كتاب قم (مركز
النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي) ، ط ٢ ، (ايران-١٤٢٥هـ)
الطباطبائي ، محمد حسين
٩/ تفسير الميزان ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة ، بلاط ، د.ت.
العتابي ، عبد الهادي طعمة عفات
١٠/ أثر الصراع الفكري الساساني البيزنطي على حضارة العرب ، ط ١ ، تموز للطباعة والنشر ،
(دمشق-٢٠١٢م)
عطوان ، حسين
١١/ الأمويون والخلافة ، دار الجيل ، ط ١ ، ١٩٨٦م.
قيلي ، حسن سليمان حسن
١٢/ السنن التاريخية في القرآن الكريم ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الخرطوم ، كلية
الآداب ، قسم الفلسفة ، ٢٠٠٨م.
الالوسي ، د. عادل محي الدين
١٣/ الرأي العام في القرن الثالث الهجري ١٩٨ هـ - ٢٩٥ هـ / ٨١٣-٩٠٧م ، ط ١ ، (بغداد-
١٩٨٧م).
النقيب ، خلدون حسن
١٤/ في البدء كان الصراع جدل الدين والاثنية ، الأمة والطبقية عند العرب ، دار الساقى ، ط ١ ،
(بيروت-١٩٩٧م)
ثالثاً / الدراسات والابحاث
برغش ، سعدون عبد الهادي
١/ الجبرية في الفكر العراقي القديم ، بحث منشور في مجلة واسط للعلوم الانسانية ، العدد (٢٣)

الصرام الحسيني (الأموي عام ١٨٠/٥٦١م) في ضوء نظرية العناية الإلهية بين الجبر والتفويض
وأثرهما على حركة التاريخ ودراسة تاريخية فلسفية

م. وعباس محيسن اللامي

الجبوري ، نهاد عباس شهاب

٢/ القدرية وتطورها في العصر الأموي ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٦م.

٣/ الحسن ، سندس صبيح محمد ، الثورة الحسينية في الرواية السلفية حتى القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، دراسة تحليلية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية للبنات ، جامعة البصرة ، ٢٠٢٠م.

رابعاً / المراجع الاجنبية المعربة

ديورانت ول واريل

١/ دروس من التاريخ ، ترجمة : يوسف ربيع ، عصير الكتب للنشر والتوزيع ، (القاهرة - ٢٠٢٠م) دي كرسبني ، انطوان وكينيث مينوج

٢/ من فلاسفة السياسة في القرن العشرين ، ترجمة وتقديم : د. نزار عبد الله ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

-غليز يرمان

٣/ قوانين التطور الاجتماعي طبيعتها واستخدامها ، (موسكو - ١٩٨٣م) ، دار التقدم . روزنتال ، فرانز

٤/ الموسوعة الفلسفية ، ترجمة : سمير كرم ، دار الطليعة ، بيروت ، بلا ط . لوبون ، غوستاف

٥/ فلسفة التاريخ ، ترجمة : عادل زعيتر ، (مصر - ١٩٥٤م) دار المعارف -هوايتد ، الفرد نورث

٦/ كيف يتكون الدين ، ترجمة وتقديم : رضوان السيد ، ط ١ ، (بيروت - ١٩١٧م) الجداول للنشر والترجمة والتوزيع .

وات ، مونجمري

٧/ القضاء والقدر في فجر الاسلام وضحاها (القرون الثلاثة الاولى) ترجمة ودراسة : د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، (مصر - ١٩٩٨م) .

ويد جري ، البان .ج.

الصراع الحسيني (الأموي عام ٦٦١/٦٨٠م) في ضوء نظرية العناية الإلهية بين الجبر والتفويض
وأثرهما على حركة التاريخ ودراسة تاريخية فلسفية
م. وعباس محيسن اللامي

٨ / التاريخ وكيف يفسرونه من كنفوشيوس إلى توينبي ، ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد ، ط ٢ ،
مصر .

Contents

1	Gifts of the Prophet Muhammad (may God bless him and his family and grant them peace) to the common people and their private ones. Prof. Dr. Rahim Helou M. Al-Bahadli - University of Basrah / College of Education for Women Prof. Dr. Tawfiq Dawai Al-Hajjaj - University of Basrah /College of Arts	1-18
2	The adoption system in Mesopotamia and Egypt (1930-300 B C) A comparative Study Dr.Badrih Abdullah Al Hazani College of Arts - King Saud University/ Kingdom of Saudi Arabia	19-93
3	Ahl al-Bayt (peace be upon them) in the narrations of Ikrima al-Barbari Prof. Dr. Jawad K. Al-Nasr Allah Researcher: Basem A. Juma - University of Basra / College of Arts	94-130
4	Horus road and military station Prof. Dr. Suhaila M. Marzouk Dr. Mohamed Ali. AL-Motori University of Basrah - College Education for Women	131-146
5	Power, violence, and the stakes of reform in Andalusia, a reading of the punishment of crucifixion (132-620AH/ 740-122AD) Assist Prof. Dr. Qassem Abd S. Al-Husseini University of Maysan - College of Education	147-182
6	Effects In the manufacture of the text of the Prophet's biography Assist.Prof. Intsar Adnan A. Al-Aouad / University of Basrah – College of Arts	183-208
7	The image of religious minorities in European Writings during the Ottoman period Iraq and Egypt as a Modle Assist. Prof.Dr. Etlal Salim Hanna University of AL-Hamdaniya - College of Education	209- 242
8	The emergence of the Catholic faith in Basra Assist.Prof. Fares Frank Nassori Researcher: Hind Abdul Muttalib Harb - University of Basrah – College of Education for Human Science	243-260
9	Tracts of commerce and its impact on the Fatimid Umayyad conflict During the fourth century AH / tenth century AD M.Dr. Zainab Hamza Abbas - University of basrah - College of Education for Pure Sciences	261-282
10	The fan Bearer on the Right Side if the King in Ancient Egypt, from the modern age of the State (1549 – 1069 B . c) Dr. Alaa Radi Falih University of Basrah – College of Education for human sciences	283- 323
11	Orientalist vision of the nickname of Imam Ali (peace be upon him) (Abu Turab) Dr. Nazar Naji Mohammed Head Directorate of Education in Basrah	324 - 353

12	Iraq and the Inspection Committees for Weapons of Mass Destruction 1997-2003 Assist.Prf. Ahoud Abbas Ahmed University of Basra - Center for Basra and Arabian Gulf Studies	354-427
13	The social Life in Andalus in The era of Granada Kingdom (635-897/ 1236-1491) Assist Dr.Afaaq lazim A. University of Basrah - College of Education-Qurna	428 – 448
14	Buyids news through "Zain Al-Akhbar" by Al-Jardizi "T: 443 AH" M. M Ibtihal Muhammad Abdul Karim University of Basrah - Center for Basra and Arabian Gulf Studies	449 - 475
15	The Husseini-Umayyad struggle in (61 AH / 680 AD) in the light of the theory of divine providence between reparation and delegation and their impact on the movement of history, a historical-philosophical study M. Dr. Abbas Muhaisen Harijeh Al-Lami Directorate of Education in Maysan	476 - 500

*Ministry of Higher Education & Scientific
Research
University of Basrah
College of Education for Women*

*ISSN : 1818 – 0345
Impact Factor: (506-2018)
Arcif: 0.0118 2021*

HISTORICAL STUDIES JOURNAL

Quarterly refereed scientific journal

*Published by the College of Education for
Women*

Supplement of thirty three issue (December 2022)